

مكتبة القرآن

مكتبة القرآن

توزيع على جميع المراكز الإسلامية في العالم
بإذن من اللجنة الإسلامية العالمية للتربية والثقافة والعلوم

إهداء من مؤسسة محمد بن سعود
للدراسات والبحوث الإسلامية

تحت إشراف
اللجنة العالمية

مكتبة القرآن

للمطالعة والبحث

بإذن من اللجنة الإسلامية العالمية للتربية والثقافة والعلوم

مكتبة القرآن

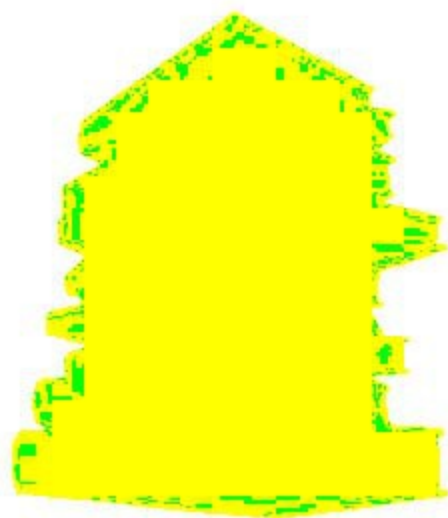
الطبعة الأولى

١٩٨٠



**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





مَعَالِمُ الْإِيمَانِ

فِي

مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ وَأَتَابِهَا

تَأَلِيفُ

أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الدَّبَائِغِيِّ الْمَتَوَفَّى ٦٩٦ هـ

أَلَّفَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ

أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَالِيٍّ بْنِ نَاجِيٍّ الشَّوْخِيِّ الْمَتَوَفَّى ٨٣٩ هـ

وَفِي آخِرِهِ

ذَيْلُ مَعَالِمِ الْإِيمَانِ

المسكوتى

تكميل الصحاح وأعيان

لمعالم الإيمان في أولياء القبر وأتباعها

تأليف

محمد بن صالح بن علي بن عيسى الكنافي

المتوفى ١٢٩٢ هـ

تحقيق

الدكتور عبد المجيد ضياوي

١ - ٢



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

ببيروت - لبنان

Title: DAYL MA'ALIM AL-ĪMĀN

(The supplement of the biographies of those who inhabited al-Qayrawan)

Author: Muhammad Ben Ṣaliḥ Ben 'Alī 'Isa Al-Kināni

Editor: Dr. 'Abdul-Majīd Al-Ḥayālī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 1248 (The supplement =312)

Year: 2005

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

132052

الكتاب: ذيل معالم الإيمان

اتكميل الصلحاء و الأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القبرين

المؤلف: محمد بن صالح بن علي عيسى الكناني

المحقق: الدكتور عبد المجيد خيالي

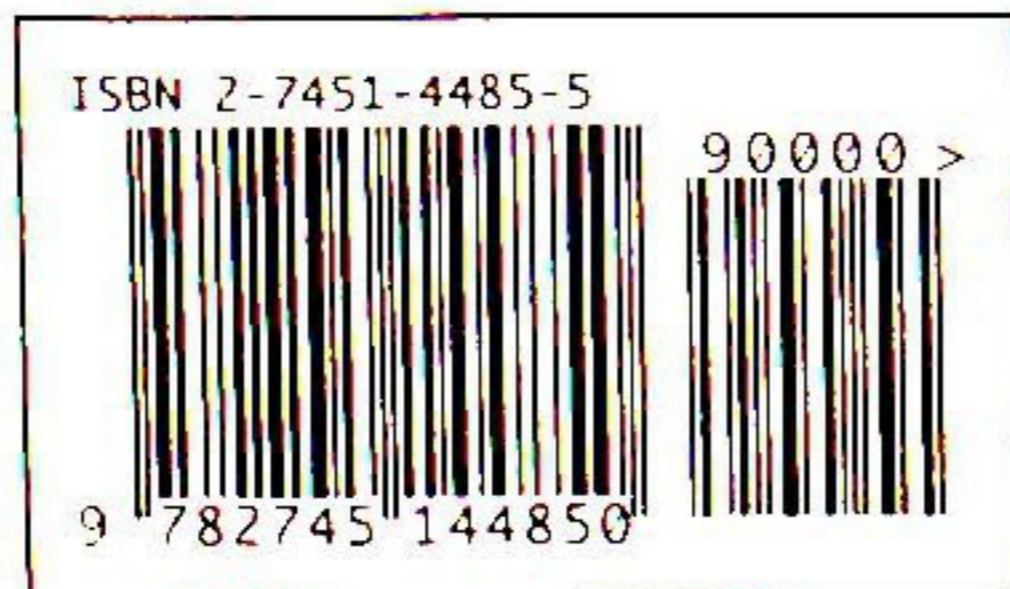
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 1248 (الذيل = 312 ص)

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



منشورات مكتبة دار العلم بيروت



بيروت
لبنان
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والعلمية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمه أو إعادة تصيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على شرطه كاسيت أو ادخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على الشبكات صوبية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher

Tous droits exclusivement réservés a ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant a des poursuites judiciaires

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

منشورات مكتبة دار العلم بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Muhammad Al-Baydoun Publisher - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الطريف، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٢٩٨١ - ٣٦٢٩٨٥

فروع غرمون، القسوة، قيسية، دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg

عناوين الفروع: ٩٦٦٤ - بيروت - لبنان
هاتف وفاكس: ٩٦٦٥٠٠٠ - ٩٦٦٥٠٠٣

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

[آلِ عِمْرَانَ: 140]

إِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى
تَوَهَّمْتَهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وَتَخَسَّبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمُرِهِ
إِذَا هُوَ قَدْ أَبْقَى الْجَمِيلَ مِنَ الذُّكْرِ
فَكُنْ عَالِمًا أَخْبَارَ مَنْ مَاتَ وَانْقَضَى
وَعِشْ ذَا نَوَالٍ وَاعْتَنِمْ أَطْوَلَ الْعُمُرِ

ابن القاضي درة الحجال / 1 - 5 - 6

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل القُرَّاء والباحثين
في العالم العربي والإسلامي.

إلى كل من يُوحِّدُ الله تعالى ويُخلصُ له في عمله.

إلى أبي رحمة الله عليه وعلى جميع المسلمين آمين
آمين يا رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: لقد ظهرت كتابة التراجم في الإسلام مبكرة منذ القرن الثاني الهجري بداية بسيرة الرسول ﷺ، ثم حياة الصحابة وسيرتهم الفاضلة، ثم مَنْ والاهم من التابعين، وقد كانت في مَهْدَهَا مُنْصَبَةً على ترجمة شخصيات دينية، خاصة من كانت له برسول الله ﷺ صلة قوية، لكن لما فتحت بلدان العجم، واتسعت رُقعة الإسلام، تَطَوَّرَ أسلوبُ الكتابة من ترجمة أعلام الدين، إلى شخصيات دنيوية من ملوك، وَحُجَّابٍ ووزراء، وأطباء.

وَكُتِبَ التراجم هذه، تعتبر أقرب إلى الصدق من أخبار الإخباريين الذين يَسْرُدُونَ من غير توثيق، كذا أنها تهتم بتسجيل الأحداث المتعلقة بالمجتمع وال عمران، والظواهر الطبيعية، مثل الخسوف، والكسوف، والزلازل، والأوبئة، وتنقسم إلى نوعين:

كتب تراجم عامة: تهتم بترجمة أصناف متعددة من الناس، ويدخل في هذا الباب كتب: الحَوَلِيَّاتِ، والوفيات، والمشيوخات، والمعاجم، والمسلسلات، مثل: كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان فهو كتاب لم يقتصر على فترة معينة، أو حذف معين من الأعلام، بل أرخ لكل من له شهرة بين الناس.

وكتب تراجم خاصة: تعنى بترجمة أعلام زمن محدد كما فعل ابن حجر في كتابه «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، أو بلد معين كما فعل الحميدي في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، والضبي في كتابه بغية الملتمس في

تاريخ رجال أهل الأندلس، وابن بشكوال في كتابه الصلة في تاريخ علماء الأندلس، وابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس.

وهناك من أرخ لطبقة معينة، كما فعل ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وابن حبان في كتابه الثقات، وكتب الثقات متعددة، وللشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي كتاب الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، وكتاريخي البخاري وابن أبي خيثمة في الجمع بين الثقات والضعفاء وهما غزيرا الفوائد⁽¹⁾، والقاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك...

ومن المؤرخين من اهتم بطائفة خاصة من الناس؛ كأرباب الزوايا، والضلحاء، والأولياء، ويدخل في هذا الإطار كتب الأنساب والمناقب.

كما حدثونا عمّن ترجموا لهم كيف كانت حياتهم في مجتمعاتهم مع الصغير، والكبير، والضعيف، والقوي، والغني، والفقير، والحاكم، والمحكوم، ثم عن نتاجهم الفكري ومدى تأثيرهم بما نتجوا.

ومنهجية ترتيب التراجم داخل المؤلفات منها ما يرتب على السنين، ومنها ما يرتب على الطبقات، ومنها من على الحروف، وهم أكثر وهذا لسهولة البحث.

وكتاب «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» صنّفه أبو زيد عبد الرحمن الدباغ مرتباً على تاريخ وفاة الأعلام المترجم لهم، إلا الصحابة رضوان الله عليهم رتبهم على ترتيب سابقتهم للإسلام ثم جاء بعده ابن ناجي فأتم الكتاب واستوفاه وزاد فيه 63 ترجمة. وهذا الكلام قد خضنا الحديث فيه أثناء دراسة الكتاب محتواه ومضمونه.

وبعد ختم هذه المقدمة أريد أن أشير إشارة لا أريد أن تفوتني وهو أن هذا الكتاب طبع طبعة قديمة سنة 1320هـ و1325هـ وبعدها طبعتان حديثتان، الطبعة الأولى كانت سنة 1388هـ / 1968م والطبعة الثانية كانت سنة 1413هـ / 1993م طُبعت بالمكتبة العتيقة بتونس.

وهذه طبعة محققة شارك في تحقيقها ستة أساتذة فالجزء الأول إبراهيم شُبُوح وهي في غاية التحقيق والتخريج والتعليق جد متميزة، والجزء الثاني اشترك في

(1) راجع الرسالة المستطرفة ص: 147.

تحقيقه الدكتور محمد الأحمد أبو النور، ومحمد ماضور، والجزء الثالث لمحمد ماضور، والجزء الرابع الشيخ محمد المجذوب، والدكتور عبد العزيز المجذوب. وهؤلاء يرجع لهم فضل السبق في إظهار هذا الكتاب من جديد بعد أن ظلّ في طبعته الأولى حَيِّزاً من الزمان، منظوياً عما فيه من التباسات وبعض الأخطاء المطبعية فلهم جزيل الشكر عما أسدوه خدمة للعلم، وإحياء للتراث. أما سبب إعادتي لهذا العمل وَتَحْرِيهِ من جديد، لا لأقف على ثغرات ما تركوه، أو تجاوزوه، لأضع القلم عليه مُصَحِّحاً أو ناقداً، فالعاقل من جَنَّبَ نفسه إذابة الناس، ليسلم من لواذع القول ومن سوء المُنْقَلَبِ. وهذا باب شائك إذا فتحه المرء لم يخلص إلى منفذ. وإنما طلب مني هذا الإنجاز صاحب دار الكتب العلمية السيد محمد علي بيضون بصورة إيجاده في كل بلدان العرب والإسلام، وألا يقتصر على مكان معين، وبالفعل إنني لم أحصل على هذه النسخة المحققة إلا بعد طلبها من بلاد تونس بواسطة أحمد السائغ صاحب مكتبة دار الأمان الرباط.

فالله أسأل أن يثيب كل من يعمل خالصاً لوجهه الكريم في منفعة الناس، وتقريب ما بَعُدَ عنهم، وتسهيل ما صَعُبَ عليهم. حسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه

الدكتور عبد المجيد خيالي

2004 / 10 / 15

سلا (المغرب)

۵

ترجمة أبو زيد عبد الرحمن الدباغ⁽¹⁾ [مؤلف الكتاب]

اسمه: هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي.
كنيته: أبو زيد.

(1) ترجم في:

- الأعلام للزركلي 4 / 105 ط III.
- برنامج التجيبي ص 58 و 151 هامش 1.
- برنامج الوادي آشي ص: 60 - 61.
- تذكرة الحفاظ ص 1489، وفيات 699هـ.
- الحلل السندسية 1 / 249 - 256.
- درة الحجال 3 / 105 - 107.
- رحلة العبدري ص: 163 - 176.
- شجرة النور الزكية 1 / 276 - 277 رقم (683) بتعليقنا، وقد ورد اسمه هنا باسم عبد الرحمن بن عبد السلام.
- فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني 1 / 392 - 393.
- كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين.
- كفاية المحتاج 1 / 259 - 260.
- كشف الظنون 1 / 301.
- معالم الإيمان الجزء الرابع رقم الترجمة (350).
- معجم المؤلفين 5 / 185.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إيان سركيس 1 / 863 - 864.
- نيل الابتهاج ص: 240 - 241 رقم 240.
- هدية العارفين 1 / 526.
- الوافي بالوفيات 18 / 261 رقم 316.

لقبه: الدباغ⁽¹⁾.

نسبه: ينتهي نسبه إلى أسيد⁽²⁾ بن حضير الصحابي الجليل رضي الله عنه.

مكان ولادته: القيروان⁽³⁾.

سنة ولادته: قال العبدري في رحلته:

سألته عن مولده فقال لي: سنة خمس وست ومئة⁽⁴⁾.

والأوفق هنا والأجدر، أن ننقل كلام الرحالة أبو عبد الله محمد العبدري فيه عندما اجتمع به سنة 688هـ بمسقط رأسه القيروان، قال: وقد بذلتُ وسعي إذ دخلت القيروان في البحث عمن بها من أهل العلم، فلم أجد بها من يُعتبر وجوده، ولا يسع جهله، سوى هذا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المتفنن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه، ويعرف بالدباغ.

لقبته يوم وَرَدْنَا القيروان، فرأيت شيخاً ذكياً حصيفاً⁽⁵⁾ ذَا سَمْتٍ⁽⁶⁾ وَهَيْئَةٍ

(1) هذا اللقب يرجع إلى جده الكبير، وسبب تسميته بذلك؛ هو أنه قدمه قاضي الجماعة والسلطان بقضاء بلدة القيروان فامتنع، ففرّ إلى دار الدباغ بكرة قبل أن يصله ظهير التعيين، فنزع ثيابه الحسنة وارتدى ثياب العمل، فأخذ يملأ الدلو بالماء، ويفرغ على الجلود، فلما وصل الرسول بالظهير طلبه في داره وفي المسجد فلم يجده، فبدأ يبحث عنه حتى وجدته، فقال له: ارجع بظهيرك وقل لمن بعثك به: وجدته ذبأغاً، فلا يليق بكم أن تقدموا من كانت هذه حالته قاضياً على رقاب الناس، فلما بلغ الخبر إلى قاضي القضاة والسلطان، قالوا: نعرف أن ما صناعته دبع الجلود بحال: وإنما ذلك بقصد الهروب من القضاء لإنجاء نفسه. راجع الخبر في معالم الإيمان رقم الترجمة 350.

(2) أسيد بن حضير بن سَمَّاك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس، كان ممن شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرأ، وشهد أحد، ثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس توفي رضي الله عنه في شعبان سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين للهجرة. ترجم في الاستيعاب لابن عبد البر ص: 45.

(3) القيروان مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع رحمه الله تعالى سنة 50 هجرية تبعد عن تونس العاصمة نحو مائة ميل. للمزيد عنها، انظر: الروض المعطار ص 486 - 486، وصف إفريقيا 87/2 - 91.

(4) رحلة العبدري ص: 164.

(5) حصيفاً. مستحكماً عقله. القاموس مادة «حصف» ص: 720.

(6) ذا سمت: السميت: الطريق، وهيئة أهل الخير. القاموس، مادة «سمت» ص: 142.

وسكونٍ ظاهرٍ، مُجِبًّا لأهل العلم، حَسَنَ الرَّجَاءِ بِرَّ اللِّقَاءِ، لم يؤثر الكِبَرُ في جسمه على غُلُوِّ سِنِّهِ، ولا تَغَيَّرَ شيءٌ من ذهنه وحواسه، سألته عن مولده فقال: سنة خمس وست ومئة وهو حفظه الله من أهل التَّعَمُّمِ والعناية بالعلم، مع عدم المعتني به والطالب له، موطأ الأكناف، لَيِّنَ الجانب، جميل العشرة، على سنن المشايخ من أهل العلم والفضل، أوجد وقته رواية وِدْرَايَةً، لقيت من بِرِّهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ، وَرِقَّةِ شَمَائِلِهِ ما لم إخلُ مثلهُ باقياً، وما وجودُهُ بالقيروان في هذا الأوان إلا من جملة بركات سَلَفِ أَهْلِهِ، وقد نَيَّفَ شيوخه على الثمانين، وله «برنامج» ضمَّ فيه أَسْمَاءَهُمْ وما روى عنهم، وقد قرأت عليه بعضه، وأجازني في كل ما تضمَّنه، وما شدَّ عنه من رواياته إجازة عامة، وكذلك أجاز ولدي محمداً وفقه الله، وكتب لي بذلك خَطُّ يده، وقال لي مراراً: إذا قضى الله حاجتك وَحَجَّجْتَ، فلا تقم في البلاد، فإنني كثير الشَّفَقَةِ على ولدك، وقد أوقع الله حُبَّهُ في قلبه منذ ذكرته لي.

ومن عجيب أخلاقه: قال العبدري: إني قَلَّمَا طَلَبْتُ جزءاً لأنقل منه إلا وهبه لي، وقد أعطاني أكثر من عشرة أجزاء من فوائده، وفوائد شيوخه وفهارسهم، وقال لي: أنت أولى بها مِنِّي، فإنني شيخ على الوداع، وأنت في عنفوان عمرك، ومن حين رأيتك انغرز حُبُّكَ في قلبي.

وله مجموعات وتوالييف، ونظم جيّد كثير، ومشاركة في العلوم؛ نَقَلِيَّهَا وَعَقْلِيَّهَا، وألَّفَ كتاباً حسناً مفيداً في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها الإسلام إلى زمانه، وهو كبير في مجلدين وسماه: «معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان»...

قال العبدري مستطرداً كلامه عن الدباغ: وَنَاوَلَنِي «صحيحي البخاري ومسلم» في أصله منهما.

وقرأت عليه بعض الأحاديث الثنائية الإسناد من حديث مالك رضي الله عنه من تخريجه، وبعض أحاديثه التُّسَاعِيَّةِ من تأليفه وانتقائه، وناولني سائرهما، وناولني أجزاء من عوالي حديثه، وحديث شيوخه، وناولني الأحاديث الأربعين في عموم رحمه الله لسائر المؤمنين من تأليفه⁽¹⁾.

(1) رحلة العبدري ص: 163 - 165.

شيوخه:

قال العواني⁽¹⁾: روى عن القاضي أبي زكرياء البرقي، وأكثر الشيوخ عنه ذكر لنا ذلك.

وروى أيضاً عن القاضي ابن عبد الجليل الأزدي.

والقاضي أبي محمد عبد الله ابن برحلة الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عثمان أبي موسى عيسى بن سلامة بن علي الحضرمي؛ وغيرهم عدة كثيرة تنيف على الثمانين شيخاً⁽²⁾.

وأجازته جماعة من أعلام المشرق: كأبي محمد عبد الوهاب بن رواج، وأبي التقى صالح بن شجاع، وأبي الحسن علي بن هبة الله بن الجُمَيْزِي، وأبي الفضل السعدي، وأبي القاسم بن الحاسب وسواهم⁽³⁾.

شعره:

كان يقول الشعر، وربما أجاد في بعضه، وكتب على ظهر مصنفه المسمى: جلاء الأفكار في مناقب الأنصار قوله:

كتبت جلا الأفكار في فضل معشر
إلهي فحَقَّقْ لَأَسِيدِي مَا رَجَا
وبؤته والقاري ومن هو سامع
وكاتبه أعلى المقامات في القرب⁽⁴⁾
بهم عزّ دين الله في الشرق والغرب
بتأليفه واغفر لنا سائر الذنب

وله أيضاً رحمه الله تعالى قصيدة وصف فيها نفسه ويذكر فضل الأنصار وانتماءه لهم رضي الله عنهم:

إني امرؤ ذو هَمَّةٍ ملكية
مالي إلى غير الفضائل مَسْلُوكُ
أشبهت آبائي الكرام فإنهم
ما إن لها تحت الكواكب موضع
يوماً ولا دون المعالي منزع
أبدأ بغير الفضل لا يتضلعوا

(1) هو أبو الحسن علي بن حسن بن عبد الله الشريف كان صالحاً فقيهاً، ناسكاً سخياً مجتهداً في تعلم العلم، توفي سنة 758 هـ. انظر ترجمته رقم 369 من كتاب معالم الإيمان الجزء الرابع.

(2) معالم الإيمان، ترجمة عدد 350.

(3) برنامج الوادي أشي ص: 61.

(4) معالم الإيمان، ترجمة عدد 350.

ما فيهم إلا بعير شاردُ
 وأبي أسيد بن الحضير كفى به
 ذاك الذي نزلت ملائكة السماء
 وأضاءت المنسأه في غسق
 نسب كأن الصبح منه تنفست
 من مبلغ الأنصار عني أنني
 قال العبدري: له نظم جيد كثير⁽¹⁾.

مؤلفاته:

قال العبدري: وله مجموعات وتوالمف⁽²⁾.

وفي المعالم: كان معتنياً بالآثار جامعاً لها، كتب بخطه منها كثيراً ورواه.

ونذكر منها ما يلي:

- 1 - معالم الإيمان في مناقب المشهورين من علماء القيروان وهو الكتاب المعني بالتحقيق.
- 2 - جلاء الأفكار في مناقب الأنصار.
- 3 - واسطة النظام في تاريخ ملوك الإسلام.
- 4 - الأسرار الجليلة في المناقب الدهمانية.
- 5 - مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب.
- 6 - مناهج أهل الدين وطرائق أئمة المتقين في ذكر من كان بالقيروان من الصحابة والتابعين ومشاهير العلماء الراسخين.
- 7 - سراج المتقين المنتخب من كلام سيد المرسلين.
- 8 - الأحاديث الأربعون في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين.
- 9 - عوالي حديثه.

(1) رحلة العبدري ص: 165.

(2) رحلة العبدري ص: 165.

- 10 - فهرسة شيوخه وما روى عنهم .
- 11 - التَّسَاعِيَّات جمع فيه الأحاديث التَّسَاعِيَّة الإسناد التي يرويها ، والمراد بالتساعيات ؛ الحديث الذي يكون في سنده تسعة رجال من الراوي إلى رسول الله ﷺ .
- 12 - الأمر المشروع ، والعمل المتبوع في صحة القول برفع اليدين في الركوع .
- 13 - مناقب والده محمد بن علي الدباغ الأنصاري المتوفى سنة 618هـ .

وفاته :

توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين وستمائة 699هـ وقبره بمقبرة باب تونس بالربوة التي فيها أسلافه كما جاء في معالم الإيمان على لسان البرزلي ، بينما ابن ناجي قال : وهو غير معين .

ترجمة ابن ناجي (1) [المكمل للكتاب]

اسمه: أبو الفضل، أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني.
مولده: القيروان.

نشأته: نشأ يتيماً فكفله عمه خليفة بن ناجي (2) الذي اعتنى بتحفيظه القرآن،
وتلقينه مبادئ الفقه.

(1) ترجم ابن ناجي في المصادر والمراجع التالية:

- الأعلام للزركلي 6 / 13 ط III.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم 149 - 150.
- تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان ص: 6 - 9.
- توشيح الديباج ص: 266 - 267.
- الحلل السندسية: 1 / 691.
- درة الحجال: 3 / 282.
- شجرة النور الزكية 1 / 352 رقم 906 (بتعليقنا).
- الضوء اللامع للسخاوي 11 / 137 رقم 447.
- الفكر السامي 2 / 301 رقم 671 ط، دار الكتب العلمية بيروت [كتاب العمر 2 / 771 - 783].

- كشف الظنون 1 / 873 [كفاية المحتاج 2 / 12 رقم 402].
 - لقط الفرائد لابن القاضي ص: 247.
 - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 8 / 110.
 - معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ص: 261.
 - نيل الابتهاج 364 رقم 469 منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس - ليبيا.
- (2) هو أبو سعيد خليفة بن ناجي التنوخي ترجم في معالم الإيمان رقم ترجمته 379 من الجزء الرابع.

شيوخه:

أخذ رحمه الله عن أئمة كُثر منهم:

- 1 - الشيخ العلامة أبي القاسم البرزلي.
- 2 - والإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن عرفة.
- 3 - وأبي مهدي عيسى الغبريني.
- 4 - والأبي.
- 5 - والشيخ الأبلي البلوي.
- 6 - والشيخ أبي عبد الله محمد الرماح القيسي.
- 7 - والشيخ السلوي.
- 8 - والشيخ الوانوعي.
- 9 - والفقير أبو القاسم القسطنطيني.
- 10 - والفقير عمر المسراتي القيرواني.
- 11 - وأبو عبد الله العواني.
- 12 - وأبو عبد الله ابن بندار المرادي القيرواني⁴.
- 13 - ويعقوب الزغبى.
- 14 - والقاضي أبي عبد الله بن قليل الهم.
- 15 - وأبي علي السواني.
- 16 - والشيبى.
- 17 - وأبي عبد الله بن أبي بكر الفاسى القيرواني.
- 18 - ومحمد بن عظم⁽¹⁾.

وفي كفاية المحتاج، ونيل الابتهاج كلاهما لأحمد بابا التنبكتي أخذ عنه الشيخ حلولو وغيره⁽²⁾.

(1) انظر نقل هؤلاء الشيوخ من: نيل الابتهاج ص: 364، كفاية المحتاج 12/2، تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان ص: 6 - 7، شجرة النور الزكية 352/1.

(2) نيل الابتهاج ص: 364، كفاية المحتاج 12/2.

وظيفته:

جاء في معالم الإيمان عند ترجمة عمه شقيق والده أبو سعيد خليفة بن ناجي التنوخي⁽¹⁾ قال ابن ناجي: قالت لي والدتي: لما خرج يُصَلِّي العشاء الآخرة حينئذ، وخرجت وراءه لأغلق الباب، قال لي: أوصيك بالصبر، فإنه يتغرب عنك غربة طويلة لقراءة العلم بتونس، ويتولَّى قضاء بلاد متعددة، فكانت تقول لي ذلك مذ كنت صغيراً وأنا أبعد ذلك، لأن والدي وجدي وقرابتنا لم يكونوا بهذه الطريقة، فكان كما قال رحمه الله.

تولى القضاء بمواضع كثيرة من إفريقية؛ كباجة، وجربة، وقيروان، وقابس، والأربس، وتبسة، وسوسة، والمُنستير. بعد أن تغرب وقرأ بتونس أربعة عشر عاماً⁽²⁾، فسار سيرة أهل العدل في أحكامه، وله حظ من قيام الليل، وكان يعرض كل ما يريد من الحكم على ربه في مناجاته من صلاة الليل فيقول: يا رب إن فلاناً نازع فلاناً وادعى عليه بكذا ورافعه إلي فأنكره، فسألته البيعة فأحضرها وشهدت له، وزكيت وأشرف على أن أخذ له بحقه منه اللهم فنجني منه. وكان إذا جلس الخصمان بين يديه يقول في سره: هذا جاء يتكلم في هذا، فيكون كذلك، وربما نظر إلى رجل لم يره قط قبل ذلك فيقول: هذا فلان فيتبين كذلك⁽³⁾.

قال الحرابي: وهذا من فراسته لما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله..»⁽⁴⁾ الحديث.

فقد كان رحمه الله: حافظاً زاهداً ورعاً عارفاً بالأحكام والنوازل.

تأليفه:

ألف رحمه الله تعالى تأليف عديدة منها:

- (1) انظر قول ابن ناجي عند ترجمة عمه رقم 379.
- (2) انظر: معالم الإيمان ترجمة ابن ناجي، وشجرة النور 1/352، وتكميل الصلحاء ص: 7.
- (3) تكميل الصلحاء ص: 7.
- (4) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحجر، حديث (3127) وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

1 - شرح كبير وصغير على تهذيب المدونة للبراذعي وهو في غاية التحرير وعليهما عند فقهاء المغرب في الفتيا والأحكام خصوصاً فقهاء إفريقية ومن التغالي فيهما أنه من ظفر بأحدهما ولو جزءاً، يصير أعز شيء عنده ولا يوجد إلا عند الخواص⁽¹⁾.

2 - شرح الرسالة (رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه) وهو حسن مفيد كما قال التبكتي في نيل الابتهاج⁽²⁾.

3 - شرح التفريع لابن الجلاب.

4 - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان وهو الكتاب المعنى بالتحقيق.

5 - مناقب الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الشيبني القيرواني⁽³⁾.

وفاته:

وقع خلاف بين مؤرخيه في ضبط سنة وفاته؛ فصاحب نيل الابتهاج، وكفاية المحتاج نقلاً عن الونشريسي في وفياته، وصاحب درة الحجال، ومحمد بن صالح عيسى الكناني في كتابه تكميل الصلحاء وصاحب البستان، ومحمد حسن الحجوي في كتابه الفكر السامي، وكحالة في معجم المؤلفين، وسركيس في معجم المطبوعات العربية سجلوا تاريخ وفاته سنة 837هـ.

بينما مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية قال: توفي بالقيروان سنة 838هـ.

وقد صحح محمد العنابي تاريخ وفاته سنة 839هـ معتمداً على هذا التصحيح خصوصاً للشيخ عبد الحفيظ الغرياني⁽⁴⁾.

(1) تكميل الصلحاء ص: 8.

(2) نيل الابتهاج ص: 364.

(3) للمزيد عن معرفة هذه الكتب وأماكن وجودها في خزانات تونس وغيرها، انظر كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين 2/ 778 - 781.

(4) تكميل الصلحاء مقدمة المحقق ص: ت.

132052

محتوى الكتاب ومضمونه

كتاب معالم الإيمان يمكننا أن نعتبره سجلاً حافلاً، وقاموساً جامعاً لتراجم أعلام دخلوا إفريقية عامة ومدينة القيروان خاصة من الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين وتابع التابعين إلى عصر المؤلف الذي هو القرن السابع الهجري، والدخول إلى هذا البلد وغيره جاء نتيجة أوامر أعطها خير البرية سيدنا محمد بن عبد الله لما خطب خطبته الشهيرة بعرفة عند حجة الوداع، «بأن يبلغ الحاضر الغائب»، فخرجوا رضوان الله عليهم مبتغين رضوان الله تعالى، ونشر دعوة الحق في ربوع العالم، فجاؤوا فاتحين معلمين وبهذا الرعيل من الصحابة افتتح المؤلف كتابه بعد مقدمة الكتاب وفضل البلاد التي فتحت، فاستهله بالصحابي الجليل أبي سعيد المقداد بن عمرو البهراني القضاعي وختمهم بأبي سعيد كيسان المقبري رضي الله عنهم أجمعين وعددهم 42 صحبياً منهم من رأى النبي ومنهم من ولد على عهد النبي ﷺ ولم يره وهم من صغار الصحابة. ذكر فيها زهدهم وعفتهم وإخلاصهم في كل أحوالهم؛ ثم تابع حديثه استطراداً عن من جاء بعدهم من التابعين، وتابع التابعين، ومن استوطن القيروان من العلماء، والفقهاء، والأولياء، والصالحين، فجاء كتابه على الترتيب التالي:

1 - بدأ حديثه أولاً عن فضائل القيروان وما ورد فيها من أحاديث نبوية، وأشعار طويلة، مع ذكر مساجدها السبعة القديمة الفاضلة وهي:

أولاً: مسجد الأنصار اختطه رويغ بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وذلك سنة 47هـ قبل أن تخطط القيروان.

ثانياً: مسجد الزيتونة بُني سنة 93هـ بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري.

ثالثاً: مسجد أبي ميسرة منسوب إلى أبي ميسرة الفقيه الزاهد.

رابعاً: مسجد الحُبليّ بناه أبو عبد الرحمن سنة 100هـ.

قال ابن ناجي وهو الكائن بالدرب المعروف بأولاد غيث .

خامساً: مسجد حَنَس الصَّنْعَانِي .

سادساً: مسجد غَلَي بن رباح اللخمي .

سابعاً: مسجد عبد الله، وقد اختلف في نِسْبَةِ اسم عبد الله قيل هو عبد الله بن

الزبير، وقيل عبد الله بن سعد بن أبي سَرَح وهذا المسجد قد اندرس .

وأضيف إلى هذه المساجد، مسجد السبت ويعرف بمسجد الدَّمنة منسوب لأبي

محمد الأنصاري الدَّمِنِي الضرير، ثم مسجد الخميس بالقرب منه بناه أبو إسحاق

إبراهيم بن المضاء الزاهد، ويجتمع بهذا المسجد الصلحاء، والقراء، وأهل الخير،

كل يوم خميس من العصر إلى الليل .

2 - ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم وأول من نزل فيها من

جيوش المسلمين جيش عبد الله بن أبي سرح العامري في خلافة عثمان بن عفان

رضي الله عنهما وذلك سنة سبع وعشرين، ثم جيش معاوية بن خُديج السَّكُونِي ثلاث

مرات سنة 34هـ و47هـ ثم سنة 50هـ وفيها اختط عقبة بن نافع الفهري القيروان . مع

ذكر الملاحم البطولية التي حققها المسلمون في هذه الأرض وسيطرتهم عليها .

3 - ذكر أعلام الصحابة الذين فتحوا بلاد القيروان وترجمتهم، في تبين مكانة

كل واحد منهم، مع ذكر سنة وفاتهم، ثم بعد ذلك ذكر فضلاء التابعين وعلمائهم،

وهكذا تتابع الحديث طبقة طبقة إلى عصر المصنف الأول أبو زيد عبد الرحمن

الدباغ الذي هو القرن السابع الهجري، وعصر ابن ناجي الذي أتم الكتاب واستدرك

عليه استدراكات كثيرة وهو القرن التاسع الهجري .

منهج الكتاب وطريقة تأليفه :

لقد اشترك في وضع هذا الكتاب عالمان جليلان فالعالم الأول أبو زيد

عبد الرحمن الدباغ، والثاني أبو القاسم قاسم بن عيسى التنوخي وبينهما ما يقرب

من قرنين من الزمان .

فالأول جاء مؤلفاً، والثاني جاء مُكَمِّلاً لأصل أبي زيد الدباغ، ومضيفاً له

تراجم الفقهاء والمحدثين من العلماء والصلحاء الذين جاؤوا بعد الدباغ إلى عصره .

فمنهجية الدباغ وردت على الشكل التالي :

أنه يذكر العلم معرّفاً به اسماً وكنية ولقباً إن تمكن له ذلك، ثم يعدد أوصافه الخلقية والعلمية والدينية. وأقوال العلماء والمؤرخين فيه؛ مع ذكر أسماء شيوخه وعلومه ومؤلفاته ثم وفاته، معتمداً في هذا على المراجع التالية:

فعند ترجمته لأعلام الصحابة اعتمد على كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ولم يشر إلى مرجعه هذا، وإنما استدركناه عند المقارنة بين الكتابين.

المرجع الثاني كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي.

والمرجع الثالث طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب ثم بعدها مرجع ترتيب المدارك للإمام القاضي عياض. وكل هذه المراجع تقريباً ينقل منها حرفياً ولا يشير إلى مرجعيتها، وأحياناً يذكر أسماء مؤلفيها، وأحياناً ينقل الخبر بسنده في قوله حدثنا والملاحظ أن الدباغ قد ترك جماعة كثيرة تواترت عنهم الأخبار بالصفات الجليلة والأفعال الجميلة، وذكر من هو دونهم في الشهرة أو مثلهم أو قريباً منهم أما منهجية ابن ناجي، فهو بدوره لم ينطلق من فراغ بل سار على نمط الدباغ متميزاً عنه في التوثيق، والزيادة التي ضاعفت من حجم الكتاب مشيراً إلى هذه الزيادة بكلمة «قلت» بينما يشير إلى كلام المؤلف الأصلي بكلمة «قال». مرجعه في ذلك أبو العرب صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، وأبو بكر المالكي صاحب كتاب رياض النفوس أي نفس المرجع الذي اعتمده الدباغ زيادته في ذلك تعليقاً ونقداً وتكميلاً وتعقيباً عما وضعه الدباغ.

المادة التاريخية في كتاب المعالم:

لم يكن هذا الكتاب مجرد مصدر لترجمة أعلام عديدة تختلف موانعهم الفكرية، والمذهبية، وإنما احتوى الكتاب على مادة تاريخية ثرية ومتنوعة، كما يزخر هذا المصنف بنقل أخبار المتصوفة وما هم عليه من كرامات، وزهد، وعبادات، وأخبار فقهاء وعلماء ومؤلفاتهم واجتهاداتهم، كما أنه جاء ملماً بجمل المعطيات التاريخية بين القرن الأول والقرن السابع الهجري حيث وفاة الدباغ، وبين هذا القرن والقرن التاسع الهجري الذي توفي فيه ابن ناجي. منفرداً بذكر عدة أحداث قد لا نجد لها صدى في سائر المصنفات التاريخية، وقد بلغت التراجم التي زادها ابن ناجي ثلاث وستون ترجمة تقع في الجزء الرابع.

المنهج اللغوي للكتاب:

لقد اعترضتنا أخطاء كثيرة ومتنوعة أثناء تحقيقنا للكتاب بين الكتاب المطبوع والمخطوط وهي كالتالي:

- 1 - التصحيف .
 - 2 - الأخطاء النحوية كالخلط بين الفاعل والمفعول به .
 - 3 - الأخطاء الصرفية كالخلط بين المفرد والجمع .
 - 4 - الأخطاء الرسمية كالخلط بين الألف الممدودة والألف المقصورة وهي كثيرة وخاصة في نسخة المخطوط المرموز له بحرف (ت) .
 - 5 - الأخطاء اللغوية كالتكرار لبعض الكلمات أو الجمل .
 - 6 - استعمال كلمات غامضة وأخرى عامية مثل الكلمات التالية: برّاني ودخالني، سويطات، الشوكة أي الركن، أطلق الفصوص أي أطلق الريح، وهذه الكلمات تملأ الجزء الرابع كثيراً .
- ولم نكسر من الإشارة إلى الأخطاء البسيطة في أسفل النص ما لم يتغير المعنى .

ترتيب الكتاب:

لقد أُلّف الكتاب مُرتباً على تاريخ وفيات المترجم لهم، بينما الصحابة الأعلام رتّبوا على قدر سابقيتهم في الإسلام، وقد عَقَّبَ العواني على هذا الترتيب قائلاً: إنه رحمه الله تعالى وغفر له إشارة للدباغ، خلط في ترتيب القوم رضي الله عنهم فقدم منهم على ما اشترطه من ينبغي أن يؤخر، وأخر من ينبغي أن يقدم فابتدأ بذكر المقداد، وثنى بذكر كعب بن عمرو الأنصاري، وخمس في الترتيب بأبي ذر الغفاري فقد اختلف فيمن كان أول الرجال إسلاماً، ولقد اختلف فيمن كان أول الرجال إسلاماً، فقيل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل زيد بن حارثة، وأيهم كان الأول فأحد الباقيين هو الثاني في الإسلام⁽¹⁾. أما المقداد فالمروي عنه في الاستيعاب «أنه كان قديم الإسلام»⁽²⁾.

(1) معالم الإيمان ترجمة عدد (1).

(2) الاستيعاب لابن عبد البر ص: 699 - 700.

وتابع العواني تعقيبه على الدباغ في هذا الترتيب قائلاً: فلا هو ذكرهم على ترتيب فضائلهم، ولا على ترتيب موالدهم، ولا على ترتيب وفاتهم، وربما فعل ذلك في بعضهم ثم عاد فخلط، وكذلك فيمن بعدهم وخصوصاً في أواخر الكتاب⁽¹⁾.

منهجية التحقيق:

- لقد قمت بحول الله وقوته في تحقيق هذا الكتاب على نسختين الأولى مطبوعة والثانية مخطوطة رمزت للأولى بحرف «ط»، والثانية بحرف «ت».
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع رقم آياتها.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في نص الكتاب مصدراً، كتاباً وباباً ورقم الحديث.
- إرجاع الأعلام الواردة في النص إلى مصادر ترجمتها وقمنا بهذا العمل في الأجزاء الثلاثة الأولى.
- إحالة الأقوال المعتمدة لدى المصنف إلى مصادرها إذا تمكن لنا ذلك.
- وضع الأسقاط والخلافات أحياناً ما بين المعقوفتين والتنبيه عليها في الهامش.
- شرح بعض الكلمات اللغوية والعامية أحياناً.
- تعليقنا على بعض الآراء والأفكار التي يسلم لها من طرف الدباغ وابن ناجي.
- وضع ترجمة للمؤلف «الدباغ» والمكمل «ابن ناجي» مع بيان مصادر ترجمة كل واحد منهما.
- وضعنا فهرساً كاشفاً للأعلام مرتباً على الترتيب العددي لترجمة العلم، مع ذكر قائمة فهارس المراجع والمصادر المعتمدة في التحقيق.

(1) معالم الإيمان المرجع السابق.

وصف النسختين المعتمدين في التحقيق:

- النسخة الأولى مطبوعة في أربعة أجزاء ضمن مجلدين، طبعت بالمطبعة الرسمية سنة 1325هـ رمزت لها بحرف «ط» أما النسخة الثانية فهي نسخة مخطوطة مرقمة بعدد (196ق) مكان وجودها الخزانة العامة الرباط المغرب رمزت لها بحرف «ت».

مقياسها: 21 طولاً و16 عرضاً بها تعقيبية. تقع في جزئين. الجزء الأول يقع في 412 صفحة والجزء الثاني يقع في 397 صفحة. عدد أسطر الصفحات 23 سطرأ وهو الغالب.

- كتابتها واضحة لا بأس بها.

- ورقها أبيض يميل إلى الصفرة ونوعها سميك.

- مادة كتابتها «الصمغ» لونه أسود.

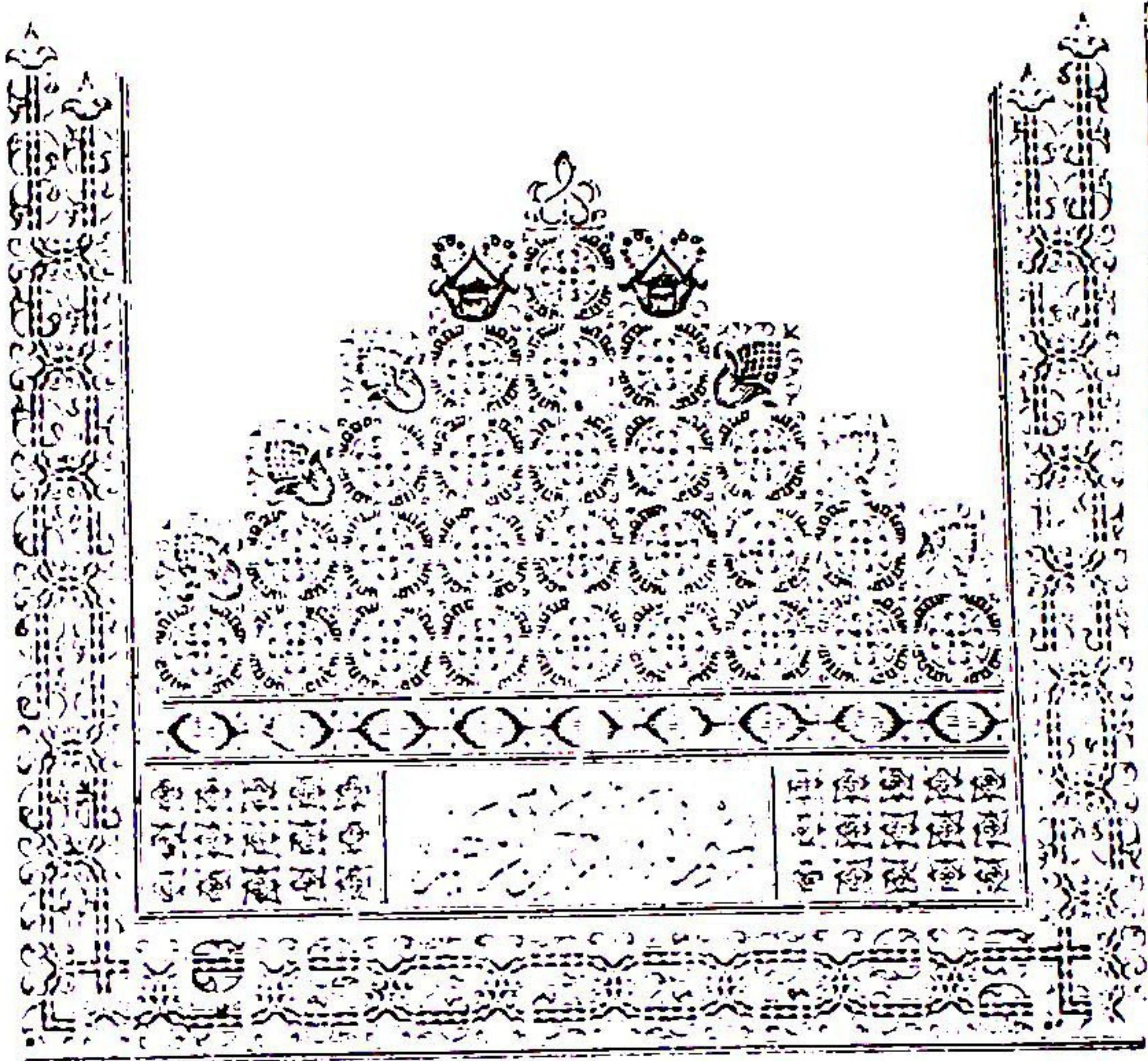
- سليمة من التآكل والخروم.

- عناوين الأعلام المترجم لهم بارزة في وسط الصفحة بخط واضح.

ورد عقب ختم نسخ الجزء الأول أن الفراغ من نسخ الكتاب كان عشية يوم الاثنين أواخر ذي القعدة من عام 1110هـ على يد العبد الفقير إلى ربه أحمد بن إبراهيم بن أحمد بكار المزلاحي القيرواني.

والنسخة الثانية ورد الفراغ من نسخها عشية يوم الأحد تسعة عشر خلون من شهر جمادى الأولى عام عشرة ومائة وألف (1110هـ) لنفس ناسخ الجزء الأول. أي استغرق في نسخ كل جزء مدة ستة أشهر.

عرض صور النسختين



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين * والعاقة للمتقين * والصلاة والسلام على
سيدنا محمد سيد المرسلين * وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين

وبعد: فإن الشيخ الفقيه الصالح العدل المدرس أبازيد عبد الرحمن
ابن محمد بن عبد الله الأنصاري عرف الدباغ ألف تأيهاً وسماهاً
بمعالم الايمان * في معرفة أهل القيروان * وانتشر عندنا
بالقيروان وسائر إفريقية فرأيت أن أذكره أولاً وأعبر عنه بقال
كانه أصل وأكمل عليه ما يتأني لي تكميله من غيره وأعزوه
لقائله وأسأل الله عز وجل أن ينفعني وإياه بما ألقنا فضلاً منه

الصفحة الأولى للمطبوع المرموز له بحرف «ط»

أبيه وكان أبو عمران موسى المذكور لما حضرته الوفاة أوصى
 أن لا يغسبه إلا الحاج علي بن قائد فقييل له أنه في وسلات
 قال يجيء أن شاء الله تعالى فبعثوا له بكرة لأنه مات بالليل
 فاجتمعوا بباب البلد وتوفي أبو عبد الله محمد أواسط جمادى
 الأولى سنة ٨٠٨ ودفن بالجبانة الغربية وقبره مزار رحمة الله
 تعالى عليه ورضوانه لديه آمين آمين

قد نجز بحمد الله وحسن عونه طبع هذا الكتاب النفيس

على أبداع أسلوب واوفى مرغوب وذلك بدار

الطباعة العامرة الرسمية بحاضرة تونس

المحمية في الحادي والعشرين من رمضان

المعظم قدره بالانزال من سنة ألف

وثلثمائة وخمسة وعشرين

للهجرة الشريفة النبوية

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله

وسلم

يسموا القوم الذين جبر صلوات الله على سيرتنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

تفصيرة
ص

الحزب الذي في العليين والعاقلين للثقة فيهم والظالة على سيرتنا محمد
سير المرسلين وعلى آله وازواجه وأصحابه أجمعين **فإن وبعد**
بأن الشيخ البغدادي في الصواع العرفية المبررة بابا زيد محمد بن محمد بن محمد بن
عبد الله الأنصاري عن عبد الربيع اللخمي قال يبعث الله في كل زمان
الأيام في معرفة أهل الفيروان وانتشر عنه ذابا لفيروان
وساير البريقية في آيات آياته كراهة أو لا عبر عنه بفعال كانه
أهل وأكمل عليه ما يتأثرتكم من غير واعزوا لفايله
و أسأل الله عز وجل أن يبعث فينا و آية بما اللغنا و ضلنا منه
وانعاما و صلوات الله على سيرتنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

ذكر فضل الفيروان

روي عن سعد بن أبي وقاص عن رضى الله عنه عن النبي صلوات
الله عليه وآله أنه قال لا يزال أهل الأرض في كلام من على الخوض حتى
تفزع الساعة **و** عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال
سئمت رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول لا تزال عصاة من أهلي
بالمرء يقاتلون على الخوض حتى تقوم الساعة لا يضرهم من خالفهم
حتى يروى يوم ما يفتولون غنيتهم يبيد فتوز سرعان
خيلهم ينكثون ويرجعون اليهم يفتولون الجبال قد سرت بهمون
سجدا فتغيبوا رواه **و** عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
اللهم صلوات الله عليه وآله قال لياتن من أناس من أهلي من أيريقية
يبيعون الفياضة وجوههم أشرف نوراً من نور القمر ليلة البدر
و عن سعيد بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي صلوات الله عليه وآله قالوا

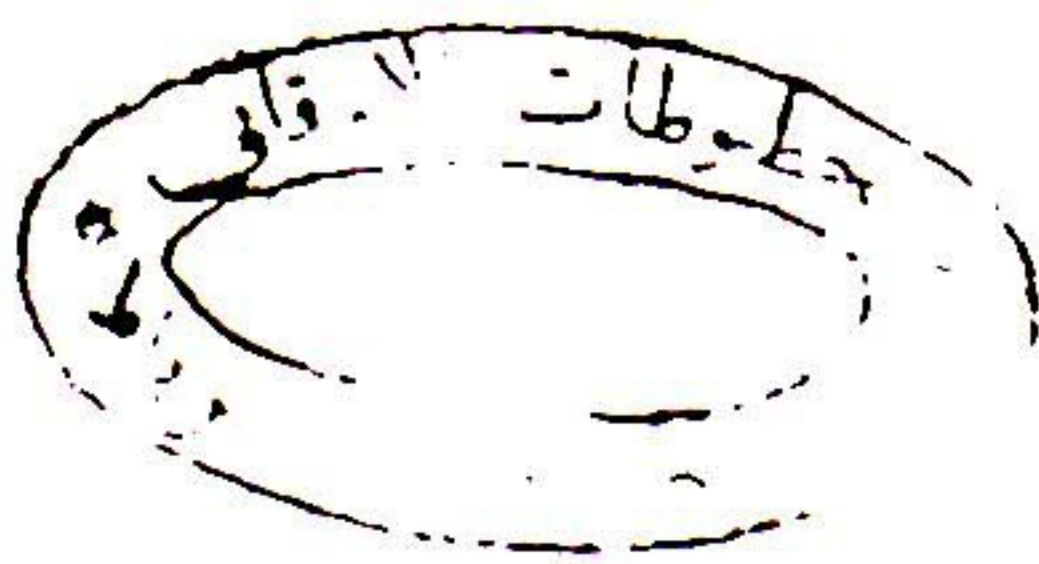
الصفحة الأولى من الجزء الأول المرموز له بحرف «ت» مخطوط 196 ق
الخزانة العامة الرباط

به وبأشياء حده ونحن فتمت يسأل الراسه تغلن بجاء سيرنا ومراانا
 محروا بحابه الكرام وجعلت هذه الساءه وبما لقم عنده الله
 ان يردنا لاما وندفع وينبها بجرح ويميتنا على الخائمه
 كاعبد ليز ولا غير يزويد فغنا لاما وندفع فانه ولين ذلك والقائم
 عليه وجرغ من زمنه بحسبته يوع الاثين او اخره في الفعده
 من عا والاعلى يد العبراء غير الراسه احمد بن ابراهيم بن احمد
 بخار المزايج الاثيرها يه غبرانه له
 ولوالديه ولجميع المسلمين
 وصلواته على سيرنا
 ومراانا محرودا

وصحبه وسلم
 تسليما

يتلو ان شاء الله تغلن في الجزء الثاني ابراهيم بن عبد الرحمن
 ابن محنون
 هر

٣٢



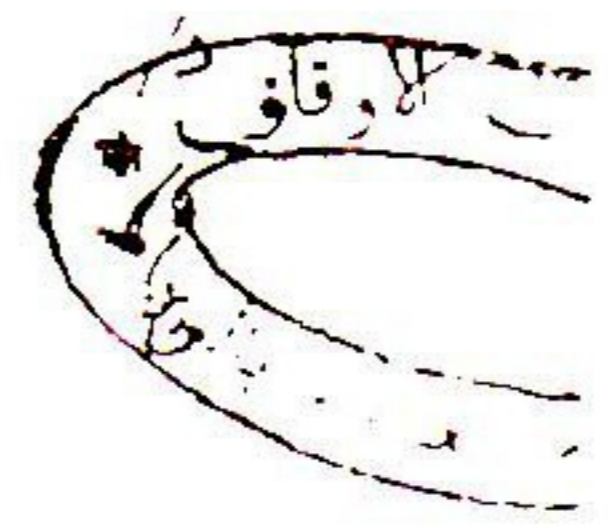
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ : صَارَ اللّٰهُ عَلٰی سَیْرِنَا وَمَسْرَاِنَا مُجَدِّدًا

٥ ابو حبيب سه حبير بن محمد بن سحنون
 ٥ **قال** كان رجلا صالحا من اهل الجاهلية المبرزين وانه كان من المجتهدين سمع من
 ابيه محمد بن سحنون وثماني سنة وستة عشر وثلاثاثة وثمانين
 بمغفرة باب تابع الجانب ابيه

٥ **مخروسة الموعود** **قال** الشيخ الفقيه المتبحر
 المفتول على السنة **قال** وسبب قتله انه كان يروي في مسجد
 عباس بن عبد المطلب حيث سمع من قشيد عليه بعض المكارفة انه لم يزل
 في اذنه حتى علم خيرا العمل ففجع لسانه وعلم ليس عينيه ووجوه به
 الفير وان شح فقتل بالمرضاة وسنة سنة سبع عشر وثلاثاثة ورحم
 الله ويك ان زاهدا يحن بيرة ويعيش من عمل الجاهلية **فلقب**
 وما ابركها عليه من قتلة بغير مزار بسببها يعرفه الخاصة
 والامة مع ما اذخ لثمة الاخرة من الذميمة التي لا يبلى

٥ **ابو جعفر احمد بن نصر بن زياد الهروي**
قال سمع من محمد بن سحنون **فلقب** كفا حقه انه لم يسمع
 من غيره وهذا في غاية القصور بل سمع ايضا من محمد بن عمرو بن
 يحيى بن عمر وحماد بن مروان ورياح القطان وسمع منه
 ابن حبان وجمع كثير ودينه به اكثر من غيره في كثر قتل
 اهلوه **عليه** **قال** كان من اهل علماء الراشدين والفقهاء
 المعروفة بن سحر يروي زمانه احنفا عنه ولا اعنه جرابا لا سيما
 في مذهبه مالك وكتب له من مروان **فلقب** وقال ابو الريحان
 كان ثقة ذميا مونا فبينا كتب حماد بن ابيان فضاهيه وكان حيا ايضا كثير

بحمد الله ان كان تعرفني له فتعارفوا وان كان لرية الكعبة بعد ان عرفوا
 بعضا بعضا فقلت له يا سيدي انا تاريب وانا فاخته يد ويا في صغير السن
 وكان اوله ابو الحسن علي من الصالحين وكثير من كرامات وهو اذ في
 تغزوه كره وانه الذي غسل الشيخ ابا عمران موسى المناري وخذ لزانه ربه
 في سنة من مجمل وسلاط كان صومعة جامع الفيروان به فطفت
 ففان في نفسه لما استتم فصر ما هو الا سيدي موسى قد فرج يانه لا اربع منه
 في اربع بيعة ليلة وكان ابو عمران موسى المذكور لما ختم ثا لوباية اوها
 الا يقصد الا الحاج علي بن خنيزه فيقول انه في وسلاط فالتج ان
 شاء الله تعالى في عشر الدكره لانه مات باليل واجتهد في ابياب
 البلد وترى ابو عبد الله محمد في او اسع جماعة من الاول عا ثمانية
 وثمانية وعين في الحيا ذة العريضة وفيه مزار رحمة الله عليه
 ورضوانه لده مع كمال السعير الثاني من تاليد الشيخ ابن تايه
 رحمه الله تعالى ونوختا به وبنا كيا شه ونحن نتوسل الي الله تعالى
 بجماء سيرنا ومرا نا محمد واصحابه الازرار وجملة هذا الشاءة
 وبه الفع عنه الله ان يوفينا لما وبقينم وينبعنا بحبهم ويبتنا
 على الخاتمة لامبه ليزوا مغيرين ويوفينا لما وبقينم وانه ولس
 في اركو الفاهار عليه وورع من شهر عشية يوم الاحد تسعة
 عشر خلون من شهر جمادى الاولى عام عشرين ومائة والعب
 على يد العبد العفيف الوريه احمد بن ابراهيم بن احمد بن
 المنزلي الفيرواني غير الله له ولو الدية
 وجميع المسلمين وطرا لله على سيرنا
 ومولانا محمد ربه وصحبهم
 وسلم تسليم
 جربنا في التسمية التي نسخت منها عدة اشياخ احمد بن الحارثي
 مائة وتسعة وثمانون شيئا



Marfat.com

مَعَالِمُ الْإِيمَانِ

فِي

مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ وَأَنْبَاءِ

تَأْلِيفُ

أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الدَّبَائِغِ

الْمُتَوَفَى ٦٩٦ هـ نَهْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وبعد: فَإِنَّ الشَّيْخَ الْفَقِيهَ الصَّالِحَ الْعَدْلَ الْمُدْرَسَ أَبَا زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ [ابن علي] ⁽¹⁾ بن عبد الله الأنصاري [الأسيدي] ⁽²⁾ عُرِفَ الدَّبَاغُ أَلْفَ تَأْلِيْفًا وَسَمَاءَهُ بِمَعَالِمِ الْإِيْمَانِ فِي مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ، وَأَنْتَشَرَ عِنْدَنَا بِالْقَيْرَوَانِ وَسَائِرِ إِفْرِيقِيَةِ فَرَأَيْتُ أَنْ أذْكَرُهُ أَوَّلًا وَأُعْبِرَ عَنْهُ بِقَالَ كَأَنَّهُ أَضَلُّ، وَأَكْمَلُ عَلَيْهِ مَا يَتَأْتَى [الي] ⁽³⁾ تَكْمِيلُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَعَزُّوهُ لِقَائِلِهِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاهُ بِمَا أَلْفَنَّا فَضْلًا مِنْهُ وَإِنْعَامًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(1) ما بين معقوفتين سقط من: ت وط: الزيادة من رحلة العبدري ص: 163، ونيل الابتهاج ص: 240، وكفاية المحتاج 259/1. ولقد أخطأ صاحب شجرة النور الزكية في تسميته بعبد الرحمن بن عبد السلام.

(2) ما بين معقوفتين زيادة من رحلة العبدري ص: 163، ونيل الابتهاج ص: 240، وكفاية المحتاج 259/1 وهو ساقط من: ت إشارة للمخطوط المعتمد في التحقيق، وط: إشارة للمطبوع. (للتذكير فقط).

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت، الزيادة من: ط.

ذكر فضل إفريقية

رُوي عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»⁽¹⁾. وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ⁽²⁾ مِنْ أُمَّتِي بِالْمَغْرِبِ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَرَوْنَ غَمَامًا فَيَقُولُونَ: غَشِيْتُمْ فَيَبْعَثُونَ سُرْعَانًا خَيْلَهُمْ يَنْظُرُونَ فَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ: الْجِبَالُ قَدْ سِيرَتْ فَيَخْرُونَ سُجَّدًا فَتُقْبَضُ أَرْوَاحُهُمْ»⁽³⁾. وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُوهُهُمْ أَشَدُّ نُورًا مِنْ نُورِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»⁽⁴⁾. وعن سَفِيَانَ بْنِ الْحَارِثِ يُحَدِّثُ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ ثَقُلْتَ وَتَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْمَغَازِي»، فَقَالَ: خَفِيفًا كُنْتُ أَوْ ثَقِيلًا لَا أَتَخَلَّفُ عَنْهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التَّوْبَةُ: 41]. ثُمَّ قَالَ: قَدِمْتُ سَرِيَّةً⁽⁵⁾ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا الْبَرْدَ وَالْحَرَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْبَرْدَ الشَّدِيدَ وَالْأَجْرَ الْعَظِيمَ لِأَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ».

وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْقَطِعُ الْجِهَادُ مِنَ الْبُلْدَانِ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا بِمَوْضِعٍ مِنَ الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهُ إِفْرِيقِيَّةُ، فَبَيْنَمَا الْقَوْمُ بِإِزَاءِ

(1) أخرجه أبو عوانة في مسنده من رواية سعد بن أبي وقاص وفي سنده هشيم بن بشير ثقة مشهور كثير التدليس والإرسال الخفي. له صنعة محدورة في التدليس. ترجم له في تاريخ السلفاء للعجلي ص: 459 - 460، التقريب لابن حجر 2/ 269. انظر حديث أبي عوانة في مسنده حديث (7511)، 4/ 509.

(2) عِصَابَةٌ: جماعة، وتكون بالضم وتعني ما بين العشرة إلى الأربعين. انظر: القاموس المحيط مادة: «عصب» ص: 107.

(3) أخرجه محمد العروسي المطوي التونسي في كتابه: فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعية ص: 38 الحديث موضوع.

(4) فضائل إفريقية ص: 29.

(5) السرية: جمع سرايا قطعة من الجيش سميت بذلك لأنها تسري خفية.

عَدُوِّهِمْ، نَظَرُوا إِلَى الْجِبَالِ قَدْ سُيِّرَتْ فَيَخْرُونَ لِلَّهِ سُجَّدًا فَلَا تَنْزِعُهُمْ أَخْلَاقُهُمْ - يعني ثيابهم - إِلَّا خَدَمَهُمْ فِي الْجَنَّةِ».

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بِسَاحِلِ إِفْرِيقِيَّةِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: الْمُنْسْتِيرُ»^(*)؛ مَنْ دَخَلَهُ فَبِرْحَمَةِ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُ فَبِعَفْوِ اللَّهِ».

- وعن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَابَطَ بِالْمُنْسْتِيرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قال أنس: بَخِ بَخِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

- وعن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْمُنْسْتِيرُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: الْأَنْفُ، دُونَهُ قَنْطَرَةٌ مِنْ قَنْطَرِ الْأَوَّلِينَ».

وروي أن أبا زكرياء الحفري قال: سمعت البهلول بن راشد يقول لوزير هرثمة حين استشاره في بناء المنستير، قال: فعدد له أن هرثمة بنى بأرمينية في غير ما موضع، فقال له البهلول بن راشد: ما ذكرت شيئاً إلا والمنستير أفضل منه؛ وذكر أنه بلغه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه باب من أبواب الجنة»⁽¹⁾.

قلت: وسمعت شيخنا أبا الفضل، أبا القاسم بن أحمد البرزلي⁽²⁾ يقول: عن شيخه وشيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي⁽³⁾ أنه يغلب على الظن

(*) الْمُنْسْتِيرُ: بضم أوله وفتح ثانيه، وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة، هو موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي 5/ 209 - 210.

(1) كل هذه الأحاديث الواردة في شأن إفريقية فهي ضعيفة جداً وموضوعة وردت في كتاب: فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعية لمحمد العروسي المطوي التونسي. طبع سنة 1403هـ بدار الغرب الإسلامي بيروت. الحديث الوارد في المنستير ورد في كتاب فضائل إفريقية ص 47.

(2) أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني التونسي توفي سنة 841هـ أو سنة 843هـ وعمره 103 سنة. ترجم له في نيل الابتهاج ص: 368 - 370، كفاية المحتاج 2/ 15 - 16 رقم 411، لقط الفرائد ص: 249، وفيات الوشريسي ص: 142، شجرة النور الزكية 1/ 352 - 353 رقم 907 بتعليق.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح لم تبرك به محمد بن عرفة الورغمي التونسي أستاذ الأساتذة وقدوة الأئمة الجهادية، توفي سنة 803هـ 1400م. ترجم له في الديقاح المذهب ص: 419 - 420، نيل الابتهاج ص: 463 - 471، كفاية المحتاج 2/ 99 رقم 497، شجرة النور الزكية 2/ 293، الفكر السامي 2/ 326 - 327 رقم 845 طبعة دار الكتب العنسية بيروت الطبعة الأولى، السنة 1424هـ/ 2003م.

أن هذه الأحاديث موضوعة⁽¹⁾ وقصدوا مِنْ وَضَعِهَا تَحْبِيبَهَا لِسَاكِنِهَا؛ وَيَدُلُّكَ عَلَى هَذَا أَنَّ فِيهَا رَوْنَقَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ، وَكَذَلِكَ يَنْقَلُ فِي فَضْلِ بَلَدِ رَادِسٍ^(*) وَغَيْرِهَا وَسَمِعَ خَالِدُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ الْأَعْيُنِ الْحَضْرَمِيُّ يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ تَبِيعاً قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْكُذْبَةَ جَاءَتْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الطُّوفَانِ⁽²⁾، فَقَالَ لَهَا: اسْكُنِي فَسَأُسْكِنُكَ أَوْلِيَّائِي. قَالَ أَبُو الْعَرَبِ⁽³⁾: يَعْنِي الْمَقْبَرَةَ الْعَظْمَى عِنْدَ بَابِ سَلَمٍ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِكِيِّ فَقَدْ صَحَّ مَا ذَكَرَهُ تَبِيعٌ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ سَلَمٍ دُفِنَ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ عَدَدٌ عَظِيمٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ذكر القيروان وما ورد فيها

قال: أمَّا القيروان فهي البلد الأعظم. والمضر المخصوص بالشرف الأقدم. قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطرهم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يُعْرَبُ، وبشرفه يُعْرَبُ. قرارة الدين والإيمان، والأرض المُطَهَّرَةُ من رجس الكافرين، وعبادة الأوثان قبلتها أول قبلة رُسمت في البلاد المغربية. وسُجِدَ لِلَّهِ فِيهَا سِرًّا وَعَلَانِيَةً، نَاهِيكَ بِأَرْضِ كَانَتْ مَنَازِلَ أَصْحَابِ نَبِينَا ﷺ. وَمَحَطَ رِحَالِهِمْ. وَمَعْقِلِهِمْ لِلْإِسْلَامِ الْمَقْصُودِ إِلَيْهَا بِسَيْرِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ، وَالْبُقْعَةَ الَّتِي تَخَيَّرُوهَا مَقَرًّا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِصْرَ مُؤَسَّسًا عَلَى التَّقْوَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، دَارَ هِجْرَةِ الْمَغْرِبِ وَالتُّرْبَةَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي ضَمَّتْ شَعْرَ الْمُصْطَفَى فَأَصْبَحَتْ بِهِ قَسِيمَةً يَثْرِبُ وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ

(1) قال ابن الصلاح في كتابه مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث مُعَرِّفًا بِالحديث الموضوع بأنه هو: الحديث المختلق المصنوع وهو شرُّ الأحاديث الضعيفة، وَلَا تَجِلُّ رِوَايَتُهُ لِأَحَدٍ عِلْمَ حَالِهِ فِي أَيِّ مَعْنَى كَانَ. ثُمَّ قَالَ: فَقَدْ وَضَعْتَ أَحَادِيثَ طَوِيلَةَ يَشْهَدُ بِوَضْعِهَا رِكَازَةُ الْفَاطِمَاتِ وَمَعَانِيهَا. لِلْمَزِيدِ انظُرْ مَقْدَمَةَ ابْنِ الصَّلَاحِ ص: 47 - 48 دَارَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِيْرُوتِ طَبْعَةُ سَنَةِ 1989م / 1409هـ.

(*) رادس: هذا الاسم هو مرسى بحر تونس، أو اسم للقريّة المطلّة عليه. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص: 265 - 266.

(2) يعني طوفان نوح عليه السلام.

(3) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام كان جده تمام من أمراء إفريقية الإمام الفقيه الحافظ المحدث العالم الأديب المؤرخ، من تأليفه: طبقات علماء إفريقية وهو كتاب مطبوع بتحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباقي. توفي أبو العرب سنة 333هـ / 944م. ترجم له في: ترتيب المدارك 3/ 334 - 336، الديباج المذهب لابن فرحون ص: 347، شجرة النور الزكية 1/ 185 رقم 200.

الصالح الفقيه أبو مهدي عيسى الصميلي بن مرزوق⁽¹⁾، سافر إلى المشرق، وجاور وَحَجَّ إحدى عشرة حجة فبعث إلى أصحابه بِالْقَيْرَوَان وهو يقول: ما زلتُ أبحث في الآثار والأخبار إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة: المدينة، ومكة، وبيت المقدس، والقيروان قد دعى لها كبار الصحابة ممن شهد بدرًا، وبأيع بَيِّعَةَ الرُّضْوَانِ. وَنَاهِيكَ بِدُعَائِهِمْ شَرَفًا عِنْدَ اللَّهِ وَذُخْرًا، فلم تزل والحمد لله وطنًا ببركة دعائهم لعلماء المسلمين، وبقعة خير بقاع الصالحين، بها آثارهم وَقُبُورُهُمْ، ومنها يكون لِلْمُخْشِرِ نُشُورُهُمْ، وقد روينا بإسنادهم أن عقبة بن نافع رحمه الله تعالى حين جمع أهل القيروان عليها كان معه في عسكره خمسة وعشرون من الصحابة، وأنه جمعهم مع وجوه عَسْكَرِهِ وكبار أَصْحَابِهِ، فطاف بهم حول القيروان، وأقبل يدعو لها هو وأصحابه ويقولون في دعائهم: «اللَّهُمَّ إِمْلَأْهَا عِلْمًا وَفِقْهَا وَعَمِّرْهَا بِالْمُطِيعِينَ لِكَ وَالْعَابِدِينَ، واجعلها عِزًّا لِدِينِكَ، وَذَلًّا لِمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَأَعِزِّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَمْنَهَا مِنْ جَابِرَةِ الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا لِسَاكِنَيْهَا وَأَتَا رِزْقَهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ لَا تَطْفِئْ نَارَهَا وَلَا تَهْتِكْ لَهَا حَرِيمًا فَمَا عَلِمَ بِبِرْكَةِ هَذَا الدُّعَاءِ أَنَّهُ سَبِي لَهَا حَرِيمٌ قَطُّ وَلَا طَفِئَتْ لَهَا نَارٌ، وَلَا غَلَبَ أَهْلُهَا عَلَى دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُهُمُ الصَّالِحُ قَطُّ، عَلَى كَثْرَةِ مَنْ وَلِيَهَا مِنَ الشَّيْخِ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ونرجو أن تكون ببركته إن شاء الله تعالى دار إسلام وإيمان إلى يوم القيامة».

قلت: ما ذكر أنه لم يُسَبَّ لَهَا حَرِيمٌ قَطُّ، غير صحيح فإن العرب نَهَبَتْهَا وَسَبَّوْا حَرِيمَهَا ودخلوها بالسيف حسبما يأتي إن شاء الله تعالى.

قال: «وقد اتفقت لعقبة بن نافع⁽²⁾ الفهري رحمه الله تعالى حين وضع القيروان كرامات وإجابات مشهورة منها: ما رواه علماء أهل التاريخ أن عقبة رضي الله تعالى عنه لما غزا إفريقية في زمن معاوية بن أبي سفيان وذلك سنة خمسين من الهجرة، وقتل من كان بها من الروم وأصناف البربر والأفارقة، قال لأصحابه: إن إفريقية إذا دخلها أمير تحرَّم⁽³⁾ أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرًا وقَيْرَوَانًا تكون عِزًّا للإسلام إلى آخر الدهر. واختلف في لغة العرب في لفظ القيروان ف قيل: هي موضع اجتماع الناس والجيش، وقيل:

(1) وردت ترجمته في معالم الإيمان.

(2) في ت: عامر.

(3) في ط: تحرَّم.

مَحَطُّ أَثْقَالِ الْجَيْشِ، وَقِيلَ: هِيَ الْجَيْشُ نَفْسُهُ وَالْمَعْنَى مِتْقَارِبٌ. فَاتَّفَقَ رَأْيُهُ وَرَأْيَ أَصْحَابِهِ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا: نَرِيدُ أَنْ نُقَرِّبَهَا مِنَ الْبَحْرِ لِيَجْتَمِعَ لِأَهْلِهَا الْجِهَادُ وَالرِّبَاطُ فَقَالَ لَهُمْ عَقْبَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَهَا صَاحِبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَيَهْلِكُهَا صَاحِبُ الْبَحْرِ، لَكِنْ اجْعَلُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَا لَا تَقْصُرُ فِيهِ الصَّلَاةُ فَأَهْلُهَا مَرَابِطُونَ.

قلت: وقال عقبة: إِنْ هَوَّلَاءِ عَسْكَرٌ مَعْقُودٌ لِلْجِهَادِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ مَيِّتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ كَانَ قَرِيباً مِنَ الْبَحْرِ فَهُوَ حَرَسٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا خَصَّ صَاحِبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِكَوْنِهِ كَانَ الْعَدُوَّ الْكَبِيرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَلَامُهُمْ نَصٌّ فِي أَنَّ الرِّبَاطَ يَحْضُلُ بِسُكْنَى الْأَهْلِ، وَنُصُوصِ الْفُقَهَاءِ: أَنَّ الرِّبَاطَ إِنَّمَا يَحْضُلُ لِمَنْ خَرَجَ عَنْ أَهْلِهِ وَسَكَنَ بِالسَّوَاخِلِ. وَأَمَّا مَنْ اسْتَوطنَ بِهَا فَلَا يَحْضُلُ لَهُ فَضْلُ الرِّبَاطِ فَانظُرْ ذَلِكَ.

قال: فلما اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ لَهُمْ عَقْبَةُ: قَرَّبُوهَا مِنَ السَّبْحَةِ⁽¹⁾ فَإِنْ أَكْثَرَ دَوَابَّهُمْ الْإِبِلُ، فَتَكُونُ إِبِلُنَا عَلَى أَبْوَابِ مِصْرِنَا فِي مِرَاعِيهَا أَمْنَةٌ مِنْ غَارَةِ⁽²⁾ الْبَرْبَرِ وَالنَّصَارِيِّ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. فَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ⁽³⁾ عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ⁽⁴⁾ أَنَّ عَقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ وَقَفَ عَلَى وَادِي الْقَيْرَوَانِ وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْوَادِي إِظْعَنُوا فَإِنَّا نَأْزِلُونَ وَإِنَّا مَنْ وَجَدْنَاهُ قَتَلْنَاهُ». قَالَ الرَّأْوِيُّ: فَرَأَيْنَا الْحَيَّاتُ تَخْرُجْنَ مِنْ جُحْرِهِنَّ هَوَارِبُ حَتَّى أَوْجَعَهُنَّ حَرُّ الشَّمْسِ، فَلَمَّا لَمْ يَرَوْا مِنْهَا شَيْئاً نَزَلُوا الْوَادِي.

قلت: ذكره غيره بأبسط من هذا وهو أَنَّ السَّبْعَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَيْظَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ أَشْبَالَهُ، وَالذَّبُّ يَحْمِلُ أَجْرَاءَهُ، وَالْحِيَّةُ تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا، وَالْعَقَارِبُ تَدِبُّ دَبِيباً هَارِبَةً سَمْعاً وَطَاعَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنَادَى عَقْبَةُ⁽⁵⁾ فِي عَسْكَرِهِ كَفُوا عَنْهُمْ حَتَّى يَرْحَلُوا

(1) السَّبْحَةُ: الْأَرْضُ الْمَالِحَةُ، لَا تَكَادُ تُنْبِتُ إِلَّا بَعْضَ الشَّجَرِ. انظُرْ مَادَةَ «سَبْح» فِي كِتَابِ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ 24/3.

(2) فِي ط: غَازِيَّة. وَفِي ت: غَارِيَّة.

(3) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبِ بْنِ مُسْلِمِ الْقُرَشِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ مِصْرِيٌّ فَقِيهٌ مِتَّفَقٌ عَلَى تَوْثِيقِهِ، تَوَفَّى بِمِصْرٍ سَنَةَ 197هـ/812م. تَرَجَمَ لَهُ فِي تَارِيخِ الثَّقَاتِ لِلْعَجَلِيِّ ص: 283، تَهْذِيبِ التَهْذِيبِ 71/6.

(4) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهْيَعَةَ بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِ الْهَاءِ، ابْنُ عَقْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِصْرِيُّ صَدُوقٌ اخْتَلَطَ بَعْدَ احْتِرَاقِ كِتْبِهِ، وَرَوَايَةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَابْنُ وَهَبٍ عَنْهُ أَعْدَلُ مِنْ غَيْرِهِمَا مَاتَ سَنَةَ 174هـ تَرَجَمَ لَهُ فِي: التَّارِيخِ الصَّغِيرِ 207/2، وَالتَّارِيخِ الْكَبِيرِ 182/5، التَهْذِيبِ 71/5، وَالتَّقْرِيبِ 373، وَالتَّقْرِيبِ 526/1 رَقْمٌ 3574.

(5) سَقَطَ اسْمُ عَقْبَةَ مِنْ: ط. الزِّيَادَةُ مِنْ: ت.

عنا، فأقام عقبه ثلاثة أيام ينادي بأعلا صوته: يَا أَهْلَ الْوَادِي قَدْ أَجَلْنَا لَكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

قال: فما رأوا منها شيئاً في ذلك الموضع أربعين سنة⁽¹⁾، ولو التمسست حية أو عقرب بألف دينار فما توجد. وقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى: إنَّ عقبه بن عامر الجهني هو الذي فعلَ هذا. رواه أبو العرب⁽²⁾ عن أحمد بن تميم عن أحمد بن أبي سليمان عن عبد الله بن لهيعة مثله عن سحنون، عن ابن وهب، عن الليث بن سعد. وروى عيسى بن محمد بن أبي المهاجر عن عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة مثله. والصحيح أن الذي دعى على وادي القيروان هو: عقبه بن نافع⁽³⁾ وهو المشهور على ما سيأتي بعد. وكان أول شيء اُخْتُطَّ مِنْهَا فَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي الْقِبْلَةِ وَقَالُوا [له]⁽⁴⁾: إن جميع من بالمغرب يَضَعُ قِبْلَتَهُ عَلَى قِبْلَةِ هَذَا الْجَامِعِ⁽⁵⁾ فَأَقَامُوا أَيَّاماً يَنْظُرُونَ مَطَالِعَ الشَّمْسِ وَمَغَارِبَهَا، فَاخْتَلَفَ رَأْيُهُمْ فِي نَضْبِهَا، فَأَعْتَمَ لِذَلِكَ، وَدَعَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَاحْمِلْ لِي وَاءَكَ عَلَى عَاتِقِكَ فَإِنَّكَ تَسْمَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ تَكْبِيراً لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِكَ، فَالْمَوْضِعَ الَّذِي يُقَطَعُ عَنْكَ التَّكْبِيرُ فِيهِ، فَهُوَ مُصَلَّاءُكَ وَهُوَ مِحْرَابُ مَسْجِدِكَ. وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ هَذَا الْعَسْكَرِ وَهَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَسَوْفَ يُعَزُّ اللَّهُ بِهَا دِينَهُ وَيُذِلُّ بِهَا مَنْ كَفَرَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. فَاسْتَيْقَظَ⁽⁶⁾ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، فَتَوَضَّأَ فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَإِذَا بِالتَّكْبِيرِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَسْمَعُونَ شَيْئاً؟ قَالُوا: لَا، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ لَمْ يَسْمَعْ التَّكْبِيرَ غَيْرَهُ فَأَخَذَ اللِّوَاءَ وَجَعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَأَقْبَلَ يَتَّبِعُ التَّكْبِيرَ حَتَّى أَتَى مِحْرَابَ الْمَسْجِدِ الْآنَ فَانْقَطَعَ عَنْهُ التَّكْبِيرُ، فَرَكَزَ لِي وَاءَهُ وَقَالَ: هَذَا مِحْرَابُكُمْ فَأَقْتَدَى بِهِ جَمِيعُ مَسَاجِدِ الْمَغْرِبِ وَقَدْ رَأَيْتُ مِسْمَاراً مَرَكُوزاً فِي الْمِحْرَابِ وَأَهْلَ الْقَيْرَوَانِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ جَعَلَ عَلَماً عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي رَكَزَ فِيهِ عُقْبَةُ لِي وَاءَهُ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَزَالَهُ لَمَّا رَأَى مِنْ أَفْتَانِ النَّاسِ بِهِ، وَقَصَدَهُمْ لَهُ بِالتَّقْيِيلِ.

(1) انظر هذا في رحلة العبدري ص: 160. (2) انظر طبقات علماء إفريقية ص: 57.

(3) في ت: عامر. (4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(5) عن جامع القيروان انظر رحلة العبدري ص: 160.

(6) في ت: واستيقظ (بالواو).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبْرَوَانِ الَّتِي تَمْتَازُ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْمَغْرِبِ أَنْ بِهَا قَبْرُ أَبِي زَمْعَةَ الْبَلَوِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي مَاتَ بِبَلَدَةٍ فَهُوَ قَائِدُهُمْ وَنُورُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾. رواه الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه عن محمد⁽²⁾ بن مقاتل، عن معاذ⁽³⁾ بن خالد، عن عبد الله⁽⁴⁾ بن مسلم السلمي من أهل مَرَوْ⁽⁵⁾ وَقَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُرَيْدَةَ يَقُولُ: مَاتَ أَبِي بِالْحَصِينِ وَهُوَ قَائِدُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَنُورِهِمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي مَاتَ بِبَلَدَةٍ فَهُوَ قَائِدُهُمْ وَنُورُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁶⁾. وَالْحَصِينِ مَقْبَرَةٌ مَرَوْ فَإِذَا كَانَ بُرَيْدَةَ [بَنِ الْحَصِينِ]* قَائِدُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ لِكَوْنِهِ مَاتَ بِمَرَوْ فَأَبُو زَمْعَةَ قَائِدُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِذْ لَمْ يُدْفَنَ بِالْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةَ مِنَ الصَّحَابَةِ سِوَاهُ.

قلت: فِي هَذَا نَظَرٌ وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا وُلِّيتُ قَضَاءَ قَابِسَ وَجَدْتُهُمْ يَزُورُونَ قَبْرًا فِي بَيْتِ لَطِيفٍ دَاخِلَ مَسْجِدِ، خَارِجَ عَنِ الْبَلَدِ مِنْ غَرْبِهَا يُسَمَّى مَسْجِدَ أَبِي لُبَابَةَ. وَفِي الْحَائِطِ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ هَذَا قَبْرُ أَبِي لُبَابَةَ⁽⁷⁾ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَجَمِيعُ مَنْ بِقَابِسَ وَسَائِرِ عَمَلِهَا يَقُولُونَ ذَلِكَ وَيَنْقُلُونَهُ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا حُرَّهُمْ وَعَبِيدُهُمْ⁽⁸⁾، وَيَعِدُّهُ النَّاسُ كَثِيرًا وَيَقُومُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ رَجُلٌ يَصِحُّ لَهُ مِنْ وَعَدَاتِ النَّاسِ مَا يَكْفِيهِ هُوَ وَعِيَالِهِ بِرَفَاهِيَّةٍ. فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنْ الْمُؤَرِّخِينَ قَالُوا: لَمْ يُدْفَنُ بِإِفْرِيقِيَّةَ

- (1) أخرجه الإمام البخاري في كتابه التاريخ الكبير باب بريدة (1977) 2/ 141.
- (2) في ت وط: عبد الله وهو خطأ. التصويب من التاريخ الكبير 1/ 242، والتاريخ الصغير 2/ 354، وتهذيب التهذيب 9/ 468، والتقريب 2/ 163 رقم 136 واسمه محمد بن مقاتل أبو الحسن الكسائي المروزي نزيل بغداد ثم مكة. توفي سنة 226هـ.
- (3) معاذ بن خالد بن سفيان بن دينار أبو بكر مات على رأس المائتين للهجرة ترجم له في التاريخ الصغير 2/ 287، تهذيب التهذيب 10/ 189، تقريب التهذيب 2/ 122 رقم 192.
- (4) هو عبد الله بن مسلم السلمي وليس الأسلمي كما في ت وط مروزي صدوق بهم. ترجم له في تهذيب التهذيب 6/ 30، التقريب 1/ 534.
- (5) فهو مَرَوْ أي من أهل مَرَوْ. وليس بُرُق كما في: ت وط.
- (6) أخرجه البخاري في كتابه التاريخ الصغير (623) 1/ 139.
- (*) ما بين المعقوفتين وارد في: ت وساقط من: ط.
- (7) قال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب أبو لبابة الأسلمي لا يوقف له على اسم، له ضحبة حديثه عند الكوفيين. ص: 849 رقم (3124).
- (8) في ت: وعبداهم.

من الصَّحَابَةِ غَيْرِ أَبِي زَمْعَةَ [الْبَلَوِي] ⁽¹⁾ بِالْقَيْرَوَانِ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا أَحَدًا تَرَدَّدَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ. ثُمَّ لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى تُونُسَ بَعْدَ ذَلِكَ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ شَيْخَنَا أبا الْفَضْلِ أبا الْقَاسِمِ الْبُرْزُلِيِّ، فَقَالَ لِي: لَمَّا حَجَجْتُ زُرْتُ قَبْرَهُ وَنَقَلْتُهُمْ فِيهِ مَتَوَاتِرًا، فَمَا ذَكَرَهُ الْمُؤَرِّخُونَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا عَلِمُوهُ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ غَيْرَهُمْ عِلْمٌ خِلَافَ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ فَالْعَمَلُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ قَابِسٍ وَلَا قَادِحٍ يَقْدَحُ فِي نَقْلِهِمْ.

قال: وقال أبو بكر بن ⁽²⁾ أحمد بن مروان المالكي: لا يعلم أن شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ إِلَّا بِالْقَيْرَوَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ أَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ أَبُو زَمْعَةَ الْبَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَجَعَلَهُ فِي قَلْنَسُوتهِ فَلَمَّا مَاتَ بِالْقَيْرَوَانِ دَفِنَ بِهَا مَعَهُ فَهَذِهِ مِزِيَّةٌ لِأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ عَظِيمَةٌ وَمَنْفَعَةٌ جَلِيلَةٌ لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ حَيْثُ ضَمَّتْ أَرْضَهُمْ بَعْضُ جَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ومن فضائل القيروان ما رَوَاهُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ اللَّبَادِ عَنْ فِرَاتِ بْنِ مُحَمَّدِ الْعَبْدِيِّ عَنْ حَمِيدِ بْنِ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الذَّهَبِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَيَّامَ مَنْصُورِ الطَّنْبَرِيِّ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ وَكَانَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَدْ بَاتُوا خَائِفِينَ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَبِتُّ أَنَا مَغْمُومًا مَهْمُومًا مَعَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي مَوْضِعِ الرَّيِّحَانَةِ فَنَظَرْتُ، وَإِذَا بِفَارِسٍ تَحْتَهُ فَرَسٌ أَذْهَمٌ مُحَجَّلٌ وَبِيَدِهِ لِبَؤَاءُ أَخْضَرَ أَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ: فَمِلْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أبا مُحَمَّدٍ مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُومًا؟ فَقُلْتُ: مِمَّا أَخَافُ أَنْ يُصَابِحَ هَذَا الْمَدِينَةَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ يَا أبا مُحَمَّدٍ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مِنَ السَّبْعِ مَدَائِنِ الْمَدْفُوعِ عَنْهَا، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا جَبْرِيلُ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَا جَبْرِيلُ بَعِثْتُ لِأَمَانِ هَذِهِ الْمَدِينَةَ [يَعْنِي الْقَيْرَوَانَ] ⁽³⁾. وَرَوَيْ أَن بَعْضَ الصَّالِحِينَ رَأَى فِي مَنَامِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُقْبِلٌ إِلَى الْقَيْرَوَانِ عَلَى فَرَسٍ أبيضٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خَضِرٌ، وَخَلْفَهُ عِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَحْصُونَ عَلَى خِيُولٍ فَانْتَهَى إِلَى بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَيْرَوَانِ فَوَقَفَ هُنَاكَ فَقَالَ: هَذِهِ الْقَيْرَوَانُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا عَلَيْهَا سُورٌ ⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيدٍ ثُمَّ قَالَ لِي: انْظُرْ فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرِجَالٍ مُضْطَفِّينَ عَلَى السُّورِ مُثْقَلِينَ بِالسُّيُوفِ وَبِأَيْدِيهِمُ الْجِرَابَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ط.

(2) كلمة: «ابن» وردت في المطبوع.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ط.

(4) في ط: صور، بالصاد.

«جعل هذا السور على هذه المدينة يوم وضعها عقبة» ثم قال رسول الله ﷺ: «وأنا سألتُ الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَهُ عليها، ولا يرفع عنها إلى يوم القيامة» والرؤيا طويلة مشهورة وأظن الرائي هو الشيخ أبو إسحاق السَّبَّائِي.

قلت: وقال الشيخ أبو إسحاق إبراهيم⁽¹⁾ بن يوسف بن عبد الملك بن عبد الله بن سالم بن عبد الملك بن عيسى بن عوانة القُرَشِي الهاشمي الحسيني في كتاب أنس النُّسَّاك المُعَرَّبِ عن فضائل عُلَمَاءِ قَيْرَوَانَ المُعَرَّبِ: ولا امتراء في أن هذه الرؤيا مَوْضُوعَةٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَنَاقِلُهَا مَأْثُومٌ فِي نَقْلِهَا، لأن النبي ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى رَأْيِي فَقَدْ رَأَى حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»⁽²⁾ فلو كانت هذه الرؤيا صحيحة ما جرى على القيروان ما جرى من نهب العرب لَهَا وَسَبِي حَرِيمِهَا وَدُخُولِهَا بِالسَّيْفِ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا دَارٌ إِلَّا دُخِلَتْ حَتَّى نَزَلَتْ آبَارُهَا، وَهَدَمَ مَا أَتَاهُمْ أَنَّ فِيهِ خَبْنًا مِنْهَا، وَبَقِيَتْ خَالِيَةً لَا أُنَيْسَ بِهَا وَأَهْلُهَا قَدْ ذَهَلَتْ عَقُولُهُمْ، وَزَهَقَتْ نُفُوسُهُمْ، وَفَرَّ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ، وَاشْتَغَلَ كُلُّ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَبْقَ بِالْقَيْرَوَانَ أُنَيْسٌ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَمَّالٌ يُعْرِفُ بِعَبُودِ طَلْعِ صَوْمَعَةٍ جَامِعِهَا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً خَلَايَئِهَا إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ عَلَيْهِ يَقُومُ⁽³⁾ يَنُوحُ وَيَنْدُبُ وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ هَلَاكِ أَكْثَرِهِمْ وَتَبْدِيدِ مُعْظَمِهِمْ. وَأَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ⁽⁴⁾ بْنُ شَرْفٍ فِي قَصِيدَةٍ وَصَفَ [بِهَا]⁽⁵⁾ مَا كَانَ مِنْ

(1) توفي أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف سنة 712هـ / 1312م ترجم له في شجرة النور الزكية 1 / 295 رقم 747 بتعليقنا.

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ حديث (110) ص: 48 من رواية أبي هريرة ولفظه بأتمه: «تَسْمُوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُبُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، ومسلم في صحيحه كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى» حديث 10 (2266) ص: 1203. ولفظه: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي» برواية أبي هريرة.

(3) في ت: قام.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شرف توفي سنة 460هـ / 1067م ترجم له في الصلة لابن بشكوال 604/2 وذكر اسمه بمحمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي وليس الأجدابي، وشجرة النور الزكية 1 / 163 رقم 325. انظر عنه بتفصيل في كتاب: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام السنتريني المتوفى سنة 542هـ. القسم الرابع، المجلد الأول ص: 169 - 245.

(5) ساقط من: ط. الزيادة من: ت.

صِيَانَةِ الْحَرِيمِ فِيهَا ثُمَّ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْكَشَافِ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ وَرُكُوبِ
ظُهُورِ الْخُطُوبِ وَالْأَهْوَالِ:

بَعْدَ خُطُوبٍ خَطَبْتَ مُهَجَّتِي وَكَانَ وَشَكَ الْبَيْنَ إِمَّارَهَا
ذَا كَيْدِ أَفْلَاذُهَا حَوْلَهَا قَدْ قَسَمْتَ الْغُرْبَةَ أَعْشَارَهَا
أَطْفَالُهَا⁽¹⁾ مَا سَمِعْتُ بِالْفَلَا قَطُّ فَعَادَتْ⁽²⁾ الْفَلَا دَارَهَا
وَلَا رَأَتْ أَبْصَارَهَا شَاطِئاً ثُمَّ جَلَّتْ بِاللُّجِّ أَبْصَارَهَا
وَكَانَتْ الْأَسْتَارُ آفَاقُهَا فَعَادَتْ الْآفَاقُ أَسْتَارَهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَعْلُوا سَرِيراً عَلَا إِلَّا إِذَا وَافَقَ مِقْدَارَهَا
ثُمَّ عَلَتْ فَوْقَ عَشُورِ الْخَطَا تَرْمِي بِهِ فِي الْأَرْضِ أَحْجَارَهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَلْحَظُهَا مَقْلَةً لَوْ كَحَلَّتْ بِالشَّمْسِ أَشْفَارَهَا
فَأَصْبَحَتْ لَا تَتَقَى لِحِظَةَ إِلَّا بِأَنْ تَجْمَعَ أَظْمَارَهَا

قوله: وكانت الأستار آفاقها البيت، من الكلام الفصيح وَالْقَلْبِ الْمَلِيحِ فَأَجَادَ
فِي ذَلِكَ كُلِّ الْإِجَادَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ أَبُو الْحَسَنِ
عَبْدَ الْكَرِيمِ بَنُ فَضَالِ الْقَيْرَوَانِيِّ وَيُعْرَفُ بِالْحَلْوَانِيِّ⁽³⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ آمِينَ:

لِلَّهِ مَنْزِلْنَا⁽⁴⁾ بِالْقَيْرَوَانِ مَحَا أَيَّامَهَا⁽⁵⁾ الْبَيْنُ لَا الْآيَامَ وَالْقِدَمُ
شَقَقْتُ ثُوبَ⁽⁶⁾ شَبَابِي بَعْدَ فُرْقَتِهَا حُزْناً عَلَيَّهَا وَلَا شَيْبَ وَلَا هَرَمُ
إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ عَنْهَا شَمَلْنَا فَإِنَا⁽⁷⁾ بِصَاحِبِ الْخُمْسِ إِبْرَاهِيمِ مُعْتَصِمُ

يعني أبا عبد الله إبراهيم بن محمد الكِنَانِيِّ وَلَهُ فِيهَا أُخْرَى وَيَذْكَرُ فِيهَا
القبروان:

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرْفُ تَمَنِّي رُبَّمَا عَلَّلَ الْفُؤَادَ السَّقِيمَا

(1) في الذخيرة لابن بسام: أطفال. القسم الرابع المجلد الأول ص: 231.

(2) في الذخيرة: فعابنت ص: 231. المرجع السابق.

(3) تُرْجِمُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بَنِ فَضَالِ الْقَيْرَوَانِيِّ فِي كِتَابِ: الذخيرة المجلد الأول القسم
الرابع ص: 284 - 300.

(4) في الذخيرة: منزله ص: 292 المرجع السابق.

(5) في ط: آياتها. (6) في الذخيرة: جيب.

(7) في الذخيرة: فلنا.

كَيْفَ يَا قَيْرَوَانَ حَالِكٍ لِمَا
كُنْتَ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقاً وَعَرْباً
نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَلَكِنْ عَقَقْنَا⁽¹⁾
دِمْنٌ كَانَتْ الْبِرُوجُ وَكُنَّا

وقال ابن شرف القَيْرَوَانِي فِي قَصِيدَةٍ يَصِفُ خَلَاءَ الْقَيْرَوَانِ وَجَلَاءَهَا :

أَلَا مَنْزِلٌ فِيهِ أَنْيْسٌ مُخَالِطٌ
تُرَى سَيِّئَاتِ الْقَيْرَوَانِ تَعَاظَمَتْ
تَرَاهَا أُصِيبَتْ بِالْكَبَائِرِ وَحَدَّهَا⁽²⁾
تَرَحَّلَ عَنْهَا قَاطِنُوهَا فَلَا تَرَى
تَكَشَّفَتْ الْأَسْتَارَ عَنْهُمْ وَرُبَّمَا
إِذَا جَاذَبَتْ أَسْتَارَهَا أَتْبَغِي لَهَا⁽⁴⁾
تَبِيْتُ⁽⁵⁾ عَلَى فُرْشِ الْحَصَى سِتَارَهَا⁽⁶⁾
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي الْقَيْرَوَانِ مَوَاطِنِي
وَيَا رَوْحَتِي بِالْقَيْرَوَانِ وَبُكْرَتِي
كَانَ لَمْ تَكُنْ أَيَّامَنَا فِيكَ طَلْقَةٌ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَلَا كَانَ بَعْضُهُ
وَلَهُ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

فَأَرَاكَ رُؤْيَةً بَاحِثٍ مُتَأَمِّلٍ
يَا قَيْرَوَانَ وَدِدْتُ أَنْي طَائِرٌ

(1) فِي الذَّخِيرَةِ: غَنِينَا.

(2) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ لَمْ يَرِدْ فِي الذَّخِيرَةِ، فَالْوَارِدُ هُوَ:

تُرَى سَيِّئَاتِ الْقَيْرَوَانِ تَعَاظَمَتْ
أَلَمْ تَكُ قَدَمًا فِي الْبِلَادِ الْكَبَائِرِ
المجلد الأول القسم الرابع ص: 235.

(3) فِي الذَّخِيرَةِ: دُونَهُمْ ص: 235. (4) فِي الذَّخِيرَةِ: بِهَا ص: 235.

(5) فِي ط: تَبَدَّتْ. التَّصْوِيبُ مِنْ: الذَّخِيرَةِ. (6) فِي الذَّخِيرَةِ: عَطَاؤُهَا.

(7) فِي الذَّخِيرَةِ: زَوَارٍ.

(8) فِي الذَّخِيرَةِ: رُوحَاتِهَا.

(9) فِي الذَّخِيرَةِ: سِيَمِضِي بِهِ.

لا كثرة الإحسان تُنسي حسرتي هيهات تذهب علة بتعلل⁽¹⁾
يا لو شهدت⁽²⁾ إذا رأيتك في الكرا كيف ارتجاع صباي بعد تكهل

وقال الكاتب أبو علي حسن⁽³⁾ بن رشيق الأزدي القيرواني رضي الله تعالى عنه

من قصيدة له فيها وهذه:

كم كان فيها من كرام وسادة بيض الوجوه شوامخ الإيمان
متعاونين على الديانة والتقى لله في الإسرار والإعلان
ومهدب جم الفضائل باذل لنواله ولعرضه صوان
وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا سنن الحديث ومشكل القرآن
علماً عان سائلهم كشفوا العما بفقاهة وفصاحة وبيان
وإذا الأمور استبهمت واستغلقت أبوابها وتنازع الخصمان
خلوا غوامض كل أمر مشكل بدليل حق واضح البرهان
هجروا المضاجع قانتين لرَبِّهم طلباً لخير مُعرَّسٍ ومَعان
وإذا دجى الليل البهيم رأيتهم متبتلين تبتل الرهبان
في جنة الفردوس أكرم منزل بين الحسن الخور والولدان
تجروا بها الفردوس من أربابهم نعم التجارة طاعة الرحمان
المتقين الله حق ثقاته والعارفين مكابد الشيطان
وترى جبابرة الملوك لديهم خضع الرقاب نواكس الأذقان
لا يستطيعون الكلام مهابةً إلا إشارة أعين وبنان
خافوا الإله فخافهم كل الورى حتى ضراء الأسد في الغيران
تُنسيك هيبتهم شماخة كل ذي ملك وهيبة كل ذي سلطان
أحلامهم تزن الجبال وفضلهم كالشمس لا تخفى بكل مكان

(1) في المطبوع: «يا لو شهدتك». التصويب من الذخيرة ص: 233 المرجع السابق.

(2) هذا البيت ورد في المقطع السابع في الذخيرة ص: 233.

(3) أبو علي حسن بن رشيق الأزدي توفي بمازر من صفيلية سنة 456 هـ ورد ذكره في ترتيب المدارك 4/ 507 - 614 - 699. وله ترجمة في شجرة النور الزكية 1/ 163 رقم 326 بتعليقنا.

عدّ المنابر زهرة البلدان
 تزهوا بهم وغدت على بغداد
 وسمى إليها كل طرف ران
 وغدت محل الأمن والإيمان
 ترموا بنظرة كاشح معيان
 ودنا القضاء لمدة وأوان
 [وارادها كالناطق] ⁽¹⁾ العيدان
 ممن تجمع من بني دهمان
 أمنوا عقاب الله في رمضان؟
 ذمّ الإله ولم يفوا بضمّان
 سبّي الحرّيم وكشفة النسوان
 متعسّفين كوامن الأضغان
 أيدي العصاة بذلة وهوان
 ومقتل ظلماً وآخر عان
 حتّى إذا سئموا من الأرنان
 ما جمّعوا من صاميت وصوان
 وطرائف وذخائر وأوان
 من خوفهم ومصائب الألوان
 وبكل أرملة وكل حصان
 تسبي العقول بطرفها الفتان
 قمرٌ يلوح على قضيب البان
 خرب ⁽³⁾ المعاطن مظلم الأركان
 لصلاة خمس لا ولا الأذان
 بعد الغلو عبادة الأوثان

كانت تعدّ القيروان بهم إذا
 وزهت على مصر وحق لها كما
 حسنت فلما إذ تكامل حسنها
 وتجمعت فيها الفضائل كلها
 نظرت لها الأيام نظرة كاشح
 حتى إذا الأقدار حم وقوعها
 أهدت لها فتناً كليل مظلم
 بمصائب من فادع وأشالب
 فتكوا بأمة أحمد، أتراهم
 نقضوا العهود المبرمات وأخفروا
 فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا
 ساموهم سوء العذاب وأظهروا
 والمسلمون مقسمون تنالهم
 ما بين مضطر وبين معذب
 يستصرخون فلا يُغاث صريخهم
 بادوا نفوسهم فلما أنفذوا
 واستخلصوا من جوهر وملابس
 خرجوا حفاة عائدين برّبهم
 هربوا بكل وليدة وفطيمة
 وبكل بكر كالمهات عزيزة
 خود مبتلة الوشاح كأنها
 والمسجد المعمور ⁽²⁾ جامع عقبة
 قفر فما تغشاه بعد جماعة
 بيت به عبّد الإله وبطلت

(2) في ت: المعروف.

(1) في ت: وأراها الناطح.

(3) في ت: ضرب.

بيت بوحي الله كان بناؤه
 أعظم بتلك مصيبة ما تنجلي
 لو أن تهلاًن أُصِيبَ بعشرها
 حزنت لها كور العراق بإسرها
 وتزعزعت لمصابها وتَنَكَّدَتْ
 وَعَقَمًا مِنَ الْأَقْطَارِ بَعْدَ خَلَائِهَا
 وَأَرَى النُّجُومَ طَلَعْنَ غَيْرَ زَوَاهِرِ
 وَأَرَى الْجِبَالَ الشَّمَّ أَمَسَتْ خُشَعًا
 وَالْأَرْضُ مِنْ وَلَيْ بِهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
 أَتْرَى اللَّيَالِي بَعْدَمَا صَنَعْتَ بِنَا
 وَتَعِيدُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانَ كَعَهْدِهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا سَلَبْتَ نِظَائِرَ حُسْنِهَا
 وَغَدَتْ كَأَنْ لَمْ تَغْنِ⁽²⁾ قَطَّ وَلَمْ تَكُنْ
 أَمَسَتْ وَقَدْ لَعِبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهَا
 فَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا وَتَشْتَتُوا
 نعم البنا والمبتنى والبان
 حسراتها أو ينقضي المِلْوَانِ
 لتدكدكت منها ذرى تهلان
 وَقُرَى الشَّامِ وَمِضْرَ وَالْحُرْسَانَ
 أَسْفَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَالسَّنْدَانَ
 مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إِلَى حُلْوَانَ
 فِي أَفْقِهِنَّ وَأَظْلَمَ الْقَمْرَانَ
 [لِمَصَابِيهَا]⁽¹⁾ وتضعض الثقلان
 بعد القرار شديدة الميلان
 تقضي لنا بتواصل وتدان
 فيما مضى من سالف الأزمان
 الأيام واختلفت بها مبتان
 حرماً عزيز النصر غير مُهان
 وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ عُرَا الْأَقْرَانِ
 بعد اجتماعهم على الأوطان

قال إبراهيم العواني المذكور: ولو كانت هذه الرؤيا التي نقلها صحيحة ما تنكرت معالم القيروان وأطلالها، وتبدلت معاهدتها وأحوالها، فأى شيء دعاه رحمه الله تعالى إلى ذكر حكاية يقطع ببطالانها وافتعالها وتزويرها وغفلة قائلها.

قلت: وما نقله⁽³⁾ عن العواني المذكور إنما هو بعض كلامه، فإنه أطال نقل الأشعار في ذلك، وهذه القصيدة نقلها بكمالها وعدتها مائة واثنان وعشرون بيتاً، فحذفت سوى ما ذكرته، اختصاراً وسيأتي ذكر سبب خراب القيروان.

قال: وكتب الشيخ أبو إسحاق السبائي إلى أبي الفضل الغدامسي بالمنستير رضي الله تعالى عنهما يستشيريه في سكنى القيروان أو المنستير عندما تفاقم أمر بني

(1) في ط: لمصلبها، التصويب من: ت. (2) في ت: تغز.

(3) في ت: نقلته.

عُبَيْدُ بِالْقَيْرَوَانِ، وَفَشَى مَذْهَبُهُمْ وَإِضْرَارُهُمْ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو الْفَضْلِ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رُؤْيَا رَأَاهَا: تَرْحَلُ مِنْ بَلَدَةٍ مَعْصُومَةٍ إِلَى غَيْرِهَا.

قلت: يحتمل أن يكون المراد أن الساكن بها لا يزال عن دينه إلى يوم القيامة، بخلاف المنستير فلا يدرى ما يكون من أهلها في المستقبل! ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنه ما دام بالقيروان يعصمه الله منهم مع غلظته عليهم، وكذلك كان يحمد الله تعالى.

قال: وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الجبنياني رضي الله تعالى عنه، إذا قدم أحد من الناس إليه فسأله عن القيروان وعن العلماء بها ثم يقول: إنما القيروان كالرأس، وإفريقية كالجسد، وإنما يصح الجسد إذا صح الرأس، وفضائلها كثيرة شهيرة يخرجنا تتبعها عن الاختصار. وقد قال أبو القاسم الفزاري في قصيدة له طويلة، كان أنشدها بين يدي أبي يزيد الخارجي بمحضر علماء القيروان يستعطفه بها ويصف بني عبيد وما هم عليه فأنشد في ذلك:

فهل للقيروان وساكنيها	عديل حين يفتخر الفخور؟
بلاد حشوها علم وحلم	وإسلام ومعرفة وخير
عراق [الشرق] ⁽¹⁾ بغداد وهذي	عراق الغرب بينهما كثير
ولست أقيس بغدادا إليها	وكيف تُقاسُ بالسنة الشهور؟
بلاد تقصف الجبار قصفاً	إذا ما رامها منهم غدور
بلاد خَطَّهَا أَصْحَابُ بَدْرٍ	وتلك إختَطَّ سَاحَتَهَا أَمِيرُ
بناها المستجاب وقد دعا في	جوانبها دُعَاءٌ لَا يَبُورُ
بناها كل بدري كريم	كان صفاح أوجههم بُدُورُ
هُمُ صَلُّوا بِمَسْجِدِهَا بِرَاحَا	وليس لها جدارٌ مُسْتَدِيرُ
هم وضعوا لها أُسُوساً وَسَاساً	فقدَّستِ المواضع والصخور ⁽²⁾
وَقَادَهُمُ الْأَذَانُ إِلَيْهِ حَتَّى	أضياء لهم من المِحْرَابِ نُورُ
ولم يسبقهم ملكٌ ظُلُومُ	لتأسيسٍ ولا ملكٌ كُفُورُ

(1) في ط: الشام، التصويب من: ت، والرياض 2/492.

(2) في ت: والستور.

وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ لَهُ بُنَاءٌ وَلَا عِضْيَانٌ ثَمَّ، وَلَا فُجُورٌ
أَقَامُوا شَطْرَ قِبْلَتِهِ سَوِيًّا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَلَمْ يَجُورُوا⁽¹⁾

فلما دخل إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله إلى القيروان بعد أن قتل
أبا يزيد مخلد بن كيد، إذ طلب أبا القاسم الفزاري هذا. فاختم أبو القاسم ولجأ
إلى الشيخ أبي إسحاق السبائي وذكر ما يخافه على نفسه من القتل، فقال له أبو
إسحاق: ما كان قصدك بقصيدتك؟ قال: وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، قال: آله؟ قال: نعم،
قال: إِذْهَبْ فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُكَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ؛ فَسَارُوا بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
قَالَ لَهُ: أَنْشِدْنِي قَصِيدَتَكَ تِلْكَ الرَّأْيِيَّةَ⁽²⁾ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا حَرَّضَهُ بَعْضُ
أَشْيَاخِهِ عَلَى قَتْلِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَذِنَ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ بِمَكْرُوهِهِ. وَقَالَ
عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْفَهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَلَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانَ حَيَا كَأَنَّهُ عِبْرَاتٌ مُسْتَهْلَاتٌ
وَكَفَتْ عَنْهَا أَكْفَ الْمَفْسُودِينَ لَهَا وَلَا عِدَّتَهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ عَادَاتٌ
فَإِنَّهَا أَوْجَهَ الْأَحْبَابِ تَرْبُّتُهَا مَسْكِيَّةٌ وَحَصَاها جَوْهَرِيَّاتٌ
أَرْضٌ بِهَا الْخَيْرُ مَجْمُوعٌ مَبَارَكَةٌ اللَّهُ فِيهَا بِرَاهِيْنٌ وَأَيَّاتٌ
حَاشَا الْبِقَاعِ الثَّلَاثِ الطَّيِّبَاتِ فَهِنَّ⁽³⁾ خَيْرَ الْبِقَاعِ تَصَدَّقُكَ الشَّهَادَاتُ
كَمْ مِنْ وُلِيِّ بِهَا لِلَّهِ مُتَّقِيًّا حَيَاتِهِ كُلُّهَا نُسْكٌ وَإِحْبَاتٌ
وَكَمْ إِمَامٌ هَدَى فِي مَرْتَقَى مَلِكٍ قَدْ تَوَجَّهَتْهُ الْمَعَالِي وَالْمَهَابَاتُ

قلت: قال العواني: ما ذكر من قوله: فإنها أوجه الأحاب، تربتها مسكية
وحصاها جوهريات، مغير اللفظ مختل المعنى، وذلك أنه جعل تربتها كوجوه أحبابه
مغير اللفظ وأفسد المعنى وإنما الرواية فيها:

فإنها لذة الجنات تربتها مسكية حصاؤها جوهريات

فانظر: كيف حسن اللفظ هاهنا والمعنى حيث شبهها بالذات، فجعل تربتها

(1) قصيدة وردت طويلة في الرياض 2/ 490 - 494 مطلقها:

تلفع في مفارقة القنير وقوس غصنه اللدن النصير

وليس يؤدب الإنسان شيء كتأديب الحوادث إذ تدور

(2) في ت وط: الربانية، والصواب ما أثبتناه.

(3) كلمة "فهن" مستدركة في هامش: ت.

مِسْكَاً، وَحَصَاها جَوْهراً، وَأما تَشْبِيهُها بِوَجْوهِ الْأَحْبَابِ فلا معنى له، ولا اللفظ يقتضيه، والرواية فيه كما ذكرنا.

قال: وأما فضل القيروان عموماً فمعلوم على تعاقب الزمان، مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ الْأُمَمِ لا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنانِ، نَاهِيكَ مِنْ قَوْمِ سَلْفِهِمُ الْأَوَّلِ أَفْاضِلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ أَقْطَارَ الْمَغْرِبِ، وَجَالَتْ فِي أَرْجَائِهِ مِنْهُمْ أَفْضَلُ الْجِيُوشِ وَالكُتَّابِ، وَعَلَى أَيْدِيهِمْ أَسْلَمَ سَائِرُهُ، وَانْتَصَفَتْ مِنْ طَائِفَةِ الْكُفْرِ جُنُودُ الْحَقِّ وَعَسَاكِرُهُ، وَأما مِنْ جِاءَ بَعْدَهُمْ فَعَلَمَاءُ الدِّينِ، وَالْقَدْوَةُ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، مَصَابِيحُ الظَّلَامِ، وَأئمةُ الاقْتِدَاءِ وَهُمْ الَّذِينَ كانَ تُشَدُّ إِلَيْهِمُ الْإِبِلُ، وَبالجُمْلَةِ فالذي كانت أَهلُ الْقَيْرِوانِ عَلَيْهِ قَدِيماً مِنْ قُوَّةِ الْإِيْمانِ بِاللَّهِ، وَالانْتِصارِ لِلْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَى الْإِيْذاءِ فِي اللَّهِ، وَالجِهَادِ لِإِعْزازِ الدِّينِ، وَالقيامِ بِالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْواءِ بِالْأدْلَلِ الْقاطِعَةِ، وَالْحِجْجِ الدامِغَةِ، لِتَثْبِيْتِ عَقائِدِ عامَةِ المَوْحِدِينَ، فَقد ناضلوا بالسيفِ وَجادلوا بِاللسانِ فِي تَقْريْرِ الدِّينِ، وَتَثْبِيْتِ قِواعِدِ⁽¹⁾ اليقينِ، فَذلكَ كلُّهُ شَيْءٌ لا يَسَعُهُ دِيوانٌ، وَلا يُمْلِيهِ لسانٌ قَدْ؛ امْتَحَنُوا بِاسْتِيلاءِ الْخِوارِجِ⁽²⁾ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّفْريَّةِ⁽³⁾ وَالْأَباضِيَّةِ⁽⁴⁾، وَكَذلكَ امْتَحَنُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي زَمَنِ الْواثِقِ⁽⁵⁾، وَعَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ

(1) في ت: قواعدهم.

(2) قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. وقد قالوا بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار. وأول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تدعوننا إلى السيف! ص: 114.

(3) الصفريّة: أصحاب زياد ابن الأصفر. انظر عنهم الملل والنحل للشهرستاني ص: 137.

(4) الأباضية: فرقة من الخوارج انقسمت عليهم لاختلافهم معهم في بعض القضايا العقيدية. مؤسس الإباضية هو عبد الله بن إياض المُرِّي التميمي يعترفون بأبي بكر، وعمر بن الخطاب فقط من الخلفاء الراشدين، ولا يجدون الثأر لقتل عثمان أمراً ضرورياً. يوجدون حالياً بالجزائر. انظر عن الإباضية الملل والنحل للشهرستاني ص: 134، وتاريخ التراث العربي لفؤاد السزكين 339/2.

(5) هو أبو جعفر وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد ولي الخلافة سنة 227هـ وتوفي سنة 232هـ. كانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً. لقد حمل الناس إلى القول بخلق القرآن ومن امتنع عذبه أو قتله. انظر عنه تاريخ الطبري 273/5 - 292.

الأغلب على قتل محمد بن سعيد فما زالوا على اعتقاد أهل السنة وصبروا على الأذى في دين الله وما زادهم إلا يقيناً وبصيرة في دينهم؛ ولما استولى العبيديون على إفريقية، وانضاف إليهم طوائف كثيرة من أهل الشيع الغالبة، قدموا عليهم من البلاد متوسلين إليهم بحب أهل البيت والتعصب لهم حتى ولّوهم الولايات ورفعوا منازلهم، ثم أظهروا مذهبهم الفاسد في سب الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم وتبديل الشرائع والإضرار بأهل السنة مثل محمد بن عمر المرؤزي لعنه الله وعبد الله بن محمد الكاتب، ومحمد بن حسين حتى كشف الله أستارهم فقتلوا بالعذاب، وبعد ذلك هجم أهل القيروان على هؤلاء الأشرار بعدما تولى المعز بن باديس⁽¹⁾، فقتلوهم عن آخرهم وظهّر الله القيروان من رجسهم والحمد لله رب العالمين. ولم يزل أهل القيروان في جهاد مع الفرق الضالة والفئة المارقة؛ ولم يزل الشيخ الأوحّد [أبو سعيد الحداد]⁽²⁾، وأبو محمد عبد الله بن إسحاق التبان⁽³⁾، يناظران⁽⁴⁾ على مذهب أهل السنة، ويريان⁽⁵⁾ ذلك من أعظم الجهاد حتى أحمّد الله نارههم، وقلاً عددهم، وظهر حزب الحق، وأعلا الله كلمته، والحمد لله رب العالمين.

قلت: ما ذكره من لعنه لما ذكر، ونسبهم بعد هذا إلى الكفر والزندقة؛ قال العواني: فأفرط في ذمهم في هذا الكتاب، ثم إنه في كتابه المسمى بـ«واسطة النظام في تواريخ ملوك الإسلام» ذكر ضد ذلك ووصفهم بأوصاف حميدة من تغيير المنكر، والنهي عن شرب الخمر، وبرأهم من المذام كلّها التي نسبت إليهم، ونسبها لبعض دعواتهم، وإنهم لما اتصل بهم منها ما اتصل عن بعض دعواتهم، عاقبوهم أشدّ

(1) بويح المعز بن باديس وعمره ثمان سنين، وكان أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية وأترفه وأبذخه، كان المعز منحرفاً عن مذاهب الرافضة ومنتحلاً للسنة، فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة ثم صار إلى قتل من وجد منهم. توفي سنة 454هـ. انظر عنه تاريخ ابن خلدون 187/6 - 188.

(2) في طبقات علماء إفريقية وتونس: أبو عثمان سعيد بن محمد بن حداد ص: 97. وهذا هو الصحيح.

(3) هو أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان توفي سنة 371هـ. ترجم له في الديباج المذهب ص: 223، شجرة النور 1/ 143 رقم 263 بتعليقنا.

(4) في توط: يناظرون، والصواب ما أثبتناه.

(5) في توط: يرون، والصواب ما أثبتناه.

العقوبة على ذلك وتبرؤوا منهم؛ وأن المنصور بالله إسماعيل بن أبي القاسم محمد بن عبيد المهدي كان محسناً لِرَعِيَّتِهِ، فصيح اللسان، خطيباً مُنْصِفاً، ولم يزل على الحالة الحسنة من العدل والعفو والجِلم، وأسقط الخراج عن الرعية حتى صلحت أحوالهم؛ وكان قاضيه محمد بن أبي المنصور في غاية الدين والورع والصلابة في الحق إلى أن مات، فولي بعده عبد الله بن هاشم فكان من أفضل الناس، ولم يزل المنصور هذا شأنه من حفظ المسلمين وتولية أهل الورد والدين، ومحبة الفقهاء والصالحين، ولما سار إلى الساحل مرَّ بقرية عيسى بن مسكين القاضي، فصلى في مجلسه ركعتين تبرُّكاً به، وأوصى العامل بحفظ القرية هكذا ذكر الدباغ في تأليفه. فليت شعري على أيِّ قوليه⁽¹⁾ يُعَوَّلُ في ذلك هل على ما نقل في «معالم الإيمان» من ذمهم وتكفيرهم، أو على ما نقله في كتاب «تاريخ ملوك الإسلام» من الأوصاف الحميدة والسيرة المرضية؟ وكذلك يُعترض عليه فيما ذكره، حيث أخذ يصف ما كان عليه أهل القيروان من قوة الإيمان بالله والانتصار للحق فقال: إن بني عبيد لما ملكوا الشام وديار مصر، أظهروا مذهبهم الفاسد من نقض الشرائع وتبديلها وسب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعثوا دعواتهم إلى إفريقية يدعون الناس إلى مذهبهم الفاسد، ويُجبرونهم عليه، فلم يُجبهم أحد إلى ذلك من أهل القيروان، وأنه قدم مرة⁽²⁾ داع لهم في أيام باديس بن المنصور⁽³⁾، وأخذ الناس بالعنف والغلظة، وأنهم ظفروا ببعض رُسل هذا الداعي فقتلوه، وأكلوا لحمه، ولم يتركوا منه إلا رجليه، وهذا معترض فإنه أراد أن يصف قوة إيمانهم وانتصارهم للحق فأفرط في ذمهم لكونه نسبهم إلى استباحة أكل لحم حرم الله أكله، ولا يكون في الغباوة أكله لهذا هذا، وليس كل شيء ينقل من الأخبار صحيح بل منه صحيح وسقيم.

قلت: ما نقله عنه لم أجده في المعالم بحال فهو وهم [منه]⁽⁴⁾ قال.

(1) في ط: قوله. التصويب من: ت.

(2) في ط: مدة. التصويب من: ت.

(3) عن دولة باديس بن المنصور. انظر تاريخ ابن خلدون 6/186.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت.

ذكر مساجد القبروان السبعة القديمة الفاضلة

[مسجد الأنصار]

فأولها في الفضل والوضع مسجد الأنصار المشهور بالفضل المعلوم بالخير، اختطه فيما ذكر رويغ⁽¹⁾ بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ومن كان معه من الصحابة والتابعين وذلك سنة سبع وأربعين؛ قبل أن يخطط⁽²⁾ القبروان وهذا المسجد بمحرس الأنصار وعليه بُني هذا المحرس ولم يزل الصلحاء والأبدال⁽³⁾ يتناوبونه ويعمرونه، وله بركات مشهورة.

قلت: وكان شيخنا الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد⁽⁴⁾ بن أبي بكر الفاسي كثيراً ما يدخل إلى هذا المسجد ويكثر من الدعاء فيه على طريق التبرك بأثار من بنائه، وتلمسجد المذكور نوراً وهيبه.

[مسجد الزيتونة]

قال: لمسجد الثاني مسجد إسماعيل بن عبيد الأنصاري تاجر الله⁽⁵⁾. وهو مسجد المعروف بمسجد الزيتونة بمحرس الأنصار أيضاً، وهو معروف بالخير أيضاً والفضل، مشهور بإجابة الدعاء فيه. وهو مسجد كبير جليل، في وسطه ماجل مستطيل بُني هذا المسجد سنة ثلاث وتسعين بنائه إسماعيل المذكور، وبهذا المسجد

(1) هو رويغ بن ثابت بن سكن بن عدي سكن مضر، واختنق بها داراً، وأمره معاوية على طريقتين سنة ست وأربعين، فغزا من طريقتين إفريقية سنة سبع وأربعين ودخلها وانصرف من عمه. يقال مات بالشام، ويقال مات ببيرقه وقبره بها. ترجم له في الاستيعاب ص: 230 رقم 741، لإصابة في تمييز الصحابة 2/214 رقم 2693 وفيه أنه توفي سنة 56هـ.

(2) في ت: يخطط.

(3) الأبدال: هم سبعة سمو أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعاً يخلفون مكانه بدلاً منهم لأمر يرون فيه مصلحة. للمزيد انظر: جامع كرامات الأولياء 1/69-70. وفي المقاصد الحسنة قال السخاوي: حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بالفاظ مختلفة كلها ضعيفة ص: 26.

(4) ستأتي ترجمته ضمن الأعلام المترجم لهم في كتاب معالم الإيمان.

(5) إسماعيل بن عبيد مولى الأنصار وهو صاحب سوق مسجد إسماعيل الأحباش وهو الذي يقال له تاجر الله، بُني المسجد الكبير في القبروان المعروف بمسجد الزيتونة سنة 71هـ مات سنة 107هـ. ترجم له في رياض النفوس ص: 69، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 84-86.

كان أهل القيروان يجمعون إذا كان بجامع عقبة بناء، ثم إنه تهدم وأقام كذلك أعواماً حتى قَيِّضَ [الله] (1) له أهل الرغبة في الخير من بناء وأعادته على هيئته.

قلت: قال العواني: بناه الشيخ أبو سعيد بن محمد التيمالي المعروف بالعود الرطب رحمه الله، وحبس عليه حوانيت بمدينة تونس وذلك في سنة ستين وستمائة وهذا المسجد هو اليوم بخارج سُورِهَا المحدث بعد القديم من الجانب الغربي، ودائر به ربض أولاد غيث، وفيه من الناس نحو المائتين وكانوا يدخلون المدينة لصلاة (2) الجمعة بجامعها، فحان وقت الصلاة، وجاءت أعرابٌ فلم يجدوا من ينزلهم وخافت النساء منهم فأغلقوا أبوابهن (3) دونهم. فَكَلَّمَ بعضُ أولاد الشيخ أبي رحمة غيث بن قاسم الحكيمي السلطان أبا العباس أحمد (4)، فأذن لهم بأن يقيموا الجمعة في هذا المسجد وشاور بمحضري شيخنا أبا الفضل أبا القاسم البُرْزُلي في جواز ذلك لما خرجنا للسلام عليه حين (5) وصوله بمحلته للقيروان إذ كان هو المفتي بها يومئذ فأفتاه بالجواز عملاً بما جرت به الفتوى قديماً وحديثاً بتعداد الجمعة في المصر الواحد، مع (6) أن هذه المسألة أخص في الجواز لما ذكر من غَلَقِ الباب (7) دونهم. فَازْدَحَمَ الفُقَهَاءُ أصحابنا في من يكون إماماً في الجامع المذكور لصلاة الجمعة، فقال شيخنا المذكور لأولاد الشيخ المذكور: «لَا يَصْلُحُ بكم إِلَّا فلان» يعني بذلك فقالوا: إنما أردنا غَيْرَهُ لِكَوْنِهِ رَبِّي هو ووالده وجدته في رَبِّضِنَا، وما انتقل والده إلى المدينة إلا عن قرب، وليس له في هذه الخطة طريقة أبوة فانظره لنا غيره ممن يصلح ويكون له أبوة في القضاء أو الشهادة أو هما معاً، أو من يكون شاهداً أو قاضياً؛ فقال: لا أرتهن إلا فيه، وارتهن في عند القَاضِي يومئذ وهو

(1) اسم الجلالة سقط من: ط. الزيادة من: ت.

(2) في ت: يصلون.

(3) في ت وط: أبوابهم والصواب ما أثبتناه لأن الضمير يعود على النساء.

(4) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم الهنتاتي نسبة إلى هنتاة قبيلة من البربر بالمغرب، صاحب تونس وإفريقية وغيرهما، كان يقال له: أبو السباع، ولي المملكة في ربيع الأول من سنة 772هـ، توفي في شعبان سنة 796هـ. ترجم له في شذرات الذهب في أخبار من ذهب 6/ 345 - 346.

(5) في ت: عند. (6) ساقط من: ت.

(7) في ت: الأبواب.

الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن قليل ألهم وكان غرضه تقديم ولد بعض القضاة، فقدمني القاضي بعد التأهب يوم الجمعة، وقال لي: نحن عقّدنا على رأسك لواءً أبيض فاحذر أن تُدَنِّسَهُ بما لا يليق، وبالمشي مع من لا يليق، وكنت يومئذ ابن إحدى وعشرين سنة فخطبت بالخطبة المعلومة من ورقة بيدي، فلما كانت الجمعة الثانية ألفتُ خُطْبَةً وخطبتُ بها، بكى الناسُ منها وفرحوا وفرحَ بذلك شيخنا المذكور فرحاً شديداً لما أعلموه، وأمرني أن أذكرها، فقلت له بعضها وأنا مستحي، وتَمَادَيْتُ هكذا أخطب في كل جمعة خطبة جديدة، وربما أكرر عن بُعد فلا يفهم عني أني كررت نحواً من أربعة أعوام ثم انتقلت إلى تونس للقراءة بها على شيخنا المذكور لانتقاله إليها مُدْرَساً فقرأت بها أربعة عشر عاماً، ثم قُدِّمْتُ قَاضِياً وَخَطِيباً بجزيرة جِرْبَةَ⁽¹⁾ فأقمت بها ثلاثة أعوام وخمسة أشهر، أخطب على صفة ما ذُكِرَ، فكان يصدر مني من النفع للناس بالوعظ ما نَرُجُو مِنَ اللَّهِ ثَوَابَهُ، وكان وطن أهل⁽²⁾ بَاجَةَ⁽³⁾ لما وليت قَضَاءَهَا وخطبتها، ربما يأتون يوم الخميس يظنونهم الجمعة، وكذلك قدمت ببلد قابس⁽⁴⁾ وبلد تَبْسَةَ⁽⁵⁾ فكنت أصنع كما ذكر وانتهى حالي، إلى أنه لَوْ قِيلَ لي وأنا فوق المنبر حين أريد الخطبة أن أُخْطَبَ بخطبة جديدة لفعلت ذلك.

قال: والرَّبَاعُ المحيطة بهذا المسجد كانت حُجْساً عليه، فبيعت بغير حق، وهي الآن في أيدي الناس وهي حُجْسٌ لا شك فيها ولا ريب.

[مسجد أبي ميسرة]

المسجد الثالث وهو المنسوب الآن إلى أبي مَيْسَرَةَ الفقيه أحمد بن نزار

(1) جِرْبَةُ: جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية (تونس) قرب قابس يسكنها البربر، فيها بساتين كثيرة أهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج. معجم البلدان لياقوت الحموي 2/ 118. هذا الكلام يعود لقائله في عصره، في القرن السابع الهجري، حيث سيطرت المغول آنذاك. وياقوت الحموي توفي سنة 626هـ / 1228م.

(2) أهل سقطت من: ت.

(3) بَاجَةَ: مدينة تونسية قديمة. انظر عنها بتفصيل: معجم البلدان 1/ 314 - 316.

(4) قابس: مدينة تونسية تقع على الساحل. انظر معجم البلدان 4/ 289 - 290.

(5) تَبْسَةَ: بالفتح ثم الكسر، وتشديد السين المهملة بلد مشهور من أرض إفريقية (تونس) بلد قديم به آثار الملوك وقد خرب الآن أكثرها؛ بينها وبين سطيف ست مراحل. معجم البلدان 2/ 13.

الزاهد⁽¹⁾ كان هذا المسجد بناه بعض التابعين، ثم جَدَّدَهُ بعد ذلك حسن بن محمد بن واصل التَّمِيمِي ولما بُنِيَ السُّورُ المحدث أخذ منه شيء هو الآن في الشارع.

قلت: وَهَذَا المسجد تُعَرِّفُهُ الفقهاء بمسجد أبي ميسرة كما تقدم وَتُعَرِّفُهُ العامة بمسجد ابن غَلَّاب يعنون به الشيخ الصالح أبا محمد عبد السلام بن عبد الغالب المِسرَاتِي⁽²⁾ لَأَنَّهُ⁽³⁾ كَانَ يَعْمَلُ بِهِ⁽⁴⁾ الميعاد، وهو عن يسار الداخل من باب تُونِس أحد أبواب المدينة المذكورة ذكر الشَّيْخُ الدَّبَاغُ بقية المساجد السبعة، وهي غير معلومة المكان الآن لاستيلاء الخَرَابِ على جُلِّ مدينة القيروان، فَحَذَفْتُ ذكرها لذلك.

قال: فهذه المساجد السبعة المشهورة بالفضل وهي أقدم المساجد بالقيروان لأنها خُطت في أول خطة وبعد هذه ثلاثة مساجد خطها التابعون مِنْهَا.

[مسجد الحُبْلِيّ]

مسجد أبي عبد الرحمن الحُبْلِيّ⁽⁵⁾ بدرب أزهر قرب باب تونس. وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف الوَرَّاق: هو مسجد الرباطي بناه أبو عبد الرحمن سنة مائة من الهجرة.

قلت: هذا المسجد الآن عَامِرٌ وعليه أنوارٌ وهو الكائن بالدرب المعروف بأولاد غيث.

(1) هو أبو ميسرة أحمد بن نزار يُكْنَى أبي جعفر، توفي سنة 337هـ / 948م. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية 1/ 126 رقم 203 بتعليقنا، وستأتي ترجمته مستقلة ضمن معالم الإيمان.

(2) أبو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المِسرَاتِي القيرواني كان من أهل العلم والفضل توفي سنة 646هـ. ترجم له في شجرة النور الزكية 1/ 244 رقم 573. ستأتي ترجمته مستقلة ضمن الكتاب.

(3) في ت: لكونه.

(4) في ت: يعمل فيه الشيخ.

(5) هو عبد الله بن يزيد المعافري أبو عبد الرحمن الحُبْلِيّ تابعي ثقة مات سنة 100هـ. ترجم له في تاريخ الثقات للعجلي ص: 283، تقريب التهذيب 1/ 548 رقم 3723.

[مسجد حَنَش] (1)

قال: وبعده مسجد حنش بن عبد الله الصَّنَعَانِي بباب الريح.

قلت: الأقرب أنه الذي يقال له الآن: مسجد علي، وهو مسجد أبي إسحاق

السبائي.

[مسجد علي بن رباح اللخمي] (2)

قال: ثم مسجد علي بن رباح اللخمي، جوار باب نافع على يمين الخارج قبل

أن يخرج.

[مسجد السبت]

وبعد هذا المسجد مسجد السبت ويعرف بمسجد الدَّمْنَةَ وهو بالمدينة منسوب لأبي محمد صالح الأنصاري الدَّمْنِي الضرير. وهذا المسجد يلاصق السور القديم من الجبلي، يجتمع فيه الصُّلَحَاءُ والقُرَاءُ والحفَّاظُ، فيكون فيه خير كثير كل يوم سبت من أول النهار إلى الزوال.

قلت: يَعْنِي قبل زمنه، وكان في القديم كما ذكر ويأتي (3) بسط الكلام فيه إن شاء الله تعالى؛ ويعرف في زماننا بمسجد العَرَبِي لرجل يقال له: محمد العربي: كان يقوم به ويأتي الناس إليه يقصدونه لزيارة صاحب القبر الذي به وهو قبر أبي محمد الأنصاري المذكور على الصحيح.

(1) هو حنش بن عبد الله ويقال: ابن علي بن عمرو السبائي الصنعاني من صنعاء الشام عداده في المصريين، تابعي كبير ثقة، كان مع علي بن أبي طالب غزا المغرب مع رويغ بن ثابت، والأندلس مع موسى بن نصير توفي بإفريقية سنة 100هـ. ترجم له في: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: 109 - 111 رقم 391، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 80 - 81، رياض النفوس ص: 78، تهذيب التهذيب 3/ 57، تقريب التهذيب 1/ 249 رقم 1581.

(2) هو علي بن رباح اللخمي المصري أبو عبد الله ثقة توفي بإفريقية (تونس حالياً) سنة 114هـ. ترجم له في: تاريخ علماء الأندلس ص: 248 رقم 912، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 82، رياض النفوس ص: 77، تهذيب التهذيب 7/ 318، تقريب التهذيب 1/ 694 رقم 4748.

(3) في ت: وسيأتي.

[مسجد الخميس]

قال: ثم مسجد الخميس بالقرب منه بناه أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء الزاهد صاحب سحنون بالدمنة أيضاً ويجتمع بهذا المسجد الصلحاء والقراء وأهل الخير كل يوم خميس من العصر إلى الليل.

قلت: وهو الذي يقال له اليوم: مسجد سيدتي تِيَاهَةَ لاعتقادهم أن ذلك القبر الذي هو فيه قبرها وليس هو كذلك، وإنما هو قبر أبي إسحاق المذكور. قال شيخنا البرزلي: ولا أعرف من تكون تياهة.

[مسجد عبد الله]

قال: وذكر بعض المؤرخين مثل أبي بكر المالكي، وأبي عبد الله محمد بن يوسف الرواق مسجد عبد الله، قيل هو: عبد الله بن الزبير، وقيل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو عند باب عبد الله الأقدم. وَذَكَرَ أَنَّ بَابَ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا إِنَّمَا سُمِّيَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ وَقِيلَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَنَسَبَتْهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَمِيرِ الْجَيْشِ أَقْيَسٍ عِنْدِي لِنَزُولِهِ هُنَاكَ فِي غَزْوَةِ الْعَبَادِلَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ انْدَرَسَ بَابَ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا بِانْدِرَاسِ رَسُومِ الْقَيْرَوَانِ وَانْدِرَاسِ⁽¹⁾ الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ سَأَلْتُ مَنْ لَقِيتُ مِنْ ثِقَاتِ شُيُوخِنَا الْقُرَوِيِّينَ وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ عَنْ هَذَا الْمَسْجِدِ، فَذَكَرُوا عَمَّنْ أَدْرَكُوهُ مِنْ شُيُوخِ الْقَيْرَوَانِ وَصَلَحَائِهِمْ أَنَّ مَسْجِدَ عَبْدِ اللَّهِ⁽²⁾ هُوَ الرَّبُوبَةُ الَّتِي بَيْنَ كُدَيْةِ الْقَلَالِينَ وَبَيْنَ بَابِ نَافِعِ الْأَقْدَمِ، فَأَمَرْتُ مِنْ كَشْفِ عَنْ ذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ فَوُجِدَتْ أَسْسُ الْمَسْجِدِ بِنَاءُ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْاِحْتِسَابِ وَلَمْ يَكْمَلْ لِلآنِ عَلَى مَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ.

ذِكْرُ مَنْ نَزَلَ الْقَيْرَوَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

قال: أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين جيش عبد الله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما سنة سبع

(1) في ت: فاندرس.

(2) في ت: عبد الله هذا.

وعشرين⁽¹⁾، ثم جيش معاوية بن حديج⁽²⁾ السَّكُونِي ثلاث مرات، ولي ذلك سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه أيضاً، ثم عقبه بن عامر الجُهَنِي⁽³⁾، ثم رويغ بن ثابت الأنصاري سنة سبع وأربعين، ثم عقبه بن نافع الفهري سنة خمسين⁽⁴⁾. وفيها اخْتَطَّ القيروان. وفي كُلِّ جَيْشٍ من هذه الجيوشِ تَنْزِلُ طَائِفَةٌ من الصحابة بأرض القيروان.

قلت: روى الواقدي عن ربيعة بن عباد الديلي⁽⁵⁾ قال: أغزانا عثمان رضي الله تعالى عنه إفريقية فخرجنا مع الناس حتى قدمنا مصر، فخرج عبد الله بن سعد وهو أمير الناس من مصر بمن كان معه وبمن قَدِمَ عليه من المدينة، فكانوا عشرين ألفاً، ونَحْنُ نُريدُ بطريق الرُّومِ بإفريقية يقال له جُرْجِيرٌ⁽⁶⁾ كان قد غلب على ما هنالك من

(1) النظر: تاريخ الطبري 2/ 597 دار الكتب العلمية الطبعة الثانية السنة 1988.

(2) في ط وت: خديج وهو خطأ فالصواب ما أثبتناه من كتب مترجميه فهو معاوية بن خديج بأحاء بن جفنة بن قتيبة... بن السَّكُونِ السَّكُونِي قد غزا إفريقية ثلاث مرات مفترقات. ترجم له في الاستيعاب لابن عبد البر ص: 672 - 673 رقم 2351، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر 6/ 111 رقم 8057 تهذيب التهذيب 10/ 203، تقريب التهذيب 2/ 194 رقم 2774. ولقد أصيبت عينه في غزوة الحبشة سنة 33هـ. انظر تاريخ خليفة بن خياط ص: 98.

(3) عقبه بن عامر بن عيس الجُهَنِي من جهينة ذكر خليفة بن خياط أن وفاته كانت سنة ثمان وخمسين (58هـ) تاريخ خليفة بن خياط ص: 139 دار الكتب العلمية ط 1، س 1992. للمزيد انظر عند الاستيعاب ص: 561 رقم 1898.

وذكره صاحب تاريخ الأمم والملوك الطبري في كتابه: تاريخ الطبري ضمن أحداث سنة ثمان وأربعين هجرية في قوله: «وغزوة عقبه بن عامر الجُهَنِي بأهل مصر» البحر 3/ 205، وشذرات الذهب 1/ 64.

(4) قال خليفة بن خياط سنة خمسين (50هـ) «وفيها وجه معاوية عقبه بن نافع إلى إفريقية فحفظ القيروان وأقام بها ثلاث سنين» ص: 129، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص: 224. قال أبو سعيد جردا ثم غزى عقبه بن نافع في سنة إحدى وخمسين غزوة مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ والي الهند من قبل معاوية بن أبي سفيان ص: 224 فتوح مصر والمغرب.

(5) في ت وط: الديلمي لتصحيح من كتاب فتوح مصر والمغرب ص: 352، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 70، والاستيعاب ص: 232 رقم 759.

(6) قال خليفة بن خياط في تاريخه سنة سبع وعشرين فيها غزى عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر، وولاهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فغزا ابن أبي سرح إفريقية ومعه العبادلة: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن زبير فمقي جرجير، وجرجير في مائتي ألف سبيطه على سبعين ميلاً من القيروان فقتل جرجير وسبوا وغنموا ص: 92، وفتوح مصر والمغرب ص: 211، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 71.

أرض المغرب. فلما فصل عبد الله من مصر، كان يقدّم الطلائع والمقدمات أمامه، وكثيراً ما كنت أكون في الطلائع، فوالله أنا لبَطْرَابُلُسَ إِذَا مَرَاكِبٌ قَدْ أُرْسَتْ بِالسَّاحِلِ فشددنا عليهم فأقاموا ساعة ثم استوسروا فَكَتَّفْنَاهُمْ وَهَم مائة حتى لحقنا ابن أبي سرح فقتلهم. وقد تحصن منا أهل طرابلس ولم يعرضوا لنا، فأخذنا ما في السفن، فكانت هذه أول غنيمة أصبناها ونحن في وجهتنا. ثم لحق بنا الناس وأقاموا أياماً وكانت السرايا في كل جهة تأتي بالبقره والشاة والعلف، ثم تمادينا حتى وردنا إفريقية فأقمنا أياماً تجري بيننا وبين جرجير ملكهم ندعوه إلى الإسلام وكلما دعونه إلى الإسلام نخر ثم استطال، وقال: لا أقبل هذا أبداً. فقلنا له: تُخْرِجُ⁽¹⁾ خَرَاجاً في كل عام، فقال: ولو سألتموني درهماً واحداً لم أفعل. ثم إننا تهيأنا لِلْقِتَالِ بعد الإعدار إليه⁽²⁾ فهيأنا عبد الله بن سعد فجعل ميمنة وميسرة وقلبا، وسار بأصحابه فقال له رجل من قبط مصر كان معه: إِنَّ الْقَوْمَ لَا يُصَافُونَكَ وَهَم يهربون فاجعل لهم كميناً وَفَرَّقَهُمْ في أماكن، ففعل ذلك عبد الله وغدا بنا على تعبئة والروم قد رفعوا الصليب وعليهم من السلاح ما الله به عليم⁽³⁾، ومعهم من الخيل ما لا يحصى فتشاوَلْنَا⁽⁴⁾ ساعة من النهار حتى صارت الشمس قَدْرَ رُمَحَيْنِ أو أكثر، ثم حمل عبد الله بالناس وحمِلْنَا معه فكانت الهزيمة عليهم، وَكَرَّ الْكَمِينَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ فَظَلَبُوا الصُّلْحَ فَصَالَحَهُمْ عبد الله بن أبي سرح على خراج. روي عن أسامة بن زيد الليثي أن الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ألفاً دينار وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أن عبد الله بن سعد غزا إفريقية في جماعة من الصحابة فلقى جرجيراً في سبيلته وهي مدينة على سبعين ميلاً من القيروان⁽⁵⁾، فقتل جرجيراً وهو في مائة ألف وصالح بن أبي سرح أهل الحصون، وأهل المدائن على مائة ألف رطل من الذهب. قال أبو عثمان سعيد بن عفير في تاريخه: ولما سمعت الروم والأزارقة بخروج عبد الله بن سعد ووصلوه إلى إفريقية، خرجوا إليه ومعهم جرجير في جمع كثير من الروم، فلما التقى المسلمون بآدر جرجير بالبراز فبرز إليه

(1) في ت: تخرج لنا.

(2) في ت: إليه منا.

(3) في ت: ما الله أعلم به.

(4) تشاولنا: تشاول القوم تشاولاً إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح. مادة «شول» انظر لسان العرب 377/11.

(5) انظر تاريخ خليفة بن خياط ص: 92، وفتوح مصر والمغرب ص: 211.

عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فقتله ابن الزبير⁽¹⁾. ومنهم من قال: قتلاه جميعاً ثم كانت الهزيمة واتخذ المسلمون ذلك المنزل مُعَسَّكراً ومنزلاً، وأصابوا لهم غنائم كثيرة، وَقَسَمَ عبد الله الفيء⁽²⁾ على الصحابة فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف مثقال، وتولى قَسَمَ الغنيمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ونفل عبد الله بن أبي سرح عبد الله بن الزبير ابنة⁽³⁾ جرجير لأنه قتل جرجير أباهما وبلغ الخُمسُ أربعمئة ألف دينار. واجتمعت الروم بعد قتل جرجير إلى كورة من الكور حصينة، فسار إليهم عبد الله بن أبي سرح بمن معه [من المسلمين]⁽⁴⁾ فضالحوه على ثلاثمئة قنطار ذهباً، وهي ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، فقَبَضَهَا مِنْهُمْ وانصرف عنهم. وسئل يومئذ بعض الأسارى من أين كثرت أموالكم؟ فبادر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه، فأخذ منها عوداً فأراه إياه، وقال: من هذا جمعنا هذه الأموال، نصيب الزيت فيأتينا أهل البحر والجزائر والصحاري فيبتاعونها منا، فمنه كثرت أموالنا. وذكر أن ابنة جرجير أشرفت

(1) في كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس: أن عبد الله بن سعد غزا إفريقية فقتل جرجير وأصاب الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار ص: 71. أما في كتاب فتوح مصر المغرب: وكان الذي ولي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير، وهرب جيش جرجير فبث عبد الله بن سعد السرايا وفرقها فأصابوا غنائم كثيرة ص: 211، ثم في رواية أخرى من نفس الصفحة للكتاب قال عبد الحكم: حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد عن غير واحد أن عبد الله بن سعد غزا إفريقية وقتل جرجير ص: 211.

(2) الفيء: مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع. والفيء ما كان شمساً فينسخه الظل، جمع أفياء وفيوء. القاموس المحيط ص: 46.

واصطلاحاً: هو المال الذي أخذه المسلمون من أعدائهم دون قتال ودليله من الكتاب: ﴿مَّا قَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلْيَنَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾ [الحشر: 7] للمزيد انظر فتح الباري 6/330.

(3) قد صارت ابنة جرجير لرجل من الأنصار في سهمه، فأقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له، فجعل يرتجز:

يا ابنة جرجير تمثني غفبتك إن عليك بالحجاز رببتك
لتحملن من قبائ قربتك

قالت: ما يقول هذا الكلب؟ فأخبرت بذلك فألقت نفسها عن البعير الذي كانت عليه، فدقت عنقها فماتت. فتوح مصر والمغرب ص: 212.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من ط ووارد في ت.

على العرب في عسكرهم فاستقلتهم، فقالت لأبيها: لا تسرع بالقتل في هؤلاء وانحلنيهم، فقال لها: قد نحلكت إياهم فالتقوا وهي تنظر فهزمتهم الله عز وجل وقيل أبوها جرجير وهي تنظر فتنازع الناس في قتله، فقالت: ما للعرب يتنازعون؟ فقيل لها: في قتل أبيك، فبكت وقالت: قد رأيت الذي أدرك أبي وقتله. فقال عبد الله بن سعد هل تعرفينه؟ فقالت: إذا رأيته في الحالة التي أدرك أبي فيها عرفته، قال: فأخذ عبد الله الناس بالعرض فمروا بين يديها وهي تنظر، حتى مر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فقالت: هذا قاتل أبي، فقال لها عبد الله بن سعد: كتمتنا يا أبا بكر قتلك إياه، فقال له: قد علمه الذي قتلته له، فنقله ابن أبي سرح ابنة الملك وفي ذلك يقول ابن الزبير حين بلغه أن أباهما نحلها العرب لما سأله ذلك:

يا ابنة جرجير تلقي^(*) نحلتك لقيت بالنحلة ثكلى ابتك
لتأخذن في الطريق عقبتك لتسقين شرماء قربتك
شر عجوز بالحجاز ربتك

وقيل: إنه لما حضر القتال، أخرج جرجير ابنته وأبسها حليها وثيابها وأسفر عن وجهها، وكان عدة خدمها اللاتي صعدن معها الدئدبان أربعين خادماً فقال جرجير الملك: أتدرون من هذه؟ فقالوا: نعم يا سيدنا هذه ابنة الملك، وهؤلاء خدمها، فقال لهم: وحق المسيح والنصرانية لا يقتل عبد الله بن سعد منكم رجل إلا زوجته ابنتي وسقت إليه ما معها من الخدم والحلي، وأنزلته المنزلة التي لا يطمع فيها أحد عندي، فلم يزل يقول ذلك، حتى مشى على جميع رجاله فحرص بذلك الروم تحريضاً كثيراً؛ فلما انتهى لعبد الله بن سعد ما فعل جرجير نادى في عسكره وأخبرهم بالذي كان من جرجير، ثم قال لهم: وحق محمد بن عبد الله رسول الله لا يقتل رجل منكم جرجيراً إلا نفلته ابنته وما معها؛ ثم زحف بمن معه من المسلمين، فضرب الله عز وجل في وجوه الروم، وأدرك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جرجيراً فقتله. قال عبد الله بن الزبير: هجم علينا جرجير في عسكرنا في عشرين ومائة ألف فأحاطوا بنا من كل مكان وسقط في يد المسلمين، ونحن في عشرين

(*) تلقي بسكون الياء وحذف النون منه وفي هذا الرجز من كمال إعراض ابن الزبير عن زخارف الدنيا ما لا يخفى.

ألفاً، فاختلف الناسُ على ابن أبي سرحٍ فَدَخَلَ فُسْطَاطاً له⁽¹⁾ ورأيت غرة من جرجير، نظرت بها خَلْفَ عَسَاكِرُهُ على بردون أشهب، معه جَارِيَتَانِ له تظللان عليه بريش الطَّوَاوِيسِ وبينه وبين جرجير أرضٌ بَيْضَاءُ ليس فيها أحد، فخرجت أطلب ابن أبي سرح، فقيل لي: قد خلا في فُسْطَاطِهِ فَأَتَيْتُ حَاجِبَهُ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لِي عليه فدرت من كسر الفسطاق فدخلت عليه فوجدته مستلقياً على ظهره فلما دخلت عليه فزع فاستوى جالساً فقلت له: إيه إيه كل أزف⁽²⁾ يفوز فقال: ما أدخلك علي يا ابن الزبير؟ فقلت له: أني رأيت عورة من العدو فاخرج فاندب [إلي]⁽³⁾ الناس قال: وَمَا هي؟ فأخبرته فخرج مَعِي سريعاً فقال: يا أيها⁽⁴⁾ الناس، انتدبوا مع ابن الزبير، فاخترت ثلاثين فارساً وقلت لِسَائِرِهِمْ: اثبتوا على مَصَافِكُمْ، وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجيراً وقلت لأصحابي: احموا ظهري فوالله ما نَسَبْتُ أَنْ خَرَقْتُ الصَّفَّ فخرجت [إليه]⁽⁵⁾ صابراً لِلَّهِ، ولا يحسب هو وأصحابه إلا أني رسول الله حتى دنوت منه، فعرف الشرَّ في وَجْهِهِ فَشَنَى بَرْدُونَهُ مُوَلِّياً فَأَذْرَكْتُهُ مُبَادِراً فدفعت بالسَّيْفِ عليه فأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها، واحتزرت رأسه فنصبته في رُمْحِي وَكَبَّرْتُ وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه وَارْفَضَ الْعَدُوُّ في كل وجه، وَمَنَحَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ أكَتَافَهُمْ، فلما أراد ابن أبي سرح أن يوجه بشيراً إلى عثمان أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه قال: أَنْتَ أَوْلَى مِنْ هَاهُنَا بِذَلِكَ انطلق إلى أمير المؤمنين فَأَخْبِرُهُ الْخَبِيرَ، فقدمت على عثمان رضي الله تعالى عنه فأخبرته بنصر الله وفتحته ووصفت له أمرنا كما كان. وَرُوِيَ عن عبد الله بن نافع، وعبد الملك بن حبيب أن عبد الله بن الزبير وصل من إفريقية إلى المدينة في شهر⁽⁶⁾. وذكر الحسن بن سعيد الخراط أنه وصل إلى المدينة من سُبَيْطَلَّةَ في ثمانية عشر يوماً، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ ابن

(1) سقط من ط، الزيادة من: ت.

(2) أزف: السريع النسيط.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. ووارد في ط.

(4) في ط: يليها، التصويب من: ت.

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. الزيادة من: ط.

(6) في كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم المتوفى سنة 257هـ أنه قضى على راحلته إلى المدينة من إفريقية عشرين ليلة. ص: 213.

بضع وعشرين سنة، فَلَمَّا وَصَلَ عبد الله بن الزبير إلى المدينة وأخبر عثمان رضي الله تعالى عنه⁽¹⁾ بما كان من الفتح، أمره عثمان رضي الله تعالى عنه أن يقوم بذلك خطيباً في مسجد رسول الله ﷺ وقال: أنا وهبت لك ذلك، فقام أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه خطيباً في الناس، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثم قال: أيها الناس إن الله فتح عليكم إفريقية، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله تعالى. وكان عبد الله إلى جانب المنبر فقام وقال: الحمد لله الذي أَلَّفَ بيننا بعد الفُرْقَةِ، وجعلنا متحابين بعد البغضة الذي لا تجحد نَعْمَاؤُهُ ولا يزول ملكه، له الحمد كما حمد نفسه، وكما هو أهله، انتخب محمد ﷺ واختاره بعلمه، وائتمنه على وَحْيِهِ، واختار له من الناس أعواناً قذف في قلوبهم تَصْدِيقَهُ ومَحَبَّتَهُ، فَأَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَوَقَّرُوهُ، وجاهدوا في الله حق جهاده فَاسْتَشْهَدَ اللهُ مِنْهُمْ من⁽²⁾ استشهد على المِنْهَاجِ الْوَاضِحِ، والبيع الرَّابِحِ، وبقي منهم من بقي لا تأخذه في الله لَوْمَةٌ لَأِيمٍ، أيها الناس⁽³⁾ رحمكم الله تعالى إنا خرجنا للوجه الذي علمتم، فكنا مع وَالٍ حَافِظٍ حَفِظَ وَصِيَّةَ أمير المؤمنين فكان يَسِيرُ بِنَا الْأُبْرَدِيِّينَ⁽⁴⁾ ويخفض بنا في الظهائر، ويتخذ اللَّيْلَ جَمَلًا، يتعجل⁽⁵⁾ التَّرْجِيلَ إِلَى المنزل المقر، ويطيل اللَّبْثَ فِي الْمَنْزِلِ الْخَصْبِ، فلم يزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا حتى انتهينا إلى إفريقية، فنزلنا بها حيث يَسْمَعُونَ صَهِيلَ الْخَيْلِ وَرُغَاءَ الْإِبِلِ وَقَعْقَعَةَ السَّلَاحِ، فَأَقَمْنَا أَيَّامًا نَنجَمُ كُرَاعَنَا وَنُضَلِّحُ سِلَاحَنَا، ثم دعوناهم إلى الإسلامِ وَالِدُخُولِ فِيهِ فَأَبْعَدُوا مِنْهُ فَسَأَلْنَاهُمْ الْجِزْيَةَ عَنْ صَغَارٍ أَوْ الصُّلْحَ فَكَانَتْ هَذِهِ أَبْعَدَ، فَأَقَمْنَا فِيهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً نَنْتَظِرُ بِهِمْ وَتَخْتَلِفُ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا يئَسَ مِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثم ذكر فضل الجهادِ وَمَا لِصَاحِبِهِ إِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ ثم نَهَرَ إِلَى عَدُوِّهِ فَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ فَكَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَقْتَلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَاسْتَشْهَدَ اللهُ رِجَالًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَبَاتُوا وَبِتْنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ فِي

(1) سقطت صيغة الترضي من: ت. (2) في ت: ما.

(3) في ت: اعلموا رحمكم.

(4) الأبردين: وقت الصبح، وبعد العصر وهما طرفي النهار.

(5) في ت: يعجل.

مَلَأْهِمْ وَخُمُورِهِمْ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَخَذْنَا مَصَافِنَا كَالَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ، فَزَحَفَتْ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ فَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا صَبْرَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَصْرَهُ، فَفَتَحْنَاهَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَأَصَبْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَفَيْئًا وَاسِعًا فَبَلَغَ فِيهِ الْخُمْسُ مِائَةَ أَلْفٍ يُصَفَّقُ عَلَيْهَا مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَتَرَكْتُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَأَغْنَاهُم النَّفْلَ، وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَشْرَةَ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبِلَادِ، وَأَذَلَّ مِنَ الشَّرِكِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آيَاتِهِ وَمَا أُجِلَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ. ثُمَّ صَمَتَ فَتَنَهَضَ إِلَيْهِ أَبُوهُ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: ﴿ذُرِّيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 34]. وَاللَّهُ يَا بَنِي مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَتَ. وَعَنْ عَيْسَى بْنِ مَسْكِينٍ⁽¹⁾ أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَانَ: سَمِعْتُ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا أَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ⁽²⁾ يَقُومَ خَطِيْبًا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَقَامٍ قَامَهُ فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى أَبِيهِ الزُّبَيْرِ، فَأَقْبَلَ مُسْرِعًا وَهُوَ يَقُولُ: غَفَرَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَرَضَ هَذَا الْغَلَامُ بِهَذَا الْمَقَامِ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ وَهُوَ حَدِيثُ السَّنَنِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ رَأَى قَائِمًا قَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي آخِرِ النَّاسِ، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَسْلِيْدَهُ وَتَثْبِيْتَهُ، فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْفَقًا فِي خُطْبَتِهِ حَتَّى فَرَّغَ. فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِ وَهَنِي بِذَلِكَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا أَبِي وَأُمِّي لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ مَا أَذْكَرَنِي فَوْهَاتِ⁽³⁾ جَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ. وَأَقَامَ ابْنُ أَبِي⁽⁴⁾ سَرْحَ بِسَبِيْطَلَةَ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى عَسْكَرِهِ وَالْحَاكِمُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومَ الَّذِينَ بِالسَّاحِلِ مَا حَلَّ بِجَرَجِيرٍ وَأَهْلِ سَبِيْطَلَةَ، غَارَتْ أَنْفُسُهُمْ وَتَجَمَّعُوا وَكَاتَبَ⁽⁵⁾ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَقْلَمُوا حَرْبَ ابْنِ أَبِي سَرْحَ فَخَافَ مِنْهُمْ لَمَّا مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَكَتَبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِمِصْرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْدُبَ إِلَيْهِ

(1) هو عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي أصله من العجم، سمع من سحنون وابنه جميع كتبه. توفي سنة 275 هـ. ترجم له في: الديباج المذهب ص: 280 رقم 363، شذرات الذهب 2/ 220.

(2) سقط من: ط، الزيادة من: ت.

(3) الفوهات، بضم الفاء وتشديد الواو: المقالات.

(4) في ط: أبي سرح. التصويب من: ت وهو الصواب.

(5) في ت: وكانت.

مراكب في البحر، ويجعل فيها غنائم المسلمين، فوصل كتابه إلى مصر وأخذ خليفته فيما أمره به؛ واتصل بالروم قصد ابن أبي سرح إياهم واستقباله حربهم فخافوه وَرَأَسَلُوهُ وَدَارَ بَيْنَهُمْ تَشَاوُرٌ فَجَعَلُوا لَهُ جُعْلًا⁽¹⁾ على أن يَرْتَحِلَ بِجَيْشِهِ وَلَا يَعْتَرِضُونَهُ لِشَيْءٍ مَعَهُ، فَأَجَابَهُمْ⁽²⁾ إلى ذلك وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ مِائَةَ قِنْطَارٍ ذَهَبًا، فَقَبَضَهَا مِنْهُمْ وانصرف عَنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى مِصْرَ، بعد أن أقام بإفريقية سنة وشهرين؛ فلما وصل إلى طرابلس وَافَتْهُ الْمَرَائِبُ، فحمل فيها أثقال جيشه وَنَفَذَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مِصْرَ سالمين، ووجه إلى عثمان رضي الله تعالى عنه بالأموال التي معه من الخمس وغيره، ف وقعت الفتنة بِإِثْرٍ⁽³⁾ ذلك، واستشهد عثمان رضي الله تعالى عنه. وَوَلِيَ بَعْدَهُ علي رضي الله تعالى عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية، فلما ولي معاوية، عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن مصر وإفريقية وولي عليها معاوية بن حُديج⁽⁴⁾ الكندي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وكان ذلك في سنة أربعين⁽⁵⁾ فأراد معاوية غزو إفريقية فأغزاها معاوية بن حديج، فخرج معاوية من مصر وهو عامل معاوية⁽⁶⁾ بن أبي سفيان، عليها سنة خمس وأربعين ومعه عبد الله بن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين، وكان معه أيضاً عبد الملك بن مروان،

(1) جُعْلًا: عَطَاءٌ. القاموس المحيط مادة «جعل» ص: 879.

(2) في ط: فأجلبهم. التصويب من: ت.

(3) في ت: على إثر.

(4) في ط وت: معاوية بن حُديج وهو خطأ والصواب ما أثبتناه بالحاء. ترجم له في تاريخ خليفة بن خياط ص: 98، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 71. وقد سبق الحديث من هذا.

(5) جاء في طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب عن يزيد بن أبي حبيب، أن معاوية بن حُديج غزاً إفريقية ثلاث غزوات أما الأولى فسنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، قال: وكانت تلك الغزاة لا يعرفها كثير من الناس، وأما الثانية فسنة أربعين، وأما الثالثة فسنة خمسين ص: 71.

(6) معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان: صخر، بن حرب، بن أمية، بن عبد شمس، بن عبد مناف؛ وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة يكنى أبا عبد الرحمن، بويع له بالخلافة سنة 40هـ، بايعه فيها الحسن بن علي، وتوفي في رجب سنة ستين (60هـ)، وكانت خِلاَفَتُهُ تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. ترجم له في تاريخ الطبري 3/ 167 - 269، والاستيعاب لابن عبد البر ص: 668 - 671 رقم 2346.

ويحيى بن الحكم، والأكدر بن حُمام اللّخمي، وكُريب [بن أبرهة بن الصماخ]⁽¹⁾ وخالد بن ثابت الفهمي⁽²⁾، وأشرف من جند مصر، حتى وصل إلى إفريقية فقصده جلولاء وعليها عامل لجرجير الرومي الذي كان ملك سبيطلة، فنزل بجيشه على قمونية وهي قيروان إفريقية، فرحل منها إلى جبل يقال له القرن، ويقال: إنما سُمِّي القرن لقول معاوية: ارحلوا بنا إلى ذلك القرن. ويقال: إنه نزلَ جبلاً بإفريقية يقال له ممطور غربي مدينة قُمونية على فراسخ منها فأصابه مطر شديد فقال: إنَّ جبَلنا هذا لممطور، فسمي ممطوراً إلى اليوم، فعند ذلك قال: اذهبوا بنا إلى ذلك القرن ثم رحل منه إلى مدينة جلولاء، فلما وصل إليها امتنعوا منه وتحصنوا فحاصروهم حتى فتحها، وكان سبب فتحها أن معاوية لما طال مقامه عليها، رحل عنهم يريد القفول، فلما سار عنهم قليلاً، ذكر رجل من عسكره أنه نسي قوساً بمعسكره فرجع في طلبه، فرأى ركناً من أركان جلولاء قد تهدم، فلحق معاوية فأخبره ويقال: إنه لما انصرف جعل فرسان الناس وحماتهم على ساقه العسكر فساروا غير بعيد، ثم نظروا فإذا خلفهم غبار شديد ووهج⁽³⁾ فوق العسكر وخف من كان على الساقه نحو ذلك الغبار، حتى وقفوا على مدينة جلولاء فإذا هي قد وقع حصنها من ناحية ولحده من ركن إلى ركن فلم يبق منه شيء إلا لصق بالأرض، فأنصرف العسكر إليها فنزلوا على حصنها من جهة الهدم وألقوا بأنفسهم إلى⁽⁴⁾ الموت فقاتلوهم قتالاً شديداً فهزم الروم وقتل رجالهم وأنجادهم، ودخلوها بالسيف فأصابوا فيها سبياً كثيراً وغنائم. ويقال: إن معاوية بن حديج مضى إليها بجميع عسكره، فغنم كل ما كان فيها، ثم أنفذ الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام، ويقال: إن الذي نسي القوس عبد الملك بن مروان.

(1) في ط و ت: كريب بن أبيزة بن الصماخ بالحاء في ط. والصماخ بالخاء في ت. بينما في كتب التراجم والتصحيح ورد منها (كريب بن أبرهة) ولم يرد فيها ذكر الصماخ أو الصماخ. وهو تابعي ثقة من خيار التابعين. توفي سنة 98هـ، ترجم له في تاريخ الثقات للعجلي ص: 397، الاستيعاب ص: 637، رقم 2227، تهذيب التهذيب 433/8، وخليفة بن خياط ص: 169 و202.

(2) في ط و ت: الفهري. التصويب من: تاريخ خليفة بن خياط ص: 137، وطبقات علماء إفريقية ص: 83.

(3) في ت: وهرج.

(4) في ت: على.

قال أبو بكر المالكي: قال أبو العرب: إن معاوية بن حُديج غزا إفريقية ثلاث غزوات: أما الأولى في سنة⁽¹⁾ أربع وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وكانت تلك الغزوة⁽²⁾ لا يعرفها كثير من الناس، وأما الثانية فسنة أربعين⁽³⁾ وأما الثالثة فسنة خمسين⁽⁴⁾ من الهجرة. وقال محمد بن يوسف الوراق القيرواني: إن معاوية بن حُديج غزاها سنة أربع وثلاثين وهي أول غزواته، ثم غزاها عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر بن مالك سنة اثنين وأربعين وقيل سنة واحد⁽⁵⁾ وأربعين ثم غزاها معاوية بن حُديج، وهي حرب كلها.

[فتح صقلية]

وغزا معاوية جزيرة صقلية في مائتي مَرَكِبٍ وَأَصَابَ فِيهَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، وانصرف إلى قَمُونِيَّةٍ فقسَّم عليهم فَيَّبَهُمْ وبعث بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان وهو إذ ذاك خليفة؛ وهذه الغزوة هي غزوة معاوية بن حُديج الثانية، كانت سنة خمس وأربعين، وقيل سنة إحدى وخمسين، انتهى كلام الوراق. قال المالكي: فلما وصلت الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان أعاد معاوية بن حُديج بجيوش الشَّام ومصر إلى إفريقية، واحتفر الآبار التي تسمى اليوم آبار حُديج بباب تونس، وإنما احتفرها إذ كان عسكره هناك. ثم غزا منها بَنَزْرَتْ، وغنم غنائم كثيرة من نواحيها⁽⁶⁾، ورجع قَافِلاً إلى قَمُونِيَّةٍ وبنى بناحية القرن مساكن وسماها قيرواناً، وموضع القيروان غير مسكون ولا معمور، ثم رحل معاوية بن حديج من إفريقية إلى معاوية بن أبي سفيان فرفع الغنائم إليه، فعزله⁽⁷⁾ معاوية عن مصر وولي عليها مسلمة بن مخلد الأنصاري فوجه

(1) في طبقات علماء إفريقية لأبي العرب ص: 71، ورياض النفوس ص: 30 فسنة.

(2) في طبقات علماء إفريقية ص: 71، ورياض النفوس ص: 30: الغزاة.

(3) في ط: 45 وفي ت كتبت حروفاً. التصويب من طبقات علماء إفريقية ص: 71.

(4) انظر كتاب فتوح مصر والمغرب ص: 221.

(5) دخل عقبة بن نافع الفهري إفريقية مرتين وَقُتِلَ بِهَا. طبقات علماء إفريقية ص: 80. وفي تاريخ

خليفة بن خياط: أن سنة إحدى وأربعين ولى عمرو بن العاص وهو على مصر عقبة بن نافع

الفهري وهو ابن خالة عمرو إفريقية ص: 124.

(6) في ط: واجبها، الإصلاح من: ت.

(7) في ت: ثم عزله.

مُسَلِّمَةُ خَالِدِ بْنِ ثَابِتِ الْفَهْمِيِّ⁽¹⁾ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ وَكَانَ مِنَ التَّابِعِينَ فَخَرَجَ فِي مُحْرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ فَانْتَهَى إِلَى مَوَاضِعَ مِنْهَا، وَأَصَابَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ثُمَّ عَزَلَهُ مُسَلِّمَةُ وَوَلَّى أَبَا الْمُهَاجِرِ⁽²⁾ مَوْلَاهُ بِجَيْشٍ مِنْ قَبْلِهِ، فَوَصَلَ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ فَأَخَذَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ الْفَهْرِيِّ فَحَبَسَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ خَبْرَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْمُهَاجِرِ بِأَمْرِهِ بِتَخْلِيَّتِهِ وَيُعْنَفُهُ فِيمَا صَنَعَ بِهِ، فَأَطْلَقَهُ أَبُو الْمُهَاجِرِ وَأَرْسَلَهُ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِهِ حَتَّى أُخْرِجَهُ مِنْ قَابَسٍ، فَمَضَى وَهُوَ حَنِقٌ عَلَى أَبِي الْمُهَاجِرِ، فَدَعَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو الْمُهَاجِرِ خَائِفًا مِنْ دُعَائِهِ؛ وَقَالَ: هُوَ عَبْدٌ لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ. ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْمُهَاجِرِ صَالِحَ بَرَبَرٍ إِفْرِيْقِيَّةٍ وَفِيهِمْ كَسِيلَةُ الْأُورْبِيِّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَاتَّخَذَهُ صَدِيقًا وَصَالِحَ عَجْمِ إِفْرِيْقِيَّةٍ، وَخَرَجَ بِجِيُوشِهِ نَحْوَ الْمَغْرِبِ فَفَتَحَ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْعَيُونِ الَّتِي تُسَمَّى الْيَوْمَ عَيُونِ أَبِي الْمُهَاجِرِ نَحْوَ تَلْمَسَانَ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ عَلَى الْقَيْرَوَانِ أَحَدٌ يَنْظُرُ فِيهَا لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ خَرَجَ مَعَهُ وَلَمْ يَبْقَ بِهَا إِلَّا شَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَأَطْفَالٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَأَقَامَ بِهَا، انْتَهَى كَلَامُ الْمَالِكِيِّ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الْوَرَّاقِ: إِنَّ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ الْفَهْرِيِّ غَزَا إِفْرِيْقِيَّةَ غَزْوَتَهُ الثَّانِيَةَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ⁽³⁾ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَافْتَتَحَ كَثِيرًا مِنْ حُصُونِهَا وَأَثَخَنَ فِي قَتْلِ الرُّومِ وَالْبَرْبَرِ، وَأَخْتَطَّ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانِ وَتَحَوَّلَ بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ قَدِمَ أَبُو الْمُهَاجِرِ دِينَارًا⁽⁴⁾ مَوْلَى مُسَلِّمَةَ بْنِ مُخَلَّدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ فَعَزَلَ عُقْبَةَ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ وَخَرَّبَ مَا كَانَ اخْتَطَّهُ وَبَنَاهُ بِالْقَيْرَوَانِ، وَأَخْتَطَّ مَدِينَةَ تَاكْرُونَ⁽⁵⁾ وَهِيَ بِجُوفِي إِفْرِيْقِيَّةِ عَلَى نَحْوِ مِيلَيْنِ وَجَدَّ فِي بَنَائِهَا وَتَشْيِيدِهَا، وَلَمْ يَزَلْ عُقْبَةَ فِي حَبْسِهِ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بِأَمْرِهِ بِإِطْلَاقِهِ. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَلَمَّا سَرَحَ عُقْبَةَ مِنْ إِثْقَانِهِ تَوَجَّهَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَوَجَدَهُ قَدْ تُوْفِيَ وَوُلِّيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ⁽⁶⁾ يَزِيدٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا فَعَلَ⁽⁷⁾ أَبُو الْمُهَاجِرِ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَا حَلَّ بِهِ مِنْهُ، وَقَالَ: فَتَحْتُ إِفْرِيْقِيَّةَ وَبَنَيْتُ مَسْجِدَ الْجَامِعِ فَبِعَثْتُمْ عَبْدَ الْأَنْصَارِ فَأَهَانَنِي

(1) فِي ت وَ ط: الْفَهْرِيِّ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ مِنْ: طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةِ ص: 83، وَتَارِيخِ خَلِيفَةَ بْنِ خِيَاطٍ ص: 137، وَكِتَابِ الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ لِابْنِ حَجْرٍ 2/ 87 رَقْمٌ 2145 ضَمَّنَ تَرْجُمَةَ خَالِدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ طَاعِنِ بْنِ الْعَجْلَانِ.

(2) انظُرْ تَارِيخَ خَلِيفَةَ بْنِ خِيَاطٍ ص: 137.

(3) فِي ط كَتَبْتُ عَدَدًا (46). (4) فِي ت: دِيَارٌ. لَعْنَهُ سَبَقَ قَلَمٌ.

(5) فِي ت: تَاكْرُونَ. (6) سَقَطَ مِنْ: ت.

(7) فِي ت: بِمَا صَنَعَ.

وأساء عُزْلَتِي فغضب اليزيدُ وقال: أدركوها قبل أن يُخَرَّبَهَا، وردَّ عقبة إليها وأزال ولاية مَسْلَمَةَ عنها وأقره بمصر وذلك سنة اثنتين وستين⁽¹⁾ من الهجرة فقدم عقبة إليها في عشرة آلاف فارس فوصل إلى القيروان، فأخذ أبا المهاجر فحبسه وَقَيْدَهُ وأخذ منه ما وجد بيده من الأموال فبلغ ذلك مائة ألف دينار ذهباً، وَجَدَّ بِنَاءَ القيروان وشيَّدَهَا ونقل إليها الناس فعمرت، وصلاح⁽²⁾ شأنها وعلا قَدْرُهَا وأعزَّ اللهُ بِهَا الإسلام، وأقرَّ بِهَا أَعْيُنَ الْأَنَامِ. ثُمَّ إن عقبة خَرَجَ بِأَصْحَابِهِ وَبِكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ إِلَى الْمَغْرِبِ واستخلف عليها عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي⁽³⁾ وخرج بأبي المهاجر معه موثوقاً ولما خرج عقبة دعى بأولاده فقال لهم:

[وصية عقبة بن نافع لأبنائه وفيها من جوامع الحكم والآداب]

إِنِّي بَعْتُ نَفْسِي مِنَ اللَّهِ وَلَا أَدْرِي مَا يَقْضِي عَلَيَّ فِي سَفَرِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا بَنِي إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثِ خِصَالٍ فَاحْفَظُوهَا وَلَا تَضِيعُوهَا: إِيَّاكُمْ أَنْ تَمْلُؤُوا ضُدُورَكُمْ شِعْرًا وَتَتْرُكُوا الْقُرْآنَ، امْلُؤُوا [ضُدُورَكُمْ]⁽⁴⁾ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى اللَّهِ، وَخُذُوا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا تَهْتَدِي بِهِ أَلْسِنَتِكُمْ وَيَدْلِكُمْ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ انْتَهَوْا عَمَّا وِرَاءَهُ؛ وَأَوْصِيكُمْ أَنْ لَا تَدَايِنُوا وَلَوْ لِبَسْتِمِ الْعَبَاءِ فَإِنَّ الدَّيْنَ ذُلٌّ بِالنَّهَارِ وَهَمٌّ بِاللَّيْلِ، فَدَعُوهُ تَسْلَمَ لَكُمْ أَقْدَارُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ وَتَبْقَى لَكُمْ الْحُرْمَةُ مَعَ النَّاسِ مَا بَقِيْتُمْ؛ وَلَا تَقْبَلُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَغْرُورِينَ الْمُرْخِصِينَ فَيُجْهَلُوكُمْ⁽⁵⁾ دِينَ اللَّهِ، وَيَفْرُقُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَلَا تَأْخُذُوا دِينَكُمْ⁽⁶⁾ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالْحَيْطَةِ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكُمْ، وَمَنْ أَحْتَاظَ سَلِمَ وَنَجَا⁽⁷⁾ ثُمَّ قَالَ⁽⁸⁾: وَعَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ، وَأَرَانِي لَا تَرُونِي بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا». [ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ نَفْسِي فِي رِضَاكَ، وَاجْعَلِ الْجِهَادَ رَحْمَتِي مِنْ دَارِ كِرَامَتِي عِنْدَكَ]⁽⁹⁾.

ثُمَّ سَارَ لَا يُدَافِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَاغَايِ وَالرُّومِ يَهْرَبُونَ مِنْ طَرِيقِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا

(1) كتبت عدداً في ط 62هـ.

(2) في ت: وعظم.

(3) فتوح مصر والمغرب ص: 222.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ط الزيادة من: ت.

(5) في ط: فيعلوكم، وفي ت: فيحلونكم، التصويب من رياض النفوس ص: 34 وهو الأقرب إلى الصواب.

(6) في ط: دينا، التصويب من: ت. (7) في ت: ونجا فيمن نجا.

(8) إسقاط الواو من: ت.

(9) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت، ورياض النفوس ص: 34.

ثم فحاصرها⁽¹⁾ وقد اجتمع فيها⁽²⁾ الروم فقاتلهم قتالاً شديداً، وحاصرهم ثم انهزم عدوهم فقتلهم قتلاً ذريعاً وغنم أموالهم، ثم كره أن يُقيم عليهم، فرحل⁽³⁾ عنهم.

[فتح تلمسان]

ونزل على تلمسان وهي من أعظم مدائنهم، وانضم إليها من حولها فخرجوا إليها في عددٍ لا يعلمه إلا الله، فقاتلهم حتى ظن المسلمون أنه الفناء، فضرب الله في وجوه الروم، فقاتلهم إلى باب حصنهم وأصاب الناس منهم غنائم كثيرة.

[فتح الزاب]

ثم كره المقام عليهم⁽⁴⁾ فرحل يريد الزاب فسأل عن أعظم مدائنه، فقيل له: مدينة يقال لها آذنة وهي دار ملكهم⁽⁵⁾ وكان حولها ثلاثمائة قرية وستون قرية كلها عامرة، فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم، هربوا إلى حصنهم وإلى⁽⁶⁾ الجبال؛ فلما قدم عقبه، نزل على وادٍ منها على ثلاثة أميالٍ أو أكثر قليلاً فلَقَّوه عند الوادي في وقت المساء وكان وقت نزوله، فكره قتالهم بالليل، فتواقف القوم الليل كله لا راحة لهم ولا فترة ولا نوم، فسماه الناس إلى اليوم وادي سَهْر⁽⁷⁾ لأنهم سهروا عليه؛ فلما أصبح عقبه صلى الصبح، ثم أمر المسلمين بقتالهم فقاتلوهم قتالاً ما رأى المسلمون قتالاً مثله قط، حتى يئس المسلمون من أنفسهم؛ ثم أعطاهم الله عز وجل الظفر فانهزم الروم وقيل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم؛ واستولت الهزيمة على بقيتهم، وفي هذه الغزوة ذهب عز الروم من الزاب وذلوا فكره عقبه المقام عليهم وقد تحصنوا فرحل منها يريد المزاب حتى نزل تاهرت فاستغاث الروم بالبربر فأجابوهم ونصروهم فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس إن أشرافكم وخياركم الذين رضي الله عنهم وأنزل إليهم كتابه، بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرفكم والسابقون منكم للبيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته ببيعة رابحة وأنتم اليوم في دار غربة،

(1) في ط: حاصرها.

(2) في ط: بها.

(3) في ط: ورحل.

(4) في ت: عليها.

(5) في ط: ملكها.

(6) إسقاط الواو من: ت وثبوته في ط.

(7) رياض النفوس ص: 37.

وإنما بايعتم رب العالمين وقد نظر إليكم في مكانكم هذا؛ ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لِرِضاهُ وإعزازاً لِدِينِهِ، فَأَبْشِرُوا فكلما كَثُرَ الْعَدُوُّ كَانَ أَخْزَى لَهُمْ وَأَذَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَرَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْلَمُكُمْ فَالْقَوْمَ بِقُلُوبِ صَادِقَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَكُمْ بِأَسْهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ، فَقاتِلُوا عَدُوَّكُمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ فَالتَقَى الْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ فَاقْتَلُوا قِتالاً شَدِيداً، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِقِتالِ الْعَرَبِ مِنْ طاقَةِ فَوْلُوا هَارِبِينَ، فَقتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ قِتالاً ذَرِيعاً أَبادُوا فِيها فَرسانَ الْبَربرِ وَتَفَرَّقَ جَمعُهُمْ وإِقبالَهُمْ وَقليلٌ مِنْ نِجائِهِمْ.

[فتح طنجة]

ثم رَحَلَ حَتَّى نَزَلَ طَنْجَةَ فَنَزَلَ عَلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ وَهُوَ بَحْرُ الْأَنْدَلُسِ فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ بَحْرٌ لَا يُرَامُ وَعَلَيْهِ مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ، وَمَا أَظُنُّكَ تَقْدِرُ أَنْ تَجُوزَ هَذَا الْبَحْرَ فَقَالَ لَهُمْ: دَلُونِي عَلَى رِجَالِ الْبَربرِ وَالرُّومِ فَقَالُوا لَهُ: قَدْ تَرَكْتَ خَلْفَكَ الرُّومَ وَقَدْ أَفْنَيْتَهُمْ، وَمَا أَمَامَكَ إِلَّا الْبَربرُ⁽¹⁾ وَهُمْ فِي عَدَدٍ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ أَنْجَادُ الْبَربرِ فَسَأَلَهُمْ عَنِ مَوْضِعِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: السُّوسُ الْأَدْنَى.

[فتح سوس الأدنى والأقصى]

فأمر عقبه الجيش بالرحيل على بركة الله وعونه فرحل يريد السوس الأدنى؛ فلقي البربر في عدد لهم لا يعلمه إلا الله عز وجل فانهزموا فقتلهم قتلاً ذريعاً، وأمعت خيل المسلمين في البلاد، ثم رحل إلى السوس الأقصى فاجتمع عليه البربر في عدد لا يُحصى فاقتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتل من الفريقين، ثم إن الله عز وجل بمنه وكرمه وفضله، ضرب في وجوههم، فهزمهم المسلمون وقتلوهم وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم فبلغنا أن الجارية منهم بلغ ثمنها بالمشرق ألف دينار.

[كرامة كبرى لعقبة بن نافع]

ثم هربوا من بين يديه ثم رحل يريد البحر المحيط فانتهى إليه وأقحم⁽²⁾ فيه فرسه لا يقف بين يديه أحد ولا يرومه بشر، ثم نادى بأعلى صوته وهو يشير بسوطه السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: عَلَى مَنْ تَسَلَّمَ يَا

(1) في ت: البر.

(2) ت: واقتحم.

ولي رب العالمين؟ فقال: على قوم يونس من وراء هذا البحر، [ولولاه]⁽¹⁾ لو قفت بكم عليهم؛ ثم رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم أشهد أنني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يُعبد أحد من دونك»⁽²⁾. ثم انصرف راجعاً يريد إفريقية، وداخل البربر منه رُعبٌ عظيمٌ، وتفرقوا في الجبال، فلما دنا منهم أمر أصحابه أن يتفرقوا فوجاً فوجاً إلى إفريقية، فلما انتهى إلى ثغر إفريقية وهو [طَبْنَة]⁽³⁾ وبينها وبين القيروان ثمانية أيام، أذن لمن بقي معه في الانصراف إلى القيروان، وقال: هو متياسر عن طنجة فلما انتهى إليها نظر الروم في خيل يسيرة⁽⁴⁾، فقرب إليها لينظر إليها، ويعرف قدر ما يكفيها من الخيل فيقطع ذلك إليها وجيوشه متياسرة عن طنجة فلما انتهى إليها، نظر الروم إلى قلة من معه من الخيل، فقالوا: في قتل هذه الخيل قتل أهل الأرض كلهم، وظنوا أن ذلك هو عسكره، فأغلقوا باب حصنهم دونه، وأقبلوا يرمونه بالحجارة وهم في ذلك يشتهونه [وكل ذلك]⁽⁵⁾ يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فلما تَوَسَّطَ البلادَ نزل، وبعث الروم إلى كَسِيلَةَ الأوربي فأعلموه بقلته من معه، فجمع له جمعاً كثيراً من الروم والبربر وتسارعوا إليه، ثم زحف إليه ليلاً حتى نزل بالقرب منه، وأحاط⁽⁶⁾ بعسكر عقبه، وأقام كذلك حتى أصبح فلما رأى ذلك عقبه استعد له وأمر أصحابه أن لا يركب منهم أحد، ويؤس المسلمون من أنفسهم، وقاتل المشركون قتالاً شديداً حتى بلغ البلاء⁽⁷⁾ وتكاثر فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو أيضاً، فاستشهد عقبه رضي الله تعالى عنه وجميع من معه رضي الله عن جميعهم. واستشهد معه أبو المهاجر وكان موثقاً في الحديد. وقيل إن كسيلة الأوربي إنما أتى قاصداً إلى أبي المهاجر لأنه

(1) في ت و ط: لولا هو التصويب من رياض النفوس ص: 39.

(2) انظر رياض النفوس ص: 39.

(3) في ت و ط: طنجة، التصويب: من الرياض 39/1، والروض المعطار ص: 38. وطَبْنَة أعظم بلاد الزاب، مدينة كبيرة افتتحها موسى بن نصير. انظر عنها: الروض المعطار ص: 387.

(4) في رياض النفوس: ومال في خير يسيرة يريد «تهودة» ص: 39.

(5) في رياض النفوس: «وهو» ص: 39.

(6) في ط: أحيط، وفي ت: وأحفظ. التصويب من رياض النفوس ص: 40.

(7) في رياض النفوس: بلغ بهم ص: 40.

كان صديقاً له، فلما التحم القتال بين الفئتين قُتِلَ أبو المهاجر ولم يعلم به. وقيل إن أبا المهاجر حارب كَسَيْلَةَ مع البربر حتى ظفر به، فعرض عليه الإسلام فأسلم وأحسن إليه أبو المهاجر، وكان في عسكر المسلمين حتى عُزل أبو المهاجر وقدم عقبه، فأراد أن ينهض إلى طنجة فقال له أبو المهاجر: ليس بطنجة عدو لك لأن الناس قد أسلموا، وهذا رئيس البلاد يريد كَسَيْلَةَ فابعث معه وَالِيَا فَأَبَى عقبه إلا أن يخرج بنفسه، فخرج فنزل ماسة⁽¹⁾ بمكان من السوس الأقصى فبنى بها مسجداً، ثم أتى بِذَوْدِ غنم للعسكر فذبح الذودُ بأمر⁽²⁾ عقبه وأمر⁽³⁾ كَسَيْلَةَ أن يسلخ مع السلاخين فقال له كَسَيْلَةَ: أصلح الله الأمير، هؤلاء فِتْيَانِي وَغِلْمَانِي [يكفوني]⁽⁴⁾ فنهره عقبه، فقام كَسَيْلَةَ مغضباً، فكان كلما دحس في الشاة مسح لحيته بما علق بيده من بلّة ذلك، وجعل العرب يَمُرُونَ به وهو يمسح ويقولون له: يا بربري ما هذا الذي تصنع؟ فيقول: هذا جيد لِلشَّعْرِ، فمرّ به شيخ من العرب فقال: كلاً إن البربري يتوعّدكم. فقال أبو المهاجر لعقبه: أصلح الله الأمير ما هذا الذي صنعته؟ كان رسول الله ﷺ يتألف جبابرة العرب الأقرع⁽⁵⁾ بن حابس التميمي، [وَعَيْنَةَ بن حصن]⁽⁶⁾ الفزاري، وأنت تجيء إلى رجل خيار قومه في دار عزه قريب عهد بالكفر فتنقسي⁽⁷⁾ قلبه! توثق من الرّجل، فإني أخاف فثكّه. فتهاون عقبه فلما انصرف نكث

(1) ماسة: يطلق هذا الاسم على واد ممتد في أقصى سوس تنتشر القرى حواليه، وعند مصبه في المحيط وبوسطه يوجد مشهد سيدي واساي الذي اشتهر رباطه منذ عهد البكري في أواسط القرن الخامس. ويعد هذا الرباط مع رباط سيدي شاكّر من أقدم الربط في المغرب. كتاب المغرب ص: 176.

(2) في ت: فأمر. (3) سقط من: ت.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط. الزيادة من رياض النفوس ص: 41.

(5) الأقرع بن حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي أحد المؤلفة قلوبهم، قدم على رسول الله ﷺ مع عطارذ بن حاجب في أشرف بني تميم بعد فتح مكة، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحنينا، والطائف. ترجم له في الاستيعاب لابن عبد البر ص: 65 رقم 98.

(6) ما بين معقوفتين في ط و ت: عقبه بن زيد وهو خطأ. التصويب من: كتاب الاستيعاب ص: 590 رقم 2033، ورياض النفوس 41/1، والإصابة في تمييز الصحابة 55/5 رقم 6146، وتاريخ الطبري 91/2 وفيه اسمه عَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة يكنى أبا مالك.

(7) في رياض النفوس: فتفسد.

البربري ما كان عليه، وأقبلت النَّفْرَةُ إلى عُقْبَةَ، فقال له أبو المهاجر: عَاجِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَجْمَعَ أَمْرَهُ، فزحف إلى عقبة فَتَنَحَّى من بين يديه وهو في خمسين ألفاً، ونحن في خمسة آلاف، لأن العسكر افترق، فغشي كَسِيلَةَ عقبة بقرب تهوده في كثرة لا يعلمها إلا الله عزَّ وجل، فنزل عقبة عن فرسه فركع ركعتين وقال: اطلقوا أبا المهاجر! ثم قال له عقبة: قم بأمر المسلمين وأنا أغتيم الشهادة. فقال له أبو المهاجر: وأنا أغتيم ذلك؛ فَكَسَّرَ كُلُّ واحد منهما غمد سيفه، وكسرت المسلمون أغمادَ سُيُوفِهِمْ وَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا [جميعاً رحمة الله عليهم]⁽¹⁾ وقيل: إن عُقْبَ أمر بِتَخْلِيَةِ أَبِي المَهاجر فأعجله القتال، فقاتل حَتَّى قُتِلَ وهو موثوق بالحديد وَذُكِرَ أن أبا المهاجر تمثل بقول أبي مِخْجَنٍ⁽²⁾ حيث يقول:

كَفَى حَزْناً أَنْ تَقْنَعُ⁽³⁾ الخيلُ بالقنا واترك مشدوداً عَلَيَّ وثاقيا
إذا قمت⁽⁴⁾ عينا في الحديد وَغَلَقْتُ مَصَارِعَ أبوابِ تُصِمُّ المُنَادِيَا⁽⁵⁾

وروي عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة التي يقال لها تَهوُودَةُ كان النبي ﷺ نَهَى عن سُكْنَاهَا وقال لها: «سوف يُقْتَلُ بها رجالٌ من أُمَّتِي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب أهل بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَأَشُوقَاهِ إِلَيْهِمْ»⁽⁶⁾. منها يُحْشَرُونَ يوم القيامة. وَرُوي أَنَّ عَقْبَةَ مَرَّ بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو بمصر في وقت عودته إلى إفريقية فقال له عبد الله⁽⁷⁾: لَعَلَّكَ مِنَ الجَيْشِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِرِحَالِهِمْ، قال: فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا جميعاً. قال المائكي: فلما⁽⁸⁾ استشهد عُقْبَةَ وأصحابه جَمَعَ كَسِيلَةَ أهل المغرب⁽⁹⁾ وَزَحَفَ بهم

(1) ما بين معقوفتين سقط من ت. وهو مثبت في ط.

(2) أبو مِخْجَنٍ الثقفى اختلف في اسمه، فقيل اسمه مالك بن حبيب، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقْدَةَ؛ وقيل اسمه كنيته، أسلم حين أسلمت ثقيف كان من الشجعان الأبطال في الجاهلية وفي الإسلام. ترجم له في الاستيعاب ص: 856 - 859 رقم (3156).

(3) في الاستيعاب: أن ترتدي ص: 856، وفي رياض النفوس: أن تمرغ 42/1.

(4) في ط: نمت. التصويب من: ت، والرياض، والاستيعاب.

(5) انظر البيتين في الاستيعاب ص: 856، والرياض أي رياض النفوس 42/1.

(6) انظر هذه الرواية في طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 60، والرياض 43/1.

(7) في ت: عبد الملك. وفي ط، والرياض عبد الله. التصويب منهما.

(8) في الرياض: وَلَمَّا. (9) في ط: الغرب.

يريد القيروان، فانقلبت إفريقية ناراً، وَعَظَمَ البلاء⁽¹⁾ على المسلمين، ومضى كَسِيلَةَ بالعساكر، حتى جاوز القيروان، فخرجت العَرَبُ منها هاربة ولم يكن لهم بِحَرْبِهِ من طاقة، لِعُظْمِ ما اجتمع عليه من الروم والبربر، وَأَسْلَمُوا القَيْرَوَانَ وبقي بها أصحاب العِيَالِ، وَكُلُّ مُثْقَلٍ مِنَ التُّجَّارِ وأهل الذمة، فحار النَّاسُ ولم يدروا كَيْفَ يَصْنَعُونَ، فأرسلوا إلى كَسِيلَةَ يسألونه الأمان، ووثقوا بِدَعْوَةِ عقبة رحمه الله، فأجابهم إلى ذلك ودخل القيروان إلى الموضع الذي كان فيه عقبة [فنزله]⁽²⁾ وأقام بها أميراً وبقي بقية المسلمين تحت يده، ومضى الَّذِينَ هَرَبُوا حتى قَدِمُوا عَلَى يزيد فوجدوه توفي⁽³⁾ وذلك في سنة أربع وستين⁽⁴⁾. وذكر أبو العرب⁽⁵⁾: أَنَّ زهير بن قيس البلوي خليفة عقبة لما بَلَغَهُ ما جرى على عقبة رُعباً عظيماً وَأَرَادَ الانصرافَ إلى مصر، فأتاه ابن حيان الحضرمي⁽⁶⁾ وقال له: لا تفعل فإنها هزيمة إلى مصر. فكان أول من بَرَزَ وَضَرَبَ خباه مُبَارِزاً للعدو، فلما رأى زهير عزمه عزم معه، وكان مع المسلمين في عسكرهم تُبَيِّعُ⁽⁷⁾ ابن امرأة كَعْبِ الأَخْبَارِ فقال له زهير: لمن تراها؟ فقال: أراها لرجل من غَسَّان وأنت من بَلِيٍّ⁽⁸⁾ فقال زهير: أنا والله من نوافل العَرَبِ، وأنا من

(1) في ط: الملا.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من ط. الزيادة من: ت.

(3) في ت: قد مات.

(4) الرياض: 44 / 1.

(5) لم يرد هذا النص في طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب، لعله نقل من نصوص أخرى لأبي العرب والله أعلم. وذكره المالكي في كتابه الرياض 44 / 1.

(6) هو خالد بن حيان بن الأعين الحضرمي أبو يزيد الرقي مولى كندة الخراز، صدوق يخطيء مات سنة 191 هـ. ترجم له في التاريخ الصغير للبخاري 268 / 2، تهذيب التهذيب 3 / 84، تقريب التهذيب 1 / 256 رقم 1627.

(7) هو أبو عبيد تُبَيِّعُ مصغراً بن عامر الحِمَيْرِي الحمصي ابن امرأة كعب الأخبار، أدرك الجاهلية وذكره خليفة في الطبقة الأولى من أهل الشام، مات سنة 101 هـ وأخرج له النسائي. ترجم له في الإصابة 1 / 195 رقم 856 القسم الثالث فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره، تهذيب التهذيب 1 / 508، تقريب التهذيب 1 / 142 رقم 796، حُسن المحاضرة 1 / 141 رقم 29 دار الكتب العلمية الطبعة الأولى السنة 1997، طبقات علماء إفريقية ص: 81.

(8) بلي: نسبة لِبَلِيٍّ بن عمرو بن الحافي بن قضاة. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 442 دار الكتب العلمية طبعة سنة 1998، وفي نهاية الأرب للقلقشندي (بنو بلي) بفتح الباء، وكسر اللام، وياء آخر الحروف، بطن من قضاة من القحطانية النسبة إليهم بلوي ص: 170.

غسان⁽¹⁾، جنى جدّي جنّايةً في قومه⁽²⁾ فَلَجَأَ إِلَى بَلِيٍّ فغلب عليهم نَسَبُهُمْ فقال عند ذلك تُبَيْعُ: ما علامة الفتح لنا؟ قال: يطيش رجلٌ من أصحابك فَيَسْتَشْهَدُ؛ فلما تدانت الخيل طاش رجلٌ من مَدَادِ الْيَمَنِ فُقْتِلَ، وكان اللَّقى بقصر أبي عبيد، ويقال: إنه بممس ويقال: إن تُبَيْعاً قال لزهير: علامة صاحب الفتح أن يَفْتَضَّرَ ذلك اليوم بكراً. قال: فأدنى إليه زهير رأسه وقال: إنه لم يجف⁽³⁾ بعد، وأنا طهرت من اِفْتِضَاضِ⁽⁴⁾ بكر الساعة، فقال له تبيع: اخرج على بركة الله تعالى وعونه، فثبت زهير بالقيروان حتى زحف إليه كَسِيلَةُ الْبُرْبَرِيِّ، وخرج الرومُ مِنْ حَضُونِهِمْ ونقضوا العهد، ووافق جميعهم عيد الأضحى، فاعتذر زهير هو ومن معه وكانوا ستة آلاف، ألفان من البربر، وأربعة آلاف من العرب، فلما رأى زهير ما حلّ به من البربر والروم، بعث إلى الروم وقال لهم: أنا وإياكم أهل كتاب، وقد حضرنا عيداً نُعَظِّمُهُ فَأَخْرُوا حَرْبَنَا حتى نقضي العيد فأجابوه إلى ذلك، فلما انقضى العيد زحف كَسِيلَةُ وَقَاتَهُ قِتَالاً شديداً فانهزم كَسِيلَةُ. وقتل من أصحابه ما لا يُحْصَى، ومضى إليه تلك الجموع وهرب الروم [وتفرقت جموعهم]⁽⁵⁾ فأقام زهيرٌ يسيراً بالقيروان، ثم خرج إلى مصر فوصل إلى لوبية⁽⁶⁾ ومراقية وذلك في سنة خمس وستين، فوج يزيد قد توفي وعبد الله بن الزبير خليفة بمكة ومروان بن الحكم أميراً بالشام، فاجتمع المسلمون إلى مروان بن الحكم فسألوهُ أن يبعث الجيوش إلى إفريقية لخلاص من فيها من المسلمين من يد كَسِيلَةَ، وأن يعزّ بها الإسلام كما كان في أيام عقبة فقال لهم: ومن يوجد مثل عقبة؟ فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير بن قيس البلوي رضي الله تعالى عنه، وكان من رؤساء العابدين وأشراف المهاجرين فوجه إليه عبد الملك بن مروان يأمره بالخروج على أَعِنَّةِ الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو

(1) غسان: حي من الأزد من القحطانية وهم بنو جفنة، سموا غساناً لَماء اسمه غسان بين زبيد وربع. نهاية الأرب ص: 348 رقم 1421.

(2) في ت: زمانه.

(3) في ت: يحب.

(4) في ت و ط: اقتضاض. التصويب من الرياض.

(5) في الرياض: وتفرقوا.

(6) في ت و ط: لوبية التصويب من فتوح مصر والمغرب ص: 59، والرياض ص: 46 وهي كورة من كور مصر الغربية.

إفريقية حتى يعود إليها الإسلام كما كان. فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بزهير⁽¹⁾ سَرَّهُ ذَلِكَ وسارع إلى الجهاد، وكتب إلى عبد الملك يُخْبِرُهُ بِقِلَّةِ من معه من الرِّجَالِ وَقِلَّةِ الأَمْوَالِ فأرسل عبد الملك [رجالاً من]⁽²⁾ العرب وأشرفهم يحشدون عليه الناس من مدائن الشام، وأفرغ عليه⁽³⁾ الأموال فتسارع الناس إلى الجهاد واجتمع منهم خلق عظيم⁽⁴⁾، فأمرهم أن يلحقوا بزهير، فلما وصلوا إليه خرج [بهم]⁽⁵⁾ إلى إفريقية فلما دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها: قَلْشَانَةَ⁽⁶⁾ وكان ذلك في سنة تسع وستين فبلغ ذلك كسيلة وكان في خلق عظيم من الروم والبربر، فدعى كبارهم وأشرفهم وشاورهم في أمره، وقال لهم: إني رأيتُ أن أُرْحَلَ إلى ممس فأنزل عليها لأنني أخاف إذا التقينا مع القوم والتحم القتال أن يركبنا مَنْ في القيروان من المسلمين فَنُهْلِكُ. لكن ننزل بعسكرنا على ممس، لأن مَاءَهَا كَثِيرٌ وهو يحمل عسكرنا فإن هَزَمْنَاهُمْ دخلنا معهم طرابلس وقطعنا آثارهم من الدنيا وتكون إفريقية لنا وفي ملكنا إلى آخر الدهر، وَإِنْ هَزَمُونَا كان الجبل مِنَّا قَرِيباً فَتَحَصَّنَا به، فَأَجَابَهُ النَّاسُ إلى ذلك فرحل إلى ممس فنزل بها. فبلغ ذلك زهيراً وكان ينتظره أن يخرج إليه من القيروان، فلما نزل كسيلة مَمَسَّ رَحَلَ زُهَيْرٍ بعسكره فنزل القَيْرَوَانَ وأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح وأراح أصحابه خيلهم، ونظر إلى مَا يَعْمَلُ كَسِيلَةَ فإذا به يريد قِتَالَهُ فَزَحَفَ إليه زهيرُ يوم الأربعاء صباحاً، فسار نهاره أجمع حتى أشرف على عسكر كسيلة في آخر النهار، فأمر الناس بالتزول فنزلوا، وبات الناس على مَصَافِهِمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ زُهَيْرٌ صَلَّى الصُّبْحَ غَلَساً⁽⁷⁾ ثم زحف إليه بمن معه فالتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر البلاء في الفريقين جميعاً، فضرب الله في وَجْهِ كَسِيلَةَ فانهزم هو وأصحابه وَقَتِلُوا قِتَالاً⁽⁸⁾ ذَرِيعاً وأثخن العرب فيهم القتل، وَقَتِلَ كَسِيلَةَ بِمَمَسٍ وَلَمْ يَتَجَسَّرُوا

(1) في ت: زهير.

(2) في ط: رجال العرب، التصويب من: ت. وفي الرياض: إلى أشرف العرب 46 / 1.

(3) في ت: عنهم. وفي الرياض: عليهم أموال مصر: 46 / 1.

(4) في ت: خلق كثير عظيم. أي زيادة كلمة «كثير».

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ط، الزيادة من: ت، والرياض 46 / 1.

(6) في ط: قرشانة، التصويب من: ت، والرياض 46 / 1.

(7) غَلَساً: الغلس ظُلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ. القاموس المحيط مادة «الغلس».

(8) في ت: قتال.

وتمادت العرب في طلب أصحابه حتى سقوا خيلهم من ملوية⁽¹⁾ واد بطنجة وأفنوا رجال الروم وفتح شقبنارية⁽²⁾ وقلاعاً. ثم رحل إلى القيروان وقد فزع منه جميع الروم والبربر ثم إن زهيراً رأى من إفريقية رفاهية العيش ومُلكاً عظيماً فأبى من المقام وقال: إنما قدمت للجهاد ولم أقدم لحب الدنيا؛ وكان رضي الله تعالى عنه من رؤساء العابدين فراوده⁽³⁾ أصحابه على المقام بإفريقية فأبى ورجع إلى المشرق ونزل ببرقة⁽⁴⁾ وكانت له بها وقائع كثيرة مع المشركين. وكانت الروم لما [أن]⁽⁵⁾ بلغهم أن زهيراً خرج غازياً إلى إفريقية لقتال الروم والبربر وأيقنوا أنه خرج من برقة أمكنهم ما يريدون فخرجوا إليها في مراكب وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا منها سبياً كثيراً، وقتلوا وأفسدوا وذهبوا فوافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة فأخبروه بالذي حل بهم من الروم، فأمر عسكره أن يمضي على الطريق وعدل هو إلى الساحل في خيل يسيرة من فرسان أصحابه وأنجادهم، وطمع أن يدرك شيئاً من سبي المسلمين. فلما انتهى إلى الساحل أشرف على الروم فأذاهم في خلق فلم يقدر أن يرجع واستغاثه⁽⁶⁾ ذراري المسلمين وصاحوا والروم يدخلونهم في المراكب وعسكر الروم بوفرة في البر فنادى زهير بأصحابه فقال⁽⁷⁾: انزلوا رحمكم الله، فنزل المسلمون وبرز الروم لقتالهم، فالتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى عانق⁽⁸⁾ بعضهم بعضاً، وتكاثر عليهم الروم فاستشهد زهير وكل من معه من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، ولم يفلت منهم إلا رجلٌ واحد؛ فأدخل الروم خيلهم وسلاحهم والسبي الذي كان معهم في المراكب. فلما وصل الخبر إلى عبد الملك،

(1) ملوية هو نهر من الأنهار الكبرى ينحدر من قمم الجبال بين الأطلس الكبير والمتوسط، ويصب في البحر الأبيض المتوسط بين وجدة ومليلية، ويبلغ طوله نحو 500 كلم، وتحيط به عدة قصور صحراوية وقرى ومراكز فلاحية مهمة. كتاب المغرب ص: 186 رقم 275.

(2) شقبنارية: أماكن بتونس. راجع معجم البلدان 3/354.

(3) في ط: فراودوه. الإصحاح من: ت.

(4) برقة: بفتح أوله والقاف مدينة قال عنها ياقوت: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. راجع معجم البلدان 1/388.

(5) ما بين معقوفتين سقط من: ت، ومثبت في ط.

(6) في ط: واستغاث، وما أثبتناه من: ت. (7) في ط: وقال، وما أثبتناه من: ت.

(8) في ط: عانقوا.

اشتد عليه وعلى المسلمين ذلك وكانت المصيبة بزهير وأصحابه رضي الله عنهم، مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين. فسأل عبد الملك أشراف المسلمين أن ينظر إلى أهل إفريقية من يؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش إليهم، فقال عبد الملك: ما أعلم أحداً أكفاً⁽¹⁾ بإفريقية من حسان بن النعمان الغساني فبعثه عبد الملك أميراً على إفريقية في سنة تسع وستين، في جيش فيه من نحو ستة آلاف وهو أول من دخل إفريقية من أهل الشام في زمن بني أمية فخرج حسان بجيوشه حتى وصل إفريقية فسأل أهل إفريقية عن أعظم ملك بإفريقية فقالوا: «صاحب قرطاجنة» فرحل إليه حسان.

[فتح قرطاجنة في سنة 69]

وفي قرطاجنة من الروم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهي على شاطئ البحر تُسمى ترشيش وهي من مدينة القيروان على مائة ميل وميل فمشى حسان حتى نزل على مدينتهم⁽²⁾ ترشيش ووجه خيله إلى قرطاجنة ولم يكن فيها بحر فضيق عليهم حسان، وتوافق⁽³⁾ القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل رجالهم وفرسانهم، واجتمع رأي الروم أن يهربوا في البحر [وكانت لهم]⁽⁴⁾ سفن كثيرة حملوا⁽⁵⁾ فيها، فمنهم من هرب إلى صقلية، ومنهم من هرب إلى الأندلس، فدخلها حسان بالسيف فسبأها وغنم ما فيها وقتل الرجال وأرسل إلى ما حولها من العمران فاجتمعوا إليه مُسرِعِينَ خَوْفاً مِنْهُ فَأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها. ثم جمع عليه الروم، وعقدوا عليه عسكراً عظيماً لا يعلمه إلا الله، وأمدهم⁽⁶⁾ البربر وذلك بموضع⁽⁷⁾ يسمى [سقفورة]⁽⁸⁾ فزحف إليهم حسان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب من أصحابه رجال

(1) في ت و ط: كفى. التصويب من الرياض 48 / 1.

(2) في ت: مدينة. (3) في الرياض: توافق 48 / 1.

(4) في ت، ما بين معقوفتين مكانه حرف «في».

(5) في ت و ط: فيحملوا. والصواب ما أثبتناه.

(6) في ط: ومعهم، وما أثبتناه من: ت، والرياض 49 / 1.

(7) في الرياض: في بلد.

(8) في ت و ط: سقفورة. التصويب من: المعطار، والرياض. وفي المعطار: اسم إقليم جليل فيه قرى وقواعد، وهو على بنزرت ص: 318.

كثيرون⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنهم، ثم إن الله تعالى بِمَنِّهِ وفضلِهِ وإِحسانِهِ، ضرب في وجوه الروم والبربر فانهمزوا بعد بلاء عظيم فقتلهم حَسَانُ قتلاً عظيماً وأستأصلهم وحمل بأعنة الخيل عليهم، فما ترك في بلادهم مَوْضِعاً إلا وَطَأَهُ بخيله ولجأ بقية الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة فتحصنوا فيها وهرب البربر إلى إقليم بونة واخترق حَسَانُ البَحْرَ فَاحْتَفَرَهُ وجعل دَارَ الصَّنَاعَةِ وأخرق⁽²⁾ البَحْرَ إِلَيْهَا ثم انصرف إلى مدينة القَيْرَوَانِ فأقامَ بِهَا حتى برئت جراح أصحابه ثم سأل حسان عن أعظم ملك بإفريقية وعمن إذا قتل دانت⁽³⁾ إفريقية لقتاله، فقيل له: ليس بإفريقية أعظم قَدراً ولا أبعد صيتاً ولا أشد حرباً من امرأة يقال لها الكاهنة وهي في جبل أوراس⁽⁴⁾ وجميع من في إفريقية يخافها⁽⁵⁾ والروم سامعون مطيعون لها، فإن قَتَلْتَهَا أيسر الروم والبربر من إفريقية فإنها لهم ملجأ فلما سمع ذلك حسان عَزَمَ على غزوها فخرج إليها بجيشه فلما بلغ موضعاً يُقالُ له: مجانة⁽⁶⁾ نزل بها وكانت قلعة [مجانة]⁽⁷⁾ لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى وتركهم وبلغ الكاهنة مره فَرَحَفَتْ مِنْ جَبَلِ أوراس في عِدَّة⁽⁸⁾ لا يعلمها إلا الله فنزلت بمدينة باغاي⁽⁹⁾ فأخرجت من بها وهدمتها فظنت أن حسان يريد حصناً يتحصن به، ثم أقبل حسان حتى بلغه الخبر إلى واد يقال له [مَسْكِانَةَ]⁽¹⁰⁾ فقيل له: إنها قد أقبلت في عدد لا يحصى فقال لهم: دلوني على ماء

(1) في ط و ت : كثيرة، والنصواب كثيرون كما في الرياض.

(2) في ت و ط : وأخرج، وما أثبتناه من الرياض 49 / 1.

(3) في ت : ضاقت.

(4) جبل أوراس : هو جبل قريب من باغاية بإفريقية وهو المتصل بالسوس وفي جبل أوراس كانت الملكة المعروفة بالكاهنة المقتولة في الفتح الأول على يد المسلمين. للمزيد انظر المعطار ص : 65.

(5) في الرياض : خائفون منها.

(6) مجانة : مدينة قديمة بإفريقية فيها مقطع حجار الأرحاء. المعطار ص : 525، ومعجم البلدان 56 / 5.

(7) ما بين المعقوفتين سقط من : ط. الزيادة من : ت والرياض.

(8) في الرياض : في عدد.

(9) في المعطار باغاية، وهي مدينة إفريقية ذات أنهار وثمار على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس 76 / 1.

(10) في ت و ط : مكناسة، والنصواب ما أثبتناه من الرياض 50 / 1، والمعطار ص : 558 حيث قال : مسكيانة قرية بقرب مجانة المطاحن عند نهر ملاق، وبقراب باغاية وبينها وبين مجانة =

يسع العسكر الذي أنا فيه، فمالوا به إلى نهر فنزل عليه [وزحفت إليه]⁽¹⁾ الكاهنة حتى أتت إلى أسفل النهر فنزلت عليه فكان يشرب هو وأصحابه من أعلا النهر، وتشرب هي من أسفله، فلما دنا بعضهم من بعض وتواقفت الخيل وأبى حسان أن يقاتلها بالليل فوقف كل فريق على مصافهم، فلما أصبحوا زحف بعضهم إلى بعض فاقتلوا قتالاً شديداً فعظم البلاء بينهم وظن المسلمون أنه الفناء وانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمي ذلك النهر نهر البلاء فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد قابس، فأسلم إفريقية ومضى على وجهه وأسرت من أصحابه ثمانية رجال، وقيل إنها أسرت ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبسي⁽²⁾ وكان رجلاً مذكوراً. فلما فصل من قابس كتب إلى أمير المؤمنين بخبر ما نزل بالمسلمين من البلاء وبخبر الكاهنة، وطفق يرفق في سيره طمعاً فيمن نجا من أصحابه أن يلحقوا به، ثم إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كتب إليه أنه بلغني أمرك وما لقيت ولقي المسلمون فحيثما لقيك كتابي هذا فأقم ولا تبرح حتى يأتيك أمري فلقية كتابه وهو نازل بالموضع الذي يقال له اليوم قصور حسان⁽³⁾ فابتنى هنالك قصرًا لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين ومَلَكت الكاهنة إفريقية كلها. وكانت الكاهنة حين أسرت أصحاب حسان أسرتهم إلا رجلاً واحداً وهو يزيد بن خالد العبسي تبتته الكاهنة ثم عمدت إلى دقيق شعير مقلق⁽⁴⁾ فأمرت به فلت بزيت، والبربر تسمى ذلك ببيسة⁽⁵⁾ ثم دعت يزيد بن خالد وابنين لها

= مرحلة: أما مكناسة تقع بالمغرب الأقصى شرق عاصمة الرباط بـ140 كلم اتخذها السلطان المولى إسماعيل عاصمة لملكه سنة 1082 هـ. وهناك بلدة أخرى بمدينة تازة تسمى أيضاً مكناسة وهي مدينة تاريخية قديمة. انظر عنها تاريخ ابن خلدون 6/153.

(1) في ط: ورجعت، وما أثبتناه من: ت، والرياض 50/1.
(2) في فتوح مصر والمغرب قال ابن عبد الحكم: فأحسنت الكاهنة إشار من أسرته من أصحابه، وأرسلتهم إلا رجلاً منهم من بني عبس، يُقال له: خالد بن يزيد، فتبتته وأقام معها ص: 228.

(3) انظر فتوح مصر وإفريقية ص: 228.

(4) في الرياض: مقلو 52/1.

(5) الببيسة: هو أن يُلْت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يُطبخ، وقال يعقوب: هو أشد من اللت بلاءً. للمزيد انظر لسان العرب لابن منظور مادة «بس» 6/26 - 27.

فأمرتهم فأكل ثلاثهم وقالت لهم: أنتم الآن قد صرتم إخواناً. وذلك عند العرب⁽¹⁾ من أعظم العهود في جاهليتهم إذا فعلوه ثم إن حسان بعث رسولاً إلى يزيد وهو عند الكاهنة فأتاه فقال: إن حسان أرسلني إليك وهو يقول لك: ما منعك من الكتب إلينا بخبر الكاهنة؟ فكتب يزيد كتاباً إلى حسان مع رسوله [وجعله]⁽²⁾ في خبزة ملة⁽³⁾ قد أنضجها ثم دفعها إلى الرسول ليخفي الكتب وليظن من رأى الخبزة أنها⁽⁴⁾ زاد للرجل فلم يغيب شخص الرسول عنهم حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي تقول: يا معشر بني زهير ذهب ملككم ودنى هلاككم فيما يأكل الناس، وكثرت ذلك ثلاث مرات⁽⁵⁾. ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب⁽⁶⁾ وفيه⁽⁷⁾ كلما⁽⁸⁾ يحتاج إليه من خبر الكاهنة، يقول⁽⁹⁾ فيه: إن البربر يعقدون عساكرهم بالنهار ويفترقون بالليل ليس لهم حزم في الرأي، وإنما ابتلينا بأمر قدره⁽¹⁰⁾ الله وأكرم به من أراد منا بدرجة الشهادة فإذا نظرت في كتابي هذا فاطو المراحل وجد السير فإن الأمر إليك، ولست أسلمك إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم إن يزيد كتب بعد ذلك إلى حسان بخبر الكاهنة، ثم عمداً إلى قربوص فنقره ثم وضع فيه الكتاب وأطبق عليه القربوس⁽¹¹⁾ وأخفى مكان النقر منه، ثم حمل رسولاً على دابة بالكتاب إلى حسان، فلما فصل الرسول بالكتاب خرجت الكاهنة

(1) في الرياض: البربر 52/1، كذا في المعطار ص: 65.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) الملة: الرماد الحار والجمر. ويقال أكلنا خبز ملة، ولا يقال: أكلنا ملة. فالملة هي الرماد الحار الذي يحمى ليذفن فيه الخبز لينضج. لسان العرب مادة «ملل» 629/11 - 630.

(4) في فتوح مصر والمغرب: أنها زاد الرجل ص: 228، وفي الرياض: أنها زاد ذلك الرجل 52/1، وفي المعطار: أنها زاد للرجل ص: 65 بينما في ت و ط: أنه.

(5) انظر: الرياض 52/1، المعطار ص: 65، وفتوح مصر والمغرب ص: 228.

(6) في ت و ط: بالكتب. التصويب من: الرياض 52/1، وفتوح مصر والمغرب ص: 228، والمعطار ص: 65.

(7) إسقاط الواو من: ت وفتوح مصر والمغرب، والمعطار.

(8) في فتوح مصر والمغرب: علم ص: 228.

(9) في ت: يقول [له] فيه.

(10) في ت، والمعطار ص: 65: أراه مكان «قدره».

(11) في ت و ط: القربوص. بالضاد. الإصلاح من: الرياض، والمعطار وفي لسان العرب لابن منظور، القربوس: حنو السرج، قال الأزهري: للسرج قربوسان. مادة «قربس» 172/6.

نَاشِرَةً شَعْرَهَا وَهِيَ تَقُولُ: يَا بَنِي قَدْ دَنَى هَلَاكُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَهُوَ بَيْنَ خَشْبَتَيْنِ وَكَانَتْ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهَا بِالكَهَانَةِ وَمَضَى الرَّسُولُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى حَسَّانٍ فَلَمَّا بَلَغَ الْكَاهِنَةَ أَنْ حَسَّاناً مَقِيمٌ بِقُصُورِهِ لَا يَبْرَحُ قَالَتْ لِلْبُرْبَرِ وَالرُّومِ: إِنَّمَا طَلَبَ حَسَّانُ مِنَ إِفْرِيقِيَّةِ الْمَدَائِنِ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالشَّجَرَ، وَنَحْنُ إِنَّمَا نُرِيدُ الْمَرَاعِي وَالْمَزَارِعَ، فَمَا نَرَى لَكُمْ إِلَّا خَرَابَ إِفْرِيقِيَّةَ، فَوَجَّهَتِ الْبُرْبَرِ يَقْطَعُونَ الشَّجَرَ وَيَهْدِمُونَ الْحُصُونِ الَّتِي بِهَا، وَكَانَتْ إِفْرِيقِيَّةٌ ظِلًّا وَاحِداً مِنْ طَرَابِلِسَ إِلَى طَنْجَةَ، قَرْيٌ مُتَّصِلَةٌ فَأَخْرَبَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ الْكَاهِنَةُ فَخَرَجَ مِنَ النَّصَارَى ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ يَسْتَعِيثُونَ بِحَسَّانٍ فِيمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْكَاهِنَةِ مِنْ خَرَابِ الْحُصُونِ وَقَطْعِ الشَّجَرِ، وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ [رَسُولاً] ⁽¹⁾ يَأْمُرُهُ بِالنُّهُوضِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ قَبْلَ أَنْ تُخْرِبَهَا الْكَاهِنَةُ فَوَافَقَ ذَلِكَ وَصُولَ الرُّومِ إِلَيْهِ، وَقَدُومَ رَسُولِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ⁽²⁾ إِلَيْهِ فَرَجَعَ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا رَحَلَ مِنْ قُصُورِهِ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، خَرَجَتِ الْكَاهِنَةُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا فَقَالَتْ: يَا بَنِي انظُرُوا مَاذَا تَرَوْنَ فِي السَّمَاءِ؟ فَقَالُوا: نَرَى شَيْئاً مِنْ سَحَابٍ أَحْمَرَ فَقَالَتْ لَهُمْ: لَا وَاللَّهِ، إِنَّمَا هُوَ رَهْجٌ ⁽³⁾ خَيْلُ الْعَرَبِ أَقْبَلَتْ إِلَيْكُمْ. ثُمَّ قَالَتْ لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الَّذِي كَانَتْ أَسْرَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّمَا كُنْتُ تَبَنَيْتُكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، أَمَّا أَنَا فَمَقْتُولَةٌ وَلَكِنْ أَوْصِيكَ بِأَخَوَيْكَ هَذَيْنِ خَيْراً تُرِيدُ وَلَدَيْهَا فَاَنْطَلِقْ بِهِمَا إِلَى الْعَرَبِ فَخُذْ لَهُمَا أَمَاناً، فَاَنْطَلِقْ بِهِمَا خَالِدٌ ⁽⁴⁾ إِلَى الْعَرَبِ فَأَخِذْ لَهُمَا أَمَاناً وَلَقِي حَسَّاناً وَهُوَ مُقْبِلٌ يُرِيدُ الْكَاهِنَةَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهَا [فَأَخِذْ لَهُمْ أَمَاناً] ⁽⁵⁾ وَكَانَتْ مَعَ حَسَّانٍ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُرْبَرِ يُقَالُ لَهُمُ الْبُتْرُ ⁽⁶⁾ فَوَلَّى عَلَيْهِمُ الْأَكْبَرَ مِنَ وَلَدَيْ الْكَاهِنَةِ وَأَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ. ثُمَّ مَضَى حَسَّانُ وَمَنْ مَعَهُ يُرِيدُ الْكَاهِنَةَ، فَوَصَلَ إِلَى

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت.

(2) في ت و ط: يزيد بن خالد. والصواب ما أثبتناه من: المعطار، والرياض وهو خالد بن يزيد العبسي كما تقدم.

(3) الرَّهْجُ وَالرَّهْجُ: الْعُبَارُ. وَيُقَالُ أَيْضاً أَرَهَجَتِ السَّمَاءُ إِرْهَاجاً إِذَا هَمَّتْ بِالْمَطَرِ. لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ «رَهْج» 284/2.

(4) في ط و ت: يزيد وهو خطأ التصويب من المعطار، والرياض كما مر.

(5) ما بين المعقوفتين سقط من ط. وهو زيادة من: ت، والرياض 54/1.

(6) قال ابن خلدون في تاريخه: كان مادغيس الأبتري جد البرابرة البتر، وكان ابنه زحيك، ومنه تشعبت بطونهم. للمزيد راجع هذا بتفصيل في تاريخ ابن خلدون 6/134 دار الكتب العلمية الطبعة الأولى السنة 1992.

قابس فلقية الكاهنة في جيوش عظيمة، فقاتلهم حسان فهزمتهم الله وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بشر⁽¹⁾ تتحصن بها، فأصبحت القلعة لأصمته بالأرض فمضت تريد جبال أوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده يحمل بين يديها على جمل فتبعها حسان حتى قرب من موضعها فلما كان الليل قالت الكاهنة لابنتها إني مقنونة، وأرى رأسي تركض به الدواب يمضي به إلى المشرق من حيث تطلع الشمس وأراه موضوعاً بين يدي الملك، ملك العرب الأعظم الذي بعث إلينا بهذا الرجل فقال لها خالد بن يزيد⁽²⁾ وولداها: فإذا كان الأمر هكذا عندك فأرحلي وخلي ليه البلاد فقالت: وكيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر من الموت فأقعد قومي عاراً إلى آخر الدهر فقالوا لها: لا تخافين على قومك الموت فقالت: إذا أنا مت فلا أبقى الله منهم أحداً في الدنيا فقال لها خالد بن يزيد وولداها: فما نحن صانعون؟ فقالت: أما أنت يا خالد بن يزيد فستنال ملكاً عظيماً [عند الملك الأعظم، وأما أولادي فسيديكون إفريقية]⁽³⁾ مع هذا الملك الذي يقتلني، ثم قالت لهم: اركبوا واستأمنوا إليه، فركب خالد بن يزيد وولداها بالليل متوجهين إلى حسان، فلما أصبح حسان زحف إلى الكاهنة وأقبلت الكاهنة زاحفة إليه فلقبت أعنة الخيل خالداً وولديها فسلموا عليهم ومضوا بهم إلى حسان، فدخل خالد بن يزيد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة وأنها وجهت إليه [ابنيتها]⁽⁴⁾ فأمر بهما حسان فأدخلهما عسكره ووكل بهما أقواماً وقدم خالد بن يزيد على أعنة الخيل فالتقى القوم، ووضعوا السلاح ووقع الصبر حتى ظن المسلمون أنه الفداء فانهزمت الكاهنة وقتلت عند بشر سماه الناس بشر الكاهنة،

(1) في ت و ط: بشر. التصويب من: الرياض، وفتوح مصر والمغرب، وفي فتوح البلدان قال البلاذري: ووجه عقبة بشر بن أبي أرطاة إلى قلعة من القيروان فافتتحها وقتل وسبي، وهي اليوم تعرف بقلعة بشر. بالسين وهي بالقرب من مدينة تدعى مجانة عند معدن الفضة ص: 224. وبشر ابن شتين وثمانين سنة وكان مولده قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين. انظر ترجمته بتفصيل في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ص: 88 - 91 رقم 204.

(2) في ت و ط: يزيد بن خالد، والنصواب ما أثبتناه كما سبق، وسوف أشير إلى هذا الإصلاح فيما بعد.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط. الزيادة من الرياض 55/1، والمعطار ص: 66.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت، وهو مثبت في ط، والرياض، والمعطار.

فنزل حسان على الموضوع⁽¹⁾ الذي قتلت فيه ويقال: إنها قتلت عند طَبْرَقَة⁽²⁾ فعجب الناس من خلقتها وكانت الأترجة تجري فيما بين عَجِيزَتَيْهَا⁽³⁾ وَأَكْتَا فِيهَا، ثم إن الرُّومَ تَحَزَّبُوا عَلَى قِتَالِ حَسَّانَ، وَاجْتَمَعُوا فَزَحَفُوا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَخَافَهُ الْبَرْبَرُ وَاسْتَأْمَنُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَمَانَتَهُمْ حَتَّى أَعْطَوْهُ⁽⁴⁾ [مِنْ]⁽⁵⁾ جَمِيعِ قِبَائِلِهِمْ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ تَكُونُ مَعَ الْعَرَبِ بِرِسْمِ الْجِهَادِ فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدَيْهِ، فَعَقِدَ لَوْلَدِي الْكَاهِنَةَ بَعْدَ إِسْلَامِهِمَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سِتَّةَ آلَافِ فَارِسٍ مِنَ الْبَرْبَرِ [وَالْيَا عَلَيْهِمْ]⁽⁶⁾ وَأَخْرَجَهُمْ مَعَ الْعَرَبِ يَفْتَحُونَ إِفْرِيقِيَّةَ وَيَقْتُلُونَ الرُّومَ وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الْبَرْبَرِ، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَتِ الْخَطَطُ بِإِفْرِيقِيَّةَ لِلْبَرْبَرِ فَكَانَ يُقْسَمُ الْفِيءَ وَالْأَرْضَ⁽⁷⁾ بَيْنَهُمْ، فَحَسَنَتْ طَاعَتُهُمْ⁽⁸⁾ لَهُ وَدَنَتْ لَهُ إِفْرِيقِيَّةَ وَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ⁽⁹⁾.

[تجديد الجامع الأعظم بالقيروان]

ثم قَدِمَ الْقَيْرَوَانَ فَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ بِنَاءِ مَسْجِدِ الْجَامِعِ فَبَنَاهُ بِنَاءً حَسَنًا وَجَدَّدَهُ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ثُمَّ رَحَلَ يُرِيدُ قَرْطَاجِنَةَ⁽¹⁰⁾ فَانْتَهَى إِلَى طُنْبُذَةَ⁽¹¹⁾ فَوَجَّهَ أَبَا صَالِحٍ مَوْلَاهُ إِلَى قَلْعَةِ زَغْوَانَ⁽¹²⁾ فَنَزَلَ بِمَوْضِعٍ فَحَصَّ

- (1) في ت: القوم.
- (2) طَبْرَقَة: بين درنة وباجة من البلاد الإفريقية (تونس حالياً)، وبينها وبين بنزرت سبعون ميلاً، وهي قديمة فيها آثار كثيرة على نهر كبير بقرب البحر تدخله السفن. المعطار ص: 386.
- (3) في ت و ط: عَجِرَتَيْهَا. التصويب من: المعطار، والرياض.
- (4) في ط: يعطوه. والمثبت من: ت، والرياض، والمعطار ص: 66.
- (5) ما بين المعقوفتين زيادة من المعطار، والرياض.
- (6) ما بين المعقوفتين لم يرد في: الروض المعطار، ورياض النفوس.
- (7) في الرياض: والأرض ص: 56.
- (8) في ت و ط: طاعتهما. التصويب من الرياض، والروض المعطار ص: 66.
- (9) إلى هنا ينتهي سرد الروض المعطار ص: 66.
- (10) قَرْطَاجِنَة: مدينة تونسية قديمة فيها من الآثار القديمة وعجائب البنيان ما ليس في غيرها. راجع عن هذه المدينة بتفصيل الروض المعطار ص: 462 - 465.
- (11) في ت، و ط: طنجة، التصويب من الرياض 56/1، وفي المعطار ص: 387 طنبة قرية بإفريقية على عشرة أميال من تونس تسمى المحمدية.
- (12) في ت و ط: زعفران التصويب من الرياض 57/1. قال في المعطار: وقلعة زغوان قلعة قديمة رومية منيعة... فتحها حسان ص: 294.

أبي صالح⁽¹⁾ وبه سمي فقاتل أهلها ثلاثة أيام فلم يقدر عليهم، فخلّى حسان عسكره بطنبذة. ثم رحل إلى زغوان في خيل مُجَرَّدة فافتتحها صلحاً وانصرف إلى طنبذة، ثم سار إلى قرطاجنة، فنزل بموضع دار الصناعة، وحسان هذا هو الذي خرق البحر إليها وجعلها دار صناعة، فأخرج إليها الماء، وأجراه من البحر إليها، فخرج إلى حسان أهل قرطاجنة بأجمعهم فحاربوه حرباً شديدة، فهزمهم الله عز وجل بين يديه، ومَلَكَ حسان رضي الله تعالى عنه لا فحصر تونس، وقرطاجنة، فلما رأت الروم شدته وقهره لهم وعلموا أنهم لا قوام لهم به ولا طاقة، سأله الصلح، وأن يضع عليهم الخراج، فأجابهم حسان إلى ذلك ووافقهم عليه، فأدخلوا عند ذلك ثقلهم في مراكب كانت معدة عندهم في البحر، وهربوا ليلاً بأجمعهم من باب يُقال له: باب النساء، وحسان بن النعمان رضي الله تعالى عنه لا علم عنده بما فعلوه من هربهم، وتركوا مدينتهم خالية لا أحد فيها، ونزلوا بجزيرة صقلية، ومضى بعضهم إلى بلاد الأندلس. فدخل عند ذلك حسان إلى المدينة وبنى بها مسجداً، وخرب بناءهم بها، ورحل عنها راجعاً إلى مدينة القيروان حرسها الله تعالى فأقام بها وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن، وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من أعدائهم، وقطعوا شوكتهم، وأقر الله سبحانه أعينهم وعلموا أن الله عز وجل قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعا لهم. وولى حسان بن النعمان الغساني على صدقات الناس والسعي عليهم حنش⁽²⁾ بن عبد الله الصنعاني⁽³⁾ التابعي رضي الله تعالى عنه. ثم إن حسان بن النعمان لما تمهدت بلاد إفريقية وأمن على أهلها رحل بما معه من السبي⁽⁴⁾ والغنائم والأموال قاصداً إلى عبد الملك بن مروان، ومعه خمسة وثلاثون ألف فارس⁽⁵⁾ من سبي البربر، وكان معه من الذهب ثمانون ألف دينار قد جعلها حياطة عليها في قرب

(1) راجع المعطار ص: 436.

(2) حنش بن عبد الله ويقال ابن علي بن عمرو السبائي أبو رشدين نزيل إفريقية ثقة مات سنة 100 هـ. ترجم له في: تاريخ الثقات للعجلي ص: 136، تهذيب التهذيب 57/3، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 80 - 81، شذرات الذهب 119/1، تاريخ علماء الأندلس ص: 109 - 111 رقم 391، ورياض النفوس 121/1 - 122 رقم 41.

(3) المراد بها صنعاء دمشق وليس صنعاء اليمن.

(4) في ت و ط: المسلمون التصويب من الرياض 57/1.

(5) في الرياض: رأس 57/1.

الماء. واستقامت إفريقية كلها، وأمن أهلها وقطع الله عز وجل مُدَّة أهل الكفر؛ وصارت القيروان دار إسلام وجميع مدن إفريقية إلى يومنا هذا، وإلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى⁽¹⁾. وذلك ببركة من اختطَّها ودخلها من أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين.

ونحن نذكر من نزلها منهم معتمدين في ذلك على ما نقله ثقات الرواة، مثل: عبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن سحنون، وأبي سعيد بن يونس، وأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم وغيرهم. وسنروي عن كل واحد منهم حديثاً مُسنداً تبرُّكاً باتصال السند بهم، والرواية عنهم رضي الله عنهم وعن أتباعهم، والله وليّ الإرشاد والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فمنهم:

1 - أبو سعيد، المقداد⁽²⁾ بن عمرو البهراني⁽³⁾ القضاعي:

وقيل له: ابن الأسود، لأن الأسود بن عبد يغوث كان تَبَّاهُ، فَنَسِبَ إليه.

قلت: سبق له في خطبته أنه رَتَّبَ الصَّحَابَةَ الأعلام على قدر سابقيتهم في الإسلام، بخلاف من جاء بعدهم، فَإِنَّهُ جعل ترتيب أسمائهم على ترتيب تاريخ وفاتهم. قال العواني: ثم إنه رحمه الله تعالى وغفر له خلط في ترتيب القوم رضي الله عنهم فَقَدَّمَ منهم على ما اشترطه من يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَّرَ وَأَخَّرَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ فابتدأ بِذِكْرِ المقداد وثنى بِذِكْرِ كَعْب بن عمرو الأنصاري وَخَمَسَ في الترتيب بأبي ذر الغفاري، فقد اختلف فيمن كان أول الرِّجَالِ إسلاماً فقبل أبو بكر الصديق

(1) إلى هنا ينتهي الاعتماد على مرجع الرياض 57/1.

(2) ترجم له في الاستيعاب ص: 699 - 701 رقم 2495، الإصابة 6/133 - 134 رقم 8179، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 49 - 50، رياض النفوس ص: 73 - 74 رقم 10، تهذيب التهذيب 10/285، شذرات الذهب 1/39.

(3) في ت و ط: البرهاني وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من: التهذيب، والتقريب 2/210، والرياض ص: 73، وفي الاستيعاب قال ابن عبد البر: والصحيح أنه بهراوي من بهراء، وفي الإصابة النهراي، وفي نهاية الأرب للقلقشندي قال: ومن بهراء جماعة من الصحابة منهم المقداد بن الأسود أحد أصحاب رسول الله ﷺ ص: 172، وراجع أيضاً جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 441 «بنو بهراء».

رضي الله تعالى عنه وقيل علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وقيل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وأبيهم كان الأول، فأحد الباقيين هو الثاني في الإسلام وذكر أبو عمر بن عبد البر أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ثالث⁽¹⁾ من أسلم من الرجال.

وروي: عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه أنه قال: كنت رابع من أسلم، أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع⁽²⁾. وعلى هذا فهو المقدم على كل من دخل إفريقية من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على السابقة في الإسلام، فلا هو ذكرهم على ترتيب فضائلهم، ولا على ترتيب موالدهم ولا على ترتيب وفاتهم، وربما فعل ذلك في بعضهم ثم عاد فخلط. وكذلك فيمن بعدهم وخصوصاً في أواخر⁽³⁾ الكتب. ومن طالع كتابه ممن له أنس بالنقل إنكشف له ما أشرت إليه.

[أول فارس غزا بفرسه في سبيل الله]

قال: وكان المقداد من فضلاء الصحابة ونجباءهم، وهو أول من غزا به فرسه في سبيل الله تعالى وكان قديم الإسلام شهيداً بداراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

[أول سهم رمي به في سبيل الله]

قلت: وكان لم يقدم على الهجرة ظاهراً فأتى مع المشركين من قريش هو وعتبة بن⁽⁴⁾ غزوان ليتوصلا⁽⁵⁾ بالمسلمين فأنحازا إليهم، وذلك في السرية التي بعث

(1) نورد في كتاب الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر: أنه كان سابع سبعة في الإسلام، أسلم بعد ستة ص: 275 رقم 275، وليس الثالث من أسلم كما في المعالم.

(2) قال ابن عبد البر: كان من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامساً، الاستيعاب ص: 800.

(3) في ت: آخر.

(4) هو عتبة بن غزوان بن جابر، ويقال: عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر بن وهب بن نسيب يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا غزوان فهو سابع سبعة في إسلامه، وقد قال ذلك في خطبته بالبصرة: ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى فرحت أشدقنا، هاجر إلى الحبشة وهو ابن أربعين سنة مات سنة خمس عشرة وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة، الاستيعاب ص: 565 رقم (1914).

(5) في ط: ليتوصلا، والنصواب ما أثبتته من: ت.

بها رسول الله ﷺ عبدة⁽¹⁾ بن الحارث إلى ثنية المرة⁽²⁾ فلقوا جمعاً من قريش عليهم
عكرمة بن أبي جهل، فرمى سعد بن أبي وقاص يومئذ بسهم فکان أول سهم رُمي به
في سبيل الله، وهرب عتبة بن غزوان، والمقداد بن الأسود إلى المسلمين. وشهد
المقداد في ذلك العام بدرًا.

[وزراء رسول الله ﷺ ونجباؤه ورفقاؤه]

وروي: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال⁽³⁾: أول من أظهر الإسلام
سبعة فذكر منهم المقداد. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «ألا لم يكن نبي إلا أعطي سبعة نجباء وزراء ورفقاء وإني أعطيت
أربعة⁽⁴⁾ عشر: حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن
مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال».

قال: روى بريدة بن الحُصيب⁽⁵⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني
بِحُبِّ أربعة وأخبرني أنه يحبهم وهم: علي والمقداد وأبو ذر وسلمان»⁽⁶⁾. وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لقد شهدت من⁽⁷⁾ المقداد مشهداً لأن
أكونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إلي مما طلعت عليه الشمس. وذكر⁽⁸⁾ أنه أتى النبي ﷺ وهو
يذكر المشركين، فقال: يا رسول الله لا نقولُ لك كما قال أصحاب موسى:
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]. ولكن نقاتل بين

- (1) هو عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف كان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين.
ترجم له في الاستيعاب ص: 466 - 467 رقم 1657 والإصابة 4/ 209 - 210 رقم 5367.
- (2) في ت و ط: المروة، التصويب من الاستيعاب ص: 466، ومن تاريخ الطبري 11/ 2 و 207
وثنية المرة هي بناحية الجحفة، وتاريخ خليفة بن خياط ص: 23.
- (3) في ت قال: قال رسول الله ﷺ.
- (4) في ط و ت: سبعة عشر. والصواب ما أثبتناه اعتماداً على عدد الصحابة الذين ذكرهم علي بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنه ابتداءً بحمزة ونهاية ببلال وعددهم أربعة عشر.
- (5) في ط و ت: الخطيب وهو تصحيف لكلمة: الحُصيب. التصويب من الاستيعاب ص: 94.
واسمه الكامل: بريد بن الحُصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج، والإصابة 1/ 151 رقم
629. مات سنة 63هـ في خلافة يزيد بن معاوية.
- (6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (23078) 5/ 417، وابن ماجه في سننه المقدمة (11)
باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ حديث (149) 1/ 53.
- (7) في ط: في.
- (8) في ط: وذلك.

يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك قال: فرأيت رسول الله ﷺ أشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه.

قلت: وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ وَيَرْجِعُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ: «أَوَّابٌ»⁽¹⁾، وَسَمِعَ آخَرَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَقَالَ: «مُرَائِي» فَنظَرُوا فَإِذَا الْأَوَّابُ الْمَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو الْبَهْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قال: شهد المقداد فتح مصر وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه أبو سعيد بن يونس وذكر عبد الله بن وهب في جامعه قال: أخبرني عبد الله بن شهيب أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يذكر أن المقداد بن الأسود كان قد غزا مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية، فلما رحلوا قال عبد الله بن مسعود للمقداد في دار بناها كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له المقداد: إن كانت من مال الله⁽²⁾ فقد أفسدت، وإن كانت من مالك فقد أسرفت، فقال عبد الله: لولا أن يقول قائل أفسدت مرتين لهدمتها.

قلت: نقل هذه الحكاية أبو بكر المالكي⁽³⁾ وغيره.

قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأنصاري، قال: أخبرنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال⁽⁴⁾، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، عن أبيه، عن أبي أيوب سليمان بن خلف [بن سليمان]⁽⁵⁾ بن عمرو بن أبي عبد الله محمد بن [أحمد بن محمد]⁽⁶⁾ بن يحيى بن مفرج⁽⁷⁾ محمد بن أيوب الرقيق قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو البزار قال: حدثنا

(1) «أَوَّابٌ»: كثير الرجوع. راجع لسان العرب مادة «أوب» 218/1.

(2) في ت: عبد الله.

(3) الرياض 74/1، وفتوح مصر والمغرب ص: 294 - 295.

(4) صاحب كتاب «الصلة» في تاريخ علماء الأندلس المتوفى سنة 578 هـ. ترجم له في طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 502، والشذرات 261/4 - 262.

(5) ما بين المعقوفين سقط من ت وط. الزيادة من الصلة لابن بشكوال ص: 173 رقم 445.

(6) ما بين المعقوفتين سقط من ط وت. الزيادة من الديباج المذهب لابن فرحون ص: 409، وشذرات المذهب 97/3، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: 367.

(7) في ت و ط فرج. التصويب من الديباج، والشذرات، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: 367.

محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان عن منصور، عن إبراهيم، عن همام عن المقداد عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»⁽¹⁾.

[السعيد من جنب الفتن]

قال: وحدثنا محمد بن مسكين⁽²⁾ قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير⁽³⁾ الحضرمي عن أبيه عن المقداد بن الأسود كان يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لِمَنْ جُنِبَ»⁽⁴⁾ الفتن» كرر ذلك ثلاث مرّات.

قلت: واعترض العواني ذكر هذا الحديث، وَمَا بَعْدَهُ⁽⁵⁾ لقوله: إنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة⁽⁶⁾ وَمَعْلُومٌ أَن كِتَابَهُ إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ وَضِعَ لِبَيَانِ أَخْلَاقِ الْقَوْمِ وَفَضَائِلِهِمْ لَا لِلأَحَادِيثِ، ولكل مقام مقال، ولو كانت في الزهد لكان الأمر أخف، لأن أحاديث الزهد وما في معناها مما يليق بكتابه، لَكِنَّهَا مِنْ كُلِّ فَنٍ وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِكِتَابِهِ. وأيضاً فإنه ذكر في كتابه أحاديث منها ما هو

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من رواية المقداد في كتاب الزهد والرقاق (9) باب تسميت العاطس وكراهة الثاؤب حديث 69 (3002) ص: 1552.

(2) محمد بن مسكين بن نُمَيْلَةَ أبو الحسن اليمامي ثقة نزيل بغداد. تقريب التهذيب 2/ 132 رقم 6309.

(3) في ت و ط: ابن نُمَيْرٍ، وهو تَضْحِيْفٌ لكلمة: ابن نَفَيْرٍ. انظر: تهذيب التهذيب 6/ 154، والتقريب 1/ 564 رقم 3839.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة حديث (4263) 2/ 310 من طريق معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن المقداد بن الأسود ولفظ الحديث كما يلي: أَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لِمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لِمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا» وفي الجامع الصغير عزاه السيوطي لأبي داود، وحسنه ص: 123 رقم 2009.

(5) في ط: بعد التصويب من: ت.

(6) في ت: الموضوعة. والحديث المرفوع هو: ما أُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَلَا يَقَعُ مَطْلُوقُهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ نَحْوَ الْمَوْقُوفِ عَلَى الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ. انظر مقدمة ابن الصلاح النوع السادس ص: 22. وفي هذا يقول العراقي في نظم ألفيته:

وَسَمَّ مَرْفُوعاً مُضَافاً لِلنَّبِيِّ وَأَشْتَرَطَ الْخَطِيبُ رَفَعَ الصَّاحِبِ
وَمَنْ يَقَابِلُهُ بِذِي الإِرْسَالِ فَقَدْ عَنَى بِذَلِكَ ذَا اتِّصَالِ

صحيح، ومنها ما هو سقيم. وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَمَهُورَ النَّاسِ يَخْفَى عَلَيْهِمُ الصَّحِيحُ مِنْ غَيْرِهِ فَسُتِرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ غِشًّا. وَرَوَى عَنِ الْمُقَدَّادِ جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ. مِنْهُمْ طَارِقُ بْنُ شَهَابٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ⁽¹⁾ بْنِ الْخِيَارِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال: وتوفي المقداد وهو في أرضه بالجرف فحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ وَدُفِنَ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً.

2 - وَمِنْهُمْ أَبُو الْيُسْرِ، كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ⁽²⁾:

قال: شهد العقبّة وبدراً وهو ابن عشرين سنة، وهو الذي أسرَّ العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وكان رجلاً قصيراً القامة والعباس رجلاً طويلاً ضخماً فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه يا كعب ملك عظيم»⁽³⁾، وكعب هو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر وكانت بيد أبي عزيز بن عمر⁽⁴⁾ وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وتوفي بالمدينة سنة خمس وخمسين. أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي الإسكندراني قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ قال: أخبرنا عمر بن محمد بن عمرو قال: حدثنا أبي عن عبادة بن الوليد، قال: سَمِعْتُ أبا الْيُسْرِ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا⁽⁵⁾ ظِلُّهُ».

(1) في ت و ط: «علي» والصواب ما أثبتناه من التهذيب 36/7، والتقريب 636/1.

(2) ترجم له في: الاستيعاب ص: 626 رقم 2171، والإصابة في تمييز الصحابة في كتاب الكنى رقم (1243) 218/7. وقال: أبو اليُسْرِ بفتح اليناء مفتحة الأنصاري اسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم...، وتهذيب التهذيب 437/8، شذرات الذهب 61/1.

(3) انظر: تاريخ الطبري 40/2.

(4) أبو عزيز بن عمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي قال أبو عمر: اسمه: «زُرارة» وله صحبة وسمع من النبي ﷺ. ترجم له في: الاستيعاب ص: 839 رقم 3074، الإصابة 130/7 رقم 753.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي اليُسْرِ كتاب الزهد والرفائق، (18) باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليُسْرِ حديث 74 - (3006) ص: 1555 - 1556.

قلت: وروى عنه حنظلة⁽¹⁾ بن قيس وعبادة بن الوليد، وربيع بن حراش⁽²⁾.

3 - ومنهم عبد الله بن أنيس الجُهيني حليف الأنصار⁽³⁾:

قلت: [وقيل]⁽⁴⁾ هو حليف لأبي سواد من بني سلمة وقيل: هو من الأنصار، دخل في جُهينة وأختلف في كنيته، فقيل: كنيته أبو يحيى، وقيل: أبو أيمن وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة وشهد أحداً وما بعدها.

قال: صحب النبي ﷺ وصلى معه القبليتين وكان مهاجرياً⁽⁵⁾ أنصاريّاً عقبيّاً. وهو الذي سأل النبي ﷺ عن ليلة القدر فقال: يا رسول الله إني شاسع الدار فمُرني⁽⁶⁾ بليلة أنزلها، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين»⁽⁷⁾ وتعرف الليلة بليلة الجُهيني بالمدينة. وبعثه النبي ﷺ لخالد بن سفيان سرية وحده فقتله، قال أبو سعيد بن يونس وغيره: شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح. حدثنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر القرشي، قال: أخبرنا الحافظ محمد بن أحمد السلفي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن بطة العكبري قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد البغوي قال: أخبرنا وهب بن بقية. قال: حدثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن محمد بن زيد القرشي عن عبد الله بن أبي أمامة عن عبد الله بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أكبر الكبائر

(1) في ط: طلبة، وفي ت: طلحة، والصواب ما أثبتناه من: الاستيعاب ص: 140 رقم 397، وقال: وُلِدَ على عهد رسول الله ﷺ، والإصابة في تمييز الصحابة 2/ 45 رقم 1862، وتهذيب التهذيب 3/ 63.

(2) في ط: حراش، وفي ت: حواش، والصواب ما أثبتناه بحراش، بالحاء اعتماداً على الاستيعاب في قوله: روى عنه: حنظلة بن قيس، وربيع بن حراش، وعبادة بن الوليد ص: 626. وتُرجم لربيع بن حراش في تهذيب التهذيب 3/ 236، وفي تاريخ الثقات للعجلي ص: 152 رقم 415.

(3) ترجم له في الاستيعاب ص: 380 رقم 1298، الإصابة 4/ 37 - 38 رقم 4541.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (5) في ت: مهاجراً.

(6) في ت و ط: فمر لي. التصويب من سنن أبي داود، والاستيعاب، وفي الرياض: مُرني.

(7) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في ليلة القدر حديث (1380) 1/ 323، وورد أيضاً في الاستيعاب ص: 380 عند ترجمته. وهو حديث «حسن»، والبيهقي في سننه الكبرى كتاب الصيام، باب الترغيب في طلبها ثلاث وعشرين 4/ 309 - 310.

الإشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس⁽¹⁾ والذي نفسي بيده لا يَخْلِفُ أَحَدٌ يَمِينَنَ صَبْرَ وَإِنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ نَكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾. وخرجه الترمذي عن عبد⁽³⁾ بن حُميد عن يونس بن محمد عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد⁽⁴⁾ عن محمد بن زيد عن أبي أَمَامَةَ فذَكَرَهُ وَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَدَفِنَتْ مَعَهُ مَخْضَرَةً⁽⁵⁾ كَانَ أُعْطَاهَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: «تَخْضَرُ بِهَا حَتَّى تَلْقَانِي بِهَا فَإِنَّ أَقْلَ النَّاسِ الْمُتَخَضِرُونَ»⁽⁶⁾ يَوْمئِذٍ. فَلَمَّا مَاتَ جُعِلَتْ عَلَى بَطْنِهِ وَدُفِنَتْ مَعَهُ.

قلت: روى عنه أبو أَمَامَةَ، وجابر بن عبد الله. وروى عنه من التابعين: الليث⁽⁷⁾ بن سعد وَبَنُوهُ: عطية، وعمرو، وَضَمْرَةٌ⁽⁸⁾. وعبد الله بن عبد الله بن أنيس الجُهَنِيُّ.

4 - ومنهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب⁽⁹⁾ رضي الله تعالى عنهما:

قال: أمه زينب⁽¹⁰⁾ بنت مَطْعُون، وكان شقيق حفصة أم المؤمنين.

- (1) سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار.
- (2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان والنذور باب اليمين الغموس حديث (6675) وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير، باب وَمَنْ سَوَّاهُ النِّسَاءُ حَدِيثَ (3031) 18/5 من طريق: أبي أَمَامَةَ، قال عنه الترمذي: هو ابن ثعلبة، ولا نعرف اسمه وقد روى النبي ﷺ أحاديث. ثم قال: «هذا حديث حسن غريب».
- (3) في ت و ط: عبد الله. والصواب ما أثبتناه من سنن الترمذي من سَنَدِهِ قَوْلُهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ...
- (4) في ت و ط: سعد بن هشام، التصويب من سنن الترمذي اعتماداً على سند متن الحديث.
- (5) المخضرة: كالسوط، وقيل: المخضرة شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها. انظر: لسان العرب مادة «خضر» 242/4 - 243.
- (6) في ت: المختصرون.
- (7) في الاستيعاب: بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ، بينما في الإصابة لم يرد لهما ذكراً.
- (8) في ت و ط: حمزة. والصواب ما أثبتناه من: الاستيعاب، والإصابة.
- (9) ترجم لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في: الاستيعاب ص: 419 - 421، الإصابة في تمييز الصحابة 4/107 رقم 4825، صفة الصفوة 1/247 - 256، شذرات الذهب 1/81، الرياض المستطابة ص: 196 - 198، رياض النفوس 1/61 - 62، فتوح مصر والمغرب ص: 292 - 294.
- (10) زينب بنت ابن مَطْعُون الجُمَحِيَّةِ وزوجة عمر بن الخطاب، وأم عبد الله، وحفصة، كانت من المهاجرات. ترجم لها في الاستيعاب ص: 909 رقم 3332، والإصابة 8/99.

قلت: كان من أهل الورع والعلم، كثير الأتباع لآثار رسول الله ﷺ، شديد التحري والاحتياط، والتوقي في فتواه.

قال: أسلم بمكة بإسلام أبيه وهو صغير.

قلت: زاد غيره في هذا القول، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وقيل: إن إسلامه كان قبيل إسلام أبيه والصحيح أن هجرته كانت قبل هجرة أبيه وإسلامه كان بعد إسلام أبيه.

قال: وأول مشاهديه الخندق⁽¹⁾ وهو ابن خمس عشرة سنة.

قلت: ما ذكره هو الصحيح. وقيل: عرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فرده، ويوم أحد فرده لصغر سنه، وشهد الحديبية وباع بيعة الرضوان.

[أول من باع بيعة الرضوان]

قلت: وقال بعض أهل السير: أنه أول من باع يومئذ. والصحيح أن أول من باع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان بالحديبية تحت الشجرة أبو سنان الأسدي⁽²⁾.

قال: وكان يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ إذا حضر ويسأل من حضر عما فات، وكان رضي الله تعالى عنه ملازماً للجهاد في سبيل الله، ما تخلف عن سرية مع رسول الله ﷺ، وبعده حتى وقعت الفتن، فترك الغزو ولازم الحج حتى مات. وذكر أنه حج ستين حجة. قلت: يريد كما قال غيره بعد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، قال: وأفتى الناس في الإسلام ستين سنة وقال النبي ﷺ لحفصة بنت عمر أم المؤمنين: «إن أخاك عبد الله بن عمر رجل صالح، لو كان يقوم من الليل». فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل.

قلت: وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت في المنام كأن بيدي قطعة استبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه فقصصتها على حفصة

(1) كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة وكانت فكرة الخندق بحفره ترجع للصحابي الجليل «سلمان الفارسي». راجع الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص: 121، والفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير ص: 57.

(2) أبو سنان الأسدي اسمه: وهب بن عبد الله، ويقال: عبد الله بن وهب، ويقال: عامر ولا يصح. توفي سنة خمس من الهجرة. ترجم له في الاستيعاب ص: 810 - 811 رقم 2963.

فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أَخَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ»⁽¹⁾ أخرجاه في الصحيحين. وقال سعيد بن المسيب: «لو كنت شاهداً لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر»⁽²⁾. وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمِعته وهو ساجد وهو يقول: «قَدْ تَعَلَّمُ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ مُزَاخَمَةِ قَرِيشٍ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا خَوْفَكَ»⁽³⁾. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت ألزماً للأمر الأول من عبد الله بن عمر. قال: وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «ما أخذ إلا ما لث به الدنيا، إلا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله»⁽⁴⁾ وكان إذا أعجبه شيء من ماله خرج عنه لله عز وجل وكان ربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً وكان يأتي عليه الشهر ما يأكل فيه غلة لحم، وما مات حتى أغتق ألف رقة أو أكثر⁽⁵⁾. وروى أنه أُعطي في نافع مولاة عشرة آلاف درهم أو ألف [دينار]⁽⁶⁾ وقال: هو خر لوجه الله»⁽⁷⁾. وكان رضوان الله عليه يتصدق بالسكر لأنه كان يحبه يتأول قوله تعالى: ﴿لَنْ نَسْأَلَكَ الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92].

قلت: عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: «اجتمع عند الحجر مضعب، وعروة، وعبد الله بنو»⁽⁸⁾ الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمني الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمني أن يؤخذ عني العلم. وقال مضعب: أما أنا فأتمني إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمني المغفرة. فقال كل واحد منهم ما تمنى، ولعل ابن عمر قد غفر له»⁽⁹⁾. وروى

(1) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير (61) باب الاستبراق. (25) حديث (7015) واللفظ له، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة (44) باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث (2478/139) ص: 1302.

(2) صفة الصفوة 1/248. (3) صفة الصفوة 1/248.

(4) الاستيعاب ص: 420 وفيه: «ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر، وابنه عبد الله».

(5) في ت: أوزاد.

(6) في ت و ط: درهم. التصويب من صفة الصفوة 1/250.

(7) صفة الصفوة 1/250 من رواية عاصم بن محمد عن أبيه.

(8) في ت و ط: ابن، التصويب من صفة الصفوة 1/248. والثلاثة بالفعل هم أبناء الزبير.

(9) صفة الصفوة 1/248.

أن مروان بن الحكم دَخَلَ فِي نَفْرِ عَلِيٍّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بَعْدَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يُبَايِعُوا لَهُ قَالَ: كَيْفَ لِي بِالنَّاسِ؟ فَقَالُوا⁽¹⁾: تَقَاتَلْتَهُمْ⁽²⁾، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيَّ أَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا أَهْلَ فِدْكَ مَا قَاتَلْتَهُمْ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَمَرَّوَانُ يَقُولُ:
[البحر البسيط]

* وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى⁽³⁾ لِمَنْ غَلَبَا *

قال: غَزَا عَبْدَ اللَّهِ إِفْرِيْقِيَّةَ مَرَّتَيْنِ الْأُولَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَالثَّانِيَةَ مَعَ مَعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْجٍ⁽⁴⁾ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَتْ بَنِيَّةٌ لَهُ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ فَدَفَنَهَا بِبَابِ سَلَمٍ الْآنَ فَلَمَّا خُطِّتِ الْقَيْرَوَانُ اتَّخَذَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ مَقْبَرَةً مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَسُمِّيَتْ مَقْبَرَةُ قُرَيْشٍ بِتِلْكَ الصَّبِيَّةِ. ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو الْعَرَبِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمٍ⁽⁵⁾ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّارِيخِ.

قال: حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْغَالِبِ الصُّوفِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْكُرَمِ بْنِ الْبِنَاءِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّوْدِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْوِيَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الْفَرَبْرِيِّ⁽⁶⁾، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْبَخَّارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْذَرِ الطُّفَاوِيِّ عَنِ⁽⁷⁾ الْأَعْمَشِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي وَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ. وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»⁽⁸⁾. وَتَوَفِّيَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِهَا مِنْ

(1) فِي الْاسْتِيعَابِ، وَت: قَالَ.

(2) فِي الْاسْتِيعَابِ: تَقَاتَلْتَهُمْ وَنَقَاتَلْتَهُمْ مَعَكَ ص: 420.

(3) فِي ت وَ ط: لَيْلَى. التَّصْوِيبُ مِنَ الْاسْتِيعَابِ ص: 420.

(4) رِيَاضُ النُّفُوسِ 62/1 وَلَمْ يَرِدْ ذَكَرُ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ.

(5) طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةٍ وَتُونِسَ ص: 78.

(6) فِي ط: الْبَرْبَرِيُّ وَهُوَ خَطَاٌ وَالصُّوَابُ مَا أُبْتِنَاهُ.

(7) سَقَطَ مِنْ: ط. الزِّيَادَةُ مِنْ: ت. وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطُّفَاوِيُّ أَبُو الْمَنْذَرِ بَصْرِيُّ ثِقَةٌ صَدُوقٌ يَهُمُّ. تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 106/2 رَقْمٌ 6107.

(8) أَخْرَجَهُ الْبَخَّارِيُّ فِي الصَّحِيحِ كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» حَدِيثٌ (6416) ص: 1619.

الصحابة وصلّى عليه الحجاج بن يوسف ودفن بذي طوى وهو ابن ستّ وثمانين سنة .

قلت: وكان قد كَفَّ بَصْرُهُ وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي الْحَلِّ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ فِدْفَنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ بِذِي طَوَى وَقِيلَ صَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَقِيلَ تُوْفِيَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَيُقَالُ سَبْعَ .

5 - ومنهم أبو ذر الغفاري⁽¹⁾ رضي الله عنه :

قال: اسمه جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ .

قلت: ما ذكر أن اسمه جندب هو أشهر الأقوال الثلاثة وقيل: جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَقِيلَ: جُنْدُبُ بْنُ سَكَنٍ، وَأُمُّهُ رَمْلَةٌ بِنْتُ الْوَقِيعَةِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ أَيْضًا .

قال: كان أبو ذر من كبار الصحابة وأفاضلهم قديم الإسلام ورؤي عنه [أنه قال: كُنْتُ رَابِعَ الْإِسْلَامِ أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ وَأَنَا الرَّابِعُ]⁽²⁾ [3] .

قلت: وقيل إنه أسلم بعد أربع .

قال: وروى عبد الله بن الصامت قال: قال لي أبو ذرّ: يا بن أخي صلّيت قبل الإسلام بأربع سنين .

قال: قلت: من كنت تعبد؟ قال: إله السماء، قلت: فأين كانت قبلك؟ قال: حيثما وجهني الله. أسلم بمكة ثم رجع إلى قومه فأقام معهم حتى مضت بدرّ وأحد، والخندق، ثم قدم على النبي ﷺ وصحبه إلى أن مات⁽⁴⁾ .

قلت: وله في إسلامه خبر حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال: لما بلغ أبو ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه أنيس: اركب بمكة إلى هذا

(1) ترجم له في الاستيعاب ص: 110 رقم 289، الإصابة 60/7 - 63 رقم 382، صفة الصفوة 1/258 - 264، رياض النفوس 1/71 - 72، فتوح مصر والمغرب ص: 315 - 317، تهذيب التهذيب 12/90، الرياض المستطابة ص: 284، حسن المحاضرة 1/202 رقم 308، شذرات الذهب 1/39، حلية الأولياء 1/156 - 170 .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت .

(3) جاء في الاستيعاب: كان إسلام أبي ذر قديماً، فيقال: بعد ثلاثة، ويقال: بعد أربعة، وقد روي عنه أنه قال: أنا رُبِعُ الْإِسْلَامِ، وقيل خامساً ص: 110 .

(4) انظر الاستيعاب ص: 110 - 111 .

الوادي واعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتيني. فانطلق حتى قدمَ وَسَمِعَ من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيتُه يَأْمُرُ بمكارم الأخلاقِ وَسَمِعْتُ كَلَاماً ما هو بالشعر قال: ما شَفَيْتَنِي فيما أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً⁽¹⁾ فيها ماء حتى قدمَ مكة فأتى المسجد فَالْتَمَسَ النبي ﷺ وهو لا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عنه حتى أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فاضطجع فَرَأَهُ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قال: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل، قال: فانطلقت معه لَا يَسْأَلُنِي عن شيءٍ وَلَا أَسْأَلُهُ قال: فلما أصبحت من الغدِ رَجَعْتُ إلى المسجدِ فبقيت يَوْمِي حتى أَمْسَيْتُ وصرت إلى مَضْجَعِي فَمَرَّ بي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال: أما أَنْ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَنِي وذهب بي معه وَلَا يَسْأَلُ واحدٌ مِنَّا صَاحِبَهُ عن شيءٍ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك قال: فأقامني عَلَيَّ معه ثم قال لي: أَلَا تُحَدِّثُنِي ما الذي أَقْدَمَكَ هَذَا البلد؟ قال: إن أعطيتني عَهْدًا وَمِيثَاقًا لترشدني فعلت، ففعل فأخبره عَلَيَّ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي حتى تدخل معي مدخلي قال: فانطلقت أَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ودخلت معه وَحَيَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بتحية الإسلام.

[أول مَنْ حَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بتحية الإسلام]

فقلت: السلام عليك يا رسول الله فكنت أول مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ فقال: «وعليك السلام، مَنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَّارٍ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمْتُ وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال لي رسول الله ﷺ: «إرْجِعْ إلى قَوْمِكَ وَأَخْبِرْهُمْ وَآكُتْمُ أَمْرِكَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ» فقلت: والذي نفسي بيده لأصوتنَّ بها بين أظهرهم⁽²⁾. فخرج حتى أتى المَسْجِدَ فنادى بأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَثَارَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ [وَأَتَى]⁽³⁾ العباس فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَيْلُكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَّارٍ، وَأَنْ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ

(1) الشَّنَّةُ: القِرْبَةُ.

(2) في الإصابة، وصفة الصفوة: ظهرانيهم.

(3) في ت و ط: «فنادى»، التصويب من الإصابة 61/7، وصفة الصفوة 260/1.

إلى مثلها فثاروا إليه فضرَبوه فأكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ أَيْضاً مِنْهُمْ، ثُمَّ لَحِقَ بِقَوْمِهِ فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قال: وكان يقول: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنْ الدُّنْيَا كَهَيْئَةِ مَا تَرَكْتَهُ فِيهَا» وأنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث منها بشيء غيري⁽¹⁾. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ⁽²⁾». وقال عليه الصلاة والسلام: «أبو ذر في أممي على زهد عيسى ابن مريم⁽³⁾» وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «وعى أبو ذر علماً عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئاً».

قلت: روى إبراهيم⁽⁴⁾ بن الأشرع عن أبيه عن أبي ذر قال: «كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً من تمر فليست بزائدٍ عليه حتى ألقى الله عز وجل⁽⁵⁾». قال: وقال أبو بكر المالكي رحمه الله تعالى: «شهد أبو ذر غزوة إفريقية مع عبد الله [ابن سعد]⁽⁶⁾ بن أبي سرح رضي الله تعالى عنه مشاهداً كليهما⁽⁷⁾».

(1) أخرجه أحمد في كتاب الزهد. قال ابن حجر: وأظنه منقطعاً لأن عراقاً لم يسمع من أبي ذر، ثم قال: «قد أخرج أبو يعلى معناه من وجه آخر عن أبي ذر متصلاً لكن سنده ضعيف». انظر الإصابة 62/7.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (21782) 234/5 - 235 دار الكتب العلمية ط I ص 93. من حديث أبي ذر، وأخرجه الترمذي في سننه من رواية عبد الله بن عمرو في كتاب المناقب، 35 باب مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه حديث (3827) وقال الترمذي: «وهذا حديث حسن» ولفظه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر». كذا أخرجه من رواية أبي ذر بلفظ آخر في آخره: «ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى ابن مريم» حديث (3828) من نفس الباب والكتاب وقال: «حسن غريب» وابن ماجه في سننه كتاب المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ حديث (156) 55/1 من رواية عبد الله بن عمرو.

(3) قال الترمذي عقب حديث (3828) وقد روى بعضهم هذا الحديث فقال: «أبو ذر يمشي في الأرض يزهد عيسى ابن مريم» وقد روي نحوه عن مالك بن دينار مرسلاً في طبقات ابن سعد 228/4.

(4) في ت و ط: أبو إبراهيم والصواب ما أثبتناه من الاستيعاب ص: 112.

(5) الاستيعاب ص: 112. (6) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(7) رياض النفوس 71/1 ولفظه: كان من كبار الصحابة، وكان كثير العزلة، ودخل إفريقية غازياً مع ابن أبي سرح وشهد مشاهداً وشهد فتح مصر واختط بها. توفي «بالربذة» سنة إحدى وثلاثين.

[وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر]

حدثنا الحسن علي بن عبد الله الشافعي قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد المقرئ، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا الحسن بن علي بن هذيل الواسطي، قال: أخبرنا محمد بن حرب قال: حدثنا يحيى بن أبي زكرياء الغساني عن إسماعيل بن أبي خالد، عن بديل بن مسرة، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر الغفاري قال: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بست: حُبُّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ أَصِلَ رَحْمِي وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وَأَنْ أَنْظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرّاً، وَأَنْ لَا تَأْخُذَنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ»⁽¹⁾. وبإسنادنا إلى البخاري قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا جرير بن عبد العزيز بن رُفَيْع، عن زهير بن وهب، عن أبي ذر قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظِلِّ الْقَمَرِ فَالْتَفَتَ فَرَأَنِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فقلت: أبو ذر، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فقال: «يا أبا ذر! تعال» فمشيت معه ساعة ثم قال: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْراً»⁽²⁾ فنفخ فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه [وَعَمَلٌ]⁽³⁾ فيه خيراً». وتوفي أبو ذر رضي الله تعالى عنه بِالرَّبَذَةِ⁽⁴⁾ سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قلت: وعن ابن نعيم عن الأشر عن أبيه عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: لما حَضَرَتْ أَبَا⁽⁵⁾ ذَرَّ الْوَفَاةَ بَكَيْتُ فَقَالَ: [لِي]⁽⁶⁾ مَا يُبْكِيكَ؟ فقلت: وما لي لا أبكي، وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوبٌ يَسْعُكَ [كَفَنًا]⁽⁷⁾ لي ولا لك؟ ولا

(1) انظر حلية الأولياء 1/ 159 - 160.

(2) في ت و ط: مالا. التصويب من صحيح البخاري.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط. التصويب من صحيح البخاري. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق 13/ 13 باب المكثرون هم المُقْلُونَ حديث (6443) ص: 1625. والحديث أطول مما ورد هنا في معالم الإيمان.

(4) الرَبَذَةُ: من القرى القديمة في الجاهلية. انظر المعطار ص: 266.

(5) في ط: أبو.

(6) ما بين المعقوفتين زيادة من الاستيعاب ص: 111.

(7) ما بين المعقوفتين زيادة من الاستيعاب.

طاقة لي بجهازك، فقال: لا تبكي وأبشري فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنفري أنا فيهم⁽¹⁾: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وليس من أولئك النفرا أحدٌ إلا وقد مات في قرية وجماعة، فأنا ذلك الرجل، فوالله ما كذبتُ، ولا كذبتُ فأبصري الطريق فقالت⁽²⁾ أنى وقد ذهب الحاج وانقطعت⁽³⁾ الطريق، قال: اذهبي وأبصري⁽⁴⁾ الطريق، قالت: فكنت أشتدُّ إلى الكثيب فأنظر ثم أرجع إليه، فأمرضه فبينما هو وأنا كذلك إذا⁽⁵⁾ أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم⁽⁶⁾ تحثُّ بهم رواجلهم فأسرعوا إلي حتى وقفوا علي فقالوا: يا أمة الله ما لك؟ فقلت: أمرؤ من المسلمين يموت تكفونوه؟ قالوا: من هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، قالت: ففدوه بأبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفري أنا فيهم: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»⁽⁸⁾ وليس من أولئك النفرا أحدٌ إلا وقد هلك في نفر وجماعة، ما كذبتُ ولا كذبتُ، ولو كان عندي ثوب يسعني لي أو لامراتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها وإني أنشدكم⁽⁹⁾ الله أن لا يكفني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً وليس من أولئك النفرا أحدٌ إلا وقد قارف⁽¹⁰⁾ بغض ما قال، إلا فتى من الأنصار قال: يا عم أنا أكفئك في ردائي هذا وفي ثوبين وفي عيبتى⁽¹¹⁾ من غزل أمي، قال: أنت تكفني، قالت:

- (1) في ت: منهم.
- (2) في ت و ط: فقلت والصواب فقالت. لأن الكلام يعود لزوجة أبي ذر وفي الاستيعاب: قلتُ وأنى.
- (3) في الاستيعاب: وتقطعت ص: 111.
- (4) في الاستيعاب: فتبصري ص: 111، وفي مسند أحمد: فراقبي حديث (21523).
- (5) في ط: وإذا.
- (6) الرخم: الإشفاق، واللين، وقيل الرخم نوع من الطير واحده رخمه وهو موصوف بالصدر على شكل النسرخلقة. راجع لسان العرب مادة «رخم» 233/12 - 236.
- (7) في ط: تشهده. وفي ت ومسند أحمد: يشهده.
- (8) في ت و ط: المسلمين. التصويب من: الاستيعاب، ومسند أحمد، وصفة الصفوة، والرياض.
- (9) في ت: أشهدكم.
- (10) في ت و ط: قارب، التصويب من: الاستيعاب، والرياض، وصفة الصفوة.
- (11) في ت و ط: عيبتى. التصويب من: الاستيعاب، والرياض، وصفة الصفوة.

فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيَّ وَغَسَلَهُ فِي النَّفْرِ الَّذِينَ حَضَرُوهُ، وَكَلَّمَهُمْ [مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ] ⁽¹⁾ وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ⁽²⁾.

6 - ومنهم أبو عبد الله عمرو ⁽³⁾ بن عوف المُرَني ⁽⁴⁾:

وهو جدُّ كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف.

قال: هو من أهل الصُّفَّةِ قديم الإسلام.

قلت: يُقال: إنه قدم مع النبي ﷺ المدينة ويقال: إنَّ أوَّلَ مَشَاهِدِهِ الخندق. وله منزل بالمدينة، ولا يعلم حَيٌّ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ مَنْزِلٌ ⁽⁵⁾ بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ مَنْزِلِهِ ⁽⁶⁾. قال: ممن صَلَّى مع النبي ﷺ الْقِبْلَتَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ الْبَكَائِيْنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: 92] غَزَا إِفْرِيْقِيَةَ مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قاله: أبو العرب ⁽⁷⁾. فسكن المدينة ومات بها ⁽⁸⁾ في آخر خلافة معاوية ⁽⁹⁾ رضي الله تعالى عنه. حدثنا أبو الحسن علي بن هيبه الله الشافعي الخطيب قال: حدثنا شُهْدَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ الْأَبْرِيَّيْ قَالَتْ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَنَالٍ ⁽¹⁰⁾ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ⁽¹¹⁾ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى ⁽¹²⁾ التِّرْمِذِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا

(1) ما بين المعقوفتين وردت في ط وحدها فقط. ولم ترد في: ت، والمراجع المعتمدة في التخريج.

(2) أخرجه أحمد في مسنده 5/ 198 - 199 حديث (21523).

(3) في ت و ط: محرف إلى عثمان، التصويب من كتب مترجميه.

(4) ترجم لأبي عبد الله عمرو بن عوف المُرَني في الاستيعاب ص: 49 - 500 رقم 1771، الإصابة 5/ 9 رقم 5919، الرياض المستطابة ص: 216، تهذيب التهذيب 8/ 58، تهذيب التهذيب 1/ 742 رقم 5102 خرَّج له الشيخان حديثاً واحداً وهو حديث «تكبيرات العيدين» وخرَّج عنه الأربعة غير النسائي.

(5) في الاستيعاب: مجلس. (6) في الاستيعاب: مزينة.

(7) الوارد في كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب ص: 77 «ودخل إفريقية عبد الرحمن بن صبيعة وقد رأى النبي ﷺ، وعمرو بن عوف المُرَني».

(8) سقط من: ت. (9) تاريخ خليفة بن خياط ص: 140.

(10) في ط: نبال، التصويب من: ت، وشذرات الذهب 3/ 219.

(11) في ت و ط: أحمد. والصواب ما أثبتناه من الشذرات 3/ 219.

(12) في ت و ط: أبو علي وهو تصحيف لأبي عيسى.

عبد الله بن عبد الرحمن، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس⁽¹⁾ قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو⁽²⁾ بن عوف المزني، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدين⁽³⁾ بدأ غريباً ورجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي»⁽⁴⁾.

قلت: وخرج عنه البخاري فذكر عن إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: «كنا مع النبي ﷺ حتى قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً»⁽⁵⁾.

7 - ومنهم سلمة بن عمرو⁽⁶⁾ بن الأكوع الأسلمي⁽⁷⁾:

هكذا قال أبو عمر بن عبد البر والأكوع هو: سنان بن عبد الله بن قشير⁽⁸⁾ بن أسلم بن أفضى قال: كنيته أبو مسلم.

قلت: ما ذكره هو أحد الأقوال الثلاثة، وقيل: أبو عامر وقيل: أبو إياس وبه قال الأكثر. كني بابنه إياس.

(1) في ت و ط: أويس. والصواب ما أثبتناه من تقريب التهذيب وسنن الترمذي وهو الصواب 96/1.

(2) في ت: عمرو.

(3) في ت و ط: الإسلام. التصويب من سنن الترمذي. وقد جاء بلفظ: «الإسلام» في رواية عبد الله بن مسعود حديث (2638) في سنن الترمذي.

(4) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً حديث (2639) 4/285 - 286. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأول الحديث: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تآرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين في الحجاز معقل الأزوية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً...» وفي سننه كثير بن عبد الله قال أحمد: لا يحدث عنه، وقال مرة: منكر الحديث ليس بشيء، وقال مرة: لا يساوي شيئاً، وضرب على حديثه في المسند ولم يحدث به. كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي 3/23 رقم 2790.

(5) أخرجه الإمام البخاري برواية البراء بن عازب في كتاب الإيمان، 30 باب الصلاة من الإيمان حديث (40). أما رواية عمرو بن عوف فقد أخرجهما البزار في مسنده والطبراني. وقد عدّ ابن حجر طرقه في فتح الباري 1/130 ط I س 1989. دار الكتب العلمية بيروت.

(6) ما بين المعقوفتين في ت و ط: عون. التصويب من: الاستيعاب ص: 305، أسد الغابة 2/517، الطبقات الكبرى لابن سعد 4/228، تجريد الصحابة 1/230.

(7) ترجم لسلمة بن عمرو بن الأكوع في الاستيعاب ص: 305، أسد الغابة 2/517، الإصابة في تمييز الصحابة 3/11، الطبقات الكبرى لابن سعد 4/228 - 231 رقم 490.

(8) في ط: قيس. التصويب من: ت، والاستيعاب، وأسد الغابة، والتجريد.

قال: كان ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة.

قلت: روى عبد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بينما نحن قائلون نادى منادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ، فثبنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

قال: وهو الذي كَلَّمَهُ الذِّئْبُ⁽¹⁾. رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ ذِئْبًا أَخَذَ ظَبِيًّا فَطَلَبْتَهُ حَتَّى نَزَعْتَهُ مِنْهُ قَالَ: وَيْحَكَ مَا لِي وَلَكَ عَمَدتَ إِلَى رِزْقٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ رَزَقْنِيهِ، لَيْسَ مِنْ مَالِكَ نَزَعْتَهُ⁽²⁾ مني! قال: قلت: عباد الله هذا العجب! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ! قَالَ الذِّئْبُ: وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَصُولِ النَّخْلِ يَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَأْبُونَ إِلَّا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ. قَالَ: فَلَحَقْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ⁽³⁾.

قلت: ذكر ذلك أبو إسحاق بعد ذكر رافع بن عميرة⁽⁴⁾ الذي كلمه الذئب.

قال: وكان سلمة خيراً فاضلاً، وشجاعاً رامياً، وقال ابنه إياس: «ما كَذَبَ أَبِي قَطُّ»⁽⁵⁾.

قلت: يَعْنِي فِي عِلْمِهِ أَوْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهِ.

قال: وَغَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [سبع]⁽⁶⁾ غزوات ومع أبي بكر وزيد بن حارثة تسع غزوات⁽⁷⁾.

(1) أسد الغابة 517/2 برواية ابن إسحاق أنه قال: «سمعت أن الذي كلمه الذئب هو سلمة بن الأكوع وليس بشيء».

(2) في ت: تنزعه. (3) الاستيعاب ص: 305.

(4) رافع بن عميرة، ويقال: رافع بن عمرو، وهو رافع بن أبي رافع الطائي. كان لصباً في الجاهلية فدعاه الذئب إلى اللحق برسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: ورافع بن عميرة الطائي فيما تزعم طي هو الذي كلمه الذئب وهو في ضأن له يرعاها. الاستيعاب ص: 228 رقم 730.

(5) أسد الغابة 518/2.

(6) ما بين المعقوفتين زيادة من الاستيعاب ص: 305، وأسد الغابة 518/2.

(7) الطبقات الكبرى لابن سعد 228/4 في قول: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة تسع غزوات حين أمره رسول الله ﷺ علينا». ولم يذكر أبا بكر.

قلت: يعني خرج معهم في زمنه عليه الصلاة والسلام مع المبعوث. وروى
بنه ياس، عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: **خَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ** (1) قال:
وغر سمة فريقية فيما قاله سعيد بن يونس وغيره مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح
حدث أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحنفي، قال: حدثنا محمد بن عيسى بن سرايا
قال: أخبرنا أبو نوقت عبد لأون بن عيسى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن
سفيان، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن يوسف،
قال: أخبرنا محمد بن سعد عيل البخاري، قال: أخبرنا مكّي بن إبراهيم عن
يزيد بن أبي عبيد عن سمة قال: بايعت النبي ﷺ، ثم عدت (3) إلى ظل شجرة (4)
فلما خفت لئلا قال: يا بن الأكوع ألا تباعع؟ قلت: قد بايعت يا رسول الله،
قال: وأيضا فباعته ثانيا، فقلت: يا أبا مسلم عني أي شيء كنتم تباععون يومئذ؟
قال: عني لموت (5) وبهذا لإسناد عن [يزيد] بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة
في ساق سمة فقلت: يا أبا مسلم ما هذه [الضربة] (6)؟ قال: هذه (7) ضربة أصابني
بده خبير، فقال لئلا: أصيب سمة فأثيت النبي ﷺ فنفت فيه ثلاث نفثات فما
شكيت حتى الآن (8) وعمر سمة عمر ضويلاً قبل ثمانين سنة، وقيل غير ذلك.
سكن كربلاء وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين.

قلت: روى عنه بنه ياس ومولاه يزيد بن أبي عبيد، وروى عنه يزيد بن

خصيفة.

(1) أخرجه الإمام مسلم ضمن قصة ضربة في كتاب الجهاد (45) باب غزوة ذي قرد وغيره
حديث 131 - (1806)، وابن سعد في الطبقات 2: 64، والاستيعاب ص: 305، وأسد
النبوة 2: 517.

(2) في ت و ط: زيد، التصويب من صحيح البخاري، ويزيد بن عبيد (حجازي) تابعي، ثقة.
تاريخ الثقات لعجني ص: 479.

(3) في ت و ط: عدت، التصويب من صحيح البخاري.

(4) في ط: شجرة، التصويب من ت، وصحيح البخاري.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفرّوا، وقال
بعضها: عني لموت، حديث (2690) ص: 723.

(6) ما بين المعنيتين زيادة من صحيح البخاري.

(7) في ت و ط: هي، التصويب من صحيح البخاري.

(8) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي (39) باب غزوات خبير، حديث (4206)
ص: 1030.

لَيْتَ لَا يَرَاهُ إِلَّا لِأَوْلِيَاءَ فَلَا يَتَقَدَّرُونَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهَا حَتَّى يَصِيرَ غَنِيماً وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 وَقَالَ أَبُو نَعْرَبٍ: حَدَّثَنِي ⁽¹⁾ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ خَضِرٌ [خَفِرٌ] ⁽²⁾ قَبْرٌ بِأَبْلَدِيَّةٍ فَحَفَرُوا
 فِي تَرْتِيبٍ شَدِيدَةٍ لَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ أَحَدًا حَفَرَ فِيهَا فَظَهَرُوا عَلَى رَجُلٍ مَدْفُونٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ ⁽³⁾
 مِنْهُ شَيْءٌ، فَظَنُّوا أَنَّهُ أَبُو زَمْعَةَ ⁽⁴⁾ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قلت: إلى غير ذلك مما يُحكى عن الصالحين وغيرهم من إجابة الدعاء [في
 ذلك الموضع] ⁽⁵⁾ فجَدَّدَ ⁽⁶⁾ قَبْرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حَيْثُ تَلَّتْ السَّارِيَّةُ وَبَنِيَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ
 مُثَمَّنَةٌ لِرُضْعٍ، وَجُعِلَ لَهَا حَرَمٌ يَدُورُ بِهَا مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ مُصَانٌّ بِالْبِنَاءِ وَالغُلُقِ،
 وَجُعِلَ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ حَيْثُ كَانَ الْعَمُودُ عِنْدَ رَأْسِهِ نَوْحٌ مِنْ رِخَامٍ رُسِمَ فِيهِ اسْمُهُ وَحَقَّقَ
 فِيهِ مَوْضِعَ قَبْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَكُتِبَ فِيهِ هَذَا قَبْرُ أَبِي زَمْعَةَ الْأَبْلَوِيِّ صَاحِبِ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَمَلَتْهُ النَّوْحُ وَبَيَّنَّ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِي ذَلِكَ غَيْرُ مَا
 ذَكَرْتَهُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَأْمُرَ الْعَمَاءُ بِدَفْنِهِمْ فِي مَقْبَرَتِهِ خَشْيَةَ مُضَادَّةِ قَبْرِهِ مِنْ جِهَةِ احْتِرَامِهِ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ [خَوْفٌ وَقَوَعٌ] ⁽⁷⁾ الدَّفْنِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال: حدث أبو القاسم بن مكي بن عبد الرحمن الإسكندري، قال: أخبرنا
 لحافظ أبو ظاهر أحمد بن محمد [السلفي] ⁽⁸⁾، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن
 أحمد البرزقي، قال ⁽⁹⁾: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد السعدي، قال:
 أخبرنا ⁽¹⁰⁾ عبد الله بن محمد البغوي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا
 عثمان بن صالح السهمي ⁽¹¹⁾، أبو يحيى قال: حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن
 المغيرة عن أبي قيس موسى ابن جمح قال: سمعت أبا زمعة صاحب رسول الله ﷺ

(1) في ت: حدث.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. وفي ت: قبراً حُفِرَ، التصويب والزيادة من كتاب طبقات
 علماء إفريقية لأبي العرب ص: 77.

(3) في طبقات علماء إفريقية: لم يتحرك ص: 77.

(4) في الطبقات: أبو زمعة البلوي ولم يرد ذكر صاحب رسول الله ﷺ ص: 77.

(5) في ت: في ذكره. (6) في ت: فحفر.

(7) ما بين المعقوفتين في ت: عدم الدفن بها.

(8) في ت و ط: السلمي والصواب ما أئتمناه.

(9) سقط من: ت. (10) في ت: حدثنا.

(11) في ت: الشير. والصواب: السهمي" ترجم له في تهذيب التهذيب 122/7.

وكان من أصحاب الشجرة ممن بايع رسول الله ﷺ تحتها، وأتى يوماً إلى مسجد الفُسْطَاطِ وقد بلغه عن عبد الله بن عمر التَّشْدِيدُ فقال: لَا تُشَدِّدُوا عَلَيَّ النَّاسِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ⁽¹⁾: «قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَمَانِيًا وَتَسْعِينَ نَفْسًا ثُمَّ أَتَى رَاهِبًا فَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ ثَمَانَ وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى رَاهِبٍ آخَرَ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَتَلْتُ تِسْعًا وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ تَحَمَّلْتَ شَرًّا وَلَئِنْ قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ غَفُورًا رَحِيمًا لَقَدْ كَذَبْتُ. فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ: أَمَا أَنَا فَلَا أَفَارِقُكَ بَعْدَ قَوْلِكَ هَذَا. فَلَزِمَهُ عَلَى أَنْ لَا يَعْصِيَهُ، فَكَانَ يَخْدُمُهُ فِي ذَلِكَ، فَهَلَكَ يَوْمًا⁽²⁾ رَجُلٌ، فَأَكْثَرَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ [بشراً]⁽³⁾ فَلَمَّا دُفِنَ جَلَسَ عَلَى قَبْرِهِ فَبَكَى بَكَاءً شَدِيدًا، فَأَنْكَرَ أَصْحَابُهُ ذَلِكَ، [عليه]⁽⁴⁾ ثُمَّ هَلَكَ آخَرَ، فَذَكَرَ⁽⁵⁾ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا دُفِنَ جَلَسَ عَلَى قَبْرِهِ فَضَحِكَ فَأَنْكَرَ أَصْحَابُهُ ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا إِلَى رَئِيسِهِمْ وَقَالُوا [له]⁽⁶⁾ كَيْفَ تَأْوِي قَاتِلَ النَّفُوسِ وَقَدْ صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتَ؟ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا يَزْهَدُونَ فِيهِ، فَأَتَى إِلَى صَاحِبِهِمْ حَزَنًا⁽⁷⁾ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ يَكَلِّمُهُ فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَأَوْقِدْ⁽⁸⁾ التَّنُورَ، فَفَعَلَ ثُمَّ أَتَى يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَلْقِ نَفْسَكَ فِيهَا فَلَهِيَ⁽⁹⁾ عَنْهُ الرَّاهِبُ، وَذَهَبَ الْآخَرُ [فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِيهَا، ثُمَّ اسْتَفَاقَ]⁽¹⁰⁾ الرَّاهِبُ فَقَالَ: إِنِّي لِأُظُنُّ الرَّجُلَ قَدْ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي التَّنُورِ بِقَوْلِي [فَذَهَبُوا]⁽¹¹⁾ فَوَجَدُوهُ جَالِسًا فِي التَّنُورِ فَعَرَقَ⁽¹²⁾، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَخْرَجَهُ مِنَ التَّنُورِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ تَخْدُمَنِي، وَإِنَّمَا أَكُونُ أَنَا أَخْدُمُكَ أَخْبِرْنِي عَنْ بُكَائِكَ عَنِ الْمَيِّتِ الْأَوَّلِ، وَعَنْ ضَحْكَكَ عَنِ الْآخِرِ، فَقَالَ⁽¹³⁾: أَمَا الْأَوَّلُ فَلَمَّا⁽¹⁴⁾ دُفِنَ رَأَيْتُ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّرِّ فَذَكَرْتُ ذُنُوبِي فَبَكَيْتُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَمَّا دُفِنَ رَأَيْتُ مَا يَلْقَى مِنَ الْخَيْرِ فَضَحَكْتُ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عِظَمَاءِ بَنِي

(1) سقط من: ت.

(2) في ت: يوم.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(4) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت.

(5) في ت: مذكور.

(6) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(7) في ت: جزعا.

(8) في ت: وقَد.

(9) في ط: ولهي، التصويب من: ت.

(10) ما بين المعقوفتين سقط من: ط، الزيادة من: ت.

(11) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت، وساقط من: ط.

(12) سقط من: ت.

(13) في ت: قال.

(14) في ت: لما.

إسرائيل». روي عن أبي زمعة أبو سالم⁽¹⁾ الجيشاني، وأبو فراس مولى عمرو بن العاص وأبو قيس مولى ابن جمح رضي الله تعالى عنهم أجمعين. انتهى.

9 - ومنهم أبو سعيد المسيب⁽²⁾:

ابن حزن بن أبي وهب المخزومي أول اسم أبيه حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ، ثم زاي ساكنة، ثم نون قال: هو والد سعيد بن المسيب^(*)، وكان ممن بايع تحت الشجرة وشهد غزو إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

قلت: وكان أبوه حزن من المهاجرين ومن أشرف قريش في الجاهلية، وهو الذي أخذ الحجر من الكعبة حتى فرغوا قواعد إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فما نزل⁽³⁾ الحجر من يده حتى رجع مكانه وقال رسول الله ﷺ لحزن: «ما اسمك؟» قال: حزن، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أنت سهل» فقال: لا أُغَيِّرُ اسماً سَمَّاني به أبي. قال ولده سعيد بن المسيب الفقيه: فما زالت تلك الحزونة تُعْرَفُ فينا حتى اليوم، وكان هاجر مع أبيه حزن قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو المهاجر سعيد بن الحسن المأموني قال: أخبرنا محمد بن الفضل الصاعدي، قال: أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، عن سليمان قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا حرملة بن يحيى التجيبي قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: حدثنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن [أبي]⁽⁴⁾ أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم⁽⁵⁾ قل: لا إله

(1) في ت: أبو القاسم.

(2) ترجم له في: الاستيعاب ص: 687 - 688 رقم 2418، الإصابة في تمييز الصحابة 6/ 99 - 100 رقم 7990، الرياض المستطابة ص: 264، تهذيب التهذيب 10/ 152، رياض النفوس 86/ 1.

(*) انوار في ت و ط: أبو سعيد بن المسيب وهو خطأ. التصويب من كتب مترجميه.

(3) في ت: فنزل.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط: الزيادة والتصويب من: تاريخ الطبري 2/ 156، تاريخ خليفة بن خياط ص: 43، الاستيعاب ص: 382، وصحيح البخاري حديث (1360)، وصحيح مسلم حديث (24).

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. ووارد في: ط.

إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بِنِ [أَبِي] أُمِيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتُرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا أُسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْهُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التَّوْبَةِ: 113] وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الْقَصَصِ: 56] وَلَمْ أَقِفْ لِلْمَسِيبِ عَلَى تَارِيخِ وَفَاةِ⁽¹⁾.

10 - وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَرَهْدُ⁽²⁾ بِنِ خُوَيْلِدِ الْأَسْلَمِيِّ⁽³⁾:

هَكَذَا قَالَ، وَمَا ذَكَرَهُ مِثْلَهُ قَالَ الزَّهْرِيُّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: جَرَهْدُ⁽⁴⁾ بِنِ [رِزَاحِ]⁽⁵⁾ بِنِ عَدِيِّ بِنِ سَهْمِ الْأَسْلَمِيِّ [وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: جَرَهْدُ بِنِ خُوَيْلِدِ هَذَا غَيْرَ جَرَهْدِ بِنِ دَرَّاجِ]⁽⁶⁾ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «وَهُوَ⁽⁷⁾ غَلَطٌ وَهُوَ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْ أَسْلَمٍ»⁽⁸⁾.

قَالَ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَشَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَبَايَعَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ شَهِدَ فَتْحَ إِفْرِيْقِيَّةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ سَعْدٍ قَالَهُ أَبُو سَعِيدِ بِنِ يُونُسَ وَغَيْرُهُ. حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بِنِ أَحْمَدَ بِنِ مُحَمَّدِ السَّعْدِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بِنِ مُحَمَّدِ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بِنِ أَحْمَدِ الْحَدَّادِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ أَحْمَدُ بِنِ

(1) جَاءَ فِي الرِّيَاضِ الْمَسْتَطَابَةِ: عَاشَ إِلَى خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ص: 264.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ كِتَابَ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِ مَنْ حَضَرَ الْمَوْتَ... حَدِيثٌ 39 - (24) ص: 40 وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْجَنَائِزِ، 80 بَابٌ إِذَا قَالَ الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَدِيثٌ (1360) ص: 321.

(2) فِي ت: يَزِيدُ.

(3) تَرْجَمَ لَهُ فِي: الْاِسْتِيعَابِ ص: 130 - 131 رَقْمٌ 362، الْاِصْبَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ 1/ 241 رَقْمٌ 1227، رِيَاضُ النُّفُوسِ 1/ 83، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ 2/ 69، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 1/ 158، حُسْنُ الْمَحَاضِرَةِ 1/ 148 رَقْمٌ 50.

(4) فِي ت: ابْنُ جَرَهْدٍ. وَهُوَ خَطَأٌ.

(5) فِي ت وَ ط: دَرَّاجٌ. التَّصْوِيبُ مِنْ كِتَابِ الْاِسْتِيعَابِ.

(6) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، انْظُرِ الْاِسْتِيعَابَ ص: 131.

(7) فِي الْاِسْتِيعَابِ: وَهَذَا.

(8) الْاِسْتِيعَابُ ص: 131. وَفِيهِ زِيَادَةٌ: «لَا تَكَادُ تُثَبِّتُ لَهُ صَحْبَةً».

عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو بكر بن خالد، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن جرهد عن أبيه قال: جرهد من أصحاب الصفة، وأنه قال: جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي منكشفة فقال: «أما علمت أن الفخذ عورة»⁽¹⁾. وتوفي سنة إحدى وستين⁽²⁾.

11 - ومنهم أبو محمد فضالة بن عبيد⁽³⁾ الأنصاري الأوسي⁽⁴⁾:

قال: أول مشاهديه أخذ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وشهد فتح مصر، وولي القضاء بها لمعاوية. وقال أبو سعيد بن يونس: دخل فضالة بن عبيد إفريقية غازياً مع زويغ بن ثابت الأنصاري قال أبو عمر بن عبد البر [سنة سبع وأربعين، ثم كرّ راجعاً إلى دمشق فولى القضاء بها لمعاوية]⁽⁵⁾ قيل [وكانت وفاته رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث وخمسين، وقد قيل: إنه توفي في آخر خلافة معاوية وقيل: إنه مات سنة تسع وستين، قال أبو عمر بن عبد البر: والأول أصح إن شاء الله تعالى.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، 12 باب ما يذكر في الفخذ، أخرجه تعليقاً قوله: ويروى عن ابن عباس، وجرهد ومحمد بن جحش عن النبي ﷺ: «الفخذ عورة». وقال أنس: حسن النبي ﷺ عن فخذه. وحديث أنس أسند، وحديث جرهد أخوط، حتى يخرج من اختلافهم.

وأخرجه أبو داود في سننه من كتاب الحمام، باب النهي عن التعري حديث (4014)، الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الفخذ عورة حديث (2804) و(2805) و(2806). فني الحديث الأول قال: هذا حديث حسن ما أرى إسناده بمتصل. وقال في الثاني: «هذا حديث حسن». وقال في الثالث: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. فالحديث سنه ضعيف لا يضطربه لكن له شواهد ترفعه إلى مكانة الحديث «الحسن».

(2) في ت و ط: إحدى وثلاثين. والصواب ما أثبتناه من الاستيعاب وغيره.

(3) في ت و ط: عبيد الله وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه من كتب مترجميه.

(4) ترجم فضالة في: الاستيعاب ص: 599 رقم 2063، الإصابة 210/5 رقم 2986، تهذيب التهذيب 267/8، تقريب التهذيب 10/2 رقم 5412، رياض النفوس 80/1، فتوح مصر والمغرب ص: 306، حسن المحاضرة 184/1 رقم 220، وفيه أنه شهد فتح مصر، وشذرات الذهب 59/1.

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(6) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط. الزيادة من الاستيعاب. وهذا أدركناه عند قول مصنف كتاب معالم الإيمان والأول أصح. والأول هو ما زدناه من الاستيعاب وأخطاه بمعقوفتين.

قال: ولما مات فضالة حمل معاويةً سريرةً وقال لولده⁽¹⁾ عبد الله: أعني يا بُنيَّ فإنك لا تحمِلُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَحَدَّثَنَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الْغَالِبِ الصُّوفِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْكَرَمِ نَزِيلُ مَكَّةَ بِهَا، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكُرُوخِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْجِبَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجِرَاحِ⁽²⁾ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ الْحَمَوِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ مُحَمَّدٍ [الدَّوْرِيُّ]⁽³⁾ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِي قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو هَانِيءُ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ عَمْرُو بْنَ مَالِكٍ [الْجَنْبِيُّ]⁽⁴⁾ أَخْبَرَهُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ⁽⁵⁾ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَّعَ بِالْقَلِيلِ»⁽⁶⁾. قَالَ أَبُو عَيْسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

12 - ومنهم أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم⁽⁷⁾:

قال: ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام في الشَّعْبِ.

قلت: وبنو هاشم محصورون قبل خروج بني هاشم منه بستين.

قال: ومات النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

قلت: هذا قولُ الْوَأَقِدِيِّ. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: تُوْفِيَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً»⁽⁸⁾.

(1) في ت: لابنه. (2) في ت: الحاج.

(3) في ت و ط: الجزري. التصويب من: سنن الترمذي.

(4) في ت و ط: الجهنبي. التصويب من سند سنن الترمذي.

(5) في ط وحدها: عبيد الله.

(6) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الزهد، 35 باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، حديث (2356). وقال: «هذا حديث صحيح» استناداً للنسخة التي اعتمدها في التخريج.

(7) ترجم لعبد الله بن عباس في: الاستيعاب ص: 423 - 426 رقم 1447، الإصابة في تمييز الصحابة 4/ 90 رقم 4772، صفة الصفوة 1/ 336 - 342، تهذيب التهذيب 5/ 276، الرياض المستطابة ص: 200 - 202، رياض النفوس 1/ 60، حسن المحاضرة 1/ 172 - 173 رقم 158، شذرات الذهب 1/ 75 - 76.

(8) الاستيعاب ص: 423.

قال: وروى أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»⁽¹⁾. فكان من العلماء بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بتفسيره، وناسخه ومنسوخه وَمُحَكِّمِهِ، وعالماً بِالسُّنَّةِ.

قلت: وفي حديث آخر: «اللَّهُمَّ زِدْهُ عِلْماً وَفِقْهاً»⁽²⁾. وفي حديث آخر: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَأَجْعَلْهُ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»⁽³⁾. وَهِيَ كُلُّهَا أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ.

قال: وقال طاوس: «ابن عباس بَحْرُ الْعِلْمِ»⁽⁴⁾. وقال ابن مسعود: «نِعْمَ تُرْجِمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَوْ أَدْرَكَ أَسْنَانَنَا مَا عَاشِرَهُ مِنَّا رَجُلٌ»⁽⁵⁾ وقال طاوس⁽⁶⁾: «أَذْرَكْتُ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَاكَرُوا ابْنَ عَبَّاسٍ فَخَالَفُوهُ لَمْ يَزَلْ يُقَرِّرُهُمْ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى قَوْلِهِ»⁽⁷⁾. وروى ميمون⁽⁸⁾ بن مهران أنه قَالَ: شَهِدْتُ جَنَازَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَلَمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ، جَاءَ طَائِرٌ أبيضٌ حَتَّى دَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ، فَالْتَمَسَ فَلَمْ يُوْجَدْ فَلَمَّا سُويَ عَلَيْهِ، سَمِعْنَا صَوْتًا وَلَمْ نَرِ شَخْصًا وَهُوَ يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِنْدِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾⁽¹⁰⁾ [الفجر: 27 - 30]. وكان طاوس رضي الله تعالى

- (1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عن الخلاء حديث (143) بلفظ «اللهم فقهه في الدين» ولم يذكر؛ «وعلمه التأويل»، وعند مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة، (30) باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حديث 138 - (2477) بلفظ «اللهم فقهه»، وعند أحمد في مسنده بنفس اللفظ «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» حديث (3034) 427/1 من حديث ميمونة رضي الله تعالى عنها.
- (2) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس نفسه 330/1.
- (3) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بسند ضعيف (10615).
- (4) كذا قال مجاهد: «كان ابن عباس يُسَمَّى الْبَحْرَ مِنْ كَثْرَةِ عِلْمِهِ» صفة الصفوة 1/339.
- (5) الاستيعاب ص: 424.
- (6) طاوس بن كيسان يكنى أبا عبد الرحمن اليماني الحميري متفق على توثيقه ترجم له في: تاريخ الثقات للعجلي ص: 234، وصفة الصفوة 2/170 - 174.
- (7) الاستيعاب ص: 424.
- (8) ميمون بن مهران جزري تابعي ثقة كان يُرْسَلُ. ترجم له في تاريخ الثقات العجلي ص: 445، تهذيب التهذيب 10/390.
- (9) في ت: ولا، وفي صفة الصفوة ولا تَرَى شَخْصًا 1/341.
- (10) انظر نفس النقل في صفة الصفوة 1/341 بينما في الاستيعاب قال: يُرْوَى أَنَّ طَائِرًا أبيضَ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ فَتَأَوَّلُوهُ عِلْمَهُ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ص: 426. ثم قال ابن عبد البر وقال الزبير: مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر أبيض، فدخل في نَعْبِهِ جِئْنَ حَمِلَ، فما رُؤِيَ خَارِجًا مِنْهُ.

عنه يقول: «ما رأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً لحُرمةِ الله من ابنِ عَبَّاسٍ وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي إِذْ ذَكَرْتُهُ أَنْ أَبْكِي لَبَكَيْتُ»⁽¹⁾. وقال ابن رجاء: كان هذا الموضع من ابن عباس يعني مجرى الدَّمع كأنَّهُ الشَّرَاكُ البالي.

قلت⁽²⁾: وروى شريك عن الأعمش عن أبي الضُّحَى عن مسروق⁽³⁾ أنه قال: كنت إذا رأيتُ عبد الله بن عباس قلت أجمل الناس، فإذا تكلم، قلت: أفصح الناس، وإذا تحدّث قلت: أعلم النَّاس، وكان⁽⁴⁾ أضحَابُهُ يُسْمَوْنَهُ بِالْحَبْرِ ويسمونه: الحُبْرُ. وقال أبو عمرو⁽⁵⁾ بن العلاء: نظر الحطيئة⁽⁶⁾ إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عالياً عليه فقال: من هذا الذي برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنّه؟ فقالوا: عبد الله بن عباس فقال فيه أبياتاً: [البيسط]

إِنِّي وَجَدْتُ بَيَانَ الْمَرْءِ نَافِلَةً تُهْدِي لَهُ، وَوَجَدْتُ الْعَيَّ كَالصَّمَمِ
وَالْمَرْءِ⁽⁷⁾ يَفْنَى وَيَبْقَى سَائِرِ الْكَلِمِ وَقَدْ يُلَامُ الْفَتَى يَوْمًا وَلَمْ يُلِمِ⁽⁸⁾

وفيه يقول حسان بن ثابت⁽⁹⁾ رضي الله تعالى عنه: [الطويل]

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلاً
إِذَا قَالَ لَمْ يَشْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلِ بِمُنْتَظَمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلاً
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِذِي إِرْبَةِ⁽¹⁰⁾ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلاً
[سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَا بِغَيْرِ مَشْقَةٍ فَنِلْتَ ذَرَاهَا لَا دُنْيَا وَلَا وَغْلًا]⁽¹¹⁾

(1) انظر صفة الصفوة 1/ 340 ولفظه: «والله لو أشاء إذا ذكرته أن أبكي لبكيت».

(2) في ت: قال.

(3) مسروق بن الأجدع يكنى أبا يمانه كوفي تابعي ثقة. تاريخ الثقات للعجلي 426.

(4) في ط: وكانوا. التصويب من: ت.

(5) في ط: ابن عمر. التصويب من: ت، والاستيعاب ص: 425.

(6) الحطيئة شاعر المدح والهجاء والتكسب توفي سنة 59هـ / 679م.

(7) في ت: الناس.

(8) الاستيعاب ص: 425.

(9) حسان بن ثابت بن المنذر شاعر رسول الله ﷺ مات سنة 50هـ وهو ابن مائة وعشرين سنة.

وقيل إنه توفي سنة 54هـ. الاستيعاب ص: 163 - 167.

(10) في ت و ط: إرب. التصويب من الاستيعاب ص: 425.

(11) هذا البيت سقط من ب و ط. الزيادة من الاستيعاب ص: 425.

خلقت خليقاً للروية⁽¹⁾ والنَّدا⁽²⁾ ولم تُخَلَقْ كَهَمَا⁽³⁾ وَلَا خَبَلًا⁽⁴⁾

ويروى أن معاوية نظر إلى ابن عباس يوماً يتكلم، فاتبعه بصره وقال مُتَمَثِّلاً:

[الطويل]

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يُضَرَّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى⁽⁵⁾ وينظر في أعطافه نظر الصَّغْرِ⁽⁶⁾

وكان ابن عباس رضي الله عنهما قد غمي في آخر عمره فقال رضي الله تعالى

عنه:

أَنْ يَأْخُذَ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرَ ذَا دَخَلِ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

وروي: عنه أنه قال: رأيت جبريل عند النبي ﷺ مرَّتين ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرَّتين، وأنه رأى رجلاً مع النبي ﷺ فلم يعرفه فسأل النبي ﷺ عنه فقال له رسول الله ﷺ: «أرأيت؟» قال: نعم، قال: «ذاك جبريل أما إنك ستفقد بصرَكَ»⁽⁷⁾.
فعمي بعد ذلك في آخر عمره.

قال: غزا ابن عباس رضي الله عنهما إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو الذي تولى قسم الفياء بها بين المسلمين قاله⁽⁸⁾ أبو سعيد بن يونس ومحمد بن محمد بن تميم أخبرنا الخطيب أبو الحسن علي بن هبة الله اللخمي قال: أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو الوليد قال: أخبرنا الليث بن سعد قال: حدثني قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا

(1) في الاستيعاب: للمروءة ص: 425.

(2) في ت و ط: مليحاً. التصويب من الاستيعاب.

(3) في ت و ط: طهماً. التصويب من الاستيعاب.

(4) في ت و ط: جبلاً. التصويب من الاستيعاب.

(5) في ت: التجا. وفي ط: التحى. التصويب من الاستيعاب.

(6) في ت: الصغر.

(7) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (10586)، والاستيعاب ص: 426.

(8) في ت: قال.

فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك»⁽¹⁾، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء [قد]⁽²⁾ كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك [بشيء لم يضروك]⁽³⁾ إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»⁽⁴⁾. قال الترمذي: هذا حديث صحيح. وتوفي ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف سنة ثمان وستين⁽⁵⁾ وعمره إحدى وسبعون سنة.

قلت: كانت وفاته في أيام ابن الزبير وما ذكره هو أحد الأقوال الثلاثة وقيل: توفي وهو ابن أربع وسبعين سنة؛ وقيل توفي ابن سبعين سنة، وصلى عليه محمد ابن الحنفية وكبر عليه أربعاً وقال: اليوم مات رهباني هذه الأمة وضرب على قبره فسطاطاً رحمه الله تعالى ورَضِيَ عَنْهُ.

13 - ومنهم أبو بكر عبد الله بن الزبير⁽⁶⁾ رضي الله عنه:

هكذا قال وقيل: كُنِيَّتُهُ أَبُو بَكْرٍ، ذكر ذلك أبو أحمد [الحاكم]⁽⁷⁾ الحافظ في كتابه [الكنى]⁽⁸⁾، وقيل أبو خبيب بابنه، وكان أسنَّ وَلَدِهِ.

قال: أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، هاجرت أمه وهو في بطنها، فولدته في قُبَاء في شوال بعد عشرين شهراً من الهجرة.

قلت: ما ذكره هو أحد القولين، وقيل إنه ولد في السنة الأولى من الهجرة.

- (1) في ط: أمامك. التصويب من: ت، ومسند أحمد، وسنن الترمذي.
- (2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط. الزيادة من مسند أحمد، وسنن الترمذي.
- (3) ما بين المعقوفتين ورد في ت وط: مصحفاً. التصويب من: سنن الترمذي.
- (4) أخرجه الترمذي في السنن في كتاب صفة القيامة، باب 59 حديث (2524) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد في مسنده حديث (2673) 382 / 1.
- (5) كتبت في ط: عدداً (68هـ).
- (6) ترجم لأبي بكر عبد الله بن الزبير في الاستيعاب ص: 399 - 402، الإصابة 4 / 69 - 71 رقم 4673، صفة الصفوة 1 / 344 - 348، رياض النفوس 1 / 63 - 64، تهذيب التهذيب 5 / 213، حسن المحاضرة 1 / 171.
- (7) ما بين المعقوفتين زيادة من: الاستيعاب.
- (8) ما بين المعقوفتين في ت وط: الكبير، التصويب من الاستيعاب.

قال: وهو أولُ وُلْدٍ وُلِدَ في الإسلامِ مِنَ المَهَاجِرِينَ بالمدينة بعد الهجرة، وأوَّلُ شيءٍ دَخَلَ بَطْنُهُ رِيقُ رسولِ الله ﷺ فوضعه في حِجْرِهِ ودَعَا بِتَمْرَةٍ فمضعها ثم تفل في فمه⁽¹⁾ فكان أولُ شيءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رسولِ الله ﷺ. قالت: ثم⁽²⁾ حَنَّكَهُ بالتَمْرَةِ، ثم دَعَا له وَبَرَكَ عليه وَسَمَّاهُ عبدُ الله باسمِ جَدِّهِ أبي بكرٍ وَكَنَّاهُ بِكُنْيَتِهِ، وأَمَرَ أَنْ يُؤَدَّنَ في أُذُنِهِ بِالصَّلَاةِ، فَأَدَّنَ أبو بكرٍ في أُذُنِهِ.

[بيعة ابن سبع سنين]

وَبَايَعَهُ عليه الصلاة والسلام وهو ابن سبع سنين، ولما أحتجَمَ النبي ﷺ دَفَعَ دَمَهُ إلى ابنِ الزبير، فَشَرِبَهُ فَأَتَاهُ جبريلُ فَأخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ فَسَأَلَهُ فقال: كَرِهْتُ أَنْ أَضِبَّ دَمَكَ في الأَرْضِ فقال له عليه الصلاة والسلام: «لا تمسك النار» وَمَسَحَ على رأسه وقال: «ويل للناس منك وويل لك من الناس».

وروى: ثابت⁽³⁾ البُنَانِيُّ قال: كُنْتُ أُمْرُؤَ بَابِنِ الزبير وهو يُصَلِّي خَلْفَ المَقَامِ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْضُوبَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ.

وروى: الأعمش عن يحيى بن وثاب أن ابن الزبير كان إذا سجد وقعتِ العَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ تصعد وتنزل من طول سجوده.

وروى: عن مطرف بن عبد الله قال: رأيت عبد الله بن الزبير وهو يواصل الجمعة إلى الجمعة، وكان رضي الله تعالى عنه من أعبد الصَّحَابَةِ وَأَطْوَلُهُمْ صَلَاةً⁽⁴⁾ وربما كان يقرأ في الركعة بالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة.

قلت: وكان يسمى حَمَامُ المَسَاجِدِ. وقال مُجَاهِدٌ مَا كَانَ بَابَ مِنَ العِبَادَةِ يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ إِلَّا تَكَلَّفَهُ عبدُ الله بن الزبير؛ ولقد جاء سَيْلٌ طَبَّقَ البَيْتَ فَجَعَلَ ابنُ الزبير يَطُوفُ بالبَيْتِ سَبَاحَةً. وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحِجْرِ خَافِضاً بَصْرَهُ، فجاء حَجْرٌ قُدَّامَهُ فَذَهَبَ بِبَعْضِ ثَوْبِهِ فَمَا انْتَقَلَ يَرِيدُ حَجْرَ

(1) في ت: فيه. (2) سقط من: ت.

(3) ثابت بن أسلم البُنَانِيُّ بضم الباء بصري تابعي ثقة رجل صالح توفي سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون. ترجم له في تاريخ الثقات للعجلي ص: 89، وتهذيب التهذيب 2/2، وتقريب التهذيب 1/145 رقم 812.

(4) إسقاط الواو من: ت.

الْمَنْجَنِيْقَ لَمَّا حَصْرَهُ الْحَجَّاجُ . وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ قَيْسٍ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي بَيْتِهِ ، فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ مِنَ السَّقْفِ عَلَى وَلَدِهِ هَاشِمٍ فَتَطَوَّقَتْ عَلَى بَطْنِهِ وَهُوَ نَائِمٌ فَصَاحَ أَهْلُ الْبَيْتِ : الْحَيَّةُ وَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى قَتَلُوهَا وَعَبَدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَصَلِّي وَمَا التَفَتَ وَلَا عَجَلَ ثُمَّ فَرَّغَ بَعْدَمَا قُتِلَتْ فَقَالَ : مَا بِالْكُمْ ؟ فَقَالَتْ أُمُّ هَاشِمٍ : أَرَأَيْتَ أَنْ هُنَا عَلَيْكَ [يَهُونُ عَلَيْكَ] ⁽¹⁾ وَلَدُكَ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ، مَا كَانَتِ التَّفَاتَةُ لَوْ كَانَتِ التَّفَاتَةُ كَانَتْ مَنَقِصَةً مِنْ صَلَاتِي ⁽²⁾ . وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَرِيمَ الْجَدَّاتِ وَالْخَالَاتِ .

قال: غزا عبد الله بن الزبير إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة سبع وعشرين لا يختلف في ذلك وهو الذي قتل جرّجير وأخذ ابنته في نفيه وقدم بكتاب الفتح على عثمان رضي الله تعالى عنه ⁽³⁾ سنة ثمان وعشرين قاله مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وأبو سعيد بن يونس وغيرهما. وقال مصعب بن الزبير: قدم عبد الله بن الزبير من إفريقية سنة ست وعشرين فسُرَّ بِوِلَايَةِ أَخِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحَّ. ثم غزا إفريقية ثانياً مع معاوية بن حديج، وشهد فتح جلولاء ⁽⁴⁾ هو وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ⁽⁵⁾ قاله أبو العرب ⁽⁶⁾ بن تميم بويج له بالخلافة في الحرمين والعراقين واليمن وبعض الشام ومصر. وَحَجَّ بِالنَّاسِ ثَلَاثَ حِجَجٍ. حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحنفي، قال: حدثنا ⁽⁷⁾ أبو عبد الله محمد بن علي بن سرايا، قال: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن المظفر الداودي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد السرخسي، قال: أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عباس بن سهل بن سعد قال:

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(2) انظر هذا الحدث في صفة الصفوة 1/345.

(3) صيغة الترضي سقطت من: ت.

(4) جلولاء: توجد بتونس وهي كثيرة البساتين والأشجار فتحها معاوية بن حديج الكندي. انظر: الروض المعطار ص: 168.

(5) صيغة الترضي سقطت من: ت.

(6) لم يرد ذكر هذا في كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب بن تميم.

(7) في ت: حدثني.

سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى مَنبَرِ مَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ (1) يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَاوْدِيًّا مَلَأَ مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» (2) وَخَتَمَ اللَّهُ أَعْمَالَهُ بِالشَّهَادَةِ (3) قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ.

قلت: قتل الحجاج بعنه عبد الملك بن مروان إليه، فحصره بمكة حتى دخلها وقتله وصلبه، وكان قتله له يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة، خلت من جمادى الأولى وقيل من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين كما تقدم وماتت أمه أسماء رضي الله عنها بعده بخمسة أيام ولها من العمر مائة سنة.

14 - ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي (4) رضي الله عنه:

قال: كُنِيَّتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ.

قلت: هذا هو الأشهر وقيل [أبو عمران] (5) وقيل غير ذلك، وأمه رَيْطَةُ بِنْتُ مَنِيَّةِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيَّةِ.

قال: أُسِّمَ قَبْلَ أَبِيهِ وَوُلِدَ لِعَمْرٍو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا. وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يَعْلَمْ أَبُوهُ إِلَّا بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَالِمًا. وَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(1) سنن من ت.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق، 10 باب ما يتقى من فتنه المال وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَمْلُوكُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28، والتغابن: 15] حديث (6438) ص: 1624.

(3) في ط: شهادة، التصويب من ت.

(4) ترجمه نعيده الله بن عمرو بن العاص في الاستيعاب ص: 421 - 422 رقم 1440، صفة نصوة 1: 292 - 294، حلية الأولياء 1/ 283 - 292 رقم 43، الإصابة لابن حجر 4/ 111 - 112 رقم 4838، تاريخ الثقات للعجلي ص: 270، رياض النفوس 1/ 65 - 66، فتوح مصر والمغرب ص: 282، تهذيب التهذيب 5/ 337، تقريب التهذيب 1/ 517، شذرات الذهب 1: 73، طبقات علماء إفريقية ص: 44، 59، 62، 68، 73، حسن المحاضرة 1/ 182 رقم 209، الرياض المستطابة ص: 198/1 - 200.

(5) لم يرد في كتب مترجميه «أبو عمران» فالوارد كما في الاستيعاب يكنى: أبا محمد، وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو نصير وهي غريبة، وأما ابن معين فقال: كنيته أبو عبد الرحمن، والأشهر أبو محمد. وفي الإصابة حكى أبو نعيم قولاً أن كنيته: أبو نصرامة.

(6) في ط: ابنه، التصويب من ت، والاستيعاب، والإصابة.

في أن يَكْتُبَ حَدِيثَهُ فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ فِي الرَّضَى وَالسَّخَطِ؟ قَالَ: «نعم، فإني لا أقول إلا حَقًّا»⁽¹⁾.

قلت: وقال أبو هريرة: «ما كان أحدٌ أَحْفَظَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي إِلَّا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي، وكان يَكْتُبُ وَأَنَا لَا أَكْتُبُ»⁽²⁾. وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ مِثْلٍ»⁽³⁾.

قال: وكان يَسْرُدُ الصَّوْمَ وَلَا يَنَامُ اللَّيْلَ فَشَكَاهُ أَبُوهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَكُم وَنَمَّ وَصَمَّ وَأَفِطِرٌ»⁽⁴⁾.

قلت: وكان رضي الله تعالى عنه يقول: «لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ»⁽⁵⁾. وعن يَعْلَى بن عطاء عن أمه أنها كانت تَصْنَعُ الكُحْلَ لعبد الله بن عمرو وقالت: «وَإِنَّهُ كَانَ لَيَقُومُ اللَّيْلَ فَيُطْفِئُ السَّرَاحَ فَيَبْكِي حَتَّى مَرَضَتْ»⁽⁶⁾ «عيناه»⁽⁷⁾. وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ لَسَجَدْتُمْ حَتَّى تَتَقَصَّفَ ظُهُورُكُمْ، وَلَصَرَخْتُمْ حَتَّى تَنْقَطَعَ أَصْوَاتُكُمْ، فَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا الْبُكَاءَ فَتَبَاكُوا»⁽⁸⁾.

قال: دَخَلَ عبد الله بن عمرو إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قاله أبو العرب بن تميم⁽⁹⁾. حدثني أبو محمد عبد الوهاب بن ظاهر القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد،

- (1) أخرجه أبو داود في السنن في كتاب العلم، باب في كتاب العلم حديث (3646).
- (2) أخرجه أحمد في مسنده بنفس اللفظ بسند حسن. وهو بنحوه عند البخاري في صحيحه من طريق آخر كتاب العلم، باب كتابة العلم حديث (113) ص: 48.
- (3) أخرجه أبو نعيم في الحلية 5/169 بسند ضعيف، فيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ. ولفظه «عقلت من رسول الله ﷺ ألف مثل».
- (4) الاستيعاب ص: 422.
- (5) صفة الصفوة 1/293 من رواية عبد الله بن هبيرة.
- (6) في صفة الصفوة: رَضَعَتْ. (7) صفة الصفوة 1/293.
- (8) صفة الصفوة 1/293 من طريق عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ. وهذا يعضده حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» الترمذي كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً» (2320).
- (9) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 73.

الأصبهاني قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: أخبرنا أبو عمر بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن [شيرويه] ⁽¹⁾ قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثني عيسى بن يونس قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن بن رافع قال: لما كبر عبد الله بن عمرو اشتد عليه [قراءة] القرآن قال: إني لما جمعت القرآن أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: إني قد جمعت القرآن فأقرضه عليّ. قال: «اقرأه في الشهر مرة» قال: قلت [إني أقوى ⁽²⁾ من ذلك] قال: «اقرأه في الشهر مرتين» قلت: إني [أقوى] من ذلك، قال: «اقرأه في الشهر ثلاثاً» قال: قلت: إني [أقوى] من ذلك. قال: «اقرأه في كل ست» قال: قلت: إني أقوى من ذلك، قال: «اقرأه في كل ثلاث» قال: [إني أقوى] من ذلك ⁽³⁾. وبإسنادنا إلى الترمذي قال: أخبرنا هناد ⁽⁴⁾، قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي السفر عن عبد الله بن عمرو، قال: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خضاً لنا فقال: «ما هذا؟» فقلت: خض لنا وها نحن نصلحها، فقال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك». حديث حسن صحيح. واختلف في وفاته فقيل سنة ثلاث وستين يوم الحرّة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقيل غير ⁽⁵⁾ ذلك.

قلت: أشار إلى ما ذكره غيره من أنه توفي سنة خمس وستين وقيل: سنة سبع

وستين.

قال: وقيل: مات بالمدينة، وقيل بمكة، وقيل بالطائف وقيل بمصر.

قلت: وتوفي وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكان ممن شهد صفين مع معاوية وندم ندامة شديدة وجعل يستغفر الله من ذلك يقول: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين، ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت فيها برمح ولا رميت بسهم غير أن الراية كانت بيدي يومئذ فندم على ذلك رحمه الله تعالى ورضي عنه.

(1) في ت و ط: بشر. التصويب من حلية الأولياء 285/1.

(2) في ت و ط: أقرأه أكثر. التصويب من الحلية 285/1.

(3) حنية الأولياء 285/1. (4) في ط: فماد. التصويب من: ت.

(5) راجع الاستيعاب ص: 422.

15 - ومنهم عقبة بن عامر الجهني⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه:

قال: يكنى أبا حمّاد، وقيل أبا الأسود.

قلت: وقيل أبو أسيد، وقيل أبو أسد، وقيل أبو عمر، وقيل أبو سعاد⁽²⁾،
وقيل: أبو عمار وقيل أبو عامر.

قال: سكن مصر وكان والياً عليها، وابتنى بها داراً⁽³⁾. وغزا منها إفريقية قبل

عقبة بن نافع. روى سحنون بن سعيد، عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد
قال: «بلغني أنّ عقبة بن عامر الجهني لما غزا إفريقية أتى إلى وادي القيروان، فبات
عليه حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادي فقال: يا أهل الوادي اظعنوا فإننا
نازلون، قال ذلك ثلاث مرات، فجعلت الحيات والعقارب وغيرها مما لا يفر⁽⁴⁾ من
الدواب يخرجن⁽⁵⁾ وهم قيام ينظرون إليها، من حين أصبحوا حتى أوجعتهم حرّ
الشمس⁽⁶⁾ وما⁽⁷⁾ يرون منها شيئاً، فنزلوا الوادي عند ذلك. قال الليث: وحدثني
زياد بن عجلان أنّ أهل إفريقية أقاموا أربعين سنة، ولو التمسّت حية أو عقرب بألف
دينار ما وجدت⁽⁸⁾ هكذا. روى الليث وقال عبد الله بن لهيعة: إنما هو عقبة بن
نافع، عندما أراد أن يختط القيروان وهو الأشهر⁽⁹⁾. حدثني أبو محمد عبد السلام بن
عبد الغالب الزاهد قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم نزيل مكة، قال:
أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، قال: أخبرنا الدراوردي قال: أخبرنا

(1) ترجم لعقبة بن عامر في: الاستيعاب ص: 561 رقم 1898، الإصابة في تمييز الصحابة 4/
250 - 251 رقم 5594، فتوح مصر والمغرب ص: 318 - 327، الرياض المستطابة ص:
222، تهذيب التهذيب 7/ 242، تقريب التهذيب 1/ 681، حسن المحاضرة 1/ 178.

(2) في الاستيعاب: أبا سعد.

(3) الاستيعاب ص: 561.

(4) رواية طبقات علماء إفريقية وتونس: مما لا يعرفون ص: 58.

(5) في رواية الطبقات: تخرج ذاهبة ص: 58.

(6) في رواية الطبقات: أوجعتهم الشمس ص: 58.

(7) في رواية الطبقات: لم يروا ص: 58.

(8) انظر طبقات علماء إفريقية وتونس وهي التي أشرنا إليها باسم الطبقات ص: 58 - 59.

(9) روي هذا الكلام بصيغة أخرى صاحب طبقات علماء إفريقية في قوله: فقال ابن وهب في
حديثه هذا: إن عقبة بن عامر هو الذي فعل هذا، وغير ابن وهب يقول: لا بل عقبة بن نافع
هو الذي فعل. وعقبة بن عامر صاحب، وعقبة بن نافع لا صخبته له ص: 59.

السَّرْحَسِي، قال: أخبرنا الْقَرْبَرِيُّ⁽¹⁾، قال: أخبرنا الْبُخَارِيُّ، قال: حدثني محمد بن عبد الكريم قال: أخبرنا زكرياء بن عَدِيٍّ، قال: أخبرنا الْمَبَارِكُ، عن حَيَوَةَ، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا فَتَنَافَسُوا فِيهَا»⁽²⁾. فكأنني بآخر⁽³⁾ نظرةً نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وتوفي عقبة بن عامر بالشام سنة ثمان وخمسين في خلافة معاوية وقال الواقدي توفي بمصر.

قال: وروى عنه من الصحابة جابر، وابن عباس، وأبو أمامة، ومسلمة بن مخلد وأما زواته من التابعين فكثير.

16 - ومنهم رُوَيْفَعُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ السَّكَنِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ [حَارِثَةَ]⁽⁴⁾ بن عمر بن زيد مائة بن عدي بن عمر بن مالك بن النَّجَّارِ الْأَنْصَارِيِّ⁽⁵⁾:

قال: قال أبو سعيد بن يونس: كانت لرويفع بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات، وشهد قبلها فتح مصر وأختط بها.

قلت: زاد⁽⁶⁾ ومنزله قائم⁽⁷⁾ بحاله إلى اليوم في زقاق ابن حسنة⁽⁸⁾.

(1) في ت و ط: البربري وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه.

(2) الحديث ورد مُخَرَّفًا هنا. انظر تصحيحه في صحيح البخاري في كتاب الجنائز، 72 باب الصلاة على الشهيد حديث (1344) ص: 317، وفي كتاب المغازي، 28 باب أُخِذَ يُجْبِنَا وَنَحْبُهُ حديث (4085) ص: 998، وفي كتاب الرِّقَاقِ، 52 باب الصُّرَاظُ جِسْرُ جَهَنَّمَ حديث (6590) ص: 1657.

(3) في ت: آخر.

(4) في ت و ط: خارجة. التصويب من كتب مترجميه.

(5) ترجم له في: الاستيعاب ص: 230 رقم 741، الإصابة 2/ 214 رقم 2693، رياض النفوس 1/ 81 - 82، فتوح مصر والمغرب ص: 309 - 311، تاريخ خليفة بن خياط ص: 127، تهذيب التهذيب 3/ 299، تقريب التهذيب 1/ 305، حسن المحاضرة 1/ 159.

(6) إسقاط الواو من: ت. (7) في ت: قديم.

(8) في رياض النفوس: بني حسنة 1/ 82. وفي فتوح مصر والمغرب: نُسِبَ لِبَنِي شُرْحَبِيلِ ابْنِ حَسَنَةَ ص: 136.

قال: وقال أبو عمر بن عبد البرّ وَوَلَّى⁽¹⁾ معاوية بن أبي سفيان رُوَيْفَعُ بْنُ ثَابِتِ عَلَى طَرَابَلُسَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ⁽²⁾.

قلت: زاد فغزا منها إفريقية سنة سبع وأربعين ودخلها وانصرف من عامه⁽³⁾.

[فتح جربة]

قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الرازي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد السَّعْدِيُّ، قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد البكري قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي⁽⁴⁾ بن هارون الحربي قال: حدثني أحمد بن خالد السَّرْخَسِيُّ قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن [أبي مرزوق التَّجِيبِيِّ]⁽⁵⁾ قال: أَخْبَرَنِي حَنْشُ الصَّنْعَانِيِّ قَالَ: غَزَوْنَا الْمَغْرِبَ وَعَلَيْنَا رُوَيْفَعُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ فَافْتَتَحْنَا [جزيرة]⁽⁶⁾ يُقَالُ لَهَا جِرْبَةٌ فَقَامَ فِيهَا رُوَيْفَعٌ خَطِيْبًا فَقَالَ: إِنِّي لَا أَقُومُ فِيكُمْ إِلَّا بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِيهَا يَوْمَ خَيْبَرَ حِينَ افْتَتَحْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَأْتِينُ شَيْئًا مِنَ السَّبِيِّ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَرْكَبُنْ دَابَّةً مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَهَا فِيهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبَسُنْ ثَوْبًا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَهُ فِيهِ»⁽⁷⁾. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَغَوِيِّ: حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَبِيرَةَ السَّبَائِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ نَعِيمِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ رَجَاءِ بْنِ شَرِيحٍ، عَنْ رُوَيْفَعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمَنْزِلَ⁽⁸⁾ الْمُقَرَّبَ مِنْكَ يَوْمَ

(1) في الاستيعاب: وأمره.

(2) الاستيعاب ص: 230.

(3) الاستيعاب ص: 230.

(4) في ط: النفري التصويب من: ت.

(5) في ت و ط: «ابن مرزوق موسى»، التصويب من: تقریب التهذيب 465/1 واسمه: «حبيب بن شهيد» على الأشهر ثقة.

(6) في ت و ط، ورياض النفوس: قرية. التصويب من: الروض المعطار ص: 158 حيث قال: جِرْبَةٌ جزيرة في بحر إفريقية أقرب بلاد إليها قابس. وقال أيضاً: «وافتح رُوَيْفَعُ بْنُ ثَابِتِ قَرْيَةَ مِنْ قَرْيِ الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا: جِرْبَةٌ» الروض المعطار ص: 159.

(7) انظر: تخريجه في كتاب فتوح مصر والمغرب ص: 309.

(8) في ت: الموضع.

القيامة شفعت له»⁽¹⁾. توفي رُوَيْفِعُ بن ثابت بِبَرْقَةَ وهو وَالِ عَلَيْهِمَا فَوَلَّى عَلَيْهَا مَسْلَمَةَ بن مَخْلَدٍ.

قلت: يريد وهو أمير مصر كما قال المالكي⁽²⁾.

قال: وتوفي سنة ثلاث وخمسين وقبره بها معروف وكان قد اُنْدَرَسَ ثُمَّ وُجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ بِلَاطَةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ: هَذَا قَبْرُ رُوَيْفِعِ بن ثابت الأنصاري⁽³⁾ صَاحِبِ رَسولِ الله ﷺ. قال ابْنُ البَرَقِيِّ: وَقَدْ رَأَيْتُ قَبْرَهُ بِبَرْقَةَ. روى عنه [شَيْبَانُ بن أمية القتباني]⁽⁴⁾ ويزيد بن عبد الله البرقي. وروى عنه ابن شريح⁽⁵⁾، وزياد بن عبيد، وحنش بن عبد الله، وأبو عبد الرحمن الحبلي [وشيم]⁽⁶⁾ بن بَيْتَانَ [وَرُوَيْفِعُ هذا هو الذي يقال إِنَّهُ اخْتَطَّ مسجد الأنصار بالقيروان وهو أفضل مساجدها وأقدمها.

17 - ومنهم حمزة بن عمرو⁽⁷⁾ الأَسْلَمِيُّ رضي الله تعالى عنه⁽⁸⁾:

قال: يُكْنَى أبا صالح، وقيل أبا محمد.

قلت: وصحب أبوه النبي ﷺ فهو صحابيٌّ ابن صحابي.

(1) أخرجه ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب ص: 310 من حديث ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن زياد بن نعيم، عن وفاء بن شريح الحضرمي، عن رُوَيْفِعِ بن ثابت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى على محمد وقال: اللهم أعْطِهِ المَقْعَدَ المُقَرَّبَ عندك يوم القيامة، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي» وأخرجه صاحب كنز العمال (2188).

(2) رياض النفوس ص: 82. (3) رياض النفوس ص: 82.

(4) في ت و ط: ما بين المعقوفتين: شيبان بن أمية الغساني. التصويب من: فتوح مصر والمغرب ص: 85 و 309 - 310 وتقريب التهذيب 1/ 423. وفيه شيبان بن أمية، أو ابن قيس القتباني بكسر القاف أبو حذيفة المصري مجهول.

(5) في ط: شريح، التصويب من: ت. وهو الثابت.

(6) في ت و ط: سهم بن فتيان. والصواب ما أثبتناه من: فتوح مصر ص: 85، وتقريب التهذيب 1/ 425 رقم 2852.

(7) في ت و ط، والاستيعاب: حمزة بن عمرو. والصواب ما أثبتناه من كتب التراجم.

(8) ترجم له في الاستيعاب ص: 137 رقم 388، الإصابة 2/ 38، ضمن ترجمة حمزة بن عمرو، رياض النفوس 1/ 75، طبقات علماء إفريقية ص: 69 - 73 - 74، الرياض المستطابة ص: 66 - 67، فتوح مصر والمغرب ص: 352 ذكر هنا فيمن دخل من أصحاب رسول الله ﷺ لغزو المغرب وغيره، تهذيب التهذيب 1/ 31، تقريب التهذيب 1/ 242 رقم 1534، حسن المحاضرة 1/ 152 - 153، شذرات الذهب 1/ 69.

قال: وكان حمزة رجلاً فاضلاً يَسْرُدُ الصَّوْمَ. قال حمزة: انفردنا في سفر مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فأضأت أصابعي حتى حملوا أظهرهم وإن [كانت] (1) أصابعي لتُنِيرُ. وشهد فتح إفريقية وكانت له فيها مقامات محمودة مع عبد الله بن سعد، قاله: أبو سعيد بن يونس وأبو العرب (2) وغيرهما. حدثني أبو علي الحسن بن محمد البكري، قال: حدثنا المؤيد بن علي الطوسي، قال: أخبرنا محمد بن الفضل الصَّاعِدِي، قال: أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أخبرنا أبو أحمد الجلودي، قال: أخبرنا إبراهيم بن سفيان (3) قال: حدثني مسلم بن الحجاج قال: أخبرنا أبو الربيع الزهراني قال: أخبرنا حماد هو ابن زيد قال: حدثني هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمر الأسلمي سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني رجُلٌ أَسْرُدُ الصَّوْمَ أَفَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ قال: «صُمْ إِنْ شِئْتَ وَأَفْطِرْ إِنْ شِئْتَ» (4) وتوفي سنة إحدى وستين وعمره إحدى وسبعون سنة.

قلت: ويقال: [وهو] (5) ابن ثمانين سنة وهو معدود في أهل الحجاز. وروى عنه أهل المدينة قال المالكي: وعن محمد ولده قال: سمعت أبي [حمزة] (6) يقول: قال رسول الله ﷺ: «على ذروة كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجتكم» (7).

- (1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
- (2) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 73 - 74.
- (3) في ت: شعبان.
- (4) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الصوم، 33 باب الصوم في السفر والإفطار، حديث (1942) و(1943)، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام، 17 باب التخيير في الصوم والفطر في السفر حديث 104 - (1121) ص: 542 واللفظ له.
- (5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
- (6) ما بين المعقوفتين سقط من: رياض النفوس 1/ 75.
- (7) أخرجه الدارمي في السنن كتاب الاستئذان، باب ما جاء أن كل ذروة بعير شيطاناً 2/ 285 - 286، وأحمد في مسنده مسند المكيين حديث (16045) 3/ 600، وفيه: «على ظهر كل بعير». كذا في الجامع الصغير للسيوطي ص: 338 رقم 5459 ورمز له ب(صح) أي صحيح.

18 - ومنهم أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق⁽¹⁾ رضي الله عنهما:

قال: يُكْنَى أبا [عبد الله]⁽²⁾.

قلت: وقيل يُكْنَى أبا محمد، بابنه محمد الذي يقال له: أبو عتيق.

قال: وعبد الرحمن هو صاحب ابن صاحب ابن صاحب⁽³⁾ جده أبو قحافة

أسلم يوم الفتح.

قلت: وأدرك أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر هو وأبوه وجدّه

وَجَدُّ وَالِدِهِ النَّبِيِّ ﷺ ويقال: إنّه لم يُدرك النبي ﷺ أَرْبَعَةً، ولا أَبَّ وَبَنُوهُ، إلا أبو

قحافة وابنه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابنه

أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن والله تعالى أعلم. وأم عبد الرحمن أم رومان ابنة

الحارث بن غنم، وكان اسم عبد الرحمن عبد الكعبة، فغَيَّرَ رسول الله ﷺ اسمه،

وسماه عبد الرحمن.

قال: وكان عبد الرحمن شقيق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما، وكان من

أشجع قريش وأرماهم بسهم، حضر اليمامة، وشهد غزو إفريقية ذكره أبو العرب⁽⁴⁾ بن

تميم.

قلت: كان حضوره اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من كبارهم وهو

الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل رماه بسهم في نحره فقتله وكان محكم اليمامة قد

سَدَّ ثَلَمَةَ مِنَ الْحِضْنِ، فَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ تِلْكَ الثَّلَمَةِ وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَسْنُ وَوَلِدُ

أبي بكر⁽⁵⁾. شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنهما وكان أخوه محمد يؤمئذ مع

(1) ترجم له في: الاستيعاب ص: 446 - 447، الإصابة 168/4 وفيه: عبد الرحمن بن

عبد الله بن عثمان أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، وقيل أبو عثمان، وقيل عبد العزى بن

أبي بكر بن أبي قحافة القرشي التيمي، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 137، نهاية

الأرب ص: 119، رياض النفوس 70/1 - 71، الرياض المستطابة ص: 209، فتوح مصر

والمغرب ص: 296، تاريخ خليفة بن خياط ص: 56 و135، تهذيب التهذيب 6/146،

تقريب التهذيب 1/562.

(2) في ت و ط: أبا محمد. التصويب من: الاستيعاب، ونهاية الأرب...

(3) ابن «صاحب»، ذكرت مرتين في ت.

(4) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 68 و75.

(5) الاستيعاب ص: 446.

علي رضي الله عنهم⁽¹⁾ أجمعين. وروي أن مُعَاوِيَةَ قَعَدَ عَلَى الْمَنبَرِ فَدَعَى⁽²⁾ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ فَكَلَّمَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَابْنُ الزَّبِيرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ كَلَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ⁽³⁾ [أَهْرَقْلِيَّةً]⁽⁴⁾ إِذَا مَاتَ كِسْرَى، كَانَ كِسْرَى مَكَانَهُ؟ لَا نَفْعَ وَاللَّهِ أَبَدًا وَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ بَعْدَ أَنْ أَبَى الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ فَرَدَهَا [عَلَيْهِ]⁽⁵⁾ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا، وَقَالَ: أْبَيْعَ⁽⁶⁾ دِينِي بِدُنْيَايَ؟ وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَمَاتَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ⁽⁷⁾.

قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ⁽⁸⁾ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّرَاجُ قَالَ: أَخْبَرْنَا خَلْفَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْكَوَالٍ، قَالَ: أَخْبَرْنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَتَّابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَلْفِ الْقَاضِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَرَّجٍ⁽⁹⁾، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الرَّقِيِّ⁽¹⁰⁾، عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْبَرَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ السَّهْمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ حَسَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَصْدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: فَهَلَا اسْتَزِدَّتْهُ؟ فَقَالَ: قَدْ اسْتَزِدَّتْهُ فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: فَهَلَا اسْتَزِدَّتْهُ؟ فَقَالَ: أَعْطَانِي هَكَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا يُدْرَى عَدْدُهُ⁽¹¹⁾. وَتُوفِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى مَكَّةَ فَدُفِنَ بِهَا.

(1) الاستيعاب ص: 446.

(2) في الاستيعاب: يدعو.

(3) في الاستيعاب: ابن أبي بكر.

(4) في ت و ط: إهريقية. التصويب من: الاستيعاب ص: 446.

(5) ما بين المعقوفتين زيادة من: الاستيعاب.

(6) في الاستيعاب: لا أبيع.

(7) الكلام منقول من الاستيعاب ص: 446.

(8) في ت: الحسن.

(9) في ت و ط: الفرج. التصويب من كتاب الصلة لابن بشكوال ص: 443 رقم 1248.

(10) في ط: الدقي. التصويب من: ت.

(11) أخرجه أحمد في مسنده حديث (1711) 1/252.

قلت: وقيل توفي سنة خمس وخمسين، قال أبو عمر بن عبد البر: «مات فجأة بموضع يقال له: [الحُبْشِيُّ]»⁽¹⁾ على نحو عشرة أميال من مكة وَحُمِلَ إِلَى مَكَّة فُذِّنَ بِهَا. ويقال: إنه مات في نومة نَامَهَا»⁽²⁾.

قال: ولما بلغ عائشة رضي الله عنها موته ظعنت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره فبكت عليه وتمثلت بقول [مَتَمَّ] ⁽³⁾ بن نُؤَيْرَةَ: [الطويل]

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَدِيمَةً حِقْبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نُبِتْ لَيْلَةً مَعَا⁽⁴⁾

ثم قالت: أما وَاللَّهِ لَوْ حَضَرْتُكَ لَدَفَنْتُكَ حَيْثُ مِتَّ⁽⁵⁾ ولو حضرتك ما بكيته⁽⁶⁾ انتهى.

19 - ومنهم أبو عبد الرحمن بلال بن الحَارِثِ الْمُزَنِّي⁽⁷⁾ رضي الله تعالى عنه:

قال: وَقَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ مُزَيْنَةَ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَسَكَنَ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْأَشْعَرِ وَرَاءَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَحَدٌ مَنِ يَحْمِلُ الْوَيْةَ مُزَيْنَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، ثُمَّ شَهِدَ غَزْوَ إِفْرِيْقِيَّةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ قَالَهُ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ وَكَانَ حَامِلًا لَوَاءِ مُزَيْنَةَ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ وَأَقْطَعَهُ⁽⁸⁾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَعَادِنَ [القبليّة]⁽⁹⁾ وَهِيَ بِنَاحِيَةِ الْفُرْعِ⁽¹⁰⁾ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الْغَالِبِ الزَّاهِدُ، قَالَ:

(1) في ت و ط: الحبش التصويب من الاستيعاب ص: 446.

(2) الاستيعاب ص: 446.

(3) في ت و ط: تميم. التصويب من البيان والتبيين للجاحظ 2/ 193 و 3/ 25، والعقد الفريد 1/ 85 و 3/ 193.

(4) البيتان وردا في كتاب: العقد الفريد لابن عبد ربه 3/ 194، ووردا أيضاً في الاستيعاب، ولم يرد اسم: «متمم» بن نويرة في الاستيعاب ص: 446.

(5) في الاستيعاب: مِتَّ مَكَانَكَ.

(6) الكلام منقول لفظاً من الاستيعاب ص: 447.

(7) ترجم له في الاستيعاب ص: 83 رقم 169، الإصابة 1/ 170 رقم 730، رياض النفوس 1/ 75 - 77، تاريخ خليفة بن خياط ص: 143، نهاية الأرب ص: 318، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 69 و 74، جمهرة أنساب العرب ص: 201، حسن المحاضرة 1/ 140، شذرات الذهب 1/ 65.

(8) ت وقطعه. (9) سقط من: ت.

(10) في ط: الفرع. التصويب من: ت.

حدثني علي بن أبي الكرم نزيل مكة بها، قال: حدثني⁽¹⁾ أبو الفتح الكروخي، قال: حدثنا أبو عامر الأزدي، قال: حدثنا الجراحي عن المحبوب، عن الترمذي قال: حدثنا هناد⁽²⁾ قال: حدثنا عبدة عن محمد بن عمرو⁽³⁾ بن علقمة بن وقاص عن أبيه عن جده قال: سمعت بلال بن الحارث المُرَينِيَّ صاحب رسول الله ﷺ يقول: سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا⁽⁴⁾ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ [يَلْقَاهُ]⁽⁵⁾، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»⁽⁶⁾،⁽⁶⁾ حديث حسن صحيح خرَّجه مالك عن محمد بن عمرو^(*) وتوفي بلال سنة ستين وله ثمانون سنة.

قلت: كانت وفاته في آخر خلافة معاوية [بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم أجمعين]⁽⁷⁾.

20 - ومنهم أبو عبد الرحمن المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلِ الْقُرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ⁽⁸⁾:

صَاحِبُ ابْنِ صَاحِبِ تُوْفِي أَبُوهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

قال: وُلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ بَعْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ.

قلت: وَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فِي عَقَبِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانَ. أُمُّهُ الشَّافَا بِنْتُ عَوْفٍ،

-
- (1) في ت: حدثنا. (2) سقط من: ت.
- (3) في ت و ط: عمر، التصويب من سنن الترمذي، وتقريب التهذيب 119/2 وقال عنه ابن حجر هنا: صدوق له أوهام. انظر عنه تهذيب التهذيب 375/9.
- (4) في ط: لا يظن، وفي ت: ليظن. التصويب من سنن الترمذي.
- (5) في ت و ط: القيامة، التصويب من سنن الترمذي.
- (6) أخرجه الترمذي بنفس اللفظ في سننه كتاب الزهد، 12 باب في قِلَّةِ الْكَلَامِ حديث (2326) 143/4، وابن ماجه في سننه من كتاب الفتن، 12 باب كَفِ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ حديث (3969) أخرجه بإسناد صحيح، ومالك في موطنه كتاب الكلام، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام حديث (5) ص: 855 مطبعة فضالة.
- (*) سبق تصويبه من عمر إلى عمرو.
- (7) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
- (8) ترجم له في: الاستيعاب ص: 677 - 678 رقم 2376، أسد الغابة 170/5 - 171، الإصابة 98/6 - 99 رقم 7987، رياض النفوس 69/1 - 70، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 129، حسن المحاضرة 1/193، شذرات الذهب 1/72، تهذيب التهذيب 10/151.

أخت عبد الرحمن بن عوف، وقيل أمه عاتكة بنت عوف، أخت عبد الرحمن بن عوف وقيل رَمَلَةٌ أخت عبد الرحمن المذكور وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة⁽¹⁾ أشهر وقبض النبي ﷺ. والمسور ابن ثمان سنين.

قال: وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم.

قلت: زاد غيره: وكانت الخوارج تغشاه لحسن رأيه ودينه، وتَعْظُمُهُ وتَنْتَحِلُ رَأْيَهُ، وقد برأه الله منهم. وكان صالحاً واقفاً مع الحق لا تأخذه في الله لومة لأيم. روى ابن القاسم عن مالك [بن أنس]⁽²⁾ رحمه الله تعالى قال: بلغني أن المسور بن مخرمة دخل على مروان فجلس معه وحادثه، فقال المسور لمروان في شيء سمعته منه يثنى ما قلت، فركضه مروان برجله فخرج المسور ثم إن مروان نام [فقبل له في المنام]⁽³⁾ ما لك وللمسور؟ ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ. فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 84]. قال: فأرسل مروان إلى المسور فقال [له]⁽⁴⁾: إني زجرت عنك في المنام وأخبره بالذي رأى فقال له المسور: لقد نهيت عني في اليقظة والنوم وما أراك تنهي.

قال: وكان المسور رضي الله تعالى عنه يقول: لَقَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ أَقْوَاماً لَوْ رَأَوْنِي مَعَكُمْ لاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُمْ.

قلت: قال المالكي: وعن عمرو⁽⁵⁾ بن شداد قال: والله إني لأصلي أمام المسور، فضليت صلاة الشاب كنتر إليك، فرحفت إلى المسور فقال لي: قم فصل فقلت: قد صليت عافاك الله فقال لي: كذبت والله ما صليت ولا أدعك⁽⁶⁾ حتى تضلي فتمت فضليت فأتممت الركوع والسجود. فقال [لي]⁽⁷⁾ المسور: والله لا تعصون الله وأنا أنظر ما استطعت⁽⁸⁾.

(1) في ط: أربع، التصويب من: ت.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) في الاستيعاب: فأتي في المنام ص: 678.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(5) في رياض النفوس للمالكي: عمرو.

(6) في الرياض: «ولا تريم» وهو ساقط من: ت.

(7) ما بين المعقوفتين زيادة من: الرياض 1/ 69.

(8) رياض النفوس 1/ 69.

قال: وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى يَطُوفَ لِكُلِّ يَوْمٍ غَابَ عَنْهَا أُسْبُوعاً. رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى طَعَاماً كَثِيراً فَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَاً فَرَأَى سَحَابَ الْخَرِيفِ فَكْرِهَهُ فَشَقَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ⁽¹⁾ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِالطَّعَامِ فَحَمَلَ إِلَى السُّوقِ وَقَالَ: مَنْ جَاءَنِي وَلَيْتُهُ بِمَا أَخَذْتُ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: مَا السَّبَبُ يَا مَسُورُ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ سَحَابَ الْخَرِيفِ فَكْرِهْتَهُ، فَرَأَيْتُ أَنِّي كَرِهْتُ مَا يَنْفَعُ الْمُسْلِمِينَ، فَأَجْمَعْتُ عَلَى أَنِّي لَا أَرْبِحُ فِيهِ شَيْئاً. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً⁽²⁾.

قلت: ذَكَرَهُ الْمَالِكِيُّ عَنْ زَيْدِ⁽³⁾ بْنِ أَبِي الزَّرْقَاءِ.

قال: شَهِدَ الْمَسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَتَحَ إِفْرِيْقِيَةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ وَهُوَ الَّذِي حَرَّضَ عُثْمَانَ عَلَى غَزْوِهَا قَالَهُ أَبُو الْعَرَبِ بْنُ تَمِيمٍ. وَكَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّهُ أَصَابَهُ حَجَرُ الْمَنْجَنِيْقِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحِجْرِ يَوْمَ جَاءَ نَعِيُّ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَاتَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسِتِّينَ.

قلت: هُوَ خِلَافَ مَا نَقَلَ الْمَالِكِيُّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَسِتِّينَ⁽⁴⁾. وَمَا ذَكَرَ مِنْ تَعْمِيرِهِ، مِثْلَ مَا نَقَلَ مِنْ ذِكْرِ عَمَّنْ ذَكَرَ وَهُوَ خِلَافٌ قَوْلِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، تَوْفِي وَهُوَ ابْنُ [اِثْنَيْنِ]⁽⁵⁾ وَسِتِّينَ سَنَةً وَلَمْ يَحْكِ الْعَوَانِي غَيْرَهُ.

قال: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ ظَافِرٍ⁽⁶⁾ بْنُ رِوَّاحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ السَّلْفِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ⁽⁷⁾ السَّعْدِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ بَطَّةٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَغَوِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمَّانِيُّ⁽⁸⁾ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ

(1) فِي الرِّيَاضِ: كَرَاهِيَّةٌ. (2) الرِّيَاضُ: 70 / 1.

(3) فِي ت وَ ط: يَزِيدٌ. التَّصْوِيبُ مِنَ الرِّيَاضِ 70 / 1 وَهُوَ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي الزَّرْقَاءِ يَزِيدُ الشَّعْلَبِيُّ الْمُوَصَّلِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ نَزِيلُ الرَّمْلَةِ ثِقَةٌ مِنَ التَّاسِعَةِ مَاتَ سَنَةَ 194 هـ. انْظُرْ عَنْهُ: تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ 414 / 3، وَتَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 329 / 1 رَقْمٌ 2144.

(4) الرِّيَاضُ 70 / 1.

(5) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ ت وَ ط. التَّصْوِيبُ مِنْ: الْاسْتِيعَابُ ص: 677.

(6) فِي ت: ظَاهِرٌ. وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ.

(7) فِي ت: مُحَمَّدٌ. وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ.

(8) فِي ت وَ ط: الْجِيَانِيُّ وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ مِنْ تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ 308 / 2.

بلال عن قيس بن عبد الملك بن قيس بن مخرمة عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

21 - ومنهم جبلة بن عمرو الأنصاري الساعدي⁽²⁾ يُعَدُّ في أهل المدينة:

قال: كان جليلاً⁽³⁾ فاضلاً ورِعاً. قال سليمان بن يسار: كان جبلة من فضلاء الصحابة وفقهائهم، شهد فتح مصر وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج قاله: أبو سعيد بن يونس وغيره، وولد بإفريقية وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج⁽⁴⁾، قال: سألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو، فقال: نفلنا معاوية بن حديج بإفريقية فأبى جبلة بن عمرو الساعدي صاحب رسول الله ﷺ أن يأخذ من ذلك شيئاً. روى عنه سليمان بن يسار وثابت بن عبيد الله.

22 - ومنهم أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح⁽⁵⁾ القرشي العامري واسم أبي سرح الحسام:

قال: أسلم عبد الله قبل الفتح وهاجر، وكان أخا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من الرضاع، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ وكان فارس بن عامر بن لؤي

(1) أخرجه البخاري في الصحيح من كتاب المظالم والغصب، 8 باب الظلم ظلمات يوم القيامة حديث (2447) ص: 586 من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه. ولم يرد فيه ذكر: «إياكم» كذا عند مسلم في الصحيح في كتاب البر والصلة والآداب 15، باب تحريم الظلم حديث 57 (2579) ص: 1350.

(2) ترجم لجبلة بن عمرو الأنصاري في الاستيعاب لابن عبد البر، ص: 123 رقم 329، وأسد الغابة 1/ 511 - 512 رقم 686، الإصابة في تمييز الصحابة 1/ 233، تجريد أسماء الصحابة للذهبي 1/ 77 رقم 725، فتح مصر والمغرب ص: 351، رياض النفوس 1/ 91 - 92، حسن المحاضرة 1/ 147 - 148.

(3) في ت: جبلة.

(4) في ت: الأشجع.

(5) ترجم لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في: الاستيعاب ص: 434 - 435 رقم 1486، أسد الغابة 3/ 260 - 262 رقم 2976، الإصابة 4/ 76 - 77 رقم 4702، تجريد أسماء الصحابة 1/ 314 رقم 3317، رياض النفوس 1/ 66 - 68، حسن المحاضرة 1/ 172.

والمقدّم فيهم، وكان أحد العقلاء النجباء⁽¹⁾ من قريش، شهد فتح مصر، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في فتوحاته ثم ولأه عثمان غزو إفريقية سنة سبع وعشرين فسار إليها من مصر فدخلها في عشرين ألفاً من المسلمين، فيهم⁽²⁾ جماعة من الصحابة منهم العبادة السبعة. ولذلك تسمى تلك الغزوة غزوة العبادة، فنزل السبخة التي في شرقي القيروان، ولذلك سمي المكان باب عبد الله، واحتط هناك مسجداً يُعرف به؛ ذكر ذلك أبو بكر المالكي⁽³⁾.

قلت: الأقرب أنه المسجد المجاور لمقبرة سحنون الخراب الآن.

قال: ثم سار إلى سبيطة وقتل بها جرجير ملك إفريقية وصالح من إفريقية من النصارى على ألفي دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألفاً وذلك ثلاثمائة قنطار ذهباً.

قلت: قال المالكي: وعن عبد الله بن ربيعة قال: صلى عبد الله بن سعد الجمعة بإفريقية فلما صلى ركعتين سمع جلبة في المسجد فأرعبهم ذلك وظنوا أنه العدو فقصر⁽⁴⁾ الصلاة [فلم يجد]⁽⁵⁾ شيئاً ثم خطب الناس وقال: إن هذه الصلاة اختصرت وأمر⁽⁶⁾ مؤذنه فأقام الصلاة ثم أعادها.

قلت: أمره لمؤذنه بإقامة الصلاة مع خطبته للناس ظاهر في أنه أعادها بهم جماعة، والأولى إعادته منفرداً خاصة على طريق الورع، وعليه يحمل ما روي عن سحنون في إعادة الصلاة إذا ذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا وحسن منه هذا لندور ذلك منه بخلاف حالنا نحن والله تعالى أعلم.

قال: ولما بلغه موت عثمان وحصول الفتنة سار إلى الرملة وقيل إلى عسقلان واعتزل الفتنة وحدثني أبو الحسن علي بن هبة الله الخطيب، قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني قال: أخبرنا محمد بن أحمد الرازي، قال: حدثنا محمد بن

(1) في ت: الكرماء النجباء.

(2) في ط: فمنهم التصويب من: ت.

(3) رياض النفوس 67/1.

(4) في الرياض: فقطع 67/1.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ت وط، الزيادة من: الرياض 67/1.

(6) في الرياض: ثم أمر.

أحمد السَّعْدِيّ، قال: أخبرنا عبيد الله بن بَطَّة قال: أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدثنا عمرو بن خالد الحراني عن ابن لهيعة عن عياش بن [عياش]⁽¹⁾ عن الهيثم بن [شفي]⁽²⁾. عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قال: بينما رسول الله ﷺ وعشرة من أصحابه على جبل حراء وهم: أبو بكر، وعثمان، وعلي، والزبير، وغيرهم؛ إذ تحرَّك فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»⁽³⁾. ولَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قال: «اللَّهُمَّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح» فلما طلع الفجر من يوم وفاته توضأ ثم صلى الصُّبْحَ فقرأ في الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَالْعَادِيَاتِ، والثانية بأم القرآن، وسورة، ثم سلَّم عن يمينه ثم ذهب لِيَسَلَّمَ عن يساره فقبض الله رُوحَهُ ولم يبايع لعلي، ولا لمعاوية ذكر ذلك يزيد بن أبي حبيب.

قلت: ما ذكر من أن السورة في الركعة الأولى هي العاديات، خلاف نقل الماكي عنه أنها والذاريات.

قال: وكانت وفاته سنة ست، أو سبع وثلاثين قبل اجتماع الناس على معاوية.

قلت: واختلف أين توفي فقيل بإفريقية والصحيح بعسقلان والله تعالى أعلم.

23 - ومنهم معاوية بن ⁽⁴⁾ حُذَيْج (*):

بِضْمِّ الْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الدَّالِ مِنْ حُذَيْجٍ وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْجِ بْنِ [جفنة بن

(1) في ت و ط: عياش، التصويب من: تقريب التهذيب 1/ 766 رقم 5285 وهو عياش بن عباس القُتَيْبَانِي بكسر القاف المصري، ثقة.

(2) في ت و ط: سعيد وهو تحريف لاسم [شفي] ترجم له في تقريب التهذيب 2/ 277 رقم 7401.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح من رواية أبي هريرة، كتاب فضائل الصحابة، (6) باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما حديث 50 - (2417).

(4) ترجم لمعاوية بن حُذَيْج في الاستيعاب ص: 672 رقم 2351، أسد الغابة 5/ 198 - 199 رقم 4980، الإصابة 6/ 111، تجريد أسماء الصحابة 2/ 82 رقم 923، رياض النفوس 1/ 92 - 93 رقم 24، فتوح مصر والمغرب ص: 341، تهذيب التهذيب 10/ 204، تقريب التهذيب 2/ 195، حسن المحاضرة 1/ 194.

(*) في ت و ط: حذيج وهو خطأ. الصواب بالحاء حُذَيْج كما هو في كتب مترجميه وقد ورد هذا كثيراً وتكرر وسوف لا نرجع إليه نصحه بدون إشارة لذلك.

قتيرة⁽¹⁾ [ابن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس
[ابن شبيب]⁽²⁾ بن السَّكُون⁽³⁾ بن كندة⁽⁴⁾ السَّكُونِي الكِنْدِي هكذا سَرَدَ نَسَبَهُ أَبُو
نَضْرُ بْنُ مَأْكُولاً الكَرَجِي رحمه الله فمن نَسَب معاوية بن حديج إلى جَدِّهِ الأَقْرَب قال
السَّكُونِي وَمِنْ نَسَبِهِ إِلَى جَدِّهِ الأَبْعَد. قال الكِنْدِي: قال العواني: وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وإنما رفعنا من⁽⁵⁾ نَسَبِهِ كما تقدم لِيَتَبَيَّنَ⁽⁶⁾ صحة قول مَنْ قال
الكِنْدِي وقول من قال السَّكُونِي لَأَنَّ الفَقِيهَ أَبَا زَيْدِ الدَّبَّاعِ رحمه الله تعالى وغيره قال
السَّكُونِي أصح، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي صَحِيحٌ وَصَوَابٌ.

قلت: هذا فيه نظر لأن لفظه معاوية بن حُديج السَّكُونِي الكِنْدِي. ويقال⁽⁷⁾
التَّجِيبي، والأول أصح، فَمَا صَحَّحَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالنَّسَبَةِ إِلَى قَوْلِ مَنْ قال التَّجِيبي، ولم
يُرْجَّحْ سَكُونِي مِنْ كِنْدَةَ بَلْ نَسَبَهُ بِهَا وَأَخْتَلَفَ فِي كُنْيَتِهِ فَقِيلَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ،
وقيل يُكْنَى أَبَا نُعَيْمٍ، وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

[آبار حديج بالقيروان]

قال: شهد فَتْحَ مِصْرَ وكان هُوَ الوَارِدُ بفتح الإسكندرية على عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه، ثم غزا إفريقية ثلاثَ مَرَّاتٍ إحداهنَّ سنة أربع وثلاثين في
خلافة عثمان فنزل بمكان القيروان اليوم، واحتفرَ بِهَا آباراً تُسَمَّى «آبارُ حُديج» إلى
الآن، غلبَ عَلَيَّهَا⁽⁸⁾ اسم أبيه وهذه الآبار خارج باب تونس مُنْحَرَفَةً⁽⁹⁾ عنه إلى
الشَّرْقِي عند مُصَلَّى الجَنَائِزِ⁽¹⁰⁾ وكان معه في هذه الغزوة عبد الله بن عمر، وعبد الله بن
الزبير، وجبله بن عمرو السَّاعدي، وأبو زمعة البلوي، فمات أبو زمعة وَدُفِنَ بالبلوية

(1) ما بين المعقوفتين مُصَحَّفٌ إلى «حِقْبَةُ بْنُ قُنْبَرٍ». التصويب من: الاستيعاب ص: 672 وسد الغابة 5/ 198، وجمهرة أنساب العرب ص: 429.

(2) ما بين المعقوفتين في ت و ط مصحف إلى «شعيب» التصويب من جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 429.

(3) في ت و ط: السكن، التصويب من جمهرة أنساب العرب ص: 429.

(4) في ت و ط: كندي. التصويب من جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 429.

(5) في ت: في. (6) في ت: ليتبين لك.

(7) في ت: وقيل.

(8) في ت و ط: عليه. التصويب من: رياض النفوس 1/ 93.

(9) في ت: مُعَرَّفَةً. (10) رياض النفوس: 1/ 93.

أحد مقابر القيروان الآن سُمِّيَتْ بِهِ، وفي هذه الغزوة مَاتَتْ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَدَفِنَتْ بِبَابِ سَلَمَ الْآنَ. ثُمَّ غَزَا مُعَاوِيَةَ إِفْرِيْقِيَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ أَوْ سَنَةَ خَمْسِينَ فِي إِحْدَاهُمَا نَزَلَ الْقَرْنَ وَأَقَامَ بِهِ ثَلَاثَةَ أَغْوَامٍ وَبَنَى هُنَالِكَ بُيُوتًا وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحْطَ الْقَيْرَوَانَ وَفَتْحَ بِهَا جَلُولَاءَ.

قلت: الثانية والثالثة كانتا في خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَفَتْحَ جَلُولَاءَ كَانَ فِي مُدَّةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَتَوَجَّهَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَيْهَا فَحَاصَرَهَا وَقَتَلَ مِنْهَا عَدَدًا كَثِيرًا حَتَّى فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ عَنُودًا، بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ نَاحِيَةٌ مِنْهَا وَقُتِلَ مَنْ قَاتَلَ مِنْهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَقَسَمَ الْفَيْءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ، فَيُقَالُ إِنَّهُ أَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَتًا مِثْقَالَ. وَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ أَنَّ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو مَاتَتْ فِي الْغَزْوَةِ الْأُولَى قَالَ الْعَوَانِي: لَمْ أَرَ لغيره، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى «بِالاعتناء والاهتمام في تواريخ⁽¹⁾ ملوك الإسلام» أَنَّهَا تُوْفِيَتْ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ. وَذَكَرَ أَنَّهَا غَزَوَتْهُ الثَّانِيَةَ إِلَى إِفْرِيْقِيَةَ. [وَالَّذِي حَكَاهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعَنَاءِ بِهَذَا الشَّأْنِ إِنَّمَا هِيَ⁽²⁾] الْغَزْوَةُ الثَّلَاثَةُ، وَهِيَ سَنَةُ خَمْسِينَ لَا الثَّانِيَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَكَانَ أَعُورٌ ذَهَبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ دَهْقَلَةَ⁽³⁾ مِنْ بَلَدِ النُّوبَةِ مَعَ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ⁽⁴⁾.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ السَّعْدِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرِ الْأَصْبَهَانِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى السَّعْدِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَكْرِيِّ⁽⁵⁾ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادِ النَّرْسِيِّ⁽⁶⁾ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(1) في ت: تاريخ.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من ط. الزيادة من: ت.

(3) في ط: دهقلة، وفي: دهلقت. التصويب من رياض النفوس 93/1، والروض المعطار ص: 236.

(4) رياض النفوس 93/1 وفيه سنة إحدى وثلاثين.

(5) في ت: الكندي.

(6) في ت و ط: التونسي وهو محرف. التصويب من: تهذيب التهذيب 93/6، وتقريب التهذيب 551/1. واسمه الكامل: عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلي مولا هم البصري، أبو يحيى المعروف بالنرسي. بفتح النون وسكون الراء.

يقول: «غَدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»⁽¹⁾. روى عنه ولده عبد الرحمن بن معاوية، وعلي بن رباح اللخمي، وعبد الرحمن بن شماسه المَهْرِي وَعَرْفُظَةَ بن عمرو وسويد بن قيس.

قلت: وروي أن عبد الرحمن بن شماسه المذكور قال: دخلنا على عائشة فَسَأَلْتَنَا كَيْفَ كَانَ أَمِيرُكُمْ هَذَا وَصَاحِبُكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ؟ تَعْنِي مَعَاوِيَةَ بْنَ حُذَيْجٍ فَقُلْنَا: مَا نَقِمْنَا عَلَيْهِ شَيْئاً، وَأَثْنَيْنَا عَلَيْهِ خَيْراً وَقُلْنَا⁽²⁾: إِنْ هَلَكَ بَعِيرٌ لَنَا خَلَفَ بَعِيراً وَإِنْ هَلِكَ فَرَسٌ خَلَفَ فَرَساً، وَإِنْ أَبَقَ خَادِمٌ خَلَفَ خَادِماً. فَقَالَتْ حِينَئِذٍ فِي بَعْضِ حَدِيثِهَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ»⁽³⁾.

قال: توفي معاوية بن حُذَيْجٍ سنة اثنتين وخمسين.

24 - ومنهم المُطَلَّب⁽⁴⁾ بن أَبِي وَدَاعَةَ السَّهْمِي رضي الله تعالى عنه:

واسم أبي وداعة الحارث بن [ضَبِيرَةَ]⁽⁵⁾ بن سعيد بن سهم قال: أسلم يوم فتح مكة ثم نزل الكوفة.

قلت: ثم نزل بعد ذلك المدينة وله بها دارٌ. وروى عنه أهل المدينة وهو معذودٌ في جُملة الصَّحَابَةِ رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأدخله مالك في مؤطاه من طريق ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن المُطَلَّب بن أبي وداعة السَّهْمِي عن

(1) رُوِيَ الْحَدِيثُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ أَنْظَرَهَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ (30) بَابِ فَضْلِ الْغَدُوَّةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَدِيثٌ (1880) بِرَوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَحَدِيثٌ (1881) بِرَوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، وَحَدِيثٌ (1882) بِرَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَدِيثٌ (1883) بِرَوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ.

(2) فِي ت: وَلَنَا.

(3) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ، (5) بَابِ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعَقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثُّ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيُ عَنِ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، حَدِيثٌ (1828) ص: 982 - 983 بِرَوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَلَفْظُ الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ! مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

(4) تَرْجَمَ لَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ ص: 675 رَقْمٌ 2368، وَأَسَدُ الْغَابَةِ 5/ 183 - 184 رَقْمٌ 4953، الْإِصَابَةُ 6/ 104، تَجْرِيدُ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ 2/ 80 رَقْمٌ 892، رِيَاضُ النُّفُوسِ 1/ 77، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ 10/ 179، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 2/ 189 رَقْمٌ 6735، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ 1/ 194.

(5) فِي ت وَ ط: جُبَيْرَةَ. بِالْحَاءِ. وَالصَّوَابُ مَا أُبْتِنَاهُ مِنَ الْمَرَاJِعِ الْمَتْرَجِمَةِ لَهُ.

حفصة أم المؤمنين أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [صَلَّى فِي] (1) سُبْحَتِهِ قَاعِدًا قَطُّ حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بَعَامٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيَرْتَلُّهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ [مَنْ أَطْوَلَ] (2) مِنْهَا (3)». قَالَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ: وَرَوَى الْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ (4). قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَوَى عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ الْمُطَّلِبُ بْنُ السَّائِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ وَغَيْرِهِ. وَرَوَى عَنْهُ ابْنَاهُ كَثِيرٌ وَجَعْفَرٌ (5).

قال: غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد في جمع من بني سَهْمٍ ذكره أبو سعيد بن يونس فيمن غزا إفريقية. حدثني أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر (6) قال: أخبرنا الحافظ السلفي (7) قال: أخبرنا أبو عبد الله الرَّاظِي قال: أخبرنا أبو الفضل [السعدي] (8) قال: أخبرنا أبو محمد بن بَطَّة، قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي، قال: أخبرنا زهير بن محمد (9) [بن قُمَيْر] (10) عن مَعْمَرٍ، عن طَاوُسٍ عن عِكْرِمَةَ [بن] (11) خَالِدٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النَّجْمِ: 1] وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَمْ يَسْجُدْ يَوْمَئِذٍ كَافِرٌ فَلَا أَدْعُ السُّجُودَ فِيهَا أَبَدًا» انتهى (12).

(1) في ط: يصلي. التصويب من الموطأ. وفي ت تحريف إلى: سجدته.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) انظر الرواية في موطأ الإمام مالك، كتاب صلاة الجماعة، 7 باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة حديث (22) ص: 127 - 128 مطبعة فضالة المحمدية المغرب ط III السنة 1996، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين، (16) باب جواز النافلة قائماً وقاعداً حديث (118).

(4) في ت: في البيت. (5) الاستيعاب ص: 676.

(6) في ت: ابن طاهر. (7) في ت: السمعى.

(8) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(9) في ت و ط: ابن محمود. والصواب ما أثبتناه من التهذيب 3/ 347، والتقريب 1/ 316 رقم 2053، وفيه اسمه: زهير بن محمد بن قمبر بالتصغير المروزي نزيل بغداد ثقة.

(10) في ت و ط: الوراق. والصواب ما أثبتناه من التهذيب 3/ 347، والتقريب 1/ 316.

(11) في ت و ط: عن. الصواب: «ابن» التصويب من التقريب 1/ 685 وهو: عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي.

(12) أخرجه البخاري برواية ابن عباس في كتاب سجود القرآن، 4 باب سجدة النجم حديث (1071).

25 - ومنهم ربيعة بن عباد^(*) الدؤلي رضي الله عنه⁽¹⁾ :

قال: بكسر العين⁽²⁾ من عباد والتخفيف.

قلت: قال العواني: ويقال بتشديد الباء والتخفيف أكثر مدني روى عنه محمد بن المنكدر وأبو الزناد وبكر بن الأشج وسعيد بن خالد القارظي، وزيد بن أسلم وغيرهم.

قال: شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد [بن أبي سرح]⁽³⁾ قاله أبو سعيد بن يونس وغيره. حدثني أبو القاسم بن مكي قال: حدثنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله الرازي قال: أخبرنا أبو الفضل السعدي قال: أخبرنا أبو محمد بن بطة قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي قال: أخبرنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال: حدثنا [سعيد بن سلمة بن أبي الحسام]⁽⁴⁾ قال: حدثني⁽⁵⁾ محمد بن المنكدر أنه سمع ربيعة بن عباد الدؤلي يقول: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: «يا⁽⁶⁾ أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً». قال: ووراءه رجل يقول: [يا⁽⁷⁾ أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا؟ فقيل: أبو لهب وعمر ربيعة هذا عمراً طويلاً ولم أقف له على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.

قلت: وقال الأمير الأجل، أبو نصر علي بن هبة الله بن ماکولا [العجلي]⁽⁸⁾

(*) في ب: عبادة بالتاء. التصويب من كتب مترجميه.

(1) انظر ترجمته في: الاستيعاب ص: 232 رقم 759، وأسد الغابة لابن الأثير 2/ 264 رقم 1648، الإصابة 2/ 200، تجريد أسماء الصحابة 1/ 180 رقم 1865، رياض النفوس 1/ 79 رقم 14، حسن المحاضرة 1/ 158.

(2) في ت: الدال. (3) ما بين المعقوفين سقط من: ت.

(4) في ت و ط: مُحَرَّفٌ إِلَى: [سعيد بن أبي سلمة بن أبي الحمام] والصواب ما أثبتت: من التقريب 1/ 355 رقم 2333. وقال عنه ابن حجر في هذا المرجع: «صَدُوقٌ، صحيح الكتاب يخطيء من حفظه».

(5) في ت: حدثنا. (6) إسقاط ياء النداء من: ت.

(7) إسقاط حرف النداء من: ت.

(8) في ت و ط: محرف إلى الكرخي وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه من كتب مترجميه واسمه الكامل: «أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف ابن الأمير الجواد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي الجرباذقاني ثم البغدادي مصنف «الإكمال» توفي سنة نيف وثمانين وأربعمائة هجرية. ترجم له في: طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 464، شذرات الذهب 3/ 381، الرسالة المستطرفة ص: 116.

رحمه الله تعالى في تاريخه المُسَمَّى «بالإكْمَالِ» في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء وَالْكَنَى وَالْأَلْقَابِ⁽¹⁾ توفي ربيعة بن عباد الدُّوَلِي بالمدينة في ولاية الوليد بن عبد الملك. وانظر: لِمَ لَمْ يَقُلِ الشَّيْخُ فِي الْمُطَلِّبِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى تَارِيخِ وَفَاتِهِ، إِذْ لَوْ وَقَفَ عَلَيْهِ لَذَكَرَهُ، انتهى.

26 - ومنهم زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَّائِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽²⁾ :

وَصُدَّاءُ⁽³⁾ حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَعُدُّ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ وَأَهْلِ الْمَغْرِبِ، دَخَلَ إِفْرِيْقِيَةَ وَشَهِدَ الْمَغَارِي.

قال: روي عنه أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَبَايَعْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى صُدَّاءَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرْزِدِ الْجَيْشَ وَأَنَا لَكَ بِإِسْلَامِهِمْ، فَرَدَّ الْجَيْشَ وَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ فَأَقْبِلْ وَقُدِّهِمْ بِإِسْلَامِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَخَا صُدَّاءِ إِنَّكَ لَمُطَاعٌ فِي قَوْمِكَ» فَقُلْتُ: بَلْ اللَّهُ اسْتَهْدَاهُمْ وَقُلْتُ: أَلَا تُؤَمِّرُنِي عَلَيْهِمْ. فقال: «بَلَى، وَلَا خَيْرٌ فِي الْإِمَارَةِ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ» فَقُلْتُ: حَسْبِي. وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَكِيِّ بْنِ الْحَاسِبِ قَالَ: أَخْبَرَنَا جَدِّي الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ [أَحْمَدَ]⁽⁴⁾ الرَّازِي قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ السَّعْدِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا [عَبِيدُ]⁽⁵⁾ اللَّهُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَطَّةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَرْوَانَ بْنَ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمِ الْحَضْرَمِيُّ عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُّدَّائِيِّ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَثَبَّتْ مَعَهُ فَأَمَرَنِي فَأَذْنْتُ لِصَلَاةِ الْعِدَاةِ فَلَمَّا لَحِقَهُ النَّاسُ أَرَادَ بِلَالٌ أَنْ يُقِيمَ.

(1) الإكْمَالُ لابن ماكولا: 112 / 2.

(2) ترجم لزياد بن الحارث الصُّدَّائِي فِي: الاستيعاب ص: 254 رقم 835، أسد الغابة 332 / 2 - 333 رقم 1793، الإصابة 18 / 3، تجريد أسماء الصحابة 194 / 1، رياض النفوس 86 / 1 رقم 21، فتوح مصر والمغرب ص: 345 - 346، تهذيب التهذيب 359 / 3، تقريب التهذيب 318 / 1 رقم 2069، حسن المحاضرة 161 / 1.

(3) صُدَّاءُ، وَيُقَالُ: صَدَى بِالْقَصْرِ، وَصُدَّاءُ، وَصُدَّاءُ، وَيُرْوَى صِيدَاءُ بِيَاءٍ قَبْلَ الدَّالِ. راجع الروض المعطار ص: 356.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت، وَمُخْرَفٌ فِي ط بِاسْمِ (مُحَمَّدٍ) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ: شذرات الذهب 75 / 4، والرسالة المستطرفة ص: 99. واسمه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي يعرف بابن الخطاب المتوفى سنة 525هـ.

(5) في ت و ط: عبد الله وهو تحريف لعبيد الله.

[المؤذن هو الذي يقيم]

فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال إن أخا صداءِ أذن، ومن أذن فهو يُقيم». ورواه الترمذي عن هناد عن عبدة [ويعلی] (1) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بمعناه (2). قلت: زاد المالكي في حديث زياد هذا بعد أن لحقه أصحابه فقال له عليه الصلاة والسلام: «هل من ماءٍ يا أخا صداء؟» فقلت: لا إلا شيء قليل لا يكفيك، قال: «اجعله في إناء ثم ائتني به» فقلت: نعم، فوضع كفه في الإناء، فرأيت من بين [كل] (3) أصبعين من أصابعه عيناً تفور فقال: «لولا [أني] (4) استحي من ربي يا أخا صداء لسقينا [وأسقينا] (5) ناد في أصحابي: من له حاجة بالماء؟» فنادت فيهم [فأخذ من أراد منهم] (6) فأراد بلال أن يقيم إلى آخر ما تقدم. وقلت: يا نبي الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل ماؤها وتفرقنا على مياه حولنا وقد أسلمنا وكل من حولنا عدو لنا، فادع الله لنا في بئرا أن يسعنا ماؤها فنجتمع [عليها] (7) ولا نفرق (8)، فدعا بسبع حصيات فعرکها (9) في يده ودعى فيها ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فآلقوها واحدة واحدة، واذكروا اسم الله عز وجل» قال الصُّدَّانِي: ففعلنا فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعر البئر - يعني من كثرة الماء - (10).

- (1) ما بين المعقوفتين زيادة من سنن الترمذي وهو: يعلى بن عبید بن أبي أمية الكوفي أبو يوسف. انظر عنه التقريب 2/ 341 رقم 7873.
- (2) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب أبواب الصلاة، 32 باب ما جاء أن من أذن فهو يقيم، حديث (199) 1/ 243، وقال الترمذي: وحديث زياد إنما نعرفه من حديث الإفريقي، والإفريقي هو ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره. قال أحمد: لا أكتب حديث الإفريقي. قال: ورأيت محمد بن إسماعيل يقوي أمره، ويقول: هو ثقيل الحديث. أي أن حديثه يقرب حديث الثقات، وأخرجه أيضاً أبو داود في كتاب الصلاة، باب 30 في الرجل يؤذن ويقيم حديث (514) 1/ 135، والبيهقي في السنن الكبرى 1/ 399، وأحمد في مسنده 4/ 209 حديث (17550) و(17551) دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى السنة 1413هـ/ 1993م.
- (3) زيادة من: رياض النفوس 1/ 88.
- (4) زيادة من: رياض النفوس 1/ 88.
- (5) في ت و ط: واستقينا. التصويب من الرياض 1/ 88.
- (6) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
- (7) ما بين المعقوفتين زيادة من الرياض 1/ 89.
- (8) في ط: ولا نفرق. التعويض من: ت، والرياض 1/ 89.
- (9) في الرياض: فعرکهن.
- (10) رياض النفوس 1/ 89.

27 - ومنهم أبو اليُمن سُفيان بن وَهْب الخَوْلَانِي⁽¹⁾ رضي الله عنه:

قال: صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَحَجَّ مَعَهُ حَجَّةَ الْوُدَاعِ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَدَخَلَ الْقَيْرَوَانَ فِي زَمَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ فِي تَارِيخِهِ: إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ وَهْبٍ غَزَا إِفْرِيْقِيَةَ سَنَةَ سِتِينَ.

قلت: يعني أميراً لعبد العزيز، المذكور. وكذلك هو المراد في القول الأول لِنَصْرِ غَيْرِهِ بِذَلِكَ فَهَمَا نَقْلَانِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِاخْتِلَافٍ عِنْدِي، لِدُخُولِهِ أَمِيرًا فِي السَّتِينَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ.

قال: وروى غِيَاثُ بْنُ أَبِي شَبِيبٍ قَالَ: كَانَ سُفْيَانُ بْنُ وَهْبٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ غَلْمَةٌ بِالْقَيْرَوَانَ فَيُسَلِّمُ عَلَيْنَا فِي الْكُتَّابِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ قَدْ أَرْحَاهَا مِنْ خَلْفِهِ. ذَكَرَ ذَلِكَ الدَّارِقُطْنِيُّ. حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْكُوَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثَّابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ خَلْفِ بْنِ عَمْرُونَ عَنْ أَبِي⁽²⁾ عَبْدِ اللَّهِ [مُحَمَّد]⁽³⁾ بْنِ مَعْلَانَ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ قَالَ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْمُرَابَنَةِ⁽⁴⁾ يَعْنِي إِذَا كَانَ يَزِيدُ لِيَغْرَ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ لَغَيْرِ ذَلِكَ فَجَائِزٌ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى بِإِسْنَادٍ يَتَّصِلُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحٍ قَالَ: سَمِعْتُ [سَعِيدَ بْنَ أَبِي شَمْسِ الشَّيْبَانِي]⁽⁵⁾ يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ وَهْبٍ خَوْلَانِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَأْتِي الْمَائَةُ وَعَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ

(1) ترجم سُفْيَانُ بْنُ وَهْبٍ فِي الْإِسْتِيعَابِ ص: 296 رَقْم 969، أَسَدُ الْغَابَةِ 2/ 502 رَقْم 2129، الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ 3/ 108، تَجْرِيدُ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ 1/ 227 رَقْم 2378، رِيَاضُ النُّفُوسِ 1/ 89 - 91، فَتُوحُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ص: 340، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ 1/ 165، تَارِيخُ الثَّقَاتِ ص: 194 رَقْم 574.

(2) فِي ت: أَبِيهِ. (3) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ: ت.

(4) الْمُرَابَنَةُ: فِي الْمَلْفَةِ هِيَ الْمَدَافِعَةُ، وَهِيَ اشْتِرَاءُ التَّمْرِ بِالتَّمْرِ عَلَى رُؤُوسِ النَّخْلِ وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، فِي كِتَابِ الْبَيْعِ (82) بَابُ بَيْعِ الْمُرَابَنَةِ، وَهِيَ بَيْعُ التَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَبَيْعُ الزَّبِيبِ بِالكَرْمِ، وَبَيْعُ الْعَرَايَا. حَدِيثُ (2185) بِرِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ.

(5) [سَعِيدُ بْنُ أَبِي شَمْسِ الشَّيْبَانِي] لَمْ أَعْثَرُ عَلَيْهِ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ. وَهُوَ فِي نَسْخَةِ ت حُرْفِ الْكَلِمَةِ: الشَّيْبَانِي.

أحدُ باق»⁽¹⁾ قال بعض رواة هذا الحديث: ذُكِرَ هَذَا الْحَدِيثُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ سَفِيَانَ بْنِ وَهْبِ الْخَوْلَانِيِّ فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ مَحْمُولاً وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثَ بِهِ فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: لَعَلَّ مَعْنَاهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِمَّنْ أَدْرَكَنِي إِلَى رَأْسِ الْمِائَةِ فَقَالَ سَفِيَانٌ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ. وَذَكَرَ الْمُحَاسِبِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ نَقْضَانَ الْعُمُرِ وَاسْتِحْسَانَ ذَلِكَ الْمُحَاسِبِيِّ.

قال: روى عنه أبو الخير المزني وأبو عشانة المعافري وسعيد بن أبي شمس وذكر أنه توفي في سنة اثنتين وثمانين أعاد الله علينا من بركاته آمين.

28 - ومنهم أبيض بن حمّال السبائي المأربي⁽²⁾:

بحاءٍ مهملة وميم مُشَدَّدَةٌ ابن حمّال، وبالراء والباء المعجمة بواحدةٍ من الموارد مأرب اليمن ويقال إنه من الأزد.

قال: دَخَلَ أَبْيَضُ هَذَا إِفْرِيقِيَّةً وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَالَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ: وَرَوَى ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ رَجُلٍ كَانَ اسْمُهُ أَسْوَدَ فَسَمَّاهُ أَبْيَضَ، أَظْنُهُ هَذَا. وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَشْكَوَالٍ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَتَّابٍ عَنِ الْقَاضِي أَبِي⁽³⁾ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّهْرَاوِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْمَطْرِفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَفِيسٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَرَّجٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْقَمَرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَابْنُ لَهَيْعَةَ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ أَنَّ مَوْسَى بْنَ

(1) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة (53) باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسة اليوم» حديث 217 - (2537) ص: 1327، ولفظ الحديث عنده: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري.

(2) ترجم لأبيض بن حمّال في: الاستيعاب ص: 73 - 74 رقم 143، أسد الغابة 1/ 163، الإصابة في تمييز الصحابة 1/ 14 رقم 19، تجريد أسماء الصحابة 1/ 3 رقم 24، رياض النفوس 1/ 95 رقم 26، تهذيب التهذيب 1/ 188، تقريب التهذيب 1/ 71 رقم 284.

(3) في ت: ابن.

الأشعث، حدثهم: أن الوليد بن عنبسة حدثه أنه انطلق وأبيض رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ، إلى رجلٍ يعودانه قال: فدخلت في المسجد فرأيت الناس يصلون، فقلت: الحمد لله الذي جمع بالإسلام بين الأسود والأحمر والأبيض، قال أبيض: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى لا تبقى ملة إلا ولها منكم نصيب فقلت: يرتدون يخرجون من الإسلام قال: لا بل يصلون بصلواتكم ويجلسون مجالسكم وهم معكم في سؤالكم وروى الترمذي عن قتيبة بن سعيد عن محمد بن يحيى قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا ثمامة بن سراجيل عن شمي بن قيس عن شمير عن أبيض بن حمال، أنه وقد على النبي ﷺ فاستطعمه الملح الذي بمأرب فقطع له، فلما ولي، قال رجلٌ من المجلس: أتدري ما قطعت؟ إنما قطعت له الماء العذب فانتزعه منه قال: وسأته عما [يجني من لارك] ⁽¹⁾ قال: ما لم تنقله ⁽²⁾ أخفاف الإبل وروى عنه [شمير بن عبد المدان] ⁽³⁾ والوليد بن عنبسة.

29 - ومنهم أبو اليقظان ⁽⁴⁾:

صاحب رسول الله ﷺ مذكور في الصحابة، ذكره أبو سعيد بن يونس في جملة الذين دخلوا إفريقية، وغزا منها صقلية وسكن مصر؛

قلت: إنما ذكره بكنيته ولم يسمه كابن عبد البر ذكره في الصحابة في كتاب الكنى وفيمن سكن مصر منهم، ولم يصرح باسمه ⁽⁵⁾. وقال المالكي: دخل [أبو] ⁽⁶⁾ اليقظان إفريقية، وغزا صقلية. قال أبو سعيد: وذكروا أن أبا اليقظان هذا هو عمار بن ياسر، وذلك عندي وهم ⁽⁷⁾. يريد لأنه كني بهذه الكنية جماعة من أصحاب

(1) ما بين المعقوفين في ت: ينجي من الملوك.

(2) في ت: ينقله.

(3) في ط: بشير بن عبدان، وفي ت: بشير عبد بن المدان. والصواب ما أثبتناه.

(4) ترجم لأبي اليقظان في: الاستيعاب ص: 866 رقم 3196، أسد الغابة 6/328، الإصابة

في تمييز الصحابة 7/218 رقم 1247، تجريد أسماء الصحابة 2/212 رقم 2445، رياض

النفوس 1/96 - 97، فتوح مصر والمغرب ص: 296، تهذيب التهذيب 7/408، تقريب

التهذيب 1/708، حسن المحاضرة 1/207.

(5) الاستيعاب ص: 866. (6) ما بين المعقوفين سقطت من: ت.

(7) رياض النفوس 1/97 وفي فتوح مصر والمغرب سمي بعمار بن ياسر رقم 296.

رسول الله ﷺ منهم: أبو اليقظان عَمَّار بن ياسر مولى ابن⁽¹⁾ مخزوم صاحب رسول الله ﷺ، وأبو اليقظان عثمان [بن عُمَيْر]⁽²⁾ وروى عنه ليث بن أبي [سُلَيْم]⁽³⁾ وعلي بن الحكم ذكرهما مسلم بن الحجاج القشيري في كتاب الأسماء والكنى من تصنيفه وذكر ثالثاً كُنَاهُ وَلَمْ يَسْمَهُ وروى عنه حكيم بن جُمَيْع وعمرو بن محمد. وذكر رابعاً قال: أَكَلَتِ الْأَرْضُ مَوْضِعَ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَمَوْضِعَ اسْمِ رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ مِنْ كِتَابِ مَكِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّهُمُ دَخَلَ إِفْرِيقِيَّةَ.

قال: قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس حدثني أبي عن جدي قال: حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، أن أبا عُشَّانَةَ الْمَعَاظِرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْيَقْظَانَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِصِقْلِيَّةٍ يَقُولُ: «أَبَشِّرُوا فَوَاللَّهِ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ تَرَوْهُ مِنْ عَامَةٍ مِنْ رَأَاهُ»⁽⁴⁾. وأظن أن أبا اليقظان هذا إنما دخل إفريقية مع معاوية بن حُذَيْجٍ لِأَنَّ مَعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَنْ غَزَا إِفْرِيقِيَّةَ وَلَمْ يَغْزِ بَعْدَهُ فِيمَا عَلِمْتُ حَتَّى انْقَضَى غَزْوُ الصَّحَابَةِ لِإِفْرِيقِيَّةَ.

30 - ومنهم أبو عبد الرحمن بُسر بن أرطاة القرشي العامري⁽⁵⁾:

بِضْمِ الْبَاءِ وَبِالْسِينِ الْمَهْمَلَةِ وَيُقَالُ: يُسِرُّ بِاِثْنَتَيْنِ مِنْ أَسْفَلِ، وَاسْمُ أَرْطَاةَ عُمَيْرٍ. وَيُقَالُ: عَوِيْمِرُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ، قَالَ: شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ مَعَ

- (1) في ت: أبي.
- (2) في ت و ط: عمر. والصواب ما أثبتناه من كتاب تهذيب التهذيب 145/7 وفي تقريب التهذيب 663/1 وفيه قال: عثمان بن عمير بالتصغير، ويقال ابن قيس، والصواب أن قيس جد أبيه، وهو عثمان بن أبي حميد أيضاً البجلي أبو اليقظان الكوفي الأعشى الملقب باختلط، وكان يدلس ويغلو في التشيع مات سنة 825هـ.
- (3) في ت و ط: مسلم. والصواب ما أثبتناه من: التقريب 48/2 وهو الليث بن أبي سُلَيْمِ بْنِ زُنَيْمٍ بِالزَّايِ وَالتَّوْنِ صَدُوقٌ اخْتَلَطَ جَدًّا وَلَمْ يَتَمَيَّزْ حَدِيثُهُ فَتَرَكَ.
- (4) الاستيعاب ص: 866 رقم 3196، وفتوح مصر والمغرب ص: 296. قال ابن عبد البر: قال ابن أبي حاتم: أخرج أبو زُرْعَةَ فِي «الْمَسْنَدِ» لِأَبِي الْيَقْظَانَ هَذَا الْحَدِيثَ الْوَاحِدَ فِي مَسْنَدِ الْمَصْرِيِّينَ. الاستيعاب ص: 866.
- (5) ترجم لبُسر بن أرطاة القرشي في: الاستيعاب ص: 88 رقم 204، الإصابة في تمييز الصحابة 152/1 رقم 639، رياض النفوس 85/1 رقم 19، فتوح مصر والمغرب ص: 289، تهذيب التهذيب 435/1، تقريب التهذيب 125/1 رقم 664، حسن المحاضرة 138/1.

الزبير، [وغمير]⁽¹⁾ بن وهب، وخارجة بن خذافة، بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين مَدَدًا إلى عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لفتح مصر على اختلاف فيه، واستعمله معاوية على اليمن أيام صفين وكان بشر بن أرطاة من الأبطال⁽²⁾، وكان مع معاوية بصفين وأمره⁽³⁾ أن يلتقى عليًا رضي الله تعالى عنه في القتال، وقال له: **إِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَصَرَغَتْهُ حَصَلَتْ عَلَى دُنْيَا وَأُخْرَى**⁽⁴⁾، فقصد عليًا في الحرب وألْتَقِيَ فَصَرَغَهُ عَلِيٌّ، وعرض له مثل ما عرض لعلي مع عمرو بن العاص. فانصرف عليٌّ عنه وتركه قال أبو عمر⁽⁵⁾ إنما كان إضراب⁽⁶⁾ علي عنه وعن أمثاله من مصروع أو مهزوم، لأنه كان لا يرى في قتال الباغي عليه⁽⁷⁾ من المسلمين أن⁽⁸⁾ يتبع مُدْبِرًا وَلَا يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحٍ وَلَا يَقْتُلُ أُسِيرًا. وهذه كانت سيرته رضي الله تعالى عنه في حروبه في الإسلام وكان لبسر بن أبي أرطاة بمصر دارًا وحمًا يُعرفان به.

قال: **وَعَرِضَ لَهُ وَسْوَاسٌ بَعْدَ مَوْتِ عُثْمَانَ وَاحْتِبَالِ عَقْلِ فَصَدَرَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ مُنْكَرَةٌ** حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب، قال: أخبرنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عن القاضي أبي عمرو أحمد بن محمد الزهراوي، عن عبد الرحمن بن محمد بن فطيس عن أبي عبد الله بن مفرج، عن أبي سعيد بن يونس، قال: حدثنا أبو العلاء الكوفي قال: حدثنا هشام بن عمار قال: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَيُّوبَ، عَنْ مَيْسِرَةَ [بْنِ خَيْسٍ]⁽⁹⁾ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ

(1) في ت و ط: عويمر. التصويب من الاستيعاب ص: 88 رقم 204.

(2) في الاستيعاب: من الأبطال الطغاة ص: 91.

(3) في الاستيعاب: فأمره ص: 91.

(4) في الاستيعاب: وأخرة ص: 91.

(5) في ت و ط: أبو عمرو. والصواب أبو عمر. واسمه يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي الثمري المتوفى سنة 463هـ.

(6) في الاستيعاب: انصرف ص: 91.

(7) في الاستيعاب: ألا ص: 91.

(8) في ط: عنه. التصويب من ت، وهو الصواب وكذا من الاستيعاب ص: 91.

(9) في ت و ط: حسن. والصواب ما أثبتناه من: مسند أحمد تصحيحاً من سنده 4/223.

رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ»⁽¹⁾.

قلت: وزاد ابن عبد البر حديثاً ثانياً له وهو: «لا تُقَطِّعُ الأيدي في المغازي»⁽²⁾.

قال: وتوفي في الشام في بقية أيام معاوية، وقيل في أيام عبد الملك بن مروان.
قلت: وقيل⁽³⁾: كانت وفاته بالمدينة.

قال: هؤلاء ثلاثون من كبار أصحاب رسول الله ﷺ منهم من شهد العقبة، ومنهم من شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، ومنهم من شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية وبايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة. وقال عليه الصلاة والسلام: «أنتم اليوم أفضل أهل الأرض»⁽⁴⁾. وقال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»⁽⁵⁾ ومنهم

- (1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 4/ 223 رقم 17646 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى السنة 1993م. وعزاه السيوطي في الجامع الصغير ص: 89 لابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه ورمز له بحرف (ح) أي (حسن).
- (2) أخرجه الدارمي في السنن، كتاب السير، باب في أن لا يقطع الأيدي في الغزو 2/ 231 بلفظ: «لا تقطع الأيدي في الغزو لقطعها»، وأبو داود في السنن في كتاب الحدود، باب في الرجل يسرق في الغزو أيقطع؟ حديث (4407) 2/ 347 ولفظه: «لا تقطع الأيدي في السفر، ولولا ذلك لقطعته»، والترمذي في السنن، كتاب الحدود، 20 باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو حديث (1455) 3/ 133. وقال الترمذي: هذا حديث غريب. ولفظه: «لا تقطع الأيدي في الغزو» ولفظه: «المغازي» وردت عند ابن عبد البر في الاستيعاب ص: 88.
- (3) سقط من: ت.
- (4) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث (4154) برواية جابر بن عبد الله بلفظ: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير خير أهل الأرض» وكُنَّا ألفاً وأربعمائة «ولو كنت أبصر اليوم لأرئيتكم مكان الشجرة»، وأخرجه أيضاً مسلم في الصحيح كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، حديث 71 - (1856) بلفظ «أنتم اليوم خير أهل الأرض».
- (5) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، 37 باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، حديث 163 - (2496) ص: 1316 برواية أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلا وأردتها» [مریم: 71] فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿مَنْ تَبِعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَزَرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِنًّا﴾» [مریم: 72].

من صلى معه القِبْلَتَيْنِ، وقد نَبَّهْنَا في ترجمة كُلِّ واحدٍ⁽¹⁾ على فضله وسابقته مع رسول الله ﷺ، ونحن نردف من ذكرنا من الصحابة، باثني عشر من صِغَارِهِم ممن ولد على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وَبَعْضُهُمْ رآه ولم يسمع منه، وبعضهم كان مسلماً في حياته لقوله عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي الَّذِي أَنَا فِيهِمْ»⁽²⁾. وَقَدْ اخْتَلَفَ في هذه الطبقة هل يُعَدُّونَ صَحَابَةَ بالمولد أم هم من كبار التَّابِعِينَ انتهى.

31 - ومنهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي⁽³⁾:

وكان رجلاً صالحاً فاضلاً قال أبو العرب: غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد وروى عنه أنه لما بلغه أن عثمان أراد أن يستعمله على العِراقَيْنِ قال: وَاللَّهِ لَرَكْعَتَيْنِ أَرْكَعُهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْإِمَارَةِ عَلَى الْعِراقَيْنِ. وروى عنه مروان بن الحكم. وروى الزُّهْرِيُّ عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن مروان بن الحكم، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ⁽⁴⁾ عن أبي اليمان، عن شُعَيْبٍ عن الزُّهْرِيِّ.

قلت: قال العواني ولم أقف له على تاريخ وفاة.

(1) في ت: واحد منهم.

(2) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، 9 باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث (2651) برواية عمران بن حصين بلفظ: «خَيْرُكُمْ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، 52 باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذي يلونهم حديث 214 - (2535).

(3) ترجم لعبد الرحمن بن الأسود في: الاستيعاب ص: 459، الإصابة 151/4 رقم 5072، التهذيب 139/6، تقريب التهذيب 1/561 رقم 3813، تاريخ الطبري 2/660 - 661 و3/272 - 273.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الأدب، (90) باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه... حديث (6145) ص: 1555. عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً يقول: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت إضبعه، فقال:

«هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِضْبَعُ دُمَيْتٍ وفي سبيل الله ما لقيت»

البخاري حديث (6146).

32 - ومنهم أبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنهما :

قال: أمُّه جَمِيلَةٌ بنت ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري.

قلت: وقيل أمه جَمِيلَةٌ بنت عاصم، والأول أكثر.

قال: ولد عاصم قبل موت رسول الله ﷺ بسنتين وخاصمت أمه فيه أباه عمر بن الخطاب إلى أبي بكر [الصدیق رضي الله عنهما]⁽²⁾ وهو ابن أربع سنين⁽³⁾. وقال البخاري: «ابن ثمان سنين»⁽⁴⁾.

قلت: وذكر مالك رحمه الله تعالى خبره في مؤطاه⁽⁵⁾ ولم يذكر سنه.

قال: هو جدُّ عمر بن عبد العزيز لأن أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

قلت: عاصم هذا كان طويلاً جَسِيماً يقال: إنه كان في ذرعه ذراعٌ ونحو شبر وكان شجاعاً.

قال: وكان رحمه الله تعالى خيراً فاضلاً.

قلت: زاد غيره حافظاً للسانهِ شاعراً مُجيداً حَسَنَ الشَّعر. رَوَى أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وبين رجل ذات يوم شَيْءٌ فقام وهو يقول: [الطويل]

(1) ترجم لعاصم بن عمر بن الخطاب في: الاستيعاب ص: 575 رقم 1960، أسد الغابة، تجريد أسماء الصحابة، رياض النفوس 1/ 141 رقم 57، تهذيب التهذيب 5/ 46، تقريب التهذيب 1/ 457 رقم 3076، شذرات الذهب 1/ 77.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) الاستيعاب ص: 575.

(4) قد ذكر البخاري قال: قال لي أحمد بن سعيد، عن الضحاک، عن مخلد، عن سفيان بن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن جدِّه أَنَّ جدَّته خاصمت في جدِّه وهو ابن ثمان سنين. الاستيعاب ص: 575.

(5) جاء في مؤطاه مالك عن يحيى بن سعيد؛ أنه قال: سمعتُ القاسم بن محمد يقول: كانت عند عمر بن الخطاب امرأة من الأنصار، فولدت له عاصم بن عمر، ثم إنه فارقها، فجاء عمرُ قُبَاءً، فوجد ابنه عاصماً يلعبُ بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة، فأذركته جدَّة الغلام، فنارعتُه إيَّاه، حتَّى أتيا أبا بكر الصديق، فقال عمر: ابني، وقالت المرأة: ابني، فقال أبو بكر: خلَّ بينها وبينه، قال: فما راجعه عمرُ الكلام. انظر نصَّ الرواية عند مالك في موطنه من كتاب الوصية، (6) باب ما جاء في المؤنث من الرجال ومن أحقَّ بالولد حديث (5) ص: 669 مطبعة فضالة المغرب الطبعة الثالثة 1416هـ/ 1996م.

قَضَى مَا قَضَى فِيمَا مَضَى ثُمَّ لَا تَرَى لَهُ صَبُوءَ فِيمَا بَقِيَ آخِرَ الدَّهْرِ⁽¹⁾

قال: روي عن خالد بن أسلم أنه قال: آذى رجل عبد الله بن عمر بالقول ف قيل له: ألا تستنصر منه؟ فقال: إني وأخي عاصم لا نسابُ الناس. وغزا عاصم بن عمر إفريقية وعبد الله وعبيد الله سنة سبع وعشرين؛ قاله أبو العرب بن تميم⁽²⁾.
وبسندنا إلى البخاري قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن الخطّاب عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ ههنا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ ههنا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»⁽³⁾ ومات عاصم سنة سبعين قبل أخيه عبد الله بأربع سنين وورثاه عبد الله بن عمر لما وقف على قبره فقال:

فَلَيْتَ الْمَنَائِمَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِمًا فَعِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبَنَ بِنَا مَعًا⁽⁴⁾

33 - ومنهم عُقْبَةُ بْنُ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ الْفِهْرِيُّ⁽⁵⁾:

قال: وُلِدَ عَلِيٌّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُسْتَجَابَ الدُّعَاءِ، وَهُوَ كَرَامَاتٌ وَإِجَابَاتٌ، مِنْهَا مَا قَدَمْنَاهُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ: أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ أَصَابَهُ فِي بَعْضِ مَعْرَظِيهِ بِالْمَغْرِبِ عِضٌّ شَدِيدٌ هَرَّ وَأَضْحَابُهُ أَشْرَفُوا مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَصَلَّى عُقْبَةُ وَدَعَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَجَعَلَ فَرَسَهُ يَبْحَثُ بِيَدِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى كَشَفَ عَنْ صَفَاةٍ فَأَنْفَجَرَ مِنْهَا الْمَاءَ فَجَعَلَ الْفَرَسُ يَمُصُّ ذَلِكَ الْمَاءَ، فَانصَرَفَ عُقْبَةُ فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْ [احْفَرُوا فَاخْفَرُوا]⁽⁶⁾ سَبْعِينَ جِسِيًا فَشَرِبُوا وَاسْتَقُوا وَصَارَ ذَلِكَ مَاءً مَعِينًا فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَاءَ مَاءَ فَرَسِ الْيَوْمِ.

(1) انظر بيت في الاستيعاب ص: 576، وهو من البحر الطويل.

(2) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 68 - 69.

(3) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصوم، (43) باب متى يحل فطر الصائم حديث (1954) ص: 463.

(4) الاستيعاب ص: 575.

(5) ترجمه لعقبة بن نافع في: الاستيعاب ص: 562 رقم 1905، الإصابة 4/ 253 رقم 5607، رياض النفوس 1/ 97 رقم 29، حسن المحاضرة 1/ 178 - 179.

(6) ما بين المعنوتين في ت: «احفروا، فحفروا».

قلت: وَلَمَّا وَلَّيْتُ قَضَاءَ تَبَسَّةَ وجدتهم يقولون في بَرَكَةِ⁽¹⁾، هي بركة فرس قُرْبَ بلد جَسْوَةَ⁽²⁾ من قرى تَبَسَّةَ، فَلَعَلَّهَا هي.

قال: وروى أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم قال: حدثنا حبيب بن نصر وأحمد بن [أبي]⁽³⁾ سُليمان وعيسى بن مسكين قالوا: أخبرنا سَحْنُون بن سعيد [رحمه الله تعالى]⁽⁴⁾ عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد أن عقبة بن نافع الفَهْرِيُّ لَمَّا قدم من عند يزيد بن معاوية في جيش لِعَزْوِ المغرب مرَّ على عبد الله بن عمرو⁽⁵⁾ وهو بمصر فقال عبد الله بن عمرو: يا عقبة لَعَلَّكَ من الجيش الذين يدخلون الجنة بِرِحَالِهِمْ؟ قال: فمشى عقبة بجيشه حتى قَاتَلَ البربر وهم كفار فقتلوا جميعاً. قال أبو العرب: كان هذا في غَزْوَةِ عُقْبَةَ الثانية⁽⁶⁾. قُتِلَ هو وأصحابه وكان كَسِيلَةَ نَصْرَانِيًّا، وقبر عقبة ظاهر بِالزَّابِ يُتَبَرَّكُ بِهِ، وكان دخوله إِفْرِيْقِيَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الأولى سنة إحدى وأربعين فأقام بها ثلاث سنين.

قلت: وقيل: سنة ست وَأَرْبَعِينَ وهو الأصح، وعلى كل حال فكان ذلك في دولة معاوية بن أبي سفيان.

قال: [والمرة الثانية سنة خمسين وفيها اختط القيروان]⁽⁷⁾.

قلت⁽⁸⁾: يريد ومن جُمَلَتِهَا الجامع الأعظم ودار الإمارة وهي⁽⁹⁾ في قبلة الجامع المسمى اليوم بالمخزن وترك ما أسَّسَهُ [عقبة بن نافع]⁽¹⁰⁾ بالقرن وغزوه لهذه في مدة معاوية⁽¹¹⁾ أيضاً.

قال: والثالثة سنة إحدى وستين.

(1) في ت: [في عين بركة]. (2) في ت: جسر.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(5) في ت و ط: عمر. والصواب عمرو بالواو. وهو عبد الله بن عمرو بن العاص.

(6) في ط: الثالثة، التصويب من: ت، وطبقات علماء إفريقية ص: 57.

(7) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (8) في ت: قال.

(9) في ت: وهم.

(10) في ت: [عقبه بن نصير] وهو سبق قلم وفي ط: عقبه بن نمير. والصواب ما أثبتناه لأن المراجع المترجمة لهذه الحقبة وخاصة إفريقية المسماة حالياً بتونس لَمْ يَرِدْ فيها اسم «عقبة بن نمير».

(11) المراد به هو: مُعاوية بن حُدَيج بالحاء المضمومة.

قلت: وقيل سنة اثنتين وستين وكان غزوه لهذه⁽¹⁾ في خلافة يزيد بن معاوية كما تقدم.

قال: وكان رحمه الله تعالى حريصاً على الجهاد بلغ في مغازيه إلى سوس المغرب⁽²⁾ وإلى بلاد السودان وفتح سائر إفريقية وودّان وعامة بلاد البربر ولم يختلفوا في أنه كان مستجاباً.

34 - ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما⁽³⁾:

قال: وُلد على عهد رسول الله ﷺ وَلَمْ يَرَوْ عَنهُ شَيْئاً، وكان رحمه الله تعالى من أنجاد قريش وفُرسانِهِمْ، ومن شعره: [بحر الرجز]

أنا عبيد الله يعني ابن عمر خير قريش من مضى ومن غبر
حاشا نبي الله والشيخ الأغر [قد أبطأت في نصر عثمان مضر]⁽⁴⁾

ذكره أبو العرب⁽⁵⁾ فيمن غزا إفريقية هو وأخوه مع عبد الله بن سعد. ثم شهد صفين مع معاوية فقتل يومئذ.

قلت: قال المانكي⁽⁶⁾: وكان على الخيل يومئذ وعليه جبة خز فخرج عبيد الله هذا بصفيين في اليوم الذي قتل فيه، وجعل امرأتين له بحيث ينظران إليه وإلى فعله في الحرب وهما أسماء بنت عطارد التميمي، وبحريّة بنت هانيء بن قبيصة الشيباني، فلما برز شدت⁽⁷⁾ عليه ربيعة فقتلوه فسقط عبيد الله بن عمر بن الخطاب ميتاً رحمه الله تعالى، وأقبلت امرأتان حتى وقعتا عليه فبكتا وصاحتا، وكان على ربيعة يومئذ زياد بن خصفة التميمي، فخرج زياد فقيل له هذه⁽⁸⁾ بحرية بنت هانيء بن

(1) سقطت من: ت. (2) في ت: المغرب الأقصى.

(3) ترجم لعبيد الله في: الاستيعاب ص: 460 - 461 رقم 1613.

(4) ما بين المعقوفين لم يرد في الاستيعاب.

(5) طبقت علماء إفريقية وتونس ص: 68.

(6) لم يرد هذا القول في رياض النفوس للمانكي، كذا لم توجد ترجمة وافية لعبيد الله بن عمر بن الخطاب، فقد ورد اسمه فقط ضمن من غزا إفريقية 16/1 وهذا القول قد ورد في كتاب الاستيعاب ص: 461.

(7) في ت: شدت. (8) في ت: ذلك.

قبيصة⁽¹⁾ فقال: ما حاجتك يا بنة أخي؟ قالت: زوجي قُتِلَ تدفعه إليّ قال: نعم، فحُذِيهِ فَجَاءَتْ بِبَغْلٍ فحملتته عليه ورجلاه ويداه تخطُّ الأرض من فوق البغل⁽²⁾. وكانت وقعة صفين في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين.

35 - ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب⁽³⁾:

أمه لبابة بنت أبي لبابة بن عبد المنذر، وُلِدَ على عهد رسول الله ﷺ [فأتى به]⁽⁴⁾ إليه جدُّه لأمِّه أبو لبابة الأنصاري، فقال له عليه الصلاة والسلام: «ما هذا منك يا أبا لبابة؟» قال: ابن ابنتي يا رسول الله ما رأيت مولوداً قطُّ أصغر منه خلقاً، فحنَّكهُ ﷺ وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ بِالْبِرْكَةِ قال: فما رأيي عبد الرحمن بن زيد في قوم قط إلا برعهم⁽⁵⁾ طولاً. قال مُضْعَب⁽⁶⁾: «كان عبد الرحمن فيما زعموا أطول الرِّجَالِ وَأَتَمَّهُمْ»⁽⁷⁾. قال أبو العرب: «دخل عبد الرحمن بن زيد إفريقية غازياً مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولم أقف له على تاريخ وفاة»⁽⁸⁾.

36 - ومنهم عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم⁽⁹⁾ رضي الله تعالى عنه:

قال: وُلِدَ على عهد رسول الله ﷺ وَشَهِدَ غَزْوَ إِفْرِيقِيَّةَ مَعَ عبد الله بن سعد، وَمَاتَ بِإِفْرِيقِيَّةَ شَهِيداً. قَالَهُ مُضْعَبُ بن الزبير، وقيل: قُتِلَ بِالشَّامِ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عمر بن عبد البر في كتاب الصحابة⁽¹⁰⁾.

- (1) ما بين قوسين سقط من: ت. (2) الاستيعاب ص: 461.
- (3) ترجم لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في الاستيعاب ص: 458 رقم 1601، أسد الغابة، تهذيب التهذيب 6/ 179، تقريب التهذيب 1/ 570 رقم 3880.
- (4) في ت: فأتاه.
- (5) في ت، والاستيعاب: فرعهم.
- (6) المراد به: مُضْعَبُ بن الزبير بن العوام.
- (7) ورد قول مُضْعَبُ في الاستيعاب ص: 458.
- (8) الوارد في تقريب التهذيب أنه مات سنة بضع وستين 1/ 570.
- (9) ترجم لعبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب في الاستيعاب ص: 447 رقم 1535، التجريد 1/ 377، والإصابة 5/ 71 رقم 6217، حسن المحاضرة 1/ 175.
- (10) انظر الاستيعاب ص: 447.

37 - ومنهم مَعْبَدُ بن العَبَّاس بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ⁽¹⁾ :

قال: وُلِدَ عَلِيٌّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُتِلَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ شَهِيداً فِي زَمَنِ عِثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، كَانَ غَزَاهَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ قَالَ أَبُو سَعِيدِ بنِ يُونُسَ . ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو بنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ .

38 - ومنهم عبد الرحمن بن صُبَيْحَةَ اللَّيْثِيِّ⁽²⁾ :

كَذَا قَالَ، وَوَهَّمَهُ الْعَوَانِي وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ التَّيْمِيُّ لَا اللَّيْثِيُّ .

قال: قَالَ الْوَأَقِدِيُّ: وَوُلِدَ عَلِيٌّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَجَّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَرَوَى عَنْهُ .

قلت: وَهُوَ دَارٌ فِي الْمَدِينَةِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْأَقْفَاصِ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو بنِ عَبْدِ الْبَرِّ⁽³⁾ .

قال: قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: غَزَا إِفْرِيْقِيَّةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى⁽⁴⁾ .

39 - ومنهم مَرْوَانُ بنُ الْحَكَمِ بنِ أَبِي الْعَاصِي الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ⁽⁵⁾ :

يُكْنَى [أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ]⁽⁶⁾ أبا الحكم، وَأُمُّهُ أَمْنَةُ بِنْتُ عُلُقَمَةَ بنِ صَفْوَانَ الْكِنَانِيَّةِ .

(1) تَرْجَمَ لِمَعْبَدِ بنِ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي: الْأَسْتِيعَابِ ص: 693 رَقْم 2463، التَّجْرِيدِ 2/91، وَجَمَهْرَةُ أَسْنَابِ الْعَرَبِ لِابْنِ حَزْمٍ ص: 18، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ 1/195.

(2) تَرْجَمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ صُبَيْحَةَ فِي الْأَسْتِيعَابِ ص: 459 رَقْم 1605، الْإِصَابَةُ 5/71 رَقْم 6215، التَّجْرِيدِ 1/375، طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةِ وَتُونِسَ ص: 77.

(3) الْأَسْتِيعَابِ ص: 459.

(4) الَّذِي قَالَ أَبُو الْعَرَبِ فِي طَبَقَاتِهِ: «وَدَخَلَ إِفْرِيْقِيَّةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ صُبَيْحَةَ وَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ» ص: 77.

(5) تَرْجَمَ لِمَرْوَانَ بنِ الْحَكَمِ فِي الْأَسْتِيعَابِ ص: 681 رَقْم 2393، التَّجْرِيدِ 2/75، الْإِصَابَةُ 6/156 رَقْم 8312، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ 10/91، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 2/271 رَقْم 6588، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ 1/191 - 192، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ 1/73، تَارِيخُ خَلِيفَةِ بنِ خِيَّاطٍ ص: 163 - 164.

(6) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي ت: أبا عبد الله.

قال: وُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ عَامَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ.

قلت: وَقِيلَ وُلِدَ عَامَ الْخَنْدَقِ، وَاخْتَلَفَ فِي مَوْضِعِ وِلَادَتِهِ فَقِيلَ وُلِدَ بِمَكَّةَ، وَقِيلَ بِالطَّائِفِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ طِفْلاً لَأَنَّهُ يَعْقِلُ هَكَذَا قِيلَ، وَعِنْدِي أَنَّ الثَّالِثَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ، فَهُوَ وُلِدَ بِمَكَّةَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: إِرْتَحَلَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الطَّائِفِ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ الْوَاقِدِيُّ: رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ شَيْئاً. شَهِدَ فَتْحَ إِفْرِيْقِيَّةِ [وَمَصْرَ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ وَأَعْطَاهُ عُثْمَانُ خَمْسَ إِفْرِيْقِيَّةِ]⁽¹⁾ فَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ.

قلت: وَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ جُدِّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِ الْمَسْمُومَةِ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ مَدَّ جُدِّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ.

قال: تَوَفَّى مَرُوانَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

قلت: وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالطَّاعُونِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُوماً سَمَّتُهُ زَوْجَةُ أُمِّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَكَانَ عَمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرُوانَ، وَرَوَى عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ: سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَقَالَ عُرْوَةُ: كَانَ مَرُوانَ لَا يَتَّهَمُ فِي الْحَدِيثِ. ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى⁽²⁾ أَنْتَهَى.

40 - وَمِنْهُمْ أَبُو ذُوَيْبِ خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدِ الْهُذَلِيِّ الشَّاعِرُ⁽³⁾:

قال: كَانَ مُسْلِمًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ، وَلَا خِلافَ أَنَّهُ لِحَبِيبِي أُسْلِمَ. رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْأَكَامِ الْهُذَلِيُّ عَنْ [الشَّرْمَاسِ]⁽⁴⁾ بْنِ

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت.

(2) الاستيعاب ص: 682.

(3) ترجم لأبي ذؤيب في: الاستيعاب ص: 802 رقم 2922، التجريد 2/175، الإصابة 7/63 رقم 386، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 68، حسن المحاضرة 1/202.

(4) في ط و ت: الشرماس. التصويب من الاستيعاب ص: 802.

صَعَصَعَةَ الْهُذَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا ذُوَيْبٍ الشَّاعِرَ حَدَّثَ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِيلٌ، فَاسْتَشَعَرْتُ حُزْنَ طَوِيلًا وَبِتُّ أَطْوَلَ لَيْلَةٍ لَا يَنْجَابُ دَيْجُورُهَا⁽¹⁾ وَلَا يَطْلَعُ نُورُهَا فَظَلَلْتُ أَقَاسِي طَوْلَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ السَّحَرُ أَغْفَيْتُ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ:

حَظَبٌ أَجَلٌ أَنْأَخَ بِالإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقَدِ⁽²⁾ الآطَامِ
قُبُضَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فَعْيُونَنَا تَذْرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ⁽³⁾

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فرعاً، فنظرت [إلى]⁽⁴⁾ السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي ﷺ قد قبض، وهو ميت من علة فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيئاً [أتفاءل به فعرض]⁽⁵⁾ لي شيئاً وهو القنفذ قد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيةم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت: شيء شيء⁽⁶⁾ واليؤاء الصل اليؤاء الناس عن⁽⁷⁾ الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ ثم أولت أكل الشيةم إيأها، غلبة القائم بعده على الأمر فحثت ناقتي، حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته، ونعب⁽⁸⁾ غراب سأنح فنطق⁽⁹⁾ بمثل ذلك، فتعوذت باسم الله من شر ما [عرض]⁽¹⁰⁾ لي في طريقي، وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج⁽¹¹⁾ إذا أهلوا بالإحرام، فقلت: مه؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ! فجيئت إلى المسجد فوجدته خالياً فأتيت بيت رسول الله ﷺ فأصبت بابه مرتجاً، وقيل لي: هو مسجى وقد خلا به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقبل في سقيفة بني ساعدة ساروا إلى الأنصار، فجيئت

(1) ت: دجورها.

(2) في ط و ت: ومقعد. التصويب من الاستيعاب ص: 802.

(3) البيتان وردا في الاستيعاب ص: 802.

(4) في ط: في. التصويب من: ت، والاستيعاب ص: 803.

(5) ما بين المعقوفتين في الاستيعاب: [أزجر به، فعن] ص: 803.

(6) في الاستيعاب: منهم.

(7) في ط و ت: على، التصويب من الاستيعاب.

(8) في ت: نعق. وكلاهما صحيح نقول نعق الغرب، أي صوت كذا نعب مثل نعق. انظر

القاموس المحيط مادة «نعب» ص: 128 ومادة «نعق» ص: 833.

(9) في الاستيعاب: نعق ص: 803.

(10) في الاستيعاب: عن.

(11) في الاستيعاب: الحاج.

السَّقِيفَةَ فوجدتُ⁽¹⁾ أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة بن الجراح، وسالماً وجماعة من قريش، ورأيتُ الأنصارَ فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراًؤهم⁽²⁾ حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وملاً منهم، فأويت إلى قريش وتكلمتِ الأنصارُ فأطالوا الخطابَ وأكثرُوا الصَّوابَ، وتكلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه فليله دَرُهُ مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ وَيَعْلَمُ مَوَاضِعَ فَصْلِ الْخِطَابِ وَوَاللهَ لَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا يَسْمَعُهُ سَامِعٌ إِلَّا انْقَادَ لَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَمْرُ بَعْدَهُ بِدُونَ كَلَامِهِ، وَمَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعُوهُ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ وَرَجَعَتْ مَعَهُ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ: فَشَهِدْتُ الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَهِدْتُ دَفْنَهُ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذُوَيْبٍ إِلَى بَادِيَتِهِ فَأَقَامَ بِهَا.

قلت: وما تقدم من قولي [يعني]⁽³⁾ هو من كلام الشيخ وأنشد أبو ذؤيب عند

دفنه ﷺ:

لَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي عَسَلَاتِهِمْ	مَا بَيْنَ مَلْحُودٍ لَهُ وَمُضْرَحٍ
[مُتَبَادِرِينَ لَتَرْجِعَ بِأَكْفِهِمْ	نَصَّ الرِّقَابَ لَفَقْدِ أبيضِ أرواحٍ] ⁽⁴⁾
فَهَنَّاكَ صِرْتُ إِلَى الْهُمُومِ وَمَنْ يَبِثْ	جَارَ الْهُمُومِ يَبِثْ غَيْرَ مُرَوِّحٍ
كَسَفَتْ لِمَضْرَعِهِ النَّجُومُ وَبَدَّرَهَا	[وَتَزَعَزَعَتْ آطَامُ بَطْنِ الْأَبْطَحِ] ⁽⁵⁾
وَتَزَعَزَعَتْ أَجْبَالُ يَثْرِبَ كُلِّهَا]	وَنَخِيلُهَا لِحُلُولِ خِطْبِ مُفَدِّحٍ
وَلَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ	بِمُصَابِهِ وَزَجَرْتُ سَعْدَ الْأَذْبَحِ

قال: غزا أبو ذؤيب إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومات بها فدفنه عبد الله بن الزبير⁽⁶⁾. وقيل: إنه قدم مع عبد الله بن الزبير بكتاب الفتح فمات بمِضْرَ⁽⁷⁾. وقيل: توفي بطريق مكة قريباً منها فدفنه ابن الزبير. وقيل: مات غازیاً

(1) في الاستيعاب: فأصبت.

(2) في الاستيعاب: شعراء.

(3) في ت: يعنى ليس.

(4) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت، والاستيعاب. وهو ساقط من: ط.

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط، الزيادة من الاستيعاب ص: 803.

(6) قال أبو العرب في الطبقات: «أبو ذؤيب الهذلي الشاعر توفي بإفريقية فقام بأمره عبد الله بن الزبير وأراه في لُحْدِهِ» ص: 68.

(7) انظر: الاستيعاب ص: 803.

بأرض الروم ودفن هنالك، دَفَنَهُ ابْنُهُ أَبُو عبيد ولا يعلم لأحد من المسلمين قَبْرَ وَرَاءَ قَبْرِهِ وكان عمر نَدَبَهُ إلى الجهاد فلم يزل يُجَاهِدُ حَتَّى مَاتَ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَدَفَنَهُ هُنَالِكَ ابْنُهُ أَبُو عبيد. ويروى أنه قال لابنه عند موته: [الرجز]

أَبَا عَبِيدَ رَفَعَ الْكِتَابُ [وَأَقْتَرَبَ] ⁽¹⁾ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ

قلت: ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَمْ يُنْشِدهُ غَيْرَهَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ أَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا مَطْلَعَهَا مَا ذَكَرَ. قال: وَمِنْ شِعْرِهِ: [الكامل]

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ⁽²⁾

قلت: ونحو قوله هذا قول غيره:

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى فَإِنْ طَمَعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ

41 - ومنهم أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور ⁽³⁾:

قال: ذكر أبو عمر بن عبد البر: «أَنَّ لَهُ صُحْبَةً» ⁽⁴⁾. مع اِخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

قلت: «يُعَدُّ فِي أَهْلِ مِصْرَ» ⁽⁵⁾.

قال: «وكان فقيهاً قارئاً للقرآن مُتَفَنِّناً» ⁽⁶⁾ في العلم يروى عن عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر. وروى عنه موسى بن وردان والنعمان بن عامر المعافري وعبد الرحمن بن أنعم. «قَدِمَ إِفْرِيْقِيَةَ وَسَكَنَ الْقَيْرَوَانَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا» ⁽⁷⁾. قال عبد الله بن هبة: «حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ مُرَادٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا أَبُو مَنْصُورِ

(1) في ت و ط: [ارتفع] والصواب ما أثبتناه من: الاستيعاب ص: 803.

(2) قال ابن عبد البر: وهذا البيت من شعره المفضل الذي يُرثَى به بنه، وكانوا خمسة أصيبوا في عام واحد. الاستيعاب ص: 804.

(3) ترجم لأبي منصور الفارسي في: الاستيعاب ص: 55 رقم 3153، الإصابة 7/ 182 رقم 1082، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 83، رياض النفوس 1/ 133 - 134، حسن المحاضرة 1/ 206.

(4) في الاستيعاب: «له صحبة عند من ذكره في الصحابة» ص: 855.

(5) من الاستيعاب ص: 855.

(6) في رياض النفوس: كان مقرئاً للقرآن ومفتياً 1/ 133.

(7) رياض النفوس 1/ 134.

والد يزيد بن أبي منصور بإفريقية في رَمَضَانَ فَأَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ فَأُنْكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالَ:
رَأَيْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُوتِرَانِ بِوَاحِدَةٍ⁽¹⁾. وكانت فيه
حِدَّةٌ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنَّهَا أَخْطَأْتَنِي، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحِدَّةُ
تَعْتَرِي خِيَارَ أُمَّتِي»⁽²⁾. قال أبو عمر بن عبد البر: حديثه هذا عن الليث بن سعد عن
ذُوَيْدٍ^(*) بِنِ نَافِعٍ عَنْهُ⁽³⁾.

42 - ومنهم أبو سعيد كَيْسَانَ الْمُقْبِرِيِّ مَوْلَى لَبْنِي⁽⁴⁾ [ليث]⁽⁵⁾:

قال: ذكره الواقدي فيمن كان على عهد رسول الله ﷺ وإنما سُمِّيَ الْمُقْبِرِيُّ
لأنَّ مَنْزِلَهُ كَانَ عِنْدَ الْمُقَابِرِ⁽⁶⁾. يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وتوفي في آخر خِلافةِ الوليد بن عبد الملك بالمدينة⁽⁷⁾. وذكره أبو بكر المالكي فيمن
دخل القيروان وأقام بها مدة ثم عاد إلى المدينة⁽⁸⁾. وهذا آخر ما بلغنا من ذِكْرٍ مَنْ
نَزَلَ الْقَيْرَوَانَ مِنْ كِبَارِ الصَّخَابَةِ وَصِغَارِهِمْ قَدْ اسْتَوْفِينَا عِدَّتَهُمْ وَتَقْصِينَا جَمَلَتَهُمْ وَاللَّهِ

- (1) هذا الخبر بسنده ومنتها ورد في الطبقات ص: 83، ورياض النفوس 1/134.
- (2) أورده السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة وقال عنه: رواه أبو يعلى، والطبراني عن ابن عباس به مرفوعاً وفي سنده سلام بن سالم الطويل وهو متروك ص: 222 - 223 وانظر أيضاً الجامع الصغير للسيوطي ص: 232 ورمز له بالضعف.
- (*) لقد ورد في ت و ط: دريد بن نافع. والصواب: ذويد. كما أثبتناه من: الاستيعاب ص: 855، والمقاصد الحسنة ص: 223، وتهذيب التهذيب 3/214، وتقريب التهذيب 1/284 رقم 1837.
- (3) الاستيعاب ص: 855 وفيه زيادة: «وقد قيل في حديثه: إنه مُرْسَلٌ، وإنه ليست له صحبة، والله أعلم».
- (4) ترجم له في الاستيعاب ص: 817 رقم 2978، الطبقات الكبرى لابن سعد 5/85 - 86، الإصابة 5/326 رقم 7500، رياض النفوس 1/123 رقم 43، تهذيب التهذيب 8/452، تقريب التهذيب 2/46 رقم 5694.
- (5) في ت و ط: حارثة، التصويب من طبقات ابن سعد 5/85 دار صادر بيروت 1957م، وفيه اسمه: كَيْسَانَ وهو مولى لبني جُنْدَعٍ من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.
- (6) الطبقات الكبرى لابن سعد 5/85.
- (7) الوارد في طبقات ابن سعد: أنه توفي سنة مائة (100هـ) في خلافة عمر بن عبد العزيز. وقيل: توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك 5/86.
- (8) رياض النفوس 1/123.

المعين وهو سبحانه ينفع ببركة حُبِّهِمْ ويحشرنا في زُمْرَتِهِمْ [وَجَزْبِهِمْ] ⁽¹⁾ إِنَّهُ وَلِي [ذَلِكَ
وَوَلِي] ⁽²⁾ كُلِّ خَيْرٍ وَمَبْدِيهِ [وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] ⁽³⁾.

[ابتداءً ذِكْرِ التَّابِعِينَ]

43 - ومن علماء التابعين وَفَضْلَانِهِمْ: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن يزيد المَعَاْفِرِي
الإفريقي الحُبْلِي ⁽⁴⁾:

قال: يَرُوي عن أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص،
وفضالة بن زيد الأنصاري، وعقبة بن عامر، وغيرهم. روى عنه جماعة منهم:
يزيد بن عمرو، وأبو هانئ الخولاني، وعامر بن يحيى المعافري. بعثه عمر بن
عبد العزيز يُفَقِّهُ أهل إفريقية في الدين فانتفعوا به وَبَثَّ فِيهَا عِلْمًا كَثِيرًا، وَشَهِدَ فَتْحَ
الأندلس مع موسى بن نصير ثم سكن القيروان وَأَخْتَطَّ بِهَا دَارًا وَمَسْجِدًا بِنَاحِيَةِ بَابِ
تُونِسِ بِقُرْبِ دَرْبِ أَزْهَرِ. قاله المالكي ⁽⁵⁾. وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف
الوَرَّاقُ: مَسْجِدُهُ هُوَ مَسْجِدُ ابْنِ عِيَاضِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِمَسْجِدِ الرَّبَّاطِيِّ.

قلت: والأول هو المتواتر عندنا. فالنَّاسُ يَقُولُونَ: هُوَ الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ
بِمَسْجِدِ أَوْلَادِ أَبِي رَحْمَةَ غَيْثِ.

قال: روى إسماعيل بن يزيد الأيلي ⁽⁶⁾ قال: كُنَّا نَأْتِي عبد الله بن يزيد الإفريقي
أبا عبد الرحمن، وَنَتَحَدَّثُ ⁽⁷⁾ مَعَهُ وَنَتَخَاصِمُ وَهُوَ مَعَنَا وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُنَا فَنَقُولُ لَهُ: مَا

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(4) ترجم له في: تاريخ الثقات ص: 283 رقم 909، رياض النفوس 1/ 99 - 101، تاريخ
علماء الأندلس ص: 175 رقم 633، تهذيب التهذيب 6/ 82، تقريب التهذيب 1/ 548 رقم
3723، حسن المحاضرة 1/ 214.

(5) المثبت في الرياض عند المالكي قوله: فانتفع به أهل إفريقية، وَبَثَّ فِيهَا عِلْمًا كَثِيرًا، وتوفي
بالقيروان سنة مائة من الهجرة، ودفن بباب تونس 1/ 100.

(6) في رياض: إسماعيل بن زيد الأيلي 1/ 101.

(7) في الرياض: فنجلس ونتحدث 1/ 101.

عندك في هذا؟ فيقول: مَا سَمِعْتُ مَا قَلْتُمْ، وَإِنِّي لَمَشْغُولٌ [عن] (1) ذلك بِالَّذِي غَلَبَ عَلَى قَلْبِي مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (2). وروى ابن هُبَيْرَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبَلِي يَقُولُ: مَثَلُ الَّذِي يَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ وَيَقَعُ فِي المُحَقَّرَاتِ. كَمَثَلِ رَجُلٍ لَقِيَهِ سَبْعُ فَاتَّقَاهُ حَتَّى نَجَا مِنْهُ ثُمَّ لَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَوْجَعَتْهُ فَتَهَاوَنَ بِهَا ثُمَّ أُخْرَى ثُمَّ اجْتَمَعْنَ عَلَيْهِ فَصَرَغَتْهُ فَكَذَلِكَ الَّذِي يَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ وَيَقَعُ فِي المُحَقَّرَاتِ» (3).

قلت: أَرَادَ الشَّيْخُ الهُرُوبَ مِنَ المَعَاصِي مُطْلَقًا، وَخَافَ إِنْ هُوَ أَلِفَ الصَّغَائِرَ وَقَعَ فِي الكَبَائِرِ أَوْ فِي بَعْضِهَا، وَلَوْ تَوَقَّى (4) الكَبَائِرَ وَوَقَعَ فِي الصَّغَائِرِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُ ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]. وظاهره إِنْ التَّكْفِيرُ قَطْعِيٌّ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدِي وَقَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ظَنِّي بَعِيدٌ.

قال: أَخْبَرَنَا فخرُ القُضَاةِ أبو الفضل أحمد بن محمد النفزي، قال: أخبرنا الحافظ أبو الطَّاهِرِ أحمد بن أحمد الأصبهاني، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرَّاظِي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحَرَاني (5) الصَّوَّافِ. قال: أخبرنا أبو القاسم حمزة بن محمد الكِنَانِي قال: أخبرنا عَمَّارُ (6) بن موسى بن حميد، قال: أخبرنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ، قال: حدثني (7) الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المَعَاوِرِي عن أبي عبد الرحمن الحُبَلِي قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (8) يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا؛ مَدَّةُ البَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول [الله عز وجل: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب فيقول الله عز وجل بلى] (9) إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ فَتَخْرُجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا لَا إِلَهَ

(1) في ط: على. التصويب من: ت والرياض.

(2) الرياض 101/1 وفيه زيادة «والشوق إليه».

(3) مختصر من الرياض 101/1. (4) في ت: رقا.

(5) في ت: الحوات.

(6) في ت: عامر.

(7) في ت: حدثنا. (8) صيغة الترضي سقطت من: ت.

(9) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط. الزيادة من الرياض، وسنن ابن ماجه، والاعتماد في الزيادة على الرياض.

إلا الله محمد رسول الله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول عز وجل إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ فَتَوَضَّعَ السَّجَّلَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السَّجَّلَاتُ وَثَقَلَتْهُ الْبِطَاقَةُ»⁽¹⁾. قال أبو الحسن الحرّاني: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريباً من الحلقة ضيحة فاضت نفس معها فأنا ممن حضر جنازته ووصلّى عليه.

قلت: أراد بقوله: «طاشت السجلات» أي خفت. يدل عليه قوله: وثقلت البطاقة، والله تعالى أعلم. قال أبو بكر المالكي [رحمه الله تعالى]⁽²⁾ أخبرنا أبو عقيل زهرة⁽³⁾ بن معبد القرشي قال: كنت ضجيعاً لأبي عبد الرحمن الحنبلي في المركب في غزو إفريقية، فكنت أسمع إذا انتبه من نومه يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»⁽⁴⁾ (ثلاث مرّات). سبحان الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (ثلاث مرّات) والحمد لله الذي أنام ليلى وأهدأ غروقي (ثلاث مرّات).

[كفارة الخطايا]

قال أبو عقيل: فقلت له: رأيتك تلزم هذه الكلمات فما بلغك فيهن؟ قال: بلغني أنه ما يقولهن أحد حين يثبته من نومه إلا كان من الخطايا كيوم ولدته أمه. قال أبو عقيل: وسمعت أبا عبد الرحمن أيضاً يقول: إن الرجل إذا سلّم على أخيه المسلم، فسأله كيف أصبحت؟ فقال: أحمد الله [لي ولك]⁽⁵⁾ كتبه الله من الحامدين، فكان أبو عبد الرحمن الحنبلي إذا قيل له⁽⁶⁾ كيف أصبحت؟ قال: أحمد الله إليكم وإلى جميع خلقه.

قال: «ومات بالقيروان سنة مائة ودفن بباب تونس»⁽⁷⁾. قال المالكي: وكان

(1) الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الزهد (35) باب ما يُرْجى من رحمة الله يوم القيامة حديث (4300) 2/1437، وفتوح مصر والمغرب ص: 283، ورياض النفوس 1/99 - 100، رووه من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

(2) ما بين المعقوفين سقط من: ت.

(3) زهرة بضم أوله، ابن معبد بن عبد الله بن هشام القرشي الثممي أبو عقيل المدني نزيل مصر ثقة عابد. ترجم له في: رياض النفوس 1/142 - 143، تهذيب التهذيب 3/341 - 342، تقريب التهذيب 1/315.

(4) الرياض 1/100. (5) في الرياض: إليك 1/101.

(6) في ت: والرياض 1/101: شبل. (7) الرياض: 1/100.

الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسي إِذَا تَرَحَّمَ عَلَى [مَقْبَرَةَ وَالديهِ] ⁽¹⁾ بِيَابِ تُونس، يَحُولُ وَجْهَهُ إِلَى دُبُرِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْجَبَّانَةِ مَنحَرَفًا إِلَى الشَّرْقِي وَيَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَيَذْكُرُ أَنَّ قَبْرَهُ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ ⁽²⁾. قَالَ الشَّيْخُ: رَأَيْتُ بِأَقْصَى جَبَّانَةِ بَابِ تُونس قَبْرًا وَسَمِعْتُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الثَّقَاتِ إِنَّهُ قَبْرُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ وَهُوَ إِلَى الْآنَ مَعْرُوفٌ.

قُلْتُ: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ سَمَاعِهِ صَحِيحٌ وَهُوَ مُتَوَاتِرٌ وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُهُ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

44 - أَبُو مَسْعُودِ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودِ الثَّجِيبِيِّ ⁽³⁾:

قَالَ: هُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ التَّابِعِينَ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيُفَقِّهُوا أَهْلَ الْقَيْرَوَانَ، سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَبِثَّ فِيهَا عِلْمًا كَثِيرًا، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَالِمًا مَشْهُورًا بِالدِّينِ وَالْفَضْلِ، قَلِيلُ الْهَيْبَةِ لِلْمُلُوكِ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. يَرْوِي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَغَيْرِهِ. وَرَوَى عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ زَحْرٍ، وَذَكَرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الْمَوْتِ اشْتِيَاقًا إِلَى رَبِّي، وَأَحَبُّ الْمَرَضِ تَكْفِيرًا لِحَطِيئَتِي، وَأَحَبُّ الْفَقْرِ تَوَاضَعًا إِلَى رَبِّي» ⁽⁴⁾. وَرَوَى أَنَّ الرِّيَّانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا فَوَجَدَهُ فِي مَجْلِسِهِ فِي جَامِعِ الْفُسْطَاطِ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ: الْأَمِيرُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ رَأَيْتَ أَنَّ تَوَسَّنَا بِنَفْسِكَ الْعَشِيَّةَ فافْعَلْ، فَقَالَ: إِقْرَأْ عَلَيَّ الْأَمِيرِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: لَيْسَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ نَأْتِيكَ إِلَيْهَا فَإِنَّ تَكْ لِكَ إِلَيَّ ⁽⁵⁾ حَاجَةٌ فَأَتِ إِلَيْهَا فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ فَقَصَدَ إِلَيْهِ الرِّيَّانُ فَلَقِيَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أبا مَسْعُودٍ أَتَاكَ رَسُولُنَا فَكَانَ مِنْ كَلَامِكَ ⁽⁶⁾ لَهُ مَا كَانَ. فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، دَعَوْتَنِي إِلَى مَا يَشِينُنِي وَدَعَوْتَنِي إِلَى مَا يَزِينُنِي فَقَالَ: لَهُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ مَنْ رَأَى مَاشِيًا إِلَى مَدْحِكَ وَقَالَ:

(1) فِي ت: عَلَى وَالديهِ بِمَقْبَرَةٍ. وَفِي الرِّيَاضِ: [عَلَى وَالديهِ] وَلَمْ يَذْكَرْ «بِمَقْبَرَةٍ».

(2) الرِّيَاضُ 1/ 100.

(3) فِي ت وَ ط: سَعِيدٌ. التَّصْوِيبُ مِنْ: الرِّيَاضُ 1/ 102، وَالْإِصَابَةُ 3/ 87، وَفَتْوحُ مِصْرَ ص: 58. تَرْجَمَ لَهُ فِي: رِّيَاضِ النُّفُوسِ 1/ 102 رَقْمَ 31، طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةِ وَتُونسِ 87، وَالْإِصَابَةُ 3/ 87، فَتُوحُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ص: 58.

(4) الرِّيَاضُ: 1/ 102. (5) فِي ت: إِلَيْنَا.

(6) فِي ت: إِعْلَامُكَ.

ذا طالبُ عِلْمٍ وَخَيْرٍ، وَمَنْ رَأَى مَاشِياً إِلَيْكَ قَالَ: ذَا طَالِبٍ حُطَامٍ وَعَرَضٍ فِشَانِي، فَقَالَ لَهُ الرِّيَّانُ: سَلَّيْتُ⁽¹⁾ مَا كَانَ بِقَلْبِي وَنَوَّرْتُهُ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَكَ وَعَمَلَكَ. وَرَوَى فِرَاتُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْدِيُّ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَسْعُودٍ صَاحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي مَظْلَمَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ الْأَمِيرُ مِنَ الْجَامِعِ إِنَّا بِاللَّهِ لَا بِكَ⁽²⁾! فَقَضَى الْأَمِيرُ حَاجَتَهُ. وَسُئِلَ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عَلَامَةِ وَلِيِّ اللَّهِ فَقَالَ: مَنْ اسْتَفْرَعَتْ آخِرَتُهُ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ الْحَقُّ هَوَاهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسْخَطُ الْحَقَّ⁽³⁾ رِضَاهُ، وَمَنْ كَانَ الذِّكْرُ قَوْلَهُ وَالْعِلْمُ يَقِينَهُ⁽⁴⁾ وَفِي بَيْوتِ اللَّهِ تَعَالَى مَجْلِسَهُ⁽⁵⁾.

قلت: زاد المالكي وسئل أيضاً عن علامة التوكل⁽⁶⁾، فقال: «مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَأَظْمَأَنَّ إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَ عِنْدَهُ مَا تَكْفُلُ اللَّهُ لَهُ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ بِمَنْزِلَةٍ مَا قَدْ بَلَغَهُ، وَمَلَكَتُهُ يَدُهُ»⁽⁷⁾. وَسُئِلَ أَيْضاً عَنْ عَلَامَةِ الْحَكِيمِ⁽⁸⁾ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مُصِيباً فِي قَوْلِهِ، حَلِيماً فِي غَضَبِهِ، ذَا عَفْوٍ فِي قُدْرَتِهِ رَاضٍ [بِمَنْزِلَتِهِ]⁽⁹⁾ غَيْرَ مَفْتُونٍ بِمَا لَيْسَ لَهُ، قَدْ اسْتَعْنَى بِأَمْرِ آخِرَتِهِ عَنْ دُنْيَاهُ»⁽¹⁰⁾. وَسُئِلَ أَيْضاً عَنِ الطَّاعَةِ هَلْ تَكُونُ لَهَا مَنْزِلَةٌ أَشَدَّ مِنْ مَنْزِلَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَانَتِ الطَّاعَةُ فِي مَنْزِلٍ ثِقَلِهَا، وَدَافَعَتْهَا الْمَعْصِيَةُ فِي مَنْزِلٍ دَفَعَهَا»⁽¹¹⁾ فَهِنَالِكَ اسْتَدَّتِ الطَّاعَةُ عَلَى أَهْلِهَا فَكَانَ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنْ أَجْرِهَا»⁽¹²⁾. وَسُئِلَ أَيْضاً أَيُّ الْجُلُوسِ أَشَدُّ مُجَالَسَةً؟ فَقَالَ: «مَنْ يَغْفَلُكُمْ قَوْلُهُ وَمَنْ تَفْتَنُكُمْ رَأْيَتُهُ وَمَنْ يَدْعُوكُمْ إِلَى دُنْيَاكُمْ فِعْلُهُ»⁽¹³⁾. وَسُئِلَ أَيْضاً «عَنِ الَّذِي يُزَيِّنُ الْعَالَمَ عِنْدَ مَنْ جَالَسَهُ فَقَالَ: كَثْرَةُ صَمْتِهِ وَقِلَّةُ غَضَبِهِ وَحُسْنُ خُلُقِهِ، وَلِينُهُ وَخُشُوعُهُ وَتَوَاضُعُهُ»⁽¹⁴⁾. وَعَنْ سَعْدِ⁽¹⁵⁾ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ مِنْ قَبْلِ الصَّمْتِ

(1) في ت: سلبت. (2) الرياض: 104 / 1.

(3) في ت، والرياض: 105 / 1: الله. (4) في الرياض: بُغْيَتَهُ 105 / 1.

(5) الرياض: 105 / 1. (6) في الرياض: المتوكل 105 / 1.

(7) الرياض: 105 / 1.

(8) في ط: الحلم، وفي ت: الحكم. والصواب ما أثبتناه من: الرياض: 105 / 1.

(9) في ط: في منزلته، التصويب من: ت، والرياض: 105 / 1.

(10) من الرياض: 105 / 1. (11) في ت: نفعها.

(12) الرياض: 105 / 1. (13) الرياض: 106 / 1.

(14) الرياض: 106 / 1.

(15) في ط: سعيد، التصويب من: ت، وهو المثبت كما سبق.

فقال: إِنَّ النَّاسَ يَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنْكَ عِيَا⁽¹⁾ فَأُتِيَ أَنْتَ مِنْ قِبَلِ السَّلَامَةِ فَقُلْ: صَامِتٌ سَالِمٌ خَيْرٌ مِنْ نَاطِقٍ آيْمٍ، وقال سعد: إِذَا رَأَيْتَ⁽²⁾ الْعَبْدَ دُنْيَاهُ تَزْدَادُ، وَآخِرَتُهُ تَنْقُصُ، مُقِيمًا عَلَى ذَلِكَ، رَاضِيًا بِهِ، فَذَلِكَ الْمَغْبُورُ الَّذِي يَنْتَقِصُ دِينَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ⁽³⁾. وكان يقول: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»⁽⁴⁾.

قال: وتوفي بالقيروان وأقبر بها.

45 - ومنهم حَنَشُ بن عبد الله السَّبَائِي الصنعاني⁽⁵⁾:

قال: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّنْعَانِي لِأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ بِصَنْعَاءَ⁽⁶⁾ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ يروى عن علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه]⁽⁷⁾ وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، ورويف بن ثابت رضي الله عنهم. وروى عنه الحارث بن يزيد وعبد الرحمن بن أنعم، وقيس بن الحجاج، وعامر بن يحيى المعافري، وخالد بن أبي عمران، وصلاح بن عبد الله بن هبيرة السهمي، وأبو مروان شهد غزوة الأندلس

(1) في ت: عيا.

(2) في الرياض: رأيتم.

(3) الرياض: 10/1 - 10.

(4) الرياض: 105/1.

(5) ترجمته في: رياض النفوس 1/121 رقم 41، جذوة المقتبس ص: 178 رقم 403، تهذيب التهذيب 3/57، تقريب التهذيب 1/249 رقم 1581، الكامل في التاريخ لابن الأثير 4/160 ذكره ضمن من مات في سنة مائة. قال ابن الأثير: حَنَشُ بالحاء المهملة والنون المفتوحين والشين المعجمة، ونفح الطيب للمقري 1/278 وفيه قال: زعم ابن حبيب: أنه دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة، وهو المنذر، ودخلها من التابعين ثلاثة: موسى الأمير، وعلي بن رباح اللخمي، وحيوة بن رجاء التميمي، وقيل: إن ثالثهم إنما هو حنش بن عبد الله الصنعاني، صنعاء الشام، وأهل سرقسطة يزعمون أن حنشاً مات عندهم ولم يقفل للمشرق، وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه، فالله أعلم. وذكر ابن بشكوال أيضاً أن ابن حبيب قال عن ربيعة: غلَّ النَّاسُ كُلَّهُمْ يَوْمَ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ فَقَطْ، كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ: حَنَشُ الصنعاني، وأبو عبد الرحمن الحُبلي، وابن شماس، وعياض بن عقبة. نفح الطيب 1/287، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: 109 رقم 391، بُغْيَةُ الملتمس لأحمد الضبي ص: 238 - 240. وفيه يكنى أبا رُشدَيْنِ، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 80 - 81.

(6) المراد بها «صنعاء الشام» تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: 109، وفي بُغْيَةِ الملتمس: من صنعاء الشام لا صنعاء اليمن قرية بدمشق يقال لها: صنعاء ص: 239.

(7) ما بين المعقوفتين في ت: رضي الله عنه.

مَعَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَهُوَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ مَقَامَاتٍ وَأَثَارٍ مَحْمُودَةٍ [وَهُوَ الَّذِي] ⁽¹⁾ فَتَحَ جَزِيرَةَ [بَنِي شَرِيكٍ] ⁽²⁾ ثُمَّ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَاخْتَطَّ بِهَا دَاراً وَمَسْجِداً وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ الْآنَ فِي نَاحِيَةِ «بَابِ الرِّيحِ» ⁽³⁾ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ: كَانَ حَنْشٌ إِذَا فَرَّغَ مِنْ عَشَائِهِ وَخَوَائِجِهِ وَأَرَادَ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّيْلِ أَوْقَدَ الْمِضْبَاحَ [وَقَدَّمَ] ⁽⁴⁾ الْمُضْحَفَ وَإِنَاءً فِيهِ مَاءٌ فَإِذَا وَجَدَ النَّعَاسَ اسْتَنَشَقَ الْمَاءَ يَعْنِي بَعْدَ سَلَامِهِ وَإِذَا تَعَايَى فِي آيَةِ نَظَرٍ فِي الْمُضْحَفِ وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ لَا يَرُدُّ سَائِلاً إِذَا اسْتَطْعَمَ السَّائِلَ عَلَى بَابِهِ لَمْ يَزَلْ يَصِيحُ بِأَهْلِهِ أَطْعِمُوا السَّائِلَ أَطْعِمُوا السَّائِلَ حَتَّى يُطْعَمَ ⁽⁵⁾. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ⁽⁶⁾ لَيْثٌ ⁽⁷⁾ عَنْ أَبِي شَجَاعٍ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: اشْتَرَيْتُ يَوْمَ حَيْبَرَ، قِلَادَةً بِاِثْنَيْ عَشَرَ دِينَاراً فِيهَا ذَهَبٌ وَخَرَزٌ فَفَضَلْتُهَا فَوَجَدْتُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ اِثْنَيْ عَشَرَ دِينَاراً فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تَبَاغُ حَتَّى تُفْصَلَ» ⁽⁸⁾. كَانَتْ وَفَاتِهِ بِإِفْرِيْقِيَّةِ سَنَةَ مِائَةٍ ⁽⁹⁾.

46 - وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ ⁽¹⁰⁾:

قَالَ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ مَعْرُوفًا بِالْفِقْهِ.

قُلْتُ: فِي كَلَامِهِ بَطْرٌ لِرِزَاةٍ غَيْرِهِ، كَانَ عَالِماً بِفَضْلٍ خَيْرًا صَالِحاً مَعْرُوفاً بِالْفِقْهِ وَالَّذِينَ وَالرُّوَايَةَ مَعَ الدَّرَايَةِ فَهَذَا أَحْصَى مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ.

قَالَ: يَرُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَرَوَى عَنْهُ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلِ الْأَسَدِيِّ دَخَلَ إِفْرِيْقِيَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَغَزَا الْمَغْرِبَ

(1) فِي ت: وَهِيَ الَّتِي.

(2) فِي طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةِ وَتُونِسَ: [أَبِي شَرِيكٍ].

(3) رِيَاضُ النُّفُوسِ 121/1. (4) فِي الرِّيَاضِ: وَقَرَّبَ 121/1.

(5) الرِّيَاضُ 121/1.

(6) فِي ط: حَدَّثَنِي. التَّصْوِيبُ مِنْ: ت، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ.

(7) فِي ت وَ ط: اللَّيْثُ، التَّصْوِيبُ مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

(8) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ كِتَابَ الْمَسَاقَاةِ، 17 بَابُ بَيْعِ الْقِلَادَةِ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، حَدِيثٌ 90 (1591) ص: 829.

(9) رِيَاضُ النُّفُوسِ 121/1، تَارِيخُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ لِابْنِ الْفَرَضِيِّ ص: 109، بَغِيَّةُ الْمُلْتَمَسِ ص: 239.

(10) تَرْجَمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَوْسِ فِي: فَتُوحِ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ص: 243، بَغِيَّةُ الْمُلْتَمَسِ ص: 53 رَقْمٌ 67، جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ ص: 41 رَقْمٌ (28)، نَفْحُ الطَّيْبِ لِلْمَقْرِيِّ 58/3 رَقْمٌ (39).

والأندلس مع موسى بن نصير، قاله أبو سعيد بن يونس. وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: كان على بحر [تُونُسَ] ⁽¹⁾ توفي سنة اثنتين ومائة.

47 - ومنهم أبو يحيى عياض بن عُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْفِهْرِيِّ ⁽²⁾:

قال: كان من خيار ⁽³⁾ التَّابِعِينَ وَفُضَّلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، يروي عن عبد الله بن [عمرو] ⁽⁴⁾.

قلت: في كلامه بتر لزيادة المالكي وغيره من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ.

قال: روى عنه يزيد بن [أبي] ⁽⁵⁾ حبيب وإسحاق بن أبي فَرْوَةَ ⁽⁶⁾ وأخوه أبو عبيد بن عُقْبَةَ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ ⁽⁷⁾ مَعَ أَبِيهِ وَبَعْدَهُ ثُمَّ انْتَقَلَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ بِهَا سَنَةَ مِائَةٍ ⁽⁸⁾.

[فضل الوفاة ليلة الجمعة أو يومها]

وَمِنْ رِوَايَتِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقِيَ فِتْنَتِي الْقَبْرِ» ⁽⁹⁾.

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط. الزيادة من: جذوة المقتبس ص: 41، وبغية الملتبس ص: 53، ونفح الطيب للمقري 58/3، وفي كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم: «فاجتمع رأي أهل إفريقية على محمد بن أوس الأنصاري، وكان بتونس على غزو بحرهما» ص: 243.

(2) ترجم لعياض بن عقبة في: رياض النفوس 132/1 رقم 50، نفح الطيب 10/3 رقم 9.

(3) في الرياض: [من جملة] 132/1.

(4) في ت و ط: عمر. التصويب من الرياض وفيه: عبد الله بن عمرو بن العاص 132/1.

(5) في ت و ط: يزيد بن حبيب، التصويب من: تاريخ خليفة بن خياط، والرياض، والتهذيب والتقريب، واسمه: يزيد بن أبي حبيب المصري، أبو رجاء واسم أبيه سويد، واحتلت في ولائه، ثقة فقيه مات سنة 128هـ. وقيل 127هـ. قد قارب الثمانين.

(6) في ت و ط: إسحاق بن أبي بُرْدَةَ. التصويب من: الرياض 132/1. ترجم له في: تهذيب التهذيب 248/1، وفي التقريب 84/1 رقم 381 واسمه: إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي فَرْوَةَ الْعَرُوي المدني، الأموي مولاهم، صدوق توفي سنة 126هـ. كُفَّ فِسَاءَ حِفْظُهُ.

(7) في الرياض: سكن إفريقية وأوطنها 132/1.

(8) الرياض 132/1.

(9) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الجنائز 73 - باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، حديث -

قلت: حدثه بهذا عبد الله بن عمرو بن العاص حين مات ولد لعياض [هذا]⁽¹⁾ لكثرة تَوَجُّدِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَلَا أُنبِئُكَ بِمَا يُسَلِّكَ عَنْ ابْنِكَ هَذَا. سمعت رسول الله ﷺ يقول: وَذَكَرَ لَهُ مَا تَقْدِمُ. زاد المالكي: وعن عياض بن عَقْبَةَ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ يَقَالُ لَهُ يَحْيَى، فَلَمَّا نُزِّلَ فِي قَبْرِهِ قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَسَيِّدَ الْجَيْشِ، فَعَلَيْكَ بِأَحْتِسَابِهِ، فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحْتَسِبَهُ، لَقَدْ كَانَ أَمْسَ مِنْ زِينَةَ⁽²⁾ الدُّنْيَا وَهُوَ الْيَوْمَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ⁽³⁾.

48 - ومنهم إسماعيل بن عبيد الأنصاري مولى لهم والمعروف بتاجر الله⁽⁴⁾:

قال: من أهل الفضل والعبادة والنسك كثير الصّدقة والمعروف مع علم وفقه⁽⁵⁾. روى عن عبد الله بن عَبَّاسٍ، وعبد الله بن عُمَرَ، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وَيُرْوَى عَنْهُ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ [الجُدَامِي]⁽⁶⁾ وعبد الرحمن بن زيادة بن أنعم، ومن أهل مِصْرَ: عمران بن عوف الغافقي، والحارث بن يزيد [وعبيد]⁽⁷⁾ الله بن أبي جعفر. وَمِنْ مَوَالِيهِ: عبد الملك بن أبي كريمة⁽⁸⁾، وكان عبد الملك هذا من العلماء الكرماء الفضلاء الرُّهَادَ سَكَنَ إِسْمَاعِيلُ الْقَيْرَوَانَ وَأَنْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، يُقَمِّهُونَ أَهْلَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْكَبِيرَ الْمَعْرُوفَ

(1076) وفيه: «إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فُتْنَةَ الْقَبْرِ» مكان: «إِلَّا وَقِي فَتَانِي الْقَبْرِ» وقال الترمذي: هذا حديث غريب. قال: وهذا حديث ليس إسنادُهُ بمتصل. ربيعة بن سيف، إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الجُبَلِيِّ، عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده 229 / 2 رقم (6590) الطبعة الأولى من دار الكتب العلمية السنة 1993م.

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (2) في الرياض من زينة [الحياة] 133 / 1.

(3) الرياض 133 / 1.

(4) ترجم له في: رياض النفوس 106 / 1 - 109 رقم 32، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 84 - 85.

(5) الرياض 106 / 1. (6) في ت: الخُزَامِي وهو خطأ.

(7) في ت و ط: [عبد الله] التصويب من: ت، والرياض 106 / 1، والتهذيب 5 / 7، والتقريب 1 / 630 رقم 4296. واسمه: عبيد الله بن أبي جعفر المصري، أبو بكر الفقيه مولى بني كِنَانَةَ، أو أُمَيَّةَ، كان فقيهاً عابداً.

(8) عبد الملك بن أبي كريمة، الأنصاري مولاهم، المغربي صدوق صالح مات سنة 204هـ. ترجم له في تقريب التهذيب 1 / 619 رقم 4220.

بجامع⁽¹⁾ الزيتونة سنة إحدى وسبعين، وكان يُصَلِّي به ويعمره، وهذا المسجدُ الدُّعاءُ فيه مُسْتَجَابٌ عَلَى مَا جُرِّبَ. وهو أَحَدُ الْمَسَاجِدِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالْقَيْرَوَانِ. وإلى إسماعيل هذا تُنسَبُ السُّوقُ التي جَوَّارَ المسجدِ من غَرْبِيهِ المعروفة بسوق إسماعيل. ولم يزل مُقِيمًا بِالْقَيْرَوَانِ إِلَى أَنْ [حضرته نية]⁽²⁾ في الجهاد فخرج في مَرَكِبٍ مُتَطَوِّعًا في غزاة [عطاء]⁽³⁾ بن رافع صقلية فغرق في البَحْرِ فمات وهو مُعَانِقٌ⁽⁴⁾ للمصحف، وذلك سنة سبع ومائة⁽⁵⁾. وإنما سُمِّيَ تَاجِرُ اللَّهِ لِأَنَّهُ جَعَلَ ثُلُثَ كَسْبِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَصْرِفُهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ⁽⁶⁾. حُكِيَ أَنَّ أَمْرَأَةً مِنْ قَرِيشٍ⁽⁷⁾ قَالَتْ لِإِنْسَانٍ يَتَّجِرُ لَهَا: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ إِسْمَاعِيلِ تَاجِرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: تَرِيدِينَ أَنْ تَجْعَلِي فُلَانًا تَاجِرًا فُلَانَةَ مِثْلَ إِسْمَاعِيلِ تَاجِرِ اللَّهِ⁽⁸⁾؟ وَمِنْ جُمْلَةِ مَا رُوِيَ مِنْ كَرَمِهِ وَجُودِهِ، أَنَّهُ وَجَّهَ رَفَقَةَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِيهَا خَدَمَ مَوْلِدَاتٍ، فَخَرَجَ يُشَيِّعُهُنَّ إِلَى قَصْرِ الْمَاءِ، فَسَمِعَ بُكَاءً فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: هَؤُلَاءِ الْمَوْلِدَاتُ الَّتِي وَجَّهْتِ يَبْكُونَ مَعَ آبَائِهِنَّ وَأُمَّهَاتِهِنَّ وَأَخَوَاتِهِنَّ فَبَكَى إِسْمَاعِيلُ وَقَالَ: إِنَّ دُنْيَا بَلَغَتْ بِي أَنْ أُفَرِّقَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ لِدُنْيَا سُوءٍ؛ أَشْهَدُكُمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَهَا أَبٌ أَوْ أُمٌّ أَوْ أُخْتُ فِي هَذِهِ الرَّفَقَةِ فَهِيَ حُرَّةٌ لَوْجَهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ مِنَ الْمَحْمَلِ⁽⁹⁾ سَبْعِينَ مَوْلِدَةً فَأَعْتَقَهُنَّ⁽¹⁰⁾. وحكي أنه كسد على إسماعيل تاجر الله سبعمائة ساج فقال: لأتجرن في هذا، وأشتري مع كلِّ ساجِ جُبَّةً وَكَسَاهَا لِلْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَحُكِيَ: أَنَّهُ كَانَتْ لِإِسْمَاعِيلِ جَارِيَةٌ تَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ، وَكَانَ لَهَا جَارٌ يَتَّبِعُهَا إِذَا خَرَجَتْ فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى مَوْلَاهَا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا التَّعَرُّضِ إِلَى جَارِيَتِي؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: سَلَهَا هَلْ كَلِمَتَهَا قَطُّ؟ فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ: صَدَقَ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى اتِّبَاعِهَا؟ قَالَ: الْمَحَبَّةُ لَهَا. فَأَمَرَ الْجَارِيَةَ فَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا فَوَهَبَهَا لَهُ، وَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ دِينَارًا وَقَالَ لَهُ: إِذَا فَرَّغْتَ فَأَرْجِعْ إِلَيَّ وَحَدِّثْ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ خَيَّاطًا كَانَتْ لَهُ بَنَاتٌ وَلَيْسَ يَقُومُ بِهِ عَمَلُهُ إِلَّا عَنِ جَهْدِ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ

- (1) في ت، والرياض: بمسجد.
(2) في ت: حضرت منيته.
(3) في ت و ط: عبد الله، التصويب من: الرياض 107/1، وفتوح مصر والمغرب ص: 237 - 238.
(4) في الرياض: مُتَقَلِّدٌ 107/1.
(5) انظر الرياض 107/1.
(6) الرياض 107/1.
(7) في الرياض: من بني أمية 108/1.
(8) الرياض 108/1.
(9) في الرياض: المحامل 108/1.
(10) في الرياض: [فأعتقهن كلهن] 108/1.

دخل على بناته فوجدهن في الظلام وَلَيْسَ بِالْبَيْتِ شَيْءٌ [يَرُدُّ يَدَهُ] ⁽¹⁾ إليه، فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَزِينًا هَائِمًا أَنْ يَرَى بَنَاتَهُ يَوْمَ عِيدِ مُنْكَسِرَاتٍ، قُلُوبُهُنَّ بَيْنَ أَثْرَابِهِنَّ مِنْ بَنَاتِ الْجِيرَانِ وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسَهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْعِيدَ، فَمَرَّ بِمَسْجِدِ إِسْمَاعِيلَ تَاجِرِ اللَّهِ وَقَدْ حَضَرَتْ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ فَصَلَّى مَعَهُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا الرَّجُلُ رَأَى إِسْمَاعِيلَ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ قِصَّةً فَمَضَى إِلَى دَارِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنِ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَتَوَجَّعَ ⁽²⁾ إِسْمَاعِيلُ لِذَلِكَ وَبَكَى، وَقَالَ: كَمْ عِنْدَكَ مِنَ الْبَنَاتِ؟ قَالَ: خَمْسٌ فَصَاحَ إِسْمَاعِيلُ بِأَمْنِهَاتِ أَوْلَادِهِ وَقَالَ: ائْتُونِي بِحَلِيِّ بَنَاتِكُنَّ وَمَا صَنَعْتِ لِهِنَّ فِي هَذَا الْعِيدِ مِنَ الثِّيَابِ وَالزَّيْنَةِ وَالْحَنَاءِ وَالطِّيبِ فَأَتَيْنَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لِهِنَّ: ائْتُونِي بِمَائِدَةِ الْعِيدِ، فَأَتَوْنَ بِهَا وَفِيهَا أَنْوَاعُ الْأَطْعَمَةِ وَأَنْوَاعِ الْحَلْوَى، فَدَفَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلخِيَاطِ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ دَنَانِيرَ كَثِيرَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ائْتِي بِنَاتِكَ هَذِهِ الثِّيَابَ وَهَذَا الْحَلِيَّ، وَطَيِّبِيهِنَّ بِهَذَا الطِّيبِ وَكُلِّي مَعَهُنَّ مِنْ هَذِهِ الْمَائِدَةِ وَوَسِّعِي عَنِّي نَفْسِكَ وَعَلِيهِنَّ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ ⁽³⁾. ففعل ذلك.

قلت: جميع ما ذكره ذكره ⁽⁴⁾ المالكي عدى كَوْنُ الشُّوقِ مِنْ غَرْبِي الْمَسْجِدِ. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ وَوَسِّعِي عَنِّي نَفْسِكَ وَعَلِيهِنَّ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ، ثُمَّ أَمَرَ غَيْبِيذَهُ فَحَمَلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى دَارِهِ فَضَرَبَ الْبَابَ عَلَيْهِنَّ، فَفَتَحْنَ الْبَابَ فَوَجَدَهُنَّ فِي الظَّلَامِ عَلَى حَالِهِنَّ، فَأَدْخَلَ الْعَبِيدَ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى دَارِهِ وَذَهَبُوا ⁽⁵⁾ فَفَرِحَ الْبَنَاتُ بِذَلِكَ، وَكَانَ فِي دَارِهِ شُرُورٌ كَبِيرٌ وَبَسَّ بَنَاتَهُ الثِّيَابَ الْجَلِيلَةَ وَالْحَلِيَّ النَّفِيسَ ⁽⁶⁾، وَاجْتَمَعْنَ حَوْلَ تِلْكَ الْمَائِدَةِ، وَأَوْسَعَ عَلَيْهِنَّ النَّفَقَةَ ⁽⁷⁾. وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَلْبَسُ جُبَّةً ضَوْفٍ وَكِسَاءً ضَوْفٍ وَقَلَنْشُورَةً ضَوْفٍ.

قال: وفضائله كثيرة.

- (1) في ت: يريد.
- (2) في ت و ط: فتوجد التصويب من: الرياض 1/ 109.
- (3) الكلام كله مختصر من الرياض 1/ 108 - 109.
- (4) كلمة: [ذكره] وردت مرة واحدة في: ت.
- (5) في ت: ورجعوا.
- (6) في ت: النفيسة.
- (7) الرياض 1/ 109.

49 - ومنهم عبد الرحمن بن وعله السبائي المصري رحمه الله⁽¹⁾ :

قال: كان من أهل الفضل والدين. يروي عن ابن عمر وابن عباس، وروى عنه زيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد والقعقاع بن حكيم وعبد الرحمن بن أنعم⁽²⁾ وغيرهم. قال محمد بن سحنون: هو من أهل إفريقية ومسجده بها ومواليه إلى اليوم⁽³⁾. وذكره أبو سعيد⁽⁴⁾ بن يونس وأثنى عليه، وقال: كان شريفاً بمصر⁽⁵⁾، ثم سار⁽⁶⁾ إلى إفريقية. وأخرج مسلم بن الحجاج عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دُبِعَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهَّرَ»⁽⁷⁾. وروى عنه مالك رحمه الله تعالى في موطأه.

قلت: زاد المالكي وكذلك روى عنه النسائي وأبو داود.

50 - ومنهم المغيرة بن أبي بردة الكِنَانِي⁽⁸⁾ :

حليف بني⁽⁹⁾ عبد الدار وقيل إنه من بني عبد الدار حليف كِنَانَةَ⁽¹⁰⁾.

(1) ترجم لعبد الرحمن بن وعله السبائي في: رياض النفوس 1/ 130 رقم 48، تاريخ الثقات ص: 300 رقم 990، تهذيب التهذيب 6/ 293، تقريب التهذيب 1/ 595 رقم 4053، حسن المحاضرة 1/ 215.

(2) الرياض 1/ 130. (3) الرياض 1/ 131.

(4) في الرياض: [ابن عبد الأعلى في كتابه] 1/ 131.

(5) في الرياض: بمصر في أيامه 1/ 131.

(6) في الرياض: صار 1/ 131.

(7) أخرجه مسلم في الصحيح، في كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ حديث (366)، وأبو داود في السنن في كتاب اللباس، باب في أهب الميتة حديث (4123) 2/ 279، والترمذي في سننه كتاب اللباس، باب ما جاء في جلود الميتة إذا دبغت حديث (1734) 3/ 281، والنسائي في المجتبى في كتاب الفرع والعتيرة، باب جلود الميتة 17/ 173، ومالك في موطئه من كتاب الصيد، باب ما جاء في جلود الميتة حديث (17).

(8) ترجمته في: رياض النفوس 1/ 124 - 125 رقم 44، الطبقات الكبرى لابن سعد 5/ 240، فتوح مصر والمغرب رقم 243، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 88 - 89، تهذيب التهذيب 10/ 256، تقريب التهذيب 2/ 205 رقم 6853، حسن المحاضرة 1/ 218، نفع الطيب للمقري 3/ 10 رقم 7.

(9) في الطبقات الكبرى لابن سعد: من بني عبد الدار، وفي ت: ابن عبد الدار. عن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 125 - 128.

(10) كِنَانَةَ: ابنُ خُزَيْمَةَ، بن مُدْرِكَةَ بن إِيَّاسَ، بن مُضَرَ بن نِزَارَ بن مَعَدُ بن عَدْنَانَ. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: 11.

قال: كان من أهل الدين وَالْفَضْلِ يَرْوِي عن أبي هُرَيْرَةَ وغيره⁽¹⁾. وروى عنه موسى بن الأشعثِ الْبَلَوِيُّ، وابن أنعمِ وابنه عبد الله بن المغيرة، ومن أهل مصر يزيد بن حبيب، والحارث بن يزيد، وسعيد بن مَسْلَمَةَ. غَزَا مَعَ موسى بن نُصَيْرِ المغربِ والأندلسِ. وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ لَا يَرُدُّ سَائِلًا سَأَلَهُ. وَأَتَاهُ يَوْمًا خَازِنُهُ فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنْفَقَ فَوَاللَّهِ الَّذِي يُخَلِّفُ بِهِ مَا [مِنْ] ⁽²⁾ إِنَاءٍ أَفْرَعُهُ إِلَّا وَجَدْتُهُ [قُدَّامِي قَدْ مُلِيَء] ⁽³⁾ وَلَمَّا قُتِلَ الْيَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ⁽⁴⁾ أَمِيرَ إِفْرِيقِيَّةِ، اجْتَمَعَ أَهْلُ الْفَضْلِ ⁽⁵⁾ وَالِدِينَ أَنْ يُؤَلُّوا الْمُغِيرَةَ لِمَا عَلِمُوا مِنْ فَضْلِهِ وَدِينِهِ وَحَزْمِهِ فَأَبَى عَنْ ذَلِكَ.

قلت: زَادَ الْمَالِكِيُّ رَغْبَةً مِنْهُ فِي السَّلَامَةِ وَاتَّفَقَ رَأْيُهُ وَرَأْيُ وَلَدِهِ عَلَى الْهَرُوبِ مِنْ ذَلِكَ ⁽⁶⁾.

قال: أَخْرَجَ عَنْهُ مَالِكٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَاءِ الْبَحْرِ: «هُوَ الظُّهُورُ مَاؤُهُ الْجِلُّ مَيْتُهُ» ⁽⁷⁾.

51 - وَمِنْهُمْ أَبُو الْجَهْمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعِ التَّنُوخِيِّ ⁽⁸⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: كَانَ مِنْ فَضْلَاءِ التَّابِعِينَ ⁽⁹⁾ يَرْوِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. رَوَى عَنْهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنْعَمِ الْإِفْرِيقِيِّ، سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ

(1) الرياض 1/ 124. (2) سقطت من: ت.

(3) ما بين المعقوفتين في ت: قد امتلاً.

(4) في ط: أسام، وفي ت: أسلم. التصويب من: الرياض 1/ 125، وفتوح مصر والمغرب ص: 242 - 243 وفيه أنه توفي سنة 102هـ.

(5) في الرياض: أهل إفريقية، وفي فتوح مصر والمغرب: الناس.

(6) الرياض: 1/ 125.

(7) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر حديث (83)، والترمذي في الطهارة باب ما جاء في ماء البحر أنه ظهور حديث (69) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومالك في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر.

(8) ترجمة عبد الرحمن بن رافع في رياض النفوس 1/ 110 رقم 33، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 86، تهذيب التهذيب 6/ 168، تقريب التهذيب 1/ 568 رقم 3869، حسن المحاضرة 1/ 215، ورد اسمه في نفع الطيب 2/ 575، فتوح مصر والمغرب ص: 284.

(9) في الرياض، المؤمنين 1/ 110.

أَسْتَفْضِي بِهَا بَعْدَ بِنَائِهَا، وَلَاَهُ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ سَنَةَ ثَمَانِينَ⁽¹⁾، وَكَانَ عَدْلًا فِي أَحْكَامِهِ
ثِقَةً فِي نَفْسِهِ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ [التابعين]⁽²⁾ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ]⁽³⁾ لِيَفْقَهُوا أَهْلَ إِفْرِيْقِيَّةِ تُوْفِي بِالْقَيْرَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثَةِ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ⁽⁴⁾. رُوِيَ عَنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسٍ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ
وَيَقُومُ يَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ [وَيُعَلِّمُونَهُ]⁽⁵⁾ قَالَ: «كَلَّا الْمَجْلِسَيْنِ عَلَيَّ خَيْرٌ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ
مَنْ صَاحِبِهِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ يَدْعُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ
مَنْعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، فَهُمْ أَفْضَلُ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ
فِيهِمْ»⁽⁶⁾ خَرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا
أَخَذْتَ - يَعْنِي الرَّجُلُ - وَقَدْ جَلَسَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ [فَقَدْ]⁽⁷⁾ جَازَتْ
صَلَاتُهُ»⁽⁸⁾ [مَاتَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ]⁽⁹⁾.

52 - وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ رَبَاحِ بْنِ قَصِيرٍ اللَّخْمِيُّ⁽¹⁰⁾:

قَالَ: كَانَ فِقِيهًا صَالِحًا.

- (1) فِي الرِّيَاضِ: ثَمَانِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ 110 / 1.
- (2) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ ط. الزِّيَادَةُ مِنْ: ت، وَالرِّيَاضِ.
- (3) صَيْغَةُ التَّرْضِيِّ سَقَطَتْ مِنْ: ت. (4) الرِّيَاضِ 110 / 1.
- (5) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ: ط. الزِّيَادَةُ مِنْ: ت، وَالرِّيَاضِ 110 / 1.
- (6) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَنِ، فِي الْمَقْدَمَةِ، 17 بَابَ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ،
حَدِيثَ (229) 83 / 1 وَفِي سَنَدِهِ: دَاوُدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَانَ، عَنِ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
زِيَادٍ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهُمْ ضَعْفَاءٌ. وَلَفْظُ الْحَدِيثِ جَاءَ عَلَى هَذَا الْمَتْنِ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجْرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلَقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ
وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ عَلِيٍّ خَيْرٌ، هَؤُلَاءِ يَقْرَأُونَ
الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنْعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا
بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ.
- (7) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ: سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ.
- (8) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ فِي أَبْوَابِ الصَّلَاةِ، بَابَ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُخَدِّثُ بَعْدَ التَّشْهَدِ
حَدِيثَ (408) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ وَقَدْ اضْطَرَبُوا فِي إِسْنَادِهِ».
- (9) زِيَادَةٌ مِنْ: ت.
- (10) تَرْجَمَ لَهُ فِي: الرِّيَاضِ 119 / 1 - 120، تَارِيخَ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ ص: 248، تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ
318 / 7، نَفْحَ الطَّيِّبِ 8 / 3 رَقْمَ 4 وَفِيهِ: قَالَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ: أَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ عَلِيٌّ يَفْتَحُ الْعَيْنَ
وَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ: فَعَلِيٌّ بَضْمَ الْعَيْنِ.

قلت: قال المالكي كان فاضلاً جليلاً.

قال: يروى عن جماعة من الصحابة منهم: عمرو بن العاص وولده عبد الله بن عمرو، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، وأبو هريرة وعائشة [أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين]⁽¹⁾. وروى عنه ولده موسى بن علي وأبو هاني الخولاني وجماعة أكثر عددهم⁽²⁾ وكانت له منزلة من عبد العزيز بن مروان، أولاه إفريقية فقدمها مجاهداً في سبيل الله وكان عند أهل إفريقية من حديثه ما لا عند المضريين. سكن القيروان واحتط بها داراً ومسجداً على يمين الخارج من باب نافع قبل أن يخرج وانتفع به أهل القيروان وكان يغلب على اسمه علي بضم العين.

قلت: زاد المالكي وفتح اللام⁽³⁾.

قال: وكان يقول: لا أجعل من يدعوني بذلك في حل وكان رحمه الله حسن الموعدة. روي أنه حضر مجلساً مع موسى بن نصير، فقال موسى بن نصير: إنه ورد عني بشارت ثلاث منها كتاب أمير المؤمنين، ومنها كتاب ولدي يخبرني بفتح عظيم بالأندلس، ومنها ما صحبتني⁽⁴⁾ من الأموال في مقدمي هذا، فهناك جميع⁽⁵⁾ من حضر وعلي بن رباح ساكت فقال له موسى: ألا تتكلم؟ فقال: أيها الأمير ما من دار امتلأت حبرة⁽⁶⁾ إلا امتلأت عبرةً ولا انتهى شيء إلا رجع، فأرجع قبل أن يرجع بك. فأنكر موسى بعد ذلك وتفعه بموعظته.

قلت: هذا الكلام فيه بتر من ثلاثة أوجه نقلها المالكي الأول عند قوله فهناك زيادته وأمر بقراءة كتاب أمير المؤمنين فهني لذلك. الثاني عند قوله بفتح عظيم، زيادته وأمر بكتاب ابنه فقريء فهني بذلك الثالث عند قوله في مقدمي هذا ليس فيه ما يدل على أنه قدم من الأندلس إذ اللفظ أعم. قال المالكي: وانتفع بموعظته حتى صغرث عنده الدنيا وما فيها بذلك، وانخلع مما كان فيه من الإمارة وتوفي بالمدينة

(1) ما بين المعقوفين سقط من: ت. وفي الرياض: زوج النبي ﷺ.

(2) في ت، والرياض 1/119: تعدادهم.

(3) لم يرد هذا الكلام في الرياض.

(4) هي ط: صبحني، وفي ت: أصبحني. التصويب من الرياض 1/120.

(5) في ت: جميع الناس ممن حضر.

(6) الحبرة: هي النعمة وسعة العيش. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة «حبر» 4/158.

مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحَجِّ وَكَانَ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ أَوْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ قَالَ: وَخَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ نَقْبُرَ [فِيهِنَّ] مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بِأَزْغَةٍ حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظُّهْرِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ [تَضَيِّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ] (1) وَوُلِدَ عَلِيٌّ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ عَامَ الْيَرْمُوكِ، وَمَاتَ بِإِفْرِيقِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِائَةَ وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِائَةَ.

53 - وَمِنْهُمْ أَبُو سَعِيدِ جُعْثَلُ (2) بْنُ هَاعَانَ بْنِ عُمَيْرِ الرَّعِينِيِّ (3) ثُمَّ الْقَتْبَانِيُّ (4):

قَالَ: كَانَ فَقِيهًا صَالِحًا. وَلَاهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَضَاءَ جُنْدِ إِفْرِيقِيَّةٍ يَرُوي عَنْ أَبِي تَمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْجَيْشَانِيِّ (5)، رَوَى عَنْهُ بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زَحْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَنْعَمٍ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ التَّابِعِينَ، وَأَحَدُ الْقُرَّاءِ. وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي تَمِيمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْجَيْشَانِيِّ أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ [امْرَأَةٍ] (6) نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ حَافِيَةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ (7) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «فَلْتُخْتَمِرْ وَلْتَرْكَبْ وَلْتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» (8). وَتُوفِيَ أَبُو سَعِيدِ [جُعْثَلُ] قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَمِائَةَ.

- (1) فِي ت وَ ط: وَحِينَ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ. التَّصْوِيبُ مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ. الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، (51) بَابِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا، حَدِيثٌ 293 - (831) ص: 394.
- (2) فِي ت وَ ط: جَعِيلٌ. التَّصْوِيبُ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُرْتَجِمَةِ لَهُ.
- (3) تُرْجِمُ لَهُ فِي رِيَاضِ النُّفُوسِ 114 / 1 رَقْمٌ 37، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ 2 / 79، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ 1 / 159 رَقْمٌ 925.
- (4) فِي ت وَ ط: الْعَسَّانِيُّ، التَّصْوِيبُ مِنْ: التَّهْذِيبِ، وَالتَّقْرِيبِ. وَهُوَ صَدُوقٌ فَقِيهٌ مَاتَ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ 115 هـ.
- (5) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي التَّقْرِيبِ: مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ مِصْرِيٌّ ثِقَةٌ مَخْضَرُمٌ مَاتَ سَنَةَ 177 هـ. 1 / 526 رَقْمٌ 3575.
- (6) سَاقَطَ مِنْ: ت.
- (7) فِي ت: مُحْتَمِرَةٌ.
- (8) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ 4 / 184 - 185 رَقْمٌ 17359، وَالدَّارِمِيُّ فِي السُّنَنِ، كِتَابُ النَّذُورِ وَالْأَيْمَانِ، بَابُ فِي كَفَّارَةِ النَّذْرِ 2 / 183، وَأَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ وَالنَّذُورِ، بَابُ مَنْ رَأَى عَلَيْهِ كَفَّارَةٌ إِذَا كَانَ فِي مَعْصِيَةِ حَدِيثِ (3293) 2 / 107، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْمَجْتَبَى كِتَابُ الْأَيْمَانِ، بَابُ إِذَا حَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ تَمْشِيَ حَافِيَةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ 7 / 20، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السُّنَنِ، فِي كِتَابِ الْكُفَّارَاتِ، بَابُ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَحْجَّ مَاشِيًا حَدِيثِ (2134) 1 / 689.

54 - ومنهم إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي رحمه الله⁽¹⁾ :

قال: كان فقيهاً صالحاً فاضلاً زاهداً يروي عن عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد. ورؤى عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن أنعم استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين، سنة تسع وتسعين وقيل سنة مائة فسار فيهم بالحق، وأسلم على يديه عامة البربر، وكان حريصاً على إسلامهم.

قلت: وهو أحد العشرة التابعين.

قال: وقال معن التَّنُوخِي: ما رأيت [زاهداً]⁽²⁾ في هذه الأمة غير اثنين: عمر⁽³⁾ بن عبد العزيز، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي. وبلغ من زهده أنه كان إذا أقبل من الغزو في الصائف افترش دِرْعَهُ⁽⁴⁾ فنام عليها، وكان هو وأم ولده وفرسه في بيت واحد زهداً منه في الدنيا وتواضعاً.

قلت: سياق كلامه يقتضي أنه أراد بقوله ما رأيت في هذه الأمة غير اثنين، أي في الزهد فكأنه قال ما رأيت زاهداً في الدنيا غير اثنين كما صرح به المالكي⁽⁵⁾.

قال: وَأَوْصَى أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ تَرَكَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَجَازَ مِنْ ذَلِكَ الثَّلَاثَ⁽⁶⁾.

قلت: ذكر المالكي هذا من راوية أشهب وابن نافع عن مالك عنه.

قال: وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ رَجَاءً أَنْ يُجِيزَهُ الْوَرِثَةَ أَوْ أَنَّهُ⁽⁷⁾ عَلِمَ أَنَّ سُلْطَانَ زَمَانِهِ لَا يَضَعُ الْمَالَ حَيْثُ يَجِبُ وَلَا يَسْلُكُ بِهِ سَبِيلَ الْحَقِّ.

(1) ترجمته في رياض النفوس 1/ 115 - 117 رقم 38، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 84،

تهذيب التهذيب 1/ 317، تقريب التهذيب 1/ 97 رقم 467، تاريخ خليفة بن خياط ص:

207، تاريخ الثقات ص: 65 رقم 89، طبقات ابن سعد 5/ 341 ضمن ترجمة عمر بن

عبد العزيز، دار صادر بيروت.

(2) ساقط من: ت وط. الزيادة من الرياض 1/ 116.

(3) في ت و ط: مُحَرَّفٌ إِلَى مُحَمَّدِ التَّصَوِّبِ مِنَ الرِّيَاضِ 1/ 116.

(4) في الرياض: ذِرَاعُهُ. (5) الرياض 1/ 116.

(6) الرياض 1/ 117 وفيه: «وَرَدَ الثَّلَاثَ».

(7) في الرياض: أَنْ يُجِيزَ ذَلِكَ وَرِثَتَهُ 1/ 117.

قلت: وَتَبِعَهُ الْعَوَانِي؛ وظاهرُ كلام كل واحدٍ منهما أنه أنكره وليس كذلك. وَسَبَقَ إِلَيْهِ الْمَالِكِيُّ وَلَفْظُهُ: وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَجَاءً مِنْهُ أَنْ يُجِيزَ ذَلِكَ وَرَثَتُهُ أَوْ يَكُونَ لَمْ يَتْرِكْ وَارِثًا وَخَافَ أَنْ يُوضَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ⁽¹⁾ وَيَسْأَلُكَ بِهِ غَيْرَ سَبِيلِهِ لِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ الْأَئِمَّةِ⁽²⁾. وهذا الاحتمالُ ضعيفٌ، لأنَّ فِي السَّمَاعِ الْمَذْكُورِ: فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى هِشَامٍ فَأَجَازَ مِنْ ذَلِكَ الثُّلُثِ كَمَا تَقَدَّمَ وَهَذَا يَنْفِي قَوْلَ ثَلَاثَتِهِمْ إِنَّمَا فَعَلَهُ رَجَاءً مِنْهُ أَنْ يُجِيزَ ذَلِكَ وَرَثَتَهُ وَالْقَطْعُ بِالْإِحْتِمَالِ الثَّانِي.

[حکم الوصية بكل المال ممن لا وارث له]

واختلف فيمن لا وارث له، هل له أن يوصي بكل ماله أو لا؟ فعندنا أنه لا يصح إلا الثلث خاصة، وعند المخالف يصح الجميع. وثالثها: إن كان الوالي مثل عمر بن عبد العزيز لا يصح وإلا يصح [الجميع]⁽³⁾.

قال: وَحَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ [عَنْ]⁽⁴⁾ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمِ حَارٍ، حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا فِينَا صَائِمٌ⁽⁵⁾ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَابْنُ رَوَاحَةَ.

قلت: قال المالكي: وعن زياد بن أنعم. قال: سمعت ابن عبيد يخطب وهو يحضُّ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ أَصْحَابِي لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِّي وَلَا أَجِدُ مَا تُقَوِّهِمْ⁽⁶⁾، مَا نَرَكْتُ سَرِيَّةً تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا خَرَجْتُ فِيهَا وَلِغَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»⁽⁷⁾. قال: وتوفي إسماعيل بالقيروان سنة اثنتين وعشرين ومائة أو نحوها.

(1) في ط: موضع. التصويب من: ت والرياض 1/ 117.

(2) الرياض 1/ 117. (3) سقط من: ت.

(4) سقط من: ت. (5) سقط من: ت.

(6) في ت و ط: أقويهم. التصويب من: الرياض.

(7) الحديث أخرجه البخاري ومسلم من طرق مختلفة وألفاظ متقاربة فقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة حديث (2792) (2793)، وفي باب تمني الشهادة حديث (2797)، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة، (30) باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله حديث 112 - (1880) و 113 - (1881) و 114 - (1882) و 114 - (1883).

قلت: هذا وهم لقول المالكي توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة⁽¹⁾. فقوله عشرين وهم وكذلك قوله أو نحوها ونقله العواني كالمالكي.

55 - ومنهم أبو الأشعث ربيعة بن يزيد يعرف بالدمشقي⁽²⁾:

لأن أصله⁽³⁾ من دمشق كان معذوداً في التابعين.

قال: كان رجلاً صالحاً فاضلاً. روي عنه أنه قال: منذ أربعين سنة ما أذن المؤذن لصلاة الصبح إلا وأنا في المسجد⁽⁴⁾.

قلت: وفي هذا الكلام بتر لقول المالكي. وعن أبي زرعة الدمشقي قال:

حدثنا عبد الرحمن بن أبي عامر اليحظبي قال: «سمعت ربيعة بن يزيد الدمشقي يقول: ما أذن المؤذن لصلاة الصبح منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد؛ إلا أن تكون مريضاً أو مسافراً»⁽⁵⁾.

قال: وقال سعيد بن عبد العزيز: لم يكن عندنا بدمشق أحسن سمناً في العبادة

من مكحول، وربيع بن يزيد. وكان يروي عن عتبة بن عامر الجهني، وعطية

السعدي، وأبي إدريس الخولاني، روى عنه الفرج بن فضالة، وعبد الله بن عامر

القدري، وسعيد بن عبد العزيز، وحيوة بن شريح. قال الترمذي بسنده إلى ربيعة بن

يزيد، وعطية بن قيس، عن عطية السعدي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال

رسول الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ [حَذَرًا

لِمَا]⁽⁶⁾ بِهِ الْبَأْسُ»⁽⁷⁾. وعن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي

الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال:

«يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا. يَا

(1) الرياض 1/116.

(2) ترجمته في: رياض النفوس 1/131 رقم 49، تاريخ الثقات ص: 159 رقم 437، تهذيب التهذيب 3/264، تقريب التهذيب 1/298 رقم 1924، شذرات الذهب 1/161.

(3) في ت: أمام كلمة أصله قوله «كان».

(4) الرياض 1/132. (5) الرياض 1/132.

(6) ما بين المعقوفتين في ت و ط: [حذار ما]، التصويب من: سنن الترمذي، وسنن ابن ماجه.

(7) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة باب (19) حديث (2459) وقال الترمذي:

«هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، (24) باب الورع والتقوى حديث (4215) 2/1409.

عِبَادِي! كُتُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُتُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمُ يَا عِبَادِي! كُتُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي!! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتَكُمْ. كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّتَكُمْ. قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»⁽¹⁾.

وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. وخرجه مسلم، واستوطن ربيعة بن يزيد إلى أن مات شهيداً مع كلثوم بن عياض قتلها الصُفْرِيَّة سنة مائة وثلاثة وعشرين. وكان كلثوم إذ ذاك أمير إفريقيَّة.

قلت: يريد في أيام هشام بن عبد الملك بعث بعثاً واستعمل عليه كلثوم بن عياض القُشَيْرِي المذكور، كما صرح به المالكي، وجعل عوض الصُفْرِيَّة، البربر⁽²⁾ وليس باختلاف لما سيأتي أن الصُفْرِيَّة هم البربر.

56 - ومنهم جَبَانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ الْقُرَشِيِّ مولى⁽³⁾ بني عبد الدار⁽⁴⁾:

قال: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالِدَيْنِ، يَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصلَّة والآداب، (82) باب تحريم الظلم (2575) ص: 1349 - 1350.

ملاحظة: الحديث منقول من صحيح مسلم مباشرة، لأن ما جاء نقله في المطبوعة والمخطوطة المرموز لهما بحرف (ت)، فيه نقص، وتقديم وتأخير في الكلمات. لهذا اضطررت أن أنقله من صحيح مسلم، ما دام المصنف قد اعتمده بدوره في نقله.

(2) الرياض 1/ 131.

(3) ترجمة جَبَانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ ساقطة من نسخة (ت) وواردة في ط.

(4) ترجمته في: رياض النفوس 1/ 111 رقم 35، تاج علماء الأندلس ص: 107، تهذيب التهذيب 2/ 171، تقريب التهذيب 1/ 181 رقم 1074، حسن المحاضرة 1/ 151.

وولده عبد الله. روى عنه ابن أنعم وأبو شيبه عبد الرحمن بن يحيى الصُّدْفِي وعبيد الله⁽¹⁾ بِنُ زَحْر، سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُهَا، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ التَّابِعِينَ حَدَّثَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ وَغَسَلَ رَأْسَهُ وَأَسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، كَانَ لَهُ أَجْرُ سَنَةِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»⁽²⁾. وتوفي بالقيروان سن خمس وعشرين ومائة⁽³⁾.

57 - ومنهم عبد الله بن المغيرة بن أبي بُرْدَةَ الْكِنَانِيُّ قَاضِي عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْقَيْرَوَانَ:

قال: كان من فضلاء التابعين، وأهل الورع منهم، يروي عن سفيان بن وهب الخولاني، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن لهيعة، وخالد⁽⁴⁾ بن ميمون وعبد الرحمن بن أنعم⁽⁵⁾. وسبب ولايته لقضاء القيروان، أن سليمان بن عبد الملك كان قد وجه إلى عبد الله بن موسى بن نصير عامل إفريقية أن يوجه إليه ما تحصل عنده من خراج إفريقية ضحبة عشرة من غدول القيروان، يشهدون عنده أن هذا المال أخذه من وجهه، ففعل ذلك فلما دخلوا على سليمان سألهم عن ذلك فقالوا: لم يأخذ إلا من وجهه وعبد الله بن المغيرة ساكت لم يتكلم بشيء، وكان عمر بن عبد العزيز حاضراً لذلك المجلس، فعلم أنه إنما منعه من الكلام الورع والخوف من الله عز وجل ولا يتكلم إلا بحق، فسأل عنه عمر⁽⁶⁾ بعد أنصرافهم فعرف بدينه وورعه وفضله، فلما أفضت الخلافة إلى عمر، ولي عبد الله قضاء إفريقية، وذلك سنة تسع وتسعين فأقام بها قاضياً إلى زمن كلثوم بن عياض فاستعفى من القضاء وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة.

(1) في ت و ط: عبد الله. التصويب من: الرياض 1/ 111، وتقريب التهذيب 1/ 632 رقم (4306)، وتاريخ علماء الأندلس ضمن ترجمة حبان ص: 107.

(2) الحديث ورد في الرياض 1/ 112.

(3) في تاريخ علماء الأندلس لابن القرضي أنه توفي سنة اثنين وعشرين ومائة ص: 107. ترجمته في رياض النفوس 1/ 126 رقم 45، فتوح مصر والمغرب ص: 243، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 89.

(4) في ت و ط: خارج، والتصويب أثبتناه من: الرياض 1/ 126.

(5) الرياض 1/ 126.

(6) المراد به عمر بن عبد العزيز كما في الرياض.

قلت: مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَبَبٍ وَلَايَتِهِ الْقَضَاءُ إِلَى قَوْلِهِ فَاسْتَعْفَى مِنَ الْقَضَاءِ ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْمَالِكِيُّ⁽¹⁾ مِنْ نَقْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ [بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]⁽²⁾ بِنِ هَبَةَ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ اللَّبَادِ.

قال: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغِيرَةِ صَاحِبُ قَصْرِ مَغِيرٍ⁽³⁾ وَقَرْيَةُ الْمَغِيرِيِّينَ وَلَهُ عَقَبٌ بِالْقَيْرَوَانَ، وَلَهُمْ رِبْعٌ لَمْ يَزَلْ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ خُرِبَتِ الْقَيْرَوَانُ. وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ مُوْطَأُهُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ الْكِنَانِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى النَّاسَ فِي قَبَائِلِهِمْ يَدْعُو لَهُمْ، وَأَنَّهُ تَرَكَ قَبِيلَةَ مِنَ الْقَبَائِلِ. قَالَ: «وَأَنَّ الْقَبِيلَةَ وَجَدُوا فِي بَرْدَعَةٍ⁽⁴⁾ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَقَدَ⁽⁵⁾ جَزْعٌ⁽⁶⁾ غُلُولًا⁽⁷⁾ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ كَمَا يَكْبُرُ عَلَى الْمَيْتِ»⁽⁸⁾.

58 - وَمِنْهُمْ أَبُو ثُمَامَةَ بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ الْجُدَامِيُّ⁽⁹⁾:

قال: كَانَ مِنْ صُلَحَاءِ التَّابِعِينَ وَفُقَهَائِهِمْ، يَرُوي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ وَهْبٍ، وَأَبِي ثَوْرٍ [الْفَهْمِيِّ]⁽¹⁰⁾.

قلت: وَقَالَ الْمَالِكِيُّ: وَرُوي أَيْضاً عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَابْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ⁽¹¹⁾.

قال: وَرُوي عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ وَغَيْرُهُ، سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَحَدَّثَ عَنْ زِيَادِ بْنِ نَعِيمٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ شَرِيحِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

- (1) الرياض 126 / 1 - 127.
 (2) ما بين المعقوفتين لم يرد في الرياض.
 (3) في ت: صغير.
 (4) البردعة تكون للحمار، والسرُّج للفرس.
 (5) العِقْدُ: قلادة تعلق في عنق المرأة.
 (6) جَزْعٌ: خرز فيه بياض وسواد.
 (7) غُلُولًا: خيانة.
 (8) أخرجه الإمام مالك في موطنه، كتاب الجهاد، 12 باب ما جاء في الغُلُولِ. حديث (24) ص: 401 - 402 برواية: يحيى بن يحيى الليثي.
 (9) ترجم له في: رياض النفوس 1/ 112 رقم 36، جذوة المقتبس ص: 158 رقم 333، بغية الملتبس ص: 211 رقم 586، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 86، تهذيب التهذيب 1/ 483، تقريب التهذيب 1/ 135 رقم 744.
 (10) في ت و ط: الفهري. التصويب من: الرياض 1/ 112، وجذوة المقتبس ص: 158، وبغية الملتبس ص: 211.
 (11) الرياض: 1/ 112.

«إِذَا كَانَ عَلَى رَأْسِ مِائَتِينَ فَلَا تَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ»⁽¹⁾.

[حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ومحمل هذا على أن لا يكون الإنسان إذا أمر بمعروف أو نهى عن المنكر لا يأمن على نفسه وماله.

قلت: [ظاهره]⁽²⁾ أن هذا المحمل لم يسبقه إليه غيره، بل سبقه إليه المالكي بزيادة بعد قوله: أو ماله أو عرضه ففي كلام الدبّاع بثراً. وذكر المالكي أن الحديث المذكور غريب لم يروه غيره في علمه.

قال: سكن القبروان وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين ومائة.

قلت: ليس في هذا الكلام ما يدل على أنه مات بالقبروان لاحتمال أن يكون سكنها ومات بغيرها فكان حقه أن يقول: وكانت وفاته بها كما قال أبو سعيد بن يونس وقيل إنه [غزا في بحار]⁽³⁾ الأندلس.

59 - ومنهم موهب بن حبي المعافري⁽⁴⁾ رضي الله عنه:

قال: كان من فضلاء التابعين يروي عن عبد الله بن عباس وغيره. روى عنه عبد الرحمن بن أنعم [وعياش بن عباس القشيري]⁽⁵⁾ سكن القبروان وبث بها علماً كثيراً، وبها كانت وفاته وهو أحد العشرة التابعين، وسأل ابن عباس فقال له: إنا نغزو المغرب وليسوا بأهل كتاب فنجد في آبتهم السمن والغسل وفي قريتهم الماء أفناكل ذلك وننتفع به؟ فأجابته لا بأس بذلك لأن الدبّاع له ظهور⁽⁶⁾.

(1) رياض: 1، 112. (2) ساقط من: ت.

(3) في ت و ط: غزا في بحار التصويب من: الرياض 1/ 112، وجذوة المقتبس ص: 158، وبعية المستمسك ص: 211.

(4) ترجمة موهب بن حبي المعافري في: رياض النفوس 1/ 110 - 111 رقم 34، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 84.

(5) في ت و ط: عيسى بن عباس الغساني، التصويب من: الرياض، وتقريب التهذيب 1/ 66 - رقم 5285 وفيه أنه ثقة مات سنة 133هـ.

(6) رياض 1/ 111.

60 - ومنهم أبو عثمان مسلم بن يسار الأنصاري⁽¹⁾ مولى الأنصار:

قال: يروي عن ابن عمر، وأبي هريرة، وسفيان بن وهب، روى عنه عمرو بن أبي نعيمة⁽²⁾ وشراحيل بن يزيد⁽³⁾ وحميد بن هاني، وابن أنعم سكن القيروان وأستوطنها وتوفي بها⁽⁴⁾.

قلت: زاد المالكي وهو غير مسلم بن يسار البصري⁽⁵⁾.

قال: وخرج مسلم بن الحجاج في مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ الصَّحِيح، قال: أخبرنا ابن نمير، عن عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن حميد بن هاني، عن أبي عثمان مسلم⁽⁶⁾ بن يسار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكَ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَيَأْكُم وَيَأْهُم»⁽⁷⁾.

61 - ومنهم طلق بن جابان الفارسي⁽⁸⁾:

قال: كان فقيهاً [عالمًا]⁽⁹⁾ وهو أحد العشرة التابعين الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليُفَقِّهُوا أهل القيروان. روى عنه موسى بن علي وعبد الرحمن بن أنعم. وروى عنه من أهل مصر: يزيد بن أبي أيوب.

- (1) ترجمته في: رياض النفوس 1/ 135 - 136 رقم 52، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 92، تهذيب التهذيب 10/ 141، تقريب التهذيب 2/ 182 رقم 6674.
- (2) في ت و ط: أبي نعيم. التصويب من: تقريب التهذيب 1/ 747 رقم 5140 وتهذيب التهذيب 8/ 110.
- (3) في ط: زيد. التصويب من: ت، والرياض، وتهذيب التهذيب 4/ 320، وتقريب التهذيب 1/ 414 رقم 2771، وفيه اسمه: شراحيل بن يزيد المعافري المصري صدوق.
- (4) الرياض 1/ 136.
- (5) الرياض 1/ 136.
- (6) في ط: سعيد، وهو خطأ. والصواب مسلم كما في: ت، والرياض، وصحيح مسلم.
- (7) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح من كتاب المقدمة، (4) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحمُّلها حديث (6) ص: 11.
- (8) ترجمة طلق بن جابان في: رياض النفوس 1/ 117 - 118 رقم 39، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 86.
- (9) سقط من: ت.

62 - ومنهم أبو غُظَيْف الهُدَلِيّ⁽¹⁾ :

قال : اسْمُهُ جُنْدُبُ بْنُ بَشْرٍ ، وَقِيلَ : حَبِيبُ بْنُ بَشْرٍ يَرْوِي عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدَةٌ فِي الرَّوَايَةِ . وَرَوَى عَنْهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَنْعَمٍ وَمُوسَى بْنُ عَلِيٍّ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَاخْتَطَبَ بِهَا ، وَتَزَوَّجَ بِنْتَ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ الْجُدَامِيَّ⁽²⁾ . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنْعَمٍ الْإِفْرِيْقِيَّ ، عَنْ أَبِي غُظَيْفِ الْهُدَلِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ ابْنِ عَمْرٍ فَحَضَرْتُ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَصَلَّى بِهَيْمٍ ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ [مَجْلِسِيهِ]⁽³⁾ فِي دَارِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ⁽⁴⁾ صَلَاةُ الْعَصْرِ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الْمَغْرَبِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَفَرِيضَةُ الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ؟ قَالَ : أَفَطِنْتُ إِلَيَّ [مَرَامِي]⁽⁵⁾ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ [فَقَالَ ابْنُ عَمْرٍ]⁽⁶⁾ : لَيْسَ ذَلِكَ بِفَرِيضَةٍ ، وَهُوَ تَوَضُّآتُ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ لَصَلَّيْتُ بِهِ الصَّلَوَاتُ كُلَّهَا .

[فضيلة الوضوء على طهراً]

وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ تَوَضَّأَ عَلَيَّ طَهَّرَ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»⁽⁷⁾ .

قلت : جميع ما ذكره المالكي والحديث المذكور ذكره أبو عيسى الترمذي .

(1) ترجمة أبو غظيف الهذلي في : رياض النفوس 1/ 122 رقم 42 ، طبقات علماء إفريقية وتونس ص : 91 ، تهذيب التهذيب 12/ 199 ، تقريب التهذيب 2/ 449 رقم 8341 .

(2) الرياض 1/ 122 .

(3) في ت و ط : مسجده ، والصواب ما أثبتناه من الرياض 1/ 122 .

(4) في الرياض : حضرت 1/ 122 .

(5) في الرياض : إلى هذا مني 1/ 122 .

(6) في ط : قال ، التصويب والزيادة من : ت ، والرياض 1/ 122 ، وكتب السنن : الترمذي وأبي داود .

(7) الحديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الطهارة ، باب الرجل يجدد الوضوء من غير

حدث ، حديث (62) 1/ 28 . قال أبو داود : وهذا حديث مُسَدَّدٌ وهو أتم . والترمذي في

السنن ، كتاب الطهارة ، 44 باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة حديث (59) قال : وروى

هذا الحديث الإفريقي عن أبي غظيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ . وهو إسناد ضعيف . وقد

أورده السخاوي في كتاب المقاصد الحسنة ص : 478 رقم 1103 ، والفوائد المجموعة في

الأحاديث الموضوعية للشوكاني ص : 30 رقم 26 ، وضعيف سنن أبي داود للألباني ص : 9

رقم 12 - 62 ، وضعيف سنن الترمذي للألباني ص : 7 .

63 - ومنهم عُمَارَةُ بْنُ غُرَابِ التُّجَيْبِيِّ (1):

قال: كَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ (2)، يَرْوِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قلت: زاد المالكي وعن غيرها من التابعين (3).

قال: روى عنه ابن أنعم سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ. ذكره محمد بن سحنون وقال عماره:

سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ حَجَّتِي، وَأَخْبَرْتُنِي أَنَّ صَرُورَةَ (4) فَقَالَتْ لِي: شَيْخٌ مِثْلُكَ لَمْ يَحْجْ! مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ؟ فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا بِإِفْرِيْقِيَةِ نَغَزَوْتُ أَرْضَ الْمَغْرِبِ، فَنَحْنُ نَجَاهِدُ عَدُوَّنَا وَلَا نَجِدُ إِلَى الْحَجِّ سَبِيلًا.

[إن الله يعذر بالمعذرة]

قلت: زاد المالكي فقالت: إِنْ كُنْتُ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْذِرُ بِالْمَعْذِرَةِ (5).

64 - ومنهم أَبُو عَلْقَمَةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (6) قَاضِي إِفْرِيْقِيَةِ:

قال: روى عن عبد الله بن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة. وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم، وخالد بن أبي عمران، ومن أهل مصر الحارث بن يزيد، وزهرة بن مَعْبُد، ويعلى بن عطاء، سكن القيروان وأوطنها وولي قضاء إفريقية ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس.

[كيفية بسط الراحتين في الدعاء]

ومن روايته قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْأَلُوهُ كَذَا» وَبَسَطَ رَاحَتَيْهِ وَإِذَا اسْتَجَرْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا: هَكَذَا، وَقَلْبَ كَفَيْهِ فَجَعَلَهُمَا مِمَّا يَلِي أُذُنَيْهِ (7).

(1) ترجم له في: رياض النفوس 1/ 128 رقم 46، تهذيب التهذيب 7/ 422، تقريب التهذيب 1/ 711 رقم 4873.

(2) في الرياض 1/ 128 [المسلمين]. (3) الرياض 1/ 128.

(4) جاء في الرياض تفسير الصرورة هو الذي: «لم يحج حجة الإسلام» 1/ 128.

(5) الرياض 1/ 128.

(6) ترجم لأبي علقمة في: رياض النفوس 1/ 134 - 135 رقم 51، تهذيب التهذيب 12/ 173، تقريب التهذيب 2/ 438 رقم 8299.

(7) الرياض 1/ 134 - 135.

قلت: قال أبو بكر المالكي: الصِّفَّةُ الأولى رغبة، والصفة الثانية رَهْبَةٌ وهي معنى قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

[ما يدعى به عند الخروج من البيت]

قال: وَسَمِعْتُ أبا هريرة يقول: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: حَفِظْتَ وَإِنْ قَالَ: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ كَفَيْتَ»⁽¹⁾. انتهى.

65 - ومنهم مَيْسِرَةُ الزُّرُودِيِّ رحمه الله⁽²⁾:

قال: كان من أهل الفضل والدين. يروي عن ابن عمر وعمر بن عبد العزيز روى عنه ابنه بشر بن ميسرة سكن إفريقية وأوطنها وكان مقامه بقرية زرود⁽³⁾ التي تعرف بقلشانة⁽⁴⁾ على مقربة من القيروان. روى بشر بن ميسرة عن أبيه ميسرة الزرودي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن قوماً أتوه فلما أرادوا أن يفارقوه قالوا: زودنا منك حديثاً نتفع به، فقال: «اعملوا لمعاشكم كأنكم تعيشون أبداً واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً»⁽⁵⁾ وروى بشر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: حريم البشر قدر عمقها⁽⁶⁾. قلت جميعه نقله المالكي كالذي بعده.

66 - ومنهم زياد بن أنعم الشَّعْبَانِي⁽⁷⁾:

وَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمِ الشَّعْبَانِي.

(1) الرياض 1/ 135. لقد أخرج ابن ماجة في سننه شبيه هذا الحديث من رواية أبي هريرة بسند فيه هارون بن هارون بن عبد الله وهو ضعيف. كتاب الدعاء، (18) باب ما يعدو به الرجل إذا خرج من بيته حديث (3886) 2/ 1278 - 1279.

(2) ترجمته في: رياض النفوس 1/ 137 رقم 54، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 93.

(3) نظر الروض المعطار ص: 287.

(4) قلشانة: موضع المعرس لمن خرج من القيروان إلى قابس. الروض المعطار ص: 466.

(5) الرياض 1/ 137، والحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير ص: 77 رقم 1201 وعزاه لثيبقي برواية عبد الله بن عمرو بن العاص، وليس عبد الله بن عمر. ورمز له بحرف (ض) أي ضعيف ولفظه «اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً، وأخذ حذر امرئ يخشى أن يموت غداً».

(6) الرياض 1/ 137.

(7) ترجم له في: طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 87، رياض النفوس 1/ 129، تقريب التهذيب 1/ 317 رقم 2061، تهذيب التهذيب 3/ 354.

قال: كان رجلاً صالحاً يروي عن عبد الله بن عمر، وأبي أيوب الأنصاري، ورؤي عنه ابنه عبد الرحمن سكن القيروان واحتطت بها داراً⁽¹⁾ في ناحية باب نافع شهد الغزو مع أبي أيوب الأنصاري، قال: فلما حضر غداؤنا أرسلنا إلى أبي أيوب وإلى أهل [مركبته]⁽²⁾ فأتى⁽³⁾ أبو أيوب الأنصاري فقال: دعوتموني وأنا ضائم، وكان عليّ من الحق أن أجيبكم.

[حقوق المسلم على المسلم]

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ خِصَالٍ وَاجِبَاتٍ، فَمَنْ تَرَكَ شَيْئاً مِنْهَا فَقَدْ تَرَكَ حَقّاً وَاجِباً لِأَخِيهِ عَلَيْهِ: إِذَا دَعَاهُ أَنْ يُجِيبَهُ، وَإِذَا لَقِيَهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَإِذَا عَطَسَ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَإِذَا مَرِضَ أَنْ يَعُودَهُ، وَإِذَا مَاتَ أَنْ يَحْضُرَهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ»⁽⁴⁾.

67 - ومنهم أبو روح يزيد بن أبي منصور الأزدي⁽⁵⁾ من صغار التابعين:

قال: لقي أنس بن مالك، وكان من أهل الفضل والعلم. سكن القيروان هو ووالده أبو منصور، فتوفي بها أبو منصور وأقام بها أبو روح يزيد بعد موت أبيه بمدة، ثم انتقل في آخر عمره إلى البصرة فمات بها وكان محدثاً راوياً وطال عمره. روى عنه موسى بن عليّ، وعبد الرحمن بن أنعم، وعبيد الله بن زحر⁽⁶⁾ [قال سليمان بن عمران قاضي]⁽⁷⁾ القيروان: بلغني أن يزيد بن أبي منصور احتسب مع

(1) في الرياض داراً ومسجداً 129 / 1.

(2) في ط: مؤكبه. التصويب من: ت، والرياض 129 / 1.

(3) في ط و ت: فأبى، التصويب من: الرياض 129 / 1.

(4) الحديث أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في تسميت العاضس حديث (2745) وقال: هذا «حديث حسن». من رواية علي، وقد أخرجه في نفس الباب والكتاب من رواية أبي هريرة بلفظ: للمؤمن على المؤمن ست خصال. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضاً النسائي في الجنائز، باب النهي عن سب الأموات.

(5) ترجمة يزيد بن أبي منصور في: الإصابة 6 / 347 رقم 9316، تجريد أسماء الصحابة 2 / 151، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 88، تهذيب التهذيب 11 / 363، تقريب التهذيب 2 / 333 رقم 7811.

(6) في ط: عبيد الله بن عمار، والصواب ما أثبتناه من: ت.

(7) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت.

محمد بن الأشعث أمير إفريقية في جُورٍ كانَ مِنْهُ، فَصَاحَ عَلَيْهِ فِي الْجَامِعِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَشْعَثِ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ شَيْخاً كَبِيراً ضَعِيفاً فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ لَوْ كَانَ فِيكَ [مَضْرَبٌ لَضْرِبَتِكَ] ⁽¹⁾ وَعَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرِّهِ.

68 - ومنهم أبو مَعْمَرُ عَبَّاد ⁽²⁾ بن عبد الصمد ⁽³⁾ التميمي البصري:

قال: يروى عن أنس بن مالك وعن أبي سليمان راعي رسول الله ﷺ، وسعيد بن جبيرة. وروى عنه كامل بن طلحة الجحدري، والحكم بن يعلى وذكره مسلم في كتاب الأسماء نزل القيروان وأوطنها.

قلت: قال المالكي: أصله ⁽⁴⁾ من البصرة سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَأَوْطَنَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قَسْطِلِيَّةِ ⁽⁵⁾، وَأَوْطَنَهَا وَأَقَامَ بِهَا، وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ وَكَانَ يَرُوي عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ⁽⁶⁾.

قال: وروى عنه من أهل الْقَيْرَوَانَ أبو زكرياء يحيى بن سليمان، ورباح بن ثابت الأزدي، وجعفر بن محمد بن عياض وغيرهم. وَإِنَّمَا تَرَكَ بَعْضُ النَّاسِ الْأَخْذَ عَنْهُ لِأَنَّهُ أَغْرَبَ عَنْ أَنَسٍ بِأَحَادِيثٍ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا مِنْهُ.

قلت: هذا قول أبي العرب.

قال: منها ما رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ كَامِلِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَلَغَهُ فَضْلٌ عَنِ اللَّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ» ⁽⁷⁾ وبهذا السند عن عباد بن عبد الصمد قال:

(1) في ت: مضروباً أضربناك. (2) في ت: عباد.

(3) ترجمة عباد بن عبد الصمد في: رياض النفوس 1/ 138 رقم 56، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 94، ميزان الاعتدال 2/ 369.

(4) في ت: وأصله، وفي الرياض: وكان أصله 1/ 138، وفي طبقات علماء إفريقية وتونس: من أهل البصرة قدم القيروان ص: 94.

(5) في ت: وطبقات علماء إفريقية وتونس: قسطنطينية ص: 94، وأثبتنا ما في: ط، والرياض 1/ 138.

(6) الرياض 1/ 138.

(7) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ص: 473 وعزاه لأبي الشيخ في مكارم الأخلاق، من جهة بشر وهو متروك من رواية جابر مرفوعاً. وأورده أيضاً الملاء علي القاري في كتابه الأخبار الموضوعة ص: 282 وصفحة 322.

حدثني [أبو سُلمَى] ⁽¹⁾ راعي النبي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَمَّنْ بِالْبَعْثِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ⁽²⁾.

قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فأدخل أُضْبُعِيهِ فِي أُذُنِيهِ. وقال: أَنَا سَمِعْتُ هَذَا مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ. فَهَؤُلَاءِ جُمْلَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ وَصُلَحَائِهِمْ وَأَفَاضِلِهِمْ [قَدْ] ⁽³⁾ سَكَنُوا الْقَيْرَوَانَ وَاخْتَطُّوا بِهَا الْمَسَاجِدَ وَالدُّوَر، وَأَكْثَرُهُمْ لَهُمْ بِهَا عَقَبٌ. فَأَمَّا مِنْ طَرَأَ بِهَا مِنْهُمْ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا فَكَثِيرٌ لَا يَنْحَصِرُ. مِنْهُمْ سَلِيمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَالِكُ بْنُ قَيْسٍ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ، وَأُمِّمٌ لَا يُحْصَوْنَ وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقِ.

69 - وَمِنْهُمْ أَبُو كُرَيْبِ جَمِيلُ بْنُ كُرَيْبٍ ⁽⁴⁾ الْمَعَاوِرِيُّ الْقَاضِي:

[وَيُقَالُ اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ] ⁽⁵⁾.

قال: من أهل العلم والفضل، يروي عن أبي عبد الرحمن الحُبْلِيِّ وَغَيْرِهِ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا هُ قَضَاءُ الْقَيْرَوَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْفِهْرِيِّ أَشْخَصَهُ ⁽⁶⁾ مِنْ تُونِسَ لِدَكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً، وَكَانَ عَدْلًا فَاضِلًا حَسَنَ السِّيَرَةِ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَهُ قَامَ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ قَدَمِيهِ وَقَالَ: يَا أَبَا كَرِيبٍ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا أَرَدْتُكَ إِلَّا لِتَنْفِذِ الْحَقِّ عَلَيَّ، وَأَجْعَلَكَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ أَبُو كَرِيبٍ: أَللَّهُ؟ فَقَالَ الْأَمِيرُ: نَعَمْ. فَقَبِلَ مِنْهُ فَيَوْمَ جَلَسَ أَبُو كَرِيبٍ فِي الْجَامِعِ جَاءَ خَادِمٌ لِامْرَأَةِ الْأَمِيرِ وَكَانَتْ قَدْ اشْتَرَطَتْ عَلَى الْأَمِيرِ، أَنَّهُ مَتَى تَسَرَّى عَلَيْهَا كَانَ أَمْرُهَا بِيَدِهَا فَأَثَبَتِ الْخَادِمُ وَكَالَةَ عِنْدَ الْقَاضِي وَأَخَذَ

(1) في ت و ط: أبو سليمان، التصويب من: الاستيعاب ص: 817 رقم 2979، الإصابة 7/ 290 رقم 560، وتهذيب التهذيب 12/ 115، التقريب 2/ 409 رقم 8176 أبو سُلمَى رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحَابِي قِيلَ اسْمُهُ: حُرَيْثٌ.

(2) هذا الحديث يعضده حديث أنس أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يهفموا حديث (129) ص: 52.

(3) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت.

(4) ترجمة جميل بن كريب في: رياض النفوس 1/ 168 - 172 رقم 71، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 217 - 219.

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (6) ت: استخصه.

مِنْهُ⁽¹⁾ طَابِعاً وَقَالَ لِلْأَمِيرِ: يَا مَوْلَايَ تُوَمَّنِي؟ قَالَ لَهُ⁽²⁾: الْأَمَانُ، قَالَ: هَذَا طَابِعِي مِنْ الْقَاضِي، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ مَضَى الْأَمِيرُ إِلَى الْقَاضِي فَجَلَسَ مَعَ الْخَادِمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ الْقَضِيَّةِ فَأَقَرَّ بِالتَّسْرِي وَالشَّرْطِ، فَأَمَرَهُ الْقَاضِي أَنْ لَا يَقْرَبَهَا، وَأَشْهَدَ مِنْ حَضْرٍ أَنْ أَمْرَهَا بِيَدِهَا إِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ⁽³⁾ وَإِنْ شَاءَتْ طَلَّقَتْ نَفْسَهَا، فَرَفَعَ الْأَمِيرُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَأَيْتُ قَاضِيًا يَحْكُمُ [فِي]⁽⁴⁾ بِالْحَقِّ.

قلت: هذا أحد الأقوال الثلاثة، وقيل: إن الذي ولّاه القضاء: رُوْحُ بْنُ حَاتِمٍ، وَقِيلَ بَلْ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ اللَّبَّادِ، وَأَبُو الْعَرَبِ فَأَرْسَلَ الْيَزِيدَ إِلَى وَالِي تُونُسٍ يَقُولُ لَهُ: ابْعَثْ لِي أَبِي كُرَيْبَ أَوْلِيَهُ الْقَضَاءِ فْتَمَارِضُ أَبُو كُرَيْبٍ وَكَتَبَ الْوَالِي إِلَى أَبِي يَزِيدَ بِأَنْ أَبَا كُرَيْبٍ مَرِيضٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدٌ: ابْعَثْ إِلَيَّ بِهِ [فِي مُحْفَةٍ]⁽⁵⁾ فَبِعَثَ بِهِ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ، كَلَّمَهُ يَزِيدُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا وَجَعَلَ يَزِيدُ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْكَلَامَ وَأَبُو كُرَيْبٍ سَاكِتٌ [فَانْتَبَهَ]⁽⁶⁾ جُلَسَاءُ⁽⁷⁾ يَزِيدَ وَقَالُوا لَهُ: الْأَمِيرُ يُكَلِّمُكَ، وَأَنْتَ صَامِتٌ؟ فَقَامَ الْأَمِيرُ يَزِيدُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَأَمَرَ جُلَسَاءَهُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا [عَنْهُ]⁽⁸⁾ وَجَعَلَ يَقُولُ لِأَبِي كُرَيْبٍ: وَاللَّهِ يَا أَبَا كُرَيْبٍ مَا أَرَدْتُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ أَجْعَلَكَ حَسَنَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَكُونَ لِي عَوْنًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَتَحْكُمَ عَلَيَّ بِالْحَقِّ وَعَلَى مَنْ هُوَ⁽⁹⁾ لِي فَاتَقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي وَفِي الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: أَلَلَّهِ أَرَدْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ [ثُمَّ كَرَّرَهَا]⁽¹⁰⁾ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: قَدْ قَبِلْتُ. وَجَلَسَ فِي جَامِعِ الْقَيْرَوَانِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا أَيَّامٌ يَسِيرَةً حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي لِي قَبْلَ

(1) فِي ط: مِنْهَا، التَّصْوِيبُ مِنْ: ت. (2) فِي ت: [قَالَ لَهُ الْأَمِيرُ].

(3) فِي ت: قَامَتْ.

(4) سَقَطَ مِنْ: ت، وَالرِّيَاضُ 1/170، وَالطَّبَقَاتُ ص: 218.

(5) م: بَيْنَ الْمَعْتُوفَتَيْنِ مَسَاقُطٌ مِنْ: ت. وَفِي الطَّبَقَاتِ وَرَدَ بِاسْمِ: الْقَطِيفَةِ. وَالْقَطِيفَةُ هِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي

ضَبَقَ مَشِيئًا. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ مَادَّةُ (قَطَفَ) ص: 761 وَفِي اللِّسَانِ لِابْنِ مَنْظُورٍ: الَّتِي تَبْطِئُ

فِي سِيرِهَا. أَمَّا الْمُحْفُ فَهُوَ مُرَكَّبٌ كَالنَّهْودِجِ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْجَمَلِ. كَمَا يَعْنِي بِالْقَطِيفَةِ:

دَثْرٌ مُخْمَلٌ جَمَعَ قَطَائِفَ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ مَادَّةُ (قَطَفَ).

(6) فِي الرِّيَاضِ، وَالطَّبَقَاتُ: قَاتِبُهُ.

(7) فِي الرِّيَاضِ، وَالطَّبَقَاتُ أَي طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَّةٍ وَتُونُسٍ: جُلَّاسٌ.

(8) فِي ط: عَلَيْهِ، التَّصْوِيبُ مِنْ: ت، وَالرِّيَاضِ، وَالطَّبَقَاتُ.

(9) فِي الرِّيَاضِ: مِنْ حَوْطِي، وَتَعْلَهُ هُوَ الصَّوَابُ.

(10) فِي ت، وَالرِّيَاضُ: فَكَّرَهَا.

الأميرَ حق ومطلب [يرفعني]⁽¹⁾ وقد وقفت إليه وسألته المجيء إليك فلم يفعل، فأعطاه طابِعاً ومضى الرجل إلى باب الأمير يزيد، فقال للحاجب: أعلم الأمير بمكاني أن هذا الرجل يذكر أن له حقاً قبله، فأعلمه الحاجب، فلبس يزيد ثيابه وخرج إلى الجامع، فأدعى خصم يزيد على يزيد بدعوى فاستحلفه أبو كريب فأبى يزيد أن يحلف فقال أبو كريب: إني أحكم عليك بنكولك على اليمين فأنصفه يزيد من دَعْوَاهُ وانصرف يزيد وهو يقول: الحمد لله الذي لم أمت حتى جعلت بيني وبين الله من يحكم بين عباده بالحق. فقال أبو كريب: وأنا أقول: الحمد لله الذي لم أمت حتى⁽²⁾ رأيت أميراً يشكر الله على القضاء بالحق عليه⁽³⁾. قال أبو بكر المالكي بعد أن ذكرنا ما قلناه. والصواب من ذلك أن ما جرى مع عبد الرحمن بن حبيب المذكور ويشهد بصحة ذلك، أن أبا كريب استشهد سنة أربعين⁽⁴⁾ في دولة مروان بن محمد، ويزيد بن حاتم إنما ولي إفريقية سنة خمسة وخمسين في دولة أبي جعفر المنصور، فلا شك أن ذكر يزيد بن حاتم هذا هنا غلط⁽⁵⁾.

قال: وكان أبو كريب إذا توجه إلى الجامع ساق حماره بين يديه، وإذا انصرف من الجامع ركبته. وربما يرى وهو يخوض المطر⁽⁶⁾ إلى أنصاف [ساقيه]⁽⁷⁾ ويقول: [هكذا يكون من يسير إليه ذليلاً]⁽⁸⁾، وكان ربما جلس في الجامع وحده فيقال له: لو انصرفت فيقول: من لي بالملهوف إذا لم يجدني؟ وكان ربما يتبين له الحكم بالليل فيأتي دار من ثبَّتَ حقه فيأمره أن يحضر له صالح جيرانه فيشهد⁽⁹⁾ له، فيقول لو تركت هذا لغد⁽¹⁰⁾. [فيقول القاضي فلو]⁽¹¹⁾ مت أنا من ليلتي أليس يتلف حقه.

(1) في الرياض 1/ 169: دفعني عنه.

(2) ما بين المعقوفتين زيادة من طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 218، ومن الرياض 1/ 170.

(3) انظر: الرياض 1/ 169 - 170، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 218.

(4) أي: سنة أربعين ومائة هجرية كما جاء في الرياض 1/ 170.

(5) الرياض 1/ 170.

(6) في الرياض، والطبقات لأبي العرب: وهو يخوض الطين.

(7) في ط: قدميه، التصويب من: ت، والرياض، والطبقات.

(8) الوارد في الرياض: هكذا حال من يسير إلى ربه عز وجل، يسير ذليلاً متواضعاً.

(9) في الرياض: ليشهدهم له 1/ 171.

(10) في ت، والرياض: إلى غد. وفي الرياض: بالتعريف: الغد.

(11) ما بين المعقوفتين زيادة من الرياض 1/ 171، وفي: ت، لم يذكر اسم القاضي.

قلت: زَادَ المَالِكِي وَمَرَّ يَوْمًا بِمَدِينَةِ القَيْرَوَانِ بِبَيْتِ أُمِّ عِيَّاضٍ فَعَرَضَ لَهُ خَصْمَانِ فَنَزَلَ عَنْ حِمَارِهِ وَقَعَدَ لهُمَا إِلَى جَانِبِ حَائِطٍ وَنَظَرَ⁽¹⁾ بَيْنَهُمَا قَسَمَا [اِخْتِصَمَا]⁽²⁾ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ لِيَرْكَبَ، فَأَرَادَ أَحَدُهُمَا أَنْ يُمْسِكَ بِرَسَنِ الحِمَارِ حَتَّى يَرْكَبَ فَمَنَعَهُ أَبُو كَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمْسَكَهُ هُوَ⁽³⁾، وَهَذَا مِنْ مُحَاسِبَتِهِ لِنَفْسِهِ وَاجْتِهَادِهِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الحِكَايَةِ مَا يَذْكُرُ عَنْ غَوْثٍ⁽⁴⁾ بِنِ سَلِيمَانَ القَاضِي، وَهُوَ كَوْنُهُ أَقْبَلَ، وَهُوَ يَرِيدُ المَسْجِدَ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ السَّرَاجِينِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فِي مُحَفَّتِهَا [كَمَا قَدَمَتْ]⁽⁵⁾ مِنَ الرِّيفِ فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَظْلَمَتَهَا فَنَزَلَ فِي حَانُوتٍ مِنْ حَوَائِطِ السَّرَاجِينِ وَلَمْ يَبْلُغِ المَسْجِدَ فَكَتَبَ لَهَا بِحَاجَتِهَا ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ إِلَى المَسْجِدِ فَانصَرَفَتِ امْرَأَةٌ وَهِيَ تَقُولُ: أَصَابَتْ وَاللَّهِ أُمَّكَ حِينَ سَمَّيْتُكَ غَوْثًا⁽⁶⁾ أَنْتَ وَاللَّهِ غَوْثٌ عِنْدَ اسْمِكَ⁽⁷⁾. وَكَانَ أَبُو كَرِيبٍ يَرْكَبُ حِمَارًا بِسَنَدٍ وَرَسْنُهُ حَبْلٌ لِيَفِ.

قال: خَرَجَ أَبُو كُرَيْبٍ لِقِتَالِ الصُّفْرِيَّةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ القَيْرَوَانِ، إِذْ كَانَ الصُّفْرِيَّةُ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَنِسَائِهِمْ، فَقُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ شَهِيداً بِظَاهِرِ القَيْرَوَانِ، بِوَادِي [يَسْمَى وَادِي]⁽⁸⁾ أَبِي كُرَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ وَذَلِكَ جَوْفِي القَيْرَوَانِ عَلَى طَرِيقِ تُونِسِ.

قلت: هَذَا الكَلَامُ فِيهِ بَثْرٌ لِقَوْلِ المَالِكِي، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو كُرَيْبٍ قَاضِياً، حَتَّى ثَارَ عَاصِمُ بِنِ جَمِيلِ [الصُّفْرِي] ⁽⁹⁾ عَلَى حَبِيبِ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ حَبِيبٌ فَقَاتَلَهُمْ فَانْهَزَمَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ، فَلَمَّا سَارُوا⁽¹⁰⁾ إِلَى مَدِينَةِ القَيْرَوَانِ أَمَرَ أَبُو كُرَيْبٍ⁽¹¹⁾

(1) ت: وقضى.

(2) سقط من: ت.

(3) في الرياض: هو لنفسه 170/1.

(4) في ت و ط: عون. التصويب من الرياض 171/1، وفتوح مصر والمغرب ص: 269 و270، وفي صفحة 272 من كتاب فتوح مصر والمغرب: أن غوث بن سليمان ورد على القضاء، فلم يزل حتى توفي في جمادى الآخرة سنة 168هـ.

(5) ساقط من: ت.

(6) التصويب من: الرياض، وفتوح مصر والمغرب.

(7) الرياض: 171/1، فتوح مصر والمغرب ص: 272.

(8) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(9) في ط: الصفدي، التصويب من: ت، وهو الأرجح، نسبة للبربر الصفرية.

(10) في ت: سار، وفي الرياض: صار.

(11) في ت: كريب.

بقتالهم إذ كانوا يَسْتَحِلُّونَ سَفْكَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، واجتمع إليه من الناس ألف رجلٍ
وَتَخَاذَلَ الْبَاقُونَ من أهل القيروان، وَالتَّقُوا عَلَى الْوَادِي المعروف الْيَوْمَ بِوَادِي أَبِي
كُرَيْبٍ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، فَقَتِلَ أَبُو كُرَيْبٍ وَجَمِيعٌ مَن مَعَهُ.

قلت: هُوَ الْوَادِي المعروف الْيَوْمَ بِوَادِي السراويل على ظاهر هذا اللفظ،
وعرفني من أثق به، أنه رأى ذَلِكَ مَكْتُوباً فِي حَاشِيَةِ نُسخَةٍ عَتِيقَةٍ مِنَ الدَّبَاغِ.

قال: وكان قتلُ أبي كُرَيْبٍ سنة مائة وتسعة وثلاثين.

قلت: وقال: أبو بكر المالكي سنة [مائة وثلاثة وثلاثين]⁽¹⁾ وهو خلاف قوله
المتقدم استشهد سنة مائة وأربعين⁽²⁾ فتحصل ثلاثة أقوال.

70 - ومنهم [أبو أيوب]* عبد الرحمن بن زياد بن أنعم⁽³⁾ المعافري الشعباني
القاضي:

أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ فَتْحِ إِفْرِيْقِيَّةِ⁽⁴⁾.

قال: كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ذَا وَرَعٍ وَزُهْدٍ وَصَلَاحٍ
وَإِجَابَةِ دُعَاءٍ مَعَ تَفَنُّنٍ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ. يروى عن أبيه زياد بن أنعم⁽⁵⁾، عن
أبي أيوب، ويروي عن جماعة من التابعين منهم: أبو عبد الرحمن الحُبَلِي،
وعبد الرحمن بن رافع التُّوْخِي، وَبَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ. وروى عنه جماعة مِنْهُمْ سَفِيَانُ

(1) الوارد في كتاب الرياض للمالكي أن وفاته: سنة تسع وثلاثين ومائة 172 / 1.

(2) لقد سبق للمالكي ذِكْرُ وَفَاةِ أَبِي كُرَيْبٍ سنة 140 هـ ضمن ترجمة: أبو خالد عبد الرحمن بن
زياد بن أنعم. انظر الرياض 160 / 1.

(* في ت و ط: أبو البقا. التصويب من: ميزان الاعتدال 561 / 2، وتهذيب التهذيب 173 / 6.

(3) ترجم له في: رياض النفوس 152 / 1 - 162 رقم 67، الجرح والتعديل 234 / 5 رقم
1111، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 95 - 105، ميزان الاعتدال للذهبي 561 / 2 -
564 رقم 4866، تهذيب التهذيب 173 / 6، تقريب التهذيب 569 / 1 رقم 3876، حسن
المحاضرة 234 / 1، شذرات الذهب 240 / 1.

(4) قال المقرئ عنه: أنا أول من وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ فَتْحِ إِفْرِيْقِيَّةِ. تهذيب التهذيب 173 / 6.

(5) قال عنه ابن حبان البُسْتِي في كتابه الثقات: زياد بن أنعم الشعباني مصري ويروي عن أبي
أيوب الأنصاري، كان أصله من إفريقية، روى عنه ابنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم
الإفريقي، الأب ثقة، والابن ضعيف 151 / 2. وقال الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال: «مَا
حَدَّثَ عَنْهُ سِوَى وَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» 87 / 2.

الثوري، وابن لهيعة وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المبارك، ومن أهل القيروان عبد الله بن غانم القاضي والبهلول بن راشد وعبد الله بن أبي حسان، ومعاوية الضمادحي وغيرهم. وولي قضاء القيروان مرتين؛ إحداهما لمروان بن محمد الجعدي، والثانية ولأه أبو جعفر المنصور، لما وفد عليه مع شيوخ أهل القيروان متظلماً مستنصراً على البربر الصفرية، فلم يزل قاضياً إلى صدر من أيام يزيد بن حاتم. وكان قد وفد على هشام بن عبد الملك في بعض مهمات إفريقية، ثم وفد بعد ذلك على أبي جعفر المنصور فقال له المنصور: ألا تحمد الله الذي أراحك مما كنت ترى بباب هشام بن عبد الملك؟ فقال له: يا أمير المؤمنين ما من أمر كنت أراه بباب هشام إلا وأنا اليوم أرى منه طرفاً بالقيروان. وفي رواية أخرى قال له المنصور: كيف رأيت⁽¹⁾ ما وراء بابنا. قال: رأيت ظملاً فاشياً وأمرأ قبيحاً⁽²⁾. قال أبو جعفر لعله فيما بعد من بابي قال: بل كلما قربت استفحل⁽³⁾ الأمر، وغلظ. قال: ما يمنعك أن ترفع ذلك إلينا، وقولك عندنا مقبول. قال: رأيت السلطان سوقاً، وإنما يرفع إلى كل سوق ما ينفق فيها، فبكى لها أبو جعفر المنصور ثم قال: كأنك كرهت ضحبتنا؟ فقال: ما يدرك، المال والشرف إلا من ضحبتكم، ولكني تركت عجوزاً وإني أحب مطالعتها. قال: اذهب فإننا قد أذنا لك. ثم ولاه قضاء إفريقية. وفي رواية أخرى قال له المنصور: ما يمنعك من إتياننا؟ فقال: وما أضنع عندك إن أذنتني فتنتني، وإن أقصيتني أحرزنتني، وليس عندك ما أرجوه، ولا عندي ما أخافك عليه. فلما توجه عبد الرحمن إلى إفريقية، كتب إلى ولده وخاصة بلده هذه الأبيات:

وأين القيروان من العراق؟
وللخيل المضمرة العتاق
ومن يرجو لنا وله التلاق
وجدد بنا المسير إلى مزاق

ذكرت القيروان فهاج شوقي
مسيرة أشهر للعير نصا
فأبلغ أنعماً [وبني أبيه]⁽⁴⁾
بان الله قد خلا سبيلي

(2) في ميزان الاعتدال: وأعمالاً سيئة 2/ 563.

(1) في ت: رأيت ما رأيت.

(3) في ت: استعجل.

(4) في ت و ط: وابن لهيعة. التصويب من: الرياض 1/ 156، وطبقات علماء إفريقية وتونس

ص: 102.

وَمَزَاقُ فَحْصِ الْقَيْرَوَانَ⁽¹⁾، شهر بذلك، لأن السحاب يتمزق فيه.

قلت: وما ذكره من قوله وَمَزَاقُ فَحْصِ الْقَيْرَوَانَ، ليس هو بمبتكر⁽²⁾ له بتفسيره، بل هو لفظ المالكي. وَمَا زَالَتِ السُّحُبُ تَمَزَّقُ فِيهِ إِلَى الْآنَ فَاَلْمَعْتَمِدُ [فِيهَا]⁽³⁾ فِي الْحَرْثِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى السَّوَانِي⁽⁴⁾ [التي]⁽⁵⁾ يُسْنَى⁽⁶⁾ عَلَى بَثْرَهَا بِالذَّلْوِ، وَأَمَّا الْحَرْثُ فِي الْأَرْضِي⁽⁷⁾ الَّتِي تَأْتِي إِلَيْهَا الْوَدْيَانُ فَغَيْرُ مَأْمُونٍ، فَإِذَا جَاءَ زَرْعُهَا فِي عَامٍ طَيِّبٍ تَبَقَى أَعْوَامًا لَا يَجِيءُ فِيهَا زَرْعٌ طَيِّبٌ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ، فَيَفْتَقِرُ الْحَارِثُ فِيهَا، وَقَدْ خَسِرَتْ دَنَانِيرُ كَثِيرَةٍ بِسَبَبِ الْحَرْثِ فِيهَا مِرَارًا وَلَكِنْ أَصْلُ حَرْثِي إِنَّمَا هُوَ بِقَصْدِ الْآخِرَةِ فَأَنَا رَابِعٌ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

قال: ثم وَصَلَ عبد الرحمن إلى القيروان مع محمد بن الأشعث سنة أربع وأربعين ومائة. وَرُوي أَنَّ عبد الرحمن بن أنعم كان يقول: أَسْرَنِي الطَّاغِيَةُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي حَبْسِهِ إِذْ غَشِيَهُ عَيْدٌ فَبَعَثَ إِلَيْنَا بِأَصْنَافِ الطَّعَامِ وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِامْرَأَةِ الْمَلِكِ وَكَانَتْ نَفِيسَةً عِنْدَهُ فَمَزَقَتْ ثِيَابَهَا وَنَشَرَتْ شَعْرَهَا وَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: إِنْ الْعَرَبُ⁽⁸⁾ قَتَلُوا أَبِي، وَأَخِي، وَزَوْجِي، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِمُ الَّذِي رَأَيْتَ! فَغَضِبَ وَقَالَ: عَلَيَّ بِهِمْ، فَصِرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ سِمَاطِينَ فَأَمَرَ سَيَافًا أَنْ يَضْرِبَ [عُنُقًا]⁽⁹⁾ رَجُلٍ بَعْدَ رَجُلٍ، حَتَّى قَرِبَ الْأَمْرُ مِنِّي فَحَرَّكْتُ شَفْطِي وَقُلْتُ: اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا، ثَلَاثًا، وَأَبْصَرَ فِعْلِي فَقَالَ: قَدِّمُوا شَمَّاسَ الْعَرَبِ، يَرِيدُ عَالِمَهُمْ فَقَالَ لِي: مَا قُلْتَ: فَأَعْلَمْتَهُ [فَقَالَ لِي]⁽¹⁰⁾ وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمْتَهُ⁽¹¹⁾? فَقُلْتُ: نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَمَرَنَا بِهَذَا⁽¹²⁾ فَقَالَ: وَعَيْسَى أَمَرْنَا بِهَا⁽¹³⁾ فِي الْإِنْجِيلِ فَأَظْلَقَنِي وَمَنْ مَعِي. وَقَبْلَ فِدَاهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَوَلَاةُ قَضَاءِ إِفْرِيْقِيَّةِ.

(1) في الرياض: إفريقية 1/ 156.

(2) سقط من: ت.

(3) سقط من: ت.

(4) سقط من: ت.

(5) سقط من: ت.

(6) سقط من: ت.

(7) في ت: الأرض. بصيغة المفرد.

(8) سقط من: ت.

(9) في ت: علمت. التصويب من: ت.

(10) سقط من: ت.

(11) في ت: علمت. التصويب من: ت.

(12) سقط من: ت.

(13) سقط من: ت.

قال: وقال أبو عثمان حاتم بن عثمان المَعَاوِي: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنْعَمٍ وَهُوَ يَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ، وَالْكَأَبُ ظَاهِرَةٌ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ شَابٌّ وَمَعَهُ مِخْلَافَةٌ فِيهَا بَصَلٌ فَأَسْرَّ إِلَيْهِ كَلَامًا فَأَسْفَرَ وَجْهَهُ وَتَبَسَّمَ فَقَالَ لِغُلَامِهِ: جِئْنَا بِالْفُؤْلِ الَّذِي طَبَخْتُمُوهُ لَنَا الْبَارِحَةَ فَجَاءَ بِهِ فَقَالَ: أَقْرَبُ يَا أَبَا عَثْمَانَ، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: وَلَمْ أَظُنُّتَ ظَنًّا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا عَثْمَانَ، إِذَا رَأَيْتَ الْهَدِيَّةَ دَخَلْتَ دَارَ الْقَاضِي (1)، فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَانَةَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ كُؤَى (2) الدَّارِ لَيْسَ هُوَ هَدِيَّةً، إِنَّمَا هُوَ مَوْلَايَ أَتَى بِهَذَا الْبَصَلِ مِنْ ضَيْعَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ مَعْمُومًا، فَلَمَّا أَتَاكَ غُلَامُكَ هَذَا، تَطَلَّقْتَ وَتَبَسَّمْتَ وَأَسْفَرَ وَجْهَكَ فَقَالَ: إِنِّي أَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ بُعْدَ عَهْدِي بِالْمِصَابِ، فَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ سَقَطْتُ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا أَتَانِي هَذَا الْغُلَامُ، ذَكَرَ لِي أَنَّ أَكْفِي عَبِيدِي وَأَقَوْمَهُمْ بِضَيْعَتِي قَدْ تَوَفَّى، فَزَالَ عَنِّي بَعْضُ الْغَمِّ وَاسْتَرَحْتُ. وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَاضِيًا عَلَى الْقَيْرَوَانِ أَيَّامَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَالْأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ، وَعَمْرُو بْنُ حَفْصٍ وَصَدْرًا مِنْ إِمَارَةِ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ، فَعَزَلَ نَفْسَهُ. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ سَلِيمَانُ بْنُ عِمْرَانَ الْقَاضِي: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءِ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ وَكَانَتْ لَهَا خِصُومَةٌ عِنْدَ الْقَاضِي، فَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ حُكْمٍ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ فَأَخَذَتْهُ وَدَخَلَتْ بِهِ دَارَ يَزِيدٍ، فَقَالَ لَهَا يَزِيدٌ: مَا هَذَا؟ فَأَعْلَمَتْهُ فَأَخَذَهُ وَقَضَّ خَاتِمَهُ، فَصَاحَتْ الْمَرْأَةُ فَقَالَ لَهَا: لَا عَلَيْكَ أَنَا أَبْعَثُ إِلَيْكَ مُخْتَمًا فَلَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ قَالَ: لَا أُخْتِمُهُ حَتَّى تَعِيدَ الْبَيْنَةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ فَلَمَّا وَلَّى رَسُولُ يَزِيدٍ، أَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خَاتِمَهُ فَكَسَرَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا حَكَمْتُ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَبَدًا.

قلت: قال المالكي: ولما جرى له مع يزيد بن حاتم (3) ما جرى، تَرَكَ الْقَضَاءَ وَرَحَلَ إِلَى ثُونَسٍ وَلَمْ يَزَلْ مُعْظَمًا فِي صُدُورِ النَّاسِ، رَفِيعَ الْقَدْرِ عِنْدَهُمْ حَتَّى تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ.

قال: وتكلم الناس في نقله الأحاديث، فقال سَحْنُونُ بْنُ سَعِيدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثِقَّةً. وقال أبو عيسى الترمذي هو مُقَارِبُ الْحَدِيثِ. وَكَانَ يُقَوِّي أَمْرَهُ. وقال أبو

(1) في الرياض: من باب الدار 1/158. (2) في الرياض: كوة 1/158.

(3) اسم حاتم سقط من: ت.

عمر بن عبد البر: أهل مضر وإفريقية والمغرب يثنون عليه بالفضل والدين والعقل، وهم أعلم به من سواهم وتكلم فيه يحيى بن سعيد من أجل روايته لستة أحاديث أغرب بها لم يعرفها أحد من أهل العلم غيره⁽¹⁾.

قلت: ذكرها أبو العرب بإسناد عن البهلول بن راشد قال: سمعت الثوري يقول: جاءنا عبد الرحمن⁽²⁾ بستة أحاديث يرفعها إلى النبي ﷺ لم أسمع أحداً [من أهل العلم]⁽³⁾ يرفعها؛ حديث: «أمهات الأولاد»⁽⁴⁾، وحديث الصُدائي حين أذن قبل بلال، فأراد بلال أن يقيم، فقال النبي ﷺ: «إن أخا صداء قد أذن ومن أذن فهو يقيم»⁽⁵⁾. وحديث «إذا رفع الرجل رأسه من آخر سجدة فاستوى جالساً، فقد تمت صلاته [وإن أحدث]⁽⁶⁾» وحديث: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»⁽⁷⁾. وحديث «أغد عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك»⁽⁸⁾. فهذه الغرائب أخذ عليه المحدثون.

قال: ولد عبد الرحمن سنة أربع أو خمس وتسعين⁽⁹⁾ ببرقة والجند داخلون

- (1) كذا قال عنه النسائي: «إنه ضعيف». وقال الدارقطني: «ليس بالقوي»، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الثقات»، ويُدلس عن محمد بن سعيد المصلوب. وقال ابن عدي: عامة حديثه لا يتابع عليه. انظر ميزان الاعتدال 562/2.
- (2) المراد به: [عبد الرحمن بن زياد الإفريقي] طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 95.
- (3) ما بين المعقوفين لم يرد في طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 96.
- (4) «حديث أمهات الأولاد» أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب العتق، باب في عتق أمهات الأولاد، حديث (3954) برواية جابر بن عبد الله قال: «بغنا أمهات الأولاد على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، فلما كان عمر نهاراً فأنتهيناً». هذه الرواية رويت من طريق آخر.
- (5) انظر هذا بتفصيل في الرياض ضمن ترجمة زياد بن الحارث الصُدائي 88/1.
- (6) ما بين المعقوفين زيادة من طبقات علماء إفريقية ص: 96، والرياض 153/1.
- (7) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض حديث (2885) من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص.
- (8) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (5171) - 373/5 برواية عبد الرحمن بن أبي بكرة، وأخرجه أيضاً في المعجم الصغير حديث (786) ص: 63 ورد عنده باللفظ التالي: «أغد عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً أو مُجِباً، ولا تكن الخامسة، فتهلك». قال الهيثمي في الزوائد 122/1: «ورجاله موثقون».
- ملاحظة: لقد أسقطت من معالم الإيمان الحديث السادس وهو: «لا خيرَ فيمن لم يكن عالماً أو متعلماً» زدناه من الرياض 154/1، والطبقات لأبي العرب ص: 96.
- (9) في الطبقات لأبي العرب خمس وسبعين، أو ربع وسبعين ص: 99.

إفريقيّة، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة إحدى وستين ومائة، وعمره إحدى وتسعون عاماً. ودفن بباب نافع، وصلى عليه يزيد بن حاتم، ولما رأى يزيد بن حاتم جنازة ابن أنعم وكثرة الناس عليها قال متمثلاً:

يَا كَعْبُ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا أَبْتَكُرُوا إِلَّا وَلِلْمَوْتِ⁽¹⁾ فِي آثَارِهِمْ حَادِي⁽²⁾
وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَكَلَ سَمَكًا⁽³⁾ وَشَرِبَ عَلَيْهِ لَبَنًا فَأَصَابَهُ فَالِحٌ فَمَاتَ مِنْ
لَيْلَتِهِ.

قلت: ذكر المالكي: إن أكله ذلك على مائدة الأمير يزيد بن حاتم⁽⁴⁾، وكان يوحنا المتطبب حاضراً فقال: إن الشيخ يموت الليلة فلما كان في السحر سمعوا صيحة فليل ما هذه الصيحة؟ قيل مات عبد الرحمن⁽⁵⁾. وكان يزيد بن حاتم محموداً السيرة في ولايته وله مناقب مشهورة، فلذلك استخفت عبد الرحمن أكل طعامه على ورعه وفضله رحمة الله عليه⁽⁶⁾.

71 - ومنهم أبو عمران موسى بن علي بن رباح اللخمي من الفضلاء⁽⁷⁾:

قال: يرؤي عن جماعة من التابعين منهم والده علي بن رباح وغيره. روى عنه أكابر العلماء منهم: النيث بن سعد، وابن المبارك، وابن وهب. أضله من القيروان، وبها مؤلده. قال عبد الله بن كهيعة: قدم موسى بن علي بن رباح سنة عشرين ومائة، وافداً على هشام بن عبد الملك، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً ثقة، يخضب بالسواد. توفي موسى بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة.

(1) في ت: والموت. (2) في ت: صادر.

(3) في الرياض: جيتاناً ذرنية 160 / 1.

(4) هو أبو خالد يزيد بن حاتم المهدي حكم إفريقية، مات سنة 170 هـ. ترجم له في: العبر في

خبر من غير وسجل وفاته سنة 171 هـ. 201 / 1، والنجوم الزاهرة 83 / 2.

(5) في الرياض: عبد الرحمن القاضي 161 / 1.

(6) الرياض 162 / 1.

(7) ترجم لموسى بن علي بن رباح في: رياض النفوس 175 / 1 رقم 75 تاريخ الثقات ص:

444 رقم 1662، تاريخ خليفة بن خياط ص: 288، العبر في خبر من غير للذهبي 1 /

186، تهذيب التهذيب 363 / 10، تقريب التهذيب 226 / 2 رقم 7020، حسن المحاضرة

1 / 241، شذرات الذهب 1 / 258، نفع الطيب 8 / 3 رقم 4 ورد ضمن ترجمة أبيه: أبو

عبد الله علي بن رباح اللخمي، سير أعلام النبلاء للذهبي 7 / 411 - 412 رقم 153.

قلت: ذَكَرَ جَمِيعُهُ المَالِكِي.

72 - ومنهم أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي⁽¹⁾:

قال: كان فقيهاً ورعاً فاضلاً متواضعاً قليل الهيبة للملوك، لا يخاف في الله لومة لائم، مبيناً لأهل البدع، حافظاً للحديث والفقہ، وكان ربما غسل مَوْتَى الضُعَفَاء بيده.

قلت: سبق إلى هذا المالكي وزاد وَيَحْمِلُهَا عَلَى عُنُقِهِ، زاد غيره ويدخلها في قبرها وهذا غاية في التواضع لله تعالى.

قال: وكان النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ به ويجلسون له على طَرِيقِهِ إِذَا خَرَجَ، يَغْتَنِمُونَ مِنْهُ دَعْوَةً وَمَوْعِظَةً. سَمِعَ بِالمَشْرِقِ من أبي زكرياء بن أبي زائدة تابعي، ومن مالك بن أنس وسفيان الثوري، والأعمش، وهشام بن حسان، وابن جريج.

قلت: قال المالكي: وكان اعتماده على مالك لِكِنَّةٍ يَمِيلُ إِلَى طَرِيقِ النَّظَرِ والاستدلال فربما مال إلى قول أهل العراق لظهور صواب عنده يقال⁽²⁾: إِنْ مَوْلِدُهُ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ سنة خمس عشرة ومائة ثم سكن القيروان وَاسْتَوْطَنَهَا⁽³⁾ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ فَلَقِيَ فِيهِ العُلَمَاءَ، ثم رجع إلى إفريقية فأقام بها يُعَلِّمُ النَّاسَ العِلْمَ وَيُحَدِّثُهُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَعَ بِهِ كَثِيرٌ، ثم رحل إلى المشرق⁽⁴⁾.

قال: وكان عبد الله بن فروخ لما قدم على مالك يعني في الرَّحْلَةِ الثانية قام له مالك، وكان لا يفعل ذلك لكثير من الناس، فأجلسه إلى جنبه وقال: لَوْ عَلِمْتُ بِقُدُومِكَ لَأَتَيْتُ إِلَيْكَ⁽⁵⁾. وَجَعَلَ مَالِكٌ لَا تَرُدُّ عَلَيْهِ مَسْأَلَةً، وعبد الله حاضر إلا قال

(1) ترجمة عبد الله بن فروخ في رياض النفوس 1/ 176 رقم 77، تاريخ الثقات ص: 271 رقم 863، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 107، تهذيب التهذيب 5/ 356، تقريب التهذيب 1/ 522 رقم 3542. وفي التقريب أنه توفي سنة خمس وسبعين بعد المائة وله ستون سنة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي 4/ 239 رقم 3468 مؤسسة الرسالة الكاشف للذهبي 2/ 114 رقم 2936 وفيه أنه توفي سنة 175هـ، خلاصة تهذيب التهذيب الكمال في أسماء الرجال 2/ 104 رقم 3724.

(2) ت: يقول. والصواب ما أثبت من ط. وسياق الكلام.

(3) في ت، والرياض: وأوطنها 1/ 177.

(4) الرياض 1/ 177. (5) الرياض 1/ 179.

أَجِبُّ أَبَا مُحَمَّدٍ فِيجِيبَ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ يَقُولُ مَالِكٌ لِلْسَّائِلِ هُوَ كَمَا قَالَ [لَكَ] (1)، ثُمَّ التَّفَّتَ مَالِكٌ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: هَذَا فَقِيهُ الْمَغْرِبِ (2).

قلت: الموضوع الذي أَجْلَسَهُ فِيهِ مَوْضِعٌ يَقْعُدُ فِيهِ الْمَخْزُومِيُّ يُعْرَفُ لَهُ بِجَوَارِ مَالِكٍ لَا يَسْتَدْعِي مَالِكٌ أَحَدًا إِلَى الْقَعُودِ فِيهِ، وَهَذَا مَكَانَةٌ لِلْمَخْزُومِيِّ، وَمَكَانَةٌ لِابْنِ فَرُوحٍ، أَيُّهُمَا وَرَدَ أَجْلَسَهُ فِيهِ حِينَ وُرُودِهِ عَلَيْهِ، وَأَخْصَرَ مِنْ [ذَلِكَ] (3) قِيَامَ مَالِكٍ لَهُ [حِينَ قَدُومِهِ] (4) وَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَوْلِي الْفَضْلِ إِلَّا [أَهْل] (5) الْفَضْلِ.

قال: وَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بِأَبِي حَنِيفَةَ وَذَكَرَهُ وَكُتِبَ عَنْهُ نَحْوُ الْعَشْرَةِ آلَافٍ مَسْأَلَةً، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُدَوَّنَ كِتَابُهُ وَيُذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ فَسَقَطَتْ آجِرَةٌ مِنْ أَعْلَى دَارِهِ عَلَى رَأْسِي فَدَمِي فَقَالَ: اخْتَرِ إِنْ شِئْتَ أَرُشَ الْجِرْحِ (6) وَإِنْ شِئْتَ ثَلَاثُمِائَةَ حَدِيثٍ (7).

قلت: زَادَ الْمَالِكِيُّ: «وَفِي هَذِهِ السَّفَرَةِ لَقِيَ مَالِكٌ بِنَاسٍ وَسَمِعَ مِنْهُ وَتَفَقَّهُ، وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَبِصُحْبَتِهِ اشْتَهَرَ» (8). وَيُذَكَرُ أَنَّهُ نَاطَرَ زُفَرَ فِي مَجْلِسِ أَبِي حَنِيفَةَ فَازْدَرَاهُ زُفَرٌ لِلْمَغْرِبِيَّةِ فَلَمْ يَزَلْ ابْنُ فَرُوحٍ يَنَاطِرُهُ حَتَّى عَلَا عَلَى زُفَرَ وَقَطَعَهُ بِالْحُجَّةِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لَزُفَرَ: لَا خَقَّفَ اللَّهُ مَا بِكَ! مُعَاتَبَةٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ لِكَوْنِهِ اذْدَرَا [ابن] (9) فَرُوحٍ. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو مَيْمُونِ بْنِ عَمْرِو المَعْلُوفِ صَاحِبِ سَحْنُونٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو زَكَرِيَاءَ الْقَصِيرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحٍ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَكْثَرُ أَمْلِي السَّمَاعُ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ (10)، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ غَضِبَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَحَلَفَ أَنْ لَا يُسْمِعَهُمْ إِلَى وَقْتِ

(1) سقطت من: ت.

(2) الرياض 1/ 179. وفيه: هذا فقيه [أهل] المغرب.

(3) سقط من: ت. (4) سقط من: ت.

(5) سقط من: ت. (6) في ت: الجناية.

(7) الرياض 1/ 181. (8) الرياض 1/ 181.

(9) في ت: [بابن].

(10) هو سليمان بن مهران الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعشى أحد الأعلام الحفاظ

والقراء، مات سنة 148هـ عن أربع وثمانين سنة. ترجم له الذهبي في: العبر في خبر من غير

1/ 160 - 162، والكاشف 1/ 353.

كَذَا⁽¹⁾ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى دَارِهِ طَمَعًا أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، فَجَلَسْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِهِ وَأَنَا مُتَّفَكِّرٌ⁽²⁾ فِي غُرْبَتِي وَمَا حَرَمْتُهُ⁽³⁾ مِنَ السَّمَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ فَتَحَ الْبَابَ فَإِذَا بِجَارِيَةٍ⁽⁴⁾ فَقَالَتْ: مَا بِأَلْكَ عَلَى بَابِنَا؟ فَقُلْتُ: «أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ» وَأَعْلَمْتُهَا بِخَبْرِي فَقَالَتْ: وَأَيْنَ بِلَادِكَ؟ فَقُلْتُ: إِفْرِيْقِيَّة، فَاثْرَحْتُ إِلَيَّ وَقَالَتْ: أتعرف القيروان؟ فَقُلْتُ: من أهل القيروان أنا، فَقَالَتْ: لعلك تعرف دار ابن فروخ؟ فتأملتني ثم قالت: عبد الله؟ قلت: نعم، فإذا هي جارية كانت [لي وهي صغيرة]⁽⁵⁾ فصارت إلى الأعمش فقالت له: إن مولاي الَّذِي كُنْتُ أُخْبِرُكَ خَبْرَهُ بِالْبَابِ فَأمرها بِإِدْخَالِي وَأَسْكِنِي فِي بَيْتِ قُبَالَتِهِ فَكُنْتُ أَسْمَعُ مِنْهُ وَحَدِي وَقَدْ حَرَمَ سَائِرَ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ قَضَيْتُ أَرْبِي مِنْهُ⁽⁶⁾. وفي هذه السفرة قعد مع أبي حنيفة وقرأ عليه.

ذِكْرُ هُرُوبِهِ مِنَ الْقَضَاءِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

قال: عرض عليه رَوْحٌ⁽⁷⁾ بن حاتم القضاء فَأَبَى فَأَمَرَ أَنْ يُرْبَطَ وَيُضَعَدُ بِهِ عَلَى سَقْفِ الْجَامِعِ فَإِنْ هُوَ قَبِلَ وَإِلَّا طُرِحَ مِنْ أَعْلَاهُ فَلَمَّا ضَعِدَ بِهِ قِيلَ لَهُ أَتَقْبَلُ الْقَضَاءَ؟ قال: لا، فَأُخِذَ لِيُطْرَحَ، فلما رأى العزيمة عليه قال: قَدْ قَبِلْتُ، فجلس للناس ومعه حَرَسٌ فلما قعد في الجامع تَقَدَّمَ إِلَيْهِ خَضَمَانِ فَلَمَّا صَارَا إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَبَكَى وَطَالَ بَكَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُمَا: سَأَلْتُكُمَا بِاللَّهِ إِلَّا أَعْفَيْتُمَانِي مِنْ أَنْفُسِكُمَا وَلَا تَكُونَا أَوْلَى مَيْشُومِ عَلَيَّ فَرَحْمَاهُ وَقَامَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ الْخُصُومَ يُكَلِّمُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: «أَرْحَمُونِي بِرَحْمَتِكُمُ اللهُ»⁽⁸⁾. فاعلم الحرس رَوْحًا بِذَلِكَ، فقال: قولوا له أشر علينا بمن نُؤَلِّي فقال: إِنْ يَكُنْ أَحَدٌ فَعَبَدَ اللهُ⁽⁹⁾ بِنِ غَانِمِ فَإِنِّي رَأَيْتُ شَابًا لَهُ

(1) في الرياض: ذكره 180/1. (2) في الرياض: مُفَكِّرٌ 180/1.

(3) في ت و ط: حرمت. الإصلاخ من: الرياض 180/1.

(4) في الرياض: فخرجت جارية.

(5) في ت: [كانت من بلادنا وأرضعتني وأنا صغير وبعناها] كذا في الرياض 180/1.

(6) الرياض 180/1.

(7) هو: الأمير رَوْحُ بن حاتم بن قبيصة بن المهلب أحد القواد الكبار ولي إمرة الكوفة وغيرها. توفي سنة 164هـ. ترجم له في: سير أعلام النبلاء 441/7، والعبير في خبر من غير 205/1 كلاهما للذهبي.

(8) الرياض 183/1.

(9) في الرياض: فعبد الله [بن عمر] بن غانم 183/1.

صيانة فولي عبد الله بن غانم القضاء، فكان عبد الله بن غانم يشاوره في مسائل القضاء، فخاف عبد الله بن فروخ أن يتقلد أمور المسلمين، وطلب السلامة بأن يخرج من القيروان إلى الحج، فلما حج وعاد إلى مصر مات بها، فكانت لموته بمصر فجة عظيمة في قلوب أهل العلم وقالوا: رجونا أن يكون لنا خلفاً من النبي بن سعد، وكانوا يعظمونه ويعتقدونه لأمانته.

قلت: في كلامه بئر لزيادة المالكي بعد قوله يشاوره في مسائل القضاء فقال: ثم يا ابن أخي لم أقبلهما أميراً فأقبلها وزيراً. فألح عليه في ذلك ابن غانم وشدد عليه فخاف عبد الله بن فروخ إلى آخر ما فوقه وكان يقول: قلت لأبي حنيفة: ما منعك أن تلي القضاء؟ فقال: يا ابن فروخ: القضاء على ثلاثة أوجه. رجل يُحسِن العمام ويأخذ البحر طولاً، فما عسى أن يعوم يوشك أن يكل فيغرق، ورجل [لا يُحسِن العوم]⁽¹⁾ فعمام يسيراً فغرق، ورجل لا يُحسِن العوم فألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته، فهذا يمنعني من الدخول في القضاء⁽²⁾.

قلت: وهكذا كانت⁽³⁾ المتقدمون يهربون من القضاء لأنه دخول في عهدة عظيمة، إذ واجب عليه أن يسوي بين القوي والضعيف والشريف والمشروف، ويحكم بما أراه الله فلا تأخذه في الله لومة لأيم، وبالجملة فعلى قدر هروبهم منه تقرب أهل زماننا إليه بعضهم بالإشارة وبعضهم بالتلويح، وبعضهم بالتصريح، وأقبح منه معرفة حاشية السلطنة بذكره لسلطانهم، ورأيت في زماننا من يرشي عليه [من يُقبل]⁽⁴⁾ قوله عند من له النظر من أمير المؤمنين وقاضي الجماعة، ولئن طال الأمر هكذا أخاف أن يقع أقبح من هذا، فهذه مصيبة أصيب المسلمون بها لكونه صار يقدم على الناس من لا يرضى بتلبيس⁽⁵⁾ من لبس على أمير المؤمنين، والواجب عليه أن لا يقدم إلا أصلح الناس، ومن إذا امتنع أجبر.

ذكر بقية أخباره:

كان ابن فروخ لا تأخذه في الله لومة لأيم.

(1) في الرياض: [لا بأس بعومه] 184/1. (2) الرياض 184/1.

(3) في ط: كانت. التصويب من: ت وهو الصواب.

(4) في ت: يُقبل. (5) في ت: يتلبيس.

قال: بَعَثَ إِلَيْهِ يَوْمًا يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ يَسْأَلُهُ عَنِ دَمِ الْبِرَاغِيثِ فَقَالَ بِحَضْرَةِ رَسُولِهِ يَسْأَلُونَنَا عَنْ دَمِ الْبِرَاغِيثِ، وَلَا يَسْأَلُونَنَا عَنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي تُسْفِكُ⁽¹⁾.

قلت: في كلامه بَشْرٌ لَيْسَ فِي كَلَامِهِ⁽²⁾ مَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ بِدَمِ الْبِرَاغِيثِ. وفي نقل المالكي أول ما أَجَابَ السَّائِلُ بِأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ بِهِ ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُوحٍ يُصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ فِي بَابِ نَافِعٍ، فَرَأَى إِسْحَاقَ [ابن الأمير يزيد بن حاتم]⁽³⁾ وَقَدْ أَغْرَى كِلَابَهُ بِطَبِي لِيُضْرِبَهَا فَنَهَشَتْهُ وَمَزَّقَتْ جِلْدَهُ فَلَمَّا أَنْصَرَفَ مِنَ الْجَنَازَةِ لَقِيَهُ ابْنُ فَرُوحٍ فَوْقَ لَهُ إِسْحَاقُ فَقَالَ لَهُ: يَا بَنِي إِبْنِي رَأَيْتُكَ أَنْفًا تَغْرِي بِكِلَابِكَ بِشْيءٍ مِنَ الْبِهَائِمِ وَمَا أَحَبُّ لَكَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ وَقَالَ ابْنُ قَادِمٍ: خَرَجَ ابْنُ فَرُوحٍ يَوْمًا مِنَ الْجَامِعِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَمَرَّ فِي زُقَاقِ ابْنِ غَانِمٍ فَنَظَرَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ غَانِمِ الْقَاضِي، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْقَضَاءِ وَنَظَرَ إِلَى غُرْفَةٍ مَبْنِيَةِ بِالطُّوبِ⁽⁴⁾ عَلَى بَعْضِ دَارِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَرَدَّدَ النَّظَرَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ غَانِمٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبْلُغُ بِكَ الْأَمَلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا كَلَهُ؟ وَأَقْبَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَيَسْتَعْظِمُهُ.

قال: رَوَى سَحْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَرُوحٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ غَانِمٍ اِخْتَلَفَا فِي مِسْأَلَةٍ فَقَالَ ابْنُ فَرُوحٍ: لَا يَنْبَغِي لِلْقَاضِي إِذَا أَوْلَاهُ⁽⁵⁾ أَمِيرٌ غَيْرُ عَدْلٍ أَنْ يَلِي الْقَضَاءَ، وَقَالَ ابْنُ غَانِمٍ: يَجُوزُ أَنْ يَلِي، وَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ غَيْرَ عَدْلٍ. فَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَقَالَ مَالِكٌ لِلرَّسُولِ: أَصَابَ الْفَارِسِيُّ وَأَخْطَأَ الَّذِي يَزْعَمُ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ غَانِمٍ.

قلت: في كَلَامِهِ بَشْرٌ لِأَنَّ الرَّسُولَ لَمَّا وَصَلَ إِلَى مَالِكٍ وَجَدَهُ عَلَى ذِكَاةٍ فِي مَرْتَفَعَةٍ كَثِيرَةِ الِارْتِفَاعِ، وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَقَعَدَ حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ مَالِكٌ فَقَالَ لِلرَّسُولِ⁽⁶⁾: وَلِي ابْنُ غَانِمٍ فَقَالَ الرَّسُولُ⁽⁷⁾ نَعَمْ فَقَالَ مَالِكٌ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]. فَالْأَهْرَبُ فَالْأَفْرَحِيُّ حَتَّى تَقْطَعَ

(1) الرياض 1/ 184.

(2) ت: نقله.

(3) ما بين المعقوفتين في ط: إسحاق بن يزيد. التصويب من: ت، والرياض 1/ 184.

(4) في ت: ولأه.

(5) في ت: الطرف.

(6) في ت: الرجل.

(7) في ت: للرجل.

يَدُهُ. ثم قال: أصاب الفارسي، إلى آخر ما تقدم والصَّوَابُ عِنْدِي ما قاله ابن غانم، لأنَّهُ لو لم يقبل القضاء من الأمير الغير عدل مع عدم معرفته للعلم، أو يقدم على الناس من لا يصلح فالواجب قبول القضاء منه لارتكاب أَخْف الضررين ولذلك كان المشهور من المذهب وَجُوبُ الْجِهَادِ مع وِلَاةِ الْجُورِ لأنه لو لم يجاهد معه يُؤدِّي إلى استئصال المسلمين وغلبة الكفار عليهم. وكان أَبُو عمرو البهلُول بن راشد يقلد ابن فروخ ويسأله عما لا يعلمه⁽¹⁾ حدَّث أبو محمد عبد الله بن سعيد الحداد عن أبيه، قال: حدثني مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قال: خرج البهلُول بن راشد ذات يَوْمٍ مع أصحابه قد غطى خَنْصَرَهُ بِكَفِّهِ⁽²⁾ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَسْرَّ إِلَيْهِ كَلَامًا دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ ثُمَّ انصَرَفَ الرَّجُلُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَكَلِمَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَأَزَالَ الْبَهْلُولُ كَفَّهُ عَنْ⁽³⁾ خَنْصَرَهُ وَجَعَلَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْنِي مِمَّنْ ابْتَدَعَ بَدْعَةَ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ حَدِثِ الْقَوْمَ بِمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أُرْسَلَنِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحٍ أَسْأَلُهُ هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ إِذَا وَصَّى بِحَاجَةٍ رَبَطَ فِي خَنْصَرِهِ خَيْطًا؟ فَتَوَجَّهْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: نَعَمْ. كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَفْعَلُهُ فَقَالَ الْبَهْلُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ أَهْلِي سَأَلُونِي فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ فَرَبَطْتُ فِي خَنْصَرِي خَيْطًا لِأَذْكَرَ حَاجَتَهُمْ ثُمَّ خِفْتُ أَنْ أَكُونَ ابْتَدَعْتُ بَدْعَةَ فِي الْإِسْلَامِ⁽⁴⁾.

قال: وكان عبد الله بن فروخ يرى الخروج على أئمة الجور.

قلت: هذا الكلام فيه بَثْرٌ لِشَرْطِهِ، إِذَا كَانُوا عَلَى عِدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ. وَذَكَرَ أَنَّهُ وَاعَدَ قَوْمًا لِلْقِيَامِ عَلَى مَنْ يَكُونُ⁽⁵⁾ فِي زَمَانِهِ فِي مَكَانٍ فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ فَلَبَسَ آلَاتَ الْحَرْبِ وَأَتَى الْمَكَانَ فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ⁽⁶⁾ فَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَخَرَجَ الشُّيُوخُ يُودِّعُونَهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنِّي كُنْتُ أَقُولُ بِجَوَازِ الْخُرُوجِ عَلَى أئِمَّةِ الْجُورِ وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ.

(1) في ت: لا يعرفه.

(2) في الرياض: بكمه 1/ 182.

(3) في ط: من. التصويب من: ت، والرياض 1/ 182.

(4) الرياض 1/ 182.

(5) سقط من: ت.

(6) سقط من: ت.

قال: وَمَنَاقِبُهُ شَهِيرَةٌ وَتُوفِي بِمِصْرٍ وَدُفِنَ [بِالْمُقَطَّمِ] ⁽¹⁾ الْمَعْظَمِ سِتَّةَ سِنِينَ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً.

قلت: وَقِيلَ تُوْفِي سِنَةً خَمْسَ ⁽²⁾ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً وَقِيلَ ⁽³⁾ إِنَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سِنَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرِهِ مِنَ الْحَجِّ. قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ فَرُوحٍ سِنَةً سِتَّةَ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً بَعْدَ مَوْتِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدِ فَرَجُونَا أَنْ يَكُونَ خَلْفًا مِنْهُ فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ وَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَحْضِرَ جَنَازَةً حَتَّى أَقِفَ عَلَى قَبْرِهِ أَدْعُو لَهُ [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى] ⁽⁴⁾.

73 - وَمِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زُحْرِ الْكِنَانِيِّ ⁽⁵⁾:

قال: كَانَ فَاضِلًا صَالِحًا، مَوْلِدُهُ بِإِفْرِيقِيَّةَ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ شُيُوخِهَا. يَرُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ التَّجِيبِيِّ، وَعَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ التُّونِسِيِّ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَأَخَذَ عَنِ الْأَعْمَشِ، وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ. سَمِعَ مِنْهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَرَقَبَةَ بْنَ مَصْقَلَةَ وَخَلَادَ ⁽⁶⁾ [الصَّفَّارَ] ⁽⁷⁾ وَلَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ ⁽⁸⁾. [وَيَحْيَى بْنُ] ⁽⁹⁾ أَيُّوبَ وَالْفَضْلَ بْنَ أَبِي فِضَالَةَ قَالَ أَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ [ابْنُ نَصْرِ] قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ⁽¹⁰⁾ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ

(1) سقط من: ت. (2) في ت: ست.

(3) في ت: قلت. (4) زيادة من: ت.

(5) له ترجمة في: رياض النفوس 174/1 رقم 74، الجرح والتعديل 315/5 رقم 1499، تاريخ الثقات ص: 316 رقم 1054، تهذيب التهذيب 12/7، تقريب التهذيب 1/632 رقم 4306، الكاشف 218/2 رقم 3581، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي 2/233 - 234 رقم 4545، الإكمال لابن ماكولا: 4/178 - 179. قال ابن المديني: عبید الله بن زحر منكر الحديث. الجرح والتعديل 315/5.

(6) في ت: خالد. والصواب كما في ط: خلاد، وهو المثبت في مراجع مترجميه.

(7) في ت و ط: الصَّهَّار. والصواب ما أثبتناه من الكاشف 1/24، وخلاصة الخزرجي 1/321. وخلاد بن أسلم الصَّفَّار أبو بكر البغدادي مَرُوزِي الأصل وثقه الدارقطني توفي بسامرا سنة 249هـ.

(8) الليث بن أبي سُلَيْمٍ الكوفي قال أحمد: مضطرب الحديث ولكن حدث عنه الناس وقال يحيى والنسائي: ضعيف، وقال ابن معين: لا بأس به. ميزان الاعتدال 3/420.

(9) في ت و ط: ليث بن أبي أيوب. والعوام ما أثبتناه من: ميزان الاعتدال 4/362، والكاشف 3/237.

(10) في ت و ط: سويد بن عبد الله بن مالك. التصويب من جامع الترمذي.

زُحْرِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ [أَوْلِيَائِي]»⁽¹⁾ عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ» ثُمَّ نَفَضَ⁽²⁾ [رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً]⁽³⁾ بِيَدَيْهِ⁽⁴⁾ فَقَالَ: عَجَلْتُ مَنِيَّتَهُ قَلْتُ بَوَاكِيهِ قَلَّ تَرَاتُؤُهُ⁽⁵⁾.

قلت: جميعه لفظ المالكي إلا أنه لم يذكر الترمذي. وقال مما يتصل بنا عن عبد الله إلى آخره.

قال: وبهذا الإسناد عن أبي أمامة عن عُثْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمَلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعُكَ بَيْتَكَ وَأَبُوكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»⁽⁶⁾.

74 - ومنهم أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي⁽⁷⁾:

قال: كان من أهل الفضل والدين والعبادة والزهد روى عنه ابن وهب، وإدريس بن يحيى. وروى سليمان بن سالم قال: قال سحنون: كان أبو عيسى اليحصبي رجلاً صالحاً ناسكاً وكان لا ينام أكثر ليلته لشغله بصلاته وإقباله على مناجاة ربه⁽⁸⁾. وعن زياد بن سفيان، قال: سرق رجل حمار أبي عيسى فكان أبو عيسى يقول في دعائه: اللَّهُمَّ وَصَاحِبَ الْحِمَارِ وَتَبَّ عَلَيْهِ، قال: فلما كان بعد ذلك

(1) في ت و ط: والرياض 1/174: «الناس» التصويب من جامع الترمذي.

(2) في بعض نسخ الترمذي: «نفض».

(3) ما بين المعقوفين لم يرد في جامع الترمذي.

(4) في الرياض: بإصبعه، وفي جامع الترمذي: بإصبعيه.

(5) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير كتاب أبواب الزهد، 35 باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه حديث (2347) 4/168 دار الغرب الإسلامي، ودار الجيل بيروت ط II س 1998. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وفي سننه علي بن يزيد يضعف في الحديث وأخرجه أيضاً الضيراني في المعجم الكبير حديث (7829) 8/205، والحاكم في المستدرک 4/123 من كتاب الأظعمة، باب النهي عن التكلف للضيف.

(6) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان حديث (2414) 4/182. وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده 5/306 رقم (22298).

(7) ترجم له في: طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 154 - 155، والرياض 1/194 رقم 81.

(8) الرياض 1/194.

أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ فقال: والله سارق الحمار فاجعلني في جِلٍّ وَهَذَا حِمَارُكَ⁽¹⁾. وعن سعيد الأدم [عن سكن الناظر]⁽²⁾ قال: كُنْتُ مَعَ أَبِي عَيْسَى مَرْوَانَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ وَكَانَ يُقَالُ إِنَّهُ مُجَابِبُ الدَّعْوَةِ فَأَخْرَجَ دِينَارًا لِيَشْتَرِيَ بِهِ طَعَامًا فِي سَنَةِ مَجَاعَةٍ وَشِدَّةٍ فَلَقِيَّ سَائِلًا يَقُولُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245]. فقال في نفسه: «لك ثلثه» قال فجاءه إبليس فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ وَقَالَ [مَا]⁽³⁾ عَيْسَى أَنْ يَقَعَ مِنْكَ ثُلُثَاهُ فِي هَذَا الْغَلَاءِ؟ فَأَرَادَ أَنْ يُرْغِمَ الشَّيْطَانَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَكَ ثُلُثَاهُ فَجَاءَهُ إبليس فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ وَقَالَ: مَا عَيْسَى أَنْ يَقَعَ مِنْكَ ثَلَاثَةٌ فَأَعْطَاهُ الدِّينَارَ لَهُ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى جِرَابِهِ فَمَلَأَهُ نُشَارَةً ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ وَالْقَاهُ إِلَيْهَا وَمَضَى إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَقَامَ فِيهِ⁽⁴⁾ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ أَقَامَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ عِيَالَهُ قَدْ نَامُوا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى [عِيَالِهِ]⁽⁵⁾ فَرَأَى آثَارَ النَّارِ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا أَبَا عَيْسَى لَقَدْ جِئْتَ الْيَوْمَ بِحَوَارٍ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: يَا سَكْنَ النَّازِرُ: تَعَالَى حَتَّى أَطْعِمَكَ طَعَامًا لَمْ يَزْرَعَهُ زَارِعٌ وَلَمْ يَحْصُدْهُ حَصَادٌ⁽⁶⁾.

قلت: هذا لفظ المالكي وزاد وعن يحيى بن يعمر، قال: حدثني أبو الربيع سليمان بن داود أخي [رشيد بن سعيد]⁽⁷⁾ قال: قدم ابن الخنّاق الإسكندرية بمراكب قمح فاستبشّر لها أهل الإسكندرية وفرحوا بها فلما وصل بها خزنها فحزن الناس لذلك وأتوا إلى أبي عيسى مروان الناسك، فقالوا: يا أبا عيسى نحن في ثغر من ثغور المسلمين وقد قدم ابن الخنّاق بطعام فاحتكره علينا. فلما صلى العصر وفرغ من دُعَائِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا قَدِمَ عَلَيْنَا بِمَرَكَبٍ مَوْسُوقَةٍ كَأَنَّهَا إِبِلٌ مَنْطَرَةٌ⁽⁸⁾، زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَبِيعُ الطَّعَامَ إِلَّا بِكَذَا وَكَذَا اللَّهُمَّ فَبِعْهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرَادِبٍ وَخَمْسَةَ أَرَادِبٍ. قَالَ: أَبُو الْأَصْبَغِ وَأَخْبَرَنِي مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُبَاعُ إِلَى آخِرِ مَا انْتَهَى عَلَيْهِ دُعَاءُ أَبِي عَيْسَى⁽⁹⁾.

(1) الرياض 1/ 195.

(2) ما بين المعقوفتين في الرياض: [سكر الناظرين] 1/ 195.

(3) سقط من: ت. (4) في ت: به.

(5) في ت: داره، وفي الرياض 1/ 196 [منزله].

(6) الرياض 1/ 196 وفيه: لم يحصده [حاصد].

(7) في الرياض [رشدين بن سعد] 1/ 195.

(8) في ت: مقطوعة، وفي الرياض: مقطورة 1/ 195.

(9) الرياض 1/ 195.

75 - ومنهم أبو حفص عمر بن عبد الله الفَتَّال⁽¹⁾ :

قال: كان من الأبدال. قال أبو بكر المالكي: كان جعل على نفسه أن لا يضحك أبداً، ولا ينام مضطجعاً، ولا يأكل سميناً، فما رُئي ضاحكاً ولا مضطجعاً، ولا آكلاً⁽²⁾ سميناً حتى مات⁽³⁾.

قال: قال عبد الله بن الوليد أصاب الناس ريح وظلمة فخرج الناس إلى الجامع فوجدوه ساجداً وهو يبكي ويقول في سجوده: اللهم احفظ محمداً في أمته ولا تسمت بنا أحداً من الأمم وإن كنت أخذت القوم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك⁽⁴⁾. فلم يزل كذلك حتى سكن الريح وانجلت الظلمة.

قلت: ذكر المالكي أنه قال: تُروى هذه الحكاية عن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وهي⁽⁵⁾ بالأبدال أولى بها من غيرهم وله فضائل جمّة. قال المالكي: وكان يقول: «اللهم إن كنت تعلم أنني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى وجهك الكريم فأبحنه مرة في الجنة واضنع بي ما شئت»⁽⁶⁾.

76 - ومنهم أبو يزيد رباح بن يزيد بن رباح اللخمي⁽⁷⁾ :

قال: سمع رباح من الأوزاعي ومن سفيان. وروى عنه أبو خارجة الغافقي.

ذُكرُ ثناء العلماء عليه :

قال: كان من الأبدال، صالحاً قاضياً زاهداً مُستجاباً مشهوراً بذلك، وبه كان يضرب المثل في زهده وعبادته، غزير الدمعة، كثير الإشفاق والخشية. وله كرامات مشهورة. وقال أبو العرب بن تميم: حدثنا سليمان بن سالم، قال: حدثنا داود بن [يحيى]⁽⁸⁾ قال: حدثنا موسى بن معاوية قال: حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن

(1) ترجمة عمر بن عبد الله الفَتَّال في: رياض النفوس 1/ 197 رقم 83.

(2) في ت: ولا أكل. (3) الرياض 1/ 197 - 198.

(4) الرياض 1/ 198. (5) في ت: وهم.

(6) الرياض 1/ 198.

(7) ترجمة رباح بن يزيد في: رياض النفوس 1/ 300 رقم 118، طبقات علماء إفريقية وتونس

ص: 118 - 126.

(8) في ت و ط: محرّف إلى عيسى. التصويب من الطبقات ص: 120.

يزيد المقرئ قال: رأيت أربعة⁽¹⁾ فما رأيت في الدنيا مثلهم، رأيت ابن عون⁽²⁾ بالبصرة فما رأيت مثله ورأيت سفيان الثوري بالكوفة فما رأيت مثله، ورأيت الأوزاعي بالشام. فما رأيت مثله، ورأيت رباح بن يزيد [بإفريقية]⁽³⁾ فما رأيت مثله⁽⁴⁾. وقال سحنون بن سعيد: كان البهلول بن راشد ورباح بن يزيد فكان الذكر لرباح فلما مات رباح كان الذكر للبهلول.

ذِكْرُ كَرَامَاتِهِ:

قال: روى السري الزاهد قال: بينما رباح بن يزيد على أتان له في سفر إذ غشيت السلاية، فأخذوا الأتان ونزعوا ثيابه ولم يتركوا عليه إلا ثوباً واحداً ثم ذهبوا فمال رباح إلى موضع فأحرم بالصلاة فبينما هو يصلي إذ أظلمت السماء فلم ير السلاية أين يتوجهون، فأقبلوا إليه وهم لا يعرفونه، فوجدوه قائماً يصلي فقعدهوا خلفه فلما طوّل قالوا له اختصر صلاتك يا عبد الله فقد ترى ما نزل بنا وما نحن فيه وما نحسب ذلك، إلا من أجلك فسلم ثم التفت إليهم وقال: ما تريدون منا نزعتم ثيابي وأخذتم أتان⁽⁵⁾ قال: فردوا عليه ثيابه وإتانه فانجلت عنهم تلك الظلمة فسأله بالله أن يخبرهم من هو وأكبوا عليه فقال لهم رباح بن يزيد: وروى أبو بكر محمد بن اللباد شيخ جماعة أهل السنة بالقيروان رحمة الله تعالى عليه، عن سعيد بن إسحاق الكلبي قال: حَدَّثَنِي الْبَهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ، فَأَتَى رَجُلٌ خُرَّاسَانِي يَسْأَلُ عَنْ رِبَاحِ بْنِ يَزِيدٍ فَقُلْتُ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ وَأَيْنَ عَرَفْتَهُ؟ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَى عَلِيَّ بْنَ زَمْرَمٍ، وَقَدْ اسْتَقَى مِنْهُ عَسَلًا فَشَرِبَ وَسَقَانِي، فَلَمَّا أَتَى رِبَاحَ أَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ الْخُرَّاسَانِي⁽⁶⁾ فَكَرِهَ ذَلِكَ وَغَضِبَ⁽⁷⁾. وَرُوِيَ أَنَّ رِبَاحًا كَانَ عِنْدَهُ أَجْرَاءٌ حَصَّادُونَ [فَعَمِلَ لَهُمُ الْغَدَاةَ] وَكَسَّرَ لَهُمُ الْخُبْزَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ عِنْدَنَا لَبْنٌ عَمَلْنَاهُ لَهُمْ!» وَكَانَتْ عِنْدَهُ قَرْيَةٌ مَمْسُوءَةٌ

(1) في ط: أربعا. التصويب من: ت، والطبقات ص: 120.

(2) عبد الله بن عون محدث كبير مات سنة 151هـ. ترجم له في طبقات الحفاظ ص: 82.

(3) في ط: بالقيروان. التصويب من: ت، والطبقات ص: 121، والرياض 301/1.

(4) الطبقات ص: 121، الرياض 301/1.

(5) في ت: حماري. (6) في ت: قال.

(7) في ط: وَقَطَّبَ. التصويب من: ت. ولعله هو المناسب.

بالماء، فصَبَّ منها ثَبناً على الخبز، وقدم ذلك إليهم ثم قام إلى القربة ليتوضأ منها للصلاة، فصَبَّ منها ماء فتوضأ للصلاة»⁽¹⁾.

وقال عبد الرحمن بن بكار: حدثنا البهلول بن راشد قال: قلت لرباح: يا أبا يزيد إن الناس قد أكثروا عليك في أمر اللبَنِ، فقال: ما يُعجبك من هذا؟ فقال: والله إن لي اثنتي عشرة سنة ما خِفْتُ أحداً غير⁽²⁾ الله. قال البهلول: فصغرت⁽³⁾ إلي نفسي وقلت: «يا بهلول، أنت تخاف الناس⁽⁴⁾ وهذا رباح لا يخاف أحداً إلا الله عز وجل!» وقال أبو بكر [الحفري]⁽⁵⁾، ذهبنا إلى رباح فقيل: إنَّه في الفحص فخرجنا إليه فوجدناه جالساً وبين يديه غدير ماء وهو يتوضأ ولم يبق من وضوئه إلا غسل رجلَيْه وهما في الماء فلما رفع رجليه من الماء فأتينا إليه فلم نجد عنده ماءً ولا أثر ماء⁽⁶⁾. وقال سعيد بن محمد بن لحداد رحمه الله تعالى: كان لرباح بن يزيد صديق وكانت له بنتٌ مُتَعَدَّةٌ فسألته أن يزوجهَا له ففعل، فلما دخل عليها أخذ بيدها ثم قال [لها]⁽⁷⁾: قومي بإذن الله عز وجل، فقامت صحيحةً تمشي، ثم قام إلى موضع في البيت فصلى فيه إلى الصبح ثم خرج وخلقى سبيلها ولم يكن به إلى النكاح حاجة، ولقد كان سألته رجل من أملياء أهل القيروان أن يزوجه ابنته وكان لها مال عظيم فامتنع رباح من ذلك، وإنما تزوج هذه من أجل الدَّعْوَةِ.

قلت: ظاهر الحكاية إنَّه لم يدع لها وإنما هو أخذ بيدها وقال لها⁽⁸⁾ قومي بإذن الله فهي كرامةٌ له دون دعاءٍ وحملها المالكي على حمل الشيخ لها لإردافه ذلك بقوله ونظير ذلك، أن ابن المبارك مرَّ بإنسانٍ مُتَعَدِّدٍ، ثم مرَّ به بعد ذلك وهو صحيحٌ

(1) ما بين المعقوفتين في ت وط: ورد كلام متداخل عنده السعني. ولهذا قمنا بتصحيحه اعتماداً على الرياض 1/ 305.

(2) في الرياض: إلا 1/ 305. (3) في الرياض: فتصاغرت 1/ 305.

(4) سقط من ت.

(5) في ت وط: الخيرو، والصواب: الحفري. كما ورد في الطبقات ص: 121 واسمه عبد الله بن أبي زكرياء. وسمي بالحفري لأن داره كانت على حفرة بدرج أم أيوب. الطبقات ص: 174.

(6) الطبقات ص: 121. (7) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت.

(8) سقط من: ت.

يَمْشِي فَسَأَلَهُ [عَنْ ذَلِكَ] ⁽¹⁾ فَقَالَ: مَرَّ بِي إِنْسَانٌ لَا أَعْرِفُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ وَقَالَ [لِي] ⁽²⁾ أَلَا ⁽³⁾ تَدْعُو اللَّهَ وَتَسْأَلُهُ الْعَافِيَةَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَقُولُ فِي دَعَائِي؟ فَقَالَ: قُلْ فِي دُعَائِكَ:

[مَا يَدْعُو بِهِ الْمَكْرُوبُ]

«اللَّهُمَّ كَمْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِنِعْمَةٍ قَلَّ شُكْرِي لَكَ عَلَيْهَا، وَكَمْ ابْتَلَيْتَنِي بِبَلِيَّةٍ قَلَّ صَبْرِي لَكَ عَلَيْهَا فَيَا مَنْ لَا يُؤَاخِذُ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ عَلَيَّ نِعْمِهِ وَلَا بِقِلَّةِ الصَّبْرِ عَلَيَّ بِلَائِهِ، اكْشِفْ ضَرْيِي، وَفَرِّجْ عَنِّي فَدَعَوْتُ بِذَلِكَ فَصِرْتُ إِلَى الْعَافِيَةِ» ⁽⁴⁾.

ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَخْبَارِهِ:

قال: روى الشيخ سعيد بن محمد بن الحداد رحمه الله تعالى [قال] ⁽⁵⁾ كانت لرباح جارية فذهبت تستسقي لهم ماء فأبطأت فقام رباح في طلبها فوجدها قد وضعت جرتها إلى جنبها وهي نائمة فأخذ كساءه فوضعه تحت رأسها، وأخذ جرتها وحملها ثم رجع فجلس عند رأسها حتى انتبهت من نومها فلم تر الجرة ورأت رباحاً فارتعدت فجعل يقول لها: أنت حررة أنت حررة لتأمن [عن] ⁽⁶⁾ نفسها بعنتها.

قلت: وفي نقل أبي بكر التَّجِيبي عنه لهذه الحكاية، أن الجارية اسمها زيادة.

قال: وقال بعضهم: حضرْتُ جَنَازَةً مَعَ رَبَاحِ بْنِ يَزِيدٍ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي أَزْمَةٍ شَدِيدَةٍ وَضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ، فَنَظَرْتُ إِلَى رَبَاحٍ زَوَّجَهُهُ يَتَهَلَّلُ فَكَادَ يَضْحَكُ مِنْ الْبِشْرِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَشَفَ ذَلِكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَارُوا إِلَى رِخَاءٍ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ فِي جَنَازَةٍ أُخْرَى، فَنَظَرْتُ [إِلَيْهِ] ⁽⁷⁾ كَثِيباً حَزِيناً يَكَادُ مِنْ شِدَّةِ حُزْنِهِ يَبْكِي فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيْنَ هَذِهِ الْحَالَةُ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ ⁽⁸⁾ فِيهَا؟ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَسْأَلَنَّكَ فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَوْ فَطَنْتَ لِي؟ فَقُلْتُ: كُلُّ أَمْرِكِ قَدْ رَاعَيْتَهُ فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ! كُنَّا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَنَحْنُ دَاعُونَ رَاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ذَاكِرُونَ.

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(2) سقط من: ط، الزيادة من: ت، والرياض 305 / 1.

(3) في الرياض: لما لا تدعو 305 / 1. (4) الرياض 305 / 1.

(5) في ط: قد، التصويب من: ت. (6) في ت: على.

(7) في ت: إلى رباح. (8) في ت: كنت.

وَعِيَالُنَا وَصِبْيَانُنَا كَذَلِكَ، وَأَنْتَ تَرَى الْيَوْمَ غَفَلَتْنَا وَطُولَ سَهْوِنَا، وَقِلَّةَ دَعَائِنَا، وَقِلَّةَ تَضَرُّعِنَا، فَأَيُّ الْحَالَتَيْنِ⁽¹⁾ خَيْرٌ؟ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَنْتَ فِي شَيْءٍ وَالنَّاسُ فِي شَيْءٍ [آخِرًا]⁽²⁾ وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَتَى إِلَى رَبَّاحٍ فَقَالَ: يَا أَبَا يَزِيدَ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ لَبِيدٍ أَخَذَ مِنِّي جَارِيَةَ لِي فَأَخَذَ رَبَّاحٌ عَصَاهُ ثُمَّ انصَرَفَ مَعَهُ إِلَى دَارِ سَعِيدِ بْنِ لَبِيدٍ، فَوَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ حَفُّوا بَابَهُ يَنْتَظِرُونَهُ فَأَلْقَى عَصَاهُ بَيْنَهُمْ وَجَلَسَ، حَتَّى خَرَجَ سَعِيدٌ رَاكِبًا مِنْ دَارِهِ فَلَمَّا رَأَاهُ مَنْ كَانَ عَلَى بَابِهِ مِنْ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ نَهَضَ عَلَى أَقْدَامِهِ، وَثَبَتَ رَبَّاحٌ جَالِسًا فَقَصِدَ سَعِيدٌ إِلَى رَبَّاحٍ وَرَبَّاحٌ جَانِسٌ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ رَبَّاحٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽³⁾. فَقَالَ سَعِيدٌ: يَا أَبَا يَزِيدَ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَبَّاحٌ: أَرُدُّدُ عَلَى هَذَا الْأَنْدَلُسِيِّ جَارِيَتَهُ فَصَاحَ سَعِيدٌ بِجَارِيَةِ الْأَنْدَلُسِيِّ فَأَخْرَجَتْ فَدَفَعَهَا إِلَى مَوْلَاهَا⁽⁴⁾.

قلت: ما ذكر الشيخ رباح من حمل الحديث على ما ذكره يأتي مثله لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرُعيني القاضي، والذي حمل عليه المحققون إنما هو مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا وَهُوَ جَالِسٌ كَعَادَةِ السُّلْطَانِ⁽⁵⁾ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا قِيَامَ النَّاسِ لَهُ لَوُرُودِهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ جَائِزٌ، وَلَمْ يَجْهَلُوا الْحَدِيثَ يَتَنَاوَلُهُ⁽⁶⁾.

قال: رُوِيَ أَنَّ رَبَّاحًا كَانَ يَمْشِي وَبِيَدِهِ قِسْطُ زَيْتٍ، فَرَأَاهُ الْقَاضِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَانِمٍ وَهُوَ رَاكِبٌ فَقَالَ: يَا أَبَا يَزِيدَ هَاتِ الْقِسْطَ أَحْمَلُهُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ رَبَّاحٌ: نَعَمْ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَجَعَلَ رَبَّاحٌ يَمْشِي عَلَى الرَّحَابِ وَمَوَاضِعِ⁽⁷⁾ الْجَمَاعَاتِ وَالْقَاضِي وَرَاءَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ رَبَّاحٌ: إِنَّمَا فَعَلْتُ لَكَ هَذَا لِأَنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَجِدُ فِي نَفْسِكَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْضَّ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ غَانِمٍ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا⁽⁸⁾.

(1) في ت: الحالين. (2) سقط من: ت.

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل حديث (5229) 530/2،

والترمذي في كتاب الأدب، (13) باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، حديث

(2764) - 347/4. ومطلع الحديث عنده بلفظ: «مَنْ سَرَّهُ» وقال: «هذا حيث حسن» من

رواية أبي مجلز. للمزيد انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص: 460 - 461 رقم 1048.

(4) الرياض 304/1. (5) في ت: السلاطين.

(6) في ت: يتناولونه. (7) في ت: وموضع.

(8) الطبقات ص: 124 - 125.

قلت: تبع في نقله لهذه الحكاية أبا بكر التُّجِيبِي مع أن ذكرها في التعريف بالقاضي ابن غانم أمس، لِإِدْلَالِهَا عَلَى تَوَاضُعِهِ مَعَ كَوْنِهِ قَاضِي الْقَضَاةِ.

قال: روي عن رباح أنه قال: رَوَّضْتُ نَفْسِي عَلَى تَرْكِ الْمَائِمِ⁽¹⁾ حَوْلًا ثُمَّ حَوْلًا فَضَبَطْتُهَا وَرَوَّضْتُ⁽²⁾ لِسَانِي عَلَى تَرْكِ مَا لَا يُعِينُنِي فَبَعْدَ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً ضَبَطْتُ⁽³⁾. قال الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد رحمه الله تعالى: وهذه الرياضة إنما كانت من حين بلغ لأنه إنما مات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكان قد حمل نَفْسَهُ [على]⁽⁴⁾ الاجتهاد حتى لقد رُوِيَ عنه أنه قال: كُنْتُ أُحِبُّ الصَّحَّةَ فَلَمَّا ضَعُفْتُ عَنِ الْعَمَلِ أَحْبَبْتُ الْمَرَضَ⁽⁵⁾. قال الشيخ أبو عثمان سعيد بن الحداد بلغني عن البهلول [بن راشد رضي الله عنه]⁽⁶⁾ أنه كان يوماً جالساً وعنده رباح إذ أقبل بقية أخو البهلول من البادية فجعل يلهج بذكر البادية، والبهلول يَتَّقَلَى اغْتِمَاماً بِرَبَاحٍ لِعَلِمِهِ أَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرَ الدُّنْيَا، فلما أكثر من ذل نهض رباح وجعل يقول سقطت من عيني، تذكر الدنيا في مجلسك ولا تنكر ولا تُغَيِّرْ! فقال له البهلول: إذا لم أسقط من عين الله فلا أبالي بعين من سقطت، فخرَّ رباح على رأس البهلول فقبله وجعل يقول: نعم أَحْسَنْتَ يَا بهلول فلا تُبَالِي من عين من سقطت إذا لم تسقط من عين الله⁽⁷⁾.

ذِكْرُ مَرَضِهِ وَمَوْتِهِ وَمَا يَتَعَلَقُ بِذَلِكَ:

قال: روي أنه دخل سعيد بن لبيد وزير يزيد بن حاتم على رباح في مرضه [فَسَلَّمَ عَلَيْهِ]⁽⁸⁾ فلم يرد عليه السلامه، فقال له العواد: هو نائم. فقال لهم رباح: تكذبون عَلَيَّ، فقام الوزير ودخل على الأمير يزيد بن حاتم وقد غلبه البكاء فأخبره القصة فقال له الأمير: هبني عاديت لك أهل الأرض أعداء أهل السماء؟ تعال

(1) في ت و ط: الماء. والصواب ما أثبتناه من طبقات علماء إفريقية وتونس الذي أرمز له بلفظة «الطبقات» ص: 124، والرياض 301/1.

(2) في الطبقات، والرياض: رُضْتُ.

(3) الطبقات ص: 124، والرياض 301/1.

(4) سقطت من: ط. الزيادة من: ت، والطبقات ص: 124، والرياض 302/1.

(5) الرياض 302/1. (6) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(7) الرياض 303/1. (8) في ط: ليسلم. التصويب من: ت.

أريك كيف يُعاد مثل رباح، فركب مع الوزير حتى دخلا على رباح فسلم الوزير فلم يرد رباح، فقال الأمير لِعُوَادِهِ: إِنَّ أَبَا يَزِيدَ عَلِيْلٌ وَالْعَلِيْلُ يَشُقُّ [عَلَيْهِ الْكَلَامَ وَإِذَا أَجْبْتُمُونَا عَنْهُ فَكَأَنَّهُ الْمَجِيبُ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ] ⁽¹⁾ مَبِيَّتِهِ، وَكَيْفَ حَالُهُ ثُمَّ نَهَضَ وَجَعَلَ كُلَّ يَوْمٍ يَعُودُهُ يَكْتَفِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْعُوَادِ، حَتَّى تُوْفِيَ رِبَاحٌ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةَ، وَازْدَحَمَ النَّاسَ عَلَى نَعْشِهِ. فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ ازْدَحَمُوا عَلَى عَمَلِهِ، وَلَا تَزْدَحَمُوا عَلَى نَعْشِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ يَزِيدٌ وَوَدَفَنَ بِيَابِ سَلْمٍ بِقَرْبِ قَبْرِ الْبَهْلُولِ وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ فِي إِمَارَةِ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

قلت: بل الصحيح هو الأول، إذ لم يَحْكِ المالكِي ولا التجيبي غيره وقصد بقوله: أهل السماء الإشارة ⁽²⁾ إلى إجابة دعائه، وكان رباح مريضاً بدرج عابد بن سوادة عند أخ من إخوانه فلما أتى سعيد الوزير على رجله بعد المغرب لزيارته خرج إليه صاحب الدار، ودخل وشاور رباحاً في دخوله فقال له: لا تأذن له ولا تدخله علي فخاف صاحب الدار على نفسه فأذن له ثم سبقه إلى رباح وقال له: ها هو ذا قد دخل، فحوّل رباح وجهه إلى الحائط قبل دخوله لئلا يخاطبه، فحينئذ جرى له ما تقدم. وكذلك فعل مع الأمير يزيد، قد حوّل وجهه إلى الحائط لما أدخله صاحب الدار، وإنما لم يرد عليهما السلام، لأن بالسّلام يُعَرَّفُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ. صرّح بهذا لفظ بن رشد، فإذا لم يستم عني من هو متلبس بما لا يحل [أو إذا] ⁽³⁾ سلم لم يرد عليه يعلم أنه متلبس بما لا يحل. وقد عرف ذلك من حاله رضي الله تعالى عنه. وهكذا كان الصالحون، [رضي الله عنهم] ⁽⁴⁾ الذين لا يباشرون السلطان، ولا حاشيتهم في قضاء حوائج الناس وأما من يضطر إليهم لما ذكر ⁽⁵⁾، فعدم السلام عليهم ⁽⁶⁾ أو عدم الرد فيه ⁽⁷⁾ تنفيراً لهم عن قضاء حوائج المسلمين، فيرون جواز ذلك وينوي بقوله السلام عليكم أي الله مطلع عليكم كما كان يقوله ويفعله شيخنا أبو محمد عبد الله الشيبلي البلوي رحمه الله تعالى فكلا الفريقين على طريقة حسنة.

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : ت. (2) في ت : إشارة.

(3) في ت : إذا حوّل.

(4) ما بين المعقوفتين صيغة الترضي سقطت من : ت.

(5) في ت : ذكره. (6) سقط من : ت.

(7) سقط من : ت.

وازدحامهم على نعشه هو من صلاة الظهر إلى صلاة العصر فلما طال أمرهم، أمر يزيد الشُّرَطُ بحمله وأزالوا النَّاسَ عنه. وقبرُ رباح بالحوطة اللطيفة قبلة قبر البهلول [ابن راشد]⁽¹⁾ وعند رأسه عمود أزرق ليس فيه كُتُبٌ يَعْرِفُهُ عِنْدَنَا الخاصة والعامة. ولما قدم أمير المؤمنين أبو العباس أحمد شيخنا أبا عبد الله محمد بن فنّدار المرادي قاضياً بِقَفْصَةٍ وخرج إليها مسافراً، وخرج بعض وجوه الناس لتوديعه فساروا خلفه فقصد الجبانة الغربية فمشى ولم يقف على قبر أحد، حتى وصل قبر رباح بن يزيد فوقف عنده ودعا وانصرف، ولم يقف على قبر أحد غيره، وهذا⁽²⁾ يدل على كمال اعتقاده فيه، ورغبته في إجابة دعائه عنده [وخصُوصِهِ بِعُلُوِّ مَقَامٍ عِنْدَهُ لم يكن لغيره مع قرب من جاوره من البهلول وغيره]⁽³⁾ وعرفني بعض العدول من أصحابنا عمن حدثه قال: خرجت أول ما فتح باب القيروان بقصد الزيارة لقبر رباح بن يزيد فكنت أول واصل إليه من البلد، فوجدتُ عند قبره رَجُلًا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ اللَّبَاسِ، في وَجْهِهِ حُمْرَةٌ كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنَ الْحَمَامِ وفي يديه⁽⁴⁾ شيءٌ مِنَ الْحَنَاءِ واقف على قبر الشيخ رباح فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وقال: ما يُقَالُ لصاحب هذا القبر؟ فقلت: رباح بن يزيد، فقال: ما أغفلكم يا أهل القيروان عن زيارة صاحب هذا القبر! فقلت له: يا سيدي من أين أنت؟ فقال: صَلَّيْتُ الصُّبْحَ من يومي هذا بِسَمْرِقَنْدِ خُرَاسَانَ فلما قال لي ذلك نظرت إليه فطار بين يدي بين السماء والأرض، وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ، وعرفني من أثق به عمن حدثه من أهل المغرب أن بأقصى المغرب شجراً إذا فتح نورها يوجد فيها مكتوب بقلم القدرة لا إله إلا الله رباح بن يزيد ولي الله.

77 - ومنهم أبو عمرو البهلول بن راشد الرعيني ثم الحجري مولاهم⁽⁵⁾:

قال: رَوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَاللَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَيُونُسَ بْنِ مَرْزُوقٍ وَمُوسَى بْنَ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحِ اللَّخْمِيِّ، وَالْحَارِثِ بْنِ نَبْهَانَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّعْمِ،

(1) سقط من: ت.

(2) في ت: وذلك.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(4) في ت: يده.

(5) ترجمة البهلول بن راشد الرعيني في: رياض النفوس 1/ 200 - 214 رقم 86، ميزان الاعتدال 1/ 355 رقم 1329 قال ابن معين: لا أعرفه. الديباج المذهب ص: 166، ترتيب المدارك 1/ 330 - 339، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 126 - 138 وفيه أنه توفي سنة 182هـ. شجرة النور الزكية 1/ 92.

وسمع منه سحنون بن سعيد، وعبد المُنْتَعَالِي [وعبد الله]⁽¹⁾ بن مسلمة القَعْنَبِي، وعون بن يوسف، وأبو زكرياء الحفري، ويحيى بن سلام وغيرهم. قَالَ أَبُو عَمْرٍو بن عبد البر، أَخْبَرْنَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بنُ أَحْمَدَ الْوَرَّاقُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْخَضِرُ بنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْأَفْهَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْبَهْلُولُ بنُ رَاشِدٍ، عَنْ يُونُسَ بنِ يَزِيدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ لِمَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْهُ وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ [وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرَفٍ وَلَا سَائِلٍ]⁽²⁾ فَخُذْهُ»⁽³⁾.

قلت: قال المالكي: وروى عنه مسلم بن الحجاج في [سُنَنِهِ]⁽⁴⁾ وَأَلْفَ دِيوَانًا فِي الْفِقْهِ وَالْغَالِبَ عَلَيْهِ اتِّبَاعَ مَالِكٍ وَرَبَّمَا مَالَ إِلَى قَوْلِ الثَّوْرِيِّ.

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

قال المالكي: «فَضْلُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ»⁽⁵⁾.

قال: روي أنه دخل على مالك بن أنس هو وعبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ فقال مالك للبهلول هذا عابد بلده، وقال لعبد الله بن غانم هذا قاضي بلده، وقال لابن فروخ: هذا فقيه بلده فكان كما قال رحمه الله تعالى⁽⁶⁾. وقال القَعْنَبِيُّ: حَدَّثَنِي الْبَهْلُولُ بنُ رَاشِدٍ وَكَانَ وَتَدَأُ مِنْ أَوْتَادِ الْأَرْضِ⁽⁷⁾. وقال محمد بن يزيد

(1) سقط من: ت.

(2) ما بين المعقوفتين ورد محرفاً في ط وت. التصويب من: صحيح مسلم.

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة (37) باب إباحة الأخذ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ، حديث 110 - (1045) ص: 497 - 498 وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها حديث (7163) - (7164) بلفظ: «خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرَقٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ» وبنفس هذا اللفظ أيضاً عند مسلم في كتاب الزكاة، الباب السابق حديث 111 (1045).

(4) في ت و ط: سنده. التصويب من: الرياض 201/1. والأولى والمعروف عند المحدثين قديماً وحديثاً: «الصحيح» نقول: صحيح مسلم وليس «سنن مسلم».

(5) الرياض 200/1. (6) الرياض 202/1.

(7) في الرياض: «المغرب» 201/1.

الجُدَامِي: ما رأيت أحداً أخشى لله من البهلول بن راشد. وقالت غزِيل سُرِيَّة البهلُول: مَا رَأَيْتُهُ نَزَعَ طَوْقَهُ⁽¹⁾ مِنْ عُنُقِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً. وكان البهلُول يقول: والله إني لأستحي من الله عز وجل أن تكون الملائكة أظوع له مِنِّي. وكان سحنون يقول: أنا اقتديت في ترك السَّلَامِ على أهلِ الأهواء [وترك]⁽²⁾ الصلاة عليهم بفعل البهلُول، وعن الشيخ أبي سعيد بن الحداد رحمه الله تعالى أنه قال: ما كان بهذا البلدِ أحدٌ أقومُ بالسُّنَّةِ، من رجلين: البهلُول [بن راشد]⁽³⁾ في وقته، وسحنون [بن سعيد]⁽⁴⁾ في وقته.

قلت: قال المالكي: قال سحنون: «مَثَلُ الْعِلْمِ الْقَلِيلِ فِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَيْنِ الْعَذْبَةِ فِي الْأَرْضِ الْعَذْبَةِ يَزْرَعُ صَاحِبُهَا زَرْعاً فَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَمَثَلُ الْعِلْمِ الْكَثِيرِ فِي الرَّجُلِ الْغَيْرِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَيْنِ الْخَرَّارَةِ فِي الْأَرْضِ السَّيْحَةِ، تَهْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا»⁽⁵⁾. ويقول: على إثر هذا البهلُول كان رجلاً صالحاً ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره، نفعنا الله تعالى به. وذكر رجلاً آخر قد صحب السلطان فقال: بحر من البحور ما نفعه الله تعالى بعلمه⁽⁶⁾.

ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنْ أَخْبَارِهِ:

قال: رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْبُهْلُولِ [بن راشد]⁽⁷⁾ طَعَامٌ فَغَلَا السَّعْرُ فَأَمَرَ بِهِ فَبِيعَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ رُبْعٌ [قفيز]⁽⁸⁾، فَقِيلَ لَهُ: تَبِيعُ ثُمَّ تَشْتَرِي فَقَالَ: «نَفْرَحُ إِذَا فَرِحَ النَّاسُ وَنَحْزَنُ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ»⁽⁹⁾. وقال أبو زرجونة: إِسْتَعْقَبْتُ⁽¹⁰⁾ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ، وَضَرَبْتُ بِمَقْرَعَةٍ⁽¹¹⁾ وَنَزَعَ عَنِّي أَسْمَالِي فَأَخْبَرْتُ الْبُهْلُولَ مِنَ الْغَدِ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ يَسْأَلُنِي أَنْ أَجْعَلَ⁽¹²⁾ مِنْ فَعَلٍ ذَلِكَ [فقلت يا أبا عمرو فَعَلُوا بي وَفَعَلُوا وَأَجْعَلُهُمْ]⁽¹³⁾ فِي

- (1) في الطبقات: ثوبه عن جسده قط. ص: 132 - 133.
- (2) سقط من: ت.
- (3) سقط من: ت.
- (4) سقط من: ت.
- (5) الرياض 1 / 203.
- (6) الرياض 1 / 203.
- (7) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
- (8) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط. الزيادة من: الرياض 1 / 205، والطبقات ص: 134.
- (9) الطبقات ص: 134، والرياض 1 / 205 ولم يرد ذكر الناس في الرياض. فالوارد: «ونحزن إذا حزنوا».
- (10) في الطبقات ص: 134، والرياض 1 / 205: إِسْتَفْفَيْتُ.
- (11) في ت: بقرعة.
- (12) في ت: أفعال.
- (13) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت، والرياض 1 / 205، والطبقات ص: 135.

جِلٌّ؟ فقال لي: يسرك أن يحال بين أخيك المسلم وبين الجنة بسببك؟ فلم يزل يلفظ بي حتى جعلتهم في جِلٌّ. وعن سعدون بن أبان، عن دحيون بن راشد قال: كنت بالمدينة فإذا رجُلٌ يسألُ أهائنا رجُلٌ من أهل إفريقية؟ فقلت له: أنا. فقال: من أهل القيروان؟ قلت: نعم، قال: أتعرف البهلول؟ قلت: نعم، فدفعت إلي كتاباً وقال: أوصله إليه، فدفعت إليه الكتاب ففتحه فإذا فيه من امرأة من أهل سمرقند خراسان: أنا امرأة مجنت مجوناً لم يمجنه إلا أنا⁽¹⁾، ثم إنني تبثُ إلى الله عز وجل، وسألتُ عن العباد في أقطار الأرض فوصف لي أربعة؛ بهلول بإفريقية رابع الثلاثة فسألتك بالله يا بهلول ألا سألت الله تعالى أن [يديم]⁽²⁾ لي ما فتح لي فيه، فسقط الكتاب من يده، وخرَّ على وجهه فلم يزل يبكي حتى لصق الكتاب بطين ذموعه، ثم [قال]⁽³⁾: يا بهلول ذكرتُ بسمرقند خراسان! الويل لك يا بهلول إن لم يستر عليك [يوم]⁽⁴⁾ القيامة⁽⁵⁾. وقال أحمد بن إبراهيم: دفع البهلول [أربعة]⁽⁶⁾ دنانير لرجل وأمره أن يشتري بها زيتاً من الساحل يستعذبه له، فلما انتهى إلى الموضع قيل له: إن عند رجل نصراني زيتاً ليس [في هذا]⁽⁷⁾ الموضع زيت أعذب⁽⁸⁾ منه فانطلق الرجل إليه وسأله أن يبيع له بالدنانير⁽⁹⁾. وقال: إنما أردته للبهلول فقال النصراني: ونحن نتقرب إلى الله تعالى بالبهلول كما تتقربون به إليه، ثم أعطاه من ذلك الزيت ما يباع بأربعة دنانير من الزيت الدون. فقدم الرجل على البهلول فأخبره بجميع ما صنع النصراني وما قال، فقال البهلول: قد قضيت حاجة فاقض الأخرى، اردد عليه زيتاً، وأردد علي الدنانير، فقال: ولم أصلحك الله؟ قال: ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: 22] فخشيت أن أكل من زيت النصراني فأجد له مودةً في قلبي فأكون ممن وادَّ من حادَّ الله ورسوله على عرضٍ من الدنيا يسير⁽¹⁰⁾.

(1) في الرياض 205 / 1 [هي].

(2) في ط: يدع، التصويب من: ت، الرياض 205 / 1، الطبقات ص: 131.

(3) سقط من: ت. (4) سقط من: ت.

(5) طبقات ص: 131.

(6) في الطبقات ص: 131، والرياض 206 / 1: دينارين.

(7) سقط من: ت. (8) في ت: أطيب.

(9) في ت: بالدنانير المبعوثة معه. وفي ط وت: بالدنانيرين.

(10) الطبقات ص: 132، الرياض 206 / 1.

قلت: هذا من البهلول بن راشد على طريق الورع لأن المراد في الآية إنما هو المواءة في الدين، وأما المواءة في المعاملة في الدنيا فغير داخله في الآية، ويدلك على هذا إباحة نكاح الكتابية، وَلَا شَكَّ أَنَّا إِذَا تَزَوَّجْنَاهَا مِلْنَا إِلَيْهَا وَوَدَّانَاهَا. وَمَا ذَكَرَهُ النَّصْرَانِي فِي قَوْلِهِ: ونحن نتقرب إلى الله يا لبهلول كذب منه وَمُدَاهَنَةٌ وَإِظْهَارٌ غِشِّهِ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْبَهْلُولِ: يَا مُرَائِي، فَقَالَ لَهُ الْبَهْلُولُ: قد أخبرتها بذلك يعني نفسه فَأَبَتْ عَلَيَّ فلم تقبل مني، فالآن اجتمع عليها شَهَادَتُكَ وَعِلْمِي بِهَا، فَشَهَادَةُ الْإِثْنَيْنِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ⁽¹⁾. وقال يوماً لرجل: والله لو كانت للذنوب رائحة مَا جَلَسْتُ إِلَيْكَ وَلَا جَلَسْتُ إِلَيْكَ⁽²⁾. وقيل إِنَّ أُمْرَأَةً رَأَتْ الْبَهْلُولَ فَقَالَتْ: سَمَاعُكَ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ فَقَالَ الْبَهْلُولُ: هَذِهِ امْرَأَةٌ عَرَفْتَنِي.

قلت: نقل هذه الحكاية المالكي عن أبي زكرياء الحفري⁽³⁾ قال: كنت عند البهلول وهو يتفلى، إذ أقبلت امرأتان فقالت إحداهما للأخرى: أتريدين أن أريك البهلول⁽⁴⁾؟ فقالت: نعم، فقالت: هذا الذي يتفلى فقالت: سماعك بالمعيدي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. قال أبو زكرياء الحفري: فأقبل علي بهلُول وقال لي: أتريد أن أريك مَنْ عَرَفْتَنِي هذه المرأة التي عرفني⁽⁵⁾.

قال: وَكَانَ مُسْتَجَابًا. رَوَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْبَهْلُولِ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْبَهْلُولِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِنْيَةٌ لَهُ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ مُصَبَّغَةٌ⁽⁶⁾ وَهِيَ طِفْلَةٌ، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ شَيْئًا [مثل]⁽⁷⁾ حَبِّي لَهَا، وَإِنِّي لِأَحِبُّ لَوْ قَدَّمْتُهَا فَانصرفت عنه ثم رجعت إليه فَوَجَدْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَقِيلَ: توفيت بنتُ البهلُول، فلما دَخَلْتُ عَلَيْهِ عَزَيْتُهُ [وَوَلَّيْتُ عَنْهُ]⁽⁸⁾ لحقني وقال لي: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَذْكَرُ [لِأَحَدٍ]⁽⁹⁾

(1) الرياض 210 / 1 وفيه «فَشَهَادَةُ إِثْنَيْنِ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَةِ وَاحِدٍ».

(2) الرياض 211 / 1. وفيه: «مَا جَلَسْتُ إِلَيْكَ وَلَا جَلَسْتُ إِلَيْكَ».

(3) في ت: الجعدي.

(4) في ط: بهلولا. التصويب من: ت، والطبقات ص: 133. وفي الرياض كما في: ط.

(5) الطبقات ص: 133، الرياض 211 / 1.

(6) في الطبقات: مصبوغة ص: 137. (7) سقط من: ت.

(8) ما بين المعقوفتين سقط من: ت وط. الزيادة من: الطبقات ص: 138، والرياض 206 / 1.

(9) سقط من الطبقات ص: 138.

مَا كَانَ مِنِّي مَا دُمْتُ حَيًّا يُرِيدُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي [أمر ابنته]⁽¹⁾ فِي صَدْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

قلت: قال أبو بكر المالكي رحمه الله تعالى عن الشيخ أبي عثمان سعيد بن الحداد رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ أَتَى: هَرْتَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ⁽²⁾ وَهُوَ وَالِي إِفْرِيقِيَّةِ إِلَى الْبُهْلُولِ بِرَجَالِهِ وَالْوَيْتَةِ وَكَانَ فِي مَسْجِدِهِ مُسْتَنِدًا إِلَى عَمُودٍ، فَمَالَ عَنِ السَّرْجِ لِيَنْزِلَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهُ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَلَمْ يَنْهَضْ لِلْقِيَامِ رَجَعَ كَمَا هُوَ فِي سَرَجِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ أَعْوَانِهِ: ادْفَعْ هَذَا الْمِزْوَدَ بِالذَّرَاهِمِ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: يُفَرِّقُهُ فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِ فَقَالَ لَهُ الْبُهْلُولُ: قُلْ لَهُ: أَنْتَ أَعْرَفُ بِوَضْعِهِ مِنِّي وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَيُفَرِّقَهُ. وَكَانَ لِقَوْمٍ مِنَ النَّخَّاسِينَ عَلَى الْبُهْلُولِ عِشْرُونَ دِينَارًا، وَكَانَ [لِلْبُهْلُولِ عَلَى دَحْيُونَ]⁽³⁾ نَظِيرَهَا فَوَقَفَ بِالْبُهْلُولِ سَائِلًا فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: ادْفَعْ إِلَيْهِ دِينَارًا مِنَ الْعِشْرِينَ فَدَفَعَهُ [إِلَيْهِ]⁽⁴⁾ ثُمَّ جَاءَ النَّخَّاسُونَ فَطَلَبُوا⁽⁵⁾ الْبُهْلُولَ بِالْعِشْرِينَ دِينَارًا، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: ادْفَعْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: قَدْ حَضَرَ مِنْهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ دِينَارًا. قَالَ لِصَاحِبِهَا⁽⁶⁾: «عُدَّهَا عَلَيْهِمْ». فَعَدَّهَا عَلَيْهِمْ فَإِذَا هِيَ عِشْرُونَ دِينَارًا فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَرَاكَ لَا تُحْسِنُ الْعِدَّةَ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا مَخَافَةَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ. وَمِمَّا يُعْضَدُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ أَنْ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ [عَبْدِ]⁽⁷⁾ قَيْسٍ كَانَ يَأْخُذُ عَطَاءَهُ فَيَجْعَلُهُ فِي رِدَائِهِ فَلَا يَبْقَى أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمَسَاكِينِ يَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهُ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ رَمَى بِهِ إِلَيْهِمْ فَيَعِدُونَهُ فَيَجِدُونَهُ كَمَا أُعْطِيَهُ⁽⁸⁾. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ التُّجِيبِيُّ: قَالَ أَبُو السَّرَاجِ الْبَنَاءُ فِي مَجْلِسِ الْقَاضِي عَبْدِ اللهِ بْنِ هَاشِمٍ: قَصِدْتُ أَنَا وَصَاحِبُ لِي قَبْرِ الْبُهْلُولِ نَصْلِي عِنْدَهُ فَأَلْفَيْنَا عِنْدَهُ رَجُلًا نَائِمًا فَحَرَكْنَاهُ وَقَلْنَا لَهُ: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ؟

(1) فِي الطَّبَقَاتِ ص: 138 وَالرِّيَاضُ ص: 206 [فِي تَمْنِيهِ].

(2) هَرْتَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ وَوَلَاةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَوَلَايَةُ إِفْرِيقِيَّةِ. انظُرْ عَنْهُ: الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِابْنِ عِدَّارِي الْمُرَّاكِسِيِّ 89/1 بِتَحْقِيقٍ وَمِرَاجَعَةٍ: كَوْلَانِ، وَلِيْفِي بَرُوفْنَسَالِ دَارِ الثَّقَافَةِ بِيْرُوتَ لِبْنَانِ سَنَةِ 1948.

(3) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ: ط. الزِّيَادَةُ مِنْ: ت، وَالرِّيَاضُ 207/1، الطَّبَقَاتُ ص: 131.

(4) سَقَطَ مِنْ: ت. (5) فِي ت: النَّخَّاسُ فَطَلَبَ.

(6) فِي الرِّيَاضِ: ثُمَّ قَالَ لِذَحْيُونَ 207/1 كَذَا فِي الطَّبَقَاتِ ص: 131.

(7) فِي ت وَط: عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَاهُ مِنْ: الرِّيَاضُ 207/1 وَهُوَ: عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ عَبْدِ قَيْسٍ يَكْنَى أَبُو عَمْرٍو، وَقِيلَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانَ مِنْ أَفْضَلِ التَّابِعِينَ. تَرْجَمَ لَهُ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ 3/105 - 111.

(8) الرِّيَاضُ 207/1.

قال: صليت ركعتين ثم أخذتني عيني فَنِمْتُ نَوْمَةً فَرَأَيْتُ فِيهَا عَجَبًا، إِذَا رَجُلٌ أَقْبَلَ فَسَأَلْتُهُ مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ جِئْتُ أَزُورُ هَذَا الشَّيْخَ قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِكَ مِثْلَ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَ[صَاحِبٌ] ⁽¹⁾ هَذَا الْقَبْرِ يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ مِثْلَ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ.

ذَكَرَ: الشَّيْخُ الدَّبَّاعُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَمَّا عَرَفَ بِمُعْتَبِ بْنِ رَبَاحٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْبَهْلُولِ فِي مَسْجِدِهِ، فَقَالَ لَهُ الْبَهْلُولُ: يَا أَبَا أَحْمَدَ مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو قَدْ عَزَمْتُ فِي هَذَا الْعَامِ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا أَحْمَدَ مَا كُنْتَ حَاجِجًا؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنِّي إِشْتَقْتُ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَإِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ الْبَهْلُولُ: كَمْ هَيَأَتٍ لَخُرُوجِكَ؟ قَالَ: مِائَةٌ دِينَارًا، قَالَ لَهُ الْبَهْلُولُ: فَهَلْ لَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهَا فَأَصْرِفُهَا فِي مَوَاضِعٍ وَأُضْمِنَ لَكَ عَلَى اللهِ عَشْرَ حَجَجٍ مَقْبُولَةٍ فَقَامَ مُعْتَبٌ سَرِيعًا، فَأَتَاهُ بِالضَّرَّةِ فَأَفْرَغَهَا ⁽²⁾ الْبَهْلُولُ تَحْتَ جِلْدِ كَانِ عَلَيْهِ قَاعِدًا وَقَعَدَ مُعْتَبُ بْنُ رَبَاحٍ فَلَمْ يَزَلْ يَدْخُلُ الرَّجُلَ فَيُعْطِيهِ خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ، وَآخِرَ فَيُعْطِيهِ ثَمَانِيَةَ وَآخِرَ فَيُعْطِيهِ عَشْرَةَ فَوَاحِدٍ يَقُولُ لَهُ: تَزُوجُ مِنْهَا وَعِشْ بِالْبَاقِي وَآخِرَ يَقُولُ لَهُ: وَسَّعَ بِهَا عَلَى عِيَالِكَ وَصَبِيَانِكَ. وَآخِرَ يَقُولُ لَهُ: اسْتِرْ بِهَا وَجْهَكَ فَلَمْ يَقُومَا حَتَّى نَفَدَتِ الْمِائَةُ. وَكَانَ بِالسَّدْرَةِ بِالْقَيْرَوَانِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو سُلَيْمَانَ الْأَعْمَى وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ فَأَخْبَرَ أَبُو سُلَيْمَانَ أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ [لَهُ] ⁽³⁾: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ امْضُ إِلَى مُعْتَبِ بْنِ رَبَاحٍ وَأخْبِرْهُ أَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَفَاهُ بِمَا ضَمِنَ لَهُ الْبَهْلُولُ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: فَغَلِبَ عَلَيَّ النَّوْمُ، ثُمَّ أَتَانِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ امْضُ إِلَى مُعْتَبِ السَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَأخْبِرْهُ أَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفَاهُ مَا ضَمِنَ لَهُ الْبَهْلُولُ فَقَامَ أَبُو سُلَيْمَانَ تِلْكَ السَّاعَةَ فَأَتَى إِلَى بَابِ مُعْتَبِ بْنِ رَبَاحٍ فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُعْتَبٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ مَا جَاءَ بِكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ لَهُ: أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِأَخْبِرَكَ أَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَفَى لَكَ مَا ضَمِنَ لَكَ الْبَهْلُولُ وَذَكَرَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ هُنَا أَمْسَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ. قَالَ عَوْنٌ ⁽⁴⁾: وَصَنَعَ الْبَهْلُولُ طَعَامًا وَحَضَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو لَمْ صَنَعْتَ هَذَا

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (2) في ط: وأفرغها. التصويب من: ت.

(3) ساقط من: ت.

(4) المراد به: عون بن يوسف الخزاعي. الطبقات ص: 134.

الطعام؟ فقال: إني كنت حائفاً أن أكون من البربر لِمَا جاء فيهم من الحديث فسألت عن أصلي من يعرفه فأخبرت أنني لست من البربر فأخذت لذلك هذا الطعام⁽¹⁾.
شكراً لله عز وجل إذ لم أكن من البربر.

[الأسرار بالعبادة]

وروي عن البهلول أنه كان يقول: بينا رضوان واقف على باب الجنة إذ سمع فيها حركة فقال: «يا رب خلقت هذه الدار وجعلت مفاتيحها بيدي وما ظننت أن أحداً يدخلها بغير علمي» فأوحى الله إليه يا رضوان هؤلاء قوم عبدوني في الدنيا سراً فأدخلتهم الجنة [سراً]⁽²⁾ لئلاً يروا أهوال يوم القيامة. وكان البهلول كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء وهو: «اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم، وأسألك باسمك الكبير الأكبر يا الله يا الله يا الله أنت نور كل نور، وأنت نور السماوات والأرض أسألك يا كريم، يا كريم، يا كريم وبنور وجهك أسألك يا كريم يا فتاح، يا فتاح، يا قادر، يا قادر، يا قادر، وبنور وجهك يا قادر وبنور وجهك يا فتاح، وبنور وجهك يا حليم، وبنور وجهك يا حليم، وبنور وجهك يا حليم، أسألك أن توجب لنا رضوانك الأكبر، والدرجات العلى من الجنة وتعافينا من النار، ومن سخطك وتؤمن علينا بحفظ كتابك حتى نتلوه على [الوجه]⁽³⁾ الذي يرضيك عنا. قال البهلول: وإياك أن تدعو [به]⁽⁴⁾ في شيء من أمور الدنيا، اللهم إني بلغت⁽⁵⁾. وعن أبي سنان أنه قال: سمعت البهلول يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى العلماء ثم ضرب عليهم بسور من نور، ثم يقول: إني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم تعافوا وادخلوا الجنة. قال أبو سليمان: قين نبيهنول: وما معنى تعافوا؟ فقال: قول بعضهم في بعض فلان ليس يعرف شيئاً قال: وما أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله إلا كبطقة في بحر. وعن عبد الله بن الوليد قال: كان عند البهلول شاب يطلب العلم ثم أقبل على المجانة

(1) نطبقت ص: 134 ولم يرد عنده ذكر. شكراً لله عز وجل إذ لم أكن من البربر. والرياض 210/1.

(2) سقط من: ت. (3) سقط من: ت.

(4) سقط من: ط. الزيادة من: ت، والرياض 212/1.

(5) الرياض 212.

فَعَلِمَ⁽¹⁾ بذلك البهلول فسأه ذلك فبينما هو يوماً جالساً إذ مرَّ به الشاب وتحت ثوبه طُبُورٌ فقيل للبهلول: أَنْظِرْ أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى مَا تَحْتَ ثَوْبِهِ فتأمل البهلول فعرف تصديق ما قيل له، فقال للقائل له ذلك: لعله إنما ذهب ليكسره، فلما كان بعد ذلك بقريب مضى البهلول بنفسه إلى دار الشاب، فَفَرَعَ الباب فقالت له أمه: مَنْ هذا؟ فقال لها: البهلول. فقالت له: ما تريد؟ فقال لها: ولدك، فلم تزل به حتى خرج إليه فَسَلَّمَ عَلَيْهِ البهلول وقال له: يا ابن أخي ما لك اشتغلت عنا؟ كُلُّ هذا [منك]⁽²⁾ زَهَادَةٌ في الخير؟ وَأَخَذَ يَعِظُهُ وَيَرْفُقُ بِهِ ويعتاده⁽³⁾ بذلك حتى رجع الفتى عما كان عليه من المجانة، ثم عاود مجلس البهلول وكان له شأن وأقبل على الله ببركة البهلول وُصْحَبَتِهِ⁽⁴⁾.

[اختلاف علي بن زياد والبهلول في أرزاق الأجناد]

قال أسد بن الفرات: جرت بين علي بن زياد، والبهلول بن راشد مسألةً اختلفا فيها، وَكُنْتُ السَّفِيرَ بَيْنَهُمَا بالمناظرة؛ كان البهلول يقول: أَخَذُ الأَجْنَادِ الأَرْزَاقَ التي تُجْرَى لهم حرامٌ عليهم. وقال علي بن زياد: حَلَالٌ لهم، لَأَنَّ لَهُمْ في بيت المَالِ حَقًّا فإنما أَخَذُوا حَقَّهُمْ على إِنْ اشْتَرَطَ عليهم أَنْ يفعلوا مَا لَا يَجِلُّ لَهُمْ فَأَخَذُهُمْ جَائِزٌ وَالشَّرْطُ باطلٌ. وليس كمن أعطى رجلاً ما ليس له فيه حق على أن يقتل رجلاً فَأَلْأَخَذُ في هَذَا حَرَامٌ وَالشَّرْطُ باطلٌ.

قلت: هذه المسألة نَقَلَهَا أَبُو بكر التَّجِيبِي في التَّحْرِيفِ بعلي بن زياد، ويجري على هذين القولين مَنعُ الشَّهَادَةِ وجوازها فيما يأخذه الأَجْنَادُ الْمُتَصَرِّفُونَ فيما لا يجوز، وكذلك غيرهم كَتَصَرَّفِهِمْ في أَخْذِ الخَطَايَا وَنَحْوِهَا، وبعضُ عُدُولِنَا اليوم يشهد في ذلك.

ذكر محنته ووفاته رضي الله عنه:

قال البهلول: «أقمت ثلاثين سنة أقول: إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلَا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»⁽⁵⁾.

(2) سقط من: ت.

(4) الرياض 1/209.

(1) في ت: فأعلم.

(3) في الرياض: ويتعاهده 1/209.

(5) الرياض 1/213.

فلما كان يومي مع محمد بن مقاتل العكبي⁽¹⁾ أنسيت أن أقولها فابتليت به⁽²⁾.

قال: وكان سبب موته أن العكبي أمير إفريقية كان يلاطف الطاغية، فكتب إليه الطاغية: أن ابعث إلينا بالنحاس والحديد والسلاح فلما عزم العكبي على ذلك وعظه البهلول لتزول عنه الحجة من الله عز وجل، فلما ألح عليه في ذلك، بعث إليه فضربه أسواطاً دون [العشرين]⁽³⁾ فبرئت كلها إلا أثر سوط واحد تنغل⁽⁴⁾ فكان سبب موته رحمه الله تعالى ورضي عنه⁽⁵⁾.

قلت: وفي كلامه بئر لقول المالكي بعد أن ضربته قيده فقيل: إنه لما مدّ رجله إلى القييد قال [البهلول]⁽⁶⁾: إن هذا الضرر من البلاء الذي لم أسأل الله العافية منه قط. ولما بعث ليضربه تحاشد الناس عليه والجماعة فزاد العكبي على ذلك حنقاً عليه، فأخرج إلى الناس أجنداه ففرقوهم وأمر [بتجريدته]⁽⁷⁾ وضربه فرمى عليه بأنفسهم جملة فضربوهم⁽⁸⁾. قال أبو زرّجونة: لما ضرب البهلول دخلت عليه فيبينما أنا جالس عنده إذ سمعت بكاء رجل داخل من [وراء]⁽⁹⁾ الباب فإذا هو عبد الله بن فروخ فأتى فجلس قدام البهلول وهو يبكي فقال له البهلول: سبحان الله يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: أبكي لضرب ظهرك في غير حق، فقال: يا أبا محمد قضاء وقدر. قال أبو زرّجونة: فيبينما نحن جلوس إذ أرسل إليه العكبي بكسوة وكيس فأبى البهلول أن يقبل ذلك فقال له رسوله: يقول لك العكبي: إذا كنت لم تقبل مني فاجعني في حل، فقال له البهلول: قل له ما حللت يدي من العقالين، حتى جعلت في حل! واغتم [العكبي]⁽¹⁰⁾ وندم. ونظر إليه العكبي من حيث لا يشعر البهلول فجعل يقول

(1) محمد بن مقاتل العكبي ولأه هارون الرشيد على إفريقية سنة 181هـ. انظر ترجمته في: الطبقات ص: 109، والبيان المغرب: 89/1.

(2) الرياض 213/1. (3) سقط من: ت.

(4) تنغل: بمعنى تعفن وضار قرحة. (5) الرياض 213/1.

(6) زيادة من الرياض 213/1.

(7) في ت و ط: بتجريدته. التصويب من الرياض 213/1.

(8) الرياض 213/1.

(9) ساقط من الرياض 213/1. (10) زيادة من الرياض 213/1.

تبارك الله [كأنه] ⁽¹⁾ والله سُفيان الثَّورِي . وقال أبو جعفر أحمد [الكوفي] ⁽²⁾ كنا مع بعض الخلفاء في غزاة اثني عشر ألف فارس من أهل الثُّغُورِ وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين نكتب بهما إليه في رقعة يوصلها إليه الحاجب فلما بلغنا أن البهلُول ضُربَ بإفريقية، تخلخل العسكر، فأتينا بِأسرِنَا بَابَ الخليفة، فقال لنا الحاجب: مَا بالكم؟ فقلنا له: قد جعلنا حَوَائِجِنَا كلها في نُصْرَةِ البهلُول، فقال لنا: اتقوا الله في دَمِ العَكِّي [ليس] ⁽³⁾ يبلغ الخليفة أن العَكِّي ضرب البهلُول إِلَّا قَتَلَهُ، ولكن إن صَحَّ الخبر رفعتُ أمركم إلى الخليفة وأخبرته الخبر، فَرَجَعْنَا من الغزو قَبْلَ أن يَتَبَيَّنَ لنا صحة الخبر فرضي الله عن البهلُول. قال العواني: ختم الله عز وجل أعماله بالشهادة بهذا الابتلاء ليوصله بذلك إلى أعلى الدرجات وأكبر ⁽⁴⁾ المقامات.

[قلت: ليس هو بشهيد قطعاً] ⁽⁵⁾.

قال: وكانت وفاته بالقيروان سنة ثلاث ⁽⁶⁾ وثمانين ومائة وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومولده سنة ثمان وعشرين ومائة، ودفن بباب سلم وقبره مشهور يُزار ويتبرك به رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قلت: قال المالكي وكانت وفاته بعد وفاة علي بن زياد بخمسة وثلاثين يوماً، وكان مولده ومَوْلِدُ عبد الله بن غانم، وعبد الرحمن [بن القاسم] ⁽⁷⁾ في سنة واحدة.

قلت: وكان بناء قبره تهدم فعرفت أن عمي خليفة بن ناجي جدَّه ولم يفتقر إلى تجديد بناء إلى اليوم رحم الله الجميع.

(1) في ط: كأنك. التصويب من: ت، والرياض 213 / 1.

(2) في ط: الكومي. التصويب من: ت، والطبقات ص: 136، والرياض 214 / 1.

(3) في ط: لا. التصويب من: ت، والطبقات ص: 136، والرياض 214 / 1.

(4) في الرياض: وأكرم 214 / 1.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ط. الزيادة من: ت.

(6) في ت: ثمان.

(7) في ت و ط: عبد الرحمن بن أنعم. والصواب ما أثبتناه من الرياض 201 / 1 اسمه

عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جُنادة العُتْقِي أبو عبد الله المصري توفي سنة 191 هـ.

انظر عنه تهذيب الكمال 4 / 456 رقم 3918.

78 - ومنهم أبو علي شقران بن علي الهمداني⁽¹⁾ رحمه الله ورضي عنه:

قال: قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي في كتاب تاريخ الصوفية: شقران أستاذ ذي النون المصري. روى عنه سحنون وعون بن يوسف.

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

قال: كان أبو علي واحداً الزمان عبادةً وزهداً وحسن معاملته لله تعالى، وكثرة كرامات، وعلو همة، وسرعة إجابة، وكان ضريراً نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام. رقيق القلب غزير الدمع، وكان ينطق بالحكمة ويرد الناس إلى الله تعالى بأموعة الحسنة، انتفع به جماعة من المريدين [منهم ذو]⁽²⁾ النون المصري وغيره.

قلت: وقال أبو العرب: كان رجلاً صالحاً ضريراً البدن والبصر، وكان مسجاباً⁽³⁾ وكان مؤاخياً للبهلول [بن راشد]⁽⁴⁾ عالماً بالفرائض وله فيها كتب⁽⁵⁾ لم نجد عند علمائنا [من]⁽⁶⁾ شقران [غيره]⁽⁷⁾ انتفع به جماعة من المريدين كذي النون المصري وغيره، وما ذكره من قوله ضريراً البدن أراد به ما يأتي من جذام يديه ورجليه وما ذكر من قوله ضريراً البصر لم يذكره التجيبي ولا غيره.

[موعة حسنة]⁴

قال: حكى الثقيفة أبو العباس الأبياني قال: لما قدم ذو النون المصري على

(1) ترجمة شقران بن علي في: الإكمال لابن ماكولا 59/5 دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط 1 س 1993، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: شقران بفتح أوله، وكسر ثانيه وآخره نون موضع أو نبت في حساب ابن دريد، وأما الشقر فهو شقائق النعمان بلا شك، ولا أسمع في هذا الوزن إلا شقران، وقطران وطزبان... معجم البلدان 3/354، رياض النفوس 1/312 - 321 رقم 119، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 139، شجرة النور الزكية 1/90 - 91.

(2) في ت: كذي.

(3) في الطبقات: [كان يقال بأنه مستجاب الدعوة، وكان من أهل الفضل والدين والاجتهاد] ص: 139.

(4) زيادة من الطبقات ص: 139.

(5) في الطبقات، والرياض 1/312: كتاب.

(6) في ط: غير التصويب من: الرياض 1/312، وفي ت: من.

(7) في ط: مثله. التصويب من: ت، والرياض 1/312، وفي الطبقات: [غيره عن شقران] ص: 139.

شُقران، وكان شُقران لا يخرج مِنْ دَارِهِ إِلَّا مِنْ⁽¹⁾ الجمعة إلى الجمعة قال: فَلَمَّا خَرَجَ قَلتْ لَهُ: قد جئتُ مِنْ بِلدٍ بَعِيدٍ أَطْلُبُ مَعْرُوفَكَ، فَأَخَذَ حِصَاةً مِنْ الْأَرْضِ فَجَعَلَهَا فِي يَدِي فَإِذَا هِيَ جَوْهَرَةٌ، فَقَلتْ: ما لِهَذَا جِئتُ، قال: فلمَ؟ قلت: لموعظة، قال: كلْ مِنْ كَدِّ يَمِينِكَ مِمَّا عَرِقَ فِيهِ جَبِينُكَ، وَلَا تَأْكُلْ بِدِينِكَ، فَإِنْ ضَعُفَ يَقِينُكَ فَاسْأَلِ اللَّهَ يُعِينُكَ. وَقَدْ رَوَيْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَلَيَّ طُرُقٍ أَكْمَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فَمِنْهَا مَا حَدَّثَ مِرْوَانَ بْنِ نَصْرِ الْمُتَعَبِدِ قَالَ: بَلَغَ ذَا النُّونِ الْمِصْرِيَّ أَنَّ بِالْمَغْرِبِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ شُقران، يَخْرُجُ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَى مِثْلِهَا، فَأَتَاهُ مِنْ مِصْرَ وَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ السَّاعَةُ كَمَا دَخَلَ. وَلَا⁽²⁾ يَخْرُجُ إِلَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَأَقَامَ ذُو النُّونِ [الْمِصْرِيَّ]⁽³⁾ عَلَيَّ بَابَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا تَمَّتْ خَرَجَ فَلَمَّا رَأَى ذَا النُّونِ، قَالَ لَهُ: أَمِنْ الْمَشْرِقِ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ما الَّذِي أَقَدَمَكَ [بِلَادِنَا؟]⁽⁴⁾ قَالَ: بَلَّغَنِي خَبْرَكَ فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَعْظِيَنِي لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعَنِي بِكَلَامِكَ، فَقَالَ [لَهُ]:⁽⁵⁾ يَا فَتَى سِخِّ فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعِينَ بِأَكْلِ عُشْبِهَا عَلَيَّ أَدَاءِ الْفَرَضِ، وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ صِلَةَ وَلَا فِرْسَنًا⁽⁶⁾ فَإِنْ ضَعُفَ يَقِينُكَ فَاسْأَلْ مَنْ غَدَاً عَلَيْهِ الْعَرَضُ [يُعِينُكَ]⁽⁷⁾ ثُمَّ دَخَلَ فَأَقَمْتُ عَلَيَّ بَابَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمَّا خَرَجَ بَعْدَ انْقِضَائِهَا قَالَ [لَهُ]⁽⁸⁾ ما انتفعت من الموعظة بشيءٍ قلت: أردت الزيادة، قال: كُلْ مِنْ كَدِّ يَمِينِكَ مِمَّا عَرِقَ فِيهِ جَبِينُكَ وَلَا تَأْكُلْ بِدِينِكَ، فَإِنْ خِفتُ أَنْ يَضْعُفَ يَقِينُكَ، فَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ يُعِينُكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِي وَلكَ غَدَاً مَوْقِفًا بَيْنَ يَدِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَشْكُ مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ثُمَّ دَخَلَ فَأَقَمْتُ عَلَيَّ بَابَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: ما انتفعت من الموعظة بشيءٍ قلت: أردت الزيادة، قال: لست من الزيادة ولكن يا فتى ارض بما قسم الله لك تكن أزهد الناس واتبع ما أمرك الله به تكن من أعبد الناس وانتهي عما نهاك الله عنه تكن من أروع الناس ثم هم بالدخول فجدبت ثوبه فقلت: زدني منك زاداً ينفعني الله به. قال: فرمى بين يدي شيئاً كهيئة الدينار أو كهيئة الدرهم فنظرت فإذا هو اسم من أسماء الله تعالى

(1) في ت: من يوم.

(2) في ت، والرياض 313/1: وليس.

(3) زيادة من: ت.

(4) في ط: إلى هنا؟ التصويب من: ت، والرياض 313/1.

(5) في ط: لي. التصويب من: ت، والرياض 313/1.

(6) في الرياض: قرضا 313/1. (7) سقط من: ت.

(8) في ط: لي. التصويب من: ت، والرياض 313/1.

فما سألت الله عز وجل [به] ⁽¹⁾ شيئاً إلا أعطاني إياه. قال أبو محمد الحسن بن أبي العباس الأجدابي يذكر أن ذا النون وجد في الرُّقعة التي [دفعها إليه] ⁽²⁾ شقران يا دائم الثبات يا مخرج النبات يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات ⁽³⁾. ولشقران كلامٌ جليلٌ مع ذي النون المصري يشتمل على معارف جمّة وحكم رائقة ومواعظ ووصايا، يطولُ بها الكتاب، انتهى.

قلت: هو قول المالكي حدث أبو عثمان سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال: سمعتُ ذا النون بن إبراهيم المصري يقول: وصف لي رجل بالمغرب، وذكر لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه فرحلت ⁽⁴⁾ إليه إلى المغرب فأقمت على بابه أربعين يوماً على أن يخرج من منزله إلى المسجد فكان يخرج في وقت كل صلاة ويرجع كالأول لا يكلمني ولا يكلم أحداً، فضاقت لذلك صدري فقلت: يا هذا إني مقيمٌ ها هنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمني فقال لي: يا هذا لساني سبغ فإن أنا أظلمتُه أكلني، فقلت: يرحمك الله عظمي بموعظةٍ أحفظها [عنك] ⁽⁵⁾ قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله تعالى قال: لا تحب الدنيا وعد الفقر غنى، والبلاء من الله نعمة، والمنع من الله عطاء والوحدة مع الله أنسا والذلُّ عزاً والمباهاة حظاً والإياس عفة ⁽⁶⁾ والطاعة حرفة والتوكل معاشاً والله لكل شيء غدة. ثم مكثت على بابه شهراً لا يكلمني فقلت له: رَحِمَكَ اللهُ إني أريد الرجوع إلى بلدي فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة، فقال [لي] ⁽⁷⁾: وما كفاك ما سمعت؟ فقلت له: رَحِمَكَ اللهُ، إني رجلٌ مبتدئٌ لا أعلم عندي، فقال [لي] ⁽⁷⁾: هكذا؟ قلت: نعم، فقال: اعلم يا هذا اعلم أن الزاهد في الدنيا قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، وليأسه ما ستر، والخلو مجلسه، والقرآن حديثه، والعزير الجبار أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والصمت مجتته ⁽⁸⁾، والخوف محجته، والشوق مطيته، والنصيحة نهمة ⁽⁹⁾، والاعتبار فكرته، والصبر وساده، والتراب فراشه، والصديقون إخوانه، والحكمة

(1) ما بين المعقوفين زيادة من: ت.

(2) في ط: دفع له. وفي ت: دفع إليه. التصويب من الرياض 314/1.

(3) الرياض 314/1. (4) في ت: فرجعت.

(5) زيادة من: الرياض 315/1. (6) في الرياض: غفلة 315/1.

(7) زيادة من الرياض 315/1. (8) في الرياض: جنته 315/1.

(9) في ت و ط: همته. التصويب من الرياض 315/1.

كَلَامُهُ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ، وَالْحِلْمُ خَلِيلُهُ، وَالتَّوَكُّلُ كَسْبُهُ، وَالْجُوعُ إِدَامُهُ، وَاللَّهُ عَوْنُهُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ تَعَالَى، بِمَ تَتَبَيَّنُ الزِّيَادَةَ لِلْعَبْدِ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ فَقَالَ: بِالْمَحَاسِبَةِ لِلنَّفْسِ، وَالْمُنَاقَشَةِ لَهَا، حَسْبُكَ الْآنَ، حَسْبُكَ، حَسْبُكَ!». وَقَالَ ذُو النُّونِ: «سَمِعْتُ أَسْتَاذِي شُقرانَ الْمَغْرِبِي يَقُولُ فِي بَعْضِ مَوَاعِظِهِ: مَنْ تَوَكَّلَ اسْتَغْنَى، وَمَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ⁽¹⁾ تَعَبَ، وَمَنْ شَكَرَ كُوفِيَ، وَمَنْ رَضِيَ عُوفِيَ⁽²⁾، وَالنَّظْرُ إِلَى الظُّلْمَةِ آفَةٌ التَّحْقِيقِ، وَالْهَجْرُ لَهُمْ أَوَّلُ الطَّرِيقِ.

قَالَ: رَوَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خُرَاسَانَ، قَالَ: كَانَ شُقرانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، فَهُوَ تَهْ أَمْرَةٌ، ثُمَّ ذَكَرْتُ أَمْرَهَا لِعَجُوزٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهَا الْعَجُوزُ فَقَالَتْ لَهُ: يَا بَنِي⁽³⁾ لِي وَوَلَدٌ قَدْ قَرَّحَتْ⁽⁴⁾ قَلْبِي غَيْبَتُهُ وَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَقْرَأَهُ لِي، فَأَجَابَهَا، فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي لَهُ أُخْتُ لَهَا مِنْ الْوَجْدِ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا بِي، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَلْصُقَ بِالْبَابِ فَتَسْمَعْ أُخْتَهُ كِتَابَهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي إِنَّهَا لَا تَخْرُجُ وَهِيَ وَرَاءَ الْبَابِ الْوَسْطَانِي، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَقَدَّمَ إِلَى الْبَابِ الْوَسْطِ وَتَقْرَأَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُكْمِلُ لَكَ الْأَجْرَ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْبَابِ وَبَادَرَتْ الْعَجُوزُ فَغَلَقَتْ الْبَابَ الْبَرَّانِي⁽⁵⁾، وَفَتَحَتْ الْجَارِيَةَ الْبَابِ الْأَوْسَطِ وَضَرَبَتْ بِيَدَيْهَا فِي أَطْرَافِ⁽⁶⁾ شُقرانِ، وَقَالَتْ لَهُ: قَدْ وَصَلْتُ! وَرَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ نَزَلَ بِهِ، أَرَادَ مُلَاظَمَتَهَا لِيَتَخَلَّصَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهَا: وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ لَهُ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ! فَقَالَ لَهَا: أَعْطِنِي مَاءً أَتَوَضَّأُ بِهِ، فَأَعْطَتْهُ مَاءً تَوَضَّأَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي كَمَا شِئْتَ، وَقَدْ خِفْتُ الْفِتْنَةَ عَلَى نَفْسِي، فَاسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَغَيِّرَ خَلْقِي⁽⁷⁾، وَتَصَرِّفَ شَرَّهَا عَنِّي؛ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ بِهَ الْجَذَامِ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ مِنْهُ دَفَعَتْهُ فِي صَدْرِهِ وَأَخْرَجَتْهُ.

قُلْتُ: زَادَ الْمَالِكِيُّ: مِنَ الدَّارِ وَوَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا، فَكَانَ ذَلِكَ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ قَرُوحاً⁽⁸⁾ حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَرَحِمَهُ وَنَفَعْنَا بِبِرْكَتِهِ آمِينَ.

(2) فِي الرِّيَاضِ: صُوفِي 317 / 1.

(4) فِي الرِّيَاضِ: أَحْرَقَتْ 317 / 1.

(6) فِي الرِّيَاضِ: أَطَوَّقَ 318 / 1.

(8) فِي الرِّيَاضِ: فَرَاضًا 318 / 1.

(1) فِي الرِّيَاضِ: يَتَّقُ 317 / 1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: يَا وَوَلَدِي 317 / 1.

(5) الْبَرَّانِي: الْخَارِجِي.

(7) فِي الرِّيَاضِ: خَلَقْتَنِي 318 / 1.

قال: وَحَدَّ عبد الرحيم صاحب ابن فرُّوخ، قال: كُنَّا عند البُهلول بن راشد، إذ جاءه رَجُلٌ معه ابنٌ له صغيرٌ قد أصابه جُدْرِيٌّ، فهو يُبصر، فقال: ادع الله لولدي أن يرُدَّ عليه بَصْرَهُ، فقام بُهلول والصبي وأبوه حَتَّى دَخَلُوا عَلَى شُقْرَانَ، فسَلَّمُوا عليه، فقال البُهلول: إِنَّ أَخَانَا هَذَا لَيْسَ لَهُ غير ابنه هذا الذي معه، وقد ابتلي في بصره، فادع الله تعالى أن يرُدَّ عليه بصره، فقال له شُقْرَان: ادع يا أبا عمرو، وَتَوَمَّنْ عليك، فقال البُهلول: بل أنت يا أبا علي فادع الله وَتَوَمَّنْ نَحْنُ، فاستقبل شُقْرَان القبنة وهو على سَرِيرِهِ، فحمد الله تعالى وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثم قال: اللَّهُمَّ إِنَّ أَخَانَا هَذَا قَدْ سَأَلَنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ وَلَدَهُ بصره فالتفت الصبي إلى أبيه وقال له: ما هذا؟ فلما سمع البُهلول أخذ بيد الرجل والصبي وقام، وطرح شُقْرَان بنفسه على وجهه فَرَدَّدْنَا عليه الباب وخرج الصبي بصيراً وأخبر حمدون بن العسال قال: قحط الناس عندنا بالقبروان، فجاء قومٌ لِشُقْرَانَ وأنا عنده جَالِسٌ وَقَالُوا لَهُ: يَا أبا علي ادع الله تعالى أن يسقينا، وقد ترى ما فيه الناس من الجهد والغلاء، فشدَّ إزاره على وَسْطِهِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ فِي دُعَائِهِ: عَزِيمَةٌ مِنِّي عَلَيْكَ أَسْقِنَا السَّاعَةَ السَّاعَةَ! قال: فَأَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ وَأَمْطَرَتْ. قال حمدون: فخرجنا عنه نخوض الماء إلى أنصافِ سَاقِينَا⁽¹⁾. وَرَوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْوتَاتِ كَانَتْ لَهُ إِنَّةٌ فَأَخَذَهَا تَابِعَ فَعَالَجُوهَا فَلَمْ تَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ فَمَضَوْا إِلَى شُقْرَانَ وَسَأَلُوهُ الدُّعَاءَ لَهَا فَقَالَ لَهُمْ: يَقْرَأُ الْقَارِيءُ ثُمَّ دَعَا لَهُمْ شُقْرَانُ وَقَالَ لَهُمْ: مُرُّوا فِي عَافِيَةٍ، فَلَمَّا مَضَوْا بِهَا إِلَى دَارِهَا دَخَلَ فِيهَا الْجَنِّيُّ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَهْلُهَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: أَتُرِيدُ قَتْلَهَا؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أُرِدْتُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِعَجَبٍ: نَادَى مَنَادِي فِي الْهَوَاءِ قَدْ دَعَا عَلَيْكَ شُقْرَانُ⁽²⁾. وَيُرْوَى عَنْ خَادِمِ شُقْرَانَ قَالَ: أَقْعَدَ شُقْرَانَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ صَاحَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَارْفَعْنِي أَعْتَسِلُ فَقُلْتُ: غَلْبَنِي النَّوْمُ فَلَحِظْتُ السَّمَاءَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ أَدَاءِ فَرَضٍ وَأَنْقَطَعَ رَجَائِي مِنْ غَيْرِكَ فَاعْطِفْ عَلَيَّ أَسْرِي وَقِلَّةِ حِيلَتِي. فَقَالَ: قُمْتُ لِوُقُوعِ الْمَاءِ فِي الْمَرْحَاضِ وَالسَّرَاجِ يَقْدُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَدَمَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ الْقِيَامَ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَذَكَّرْ هَذَا لِأَحَدٍ مَا دُمْتُ حَيًّا⁽³⁾.

(1) الرياض 320/1.

(2) في الرياض: شُقْرَانُ بْنُ عَلِيٍّ 321/1.

وفيه تلميح: أخرج وإلا أخْرِقْتُ بالنار! وأنا خارج لا تروني بعدها أبداً.

(3) الرياض 321/1.

قلت: ذكر هذه الحكاية أبو بكر التُّجيبِيّ، قال: حدثني بها أبو العباس بن تميم، عن أبيه، عن القاضي سُليمان بن سالم، عن داود بن يحيى، عن خادم سُقران، قال: قال أبو سعيد ابن أخي هشام: وكان علامة الإجابة في دعائه أن يَرَوَا نوراً أخضر يُسرج فوق رأسه.

قلت: زاد التميمي عنه أنه كان يقول: فرائض سُقران أضلُّ حَسَنٌ يسهل على دارسه لتقوى مؤلفه⁽¹⁾.

قال: وتوفي سُقران رحمة الله عليه سنة مائة وستة وثمانين، وقد أناف على السبعين سنة، ودفنَ بباب سَلَم، وقبره مشهور والدُّعاء عِنْدَهُ مُجَابٌ⁽²⁾.

قلت: وعند رأسه عمود أبيض فيه تنقيبٌ يقال بالتَّوَاتُرِ: إن الناسا كانوا يأخذون منه وَيَخْلِطُونَهُ مَعَ الكُحْلِ، ويرون له بركة، وفي زماننا تُرِكَ ذلك؛ فلعلَّهُ لِفَتْوَى من نَهَى عن ذلك والله أعلم.

وما زلتُ أسمعُ من الَّذِينَ يَزُورُونَ قَبْرَهُ أَنَّ بجواره من الجهات الأربع سبعون شيخاً، منهم: أبو العرب، وأبو مَيْسَرَةَ، ومروان العابد، وواصل، رحمة الله عليهم أجمعين.

79 - ومنهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن سُرخبيل بن ثوبان الرُّعيني⁽³⁾ قاضي إفريقية وصاحب مالك بن أنس:

قال: روى عنه، وعليه كان مُعْتَمَدُهُ، وروى عن سُفيان الثوري وإسرائيل بن يونس وعثمان بن الضحاك المدني وجماعة. وروى بإفريقية عن ابن أنعم، وخالد بن عِمْران، ودخل الشَّام والعراق في طلب العلم، ولقي أبا يوسف صاحب أبي حنيفة.

قلت: قال أبو بكر المالكي: وأدخله ابن عُبْدُوس في المجموعة⁽⁴⁾.

(1) لم يرد هذا الكلام عند أحمد بن أحمد بن تميم في كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس.

(2) في الطبقات قال أبو العرب: وكان موته فيما أحسب قريباً من موت البهلول ص: 139.

(3) ترجم له في: الطبقات ص: 116 - 117، الرياض 1/ 215 - 229، تهذيب التهذيب 5/

331 - 332، تقريب التهذيب 1/ 516 رقم 3503.

(4) الرياض 1/ 215.

قلت: وَلَا فَائِدَةٌ فِي تَخْصِيصِ ابْنِ عَبْدِوَسٍ لِرَوَايَةِ سَحْنُونَ عَنْهُ فِي الْمَدُونَةِ بَلْ نَسَبَتْهُ إِلَيْهَا أَحْصَى. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَوَالِدُهُ [عَمْرُ الْمَذْكُورِ] ⁽¹⁾ مَذْكُورٌ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا بِإِفْرِيْقِيَّةِ أَيَّامِ بَنِي أُمِيَّةٍ قَبْلَ دُخُولِ الْمُسَوَّدَةِ ⁽²⁾ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ. ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى سَاقَةِ النَّاسِ فِي وَقْعَةِ الْقُرْنِ وَالْأَصْنَامِ ⁽³⁾ حِينَ خَرَجَ حَنْظَلَةَ ⁽⁴⁾ بِنِ صَفْوَانَ أَمِيرِ إِفْرِيْقِيَّةٍ لِمَحَارَبَةِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ أَرَادُوا اسْتِبَاحَةَ الْقَيْرَوَانَ فَيُقَالُ: إِنَّ ابْنَ غَانِمٍ ⁽⁵⁾ قَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ.

ذَكَرَ ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ وَتَعْظِيمُهُمْ لَهُ:

قال: فَضْلُهُ وَعِلْمُهُ وَدِينُهُ وَوَرَعُهُ فِي غَايَةِ الشُّهُرَةِ.

قلت: وَنَقَلَهُ الْمَالِكِيُّ بِلَفْظِ أَشْهَرِ مِنْ أَنْ يُذَكَرَ، وَكَانَ هَذَا أَحْصَى، وَزَادَ: وَهُوَ أَحَدُ الثَّقَاتِ وَالْأَثْبَاتِ ⁽⁶⁾.

قال: وَكَانَ مَالِكٌ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ غَانِمٍ وَقَدْ سَمِعَهُ أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ» ⁽⁷⁾ وَهَذَا كَرِيمٌ فِي بَلَدِهِ ⁽⁸⁾. وَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ وَهَبٍ مَوْتَهُ هَمَّهُ ذَلِكَ وَغَمَّهُ غَمًّا شَدِيدًا وَقَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَقَدْ كُنْتُ قَائِمًا بِهَذَا الْأَمْرِ يَرِيدُ الْفَقْهَ وَالْعِلْمَ ⁽⁹⁾. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ التَّجِيبِيُّ: كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ عَمْرَانَ الْقَاضِي عِنْدَ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ حَتَّى أَتَاهُ ابْنُ طَالُوتِ الْيَحْضُبِيِّ بِوَثِيقَةٍ كَتَبَهَا لَهُ ابْنُ غَانِمٍ فَأَخَذَهَا أَسَدٌ وَجَعَلَ يَعْضُهَا وَيَنْقُدُهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَّغَ نَقَرَهَا بِإصْبَعِهِ ثُمَّ قَالَ: مَا كَانَ أَفْقَهُ!

(1) ما بين المعقوفتين لم يرد في الرياض 215 / 1.

(2) في ت: المودة، وفي ط: السوده، التصحيح من الرياض 216 / 1.

(3) انظر فتوح مصر والمغرب ص: 250 - 251.

(4) عن ولاية حنظلة بن صفوان انظر فتوح مصر والمغرب الصفحات التالية: 243 - 249 - 250 - 251 - 252، والبيان المغرب 1 / 58.

(5) المراد به: عمر. كما في الرياض. (6) الرياض 215 / 1.

(7) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب (19) إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا. حديث

(3712) 1223 / 2 وفي إسناده سعيد بن مسلمة قال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين:

«ضعيف» ص: 127 رقم 287. للمزيد عمّن أخرج هذا الحديث انظر المقاصد الحسنة

للسخاوي ص: 53 - 54 رقم 50.

(8) الرياض 217 / 1. (9) الرياض 217 / 1.

قال: وقال أسد: كان ابنُ غانمٍ فقيهاً ورعاً له عقل وصيانة.

قلت: وقال أبو العرب: كان ثبناً ثقة فقيهاً عدلاً في قضاائه⁽¹⁾. وقال الشيرازي: كان من نظراء ابن حزم وأقرانه. وقال سليمان بن عمران: لولا تمتمة ابن غانم ما قام بطلاقة لسانه أحد. قال أحمد الجزار: التمتمة في ولده إلى زماننا هذا.

ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه:

قال: ولي القضاء سنة إحدى وسبعين ومائة وهو ابن اثنين وأربعين سنة.

قلت: زاد المالكي والتجيبى وكانت ولايته في رجب⁽²⁾. ففي كلام الشيخ بئر، وما ذكره المالكي والشيخ في سنه حالة ولايته خلاف قول أبي بكر التجيبى وهو ابن أربعين سنة.

قال: ولاءه روح بن حاتم.

قلت: تبع فيه التجيبى، وهذا هو الصحيح، وقيل: بل ولاءه هارون الرشيد وعلى الأول فقيل برأي أبي محمد عبد الله بن فروخ كما سبق وقيل لا بل بإشارة أبي يوسف وهو الصحيح. قال أبو بكر المالكي والدليل على القول الصحيح فيهما ما روي عن أبي عثمان حاتم بن عثمان المعافري وكان صديقاً لابن غانم وكان قد رحل معه إلى مالك وسمع منه فجلس أبو عثمان يوماً مع أناس فتكلموا في ولاية ابن غانم قال بعضهم: لم تكن من أمير المؤمنين وإنما كانت من [المُسَوِّدَة يعنون الجند، و]⁽³⁾ روح بن حاتم فقال أبو عثمان امرأته طالق ثلاثاً ورقيقه أحرار إن كان ولاءه إلا أمير المؤمنين، ثم إنَّ أبا عثمان أتى إلى ابن غانم فأخبره بالخبر فقال: ابن غانم: يا أبا عثمان كم صداقُ زَوْجَتِكَ [الذي]⁽⁴⁾ تزوّجتها به؟ فقال: مائتا

(1) في الطبقات عند أبي العرب: «وكان ثبناً ثقة نبيلاً، ولي القضاء بعد ماتع بن عبد الرحمن، وكان عدلاً في قضاائه، ولاءه رُوْح بن حاتم سنة إحدى وسبعين ومائة وهو يومئذ ابن اثنين وأربعين سنة» ص: 116.

(2) الرياض 1/ 220.

(3) ما بين المعقوفتين زيادة من الطبقات وفيه كلمة: «يعني» بدل كلمة يعنون ص: 116، والرياض 1/ 221.

(4) في ط: الذي، التصويب من: ت، والرياض 1/ 221.

دينار، فقال: كم ثمن ممالكك عليك؟ قال: مائة دينار فدعى ابن غانم بكيس فعَدَّ لأبي عثمان ثلاثمائة دينار وقال: خذها يا أبا عثمان فقد بَأَتْ منك امرأتك وعتق عليك عبيدك. فهذا⁽¹⁾ دليل على أن أمير المؤمنين لم يوله القضاء. وانتهى من فضله إلى أن كاتبه الخليفة فصارت ولايته كأنها من قبله إذ أجازها وأمضاها. وقال ابن أبي حسان مَضِيَتْ مع ابن غانم إلى منزله فقال لي: ما يقول الناس في ولايتي؟ فقلت له: يقولون: إن الذي وَلَّاكَ رَوْحُ بن حاتم [برأي ابن فروخ ف] ⁽²⁾ قال ابن غانم: لا والله لقد قال لي روح بن حاتم [والله] ⁽³⁾ مَا خَرَجْتَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَّا وَأَنْتَ قَاضٍ. وَذَلِكَ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أَبِي يُوسُفَ وَهُوَ حِينَئِذٍ قَاضِي الْقَضَاةِ لِأَوْدَعَهُ وَكَانَ لِي صَدِيقًا فَتَلَّتْ لِي: أَصْلَحَكَ اللَّهُ يَا أَبَا يُوسُفَ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ إِفْرِيْقِيَةَ فَهَلْ نَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ لِي: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَبِأَهْلِ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ خَيْرًا ⁽⁴⁾ وَبِهِ شَيْبٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنِ غَانِمِ الرَّغِينِي قَدْ فَتَنَهُ وَهُوَ حَسَنُ الْحَالِ ⁽⁵⁾ فَوَلَّاهُ قَضَاءَهَا. قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَادَعْتُهُ ثُمَّ انصرفت، فمن ذلك اليوم عَقَدْتُ وَلايَتَكَ فِي قَلْبِي ⁽⁶⁾.

[تفقد الشيوخ تلاميذهم على بُعد]

قلت: هكذا كان الناس. تفقد أبو يوسف تلميذه عبد الله بن غانم مع بُعد دأره عنه، ورأى أنه لا يقدم عليه غيره بحيث يكون فوقه وهكذا كان شيخنا أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني مع من قرأ عليه ويعرف دينه وعلمه فبعث لي بظهير قابس إلى القيروان، وقد مني ببلد الأربس ⁽⁷⁾ وأنا بالقيروان، وبعد موته حالت الناس، وصار يتقدم على الناس من [لا] ⁽⁸⁾ يصلح في الأعم الأغلب كما أشرنا إليه قبل.

قال: روي أنه دخل على إبراهيم بن الأغلب، فذكر له إبراهيم [أن] ⁽⁹⁾ كتاب

(1) في ت. وهذا.

(2) ما بين المعنيتين تكملة من الرياض 1/ 222.

(3) زيادة من الرياض 1/ 222.

(4) سقطت من: ت. وفي الرياض زادها المحقق اعتماداً على الإيمان.

(5) زيادة من الرياض 1/ 222. (6) الرياض 1/ 222.

(7) في ط: الأربص بالصاد، التصويب من: ت.

(8) سقط من: ت. (9) سقط من: ت.

أمير المؤمنين هارون الرشيد وصل إليه وأمره أن يُحْضِرَ الْقَاضِيَّ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ حَاتِمِ الْأَبْزَارِيِّ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، كَانَتْ لِفَرْجٍ⁽¹⁾ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ، فَنَظَرَ ابْنُ غَانِمٍ إِلَى الْأَبْزَارِيِّ تَرَعُدُ [فَرَائِضُهُ]⁽²⁾ وَالرَّسُولُ مَعَهُ، ثُمَّ أَقْرَأَهُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ فَقَالَ ابْنُ غَانِمٍ: أَوْلَ مَا نَأْمُرُ هَذَا الرَّسُولَ بِإِحْضَارِ شَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ أَنَّ هَذَا الْمَالُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لِفَرْجٍ فَتَاهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: أَوْ يَكْتُبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَاطِلِ؟ فَقَالَ ابْنُ غَانِمٍ: مَعَاذَ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْدَقُ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مَالاً مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَلَكِنْ قَدْ تَخْتَلِقُ الْأَشْيَاءَ دُونَهُ. فَقَالَ الرَّسُولُ لِإِبْرَاهِيمَ: مَا تَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: أَقُولُ مَا قَالَ الْقَاضِي [قَالَ: فَقَامَ الْقَاضِي ابْنُ غَانِمٍ]⁽³⁾ وَقَالَ لِحَاتِمٍ: امْضِ أَمَامِي، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: لِلَّهِ دَرَّةٌ مِنْ أَمْرِي دَحْدَاحٌ⁽⁴⁾، مَا أَنْفَذَ بِصِيرَتِهِ وَأَمْضَى عَزِيمَتِهِ.

قلت: في كلامه بتر لقول المالكي: فأول ذلك أن أمر هذا الرسول بإحضار شاهدين عدلين أن أمير المؤمنين استخلفه على قبض هذا المال إن صح له، ويشهد غيرهما من أهل الثقة أن هذا المال لأمير المؤمنين أو لفرج فتاه. وأراد بقوله دحداح أي قصير القامة. قاله المالكي⁽⁵⁾.

قال: وَقَالَ سَعِيدٌ⁽⁶⁾ بَنَ مُحَمَّدَ كَانَ لابن غانم حَظٌّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ فَإِذَا تَشَهَّدَ عَرَضَ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحْكُمَ لَهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مُنَاجَاتِهِ فيقول: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا نَازَعَ إِلَيَّ فُلَانًا وَادَّعَى عَلَيْهِ بِكَذَا فَأَنْكَرَهُ، فَسَأَلْتَهُ الْبَيِّنَةَ فَشَهِدَتْ لَهُ وَزَكَّيْتُ، وَأَشْرَفَ عَلَيَّ أَنْ أَخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ اللَّهُمَّ فَسَلِّمْني.

قلت: نقله هذا من التَّجِيبِيِّ. وأراد بقوله: فإذا تشهَّد يريد وسلِّم وناجى ربَّه بإثر سلامه وقراغه من قيامه، ويحتمل أن يقوله في آخر صلاته بعد تشهده وقبل سلامه ثم يسلم. وقد كنت في أيام قضائي بجزيرة جربة أقوم في جوف الليل،

(1) في الرياض: للفرج / 1 / 223.

(2) في ت و ط: فرائسه، التصويب من كتاب لسان العرب لابن منظور مادة: «فرص» 64 / 7، دار صادر بيروت.

(3) ما بين المعقوفتين سقط من: ت و ط. الزيادة من الرياض 224 / 1.

(4) الدحداح: القصير. انظر القاموس المحيط مادة: «د ح ح» ص: 197.

(5) الرياض 224 / 1. (6) في ت: أبو سعيد.

وأرغب إلى الله بمثل هذا أو أخص منه اتباعاً لابن غانم، وإنما ذكرت جرّبة لأنّها أوّل ولاية وليّتها، فكُنْتُ في غاية ما يكون من الإشفاقِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي، ولا نجد فيها من نشاركه في أمرِي لأنّ أهلها خوارج، وَلَهُمْ مَذْهَبٌ لَأَنْفُسِهِمْ بخلاف ما وليته بعد، فكان لجائي إلى الله تعالى في جوف اللَّيْلِ فيها أكثر وألزم.

قال: وَكَانَ إِذَا جَلَسَ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ يَلْبَسُ الْفَرَّوَ الدُّنْيَا، والثياب الخشنة ويصرف بصره إلى الأرض، [فمن لم يره لم يشك أنه مكفوف]⁽¹⁾.

قلت: تبع فيه التّجبيبي وبتّر من كلامه، لكنه كان يجلس للنساء يوماً. ونقله المالكي عن أبي محمد [عبد الله]⁽²⁾ بن أبي زيد عن عبد الله بن سعيد بن الحداد عن أبيه. وزاد: وكان يزيل الكتاب والحجاب من بين يديه في ذلك اليوم الذي يحكم فيه للنساء.

قال: وَتَشَكَّى لابن غانم النّخّاسون، فقالوا: اشترى منا أبو هارون مولى إبراهيم بن الأغلب وصاحب أمره بغالاً بخمسمائة دينار، ولم يدفع لنا شيئاً، فأخضّر ابن الأغلب أبا هارون وسأله عما ذكر القاضي، فأقرّ به وقال: إنّما أخرتهم ليجيء خراج قسطنطينية، فإذا جاء دفعت إليهم، قال ابن غانم: إنّما ظننت أنه يجحد فأوقفه معهم موقف الخصوم، فأما إذا أقرّ فإني لا أبرح حتى يدفع إليهم أموالهم.

قلت: قسطنطينية هي نقرأوة. وذكر هذه الحكاية المالكي، وذكر أنه بنفس تشكيهم قام ابن غانم من الفور، وكان إبراهيم قد أباح له الدخول. وهكذا كان القضاة المعبرون يخلّصون أموال المسلمين من حاشية السلطنة بعز، ويسوّون بين القوي والضعيف، ويقرّون شرع النبي ﷺ، ويحسن قضايتهم أعزهم الله تعالى؛ ومنهم شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني رحمه الله، فعرفني بعض من أثق به من العدول، قال: بينما هو يحكم في سقيفة الدويرة اللطيفة المحبسة على جامع القصبة، إذ كان ساكناً بها بزوجه، لكونه كان إمام الجامع المذكور، وذلك في ابتداء أمره، وإذا برجل قال: يا سيدي، دعوتك فلاناً وكيل السلطان زكرياء من رياض السلطان ولم يتبعني، قال: انتظره، فلما لم يأت قال له: ألك عليه شهادة؟ قال:

(1) ما بين المعقوفين في الرياض: «والذي لم يكن رآه قبل ذلك الوقت يتوهم أنه مكفوف البصر»

(2) في الرياض: [أبو محمد بن أبي زيد] ولم يرد ذكر «عبد الله» 227 / 1.

نعم، وخرج وأتى بها، فبنفس شهادتهم صرّف الناس عن الحُكم، وغضب وغلّق بابَهُ، فمَشى أكبرُ خُدَامِهِ عليّ يعرف بالمطرق وتَرَفَّقَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أمير المؤمنين أبي العباس أحمد، وقال بعد سلامِهِ: يا مولانا ما يعز الشَّرْعَ إِلَّا أَنْتُمْ وَمَا يُذِلُّ الشَّرْعَ إِلَّا أَنْتُمْ. فقال: وما الأمر؟ فَبَسَطَ لَهُ الْوَاقِعَ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ زَكْرِيَاءَ، وَعَرَفَهُ بِأَنَّهُ غَلِقَ بَابَهُ عَنِ الْحُكْمِ فَقَالَ لِأَخِيهِ زَكْرِيَاءَ: يَا أَخِي، هَذَا لَا يُخَلِّصُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرٌ بِضَرْبِهِ أَلْفَ سَوْطٍ وَتَطْوِيفِهِ عَلَى بَغْلٍ فِي مَجَامِعِ النَّاسِ وَمَعَ ضَرْبِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ مَعْتَبَرٍ وَأَوْصَى الضَّارِبَ لَهُ بِالضَّرْبِ الشَّدِيدِ وَقَالَ لَهُ: تَرَانِي أَنْظِرْ إِلَيْهِ بَعْدَ ضَرْبِكَ فَإِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ لَحْمِهِ وَإِنْ قَلَّ لَيْسَ فِيهِ دَمٌ كَلَامِي مَعَكَ. ففعل به ذلك، ولما رآه بعدَ ضَرْبِهِ شَكَرَ ضَارِبَهُ عَلَى ضَرْبِهِ كَمَا أَوْصَاهُ. وَقَالَ لِخَدِيمِهِ حِينَ أَمَرَ بِضَرْبِهِ: قُلْ لَهُ يَحْكُمُ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَوْلَادِي [كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ]⁽¹⁾ وَلَا يُبَالِي فَكَانَ ذَلِكَ حَدًّا لِلْقَوَادِ وَغَيْرِهِمْ وَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ سُلْطَانًا وَلَدُهُ أَبُو فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، زَادَ عِزُّهُ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ فِي حَالِ ضُرُورَتِهِ إِلَى ذَلِكَ لِثَلَاثِ بِيَاعٍ غَيْرِهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ بَعْضَ رِسَالَةِ الشَّيْخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، فَعَمِلَ عِنْدَهُ الْمِيعَادَ يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ بِإِقْرَاءِ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ، فَكَانَ مِنْ يَكْسِرُ لَهُ دَعْوَى، وَلَوْ مِنْ الْقَوَادِ الْكِبَارِ يَأْمُرُ بِتَمْزِيقِ مَا فَوْقَ عُنُقِهِ وَمَا يَلِيهِ وَيَضْرِبُهُ فِي الْعُنُقِ الصَّفْعَ الشَّدِيدَ فَيَضْرِبُهُ أَعْوَانُهُ بِأَمْرِهِ فَكَانَ أَكْثَرَ الْقَوَادِ يَنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَتَحَاكَمُونَ عَنْهُ، فَكَانَ النَّاسُ فِي عِزِّ عَظِيمٍ لِقُوَّةِ تَنْفِيزِ أَحْكَامِهِ وَحُسْنِهِ سِيرَتِهِ، حَتَّى لَا يَجِدَ أَحَدٌ مَا يَقُولُ فِيهِ إِلَّا أَنْ مَاتَ وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَلَى مَا عَرَفْنِي [بِهِ]⁽²⁾ مِنْ نَثْقُ بِهِ تِسْعَةَ [وَعِشْرِينَ]⁽³⁾ سَنَةً. فَتَسْأَلُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجِدَ عَلَيْنَا الرَّحْمَةَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَتَفَرَّسُ فِي ابْنِ غَانِمِ الْقَضَاءِ، وَبَعْدَ وِلَايَتِهِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَالِكِيُّ سُرَّ بِذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ يَتَفَرَّسُ فِيهِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ الْفَتَى الرَّعِينِيَّ الَّذِي كَانَ يَأْتِي إِلَيْنَا قَدْ اسْتَقْضَى عَلَيَّ إِفْرِيقِيَّةَ فَكَانَ يَسِرُهُ ذَلِكَ.

(1) فِي ت: كغيرهم.

(2) سَقَطَ مِنْ: ت.

(3) لَعَلَّ الصَّوَابَ هُوَ: [تِسْعَةَ عَشْرًا] لِأَنَّ الْوَارِدَ فِي الرِّيَاضِ: أَنَّ وِلَايَتَهُ كَانَتْ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (171هـ) 220 / 1. وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَةٍ (190هـ) 215 / 1. انظر مطلع البيت الشعري الآتي قوله:

«ولينا قضاء الغرب عشرين حجّة»

قلت: وقد تقدم في التعريف بأبي محمد عبد الله بن فروخ أنه قال للرسول الذي بعثه ابن غانم بكتاب إلى مالك يسأله عن مسألة أولي ابن غانم فقال له الرسول: نعم، فقال له مالك: **بِاللَّهِ إِنَّنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾ [البقرة: 156] فالأهْرَبُ فالأفر حتى تقطع يده! وهذا لا يُنَافِي ما فَوَّقَهُ لحمله على أنه لَمْ يَسْرَهُ ذَلِكَ أو لا، وود⁽¹⁾ أن لا يقبل وبعد حصوله وقبوله سَرَهُ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ بعلمه ودينه وصلاحه، فبتقديمه يقع النفع به لسائر إفريقية ولا سِيَّما لِبُعْدِهَا عَنِ بَلَدِ السُّلْطَانِ فلا⁽²⁾ يقوم بها غيره والله تعالى أعلم. وما زال رحمه الله تعالى قَاضِيًا حَتَّى مَاتَ فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ مُدَّةً مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً. وقال في ذلك حفيده عبد الرحمن بن أبي عمر بن غانم:

وَلِينَا قِضَاءَ الْغَرْبِ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعِزُّ وَعَدْلٍ، عِنْدَنَا مُسْتَلِينَهَا
وَأَمْضَى أَبُونَا الْحَقَّ فِي النَّاسِ فَاسْتَوَتْ رَعِيَّتُهُ فِي الْعَدْلِ فَاعْتَزَّ دِينُهَا
فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي مُسْتَقَرِّهِ [وَجَازَاهُ رَحْمًا]⁽³⁾ كَالسَّحَابِ هَبُوبِهَا

ذكر بقية أخباره:

قال: وسأله مرة براهيم بن الأغلب أن يطلع معه صومعة الجامع الأعظم فأبى وقال: إن في ضغودي إليها تشرف على حرم المسلمين والنظر إلى عوراتهم والله لا فعلت ذلك أبداً.

قلت: زاد المانكي [وكانت]⁽⁴⁾ الصومعة يومئذ في الركن الغربي ثم ارتثت⁽⁵⁾ بعد ذلك وجعلت في المكان الذي هي به اليوم⁽⁶⁾.

قال: وركب إبراهيم يوماً آخر، وابن غانم معه، فسلك زرعاً فلم يسلك ابن غانم معه، وأخذ في المحجة.

قلت: زاد المانكي: وشق إبراهيم بن الأغلب سَمَاظَ الْقَيْرَوَانَ مِنْ بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ وَمَعَهُ ابْنُ غَانِمٍ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَوْضِعِ سَمَاهُ زَادَتْ دَابَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَشِيِّ، فَجَاوَزَ ابْنُ غَانِمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ غَانِمٍ حَوَّلَ وَجْهَ دَابَّتِهِ إِلَى نَحْوِ دَارِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ

(1) في ت: ورد.

(2) في ت: مما.

(3) ما بين المعقوفين في ت: وسقاه غراً.

(4) في ت: وكان موضع.

(5) في ت: ارتثت.

(6) في ت: أزيلت 224 / 1.

(7) في ت: أزيلت 224 / 1.

إبراهيم وقال: ما حملك على أن عَطَفْتَ عَنِّي وَفَارَقْتَنِي؟ قال: صلح الله الأمير، إنما القاضي بِحُرْمَتِهِ، وَإِنَّمَا تَنْفِذُ أَحْكَامَهُ بِقَدْرِهِ نَفُوذَ جَاهِهِ وَقَدْ رَأَيْتُكَ حَرَكْتَ دَابَّتَكَ، فَلَوْ سَاعَدْتُكَ وَحَرَكْتَ دَابَّتِي سَقَطْتَ قَلْنُسُوتِي فَإِذَا سَقَطْتَ قَلْنُسُوتُ الْقَاضِي لَعَبَ [بِهَا] ⁽¹⁾ الصبيان ⁽²⁾. وعن تَمِيمِ بْنِ حَيْرَانَ قَالَ: كَانَتْ الْكُتُبُ تَأْتِي مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَيَأْتِي مَعَهَا كِتَابُهُ إِلَى ابْنِ غَانِمٍ، وَكَانَ الرَّسُولُ يَسْكُنُ بِقَرْبِ قَبَةِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، فَرُبَّمَا أَتَى إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَابْنُ غَانِمٍ فَيَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كِتَابَهُ فَفَضَّرَ إِبْرَاهِيمُ كِتَابَهُ وَقَرَأَهُ عَلَى ابْنِ غَانِمٍ وَهُمَا جَمِيعاً رَاكِبَانِ يَتَسَايَرَانِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِابْنِ غَانِمٍ: قَدْ فَضَضْتُ أَنَا كِتَابِي وَقَرَأْتُهُ عَلَيْكَ، فَفَضَّرَ أَنْتَ كِتَابَكَ وَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَأَبَى ابْنُ غَانِمٍ [مِنْ ذَلِكَ] ⁽³⁾ فَوَجَدَ ابْنَ الْأَعْلَبِ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا صَارَا ⁽⁴⁾ جَمِيعاً إِلَى مَوْضِعٍ ⁽⁵⁾ فِي السَّمَاطِ حَرَكَ إِبْرَاهِيمُ دَابَّتَهُ وَصَارَ قُدَّامَ ابْنِ غَانِمٍ، فَتَرَكَ ابْنَ غَانِمٍ وَعَطَفَ فِي زِقَاقِ السَّقَطِيِّينَ وَتَمَادَى إِلَى دَارِهِ وَشَقَّ إِبْرَاهِيمُ السَّمَاطَ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ دَارُ عَقْبَةِ الْمُسْتَجَابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الَّتِي تَسْمَى الْيَوْمَ الْمَخْرَنَ الْكَائِنَ قِبْلَةَ الْجَامِعِ، وَقَدْ حُفِرَتْ فِي زَمَانِنَا مَطَامِيرٌ لِلْخُرْنِ كَمَا كَانَ قَبْلَ زَمَانِنَا، وَإِبْرَاهِيمُ يظنُّ أَنَّ ابْنَ غَانِمٍ خَلَفَهُ فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ دَارِ الْإِمَارَةِ افْتَقَدَهُ فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ فَارَقَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَبَعَثَ فِي طَلْبِهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتَ فَعَلْتَيْنِ قَبِيحَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مَنَعَكَ ⁽⁶⁾ لِقْرَاءَةَ كِتَابِكَ، وَالثَّانِيَةَ مَفَاقَتُكَ لِي ثُمَّ عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرَ الْغَضَبَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْأَمِيرَ يَقْتُلُ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاضِي؟ فَقَالَ ابْنُ غَانِمٍ: لَسْتُ أَنْتَ ذَلِكَ الْأَمِيرَ وَلَا أَنَا ذَلِكَ الْقَاضِي. ذَلِكَ الْأَمِيرُ وَلَدُكَ، وَالْقَاضِي هُوَ غَيْرِي. فَقَدَّرَ أَنَّ كَانَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ وَالْقَاضِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَالِبٍ ⁽⁷⁾.

قلت: وَأَحْفَظُ جَوَابَ ابْنِ غَانِمٍ لَهُ عَنِ الْأَوَّلِ بِأَنَّ قَالَ: إِنْ الْأَمِيرَ إِذَا كَتَبَ لِي كِتَاباً وَأَسْرَّ إِلَيَّ فِيهِ كَلَامَهُ، يَكْرَهُ ⁽⁸⁾ إِظْهَارَهُ مِنِّي. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَكَانَ مِنْ بَهْرَمِ الْخَلِيفَةِ لِابْنِ غَانِمٍ وَإِجْلَالِهِ لَهُ، مَا يَفُوقُ الْمِقْدَارَ، حَتَّى [أَنَّهُ] ⁽⁹⁾ إِذَا كَتَبَ كِتَاباً إِلَى

(1) فِي ت وَ ط : بِهِ، وَالصَّوَابُ: بِهَا.

(2) فِي الرِّيَاضِ: «وَإِذَا سَقَطَتْ قَلْنُسُوتِي انْكَشَفَ رَأْسِي وَضَحِكَ عَلَيَّ الصَّبِيَانُ» 226 / 1.

(3) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ: ت. (4) فِي ت وَ ط: سَارَا. التَّصْوِيبُ مِنْ: الرِّيَاضِ.

(5) فِي الرِّيَاضِ: مُرْبَعٌ 225 / 1. (6) فِي ت: مَنَعْتُ.

(7) الرِّيَاضُ 226 / 1. (8) فِي ت: فَكْرَهُ.

(9) سَقَطَ مِنْ: ت.

إبراهيم يقول له في كتابه: وأعلمك أنني لا أفك لك كتاباً حتى يكون مع كتابك لي كتاب ابن غانم.

قلت: يعني إن شكرك أبقيناك وإن ذمك عزلناك. قال المالكي: ولذلك كان إبراهيم أشد الناس وأكثرهم مداراة لابن غانم. وكان كثير الإكرام والتعظيم له، فكان إبراهيم بن الأغلب يُصَلِّي بالجامع الأعظم المكتوبات كلها، فخرج ليلة من الليالي من دار⁽¹⁾ الإمارة فدخل الجامع لصلاة العتمة، وكان مشغول القلب فعثر على حصير فسقط، فلما صَلَّى بالناس وانصرف، بعث في طلب ابن غانم، فأثأه الرسول وقال له: الأمير يدعوك فتغير لذلك⁽²⁾ ابن غانم وقال: في مثل هذه الساعة⁽³⁾ يوجه ورائي؟ ثم لم يجد بُدّاً أن قام إليه، فلما دخل عليه قال: يا أبا عبد الرحمن، إني لم أبعث إليك إلا لخير، إني لما دخلت المسجد اشتغل قلبي عن حفظ نفسي فعثرت على حصير فسقطت فظننت بالناس أنهم حسبوا أنني مُتَبِّدٌ فأخبيت أن تكون براءتي عندك ولا أبالي بغيرك فاستنكهنني فاستنكهه ابن غانم فوجده بريئاً [مما قال فشكر له ذلك]⁽⁴⁾.

قلت: وأعجبه هكذا كان عز القضاة والخوف منهم لكونهم عملوا بما عرفوا من العلم، فكان خوفهم على قدر علمهم، وقد شاهدنا هذا من شيخنا أبي مهدي عيسى الغبريني رحمه الله تعالى. ونظر ابن غانم يوماً إلى قارورة في يد إبراهيم فيها دهنٌ يسير، فقال لإبراهيم: ما هذا؟ فقال له: دهنٌ ثم قال: كم تظن أنه يساوي؟ فقال له: هذا تافه يسير، كم عسى أن يساوي؟ فقال: إن ثمنه كذا وكذا درهماً. وذكر ثمناً كثيراً فقال ابن غانم: ما هذا؟ قال: السُّمُّ القاتل. قال: أريني، فدفع إليه القارورة، فلما أخذها ابن غانم ضرب بها عموداً كان في المجلس فانكسرت وذهب ما فيها، فقال له إبراهيم: ما صنعت؟ قال: أفنرك معك ما تقتل الناس به اغتيالاً⁽⁵⁾.

قلت: ذكر هذه الحكاية أبو بكر المالكي، وفعل ابن غانم ما يجب عليه لأنه مُنكرٌ فوجب عليه تغييره بإفساده مع كونه لا يخاف على نفسه.

(1) في الرياض: من داره، دار الإمارة 1/ 226.

(2) في ت، والرياض: عند ذلك 1/ 226. (3) في الرياض: الوقت 1/ 226.

(4) في ت: من ذلك. (5) الرياض 1/ 224.

قال: وروي أن مالكا عرض عليه أن يُزَوِّجَهُ ابنته علي أن يُقيم عِنْدَهُ فأبى إلا أن يَرْتَحِلَ بها إلى القيروان.

قلت: نقلها المالكي عن بعض قرابة ابن غانم عنه وهذه مكانة عظيمة لابن غانم وَرَفَعَهُ عَالِيَةً عند الإمام مالك رحمة الله تعالى عليه. قال المالكي بإسناد⁽¹⁾: إنَّ عبد الله بن قُروخ قال: دخلنا على سفيان الثوري أنا وابن غانم والبهلول بن راشد فسألناه في السَّماعِ مِنْهُ فَأَجَابَ إلى ذلك وقال: يَقْرَأُ عَلَيَّ أَعْرَفُكُمْ⁽²⁾ كَلَاماً لأنه ربما يقرأ على القاريء فَيَلْحَنُ⁽³⁾ في قِرَاءَتِهِ فَأُحْرَمَ نومي وطعامي. فقرأ لنا عليه ابن غانم شهوراً كثيرةً فما رأينا الثوري ردَّ عَلَيْهِ في قراءته شيئاً، ولا أخذ عَلَيْهِ لِحْنَةً وَاحِدَةً.

[لا يعرف الفضل إلا ذوهه]

وعن سحنون قال: قرأ علينا⁽⁴⁾ ابن [غانم]⁽⁵⁾ كتاباً من «الموطأ» فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، أَيْعَجِبُكَ هذا مِنْ قَوْلِ مالك؟ فقام⁽⁶⁾ ابن غانم وقد ألقى الكتاب مِنْ يَدِهِ وقال: أَوْلَيْسَ وَضَمَّةٌ عَلَيَّ في ديني وعقلي أن أُرَدَّ على مالك قولة قالها؟ والله لقد أدركتُ العبادَ الذين [يتعبدون]⁽⁷⁾ يَتَوَرَّعُونَ من الذرِّ فما فَوْقَهُ سُفْيَانُ، وَذَوِي⁽⁸⁾ سُفْيَانَ فما رأيت أَوْرَعَ مِنْ مالك (اه) فَهَذَا مِنْ حُسْنِ أدبِهِ رَحِمَهُ اللهُ وَدَخَلَ عليه ولده من المكتب فسأله عن سورته فقال: حَوْلني المعلم من سورة الحمد فقال له: اقرأها فقرأها فقال له: تَهَجَّجَهَا، فَتَهَجَّجَاهَا فقال له: إرفع ذلك المقعد فرفعه فإذا تحته دَنَابِيرُ دُونَ⁽⁹⁾ العشرين وفوق العشرة فقال له: ارفعها لِمُعَلِّمِكَ [فرفعها]⁽¹⁰⁾ لمعلمه فَأَنْكَرَهَا وحملها إلى أبيه [عبد الله بن غانم]⁽¹¹⁾ فقال له عبد الله بن غانم كالمعتذر: لم يَحْضُرْنِي غيرها يا معلم، أَتَدْرِي مَا عَلَّمْتَهُ كل حرف منها خيراً من الدنيا وما فيها⁽¹²⁾.

(1) في ط: بإسناده، التصويب من: ت، والرياض 216/1.

(2) في الرياض: أعربكم 216/1. (3) اللحن: الخطأ.

(4) في ت: عليه. (5) سقط من: ت.

(6) في ت و ط: فقال: التصويب من: الرياض 217/1.

(7) سقطت من: ت، والرياض 217. (8) في الرياض: ودون.

(9) في ت: تحت. (10) في ت: فأتى بها.

(11) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (12) الرياض 218/1.

قلت: ذَكَرَهَا المَالِكِي عن أَبِي عَثْمَانَ سَعِيدٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ وَأَنَّ الشَّاكَّ فِي [عَدَدِ الدَّنَانِيرِ]⁽¹⁾ هُوَ أَبُو عَثْمَانَ. وَهَكَذَا كَانَتِ النَّاسُ يَبْذُلُونَ مَا يَفْنَى، وَهَكَذَا كَانَ الْمُؤَدَّبُونَ أَيْضًا فِي تَعْلِيمِهِمْ، وَالْيَوْمَ رَبَّمَا يَصِلُ الْوَلَدُ إِلَى سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَلَا يَأْخُذُ الْمَلَّةَ⁽²⁾، فَضَيَّعُوا فِي حُقُوقِ التَّعْلِيمِ فَضَيَّعَ النَّاسُ فِي حَقُوقِهِمْ. قَالَ المَالِكِي: وَكَانَ ابْنُ غَانِمٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هِمَّةً⁽³⁾ فِي نَفْسِهِ خَلَّفَ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَسُوءَ [بَدَنِهِ]⁽⁴⁾ بِالْفِ دِينَارًا. وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الحَدَادِ: كَانَ ابْنُ غَانِمٍ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ:

إِذَا انْقَرَضَتْ عَنِّي مِنَ العَيْشِ مُدَّتِي فَإِنَّ غِنَاءَ البَاكِياتِ قَلِيلُ
سَيُعْرَضُ عَنِّي ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ⁽⁵⁾

قلت: كَثِيرًا مَا نَنْقُلُ فِي وَعْظِي فِي المِيعَادِ هَاتَيْنِ البَيْتَيْنِ وَنَتَأَسَّى بِهِمَا وَنَحْتُ نَفْسِي وَالحَاضِرِينَ عَلَيَّ تَقْدِيمًا مَا بِأَيْدِينَا لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، لِنَجِدَهُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. وَقَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ:

يَمُرُّ أَقْرَبِي بِإِزَاءِ قَبْرِي كَأَنَّ أَقْرَبِي لَمْ يَعْرِفُونِي

وقد تقدم في التعريف برباح بن يزيد وذكره المالكى هنا أنه مرَّ بعبد الله بن غانم وبيد رباح قسطن زيت فقال له ابن غانم: أحمله لك يا أبا يزيد؟ فقال له رباح: شأنك به، وابن غانم إذ ذاك على القضاء فدفع القسطن إليه وجعل رباح يشق مجامع الناس فسلك به على حوانيت البزازين والمواضع المشهورة حتى انتهى إلى داره، فلما انتهى إليها قال له يا أخي: تعلم لم فعلت هذا بك؟ قال: لا، قال له رباح: بلغني أنك تجد في نفسك فأحببت أن أضع منك فقال له ابن غانم: جزاك الله غني خيرًا⁽⁶⁾، وبينما ابن غانم راكب على بهيمة إذ هو بالبهلول بن راشد فلما رآه ترجل وقال: إلى أين يا أبا عمرو؟ قال: أريد أن أشتري بذرهم لحمًا، فقال: أنا أشتريه لك، فقال: معاذ الله، فسار معه على رجليه حتى اشتري البهلول اللحم ثم قال ابن غانم للبهلول: يا أبا عمرو بالله الذي لا إله إلا هو لتركبني، فركب البهلول ثم قال

(1) في ت: عددها.

(2) الملة: الخبزة.

(3) في ت: هيئة.

(4) في الرياض 1/ 219.

(5) الرياض 1/ 220.

(6) الرياض 1/ 218.

لابن غانم: يا أبا عبد الرحمن إنني أستحي من الله أن يراني راكباً وأنت ماشي،
والله لتركبني فركب ابن غانم خلفه فجعل الناس يتعجبون من تواضع ابن غانم.

قلت: واعجابه! هكذا كانت القضاة في تواضعهم وتَعْظِيمِهِمْ لأصحابهم واليوم صار يتقدم على الناس قاضياً من لا يستحقه، فكما غلط فيه من قدمه غلط هو في نفسه بالتكبر [عَمَّن] (1) هو مثل من قدمه. وما عاينته من قضاة الوقت أعظم مما استتر فيهم فالله تعالى يجبر كسر المسلمين حتى لا يتقدم على الناس إلا أعلمهم وأتقاهم بحيث يكون القاضي لا تأخذه في الله لومة لائم في سائر البلاد شرقاً وغرباً. قال المالكي: ذكر سليمان بن عمران رحمه الله تعالى أن رجلاً يقال له ابن زرعة له جاه ورياسة لقي يوماً ابن غانم فستمه في وجهه في موضع خال ليس فيه أحد وذلك لأنه حكّم عليه بوجه حق ترتب عليه. فاستعداه لذلك، فأعرض عنه ابن غانم ولم يرد عليه شيئاً، فلما كان بعد ذلك لقيه بطريق الريدان (2) فسلم عليه ابن زرعة فردّ عليه ابن غانم السلام ورحّب به ومضى به إلى منزله بالريدان فأكرمه وعمل له طعاماً كثيراً، ثم رجع ابن غانم إلى القيروان ومعه ابن زرعة فلما أراد مفارقتها قال ابن زرعة لابن غانم: يا أبا عبد الرحمن اغفر لي واجعلني في حلّ مما كان من خطائي (3) فقال ابن غانم: أمّا هذا فلست أفعله حتى أوقفك بين يدي الله عز وجل. وأمّا أن ينالك مني في الدنيا مكروة أو عقوبة فلا (4).

قلت: والذي أعرفه لنقل غيره ما هو أخص من هذا وذلك أن ابن زرعة نزلت به نازلة بعد أن قال لابن غانم ما قال؛ وهي أن الجند نزلوا في داره وملئوها سلاحاً وأنزلوا خيلهم فيها حتى امتلأت زبلاً فنظر من يخلصه مما نزل به فلم يجد إلا ابن غانم فأتى قاصداً إليه فلما قرب من باب داره، تذكّر [ما كان تقدم منه إليه] (5) فركب ذلك فرجع ثم بدى له وعلم أنه لا ينجيه إلا هو فلما قرب من باب داره أراد الرجوع فوقع عليه بصر ابن غانم فقال: مرحباً بأبي زرعة ما جاء بك؟ فذكر له

(1) في ط: على من. التصويب من: ت.

(2) الريدان، وردت في المعطار بالألف واللام في آخره «الريدال» وهو موضع فيه كانت بساتين القيروان وجناتها ومنتزهاتها زمان عمارتها وعظم شأنها. الروض المعطار ص: 279.

(3) في الرياض: «من خطابي» 228/1. (4) الرياض 228/1 - 229.

(5) ما بين المعقوفتين في ت: ما قال.

الوَاقِع فخرج معه مُبَادِرًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ وَكَلِمَهُ فِي دَارِهِ فَسَرَّحَهَا لَهُ، ثُمَّ مَشَى مَعَهُ ابْنُ زُرْعَةَ إِلَى دَارِ ابْنِ غَانِمٍ، وَقَدَّمَ لَهُ طَعَامًا وَأَكَلَ مَعَهُ [فَحَيْنُثًا]⁽¹⁾ طَلَبَهُ فِي الْمُحَالَّةِ فَقَالَ لَهُ مَا تَقْدِمُ.

قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا القَعْنَبِيُّ⁽²⁾ قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن غانم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عمران بن [عبيد المَعَاظِيِّ]⁽³⁾ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُنَّ صَلَاةَ مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَرَجُلٌ أَتَى الصَّلَاةَ دِبَارًا، وَالدَّبَارُ أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ أَنْ تَفُوتَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَعْبَدَ حُرَّةً»⁽⁴⁾.

قلت: قال المالكي: ومن بعض ما يتصل بنا عنه من الإسناد عن داود بن أبي يحيى عن عبد الله بن عمر بن غانم وحاتم بن عثمان المعافري وعبد الله بن أبي حبان اليحصبي قالوا: حدثنا مالك بن أنس رحمه الله عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽⁵⁾.

(1) في ت: ثم.

(2) هو عبد الله بن سلمة بن قَعْنَبِ الْحَارِثِيِّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَنِيِّ نَزِيلَ الْبَصْرَةِ ثُمَّ جَاوَرَ بِمَكَّةَ وَبِهَا مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ 221 هـ. رَوَى عَنْ مَالِكٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، تَرْجَمَ لَهُ فِي: الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ ص: 214، تَهْذِيبِ التَهْذِيبِ 6/31، تَقْرِيبِ التَهْذِيبِ 1/535، إِتْحَافِ السَّالِكِ بِرِوَاةِ الْمَوْطَأِ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الْقَيْسِيِّ ص: 157 - 158، طَبَقَاتِ الْحِفَافِ لِلْسَيُوطِيِّ ص: 185 رَقْمَ 366.

(3) في ط: العامري. التصويب من: ت، وطبقات علماء إفريقية وتونس ص: 92. وفيه أنه روى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وكان أدرك أصحاب النبي ﷺ، وهو من أهل إفريقية أيضاً، وتهذيب التهذيب 8/134، وتقريب التهذيب 1/752، حسن المحاضرة 1/217 رقم 45. وقد ورد في اسمه خلاف: بعمران بن عَبْدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وقيل عمران بن عبد الله، أو عبيد.

(4) أخرجه من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب الرجل يؤم القوم وهم له كارهون حديث (593) 1/152، وابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب من أم قوماً وهم له كارهون حديث (970)، 1/311. وفيهما: «من اعتبد». في سنن أبي داود «من اعتبد محررة» وفي سنن ابن ماجه: «من اعتبد مُحَرَّرًا»، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن أم قوماً وهم له كارهون 3/128.

(5) سبق تخريجه، راجع الرياض 1/216.

قلت: وتقدم أنه حمله على ظاهره، وذلك أن ابن غانم كان جالساً مع أناس إذ وَرَدَ إبراهيم بن الأغلب فقام له الحاضرون على أقدامهم إلا ابن غانم فلأمه فذَكَرَ لَهُ الْحَدِيثَ. قال أبو بكر التُّجَيْبِي: سَمِعْتُ أبا سعيد ابن أخي هِشَامٍ يَقُولُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ، عَنْ حَمَّاسِ الْقَاضِي، قَالَ: لَمَّا انصَرَفَ ابْنُ غَانِمِ الْقَاضِي مِنَ الْجَامِعِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ دَخَلَ إِلَيْهِ⁽¹⁾ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، قَالَ: حَضَرْتَ الْيَوْمَ الْجَامِعَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ قَلْنِسُوءَةً تَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ وَثَلَاثُمِائَةَ قَلْنِسُوءَةٍ فِيهِ، فَتَرَجَّعَ ابْنُ غَانِمٍ وَقَالَ: مَاتَ النَّاسُ قَالَهُ فِي آخِرِ كِتَابِهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ.

ذِكْرُ وَفَاتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ:

قال أبو بكر المالكي أخبر أبو الوليد عبد الملك بن قَطَنَ [المهري]⁽²⁾ قال: مرض عبد الله بن غانم مرضه الذي توفي فيه⁽³⁾، فدخلت عليه عائداً فقلت [له]⁽⁴⁾: رَفَعَ اللَّهُ ضَجْعَتَكَ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ إِلَى إِفَاقَةٍ وَرَاحَةٍ، وَأَعَادَ عَلَيْكَ مَا عَوَّدَكَ مِنَ الصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ فَلَطَّالَمَا صَحَّحْتَ وَعُوفِيَتْ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُصْبِرَ عَلَى بَلْوَاهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُشْكَرَ عَلَى نِعْمَاهُ. فقال: هو الموت والغاية التي إليها نهاية الخلق، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ يُؤْجِرُ صَاحِبَهُ خَيْرٌ مِنْ جَزَعٍ⁽⁵⁾ لَا يَغْنِي عَنْهُ ثُمَّ تَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ لَمَّا⁽⁶⁾ هَلِكْنَا وَهَلْ بِأَلْمُوتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ

وكان موته بسبب فالج أصابه.

قال: ولما توفي ابن غانم رأى رجل في النوم ممن لا يحفظ⁽⁷⁾ الشُّعْرَ وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [إلا ما يقيم صلاته]⁽⁸⁾ كأن قائلًا يقول:

(1) في ت: عليه.

(2) في ت و ط: الفهري، والصواب ما أثبتناه من الرياض 229/1، و 403/1 كان شيخ أهل اللغة والعربية والرواية، وكان من أحفظ العلماء وأكثرهم رواية لأنساب العرب ووقائعها وأيامها. توفي سنة 255هـ.

(3) في الرياض: منه 229/1.

(4) زيادة من: ت.

(5) في الرياض: إما 229/1.

(6) في ت: فزع.

(7) في الرياض: يعرف 229/1.

(8) ما بين المعقوفتين تكملة من: الرياض 229/1.

زَارَتْ⁽¹⁾ كِلَابٌ⁽²⁾ بَعْدَ طَوْلِ عَوَائِهَا لَمَّا تَضَمَّنَهُ الْقَلْبُ الْمُلْحِدُ
 قلت: ونقلها المالكي عن سليمان بن عمران، وجعل عوض كلاب ذئاب
 والمراد أن ابن غانم كان مع وجوده لا يقدر أحد تغيير في الأمور الشرعية فلما مات
 تغيرت الأحوال، وصار كلُّ أحد يقول ويصول، لِنَجَابَتِهِ وَذَبَّهِ عَنِ الشَّرْعِيَّاتِ كَمَا تَقَدَّمَ
 في سيرته مع إبراهيم بن الأغلب الأمير، وعدم مواساتِهِ⁽³⁾ من جاء بعده.
 فإن قلت: هذا فيه نظر لأن الذي تولى بعده أبو محرز، وصفوه بالعدالة في
 حُكْمِهِ⁽⁴⁾ وما قبل إلا كالمكره.

قلت: لا نَظَرَ فِيهِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَمِيرَ زِيَادَةَ اللَّهِ [بن الأغلب]⁽⁵⁾ قَدَّمَ مَعَهُ فِي
 طَرِيقَتِهِ أَسَدَ بِنِ الْفُرَاتِ وَمَا عَهْدٌ⁽⁶⁾ هَذَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ، فَهَذَا مِنْ تَغْيِيرِ⁽⁷⁾ الْأَحْوَالِ.
 قال: وَكَانَ مَوْئِدُهُ وَمَوْلِدُ الْبُهْلُولِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ.
 قلت: [وقيل:]⁽⁸⁾ كانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائة.
 قلت: وقيل سنة ست وتسعين من فالج أصابته، وقيل: إِنَّ بَصْرَةَ قَدْ كَفَتْ وَهُوَ
 ضَعِيفٌ وَصَلَّى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ وَدُفِنَ بِبَابِ نَافِعٍ.

قلت: زاد المالكي: وبكى عليه [الأمير]⁽⁹⁾ إبراهيم بن الأغلب وأقبل [معه]⁽¹⁰⁾
 خاله إبراهيم بيكي ويتحجب حتى فرغ⁽¹¹⁾ من دفنه.
 قلت: وقبره مزارٌ يَعْرِفُهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَعِنْدَ رَأْسِهِ عَمُودٌ أَحْمَرٌ وَبِجَوَارِهِ قَبْرُ
 أَبِي الْعَرَبِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ التَّمِيمِيِّ، وَتَرَكَ ابْنُ غَانِمٍ وَلَدَيْنِ⁽¹²⁾ [أباً]⁽¹³⁾ عمرو
 غانماً، وأبا شرحبيل وكان هذا فقيهاً ورعاً.

(1) الزار، يكون للأسد ونيس للكلاب أو الذئاب. والزئير صوت الأسد في هدره. وقال ابن
 الأعرابي: الزئير الغضب. الظوا: لسان العرب مادة «زار» 314/4.

(2) في الرياض: الذئاب، وهو الصواب، لأن العواء يكون للذئاب وليس للكلاب 229/1 لم
 تقم بإصلاح الكلمة لأن ابن ناجي قام بالتعليق على هذا عقب البيت.

(3) في ت: مساوات.

(4) في ت: [وبأنه] ما قبل.

(5) ما بين المعنوتين سقط من: ت.

(6) في ت: تغيير.

(7) زيادة من: الرياض 229/1.

(8) في الرياض: فرغوا 229/1.

(9) في ت: ثلاثة [عمر، وغانماً، وشرحبيل].

(10) سقط من: ت.

80 - ومنهم أَبُو عُثْمَانَ حَاتِمُ بْنُ عُثْمَانَ الْمَعَاظِرِيِّ⁽¹⁾ :

قال: سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَنْعَمٍ.

قلت: قال أبو العرب: وأحسب أن رَحَلْتُهُ إِلَى مَكَّةَ كَانَتْ مَعَ ابْنِ غَانِمٍ.

قال: روى عنه داود بن يحيى وغيره⁽²⁾. وهو الَّذِي كَانَ يَمْضِي بِمَسَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَانِمٍ إِلَى مَالِكٍ⁽³⁾. قال حاتم: كتب لي مَرَّةً جَوَاباً عَنْ كُتُبِ ابْنِ غَانِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِطْبَعْ عَلَيْهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَإِنَّهَا أَحْكَامُ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَا لِي خَاتَمٌ إِنَّمَا الْخَاتَمُ لثَلَاثَةِ تَاجِرٍ، أَوْ قَاضٍ، أَوْ سُلْطَانٍ، فَمَضَيْتُ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ غَانِمٍ غَيْرَ مَخْتُومٍ⁽⁴⁾.

قلت: فِي كَلَامِهِ بَرُّ لَأَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِ يَقْتَضِي أَنَّ مَالِكاً هُوَ الَّذِي كَانَ يُجَاوِبُهُ مِنْهُ إِلَيْهِ [بلا واسطة]⁽⁵⁾ وَلَمْ يَقَعْ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَهِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا كَتَبَ لِي مَرَّةً جَوَاباً لِكُونِهِ أَتَاهُ نِصْفَ النَّهَارِ، وَاعْتَذَرَ لَهُ بِأَنَّ النَّاسَ قَدْ رَحَلُوا وَلَا أَقْدَرُ أَنْ أَتَخَلَّفَ، وَفِيهَا سِوَى [تلك المرة]⁽⁶⁾ كَانَ إِذَا أَتَاهُ بِكِتَابِ ابْنِ غَانِمٍ يَقُولُ لَهُ: إِدْفَعُهُ إِلَى ابْنِ كِنَانَةَ يَكْتُبُ الْجَوَابَ قَالَ: فَإِذَا كَتَبَهُ أَتَيْتُ بِهِ مَالِكاً⁽⁷⁾ فَيَقْرَأُ جَوَابَهُ، فَإِنْ أَنْكَرَ شَيْئاً أَصْلَحَهُ⁽⁸⁾، هَكَذَا نَقَلَ الْمَالِكِيُّ وَهُوَ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا تَقَدَّمَ [من أنه]⁽⁹⁾ كَانَ يَكْتُبُ عَنْ ابْنِ كِنَانَةَ يَسْأَلُ لَهُ مَالِكاً وَيُجَاوِبُهُ بِمَا يَقُولُ لَهُ، فَهُوَ خِلَافُ مَا فَوْقَهُ فَتَأَمَّلْهُ.

(1) ترجمته في: رياض النفوس 1/ 232 - 233 رقم 90، الإكمال لابن ماكولا 1/ 524، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 150، وترتيب المدارك 2/ 485، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، تحقيق د: أحمد بكير محمود 1967م / 1387هـ، لسان الميزان لابن حجر 2/ 155.

(2) ترجم له أبو العرب مقترناً مع أخيه أبو طالب في قوله: "... وأحسب أن رحلتها كانت مع ابن غانم القاضي، روى عنهما: داود بن يحيى الصوفي وغيره" ص: 150.

(3) الرياض 1/ 232.

(4) الرياض 1/ 233.

(5) سقط من: ت.

(6) ما بين المعقوفين في ت: [ذلك].

(7) في ت: إلى مالك.

(8) الرياض 1/ 232.

(9) في ت: لأنه.

[حياة الثوب طيه]

قال: روى حاتم عن مالك رحمه الله تعالى غرائب منها: أنه قال: سمعت مالكا يقول: «حَيَاةُ الثَّوْبِ طِيَّهُ وَعَيْبُهُ قَصْرُ أَكْمَامِهِ»⁽¹⁾.

قلت: ذكره المالكي عن سليمان بن سالم بإسنادٍ رَفَعَهُ عن حاتم.

قال: وقال حاتم: حدثني مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ اتَّعَلَّمَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ»⁽²⁾.

[موت العالم على طلب العلم شهادة]

وسمعت النبي ﷺ يقول: «إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَمَاتَ عَلَى حَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»⁽³⁾.

قلت: ذكر ذلك المالكي وزاد: قال حاتم: أَكَلْتُ مع مالك رحمه الله [فَرَأَيْتُهُ يَأْكُلُ]⁽⁴⁾ بثلاثة أصابع⁽⁵⁾.

قلت: لم يبين ما هو المأكول، ومحملة حيث يمكن ذلك فيه كالخبز، وأما حيث لا يمكن إلا بأربع فليفعل كالدُّوَيْدَةِ وَشَبَّهَهَا والله أعلم.

81 - ومنهم صقلاب بن زياد الهمداني⁽⁶⁾ الفقيه المتعبد:

قال: كان من طبقة علي بن زياد والبهلول بن راشد من أهل الفضل والاجتهاد. قال أبو سنان: صقلاب إمام من أئمة المسلمين مَأْمُونٌ عَلَى مَا سَمِعَ⁽⁷⁾ من مالك.

(1) هذا الحديث روي من عدة طرق كلها واهية منها: «طِيُّ الْقَمَاشِ يَزِيدُ فِي زِيَّتِهِ». وفي لفظ: «طِيُّ الثَّوْبِ رَاحَةٌ» وفي لفظ: «اطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها». انظر هذا والكلام عنه في المقاصد الحسنة للسخاوي ص: 330، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص: 205.

(2) الرياض 1/ 233.

(3) أورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للبزار من رواية أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما. ورمز للحديث ب(ض) أي ضعيف. ص: 39 رقم 545.

(4) ما بين المعقوفتين في ت: أكل. (5) الرياض 1/ 233.

(6) ترجم له في: رياض النفوس 1/ 230 رقم 88، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 139، ترتيب المدارك 1/ 262 حرف الصاد.

(7) الرياض 1/ 230.

قلت: يريد أنه لم يقرأ إلا على مالك رحمه الله تعالى. ولذلك نقله المالكي عنه إلى قوله على ما سمع ولم يزد من مالك وأردفه بقوله قال أبو العرب: سمع من مالك قال: وسمع منه أبو سنان [زيد]⁽¹⁾ بن سنان الأزدي وداود بن يحيى وغيرهما. روي عنه أنه كان يقول: نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى قليل من العلم والله لو ددت أن جميع جسدي يقرض بالمقراض وأن هذا الخلق أطاعوا الله عز وجل. وكان من دعائه إذا جن الليل: «اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء أنال به منك شرف العطاء اللهم إني أسألك منك ما هو مقرب إليك وأستعينك على اجتناب كل أمر يُسخطك اللهم لا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك»⁽²⁾.

قلت: ما ذكره من تخصيصه إذا جن الليل مثله نقل المالكي⁽³⁾ ولم يخصصه التجيبي به وهذا أحسن.

قال: وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ودفن بباب سلم رحمة الله تعالى عليه.

[موت هارون الرشيد وعمره ومذهبه]

قال أبو بكر التجيبي: وفي هذه السنة مات هارون الرشيد بطوس لثلاث خلون من جمادى الآخرة وهو ابن سبع وأربعين سنة⁽⁴⁾ وقيل خمس وأربعين وخمسة أشهر وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وسبعة عشر يوماً، وكان يصلي كل يوم مائتي ركعة ويتصدق كل يوم بألفي درهم، وكان يذهب إلى مذهب مالك بن أنس رحمة الله تعالى على الجميع.

82 - ومنهم أبو عون، معاوية بن الفضل الصمادحي:

قال: وذكر أبو إسحاق بن شعبان أنه روى عن مالك وعن حنظلة بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم والثوري وروى عنه سحنون وأبو داود العطار وموسى بن معاوية.

(1) في ت و ط: محرّف إلى: يزيد، التصويب من: الطبقات ص: 139، والرياض 1/ 230.

(2) الرياض 1/ 230.

(3) الرياض 1/ 230.

(4) في ت: زيادة «وشهرين».

قلت: وكان حقه أن يقول وموسى ولد [نفسه]⁽¹⁾ كما قاله المالكي لأن مطالع كلام الشيخ لا يقطع بأنه ولده لاحتمال أن يكون رجلاً آخر.

قال: وكان ثقة مقدماً في شيوخ إفريقية قليل الحديث. وذكر أبو القاسم بن شبلون رحمه الله أن معاوية هذا كانت⁽²⁾ له كل يوم ختمة، وكان يستعمل الحديث: «إِنَّ الذَّاكِرَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ الْغَافِلِينَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ مَا لَا يَحْصِي تَفْسِيرُهُ»⁽³⁾. وكان يُكثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تَشْتَغِلُ النَّاسَ فِيهَا بِالْبَيَاعَاتِ⁽⁴⁾ وَكَانَ يَرْكَبُ بَعْلَتَهُ فَيَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ وَيَجِيءُ وَ[هُوَ]⁽⁵⁾ يَتْلُو الْقُرْآنَ حَتَّى يَخْتَمَ وَإِنَّمَا كَانَ يَرْكَبُ إِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ الْيَسِيرُ مِنَ خَتْمَتِهِ⁽⁶⁾.

قلت: ظاهره وإن كانت الأسواق فيها النجاسة ظاهرة، ودل ذلك على عدم كراهته عنده، وبعض أهل العلم يرى ذلك مكروهاً وأحتج من قال بعدم الكراهة بقوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10] وهو أحد قولي مالك محتجاً بقول عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحواله وهو ظاهر الحديث فيمن أتى السوق وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»⁽⁷⁾.

قال: ورؤي معاوية عن طلحة بن عمر عن عطاء عن نافع قال: رأيت رجلاً جاء إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن أنظرتكم بأعينكم إلى رسول الله ﷺ وكلمتموه بالسنتكم هذه وبايعتموه بأيديكم هذه فقال له عبد الله بن عمر: نعم، فقال له الرجل: طوبى لكم، فقال له ابن عمر: ألا أخبرك بما سمعت

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ط، وفيه [ولده كما] التصويب من: ت، والرياض 231/1. ترجمته في: رياض النفوس 231/1 رقم 89، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 161، ترتيب المدارك 266/1.

(2) في ت: كان.

(3) أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني من رواية ابن مسعود ورمز له بـ(صح) أي صحيح ولفظه: «ذَكَرُ اللهُ فِي الْغَافِلِينَ بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي الْفَارِسِ» ص: 263 رقم 4310.

(4) لبياعات: الأشياء التي يتبايع بها في التجارة. لسان العرب مادة «بيع» 25/8.

(5) سقط من: ت، والرياض 231/1.

(6) الرياض 231/1.

(7) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل من رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، حديث (6403).

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَّنَ بِي، وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»⁽¹⁾.

قلت: يَعْنِي أَنَّهُ كَرَّرَ اللَّفْظَ نَفْسَهُ مَعَ قَوْلِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَلَفْظُ الْمَالِكِيِّ طُوبَى لِمَنْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي، وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي، وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قال: وتوفي معاوية بالقيروان سنة [تسع وتسعين]⁽²⁾ ومائة وصلى عليه إبراهيم بن الأغلب.

83 - ومنهم حَفْصُ بْنُ عُمَارَةَ⁽³⁾:

قال: مِنْ نُظَرَاءِ الْبُهْلُولِ وَرَبَاحِ بْنِ يَزِيدٍ: سَمِعَ مِنَ الثَّوْرِيِّ وَرَوَى أَنَّ [الْعَكْبِيَّ]⁽⁴⁾ لَمَّا حَبَسَهُ مَعَ الْبُهْلُولِ، قَالَ حَفْصٌ لِلْبُهْلُولِ: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: «إِذَا كَمَلَ الصَّادِقُ فِي صِدْقِهِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِي يَدَيْهِ»⁽⁵⁾. فَخَرَّ الْبُهْلُولُ عَلَ يَدِ حَفْصٍ يُقْبَلُهَا وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ سَفِيَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قلت: زَادَ التُّجِيبِيُّ وَكَانَ الْبُهْلُولُ مِنَ الْأَجْوَادِ وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ لَمْ [يَمْلِكْ]⁽⁶⁾ مَا فِي يَدَيْهِ أَيُّ مِنْ سَخَائِهِ يُنْفِقُ جَمِيعَ مَا فِي يَدَيْهِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ. قَالَ: وَكَانَ مُسْتَجَاباً وَكَانَ يَخْتِمُ كُلَّ يَوْمٍ خَتْمَةً وَصَامَ حَتَّى خَوَى.

قلت: قال أبو بكر المالكي: قال حفص: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: لَوْ احْتَرَقَ نِصْفُ ثَوْبِكَ بِالنَّارِ لَكَانَ النِّصْفُ الْبَاقِي أَشَدَّ⁽⁷⁾.

(1) أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لأبي داود الطيالسي، وعبد بن حميد. ورمز له بـ(ح) أي حسن. ص: 327. وقد أورده في نفس الصفحة وعزاه إلى: أحمد بن حنبل، والحاكم، والبخاري في تاريخه.

(2) ما بين المعقوفتين تصويب من الطبقات ص: 161، فالوارد في ت وط: [سبع وأربعين].

(3) ترجمة حفص بن عمار في: رياض النفوس 1/ 295 رقم 115، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 140.

(4) في ط: الكعبي، التصويب من: ت، والطبقات ص: 140، والبيان المغرب ص: 89. واسمه «محمد بن مقاتل».

(5) في الرياض، والطبقات «إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يده» وفي الرياض «يديه».

(6) في ت: يدك.

(7) لم يوجد هذا النص عند المالكي في كتابه الرياض.

[الإكثار من قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1)]

وَسَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ أَيْضاً يَقُولُ: حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَساً يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَظَلَعَتِ الشَّمْسُ بِنُورٍ ضِيَاءٍ وَشُعَاعٍ وَأَتَى جِبْرِيلُ وَقَالَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ مُعَاوِيَةَ اللَّيْثِيَّ⁽¹⁾ مَاتَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَفِيمَ ذَلِكَ؟» قَالَ: كَانَ يَكْثُرُ قِرَاءَةَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1) فِي صَلَاتِهِ وَمَمَشَاهُ وَقَعُودِهِ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْبِضَ لَكَ الْأَرْضَ فَتَصَلِّيْ عَلَيْهِ، قَالَ: «نَعَمْ» فَاقْبِضْ لَهُ جِبْرِيلُ الْأَرْضَ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ⁽²⁾.

قال: وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة، قال أبو بكر التَّجِيبِيُّ: وفي هذه السنة قُتِلَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ، وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ بُوِيَ الْمَأْمُونُ.

84 - وَمِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ التَّجِيبِيُّ⁽³⁾:

قال: قال أبو العرب: كان ثقة صالحاً⁽⁴⁾. ذكره أبو الحسن بن مهدي⁽⁵⁾ من جملة أصحاب مالك. وقال سليمان بن عمران: كنا في جنازة يحيى بن زكرياء فازدحم الناس على النعش فبقي النعش واقفاً عند باب نافع لا يقدر الناس أن يتعدوا به لكثرتهم فصاح صائحٌ معشر الناس، ازدحموا علي عمله ولا تزدحموا علي نعشه، ودفن بباب نافع.

85 - وَمِنْهُمْ أَبُو زَكَرِيَاءَ يَحْيَى بْنُ [سَلَامٍ] بْنِ أَبِي ثَعْلَبَةَ التِّيمِيِّ تَيْمٌ رِبِيعَةٌ مَوْلَاهُمْ⁽⁶⁾:

قال: كان من العلماء الحفاظ الفضلاء، أخبر أنه لقي من العلماء ثلاثمائة

(1) هو معاوية بن معاوية المزني، ويقال الليثي توفي في حديث النبي ﷺ. ترجم له في الاستيعاب لابن عبد البر ص: 666 - 668 ص: 2345.

(2) انظر الاستيعاب لابن عبد البر ص: 667. وانظر الرواية أيضاً في كتاب المعجم الكبير للطبراني حديث (1040).

(3) ترجمة يحيى بن زكريا التجيبي في: رياض النفوس 1/ 240 رقم 95، ترتيب المدارك 2/ 491 - 492 و 527.

(4) لم يُترجم ليحيى في طبقات أبي العرب، فقد ورد هذا الكلام في الرياض 1/ 240.

(5) في الرياض: فهر 1/ 240.

(6) ترجمة يحيى بن سلام التيمي في: رياض النفوس 1/ 188 رقم 79، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 111.

وثلاثة وستين عالماً سوى التابعين وهم أربعة وعشرون وامرأة تُحَدِّثُ عن عائشة وروى⁽¹⁾ عن جماعة من العلماء شرقاً وغرباً منهم مالك⁽²⁾ بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وسواهم. وقال: كتب عن مالك أربعة وعشرين حديثاً⁽³⁾، وكان يقول: كل من رويت عنه العلم روى⁽⁴⁾ عني إلا القليل.

قلت: قال أبو بكر التُّجِيبِي قال محمد بن يحيى قلت لأبي: من أحسن من رأيت فيمن لقيت من الرِّجَال خُلُقاً؟ قال ابن الجارود الكوفي وكان عظيم الرأس أتاه أعرابي فرآه يفتي في العربية والفقه والشعر ونحن نسمع منه قال له ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: سئِلَ عما بدى لك قال له الأعرابي: ابن من أنت؟ قال: ابن من سجدت له الملائكة، فَاتَّكَأ الأعرابيُّ عَلَى يَدَيْهِ وجعل يرجع إلى خلفه ويقول: تالله إِنَّكَ لَتَقُولُ يَا ذَا الرَّأْسِ قَوْلًا عَظِيمًا.

قلت: ظاهره أن الأعرابي لم يفهم مُرَادُهُ بأنه أَرَادَ بأبيه آدم وقد سجدت له الملائكة. قال محمد بن يحيى بن سلام قال لي أبي: يا بني رويت ستة آلاف حديث أو ثمانية آلاف لم يسألني عنها أحد ولم أحدث بها أحداً. وروى عنه أبو سنان زيد بن سنان عن زُرِّ⁽⁵⁾ بن حبيش عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يتقرب العباد إلى الله عز وجل بأفضل من رد كَبِدِ جَائِعٍ».

قلت: زاد المالكي عن أبي سنان قال: أخذت بركابه ليركب⁽⁶⁾، قال: آجرك الله يا ابن أخي أمّا إنه من أخذ بركاب أخيه المؤمن حتى يركب حَطَّ اللَّهُ عنه أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً⁽⁷⁾.

(1) عبارة الرياض: روى عنه جماعة من المشرق والمغرب... 188/1.

(2) عبارة الرياض: روى عني من العلماء أربعة: مالك، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، ونسي الرابع. الرياض 188/1.

(3) في الرياض: قال: كتب عني مالك بن أنس ثمانية عشر حديثاً.

(4) في ت: فقد روى.

(5) في ط: زيد. التصويب من: ت، والرياض 189/1، وهو زر بن حبيش بن حُباشة بن أوس بن هلال، أو ابن بلال الأسدي، أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ وهو من أجلة التابعين، من كبار أصحاب ابن مسعود توفي سنة 83هـ وهو ابن 120 سنة يُعَدُّ في الكوفيين. ترجم له في الاستيعاب ص: 267 رقم 870.

(6) في ت، والرياض: فركب. (7) الرياض: 189/1.

قلت: قف على هذه الفائدة العظيمة وكثير من جهلة الفقهاء فضلاً عن العامة إذا جاء رجلٌ مُعْتَبَرٌ يمسك لهم بركابهم يحلفون له⁽¹⁾ [على عَدَمِ الإِمْسَاكِ]⁽²⁾ وما ذاك إلا لِجَهْلِهِمْ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ [وَالْأَوْلَى]⁽³⁾ أن من يعرف هذه الفائدة العظيمة يَحْتُ النَّاسَ عَلَيْهَا. وَلَمَّا سَمِعَ النَّاسَ بِالْقِيَرَوَانِ هَذِهِ الْفَائِدَةَ مِنْ كَلَامِي رَأَيْتُ أَنَا سَأَ ائْتَدَبُوا إِلَى الْمِبَادِرَةِ إِلَيْهَا طَمَعًا فِي تَكْفِيرِ كِبَائِرِهِمْ. قال المالكي: ومن سنده عن عبد الرحمن بن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتَابَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَاكِرًا صَابِرًا وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا مَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ وَدُونَهُ فِي الدُّنْيَا فَاقْتَدَى بِهِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ شَاكِرًا صَابِرًا وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الدُّنْيَا وَدُونَهُ فِي الدِّينِ فَاقْتَدَى بِهِمَا، لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا»⁽⁴⁾.

قال: وروى محمد بن يحيى بن سلام قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي إِلَى أَنْ انْتَهَيْنَا إِلَى مَوْقِفِ الْخَيْلِ فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَمْشِي إِذْ جَذَبَنِي جَذْبَةً شَدِيدَةً ثُمَّ دَخَلَ إِلَى سَقِيفَةٍ وَأَدْخَلَنِي مَعَهُ فَقُلْتُ لِأَبِي مَا قِصَّتُكَ؟ قَالَ: يَا بَنِي رَأَيْتَ غَرِيمًا لِي فَخَفْتُ أَنْ يَرَانِي فِيرْتَاعَ مِنِّي وَذَكَرْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280].

قلت: زاد المالكي فقعدنا ساعة، ثم خرج أبي فخرجت معه فلما أن مشينا قليلاً قال: يا بني إنه قد جاء في الحديث: «مَنْ رَجِمَ يُرْحَمُ»⁽⁵⁾.

(1) في ت: لهم.

(2) سقط من: ت.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (58) حديث (2520)، 229/4 من رواية

عسرو بن شعيب عن جده عبد الله بن عمرو، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(4) الوارد في هذا الحديث رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «ارحموا تُرحموا...» أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد، باب

رحمة البهائم حديث (380) ص: 120. وبلغظ آخر أخرجه أبو داود في السنن، كتاب

الأدب، باب في الرحمة حديث (4941)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في

رحمة المسلمين حديث (1931) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» والحاكم في مستدرکه،

في كتاب البر، باب ارحموا أهل الأرض، حديث (7274) - 175/4، وصححه وأقره

نذهبي.

[فضيلة إنظار المعسر]

قلت: وهكذا كان العلماء رضي الله عنهم جمع الله لهم العلم والعمل والرحمة لخلق الله تعالى فينبغي أن يتخلَّق الإنسان بأخلاقهم ولا تتبع علماء زماننا فإن الغالب عليهم الشُّحُّ وعدم الرحمة لخلق الله تعالى وَقَدْ كَانَ مِنْ تُجَارِ الْقَيْرَوَانِ وَنَحْنُ أَدْرَكْنَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْغَفَارِ الْمُكَارِي يُسْأَلُ رَجُلًا عَشْرَةَ دنانير ذهباً وَقَدْ مَطَّلَهُ بِهَا فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي بِقَرَبِ عِيدِ الْفِطْرِ، إِذْ وَجَدَ غَرِيمَةً وَبِيَدِهِ إِنَاءٌ فِيهِ زَيْتٌ وَعَسَلٌ لِعِيدِهِ فَلَمَّا رَأَى خَجَلًا فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَتَبَدَّدَ مَا فِيهِ فَعَمَلَ يَدُهُ عَلَى يَدِهِ وَمَشَى بِهِ إِلَى دَارِهِ وَأَخْرَجَ لَهُ وَيَبْتَيْنَ قَمْحًا، وَإِنَاءً كَبِيرًا فِيهِ زَيْتٌ وَعَسَلٌ، وَأَعْطَاهُ عَقْدَهُ وَسَامَحَهُ وَقَالَ: دَيْنٌ أَوْصَلَنِي إِلَى هَذَا لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ شَيْخِنَا أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ مِيعَادَهُ عَلَى الدَّوَامِ وَيَسْمَعُ وَعَظُهُ وَإِذْلَالُهُ عَلَى الْخَيْرِ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ فَضَلَاءِ مَدِينَةِ قَفْصَةَ يَمْشِي فِي غَابَتِهَا وَإِذَا بِرَجُلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلَ فَرَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى طَائِيَةِ جِنَانٍ أَظُنُّ أَنَّ عَلَيْهَا شوكاً، فَلَمَّا رَأَى مَا فَعَلَ بِنَفْسِهِ تَفَجَّعَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ [له] (1) بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: هَرَبَ مِنْكَ لِذَيْنِكَ الَّذِي عَلَيْهِ فَقَالَ: أَوْصَلْتَنِي الدُّنْيَا لِمِثْلِ هَذَا! وَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ وَقَطَعَ جَمِيعَ الْعُقُودِ الَّتِي لَهُ عَلَى النَّاسِ وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي أَسْوَاقِ قَفْصَةَ أَلَّا إِنَّهُ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لِغُلَّانٍ، فَهُوَ فِي جِلِّ دُنْيَا وَأُخْرَى، وَلَمَّا مَرَضَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ (2) رَأَى قِلَّةَ الزَّائِرِينَ لَهُ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ لِكثْرَةِ دُيُونِكَ عَلَى النَّاسِ اسْتَحْيَى النَّاسُ مِنْكَ فَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي أَسْوَاقِ مِضَرَ أَلَّا مَنْ كَانَ فِي ذِمَّتِهِ شَيْءٌ لِلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ فَقَدْ سَامَحَهُ فَارْزَحَمِ النَّاسُ لَزِيَارَتِهِ حَتَّى كَسَرُوا بَابَ الدَّارِ.

قال: وَمِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ دَعَى اللَّهُ تَعَالَى بِثَلَاثِ دَعَوَاتٍ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، مِنْهَا: أَنْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنَهُ فَقَضَى دَيْنَهُ، وَأَنْ يورث وَلَدَهُ الْعِلْمَ، فَكَانَ كَمَا دَعَا وَأَنْ يَحْيَى قَبْرَهُ بِمَقْطَمِ مِضَرَ فَكَانَ كَذَلِكَ (3). دُفِنَ إِلَى جَانِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحٍ. يُحْكِي أَنَّهُ يُرَى عَلَى قَبْرَيْهِمَا كُلِّ لَيْلَةٍ قَنْدِيلَانِ، وَلِيحْيَى بْنِ [سَلَامٍ] (4) كِتَابٌ فِي التَّفْسِيرِ وَاخْتِيَارَاتِ

(1) سقط من: ت.

(2) في ت و ط: سعيد. التصويب من: الرياض، وهو الصواب.

(3) انظر الطبقات ص: 111.

(4) في ت و ط: عبد السلام، ولقد قمنا بتصحيحه ووضعناه بين معقوفتين في العنوان بدون إشارة إلى مرجع.

في الفقه. وَكَانَ ثِقَةً وَمَحَلُّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَعْلُومٌ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِمُعَنِّي سَدَّ أذُنِيهِ لِثَلَاثًا يَسْمَعُهُ فَيَحْفَظُهُ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا إِلَّا حَفِظَهُ. رَوَى يَحْيَى بْنُ [سَلَامٍ] عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْمَذْكُورِ قَالَ: جِئْتُ أَتَكَارَى فِي سَفِينَةٍ وَإِذَا بَشَابٌ مِنْ أِبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ وَخَدَمٌ فَقُلْتُ: أَحْمِلُونِي مَعَكُمْ فَحَمَلْتُمْ فَلَمَّا رَفَعْنَا شِرَاعَنَا قَالَ الْفَتَى عَلَيَّ بِالْغَدَاءِ، فَأَقْبَلَ الْخَدَمَ بِأَنْوَاعِ الطَّعَامِ فَقَالَ: أَنْزِلُوا ذَلِكَ الْمِسْكِينَ يَتَغَدَّى مَعَنَا فَأَتَيْتُ عَلَيَّ أَنِّي مِسْكِينٌ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِجَارِيَتِهِ: هَاتِي الشَّرَابَ فَجِيءَ بِالشَّرَابِ وَأَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ وَأَمَرَهَا أَنْ تَسْقِينِي، فَقُلْتُ: إِنِّي ضَيْفٌ وَلِلضَيْفِ حَقٌّ، وَهَذَا يُؤْذِينِي فَتَرَكَنِي ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَّةُ، هَاتِي الْعُودَ، فَجَاءَتْ بِهِ وَغَنَّتْ:

وَكُنَّا كَغُضْنِي بَانَةٍ⁽¹⁾ لَيْسَ وَاحِدٌ
تَبَدَّلَ بِي خِلٌ⁽²⁾ فَخَالَتْ غَيْرَهُ
وَلَوْ أَنَّ كَفِّي لَمْ تُرِدْنِي⁽³⁾ قَطَعْتُهَا
أَلَا قَبَّحَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مُصَادِقٍ
يَزُولُ عَلَى الْحَالَاتِ عَنْ رَأْيٍ وَاحِدٍ
وَبَاعَدْتُهُ لَمَّا أَرَادَ تَبَاغِدِي
وَمَا صَحَبْتَنِي⁽⁴⁾ بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدِي
[خَلِيلًا لَنَا]⁽⁵⁾ فِي الْيُسْرِ لَا فِي الشَّدَائِدِ

ثم التفت إلي وقال لي: أتحسن مثل هذا؟ قلت: أحسن ما هو خير منه، فقال: هات فقرأت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: 1] حتى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: 10] فقال الفتى: يا جارية، أنت حرة لوجه الله [عز وجل]⁽⁶⁾ وألقى ما عنده من الشراب في الماء وكسر العود وقال: يا أبا هاشم، أترأه يقبلني ويقبل توأتي فقالت: أي والله ويحك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] [قلبي]⁽⁷⁾ وأحرم وأخرج إلى الحج وترك امرأته بالبصرة، وما زال مجاوراً بالحرم سنين كثيرة، إلى أن مات ودفن بالحرم قال أبو هاشم رحمه الله تعالى: فرأيتُه بعد ذلك في المنام فقلت له: يا أخي إلى ما صرت [إليه]⁽⁸⁾ بعدي؟ قال: إلى الجنة، قلت: بماذا؟ قال: بقراءتك عليّ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: 10].

قلت: تبع في نقله هذه الحكاية أبا بكر التميمي.

- | | |
|---------------------------|----------------------|
| (1) في ت: بات. | (2) في ت: في. |
| (3) يرذني بمعنى: تظاوغني. | (4) في ت: ولم نضجني. |
| (5) في ت: يكون أحمأ. | (6) في ت: الكريم. |
| (7) في ت: وأبا. | (8) الزيادة من: ت. |

قال: سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وأوطنها [ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المشرق للحج فتوفي بمصر مصرفه من الحج وذلك سنة مائتين وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة.

قلت: تبع في نقله هذا أبا العرب وظاهر قولهما سكن القيروان وأوطنها⁽¹⁾ إلا أَنَّهُ لَيْسَ أَضْلُهُ مِنْهَا وإنما ورد عليها ثم خرج منها وهو كذلك قال أبو بكر التُّجِيبِي، قال يحيى: وُلِدْتُ بالكوفة وكان أبي مِنْ أَهْلِهَا ثم سَكَنَ البَصْرَةَ وتوفي وَهُوَ ابن سبع وسبعين سنة رحمة الله تعالى عليه.

86 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن مسروق⁽²⁾ يعرف بالزاهد:

قال: كان رَجُلًا صَالِحًا زَاهِدًا في الدُّنْيَا تركها عن قدرة حتى كان يُقَالُ: إِنَّ رَجُلَيْنِ كانا في الدنيا فزهدًا فِيهَا؛ عمر بن عبد العزيز ومحمد بن مسروق هذا.

قلت: يُرَوَى هَذَا الكلام عن الشيخ أبي بكر بن اللَّبَّاد رحمه الله تعالى كان يقول بإسناد يتصل بسعيد الأدم المتعبّد بمصر أَنَّهُ قال: [كَانَ رَجُلَانِ]⁽³⁾ إِلَى آخِرِهِ نقله المالكي.

قال: قال يحيى بن عمر الفقيه محمد بن مسروق هذا، هو صاحب المسروقين التي على طريق سوسة. وكان وَالِدُهُ مَسْرُوقُ خَلِيفَةُ مُوسَى بن نصير بالمغرب ونشأ محمد بن مسروق هذا في رفاهية من العيش. رُوِيَ أَنَّهُ كان يفتض كُلَّ لَيْلَةٍ عَذْرَاءَ⁽⁴⁾، فزهد في جميع ما تركه والده كان بعد ذلك يَمُرُّ بِالْقَرْيَةِ مِنْ قُرَى أَبِيهِ فيخرج إليه مَنْ فِيهَا فيقولون: نَحْنُ عَبِيدُكَ، وَكُلُّ مَا لَنَا فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ هُوَ لَكَ فيقول إن كنتم صادقين فأنتم أحرار ومالككم لكم. ولم يَتَلَبَّسْ من الدنيا بشيء ورحل بعد ذلك إلى الإسكندرية فَوَطَّنَهَا إلى أَنْ مَاتَ وَكَانَ كَثِيرَ الخوف من الله عزَّ وجلَّ رحمة الله تعالى عليه ورضوانه⁽⁵⁾.

[انتهى الجزء الأول من كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان من تجزئة أربعة أجزاء، ويليه الجزء الثاني وأوله ترجمة القاضي أسد بن الفرات رحمه الله].

(1) ما بين المعقوفتين سقط من: ط. الزيادة من: ت.

(2) ترجمة محمد بن مسروق في: رياض النفوس 1/ 193 رقم 80.

(3) في ت: كان يقال إن رجلين. (4) الرياض 1/ 193.

(5) انظر الرياض 1/ 194.

فهرس المحتويات

28	التحقيق	7	إهداء
	عرض صور النسختين المطبوعة	9	مقدمة التحقيق
29	والمخطوطة	13	ترجمة أبو زيد عبد الرحمن الدباغ ...
30	عرض الصفحة الأخيرة للمطبوع	13	اسمه
	عرض الصفحة الأولى من الجزء	13	كنيته، لقبه، نسبه
	الأول للمخطوط المرموز له بحرف	14	مكان ولادته، سنة ولادته
31	«ت»	15	أخلاقه
	الصفحة الأخيرة من الجزء الأول	16	شيوخه
32	حرف «ت»	16	شعره
	الصفحة الأولى من الجزء الثاني	17	مؤلفاته
34	حرف «ت»	18	وفاته
	الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني	19	ترجمة ابن ناجي
34	حرف «ت»	19	اسمه، مولده، نشأته
37	تقديم	20	شيوخه
39	ذكر فضل إفريقية	21	وظيفته
41	ذكر القيروان وما ورد فيها	21	تأليفه
	ذكر مساجد القيروان السبعة القديمة	22	وفاته
58	الفاضلة	23	محتوى الكتاب ومضمونه
58	مسجد الأنصار	24	منهج الكتاب وطريقة تأليفه
58	مسجد الزيتونة	25	المادة التاريخية في كتاب المعالم
60	مسجد أبي ميسرة	26	المنهج اللغوي للكتاب
61	مسجد الحُبلي	26	ترتيب الكتاب
62	مسجد حَنَش	27	منهجية التحقيق
62	مسجد علي بن رباح اللخمي		وصف النسختين المعتمدتين في

أول مَنْ حَيَّ رسول الله ﷺ بتحيةة	62	مسجد السبت
الإسلام	105	63
وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر	107	63
6 - أبو عبد الله عمرو بن عوف		ذِكْرُ من نزل القيروان من الصحابة
المُزْنِي	109	63
7 - سلمة بن [عمرو] بن الأكوع		رضي الله تعالى عنهم أجمعين
الأسلمي	110	73
8 - أبو زمعة عبيد [بن أرقم] البلوي .	113	فتح صقلية
9 - أبو سعيد المسيب	116	وصية عقبه بن نافع لأبنائه وفيها من
10 - أبو عبد الرحمن جرهد بن		جوامع الحكم والآداب
خويلد الأسلمي	117	76
11 - أبو محمد فضالة بن عبيد		فتح تلمسان
الأنصاري الأوسي	118	76
12 - أبو العباس عبد الله بن عباس		فتح الزاب
ابن عبد المطلب بن هاشم	119	77
13 - أبو بكر عبد الله بن الزبير رضي		فتح طنجة
الله عنه	123	77
بيعة ابن سبع سنين	124	فتح سوس الأدنى والأقصى
14 - عبد الله بن عمرو بن العاص		كرامة كبرى لعقبه بن نافع
القرشي السهمي رضي الله عنه	126	85
15 - عقبه بن عامر الجهني رضي الله		فتح قرطاجنة في سنة 69
تعالى عنه	129	91
16 - رُوَيْفَعُ بن ثَابِت بن السَّكَن بن		تجديد الجامع الأعظم بالقيروان
عَدِيّ بن [حَارِثَة] بن عمر بن		1 - أبو سعيد، المقداد بن عمرو
زيد مَنَاة بن عدي بن عمر بن		الْبُهْرَانِي الْقُطَاعِي
مالك بن النَّجَّار الأنصاري	130	94
فتح جربة	131	أول فارس غزا بفرسه في سبيل الله ..
17 - حمزة بن عمرو الأسلمي رضي		أول سهم رمي به في سبيل الله
الله تعالى عنه	132	95
		وزراء رسول الله ﷺ ونجباؤه ورفقاؤه
		السعيد من جنب الفتن
		97
		2 - أبو اليسر، كَعْب بنُ عَمْرُو
		الأنصاري
		98
		3 - عبد الله بن أنيس الجهني حليف
		الأنصار
		99
		4 - أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر
		ابن الخطاب رضي الله تعالى عنهما
		100
		أول من بايع بيعة الرضوان
		101
		5 - أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ...
		104

- 18 - أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما 134
- 19 - أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المُرَينِّي رضي الله تعالى عنه 136
- 20 - أبو عبد الرحمن المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلِ القُرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ ... 137
- 21 - جَبَلَةُ بن عمرو الأنصاري الساعدي يُعَدُّ في أهل المدينة 140
- 22 - أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري واسم أبي سرح الحُسام 140
- 23 - معاوية بن حُديج 142
- أبار حديج بالقيروان 143
- 24 - المُطَّلِب بن أبي وَدَاعَةَ السَّهْمِي رضي الله تعالى عنه 145
- 25 - ربيعة بن عباد الدؤلي رضي الله عنه 147
- 26 - زِيَادُ بنُ الحَارِثِ الصُّدَائِي رضي الله عنه 148
- المؤذن هو الذي يقيم 149
- 27 - أبو اليمُن سُفْيَان بن وَهَب الخَوْلَانِي رضي الله عنه 150
- 28 - أبيض بن حَمَّال السُّبَائِي المَارَبِي 151
- 29 - أبو اليقظان 152
- 30 - أبو عبد الرحمن بَشْر بن أَرْطَاة القُرَشِي العامري 153
- 31 - عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي 156
- 32 - أبو عُمر عَاصِم بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهما 157
- 33 - عُقْبَةُ بن نَافِع بن عبد القيس الفِهْرِيُّ 158
- 34 - عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما 160
- 35 - عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب 161
- 36 - عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله تعالى عنه 161
- 37 - مَعْبُدُ بن العَبَّاس بن عَبْدِ الْمُطَّلِب 162
- 38 - عبد الرحمن بن صُبَيْحَةَ اللَّيْثِي . 162
- 39 - مَرْوَان بنُ الحَكَم بن أبي العاصي القُرَشِي الأموي 162
- 40 - أَبُو ذُوَيْب حُوَيْلِدُ بن خالد الهُدَلِي الشاعر 163
- 41 - أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور 166
- 42 - أبو سعيد كَيْسَانَ المِقْبَرِيِّ 167
- ابتداء ذِكْرِ التابعين 168
- 43 - ومن علماء التابعين وَفُضَلَائِهِم : أبو عبد الرحمن، عبد الله بن يزيد المَعَاوِرِي الإفريقي الحُبَلِيُّ 168
- كفارة الخطايا 170
- 44 - أبو مسعود سعد بن مسعود التُّجِيبِي 171
- 45 - حَنْش بن عبد الله السُّبَائِي الصنعاني 173

59 - موهب بن جبتي المَعافِرِي رضي	190
الله عنه	190
60 - أبو عثمان مسلم بن يسار	191
الأنصاري مولى الأنصار	191
61 - طلق بن جابان الفارسي	191
62 - أبو غُظَيْف الهُدَلِي	192
فضيلة الوضوء على طهر	192
63 - عُمَارَةَ بنُ غُرَابِ التُّجَيْبِي	193
إن الله يعذر بالمعذرة	193
64 - أبو علقمة مولى عبد الله بن	193
عباس قاضي إفريقية	193
كيفية بسط الراحتين في الدعاء	193
ما يدعى به عند الخروج من البيت ...	194
65 - مَيْسَرَةَ الزُّرُودِي رحمه الله	194
66 - زياد بن أنعم الشَّعْبَانِي	194
حقوق المسلم على المسلم	195
67 - أبو رُوْح يَزِيد بن أبي مَنْصُور	195
الأزدي من صغار التابعين	195
68 - أبو مَعْمَرُ عَبَّاد بن عبد الصمد	196
التميمي البصري	196
69 - أبو كُرَيْب جَمِيل بن كُرَيْب	197
المَعافِرِي القَاضِي	197
70 - [أبو أيوب] عبد الرحمن بن	201
زياد بن أنعم المَعافِرِي الشَّعْبَانِي	201
القاضي	201
71 - أبو عِمْرَان موسى بن عَلْتِي بن	206
رَبَاحِ النَّخْمِي مِنَ الْفُضَلَاءِ	206
72 - أبو محمد عبد الله بن فَرُوخ	207
الفارسي	207

46 - أبو عبد الله محمد بن أوس	174
الأنصاري	174
47 - أبو يحيى عياض بن عُقْبَةَ بنُ	175
نَافِعِ الْفَهْرِي	175
فضل الوفاة ليلة الجمعة أو يومها	175
48 - إسماعيل بن عبيد الأنصاري	176
مولى لهم والمعروف بتاجر الله	176
49 - عبد الرحمن بن وَعْدَةَ السَّبَائِي	179
المصري رحمه الله	179
50 - الْمُغِيرَةَ بن أبي بُرْدَةَ الْكِنَانِي	179
51 - أبو نُجَيْم عبد الرحمن بن رافع	180
التنوخي رحمه الله	180
52 - عَلِيّ بن رِبَاحِ بن قَصِيرِ النَّخْمِي	181
53 - أبو سعيد جُعْثَل بن قَاعَانَ بن	183
عُمَيْرِ الرُّعَيْنِي ثم الْقَتَبَانِي	183
54 - إسماعيل بن عبيد الله بن أبي	184
المُهَاجِرِ الْمُخْرُومِي رحمه الله	184
حكم الوصية بكل المال ممن لا	185
وارث له	185
55 - أبو الأشعث زُبَيْعَةَ بن يزيد	186
يعرف بالدمشقي	186
56 - جَبَّان بن أبي جبنة القرشي مولى	187
بني عبد الدار	187
57 - عبد الله بن المغيرة بن أبي بُرْدَةَ	188
الْكِنَانِي قاضي عمر بن عبد العزيز	188
بالتقيروان	188
58 - أبو ثَمَامَةَ بَكْر بن سَوَادَةَ	189
الجذامي	189
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن	190
المنكر	190

- 79 - أبو عبد الرحمن عبد الله بن
عمر بن غانم بن شَرَحِيل بن ثوبان
الرُّعَيْنِي قاضي إفريقية وصاحب
مالك بن أنس 239
ذكر ثناء العلماء عليه وتعظيمهم
لَهُ 240
ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه .. 241
تفقد الشيوخ تلاميذهم على بُعد 242
ذكر بقية أخباره 246
لا يعرف الفضل إلا ذووه 249
ذِكْرُ وَفَاتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ 253
80 - أبو عثمان حاتم بن عثمان
المَعَاوِرِي 255
حياة الثوب طيه 256
موت العالم على طلب العلم شهادة . 256
81 - صقلاب بن زياد الهمداني الفقيه
المتعبد 256
موت هارون الرشيد وعمره ومذهبه .. 257
82 - أبو عون، معاوية بن الفضل
الصمادحي 257
83 - حفص بن عمارة 259
84 - يحيى بن زكرياء بن محمد بن
الحَكَم التُّجِيبِي 260
85 - أبو زكرياء يحيى بن [سلام] بن
أبي ثعلبة التيمي تيم ربيعة مولاهم 260
فضيلة إنظار المعسر 263
86 - أبو عبد الله محمد بن مسروق
يعرف بالزاهد 265
ذِكْرُ هُرُوبِهِ مِنَ الْقَضَاءِ رَحِمَهُ اللهُ
تعالى 209
ذكر بقية أخباره 210
73 - عبيد الله بن زحر الكِنَانِي 213
74 - أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن
الْيَحْضَبِي 214
75 - أبو حفص عمر بن عبد الله
الْفَتَّال 216
76 - أبو يزيد رباح بن يزيد بن رباح
الللخمي 216
ذِكْرُ ثناء العلماء عليه 216
ذِكْرُ كَرَامَاتِهِ 217
ما يدعو به المكروب 219
ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَخْبَارِهِ 219
ذِكْرُ مَرَضِهِ وَمَوْتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ
بذلك 221
77 - أبو عمرو البهلول بن راشد
الرعييني ثم الحجري مولاهم 223
ذِكْرُ ثناء العلماء عليه 224
ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنْ أَخْبَارِهِ 225
الأسرار بالعبادة 230
اختلاف علي بن زياد والبهلول في
أرزاق الأجناد 231
ذكر محنته ووفاته رضي الله عنه 231
78 - أبو علي شقران بن علي
الهمداني رحمه الله ورضي عنه 234
ذِكْرُ ثناء العلماء عَلَيْهِ 234
موعظة حسنة 234

MA^ḠĀLIM AL-^ḠĪMĀN
FĪ MA^ḠRIFAT AHL AL-QAYRAWĀN

The biographies of those who
inhabited Al-Qayrawan

by

Abu Zayd ^ḠAbdul-Raḥmān Ben Muḥammad
Al-Dabbāḡ

Edited by

Dr. ^ḠAbdul-Majīd Al-Ḥayālī

Volume I

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

مَعَالِمُ الْإِيمَانِ

فِي

مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ وَأَنْبَاءِ

تَأليف

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ المتوفى ٦٩٦ هـ

الملك وعلو عليه

أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي المتوفى ٨٣٩ هـ

وفي آخره

ذيل معالم الإيمان

المسكتي

تكميل الصحاح والأعيان

لمعالم الإيمان في أولياء القبر وأولاد

تأليف

محمد بن صالح بن علي بن عيسى الكنافي

المتوفى ١٢٩٢ هـ

تحقيق

الدكتور عبد المجيد ضياحي

المجلد الثاني



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلّم

87 - ومنهم أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان⁽¹⁾ مولى بني سليم:

قال أبو العرب: أضله من أبناء خنيد خراسان نيسابور⁽²⁾.

قال: وُلِدَ بِنَحْرَانَ⁽³⁾ سنة اثنتين وأربعين ومائة.

[أول مدينة بنيت في الأرض بعد الطوفان]

قلت: قيل: ويقال: إنها أول مدينة بنيت على وجه الأرض بعد الغرق⁽⁴⁾.

قال: وقدم به أبوه مع محمد بن الأشعث القيروان سنة أربع وأربعين وهو ابن

عامين.

قلت: زاد المالكي عن أسد: فأقمنا بها خمس سنين ثم دخلنا إلى تونس

فأقمنا بها نحو تسع سنين، فلما بلغت ثماني عشرة [سنة]⁽⁵⁾ كَانَ يَعْلَمُ الْقُرْآنَ فِي قَرْيَةٍ

على وادي مجردة.

(1) ترجم لأسد بن الفرات في: تاريخ قضاة الأندلس ص: 54، رياض النفوس: 1 ص: 254

رقم: 104، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 163، ترتيب المدارك: 2 / 465 - 480،

الديباج المذهب ص: 161، الشذرات 2 / 28 - 29، شجرة النور الزكية: 1 / 93 رقم: 82،

الفكر السامي: 2 / 112، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: 2 / 135 - 136.

(2) الوارد في الطبقات لأبي العرب قوله: «كان أوله من خراسان من نيسابور» ص: 163.

(3) في ت وط: بنجران. التصويب من: الرياض، وترتيب المدارك، والديباج المذهب.

(4) في الرياض، زيادة: «بالطوفان» أمام كلمة الغرق: 1 / 254.

(5) زيادة من الرياض: 1 / 255.

قال: فرأت أمي بها كأن حشيشاً نبت في ظهري ترعاه البهائم فعبرت رؤياها عند معبر، قال: سوف يكون قبل هذا الغلام علم يحمل عنه⁽¹⁾.

قال: سَمِعَ مِنْ عَلِي بْنِ زِيَادٍ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَلَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ الْقَاضِي أَبَا يَوْسُفَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ وَأَسَدَ بْنَ عَمْرٍو، ثُمَّ سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَعَلَى الْمُسَيَّبِ بْنِ شَرِيكَ، وَهَيْثَمِ بْنِ بَشِيرٍ وَغَيْرِهِمْ. رُوِيَ أَنَّهُ سَمِعَ عَلَى هَيْثَمِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَسَمِعَ الْفَقْهَ بِمِصْرَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ وَعَنْهُ دُونَ الْأَسَدِيَّةِ، وَقَدِمَ بِهَا الْقَيْرَوَانَ فَسَمِعَهَا مِنْهُ خَلَقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَحْنُونَ وَغَيْرَهُ، ثُمَّ أَظْهَرَ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ لِقَضِيَّةِ تَرَكْنَاهَا وَأَخَذَهُ النَّاسُ عَنْهُ وَانْتَشَرَتْ إِمَامَتُهُ.

قلت: قال المالكي: قال سليمان بن سالم أخبرني غير واحد من شيوخي أن أسداً خرج إلى المشرق في سنة اثنتين وسبعين ومائة، فقصد مالك بن أنس فلما فرغ من سماعه منه قال له: «زدني يا أبا عبد الله» وكأنه اشتغل⁽²⁾ بالموطأ فقال له مالك: «حسبك ما للناس». وكان مالك إذا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَتَبَهَا أَصْحَابُهُ فَيَصِيرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سَمَاعٌ، مِثْلَ سَمَاعِ ابْنِ الْقَاسِمِ فَرَأَى أَسَدًا أَمْرًا يَطُولُ عَلَيْهِ، وَخَافَ أَنْ يَفُوتَهُ مَا رَغِبَ فِيهِ مِنْ لُقْيَى الرِّجَالِ وَالرِّوَايَةِ عَنْهُمْ، فَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ. وَذَكَرَ غَيْرُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ سَأَلَ مَالِكَاً يَوْمًا عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا فَرَادَ أَسَدٌ فِي السُّؤَالِ فَأَجَابَهُ فَرَادَهُ فَأَجَابَهُ ثُمَّ زَادَهُ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: حَسْبُكَ يَا مَغْرِبِي! إِنْ أَحْبَبْتَ الرَّأْيَ فَعَلَيْكَ بِالْعِرَاقِ. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ عَنْ أَسَدٍ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مَالِكِ ابْنِ الْقَاسِمِ وَغَيْرُهُ يَجْعَلُونِي أَسْأَلَ مَالِكَاً عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَإِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي فيقولون لي: قُلْ لَهُ فَلَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا فَأَقُولُ لَهُ فَضَاقَ عَلَيَّ يَوْمًا فَقَالَ لِي: [سلسلة بنت سلسة]⁽³⁾ إِذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، كَانَ كَذَا إِنْ أَرَدْتَ هَذَا فَعَلَيْكَ بِالْعِرَاقِ. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْخُذُوا [الْعَقَارِبَ]⁽⁴⁾ بِيَدِي؟ وَلَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِ هَذَا. وَعَنْ أَسَدٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَحَارِثُ بْنُ أَسَدِ الْقَفْصِيِّ وَغَالِبُ بْنُ مَهْدِيٍّ⁽⁵⁾ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ لِأُودِعَهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبَايَ فَقَالَا لَهُ: «أَوْصِنَا بِرُحْمِكَ اللَّهُ» فَأَوْصَاهُمَا، ثُمَّ قَالَ لِي: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى

(1) الرياض: 1/255.

(2) في الرياض: استقل 1/256.

(3) في الرياض: سلسلة بنت سلسة 1/256 - 257.

(4) زيادة من الرياض: 1/257.

(5) في الرياض: صهري 1/257.

والقرآن والنصيحة لهذه الأمة فلما خرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لِي صَاحِبَايَ: زَادَكَ وَاللَّهِ عَلَيْنَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ سَلِيمَانُ: وَمَا⁽¹⁾ وَدَّعَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى⁽²⁾ قَالَ أَسَدُ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ يَوْمًا فِي الْحَلْقَةِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَتَخَطَّى النَّاسَ لَهُ حَتَّى صَارَ⁽³⁾ إِلَيْهِ فَسَمِعْنَا مُحَمَّدًا يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا! مَاتَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ فَشَا الْخَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ وَمَاجَ النَّاسُ حُزْنًا لِمَوْتِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ عَنْ مَالِكٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَاسْتَدَّتْ⁽⁴⁾ عَلَيْهِ الطَّرُقُ رَغْبَةً فِي حَدِيثِ مَالِكٍ وَإِذَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ لَمْ يَجِئْهُ إِلَّا الْخَوَاصِرُ، وَعَنْ سَلِيمَانَ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَسَدٍ قَالَ: قُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ إِنِّي غَرِيبٌ قَلِيلُ التَّقْهَةِ وَالسَّمَاعِ مِنْكَ نَزْرًا، وَالطَّلِبَةُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ فَمَا حِيلَتِي؟ قَالَ: إِسْمَعْ مَعَ الْعِرَاقِيِّينَ بِالنَّهَارِ وَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ اللَّيْلَ وَحَدَّكَ فَتَبَيْتُ عِنْدِي وَأَسْمِعُكَ فَكُنْتُ أَبِيْتُ عِنْدَهُ وَكُنْتُ فِي بَيْتِ فِي سَقِيفَةٍ وَكَانَ يَسْكُنُ الْعُلُوَّ، فَكَانَ يَنْزِلُ إِلَيَّ وَيَجْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْحًا فِيهِ الْمَاءُ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْقِرَاءَةِ فَإِذَا طَالَ اللَّيْلُ وَرَأَيْتُ نَعْسًا مَلَأَ يَدَهُ وَنَضَحَ بِهِ عَلَيَّ وَجْهِي فَأَنْتَبَهُ فَكَانَ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلِيَّ مَا أُرِيدُ مِنَ السَّمَاعِ عَلَيْهِ. قَالَ أَسَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَكُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا فِي حَلْقَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حَتَّى صَاحَ صَائِحُ الْمَاءِ لِلسَّبِيلِ! فَقَمْتُ مَبَادِرًا فَشَرِبْتُ الْمَاءَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْحَلْقَةِ فَقَالَ لِي⁽⁵⁾: يَا مُحَمَّدُ يَا مَغْرِبِي أَتَشْرَبُ مَاءَ السَّبِيلِ؟ فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَأَنَا ابْنُ السَّبِيلِ. ثُمَّ انصرفتُ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِذْ أَتَانَا إِنْسَانٌ فَفَرَعَ الْبَابَ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا بِخَادِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فَقَالَ: مَوْلَايَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ ابْنُ السَّبِيلِ غَيْرِ يَوْمِي⁽⁶⁾ هَذَا فَخُذْ هَذِهِ النَّفَقَةَ فَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَيَّ حَاجَتِكَ ثُمَّ دَفَعْتُ⁽⁷⁾ إِلَيَّ صِرَةً ثَقِيلَةً فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ دَرَاهِمٌ وَفَرَحْتُ بِهَا فَلَمَّا دَخَلْتُ بَيْتِي وَفَتَحْتُهَا، فَإِذَا فِيهَا ثَمَانُونَ دِينَارًا. وَعَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي

(1) فِي الرِّيَاضِ: وَلَمَّا 257/1.

(2) فِي الرِّيَاضِ، زِيَادَةٌ: «وَالْقُرْآنَ، وَنَشَرَ هَذَا الْعِلْمَ» 257/1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: حَتَّى سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ 257/1.

(4) فِي الرِّيَاضِ: وَأَسَدَّتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ.

(5) فِي الرِّيَاضِ: [فَقَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ] 258/1.

(6) فِي الرِّيَاضِ: إِلَّا فِي يَوْمِي 258/1.

(7) فِي ط: دَفَعْتُ التَّصْوِيبَ مِنَ الرِّيَاضِ: 258/1.

زيد عن عبد الله بن أبي سعيد بن الحداد عن أبي سعيد قال: بلغني عن محمد بن الحسن ما أعجبني! وذلك أن أسداً نفذت نفقته، وكما يطلب العلم ولم يبق معه ما يتحمل به في انصرافه إلى إفريقية، فأعلم محمد بن الحسن بذلك فأحب إدخال المنفعة عليه فقال إني أذكر شأنك لولي العهد، وأرجو أن يصلك بما تحمل به إلى بلدك وتتقوى به على ما أنت بسبيله فلما لقيه ذاكراً أمره، فقال له: يأتي [إلي] (1) الحاجب يوم كذا وكذا فيوصله إلي فأعلمه محمد بن الحسن بذلك، وأمره أن يمضي إليه إلى الوعد.

[المرء في عيون الناس حيث يضع نفسه]

وقال له: اعلم أنك عندهم حيث تضع نفسك، فإن أنزلت نفسك في مكان حسرت أنزلوك فيه، وإن أنزلت نفسك في غير ذلك أنزلوك فيه. فلما كان ذلك اليوم مضى أسد فدخل على الحاجب فأجلسه ثم دخل على ولي العهد، فخرج الحاجب وخادم معه، فأمره بالدخول فدخل أسد والخادم بين يديه، حتى انتهى به إلى موضع فأمره بالجلوس فيه حتى يرجع إليه ومضى الخادم فأقام شيئاً ثم رجع ومعه مائدة مغطاة فجعلها بين يديه وقال له: كل. قال أسد: ففكرت بيني وبين نفسي وقلت: هذه مكرمة أو منقصة؟ ما أرى هذه إلا منقصة. فقلت له هذا الذي جئت به منك أو من مولاك؟ فقل له: مولاي أمرني أن آتيك به وهو أرسلني إليك فقلت له: إن مولاك لا يرضى بهذا أن يكون ضيفه يأكل دونه يا غلام هذا بر منك وجبت مكافأتك علي وكانت معي في جيبتي أربعون درهماً لم يبق معي من جميع نفقتي سواها فدفعتها إلى الخادم وقلت له: ارفع مائدتك فرفع المائدة ثم دخل فأعلم مولاها بالذي كان مني قال: فبلغني أنه لما حكى ما فعلت وما قلت قال حق (2). والله الذي لا إله إلا هو ثم خرج إلي الخادم فقال: أدخل فمضيت حتى دخلت عليه وهو على سرير والحاجب (3) على سرير قبائته، وسرير ثالث [خال] (4) ليس عليه أحد فسلمت فأمرني بالجلوس على السرير الخالي، فجلست وأقبل يسألني فأجبته (5) فلما قرب انصرافي أخذ رقعة وكتب فيها وختمها ودفعها إلي وقال قف بها على صاحب

(1) سقط من الرياض: 259/1 والكلام منقول منه.

(2) في الرياض: حر 259/1. (3) في الرياض: ومعلمه 259/1.

(4) زيادة من الرياض: 259/1. (5) في الرياض: وأجبه 259/1.

الديوان، وتعود إلينا إن شاء الله تعالى فلك عندنا ما تُسرُّ به فأخذت الرُقعة وخرجت وليس معي شيء ولا بقي معي من نفقتي شيء فاحتقرت الرقعة ولم أمض بها فلما كان من الغد لقيت محمد بن الحسن فقال لي: ما صنعت؟ فأخبرته بالذي كان فقال لي: قم الساعة، ووصل⁽¹⁾ الرُقعة ولا تتواني فمضيت بها فدفعتها إلى صاحب الديوان فدفع إلي عشرة آلاف فأخذتها ومضيت إلى محمد بن الحسن فأعلمته بما كان فقال لي: فيما وصل إليك من هذه عون على ما أنت بسبيله⁽²⁾ وفيها ما تحمل به إلى بلدك وإن عدت إلى القوم كنت لهم خادماً. فتركت العودة إليهم. وذكر سليمان بن سالم أنه لما وصل أسد إلى مضر بعد وفاة مالك رحمه الله تعالى اجتمع مع عبد الله بن وهب فسأله عن مسألة فأجابه ابن وهب بالرواية، فأراد أن يدخل عليه غير الرواية فقال له ابن وهب: حسبك إذا أدينا إليك الرواية، ثم أتى إلى أشهب فسأله عن مسألة فأجابه فقال له أسد: من يقول هذا مالك أو أبو حنيفة؟ فقال أشهب: هذا من قولي عافاك الله فقال له: إنما سألتك عن قول مالك وأبي حنيفة فتقول هذا قولي؟ فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن عبد الحكم ما لك ولهذا؟ هذا رجل أجابك بجوابه، فإن شئت فأقبل وإن شئت فاترك ففرق بينهما فأتى إلى عبد الرحمن بن القاسم.

قلت: وذكر أن أشهباً ازدرى مالكا وأبا حنيفة مرة لانجرارهما في مجلسه فقال أسد: يا أشهب يا أشهب فأسكته الطلبة وقيل له: ما أردت أن تقول؟ قال: أردت أن أقول مثلك ومثلهما مثل رجل أتى بين بحرَيْنِ قبال فرغى^(*) بوله فقال هذا بحر ثالث، وذكر ابن الرقيق أنه قال له ذلك مشافهة. قال المالكي ووجد ابن القاسم كل يوم وليلة يختم ثلاث ختم وقد أضنى نفسه من العبادة فسأله عن مسألة فأجابه ثم أدخل عليه فأجابه حتى انقطع أسد في السؤال فقال له ابن القاسم: يا مغربي زد وقل لي من أين أنت حتى أبين لك قول مالك. فعندها قام أسد على قدميه في المسجد وقال: معاشر الناس إن كان مالك بن أنس قد مات فهذا مالك، فكان يغدو إليه كل يوم يسأله ويجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتاباً وسماها الأسدية وقيل: إن ابن القاسم ترك لأسد في سؤاله ختمة فلما عزم أسد على الرحيل إلى إفريقية قام

(1) في الرياض: فوصل 260/1. (2) في الرياض: بصديه 260/1.

(*) أرغى البائل: صارت لبوله رغبة. القاموس المحيط.

عليه أهل مصر فسألوه في كتاب الأُسدية أن ينسخوه فأبى عليهم، فقدموه إلى القاضي بمصر فقال لهم القاضي: وأي سبيل لكم عليه؟ رجلٌ سأل رجلاً فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله. فرغبوا إلى القاضي في سؤاله أن يقضي حاجتهم فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك، فَنَسَخُوهَا حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهَا⁽¹⁾.

[أخذ النسخ من رسوم الوفيات]

قلت: قال شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ الْوَرُغَمِي⁽²⁾: يقوم من امتناع أسد من نسخ ما ألفه عن ابن القاسم ما نصَّ عليه الموثقون بَعْدَهُ، أَنْ مَنْ عَمِلَ وَفَاةً وَأَثْبَتَهَا عِنْدَ الْقَاضِي وَطَلَبَ رَجُلٌ أَنْ يَأْخُذَ نُسْخَةً مِنْهَا وَشَهُودَهَا أَحْيَاءَ حَاضِرُونَ فَإِنَّهُ لَا يُجْبِرُ عَلَيَّ أَنْ يَأْخُذَ نُسْخَةً مِنْهَا إِذَا امْتَنَعَ بِخِلَافِ مَا إِذَا تَعَدَّرَ شُهُودٌ وَثِيْقَةٌ لِمَوْتِهِمْ أَوْ غَيْبَتِهِمْ وَلَا يُوْجَدُ غَيْرُهُمْ فَإِنَّهُ يُجْبِرُ وَيَأْخُذُ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يُجْبِرُ عَلَيْهِ فِيمَا خَسِرَهُ فِي الرَّقِّ وَغَيْرِهِ، وَبِهِ الْعَمَلُ قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَلَمَّا عَزَمَ أَسَدٌ عَلَى الرَّجِيلِ وَجَّهَ مَعَهُ ابْنَ الْقَاسِمِ بِضَاعَةَ وَقَالَ لَهُ: إِذَا قَدِمْتَ إِفْرِيْقِيَةَ فَبِعْهَا وَاشْتَرِ بِمَنْهَا رُقُوقًا وَانسخ الكتاب⁽³⁾ وَوَجَّهَ بِهِ إِلَيَّ فَلَمَّا قَدِمَ أَسَدٌ إِفْرِيْقِيَةَ أَظْهَرَهُ وَأَسْمَعَهُ النَّاسَ وَانْتَشَرَ بِإِفْرِيْقِيَةَ. وَكَانَ سَحْنُونَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رُشَيْدٍ⁽⁴⁾ يَكْتُبَانِهَا فَلَمَّا سَمِعَ أَسَدٌ بِذَلِكَ شَخَّ عَلَى الْكِتَابِ وَلَمْ يَعْطِهَا لِأَحَدٍ. قَالَ سَلِيمَانُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونَ فَبَقِيَ عَلَى سَحْنُونَ مِنْهَا «كِتَابُ الْقَسَمِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ⁽⁵⁾ الْجَزِيرَةِ إِلَى أَسَدٍ فَسَأَلَهُ فِي كِتَابِ الْقَسَمِ فَأَبَى أَنْ يَعْطِيَهُ إِيَّاهُ حَتَّى حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَعْطِيهِ لِسَحْنُونَ فَلَمَّا صَارَ الْكِتَابُ إِلَى الرَّجُلِ أَتَى بِهِ

(1) الرياض: 1/ 261 - 262.

(2) أبو عبد الله محمد الورغمي توفي سنة 803هـ / 1400م تونسي الأصل. ترجم له في الديباج المذهب ص: 419 - 420، نيل الابتهاج ص: 463، كفاية المحتاج: 2/ 99 رقم 497، شذرات الذهب: 7/ 37، شرف الطالب ص: 88، وفيات النشريسي ص: 134، الفكر السامي: 2/ 293، شجرة النور الزكية 1/ 326 - 327 رقم 845 بتعليقنا.

(3) في الرياض: الكتب 1/ 262 (بصيغة الجمع).

(4) قال أبو العرب: محمد بن رشيد، مولى عبد السلام بن المقرج القائد، كانت رحلته ورحلة سحنون إلى عبد الرحمن بن القاسم إلى مصر واحدة، وكان أهل الأندلس في أول مرة يسمعون منه فيأتونه أكثر مما كانوا يأتون سحنوناً ثم أخذ في المعاملة بالعينه، فاجتنبه كثير من الناس. طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 195. وفي الديباج المذهب قال ابن فرحون: كانت رحلته ورحلة سحنون إلى ابن القاسم رحلة واحدة توفي سنة 221هـ ص: 407.

(5) في الرياض: من [أهل] 1/ 262.

إلى سَحْنُونٍ وَقَالَ: خُذْهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ فَمَا أُعْطِيَتْهُ⁽¹⁾ حَتَّى حَلَفْتُ وَأَنَا أَكْفَرُ عَنْ يَمِينِي فَكَمَلْتُ [الأسدية]⁽²⁾ عِنْدَ سَحْنُونٍ. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ زِيَادُ بْنُ يُونُسَ [السيوري]⁽³⁾ لَمَّا تَهَيَّأَ سَحْنُونٌ لِلخُرُوجِ إِلَى مِصْرَ خَرَجَ وَمَعَهُ مَشَايخُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَفِيهِمْ أَسَدٌ، فَقَالَ لِسَحْنُونٍ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَكَ هَذَا الدِّيْوَانُ لَسَمِعْتَهُ عَلَى ابْنِ الْقَاسِمِ؟ فَقَالَ سَحْنُونٌ: أَمَا إِنَّهُ فِي وَعَائِي! ثُمَّ شَيَّعُوهُ وَانصَرَفَ⁽⁴⁾ فَوَصَلَ إِلَى ابْنِ الْقَاسِمِ فَسَأَلَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَسَدٍ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا نَشَرَ⁽⁵⁾ مِنْ عِلْمِهِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ فَسُرَّ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ ثُمَّ شَافَهُهُ سَحْنُونٌ وَسَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ الْأَسَدِيَّةِ وَأَجَابَهُ عَنْهَا، وَرَجَعَ عَنْ بَعْضِ مَا أَجَابَ بِهِ أَسَدًا، فَلَمَّا فَرَّغَ كَتَبَ لَهُ كِتَابًا إِلَى أَسَدٍ وَأَمَرَهُ فِيهِ أَنْ يَرُدَّ مُدَوَّنَتَهُ عَلَى مَدُونَةِ سَحْنُونٍ، فَلَمَّا قَدِمَ سَحْنُونٌ بِالْكِتَابِ دَفَعَهُ إِلَى أَسَدٍ فَلَمَّا قَرَأَهُ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ تَلَامِذَتِهِ فَقَالُوا [لَهُ]⁽⁶⁾ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّكَ تَتَضَعُ عِنْدَ النَّاسِ [إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ]⁽⁷⁾ وَتَرْجِعُ لَهُ تَلْمِيزًا وَأَنْتَ قَدْ أَذْرَكْتَ مَالِكًا وَأَخَذْتَ عَنْهُ، وَدَخَلْتَ الْكُوفَةَ فَأَخَذْتَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ⁽⁸⁾ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ⁽⁹⁾ فَاتْرَكَ هَذَا وَأَحْمِلْ عَنْ هَؤُلَاءِ فَقَبِلَ مِنْهُمْ كَلَامَهُمْ وَفَعَلَ [مَا أَشَارُوا بِهِ]⁽¹⁰⁾، وَلَمْ يَقْبَلْ كِتَابَ ابْنِ الْقَاسِمِ فِي ذَلِكَ، وَتَمَسَّكَ بِكِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ الْأَسَدِيَّةَ وَنَشَرَ مَذَاهِبَ أَهْلِ الْعِرَاقِ⁽¹¹⁾.

(1) فِي الرِّيَاضِ: فَمَا أُعْطَانِيهِ 262 / 1. (2) فِي الرِّيَاضِ: الْكُتُبُ 262 / 1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: السُّدْرِيُّ 262 / 1.

(4) فِي الرِّيَاضِ: وَانصَرَفُوا (بِصِيغَةِ الْجَمْعِ) 262 / 1.

(5) فِي الرِّيَاضِ: بِمَا انْتَشَرَ 262 / 1. (6) زِيَادَةُ مِنَ الرِّيَاضِ: 263 / 1.

(7) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ فِي الرِّيَاضِ: [إِنْ رَدَدْتَ كِتَابَكَ عَلَى كُتُبِ سَحْنُونٍ وَيَسُودُ بِذَلِكَ عَلَيْكَ] 263.

(8) هُوَ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ الْكُوفِيِّ الْقَاضِي وَوُلِدَ سَنَةَ 113 هـ بِالْكَوْفَةِ، وَتُوفِيَ سَنَةَ 182 هـ بِبَغْدَادٍ هُوَ الَّذِي دَوَّنَ أَصُولَ الْحَنْفِيَّةِ وَنَشَرَ مَذْهَبَهُمْ. تَرْجَمَ لَهُ فِي: التَّارِيخِ الصَّغِيرِ لِلْبُخَارِيِّ: 228 / 2، الْفَهْرَسْتُ لِابْنِ النَّدِيمِ ص: 286، طَبَقَاتُ الْحِفَاطِ لِلْسِّيُوطِيِّ ص: 136 - 137 رَقْمٌ 260.

(9) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فَرَقْدِ الشَّيْبَانِيِّ وَوُلِدَ بِوَسْطِ سَنَةِ 132 هـ، وَشَبَّ بِالْكَوْفَةِ حَيْثُ سَمِعَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا وَتَأَثَّرَ بِمَذْهَبِهِ فِي الْأَخْذِ بِالرَّأْيِ تُوفِيَ سَنَةَ 189 هـ. تَرْجَمَ لَهُ فِي فَهْرَسْتُ ابْنِ النَّدِيمِ ص: 287 - 288، تَارِيخُ بَغْدَادِ لِلخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ: 172 / 2 - 182، شَذْرَاتُ الذَّهَبِ: 321 / 1 - 324.

(10) فِي الرِّيَاضِ: مَا قَالُوا لَهُ 263 / 1. (11) الرِّيَاضِ: 263 / 1.

قلت: إلى هذا أشار الشيخ الدَّبَّاع رحمه الله تعالى فيما تقدم من قوله ثم أظهر مذهب أبي حنيفة لقضية تركناها.

قال المالكي: وعن عبد الله بن سعيد بن الحَدَّاد، عن أبيه قال: سَمِعْتُ مَعْمَرًا يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أَسَدٍ فَوَجَدْتُهُ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهُ: أَمْصِيْبَةٌ نَزَلَتْ بِكَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ جَاءَنِي كِتَابُ ابْنِ الْقَاسِمِ فَأَمَرَنِي فِيهِ أَنْ أُرَدِّ كِتَابِي عَلَى كِتَابِ سَحْنُونَ وَأَنَا رَبِّيْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ أَهْلٌ لِمَا أَصَابَكَ، إِنَّمَا عَرَفَ ابْنُ الْقَاسِمِ بِكَ. فَقَالَ لِي: لَا تَفْعَلْ، فَلَوْ رَأَيْتَ ابْنَ الْقَاسِمِ لَعَزَّ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا فِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَسَدًا ضَرَبَ شَيْخًا مِنْ شُيُوخِ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ لَمَّا شَهِدَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ فِي وَقْتِ وِلَايَتِهِ الْقَضَاءِ أَنَّهُ نَتَقَصَّ ابْنَ الْقَاسِمِ، فَضْرِبَهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبًا عَظِيمًا، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّتِهِ⁽¹⁾ فِيهِ.

قلت: وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلي رحمه الله تعالى يقول: الصَّوَابُ مَا فَعَلَهُ أَسَدٌ لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْ ابْنِ الْقَاسِمِ أَجْوِبَتَهَا مُشَافَهَةً، وَالرَّفْعُ عَلَى الْخَطِّ مُخْتَلَفٌ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَلَا يَتْرَكُ شَيْءٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لِشَيْءٍ مُخْتَلَفٍ فِيهِ. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَنُشِرَ سَحْنُونَ مَدُونَتَهُ، وَسَمِعَهَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَانْتَشَرَ ذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ، وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَأَعْرَضُوا عَنِ الْأَسَدِيَّةِ وَغَلَبَ عَلَيْهَا اسْمُ سَحْنُونَ⁽²⁾.

قلت: ويقال: إن ابن القاسم رحمه الله تعالى لما بلغه ما فعل أسد دعا على الأسدية أن لا ينتفع بها فأجيب دعاؤه. قال المالكي قال [أبو]⁽³⁾ جعفر القصري: كان أسد إمام العراقيين بالقيروان كافة مشهوراً بالفضل والدين ودينه ومذهبه السنة. يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق وكان يُبَدِّعُ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا⁽⁴⁾. قيل لسحنون إن أسد كان يقول بخلق القرآن، فقال: والله ما قاله ولو قاله ما قلناه⁽⁵⁾. وعن أبي سنان قال: كان أسد إذا سرد أقاويل العراقيين يقول له: مشايخ كانوا يُجَالِسُونَهُ مِمَّنْ يَذْهَبُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ قَفِ الْقَنْدِيلِ الثَّانِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَيَسْرُدُ أَقَاوِيلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وكان ابن غانم يشاوره ويُعْجِبُ بِهِ وَكَانَ أَسَدٌ يَقُولُ ضَرْبَنَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَبَاطُ الْإِبِلِ وَأَعْتَرَبْنَا فِي الْبُلْدَانِ، وَلَقِينَا الْعُلَمَاءَ وَغَيْرِنَا إِنَّمَا طَلَبَ الْعِلْمِ خَلْفَ كَانُونَ أَبِيهِ، وَوَرَاءَ مَنْسَجِ أُمِّهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَلْحَقُونَا، يَعْنِي بِذَلِكَ أَبَا مُحَرَّرٍ، وَمَدْحَهُ ابْنُ الْحَسَنِ بِمَكَّةَ وَوَصْفَهُ بِالْمُنَاطِرَةِ وَالِدْرَاسَةِ وَالسَّمَاعِ.

(1) في الرياض: [موالاته ومحبهه] 264/1. (2) الرياض: 263/1.

(3) التصويب من الرياض: 264/1. (4) في الرياض: ذلك 264/1.

(5) انظر الطبقات لأبي العرب ص: 164.

ذِكْرُ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ وَغَزْوِهِ صَقْلِيَّةً

قال: لما مات ابن غانم تولى عوضه أبو مُحْرِزٍ⁽¹⁾ على ما سيأتي:

قال المالكي: ثم إن علي بن حُميد سَعَى عند زيادة الله في صرف أبي مُحْرِزٍ وتولية أسد وتلطف به فأبى عليه، ووصف له أسداً، وذكر له فضله، واشتهاره بالعلم، فولاه مع أبي محرز، وكانا يقضيان جميعاً وذلك سنة أربع ومائتين، ولم يُعلم بالقيروان قاضيان قبلهما في مصر وَاحِدٍ، يقضيان جميعاً⁽²⁾.

قلت: يُريدُ أن كلاً منهما يقضي في موضعه من أراد أسداً من المتداعيين حكم عنده، ومن أراد أبا مُحْرِزٍ حكم عنده. وبهذا القول قال المازري. ومنع بعضهم الولاية على هذا، لأنه يُؤدِّي إلى التشاجر بين أهل البلد، أن يدعو أحد الخصمين إلى قاضٍ والآخر إلى قاضٍ آخر. ومنع ابن شعبان تعدد القاضي بالنسبة إلى كل قضية الحكم إلا بإمضاء غيره، لأنه لا يكون الحاكم نصف حاكم.

وزعم الباجي الإجماع عليه، وذكر أنها وقعت، وأن غيره لم يقس في ذلك ودخل سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف، وابن رُشيدٍ على أسد بن الفرات لما بعث إليهم فسألهم عن مسألة فابتدر بجوابه صاحباً سحنون، وسكت سحنون فلما خرجوا قال له صاحبه: لمَ لم تتكلم؟ فقال سحنون: «ظهر لي أن جوابكما خطأ» وبَيَّن لهما ذلك فقالا له: لِمَ لم تتكلم بهذا ونحن عنده؟ قال: خشيتُ أن ندخل عليه ونحن أصدقاء، ونخرج عنه ونحن أعداء.

قال عياض: «محمل هذا على أن سَحْنُونٌ علم أن القضية لا يفوت أمرها بما ذكرا له، ولو علم ذلك لبادر بما ظهر له بحضرته».

قال المالكي: ولم يزالا على ذلك حتى ثار منصور الطُّنْبُذِيُّ⁽³⁾ على زيادة الله مع

(1) هو: أبو مُحْرِزٍ محمد بن عبد الله الكناني من مشايخ أهل إفريقية توفي سنة 214 هـ. ترجم له في الطبقات لأبي العرب ص: 415، رياض النفوس 1/ 274 - 280، الديباج المذهب ص: 415.

(2) في الرياض: [ولم يُعلم قبلهما قاضيان في مصر واحد ووقت واحد، وذلك سنة أربع ومائتين] 1/ 269.

(3) هو منصور بن نصر الجمشي الطُّنْبُذِيُّ قتله عامر بن نافع سنة 211 هـ. انظر عنه: البيان المُغرب: 1/ 98، [حوادث سنة 209 هـ - 213 هـ].

جماعة الجند وحاصروه في القصر القديم نحواً من اثنتي عشرة سنة، ومَلَكَ منصور مدينة القيروان وإفريقية، ونزل بعسكره بين شرقي القيروان وغربيها⁽¹⁾، وخذق هناك خندقاً، فخرج إليه أسد، وأبو مُحْرِزٍ وهما قاضيان، فدخلوا على منصور وعنده وجوه الأجناد وغيرهم، فقال لهما منصور في كلام كان منه: أَخْرُجَا [عَنِّي]⁽²⁾ أَمَا تَعْلَمَانِ أَنْ هَذَا الْبَائِسَ ظَلَمَ الْمُسْلِمِينَ؟. فأما أبو مُحْرِزٍ فتكلم لأنه خاف من منصور، ومن أصحابه فقال: نعم وظلم اليهود والنصارى. وأما أسد فقال: [قد]⁽³⁾ كنتم أعواناً لهم⁽⁴⁾ قبل هذا الوقت وأنتم [وهو]⁽⁵⁾ على مثل هذا الحال، وكما وَسِعْنَا الْوُقُوفَ عَنْهُ وَعَنْكُمْ فَكَذَلِكَ يَسْعُنَا الْوُقُوفَ عَنْهُ وَحده. [قال]⁽⁶⁾: فصال عليه بعض الجند، ثم انصرفا جميعاً وهما خائفان. ثم انهزم منصور والجند في شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومائتين⁽⁷⁾، وفتح الله عزَّ وجلَّ لزيادة⁽⁸⁾ الله، ورجع إليه مُلْكُ إفريقية، وَسَوَّرَ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ⁽⁹⁾. ولما جرى الصُّلْحُ بَيْنَ زِيَادَةَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَهْلِ صَقْلِيَّةِ وَالْهُذُنَةَ كَانَ فِيهِ، إِنْ مِنْ دَخَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرَادَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَصَلَ⁽¹⁰⁾ «فِيْمَةَ» الرُّومِيِّ رَفَعَ إِلَيْهِ أَنْ عِنْدَ الرُّومِ أَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَمَعَ زِيَادَةُ اللَّهِ النَّاسَ وَأَخْضَرَ أَبَا مُحْرِزٍ وَأَسَدًا، فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ. فَأَمَّا أَبُو مُحْرِزٍ فَقَالَ: يُسْتَأْنَأُ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ. وَأَمَّا أَسَدٌ فَقَالَ: يُسْأَلُ رُسُلَهُمْ عَنْ هَذَا فَقَالَ أَبُو مُحْرِزٍ: كَيْفَ يُقْبَلُ قَوْلَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ، أَوْ دَفَعَهُمْ عَنْهُمْ؟ فَقَالَ أَسَدٌ: بِالرُّسُلِ هَادِنَاتِهِمْ وَبِالرُّسُلِ نَجْعَلُهُمْ نَاقِصِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 139]. فَكَذَلِكَ لَا تَتَمَاسِكُ بِهِ وَنَحْنُ الْأَغْلَبُونَ فَسَأَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ الرُّسُلَ فَقَالُوا: نَعَمْ حَبَسُوهُمْ لِأَنَّهِمْ فِي دِينِهِمْ لَا يَجِلُّ لَهُمْ رَدُّهُمْ وَكَانَ فِي الرُّسُلِ مُسْلِمٌ فَأَمَرَ حِينَئِذٍ زِيَادَةُ اللَّهِ بِالْغَزْوِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَعَ أَسَدٌ إِلَى الْخُرُوجِ فَكَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ يَتَثَاقَلُ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ أَسَدٌ يَقُولُ: وَجَدُونِي رَاحِيصًا فَلَمْ يَقْبَلُونِي وَقَدْ أَصَابُوا مَنْ يَجْرِي لَهُمْ مَرَآكِبُهُمْ مِنَ النَّوَاتِيَةِ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَنْ يُجْرِيهَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(1) في الرياض: وقبلها 270 / 1.

(3) زيادة من الرياض 270 / 1.

(5) زيادة من الرياض 270 / 1.

(7) انظر البيان المغرب: 102 / 1.

(8) هو زيادة الله بن الأغلب كنيته أبو محمد انظر ذكر ولآيته في البيان المغرب 96 / 1.

(9) الرياض: 270 / 1.

(2) في الرياض: معنا 270 / 1.

(4) في الرياض: له 270 / 1.

(6) زيادة من الرياض 270 / 1.

(10) في الرياض: قديم 270 / 1.

[جمع الإمارة والقضاء لواحد]

وَعَنْ أَحْمَدَ بِنِ أَبِي سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: كَرِهَ عُلَمَاءُ إِفْرِيقِيَّةِ غَزْوِ صَقْلِيَّةِ لِلْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَلَمَّا وُلِّيَ زِيَادَةُ اللَّهِ أَسَدًا عَلَى تِلْكَ الْغَزَاةِ وَعَزِمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ قَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ بَعْدِ الْقَضَاءِ وَالنَّظَرَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ تَعَزَّلَنِي وَتَوَلَّيَنِي الْإِمَارَةَ، فَقَالَ لَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ: إِنِّي لَمْ أُعْزِلْكَ عَنِ الْقَضَاءِ إِلَّا وَقَدْ وَلَّيْتُكَ الْإِمَارَةَ وَهِيَ أَشْرَفُ مِنَ الْقَضَاءِ وَأَبْقَيْتُ لَكَ اسْمَ الْقَضَاءِ، فَأَنْتَ قَاضٍ أَمِيرٌ فَخَرَجَ أَسَدٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدِ الْوُلَاةِ وَالْقَضَاءِ بِبَلَدِ إِفْرِيقِيَّةِ إِلَّا لِأَسَدٍ فَخَرَجَ وَمَعَهُ مِنْ جَيْشِهِ نَحْوُ عَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ.

[الكلام على فتح صقلية]

وذكر [أنه]⁽¹⁾ لما خَرَجَ عَلَى الْجَيْشِ مُتَوَجِّهًا إِلَى سُوسَةَ لِيَرْتَكِبَ مِنْهَا إِلَى صَقْلِيَّةِ، خَرَجَ مَعَهُ وَجُوهُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَوُجُوهُ النَّاسِ [لِشِيعُوهُ]⁽²⁾ وَأَمْرَ زِيَادَةَ اللَّهِ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ رِجَالِهِ إِلَّا خَرَجَ لِشِيعِهِ. فَرَكِبَ أَسَدٌ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَلَمَّا رَأَى جَمْعَ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ وَبِئْسَ وَشِمَالِهِ وَقَدْ صَهَلَتِ الْخِيُولُ وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ وَنُشِرَتِ الْبُنُودُ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: مَعْشَرَ النَّاسِ وَاللَّهِ مَا وَلِّيَ لِي أَبٌ وَلَا جَدٌّ وَلَا يَئِةٌ قَطُّ، وَمَا رَأَى أَحَدٌ مِنْ سَلْفِي هَذَا قَطُّ وَمَا رَأَيْتُ مَا تَرَوْنَ إِلَّا بِالْأَقْلَامِ، فَاجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتْعَبُوا أَبْدَانَكُمْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ، وَكَابِدُوا عَلَيْهِ وَاصْبِرُوا عَلَى شِدَّتِهِ؛ فَإِنَّكُمْ تَنَالُونَ بِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَوَصَلَ إِلَى صَقْلِيَّةِ وَزَحَفَ إِلَيْهِ بِبَلَاطَةِ مَلِكِ صَقْلِيَّةِ يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا. قَالَ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ: فَرَأَيْتَ أَسَدًا فِي يَدِهِ اللَّوَاءُ وَهُوَ يَزْمِزِمُ فَحَلُّوا عَلَيْنَا فَكَانَتْ فِينَا رُوعَةٌ شَدِيدَةٌ وَأَقْبَلَ أَسَدٌ عَلَى قِرَاءَةِ يَسٍ فَلَمَّا فَرَعَّ مِنْهَا قَالَ النَّاسُ: هَؤُلَاءِ عَجَمُ السَّاحِلِ هَؤُلَاءِ عَبِيدُكُمْ لَا تَهَابُوهُمْ، فَحَمَلُوا وَحَمَلُوا النَّاسَ مَعَهُ، فَهَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِبَلَاطَةِ وَأَصْحَابِهِ فَلَمَّا انصَرَفَ أَسَدٌ رَأَيْتُ الدَّمَ وَقَدْ سَالَ مَعَ قَنَاةِ اللَّوَاءِ مَعَ ذِرَاعِهِ حَتَّى صَارَ تَحْتَ إِبْطِهِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ: عَجَمُ السَّاحِلِ؟ أَيِ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ السَّاحِلِ لَمَّا فَتَحَ⁽³⁾ إِفْرِيقِيَّةَ. وَكَتَبَ زِيَادَةُ اللَّهِ بِنِ الْأَغْلَبِ بِفَتْحِ صَقْلِيَّةِ عَلَى يَدِ أَسَدِ ابْنِ الْفَرَاتِ إِلَى الْمَأْمُونِ وَيُقَالُ إِنَّ أَسَدًا قَالَ لِفِيْمَةَ

(1) فِي الرِّيَاضِ: بَعْضُ مَشَايخِنَا أَنَّ أَسَدًا 271 / 1.

(2) زِيَادَةُ مِنَ الرِّيَاضِ 271 / 1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: فَتَحَتْ 272 / 1.

التَّضْرَانِي الرَّسُولَ اعْتَزَلْنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَنْ تُعِينُونَا . وَقَالَ لَهُمْ اجْعَلُوا عَلَي رُؤُوسِكُمْ سِيْمَاءَ تَعْرِفُونَ بِهَا لثَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ مِنَّا إِنَّكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَوَافِقِينَ لَنَا ، فَنَصِيْبِكُمْ بِمَكْرُوهِه فَفَعَلُوا ذَلِكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ سَالِمٍ : وَكَانَ أَسَدٌ وَابْنُ قَادِمٍ قَدْ اخْتَلَفَا وَذَلِكَ أَنَّ أَسَدًا لَمَّا وَصَلَ بِالنَّاسِ إِلَى صَقْلِيَّةِ أَخَذَ⁽¹⁾ النَّاسَ الْجُوعَ حَتَّى أَكَلُوا لَحْمَ الْخَيْلِ ، فَمَشَى النَّاسُ إِلَى ابْنِ قَادِمٍ فَمَضَى إِلَى أَسَدٍ فَقَالَ لَهُ : إِرْجِعْ بِنَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ فَإِنَّ حَيَاةَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كُلِّهِمْ فَقَالَ لَهُ أَسَدٌ : مَا كُنْتُ لِأَكْسِرَ غَزْوَةً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ كَثِيرٌ فَأَبَى عَلَيْهِ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَأَرَادَ إِحْرَاقَ الْمَرَائِكِبِ فَبَدَتْ مِنْ ابْنِ قَادِمٍ كَلِمَةٌ فَقَالَ : عَلَي أَقَلِّ مِنْ هَذَا قُتِلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَنَاوَلَهُ أَسَدٌ بِالسُّوْطِ فَضْرَبَهُ وَلَمْ يَجْرِدْهُ وَإِنَّمَا ضْرَبَهُ أَسْوَاطًا بِسَيْرَةٍ قَدَّرَ الثَّلَاثَةَ أَوْ الْأَرْبَعَةَ وَتَمَادَتْ عَزِيمَتُهُ وَبَصِيرَتُهُ فَقَاتَلَ الرُّومَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قَتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ وَسَبَّاهُمْ وَغَنَمَ أَمْوَالَهُمْ وَفَتَحَ صَقْلِيَّةَ وَأَبَادَ الرُّومَ وَاسْتَأْصَلَهُمْ وَسَكَنَهَا الْمُسْلِمُونَ وَاسْتَوَطَنُوهَا ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ بِذُنُوبِ أَهْلِهَا أَنْ وَقَعَ بِهِمْ عَذُوبُهُمْ أَسْأَلَ اللَّهُ جِلْمَهُ وَأَمَانَهُ وَعَافِيَتَهُ .

قال : واستفتح من صقلية مواضع كثيرة .

قلت : ما ذكره من تخصيص مواضع كثيرة خلاف ظاهر ما تقدم من كونه افتتحها وأباد أهلها واستأصلهم .

قال : وتوفي من جراحات أصابته شديدة وهو محاصر لسرقوسة ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين ودفن بذلك الموضع رحمه الله تعالى وهو أول من فتح صقلية .

قلت : ما ذكره من كونه توفي سنة ثلاث عشرة مثله للمالكي⁽²⁾ . وهذا مناقض لقوله تولى القضاء سنة أربع⁽³⁾ وبعد ذلك حصر زيادة الله نحو اثني عشر عاماً وبعدها غزا صقلية وكذلك قوله : ثم انهزم منصور سنة إحدى عشرة مناقض لما قبله ، وقيل : توفي سنة سبع عشرة ، وقيل سنة ثلاث عشرة وقبره ومسجده بصقلية ، وولد سنة خمس وأربعين ومائة ، ويقال سنة ثلاث ويقال سنة اثنين وأربعين .

(2) الرياض : 1 / 255 .

(1) في الرياض : أضرب 1 / 273 .

(3) في الرياض : ولاة زيادة الله بن إبراهيم الأغلب قضاء إفريقية سنة ثلاث ومائتين 1 / 255 .

88 - ومنهم أبو خالد عبد الخالق⁽¹⁾ يعرف بالقتات :

قال: كَانَ مِنْ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ كَثِيرِ الْخَوْفِ⁽²⁾، دَائِمِ الْحَزَنِ.
قلت: زاد المالكي: «وكان من أصحاب البُهْلُولِ»⁽³⁾. روى عنه واصل⁽⁴⁾ بن عمرو، المتعبد وسحنون بن هلال، صاحب سحنون.

قال: قال سعيد بن العَسَّال سألني سهل بن يونس بمصر عن عبد الخالق فقلت له: قطعه الخوف عن العمل، فقال لي: مَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، لو كان عبد الخالق في بني إسرائيل لَصُورَ⁽⁵⁾ فِي الْكِنَائِسِ. وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الْخَالِقِ رَأَى يَوْمًا خَيْلًا يَسَابِقُ بِهَا فَتَقَدَّمَ مِنْهَا فَرَسَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، ثُمَّ إِنَّ الثَّانِي مِنْهُمَا لَمْ يَزَلْ يَحْتُ حَتَّى تَقْدَمَ الَّذِي تَقْدَمَهُ أَوْلًا فَجَعَلَ عَبْدَ الْخَالِقِ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ حَتَّى وَصَلَ [إِلَى]⁽⁶⁾ الْفَرَسِ الَّذِي سَبَقَ فَجَعَلَ يُقْبَلُ [جَحْفَلْتَهُ]⁽⁷⁾ ويقول: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ صَبَرْتَ وَظَفَرْتَ ثُمَّ سَقَطَ⁽⁸⁾ مَعْشِيًا عَلَيْهِ.

قلت: في كلامه بتر لقول المالكي رأى جماعة فسأل عنهم، فقيل: ينظرون لخيال تتسابق فقال محضر صالح بَلَّغَنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْهَدُهُ فَهُوَ إِنَّمَا حَضَرَ عَلَيَّ هَذَا لِكَوْنِهِ رَاجِحًا عَلَيَّ مَا ذَكَرَهُ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ مَا يَدُلُّ عَلَيَّ هَذَا.

قال: وَرُوِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْخَالِقِ فَقَالَ لَهُ: بَلَّغَنِي أَنَّ لَكَ عِيَالًا، وَأَنَّكَ مِنَ الْعَرَبِ فَخُذْ هَذِهِ الْمِائَةَ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ: أَنَا غَنِي عَنْهَا! فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: زِيدُوهُ⁽⁹⁾ مِائَةَ أُخْرَى. فَقَالَ [لَهُ]⁽¹⁰⁾ عَبْدُ الْخَالِقِ: لَوْ كَانَتْ لِي حَاجَةٌ

(1) ترجم لأبي خالد عبد الخالق القتات في: رياض النفوس: 324/1 رقم: 122، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 140 - 145.

(2) طبقات أبي العرب ص: 140، الرياض: 324/1.

(3) قوله: زاد المالكي: «وكان من أصحاب البُهْلُولِ» فهي واردة في كتاب الطبقات لأبي العرب ص: 140 نقلها عنه المالكي.

(4) تَرْجَمَ لَهُ الْمَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ الرِّيَاضِ بِاسْمِهِ: وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمِيِّ الْمُتَعَبِدِ 431/1.

(5) في الرياض: لصوروه 325/1. (6) سقط من: ت.

(7) في ت وط: جفلته. التصويب من: الرياض: 325/1. وفي القاموس المحيط، الْجَحْفَلَةُ:

بِمَنْزِلَةِ الشُّفَّةِ لِلْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَرَقْمَتَانِ فِي ذِرَاعِي الْفَرَسِ. مادة: «جحفل» ص:

877. ويطلق الجفل على الشعر أيضاً. انظر القاموس مادة «جفل» ص: 880.

(8) في الرياض: ثم انجدل 325/1. (9) في ت: زده.

(10) ساقط من: ط. الزيادة من: ت، والرياض: 328/1.

إليك⁽¹⁾ لكانت لي في المائة كفاية فلم [يزل يقول]⁽²⁾ زيدوه وعبد الخالق [يقول كلامه]⁽³⁾ الأول حتى بلغ معه خمسمائة دينار. فقال إبراهيم: «أفسدكم البربري يعني البهلول [بن راشد]⁽⁴⁾ والله لو أدركته لجعلته يرُقُصُ خَلْفِي. قال عبد الخالق: فحسست شعري قد خرج من عمّامي ثم أقبلت عليه فقلت له: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتَهُ لَكُنْتُ عَلَيْهِ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا الطَّيْنِ الَّذِي يُعْجَنُ بَيْنَ يَدَيِ⁽⁵⁾ ثم انصرفت. وكان سبب موته أنه حضر جنازةً بباب تونس، فذكر بعض الحاضرين الآخرة وَأَهْوَالَهَا فَصَاحَ عَبْدُ الْخَالِقِ ثُمَّ وَلى نَحْوَ الْفَحْصِ هَارِباً عَلَى وَجْهِهِ فَمَضَيْنَا فِي أَثَرِهِ فَأَصْبَنَاهُ جَائِئاً عَلَى رِكْبَتَيْهِ خَارِئاً عَلَى وَجْهِهِ فَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَائِبَتِهِ ثُمَّ أَقْمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّاماً نَعُودُهُ، حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ.

89 - ومنهم أبو مُحْرِزِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمِ الْكِنَانِيِّ الْقَاضِي⁽⁶⁾:
قيل اسمه أحمد.

قال: سمع من مالك بن أنس، ومن عباد بن كثير، وعبد الرحمن بن أنعم، وعبد الله بن فروخ.

قلت: ما ذكره من كونه سمع من مالك مثله؛ ذكر ابن شعبان القرظبي وغيره. فإن قلت أليس إن هذا خلاف ما أشار إليه أسد بن الفرات في قوله ضربنا في طلب العلم وأغربنا في البلدان إلى آخره؟ فإن ظاهره يقتضي أنه لم يرحل من القبروان.

قلت: رأى رحمه الله أن قراءته على الإمام مالك رحلة يسيرة بالنسبة إلى رحلة أسد فكأنه لم يرتحل والله تعالى أعلم.

قال: وكان فاضلاً ورعاً كثير الصدقة فصيح اللسان بصيراً باللغة والشعر.

(1) في الرياض: [لو كان بي حاجة إلى ذلك] 328 / 1.

(2) في ت: يقل.

(3) في الرياض: يكلمه بالكلام الأول 329 / 1.

(4) سقط من: ت، والرياض.

(5) في الرياض: يديك.

(6) ترجم له في: طبقات أبي العرب ص: 166 - 167، الرياض: 274 / 1 - 280 رقم 105،

الديباج المذهب ص: 415.

قلت: وقال غيره: كان رحمه الله تعالى صدوقاً ثقة، عفيفاً فقيهاً عارفاً بالحجة ورعاً كثير التثبت في أحكامه لقناً ذهنياً عارفاً باللغة والشعر، يصنع الشعر ويؤجده، سار سيرة قضاة العدل.

قال: ولي القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة إحدى وتسعين ومائة، وقد كان إبراهيم بن الأغلب أراد أن يولي غيره فقال له رجل من [أكابر]⁽¹⁾ أصحابه: إن كنت تريد الله فعليك بصاحب اللقافة أبي محرز وكان يلبس عمامة كبيرة فقال له إبراهيم: يا أبا محرز إني عزمْتُ على توليتك القضاء فقال أبو محرز: لست أضلح لهذا ولا أطيقه، فقال إبراهيم: لو كان الأغلب بن سالم، ويزيد بن حاتم باقين لم أكن أميراً ولو كان عبد الله بن غانم، وابن فروخ باقين لم تكن أنت قاضياً، ولكل زمان رجال، وعلى الأمير الاختيار، فتمثل أبو محرز:

حَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوِّدِ⁽²⁾

وامتنع⁽³⁾ فتلطف به إبراهيم ثم أمر إبراهيم عامر بن معمر⁽⁴⁾ أن يأخذ بضبعه⁽⁵⁾ ويخرجه⁽⁶⁾ من باب المقصورة إلى الجامع فيقعده إلى النظر بين الخصوم ففعل، فلما نظر أبو محرز بين الخصوم كبر الناس وسمع إبراهيم التبكير فقال: قبل أبو محرز القضاء، ولم يزل قاضياً إلى أن مات. ورؤي عن أسد بن الفرات قال: بعث الأمير زيادة الله في طلبي وطلب أبي محرز، وكان قد أشرك بيننا⁽⁷⁾ في القضاء ليشهدنا على شراء اشتراه فأقبلت إلى قنطرة أبي الربيع فألفيت أبا محرز واقفاً ينتظرنِي فقلت: كيف أصبحت⁽⁸⁾ يا أبا محرز؟ فما رد علي⁽⁹⁾ شيئاً، ومضينا حتى دخلنا على زيادة الله، فأجلس أبا محرز عن يمينه، وأسدأ عن يساره، ثم دفع صكاً

(1) في ط: أكبر. التصويب من: ت.

(2) الرياض: 277/1، الدياج ص: 415.

(3) في الرياض: «فقال له: قد وليتكَ القضاء فامتنع» 277/1.

(4) في ت: علي.

(5) الضبع: العضد كلها وأوسطها بلحمها أو الإبط، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أغلاؤه. والمضبعة: اللحم تحت الإبط من قدم. القاموس المحيط. مادة «ضبع» ص: 666.

(6) في الرياض: أخرجه 277/1. (7) في ت: بينهما.

(8) في ط: أصبت. التصويب من: ت، والرياض: 279/1.

(9) في ت، والرياض: عليه.

إلى أسد ليقرأه فنسي أن يقرأ في أوله «بسم الله الرحمن الرحيم» وقال: هذا ما اشترى الأمير زيادة الله بن إبراهيم فقال له أبو محرز: أخطأت، قال أسد: أيها الأمير [ثقيته اليوم] (1) فسلمت عليه فلم يرد علي، ولم أقرأ إلا كلمتين، فقال لي: أخطأت. فنظر الأمير إلى أبي محرز فقال أبو محرز إنه لم يسلم علي ولو سلم ترددت عليه السلام، وما كنت [استجيز ترك] (2) ذلك، وإنما قال لي: كيف أصبحت [وقد] (3) أصبحت مغموماً ولو أعلمته لأسرته (4) وقرأ فلم يذكر: «بسم الله الرحمن الرحيم» فأخطأ. فلما انقضى أمر الكتاب (5) دخل الحاجب فقال: أعز الله الأمير، باباب رجل ذكر أنه رأى للأمير رؤيا فقال له: أكتبها منه فجئني بها، قال: قد أردت ذلك منه فأبى وقال: لا أفضها إلا عليه فقال: ائذن له فدخل عليه فقال ما رؤياك؟ قال: رأيت جبريل عليه السلام هبط من السماء إلى الأرض ومعه نور حتى وقف، بين يديك وصافحك فقال زيادة الله: هذا عدل يجريه الله على يدي قال أسد: فسمعت أبا محرز يقول بكلام خفي: كذب والله فقلت: والله لا يسبقني بها أبو محرز، فبادرت وقلت: كذب لك الرجل أيها الأمير، فغضب زيادة الله حتى ربي الغضب في وجهه، ثم التفت إلى أبي محرز كالمحرك له عليه لما يعلم بينهما، فقال أبو محرز: صدق أسد، وكذب الرجل، إن جبريل عليه السلام لا ينزل إلا بوحي عسى نبي، وقد انقطع الوحي بعد وفاة محمد ﷺ تسليماً، لأنه لا نبي بعده، وهذا وأمثاله إنما يأتوك طلباً لدنياك فاتق الله عز وجل، فسكت زيادة الله، وخرج الرجل فقام أبو محرز وأسد وخرجا فالتفت [أسد إلى أبي] (6) محرز وقال: أحسن الله لك جزاءك فيما رددت عني من زيادة الله فقال أبو محرز: أمسك لله فعلته لا لك (7).

قلت: فيما ذكره أبو محرز نظر لأنه لا مانع من نزول جبريل عليه السلام للأرض بغير وحي، وغالب ظني أني سمعت هذا من شيخنا أبي مهدي رحمه الله تعالى وبهذه الحكاية قال أسد: لله ذر أبي محرز، والله ما أباح دينه على ما كان

(1) في ت: وجدته واقفاً، وفي الرياض: لم يرد ذكر: «اليوم» 279/1.

(2) في ت: استحي فترك. (3) سقطت من: ت.

(4) في الرياض: لسورته 279/1.

(5) في ط: الكتب، التصويب من: ت، والرياض: 279/1.

(6) في ت: أبو محرز. (7) انظر الرياض: 280/1.

بيني وبينه مِنَ الشَّخَنَاءِ وكان أسد أوسع من أبي مُحَرِّزِ عِلْمًا وَأَعَزَّرَ فِقْهًا، وكان أبو مُحَرِّزِ أَقْلَ فِقْهًا وَأَكْثَرَ صَوَابًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ. قال محمد بن [زُرْزَر] (1)، قال الأمير: زيادة الله بن إبراهيم يوماً لآسد وأبي مُحَرِّزِ: ما تقولان في دُخُولِ الْحَمَامِ مَعَ الْجَوَارِي؟ فقال له آسد: ما بذلك من بأس، إِمَاؤُكَ وَنَظْرُكَ إِلَيْهِنَّ وَإِلَى فُرُوجِهِنَّ حَلَالٌ خَالَفَهُ أَبُو مُحَرِّزِ فِي ذَلِكَ. وقال للأمير: إِنْ كَانَ يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى عَوْرَاتِهِنَّ فَلَا يَجُوزُ لِبَعْضِهِنَّ أَنْ تَنْظُرَ (2) إِلَى عَوْرَةِ بَعْضِ (3). وقول أبي مُحَرِّزِ به الفتوى من شُيُوخِنَا وما ذكره آسد لَأُيَعَدُّ قَوْلًا وَإِنَّمَا هِيَ غَفْلَةٌ مِنْهُ فِي فَتْوَى عَلِيٍّ الْبَدِيهَةِ، ولهذا لَمْ يرد على أبي مُحَرِّزِ، وَإِنَّمَا يَسُوعُ الْجَوَازِ (4) لو كانت معه جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَمِثْلُهُ فِي الْمَنْعِ دُخُولَهُ مَعَ زَوْجَتِيهِ (5) وجوازه مع زوجته. وقال الشيخ أبو القاسم بن شَبْلُون: حدثونا أن رَجُلَيْنِ اسْتَعَدَى (6) أَحَدُهُمَا عَلِيَّ الْآخَرَ عِنْدَ أَبِي مُحَرِّزِ، وَأَثَبَتِ الْقَاضِي [عِنْدَهُ] (7) شَاهِدَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَشَفَ عَنْهُمَا فَعُدَّلاً فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُوَجِّهَ الْحُكْمَ عَلَيَّ الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ أَعَذَرَ إِلَيْهِ أَتَاهُ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَهَجَمَ عَلَيْهِ فِي سَقِيْفَتِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي عَزَمْتَ عَلَيَّ أَنْ تَحْكُمَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ! قَالَ (8): فامرأته طالق ثلاثاً، وكل مملوك له حرٌّ إِنْ كَانَ شَهِدَ عَلَيَّ [هَذَا] (9) إِلَّا بَزُورٍ فَقَالَ أَبُو مُحَرِّزِ [لَيْسَ هَذَا عَلِيٍّ وَأَنَا] (10) قَدْ كَشَفْتُ عَنْهُمَا فَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْهُمَا إِلَّا خَيْرٌ ثُمَّ أَصْبَحَ أَبُو مُحَرِّزِ إِلَى مَجْلِسِ قَضَائِهِ فَجَلَسَ، فَأَقْبَلَ (11) الْمَشْهُودَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: احْكُمْ لِي أَضْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ تَأْتِينِي (12)

- (1) في ت وط: زوار. التصويب من: الرياض: 274 / 1، وقد أفرد له المالكي ترجمة موسعة في الرياض: 514 / 1 - 516 رقم 162.
- (2) ت: ينظر. (3) الرياض: 274 / 1.
- (4) ت: أن لو. (5) ت: زوجته.
- (6) ت: استدعا.
- (7) سقط من: ط، الزيادة من: ت، والرياض: 275 / 1.
- (8) في الرياض: [قال المشهود عليه] 275 / 1.
- (9) في ت وط: هؤلاء. التصويب من الرياض: 275 / 1. فالصواب بصيغة المثني وليس بصيغة الجمع. فالذي أثبت عند القاضي: «شاهدين».
- (10) ما بين معقوفتين زيادة من: الرياض: 275 / 1.
- (11) في ط: وأقبل. التصويب من: ت، والرياض: 275 / 1.
- (12) في الرياض: تأتي معك. وفي ت: [تأتي معك].

بالشاهدين اللذين شهدا [لك فإني]⁽¹⁾، أريد أن أسألهم عن شيء بقي علي لم أسألهم عنه [فمضى الرجل]⁽²⁾ فأخضرهما فلما جلسا في حلقة القاضي⁽³⁾ أبي مُحَرِّز، قال القاضي بأغلا صوته لحاجبه سكر⁽⁴⁾: إن في حلقتي شاهدي زور، فامض إلى باب سلم فأتني بجملين حتى أحملهما عليهما وأطوفهما، فمضى⁽⁵⁾ فالتفت أحد الشاهدين إلى الآخر وقال: قُم بنا فما أحسبه يحمل [علي]⁽⁶⁾ هذين الجملين غيرنا فهربا متسللين⁽⁷⁾ حتى غابا، فلما أتى بالجملين قال أبو محرز للمشهود له: أين شاهدك؟ فقال له⁽⁸⁾: ها هنا كنا الساعة، ولا أدري أين توجَّهنا! فقال له [أبو مُحَرِّز]⁽⁹⁾: يَا عَدُوَّ اللَّهِ! تجترى علينا⁽¹⁰⁾ بشهود الزور وهم بضربيه.

قلت: إن أراد بقوله إنني أريد أن أسألهم عن شيء بقي علي ظاهره، لكونه لما حلف المشهود عليه بما حلف، تأمل الوثيقة ثانياً فظهر له فيها ما يقتضي ذلك، فواضح وإن لم يكن الأمر كذلك كما هو السياق، وإنما قصد بما فعله هل يطمئنان في الموضع، فيعلم أنه لا ريبه في شهادتهما عندهما فيحكم أو ينصرفان، فتكون ريبه في شهادتهما فليس بجار على مذهب مالك، ولا يجوز له أن يعمل ذلك. وكان الغالب على أبي مُحَرِّز مذهب أبي حنيفة فيحمل على ذلك والله أعلم وسكت عنه ابن شبلون، وأبو بكر المالكي وغيرهما، وقد أفتى هو وأسد بقبول توبة الزنديق. قال المالكي: إنما تقلدا فيه مذهب أهل العراق⁽¹¹⁾، وإلا فمذهب أهل المدينة عدم قبولها. ومذهب أبي مُحَرِّز جواز شرب النبيذ وحرمة أسد.

قال: وكان أبو مُحَرِّز يجلس الخُصوم في داره، ويجعل للنساء يوماً عند باب داره التي بزقاق ابن دينار.

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من: الرياض: 275 / 1.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ط، وفي ت: فجاء الرجل: التصويب والزيادة من الرياض: 275 / 1.

(3) في ت: القضاء. (4) في الرياض: ياشكرديد 275 / 1.

(5) في الرياض: فمضى شكرديد 275 / 1.

(6) سقط من: ط. الزيادة من: ت، والرياض: 275 / 1.

(7) في ت: سالمين. (8) في ت: لي. وهي ساقط من: الرياض.

(9) زيادة من: الرياض: 275 / 1. (10) في الرياض: علي 275 / 1.

(11) القول الذي جاء في الرياض للمالكي: [وإنما تقلد أبو مُحَرِّز وأسد في هذه المسألة مذاهب

أهل العراق، رضي الله تعالى عنهم أجمعين] 277 / 1.

قال أبو العرب⁽¹⁾: كان أبو مُحْرِزٍ مُبْتَلَى بِصَبِّ المَاءِ فِي الوُضُوءِ، وَكَانَ شَدِيدَ الوَرَعِ، فَرَفَعَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ [ابن الأَغْلَبِ]⁽²⁾ أَنَّهُ يَنْزِعُ خَاتِمَهُ وَقَتِ الوُضُوءِ مِنْ أُصْبُعِهِ، وَيَضَعُهُ فِي بَيْتِهِ فَيَطْبَعُ بِهِ النِّسَاءَ⁽³⁾ مَا أَحْبَبُوا، فَتَرَصَّدَهُ إِبْرَاهِيمُ يَوْمًا فِي وَقْتِ وَضُوئِهِ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ خَادِمَيْنِ فَوَجَدَاهُ فِي هَيْئَةِ الوُضُوءِ فَقَالَا لَهُ: يَقُولُ لَكَ الأَمِيرُ أَيْنَ خَاتِمُكَ؟ فَقَالَ لهُمَا: هَا هُوَ ذَا مُعَلَّقٌ فِي عُنُقِي بِخَيْطٍ فَرَجَعَا إِلَى الأَمِيرِ وَعَرَفَاهُ⁽⁴⁾ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ.

قلت: أَرَادَ بِقَوْلِهِ هَاهُوَ ذَا [مُعَلَّقٌ]⁽⁵⁾ أَرَاهُمَا إِيَّاهُ، وَتَقَدَّمَ مَا يَقْتَضِي أَنَّ خَاتِمَ القَاضِي كَانَ فِي زَمَانِهِمْ لِيَطْبَعُ مَنْ يَدْعِي فَإِذَا بَعَثَ كِتَابَهُ لَذَلِكَ طَبَعَ عَلَيْهِ. وَذَكَرَ سَلِيمَانُ بْنُ عَمْرَانَ أَنَّ الصَّفَّ القَبْلِيَّ مِنَ الرَّهَادِرَةِ⁽⁶⁾ وَالرَّفَائِينَ وَبَعْضَ حَوَانِيَتِ الكِتَّانِينَ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ؛ كَانَتْ دَوْرًا لِقَوْمٍ فَبُنِيَتْ حَوَانِيَتٌ وَسُمِّيَتْ الحَوَانِيَتُ الجُدُدُ، وَنَقَلَ النَّاسُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ إِلَيْهَا وَأَخَذُوا بِسُكْنَاهَا وَعِمَارَتِهَا لِلأَمِيرِ، [وَكَانَ]⁽⁷⁾ صَدِيقُ لَأَبِي مُحْرِزٍ أَخَذَ [بِسُكْنَى حَانُوتٍ]⁽⁸⁾ مِنْهَا، فَأَقْبَلَ يَوْمًا يَدْخُلُ عَلَى أَبِي مُحْرِزٍ عَلَى عَادَتِهِ فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو مُحْرِزٍ صَاحَ بِهِ: أَرْجِعْ وَرَاءَكَ فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ القَاضِي، إِنِّي مَجْبُورٌ عَلَى سُكْنَاهَا وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي اشْتَرَيْتُ الحَانُوتَ [مِنْ أَصْحَابِهِ]⁽⁹⁾ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحْرِزٍ⁽¹⁰⁾: هَبْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ [الحَانُوتَ]⁽¹¹⁾ مِنْ أَصْحَابِهِ فَمَا تَفْعَلُ بِطَرِيقِكَ إِلَى الحَانُوتِ؟ مِمَّنْ تَشْتَرِيهِ؟

قلت: مَا قَالَهُ أَبُو مُحْرِزٍ فِي غَايَةِ الصَّوَابِ، وَبِهِ أَقُولُ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَجْبُورًا عَلَى سُكْنَاهَا، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَتْرَكَ تِلْكَ الضَّيْعَةَ⁽¹²⁾ الَّتِي نَقَلَ بِسَبَبِهَا وَيَنْتَقِلُ إِلَى مَا يَتَسَبَّبُ بِهِ فِي ضَيْعَةٍ⁽¹³⁾ أُخْرَى؛ بِحَيْثُ لَا يَنْقَلُ إِلَيْهَا وَالرِّزْقُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

(1) لم يرد النص في الطبقات لأبي العرب، فقد ورد في الرياض: 274 / 1 وفيه نسبة الكلام لأبي العرب.

(2) زيادة من الرياض: 274 / 1. (3) في الرياض: أهله: 274 / 1.

(4) في ت، والرياض: فعرفاه. مع زيادة كلمة «بذلك» في الرياض: 274 / 1.

(5) سقط من: ت. (6) في الرياض: الرهادنة: 280 / 1.

(7) زيادة من الرياض: 280 / 1، وفيه: وكان لأبي محرز.

(8) في ت و ط: يسكن حانوتاً. التصويب من: الرياض: 280 / 1.

(9) زيادة من الرياض: 280 / 1. (10) في الرياض: قال القاضي 280 / 1.

(11) سقط من: ت. (12) لعل الصواب: الحرفة أو الصنعة.

(13) لعل الصواب كما أشرت: الحرفة أو الصنعة.

وسوق الرّهَادِرَة⁽¹⁾ عندنا اليوم أصله للمخزن، وكان خراباً وكان سوق الرّهَادِرَة لِلرّعِيَّةِ الَّذِي هُوَ الْآنَ لِلشَّوْاشِيْنَ وَمِنْ مَعَهُمْ، أَمْرٌ مَنْ مَضَى مِنْ السَّلَاطِينِ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُ أَنْ يَبْنِي ذَلِكَ الْخَرَابَ حَوَانِيَّتٍ وَيُنْقَلُ لَهُ أَصْحَابُ سَوْقِ الرّهَادِرَةِ جَبْرًا، وَنَقْدَ ذَلِكَ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْكُنَ خَارِجَهُ وَلَوْ بِقُرْبِهِ لَا يَتْرِكُ وَرَبَّمَا يَتْرِكُ أَشْهْرًا، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى سُكْنَاهَا كَرَاهًا، وَهَذَا لَا يَجُوزُ وَمَا يَأْخُذُهُ الْقَضَاةُ مِنْ كِرَاءِ تِلْكَ الْحَوَانِيَّتِ فِي مَرْتَبَاتِهِمْ لَا يَجُوزُ وَهُوَ مَكْسٌ⁽²⁾ وَجُرْحَةٌ فِي إِمَامَتِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ.

قال: وتوفي أبو مُحْرِزٍ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ.

قلت: فِي كَلَامِهِ بَتْرٌ لِقَوْلٍ غَيْرِ وَاحِدٍ كَابِنِ الرَّقِيقِ: تَوَفِّي يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْهُ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَوَدِّفِنَ بِبَابِ سَلَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: وَيُقَالُ إِنَّ جَدَّهُ قَيْسًا صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَاتَلَ مَعَهُ وَدَخَلَ إِفْرِيْقِيَةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ سَنَةَ سَبْعِ وَعِشْرِينَ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

90 - وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحْرِزٍ⁽³⁾ الْمَتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ الْآنَ:

قال: كَانَ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ، وَأَوْزَعَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ حُكُومَةً، وَأَكْثَرَهُمْ إِشْفَاقًا.

قلت: وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ بَحْرًا مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، حَافِظًا لِللسَّنَنِ جَامِعًا لَهَا، إِمَامًا فِيهَا، عَارِفًا بِأَصُولِ الدِّيَانَاتِ، مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالْكَرَامَاتِ عَلَى هُدَى وَسُنَّةٍ وَاسْتِقَامَةٍ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ، غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، وَكَانَ سَيْفًا مُجَرِّدًا عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، قَامِعًا لَهُمْ غِيورًا عَلَى الشَّرِيعَةِ، شَدِيدًا فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

(1) الرّهَادِرَةُ أَوْ الرّهَادِنَةُ بِالنُّونِ كَمَا جَاءَ فِي الرِّيَاضِ: بَاعَةُ الْأَمْتَعَةِ الْقَدِيمَةِ. إِلَّا أَنَّ الرّهَادِنَةَ تَعْنِي غَيْرَ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ: بِالرَّجُلِ الْجَبَانِ، أَوْ الطَّائِرِ الشَّبِيهِ بِالْقُبْرَةِ، أَوْ الْأَحْمَقِ، أَوْ الْكَذَّابِ. رَاجِعٌ فِي هَذَا: لِسَانُ الْعَرَبِ لِأَبْنِ مَنْظُورٍ مَادَّةٌ: «رَهْدَن» 13/191 دَارُ صَادِرِ بَيْرُوتِ.

(2) مَكْسٌ: جَبَانِيَّةٌ، وَهِيَ دِرْهَمٌ كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْ بَائِعِ السَّنْعِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. رَاجِعٌ مَادَّةُ «مَكْسٌ» فِي لِسَانِ الْعَرَبِ 6/220 دَارُ صَادِرِ.

(3) تَرْجَمْتَهُ فِي: رِيَاضِ النُّفُوسِ: 1/395 - 401 رَقْمٌ: 135، طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَةَ وَتُونِسَ ص: 167، الْكَامِلُ لِأَبْنِ الْأَثِيرِ 5/239 دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ ط II س 1967.

الْبَيَانُ السُّعْرَبِيُّ لِأَبْنِ عِزَّازِ الْمُرَاكِشِيِّ: 1/105 - 106، حَوَادِثُ سَنَةِ [220هـ - 221هـ].

قال: وَلِي الْقَضَاءِ مَجْبُوراً، جَبْرُهُ عَلَيْهِ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَضَ الْقَضَاءَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَأَمْتَنُوا، فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ: انظُرُوا مَنْ يُقَدِّمُونَ لِصَلَاتِهِمْ فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ قَدِمُوا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحْرِزٍ فَصَلَّى بِهِمْ فَقَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ: قَدْ رَضُوا لَدِينِهِمْ مِنْ رَضِيئَتِي أَنَا لِدِينِي، فَجَبْرُهُ عَلَى الْقَضَاءِ.

قلت: يُرِيدُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ غَيْرُهُ أَنَّ جَمْعَهُمْ كَانَ فِي مَقْصُورَةٍ عِنْدَهُ، وَلَمَّا امْتَنَعُوا مِنْ تَعْيِينِ بَعْضٍ مِنْ حَضْرِهِمْ، أَمْرَهُمْ أَنْ لَا يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، حَتَّى يُعَيِّنُوا لَهُ قَاضِياً، وَهَرَبُوا مِنْ ذَلِكَ أَيْضاً قَامَ عَنْهُمْ وَدَسَّ عَلَيْهِمْ مَنْ يَعْلَمُهُ مِنْ (1) يَقْدُمُونَهُ لِلصَّلَاةِ.

قال: وَلَمَّا قَبِلَ الْقَضَاءَ اشْتَرَطَ عَلَى الْأَمِيرِ أَنْ لَا يَقْبَلَ أَحَدًا مِنْ أَقَارِبِهِ وَلَا مِنْ حَشْمِهِ، وَلَا مَنْ يَطُوفُ بِهِ وَكَيْلًا. وَكَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ يَقُولُ لَا أَبَالِي مَا قَدِمْتَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَدَّمْتُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ. قِيلَ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: بِنَائِي الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ بِالْقَيْرَوَانَ، وَبِنَائِي الْقَنْطَرَةَ بِيَابِ أَبِي الرَّبِيعِ، وَبِنَائِي الْحَصْنَ بِسُوسَةَ، وَتَوَلَّيْتُ أَحْمَدَ ابْنَ أَبِي مُحْرِزٍ قَضَاءَ إِفْرِيْقِيَّةِ.

قلت: فِي كَلَامِهِ بَثْرٌ لِقَوْلِ أَبِي الرَّبِيعِ عَنْ زِيَادَةَ اللَّهِ [أَنَّهُ قَالَ] (2) أَنْفَقْتُ فِي الْجَامِعِ سِتَّةَ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحْرِزٍ، وَرِعَا لَمْ يَحْكَمْ بِحَكْمِ حَتَّى مَاتَ (3). وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بِنَ اللَّبَّادِ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي مُحْرِزٍ، لَمْ يَحْكَمْ بِحَكْمِ فِي قَضَائِهِ مُنْذُ وَلِيَ إِلَيَّ أَنْ مَاتَ إِلَّا بِحَكْمِ وَاحِدٍ يُقَالُ: إِنَّهُ حَكَمَ فِي حِمَارٍ وَغَرَمَ ثَمَنَهُ (4).

قال: وَقَالَ سَحْنُونُ: إِنْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ الْقَضَاءِ فَمَا سَلِمَ إِلَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحْرِزٍ لَمْ يَقْضِ فِي أَيَّامِهِ إِلَّا فِي قَضِيَّتَيْنِ أَذَاهُمَا مِنْ مَالِهِ.

قلت: لَا أَدْرِي كَيْفَ أَسْمَعُ هَذَا؟ وَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَدِمَ مَكْرَهُاً أَنْ يُنْجِزَ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يَتَوَقَّفَ إِلَّا فِيمَا يَجِبُ التَّوَقُّفُ فِيهِ لِصَعُوبَتِهِ لِعَدَمِ وَجُودِ النَّصِّ [فِيهِ] (5) وَأَمَّا كَوْنُهُ لَمْ يَحْكَمْ بِحَكْمٍ وَإِنْ قَلَّ وَظَهَرَ وَجْهُ صَوَابِهِ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ

(2) سقط من: ت.

(4) الرياض: 395 / 1.

(1) في ت: حتى يقدموه.

(3) طبقات أبي العرب ص: 167.

(5) سقط من: ت.

أو إلا في مسألة، أو مسألتين، فهذا لا يجوز، لأنه تضييع لأحكام المسلمين في مدة قضائه، وهي تسعة أشهر، وقد تعين عليه ذلك. وكيف يفتخر به زيادة الله؟ وإنما يفتخر إذا أنجز الأحكام الواقعة بين الخاصة والعامة وسوى بينهم فيها، كما هو ظاهر فيما يأتي في قضية علي بن حميد قال: وروي أن أبا سنان زيد بن سنان الأسدي، شهد عند أحمد بن أبي محرز، فردَّ شهادته وقال: إنما ردَّدت⁽¹⁾ شهادتك لأنك زكيت من لا تعرفه. وذلك أن الأمير زيادة الله سأل أبا سنان عن أحمد بن أبي محرز فزكاه فتغير عليه أحمد.

قلت: رأى أحمد رحمه الله تعالى أنه لم يعرفه لكونه لم يعاشره وإنما يعرفه من بعد، ولو عاشره واطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِهِ لَمَا زَكَّاهُ فَهُوَ زَكِّي مَنْ لَا يَعْرِفُ. وَلَا يُقَالُ إِنَّمَا هَذَا مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْوَرَعِ، لِأَنَّ فِيهِ إِسْقَاطَ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَهُوَ مِنْ شَهْدِ لَهُ. وَالْوَرَعُ إِنَّمَا هُوَ فِي غَيْرِ هَذَا.

قال: وذكر في مجلس أحمد بن أبي محرز، أن عمر بن عبد العزيز عرض على إبراهيم بن أبي عبلة أن يوليه القضاء، فأمتنع من ذلك إبراهيم، فشدد عليه عمر فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين بيني وبينك كتاب الله عز وجل، قال: وما هو؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾⁽²⁾ [الأحزاب: 72] فلم يكرهها الله عز وجل على حملها ولا عنقها⁽³⁾ إذ أشفقت منها فبكى أحمد بن أبي محرز عند ذلك بكاءً شديداً⁽⁴⁾ منه ولم يتفجع به باقي نهاره⁽⁵⁾. وحكى محمد بن زرقون أن رجلاً تخاصم مع الأبراري عند أحمد ابن أبي محرز فجفى عليه فأمر بأديه فلما كان في تلك الليلة راجع أحمد بن أبي محرز نفسه في أمر الأبراري ليبتحلل منه، فوجدته قد رحل إلى الحج، فلحقه إلى مدينة قلشانة⁽⁶⁾، فسأله⁽⁷⁾ أن يحلله فحلله ثم رجع فلما سار في بعض الطريق قال لنفسه:

(1) في ت و ط: رديت. والصواب ما أثبتناه.

(2) وفي نسخة ت، زيادة: «وحملها الإنسان».

(3) في الرياض: ولا عتب 400/1.

(4) في الرياض: «عظيماً حتى انصرف الناس» 400/1.

(5) في الرياض: يومه ذلك 400/1.

(6) قلشانة: بينها وبين القبروان اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ص: 466.

(7) في الرياض: فاجتمع معه فسأله 399/1.

رَجُلٌ فَعَلْتُ بِهِ مَا فَعَلْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَأَلْتُهُ أَنْ يُحَلِّلَنِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ،
 هَذَا لَا يَصِحُّ⁽¹⁾. فرجع إلى رُفْقَةِ الْحَاجِّ وَجَلَسَ فِي وَسْطِ النَّاسِ وَاسْتَحْضَرَ الْأَبْزَارِي
 [وَأَعْلَمَ أَهْلَ الرُّفْقَةِ بِالْقَضِيَّةِ]⁽²⁾ ثُمَّ سَأَلَ الْأَبْزَارِي بِحَضْرَتِهِمْ أَنْ يَحْلِلَهُ أَوْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ،
 فَحَلَّلَهُ الْأَبْزَارِي. وَقَالَ: [إِنَّكَ لَمْ تَرُدْ إِلَّا خَيْرًا]⁽³⁾، إِنَّمَا رَفَعْتُ كَلَامِي عَلَيْكَ وَلَمْ
 أَجَلِ الْقَضَاءِ، وَقَدْ أَخْطَأْتُ فَأَنْتَ فِي حَلٍّ عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ⁽⁴⁾!

قلت: هذا منه على طريق الورع، وفي مثل هذا يُقال ذلك. وفي زَمَانِنَا لَا
 يَفْعَلُ لِئَلَّا يَتَجَاسَرَ عَلَى الْقَضَاءِ. قَالَ أَبُو بَكْرِ الْمَالِكِيُّ: وَذَكَرَ [بَعْضُ]⁽⁵⁾ مِنْ لَهُ عِنَايَةً
 بِأَخْبَارِ الْقَضَاءِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ تَخَاصَمَ [مَعَ]⁽⁶⁾ رَجُلٍ يُعْنَى بِهِ⁽⁷⁾ عَلِيَّ بْنَ
 حُمَيْدِ الْوَزِيرِ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ بِالسَّمَاطِ⁽⁸⁾ الْأَعْظَمِ، فَلَمَّا نَشِبَتْ
 الْخُصُومَةُ فِي [هَذِهِ]⁽⁹⁾ الدَّارِ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي مُحْرَزٍ، وَجِبَ عَقْلُهَا حَتَّى يَفْصَلَ
 فِيهَا. فَطَبَعَ⁽¹⁰⁾ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يُعْنَى⁽¹¹⁾ بِهِ عَلِيَّ بْنَ حَمِيدٍ، فَمَضَى ذَلِكَ الرَّجُلُ
 إِلَى عَلِيِّ بْنِ حَمِيدٍ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ عَلِيَّ بْنَ حَمِيدٍ بِحُلِّ الطَّابِعِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ حَمِيدٍ
 هَذَا فِي دَوْلَةِ ابْنِ الْأَعْلَبِ بِمَحَلِّ الْوِزَارَةِ وَرَفَعَ الرِّيَاضَاتِ حَتَّى كَانُوا يَدْعُونَهُ الْعَمَّ⁽¹²⁾
 فَمَضَى الرَّجُلُ الْمَطْبُوعُ لَهُ إِلَى [الْقَاضِي]⁽¹³⁾ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ بِجَامِعِ
 الْقَيْرَوَانِ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْقَاضِي وَضَمَّ دِيْوَانَهُ وَمَضَى إِلَى دَارِهِ
 [وَأَخَذَ]⁽¹⁴⁾ سِجْلَ وَلَايَتِهِ وَمَضَى إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ الْقَدِيمِ نِصْفِ النَّهَارِ، وَوَقْتُ قَائِلَةِ
 الْأَمِيرِ زِيَادَةَ اللَّهِ، فَوَافَقَ مَسْرُورَ الْحَاجِبِ فَسَأَلَهُ الْإِذْنَ عَلَى زِيَادَةَ اللَّهِ فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ،

- (1) في الرياض: لا يصلح / 1 / 399.
- (2) في الرياض: وجمع الرفقة وأعلمهم بالقصة / 1 / 399.
- (3) في الرياض: ما أردت أصلحك الله، إلا خيراً / 1 / 399.
- (4) في الرياض: أخطأت فيما فعلت وأنت / 1 / 399.
- (5) مختصر من الرياض: / 1 / 399.
- (6) سقط من: ت. وفي الرياض: وقال من له / 1 / 396.
- (7) في ت: في.
- (8) يعني به: «أي يهتم به» ورد هذا الشرح في هامش المطبوعة: من كتاب معالم الإيمان 2 / 29.
- (9) في الرياض: [بقرب موضع يعرف بسقيفة المساكين] بالسماط الأعظم / 1 / 396.
- (10) زيادة من الرياض: / 1 / 396.
- (11) في الرياض: فطبعها / 1 / 396.
- (12) في الرياض: كان يعني / 1 / 396. في ت: العلم.
- (13) في الرياض: إلى أحمد بن أبي مُحرز / 1 / 397.

وقال: ليس هذا وقت إذن، فقال له القاضي أحمد: أفتَمَنَعَنِي مِنْ بَابِهِ [فقال] (1) له: لا أَمْنَعُكَ وَلَا أَمْرُكَ فَأَتَى الْقَاضِي أَحْمَدَ إِلَى بَابِ قَصْرِ زِيَادَةَ اللَّهِ فَفَرَعَ حَلَقَتَهُ، فَخَرَجَتْ وَالِدَةُ زِيَادَةَ اللَّهِ مِنْ مَقْصُورَتِهَا فِرْعَةً فَقَالَ (2) لَهَا الْقَاضِي أَحْمَدُ: أَرَادَ (3) الإِذْنَ عَلَى الْأَمِيرِ لِأَمْرِ دَهْمِهِ (4). فَأَتَتْ إِلَى مَقْصُورَةِ زِيَادَةَ اللَّهِ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَرِيرِهِ فَحَرَكْتُ حَلَقَةَ الْبَابِ فَقَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ: مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: الْوَالِدَةُ، قَالَ لَهَا: وَمَا جَاءَ (5) بِكِ؟ قَالَتْ: الْقَاضِي بِالْبَابِ، ذَكَرَ أَنَّهُ أَتَى فِي أَمْرِ دَهْمِهِ فَأُذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ بِالْإِمَارَةِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَقَالَ: هَذَا سِجْلُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعَافِيَنِي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْزُلُ مَثُوبَتَكَ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ لَهُ: لَا تُغْضِبْ، أَجْلَسَ فِي خَارِجِ الْقَصْرِ حَتَّى أُرِيكَ مَا أَفْعَلُهُ. فَخَرَجَ الْقَاضِي أَحْمَدُ إِلَى سَقِيْفَةِ الْقَصْرِ، وَقَامَ زِيَادَةُ اللَّهِ فَاعْتَسَلَ وَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَرَكِبَ [وركب] (6) أَحْمَدَ الْقَاضِي مَعَهُ يُحَاذِيهِ (7) وَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ الْأَمِيرُ، حَتَّى دَخَلَ مِنْ بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ (8) وَوَقَفَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعِ فَقَالَ لِلْقَاضِي (9): أَيْنَ الدَّارُ الَّتِي أَمَرْتَ بِطَبْعِهَا؟ فَقَالَ: «هِيَ هَذِهِ» قَالَ: اجْعَلْ عَلَيْهَا طَابِعًا، ففعل ذلك، وَخَتَمَ بِخَاتَمِ الْأَمِيرِ زِيَادَةَ اللَّهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْقَاضِي (10) فَقَالَ لَهُ: إِنَّا نَرْضِيكَ.

[ما أعظم هذا التهديد في تعظيم الشريعة]

فلما سمع علي بن حميد بزيادة الله ووقوفه بالسَّمَاطِ الْأَعْظَمِ، خَرَجَ رَاجِلًا حَتَّى أَتَاهُ، فَكَانَ مِنْ زِيَادَةَ اللَّهِ إِلَى عَلِيِّ كَلَامٍ خَبِيرٍ مِنْهُ، إِنْ قَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْلَا وَاجِبٌ قَدِيمٌ ضَحْبَتِكَ مَا جَعَلْتُ طَابِعَهُ إِلَّا عَلَى رَأْسٍ مِنْ حَلَّةٍ، فَتَبَّرَ عَلِيُّ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَعَوَّدَ أَنْ حَيَاتِهِ انْقَضَتْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَجَرَى مِثْلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضْوَانَهُ عَلَى الْأَمِيرِ وَقَاضِيهِ آمِينَ.

(1) في ط: أخل. التصويب من: ت، والرياض: 397/1.

(2) في ط: قال. التصويب من: ت، والرياض: 397/1.

(3) في ط: فقيل لها 397/1. (4) في الرياض: يريد 397/1.

(5) في الرياض: أهمه 397/1. (6) في الرياض: وما حاجتك 397/1.

(7) سقط من: ت، وفي الرياض: وجمع جنده حوله وركب 398/1.

(8) في الرياض: يحاذيه 398/1.

(9) راجع التكملة في الرياض فإنه ورد هنا إسقاط جملة 398/1.

(10) في الرياض: أحمد.

قلت: وَهَكَذَا كَانَتِ الْقُضَاةُ وَذَبُّهُمْ عَنِ حَرَمَةِ الشَّرْعِ الْعَزِيزِ، وَنُضْرَةَ الْأَمِيرِ لَهُمْ! وَشَاهَدْتُ فِي زَمَانِنَا قَائِدَ الْمَوْضِعِ يُخْرِجُ مَنْ يَسْجَنُ الْقَاضِي، وَيَقُولُ: إِنْ عَلَيْهِ طَلَبُ الْمَخْزَنِ، وَهُوَ يَكْذِبُ فِي ذَلِكَ وَهَبَ أَنَّهُ يَصْدُقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ هُوَ فَعَلَهُ فَأَقْلَ الْمَرَاتِبِ أَنْ يَرُدَّهُ كَمَا كَانَ وَيَتَغَافَلُ بَعْضُ الْقُضَاةِ عَنِ ذَلِكَ لِثَلَا يَتَخَاشَنَ مَعَهُ فَمَا يَنْصَفُهُ فِي مَرْتَبِهِ فَأُخْرِى أَنْ لَوْ خَافَ مِنْ تَسْبِيهِ فِي عَزْلِهِ وَقَدْ وَقَفْتُ فِي هَذَا الْبَابِ فِي مَدِينَةِ بَاجَةَ⁽¹⁾، وَظَارَدَنِي وَوَلَاتَهَا بِمُكَاتَبَتِهِمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَبِي فَارَسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغَلَبْتُهُمْ عِنْدَهُ، وَالْمُبَاشِرُ لِي فِي ذَلِكَ؛ شَيْخُنَا أَبُو مَهْدِي عَيْسَى الْعَبْرِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَاتَى جَوَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ مَنْ عَلَيْهِ طَلَبُ الْمَخْزَنِ مِنَ الْبُؤَادِي، وَسَبَقَ حُكْمَ الشَّرْعِ فِيهِ، فَإِنْ ذَلِكَ فَحُكْمُهُ مُقَدَّمٌ. وَإِنْ سَبَقَ طَلَبُ الْمَخْزَنِ فِيهِ، وَدَعَا لِلشَّرْعِ يَأْخُذُ طَلَبُ الْمَخْزَنِ مِنْهُ مِنْ حَكْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَيُرَدُّ بِفُورِ ذَلِكَ الْقَاضِي، وَيَنْفَذُ فِيهِ حُكْمُهُ عَلَى هَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ.

قال: وَلَمَّا حَضَرَتْ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحَرَّرِ الْوَفَاةِ، أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ عِمْرَانَ أَنْ يَسْتَرِ مَوْتَهُ، وَأَنْ يُغَسَّلَهُ، وَيَكْفِنَهُ وَيَصَلِّيَ عَلَيْهِ فِيمَنْ حَضَرَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ، وَأَنْ يَخْرِجَهُ إِلَى قَبْرِهِ، فَلَمَّا مَاتَ فَعِلَ ذَلِكَ بِهِ، فَلَمَّا أَخْرَجَ مِنَ الدَّارِ وَافَاهُمْ خَلْفُ الْخَادِمِ مِنْ عِنْدِ زِيَادَةَ اللَّهِ، وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ ثَوْبًا، وَبُرْمَةً فِيهَا مِسْكٌ! وَقَالَ: يَا عِمْرَانُ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ هَذِهِ الثِّيَابُ؟ فَقَالَ عِمْرَانُ: إِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ. فَأَفْرَغَ خَلْفُ الْبُرْمَةِ عَلَى الْكَفَنِ، ثُمَّ مَضَى بِجَنَازَتِهِ، فَوَافَاهُمْ زِيَادَةُ اللَّهِ بِالْمُصَلَّى فَصَلَّى عَلَيْهِ.

قلت: فِي كَلَامِهِ بَثْرٌ لَزِيَادَةَ غَيْرِهِ: وَحَضَرَ دَفْنَهُ، وَعَزَى عِمْرَانَ وَلَدَهُ ثُمَّ قَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ: يَا أَهْلَ الْقَيْرَوَانَ، لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرًا لَمْ يَزَلْ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُحَرَّرِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ⁽²⁾.

قال: وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

(1) باجة: فِي تُونِسَ، وَالْأَنْدَلُسَ، فَالَّتِي فِي إِفْرِيقِيَّةِ أَي تُونِسَ؛ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ أَوْلِيَّةٌ قَدِيمَةٌ فِيهَا آثَارٌ، أَمَّا بَاجَةُ الْأَنْدَلُسِ بَنِيَتْ فِي أَيَّامِ الْأَقَاصِرَةِ مِنْ أَقْدَمِ مَدَنِ الْأَنْدَلُسِ بَنِيَانًا. انظر الروض المعطار ص: 75.

(2) انظر الرياض: 1/ 400 - 401، والبيان المغرب 1/ 106 باختصار.

91 - ومنهم أبو زكرياء محمد بن رُشيد مولى⁽¹⁾ عبد السلام بن [المفرج]⁽²⁾ العابد⁽³⁾ :

قال: رحل مع سَخْنُون إلى ابن القاسم فَسَمِعَ منه ومن العُلَمَاءِ .

[دواء مرض العين]

وَمِمَّا رَوَاهُ عن محمد بن حميد الرّازي، عَنْ جَرِير بن عبد الحميد، عن مَنْضُور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود أَنَّهُ قَالَ: إِشْتَكَيْتُ عَيْنِي فَشَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «انظر في المُصْحَفِ فَإِنِّي اشْتَكَيْتُ عَيْنِي فَشَكَوْتُ إِلَى جَبْرِيلَ، فَقَالَ لِي: انظر في المُصْحَفِ [فإنني اشْتَكَيْتُ عَيْنِي فَشَكَوْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لِي: انظر في المُصْحَفِ]⁽⁴⁾» وَسَاقَ هَذَا الْحَدِيثَ مُسَلَّسًا هَكَذَا إِلَيْهِ. توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين .

قلت: وكان رُشيد وَالِدُهُ صِقْلِيًّا⁽⁵⁾، وَرَجُلًا صَالِحًا فَاضِلًا، فرأى في المنام كأنه أتى المَسْجِدَ الجَامِعَ فَبَالَ فِي مِحْرَابِهِ فَأَعْتَمَ لِذَلِكَ وَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى البُهْلُولِ بْنِ رَاشِدِ الرَّاهِدِ، فقال له: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ وَلَدٌ يَكُونُ إِمَامًا فَوُلِدَ لَهُ مُحَمَّدٌ هَذَا⁽⁶⁾ .

92 - ومنهم أَبُو جَعْفَرٍ مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ⁽⁷⁾ الصُّمَادِحِي :

قال أبو بكر بن اللبّاد: هو من ولد جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين⁽⁸⁾ .

قال: كَانَ عَالِمًا بالفقه، رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ ثِقَةً مَأْمُونًا⁽⁹⁾ . قيل لِسَخْنُونِ بن سعيد:

(1) ترجمة محمد بن رشيد في: طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 195، ورد اسمه في: ترتيب المدارك: 52/1، الديباج المذهب ص: 407.

(2) في ت و ط: فبرج، التصويب من: طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 195.

(3) في طبقات علماء إفريقية وتونس: القائد ص: 195.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(5) في طبقات علماء إفريقية وتونس: صقليا ص: 195.

(6) انظر طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 195.

(7) ترجمة موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي في: رياض النفوس: 1/376 رقم: 127، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 190، ترتيب المدارك: 3/5 - 9، شجرة النور الزكية: 1/103 الرقم: 120 بتعليقنا.

(8) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 190.

(9) الرياض: 1/376.

إِنَّ مُوسَى بْنَ مُعَاوِيَةَ جَلَسَ فِي الْجَامِعِ يُفْتِي النَّاسَ قَالَ: مَا جَلَسَ فِي الْجَامِعِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَحَقُّ بِالْفُتْيَا مِنْ مُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ⁽¹⁾. وَقَالَ سَحْنُونُ: كَانَ مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ أَطْوَلَنَا صَلَاةً وَأَكْثَرَنَا اجْتِهَاداً وَعِبَادَةً.

قلت: يريد لمشاهدته عبادته. قال المالكي: قال سَحْنُونُ: كُنَّا نُرَابِطُ بِالْمُنَسْتِيرِ، فَكَانَ مُوسَى أَطْوَلَنَا⁽²⁾ صَلَاةً، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ طَبَقَهَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، فَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ: تَوَجَّهُوا بِنَا إِلَى الْقَيْرَوَانِ فَنَقُولُ لَهُ: أَقِمْ بِنَا حَتَّى نَتَعَبَّدَ⁽³⁾ هَاهُنَا، فيقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ مِنْ حَجِّ أَوْ عُمْرَةٍ فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَقَالَ: أَسْرِعُوا بِنَا إِلَى بَنَاتِ الْأَقْوَامِ.

قال: رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً⁽⁴⁾، فَلَقِيَ وَكَيْعَ بْنَ الْجِرَاحِ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَالْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، وَزَيْدَ بْنَ هَارُونَ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَلَقِيَ بِإِفْرِيْقِيَةَ الْبُهْلُولِ بْنَ رَاشِدٍ، وَرَبَاحَ بْنَ يَزِيدٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ، وَقَالَ مُوسَى: لَمْ أَلْقَ أَحَدًا أَرْوَى مِنْ وَكَيْعٍ، كَانَ يَرُوي خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ يَقْرُؤُهَا عَلَيْنَا ظَاهِرًا عَلَى تَأْلِيفِهَا مَا يَشْكُ فِي حَدِيثِ مِنْهَا⁽⁵⁾.

قلت: وَحَدَّثَ أَبُو سَلِيمَانَ دَاوُدَ بْنَ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِحِي يَقُولُ: رَحَلْتُ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَلَا أَظُنُّ أَنِّي أَرَى أَحَدًا أَخْشَعُ مِنَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ حَتَّى لَقَيْتُ وَكَيْعَ بْنَ الْجِرَاحِ وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّهُ يَخْتَمُ فِي رَمَضَانَ خْتَمَةً وَثَلَاثًا كُلَّ لَيْلَةٍ، فَبِتُّ فِي مَسْجِدِهِ فَدَخَلَ مُعْتَكِفُهُ فَقُلْتُ: اللَّيْلَةُ يَتَّبِينُ مَا قِيلَ فِيهِ، فَصَلَّيْنَا التَّرَاوِيحَ فَخَرَجَ إِلَى صَحْنِ الْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَلَمَّا أَوْتَرَ دَخَلَ فِي مَكَانِهِ فَأَحْرَمَ وَأَنَا جَالِسٌ فَأَفْتَحَ فَقَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، فَأَخَذَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فَأَنْتَبَهْتُ وَقَدْ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ أَكْثَرُهُ، وَهُوَ يَقْرَأُ «فِي الْحَوَامِيمِ»، فَجَلَسْتُ حَتَّى خَتَمَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ بِطَبَقٍ فِيهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ وَرُكُودَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَقَالَ: أَيْنَ الْمَغْرَبِيُّ؟ فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْ سُحُورِنَا يَا هَذَا شَيْئًا؟ فَأَكَلْتُ وَأَكَلَ مَعِيَ⁽⁶⁾، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ

(1) الرياض: 376 / 1 - 377 ولم يذكر: «معاوية».

(2) في الرياض: أكثرنا: 381 / 1. (3) في الرياض: نُعِيدُ: 382 / 1.

(4) طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 190. وفيه زيادة: [يوم الاثنين الذي مات فيه هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ].

(5) الرياض: 377 / 1. (6) في الرياض: معه: 377 / 1.

إلى سُورَةِ «بَرَاءة» ثم ركع وسجد [وسلم] ⁽¹⁾ وجلس في موضعه حتى أقيمت الصَّلَاة فصَلَّى ⁽²⁾ ثم تَحَوَّلَ فحدث إلى نصف النهار أو قريب من ذلك. ثم رقد مكانه فقام وقمت للظهر فدخل الميضاة وهي قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فتوضأ للصلاة، ثم دخل المسجد فصلى الظُّهْرَ، ثم قرن كَعْبِيَّهِ إِلَى الْعَصْرِ، فكان هَكَذَا الشَّهْرَ كُلَّهُ، حتى انقضى وأنا معه في المسجد. قال: ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْفَضِيلِ فَقُلْتُ [له] ⁽³⁾: ما أظنُّ أَنِّي أَرَى أَحَدًا أَخْشَعُ مِنْ وَكَيْعٍ حَتَّى قَدِمْتَ مَكَّةَ، فَطَلَبْتَ الْفَضِيلَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ عَشِيَّةٍ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ مَكَّةَ، إِذْ أَنَا بِرَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَعَدْنَا الشَّيْخَ يُحَدِّثُنَا فَقُلْتُ لِهَئِمَّا: مَنْ الشَّيْخُ؟ قَالَا: الْفَضِيلُ فَعَدَيْتُ ⁽⁴⁾ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَصَلَّى بِنَا هَارُونَ الْخَلِيفَةَ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقَرَأَ بِنَا سُورَةَ الرَّحْمَنِ، وَسُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي [الرُّكْعَةِ] ⁽⁵⁾ الثَّانِيَةَ تَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَسْكُتَ مِنْ حُسْنِ قِرَاءَتِهِ، فَقَمْتُ أَبَادِرُ فَجَذَبَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي ⁽⁶⁾ وَقَالَ: أَيَّنَ تَقُومُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مُسْرِعًا، فَأَعْتَدَرْتُ لَهُ بِطَلْبِي لِلْفَضِيلِ لِأَسْمَعُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: تُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَشَارَ إِلَيَّ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَقَالَ لِي: هُنَاكَ هُوَ. فَقَمْتُ إِلَيْهِ وَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: مِسْكِينُ هَارُونَ، قَرَأَ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَسُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَلَا يَدْرِي مَا فِيهِمَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ. وَآتَى الطَّلَبَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَإِذَا شَيْخٌ آدَمٌ قَالَ لَهُ النَّاسُ: اجْلِسْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْرَأْ نَعْلَ الشَّيْخِ يَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ فَيَخْرُجُ فَسَأَلْتُ رَجُلًا إِلَى جَنْبِي عَنِ الرَّجُلِ فَقَالَ لِي: هَذَا صَالِحُ الْمُرِّيِّ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 40]. فَفَتَحَ الْكُوَّةَ وَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ الْخُرُجُ بِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَخَرَجَ بِهِ، وَأَقْعَدَهُ عَلَى مَسْطَبَةٍ فَخَتَمَ الْقَارِئُ الْآيَةَ ثُمَّ دَعَا فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الْإِحْرَامِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿كُلَّمَا نَفِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا

(1) سقط من : ت .

(2) في ت : محو لكلمة : «فصلى»، وأمامها كلمة : باثنتي عشرة ركعة، وهي واردة في الرياض وقبلها جملة : ثم جلس في مصلاه، والظلمة حوله وأنا معهم، حتى ركع الضحى شبيه باثنتي عشرة ركعة ثم تحول 378 / 1.

(3) زيادة من : ت . (4) في الرياض : فاغتديت 378 / 1.

(5) سقط من : ت . (6) في الرياض : جانبي 378 / 1.

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]؟ فقال الفضيلُ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ حَسَانَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: تَأْكُلُهُمُ النَّارُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، كُلَّمَا أَكَلْتَهُمْ وَأَنْضَجْتَهُمْ قِيلَ لَهُمْ: عُودُوا فَيَعُودُونَ. وَصَعِقَ الْفُضَيْلُ وَغَشِيَ عَلَيْهِ، وَحَمِلَ⁽¹⁾ إِلَى دَارِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هَارُونَ الْخَلِيفَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْفُضَيْلَ فَسَّرَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ فَصَعِقَ بِهِ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ فَوَافِنِي الْبَابَ ثُمَّ أَمْرَ بَعْضِ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ بَبْغَلَةً وَبَدْرَةَ، وَالْبَدْرَةَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَمْرَ الْخَادِمِ بِحَمَلِهَا فَخَرَجَ وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى أَتَى بَابَ الْفُضَيْلِ فَفَرَعَهُ سَفْيَانُ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذْنَتْ لَهُ الْخَادِمُ بِالْدُخُولِ. فَقَالَ لَهَا: يَدْخُلُ مَنْ مَعِيَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا ثُمَّ قَالَ سَفْيَانُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَ عَائِداً إِلَيْكَ⁽²⁾ فَاسْتَوَى الْفُضَيْلُ جَالِساً فَمَدَّ هَارُونَ يَدَهُ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَقَالَ لَهُ: عَظَمِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذِهِ الرَّعِيَةِ غَدًا، وَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَبَكَى هَارُونَ حَتَّى مَسَحَ دَمْعَهُ⁽³⁾ بِطَرْفِ ثُوبِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ هَارُونَ: هَذَا شَيْءٌ أَتَيْنَاكَ بِهِ فَاسْتَعِنَ بِهِ عَلِيٌّ⁽⁴⁾ نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ. فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: أَنَا غَنِيٌّ عَنْهُ فَكُرِّرْ⁽⁵⁾ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَبَى فَقَالَ لَهُ: فَرَقَهُ عَلِيٌّ بِبَعْضِ أَصْحَابِكَ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ ضَعِيفٌ لَا أُسْتَطِيعُ [فَرَجَعَ بِهَا هَارُونَ مَعَهُ وَلَمْ يَأْخُذِ الْفُضَيْلُ مِنْهَا شَيْئاً وَرَوَى عَنْهُ]⁽⁶⁾ أَنَّهُ قَالَ: ذَكَرَ لِي رَجُلٌ بِخُرَّاسَانَ، فَأَتَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ بِالْمَسْجِدِ يَحْدُثُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: مِنَ الْمَغْرِبِ فَقَالَ⁽⁷⁾ لِي: مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ؟ قُلْتُ: مِنَ الْقَيْرَوَانِ، قَالَ لِي: مَنْ لَقَيْتَ؟ قُلْتُ: الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَوَكَيْعاً وَأَبَا مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، فَقَالَ لِي: مَا أَظُنُّ أَنَّكَ تُرِيدُ بِهَذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَجْعَلَ أَحَدَهُمْ لَدِينِكَ وَلَكِنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْدِمَ بِلَدِكَ فَتَقُولَ: لَقَيْتُ فُلَاناً وَفُلَاناً، وَاللَّهُ لَا أَسْمَعُكَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ فَأَخَذْتُ كِتَابَهُ فَانْتَخَبْتُ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ رَوَيْتُهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الضُّبِّيِّ وَهَذَا إِشْفَاقٌ مِنَ الرَّجُلِ عَلَى مُوسَى خَيْفَةَ أَنْ تُؤَدِيَهُ رَغْبَتُهُ فِي كَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، إِلَى أَنْ يَرُويَ عَنِ الضَّعِيفِ وَالْمَتْرُوكِ كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَوْلَدِي أَخِيهِ وَهُمَا أَبُو بَكْرٍ وَإِسْمَاعِيلُ⁽⁸⁾ لَمَّا رَأَى

(1) فِي ت، وَالرِّيَاضُ: فَحْمِلَ 379/1. (2) فِي ت: إِلَيْكُمْ، وَفِي الرِّيَاضِ: لَكَ 379/1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: دَمُوعُهُ 380/1. (4) فِي ت.

(5) فِي ت، وَالرِّيَاضُ: ثُمَّ كَرَّرَ 380/1. (6) سَقَطَ مِنْ ت.

(7) فِي ط: قَالَ. التَّصْوِيبُ مِنْ ت، وَالرِّيَاضُ: 381/1.

(8) فِي الرِّيَاضِ: ابْنَا أَبِي أُوَيْسٍ 381/1.

حرصهما على كثرة الرواية: إن أردتما أن ينفعكما الله عز وجل، فأقلأ منها⁽¹⁾ وتفقهها. قال محمد بن وضاح: خرج علينا موسى بن معاوية يوماً وقد احمر وجهه فسألناه فقال: جيران لي آذوني. وقد أخبرني أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة أنه قال: إن لي جيراناً ما لهم عندي دينار ولا درهم، ولا سألوني حاجة إلا قضيتها، ولا أنا أبغض إليهم من الكلب الأسود إلى أهله.

قلت: ولم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لأنه لا يحب منافق مؤمناً أبداً. وسأله زيادة الله مع رسل له عن عمود في مسجد خرب بالساجل أراد تحويله إلى المسجد الجامع يجعله مع صاحب له، [فأفتاه]⁽²⁾ بأنه لا يجوز.

قلت: وتوفي يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائتين، وله من العمر خمس وستون سنة، وكان بينه وبين سحنون في المولد ليلة واحدة، انتهى.

93 - أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي⁽³⁾:

واسم أبي حسان عبد الرحمن بن يزيد الفقيه.

قال: سمع من مالك بن أنس وابن أبي ذئب، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وكان له علم وفصاحة مقدّم في شيوخ إفريقية، ثقة⁽⁴⁾ وكان أعلم الناس بالتاريخ وله إثار، وكان سفيان بن عيينة يقبل عليه إذا أتاه ويحبه جداً وكان سحنون يقول: كنت في أول طلبتي إذا أغلقت علي مسألة مضيت إلى ابن أبي حسان فأعلمته بذلك، فكان بيده مفتاح لكل ما أنغلق.

قلت: في ثناء الشيخ عليه بتر لقول غيره كان مقدماً⁽⁵⁾ «حاضر الحجة، قوياً على المناظرة ذاباً على السنة قليل الهيبة للملوك في حق يقوله»⁽⁶⁾. وقال ابن وهب:

(1) في الرياض: منه 381/1. (2) سقط من: ت.

(3) ترجمة عبد الله بن أبي حسان اليحصبي في: رياض النفوس: 1/284 رقم: 109، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 155، ترتيب المدارك: 2/480 - 485، البيان المغرب: 1/108، الديباج المذهب ص: 217، شجرة النور الزكية: 1/93 - 94 رقم: 86.

(4) انظر: طبقات علماء إفريقية لأبي العرب ص: 155.

(5) في الرياض: مفوهاً 286/1. (6) الرياض: 286/1.

«مَا رَأَيْتُ مَالِكًا أَمِيلَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ كَمَيْلِهِ إِلَى ابْنِ أَبِي حَسَّانٍ»⁽¹⁾. ولما وصل إلى مالك أتاه معه بكتاب ابن غانم، ودفعه إليه، فقال: عَادَ حَقًّا إِلَى الْقَضَاءِ؟ قلت: نعم، قال: مَا ذَاكَ بِخَيْرٍ لَهُ.

[حديث «إذا أتاكم عميد قوم فأكرموه»]

ثم قرأ الكتاب فالتفت إلى القوم فقال لهم: هذا كتاب ابن غانم، أتاني به هذا يخبرني عن حاله في بلده وقدره، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ عَمِيدُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»⁽²⁾. فقمْتُ من بين يَدَيْهِ فَأَوْمَأَ لِي رَجُلٌ فَجَلَسْتُ. وقال عيسى بن مسكين: كان ابن أبي حسان يُعْطِي الرَّجُلَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ يَأْخُذُ لَهُ مَجْلِسًا يَجْلِسُ فِيهِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَجْلِسِ مَالِكِ، فَإِذَا جَاءَ ابْنُ أَبِي حَسَّانِ قَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَجَلَسَ ابْنُ أَبِي حَسَّانِ فِي مَوْضِعِهِ، فَكَانَ يَرُوي عَنِ مَالِكِ غَرَائِبَ لَا تَكَادُ أَنْ تَوْجَدَ عِنْدَ غَيْرِهِ.

[ثناء الإمام مالك على المدينة والكوفة والقيروان]

وروي عنه أنه سَمِعَهُ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الذَّهْنِ وَالذِّكَاةِ وَالْعَقْلِ⁽³⁾ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثَلَاثَةٌ: الْمَدِينَةُ، ثُمَّ الْكُوفَةُ، ثُمَّ الْقَيْرَوَانُ⁽⁴⁾.

[دعاء يقال عند النوم]

قال: ومن روايته عن عبد الرحمن بن أنعم، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قال: كان عبد الله بن عمرو جالساً فقال: أَلَا أَعْلَمُكُمْ كَلِمَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُنَّ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُهُنَّ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَنَامَ، قُلْنَا: بَلَى فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا قِرْطَاسًا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَالْمَلَائِكَةُ

(1) الرياض: 286 / 1.

(2) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الأدب، (19) باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه حديث (3712) 1223 / 2 دار الفكر. من حديث سعيد بن مسلمة، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رفعه بهذا وسنده ضعيف. ولفظه: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ». ولقد علق عليه السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة ص: 53 رقم 50 دار الكتاب العربي، وانظر أيضاً الجامع الصغير للسيوطي ص: 27 رقم (345).

(3) في الرياض: والعقول 286 / 1. (4) الرياض: 286 / 1.

يَشْهَدُونَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً أَوْ أَجْرَهُ عَلَى مُسْلِمٍ⁽¹⁾. ومن إثاره أنه أتى إليه رجلٌ من أصحابه على إثر نوءٍ عظيم، وأمطارٍ وابلٍ تساقط منها أكثر دور القبروان، فسَلَّمَ عَلَيْهِ ثم أَخْبَرَهُ بما انهدم من داره وشاوره في بنيانه وقال: مَنْ ترى يتولَّى بُنياني؟ فأمرَ بعضَ غلمانِه فأتاه بخمسين ديناراً في صرةٍ فدفعها إليه وقال: اسْتَعِنْ بِهَا فِي مَرْمَتِكَ وَبُنْيَانِكَ. فلما مضى قال له بعض أولاده: رجلٌ أتاك يشاورك في بنيانه ومَرَمْتِهِ دفعت إليه خمسين ديناراً؟ فقال: يا بني لست ببنّاءٍ ولا صاحب مَرْمَةٍ، وإنما تعرض لمشورتنا لمعروفنا.

قلت: قال ابن أبي حسان: دخلت على زيادة الله وهو جالسٌ وعنده أسد ابن الفرات، وأبو محرزٍ قاضياً، وهما يتناظران في التبيذ المسكر، وأبو محرزٍ يذهب إلى تحريمه، وأسد يذهب إلى تحليله⁽²⁾. فلما جلستُ قال لي زيادة الله: ما تقول يا أبا محمد؟ فقلت له: قد علمتُ سوء رأبي فيه، وقاضيان⁽³⁾ يتناظران بين يديك فقال لي ناظرني [أنت]⁽⁴⁾ ودعهما. ثم قال لهما: أسكتا⁽⁵⁾، فقلت: أصلح الله الأمير كم دية العقل؟ فقال: وماذا مما نحن فيه؟ فقلت: جوابكم⁽⁶⁾ ينبئكم سُؤالي فقال: دية العقل ألف دينار. فقلت: أصلح الله الأمير يعمل الرجل إلى ما فيه ألف دينار فيبيعه بديكجة⁽⁷⁾ تسو نصف درهم؟ فقال لي: يا أبا محمد، إنه يذهب ويعود، قلتُ⁽⁸⁾: بعد ماذا أصلحك الله؟ بعد أن قاء ما في بطنه، وكشفت سوءته وقاتل هذا وضرب⁽⁹⁾ هذا؟ فقال لي: صدقت والله صدقت والله صدقت والله⁽¹⁰⁾ قال: توفي عبد الله بن

(1) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، 94 باب، حديث (3540) 313/5. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من رواية عبد الله بن عمرو. وأخرجه أيضاً أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح حديث (5083) 501/2 من رواية أبي مالك.

(2) في الرياض وقع العكس قوله: "وأبو محرزٍ يذهب إلى تحليله، وأسد يذهب إلى تحريمه" 288/1.

(3) في الرياض: وقاضياك 288/1. (4) زيادة من الرياض: 288/1.

(5) في الرياض: أمام كلمة، أسكتا: ثم قال لي ما تقول أنت؟ 288/1.

(6) في الرياض: جوابك ينتظر سُؤالي 288/1.

(7) في الرياض: بديكجة 288/1. (8) في الرياض: فقلت له 288/1.

(9) في الرياض: زيادة: "وسب هذا" أمام كلمة سوءته 288/1.

(10) في الرياض: "صدقت والله صدقت" 288/1.

أبي حسان سنة ست وعشرين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة ودفن بباب نافع.

94 - ومنهم أبو الحجاج: رَبَاحُ بْنُ ثَابِتِ الْأَزْدِيِّ⁽¹⁾:

قال: كان من العبّادِ المجتهدين، والعلماءِ العاملين، سمع من مالك بن أنس، وابن لهيعة، وابن أبي ذئب، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وعباد بن عبد الصمد.

[رقية ومطهرة من الذنوب]

فمن روايته عن أبي معمر عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ تسليماً أنه قال: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»⁽²⁾ عشر مرات برىء أو خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعوفي من سبعين ألف بلاءٍ من الجذام والبَرَصِ والريح، ويبعث له سبعون ألف ملك يستغفرون له بالليل والنهار وهي رُقِيَّةٌ من تسعة وتسعين داءً، وكان رباح يقول: اللهم إن كنت تعلم أنني أعبدك ظمناً في جنتك فأحرمنيها، وإن كنت تعلم أنني أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أنني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى وجهك الكريم فامنحنيه مرةً واضنّع بي ما شئت⁽³⁾. وكان حلف أن لا ينام مضطجعاً، ولا يضحك أبداً، ولا يأكل سميناً فما رئي مضطجعاً ولا ضاحكاً، ولا يأكل⁽⁴⁾ سميناً حتى مات، وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومائتين، وصلى عليه سحنون⁽⁵⁾.

95 - ومنهم أبو زكرياء يحيى بن سليمان الفارسي الحُفْرِي⁽⁶⁾:

قال: وإنما سمي الحُفْرِي لأن داره كانت على حُفْرَةٍ [بدر] ⁽⁷⁾ أم أيوب

(1) ترجمة رباح بن ثابت الأزدي في: رياض النفوس: 1/ 283 رقم: 108، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 156.

(2) هذا الحديث لا أصل له، ولم يذكره أصحاب الحديث في كتبهم والله أعلم.

(3) هذا الدعاء كان كثيراً ما يُردّد على لسان رابعة العدوية المتصوفة الزاهدة.

(4) في ت و ط: آكل. التصويب من الرياض 1/ 283.

(5) الرياض: 1/ 283.

(6) ترجمة يحيى بن سليمان الفارسي الحُفْرِي في: طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 174. وفي

الرياض: 1/ 138، 201، 210، 211، 214، 324، 375، 491، 2/ 12.

(7) في ت و ط: درب. التصويب من طبقات أبي العرب ص: 174.

بسوق الأحد من القيروان وكان ثقة، وكان عالماً بالفرائض والحساب، فطلب لخدمة السلطان لأجل علمه بالحساب فهرب إلى المشرق فلقي يونس بن مرقد، ثم خرج مرة أخرى فلقي سُفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وغيرهما وسمع بإفريقية من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وعبد الملك بن أبي كريمة وغيرهما⁽¹⁾. وسمع منه يحيى بن عمر وبشر كثير من أهل القيروان من أصحاب سحنون وغيرهم. ولد سنة أربع وثلاثين ومائة، وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين⁽²⁾. ودفن بباب سلم بجوار قبر البهلول.

96 - ومنهم عباس بن عبد الله الضَّرِير⁽³⁾ :

كان من أهل الفضل والعبادة، كثير الحزن والبكاء.

قال: قال جبلة بن حمود عن عون بن يوسف: كان عباس مستجاباً، وكان يُنادي إذا جنَّ الليل: لَيْتَ شِعْرِي إِلَى مَتَى تَحْبِسُنِي؟ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أُرِيدُ مِنَ الدَّارَيْنِ غَيْرَكَ، فَعَجَلْ بِرَحْلَتِي. وكان يحيى الليل فإذا أَصْبَحَ يَقُولُ: يَا بَنَ آدَمَ لَا أَحَدَ أَبْرَ مِنْهُ بِخَلْقِهِ، وَلَا أَعْلَمُ بِالدُّنْيَا وَضَرَرِهَا مِمَّنْ خَلَقَهَا⁽⁴⁾ فكان يره بخلقه⁽⁵⁾ أن أراد لهم ما يبقى⁽⁶⁾. فقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: 67] إِيَّاهِ، لَا ظَنَنْتُ الْعِصَاةَ كَأَنَّ بَكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ طَالَ صَبْرِي عَنْكَ وَلَا بُدَّ لِي مِنْكَ. ثُمَّ يَنْدَفِعُ فِي النَّيَاحَةِ⁽⁷⁾. وروى جبلة بن حمود عن عون بن يوسف عن عباس الضَّرِيرِ وَكَانَ أَعْمَى، قَالَ: أَهْدَيْتِ إِلَيَّ امْرَأَةً وَأَنَا ضَّرِيرٌ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرِينِيهَا فَكَشَفَ لِي عَنْ بَصْرِي فَرَأَيْتَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ الْعَمَى. وقال عباس: كان لي جارٌّ من الجن أسمعه بالليل إذا قمتُ إلى وِزْدِي، يَفْتَتِحُ سُورَةَ الرَّعْدِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ آخِرَهَا. توفي عباس سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

(1) طبقات أبي العرب ص: 174. (2) طبقات أبي العرب ص: 174.

(3) ترجمة عباس بن عبد الله الضَّرِيرِ فِي: رِيَاضِ النُّفُوسِ: 395/1 رقم: 134.

(4) فِي الرِّيَاضِ: مِنْ خَانِقِهَا 395/1. (5) فِي الرِّيَاضِ: بِهِمْ 395/1.

(6) فِي الرِّيَاضِ: زِيَادَةٌ: «وَكُرَهُ لَهُمْ مَا يَفْنَى» 395/1.

(7) الرِّيَاضِ: 395/1.

97 - ومنهم زُرَّارَةُ بن عبد الله⁽¹⁾ :

قال: صحب مالك بن أنس، والليث بن سعد وعبد الله بن فروخ، وكان ثقة. وقال: كنت جالساً عند مالك فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله إن لي أبا ببلاد السودان وَلِيَّ أم أنا معها، فأبي يكتب لي⁽²⁾ بالنهوض إليه، وأمي تنهاني عن الخروج⁽³⁾ فقال له مالك: أطع أباك ولا تعصِ أمك، فقال⁽⁴⁾ له: يا أبا عبد الله، فما ترى؟ فانتهره⁽⁵⁾ مالك وقال: أتريد أن أمرك أن تعصيهما جميعاً؟ قال: ثم سألت الليث بن سعد فقال: أطع أمك، فإن⁽⁶⁾ البر لها ثلاثاً. وسألت حماداً فقال لي مثل قول الليث.

[يُكره رفع الصوت في المسجد بالقرآن]

وروى عن مالك أنه سئل عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن، فكرهه. وتوفي زُرَّارَةُ بن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائتين⁽⁷⁾.

98 - ومنهم أبو عمرو البُهْلُول بن عَمْرُو⁽⁸⁾ بن صَالِح بن عُبيدَةَ التَّجِيبِي⁽⁹⁾ :

كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَامِلِينَ، عَالِماً بِالْفِقْهِ، رَاوِيّاً لِلْحَدِيثِ، ثِقَّةً مَأْمُوناً.

قال: روى عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وغياث بن إبراهيم. وكان يقول: ما رأيتُ [أحدًا]⁽¹⁰⁾ أنزع بآية من كتاب الله عز وجل من مالك بن أنس، وما رأيتُ أحدًا أعظمَ قَدْرًا في بلدِهِ من الليث بن سعد، وَمَا رَأَيْتُ [أحدًا]⁽¹¹⁾ أَحْسَنَ سَمْتًا من البُهْلُول بن راشد، وما رأيتُ أحدًا [أخشعَ لِلَّهِ عز وجل

- (1) ترجم له في: رياض النفوس: 1/ 282 رقم: 107 وفيه أنه توفي سنة 238 هـ، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 158، ترتيب المدارك في معجم رواه مالك 1/ 262.
- (2) في الرياض: إلَيَّ 1/ 282.
- (3) في الرياض زيادة: إليه فما تأمرني 1/ 282.
- (4) في الرياض: فقلت له: 1/ 282. (5) في الرياض: فانتهرني 1/ 282.
- (6) في الرياض: فقد جاء البر 1/ 282. (7) في الرياض: أن وفاته كانت سنة 238 هـ.
- (8) في الرياض، وطبقات أبي العرب: عمرو. وفي البيان: عمر، كما في المعالم.
- (9) ترجمته في رياض النفوس: 1/ 281 رقم: 106، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 175، البيان المغرب: 1/ 108.
- (10) زيادة من الرياض: 1/ 281.
- (11) زيادة من الرياض: 1/ 281.

من ابن فروخ⁽¹⁾ قال البهلول بن عبيدة: جمعنا زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، فشاورنا في قاضي [وكننا جماعة]⁽²⁾ وكان فينا ابن الصمادحي، فلما حضرت الصلاة قلت لهم: إن قدّمنا أحداً منا. رأى هذا السلطان أنه خيرنا فيقدمه للقضاء، ولكن قدّموا موسى بن معاوية الصمادحي فإنه ليس له في هذا الأمر نصيب لأنه مكفوف البصر فقدّمناه فضلى بنا.

قال: قال أبو بكر المالكي: وعن أبي داود العطار صاحب سحنون، قال: سمعت البهلول بن عبيدة يقول: كنت جالسا عند مالك فأتي برجل ملتب فقالوا لمالك: الأمير يُقرئك السلام⁽³⁾ ويقول لك: هذا رجلٌ خنق رجلاً فقتله فقال مالك: اخنقوه كما خنق⁽⁴⁾ حتى يموت فمضوا به فتغيّر وجه مالك وعلته صفرة، وتشوّف إلى نرقاق حتى مرّ رجلاً فسأله: ما فعلوا بالرجل؟ فقال: خنقوه حتى مات. فرأيت الدم يرجع إلى وجه مالك، فقال له ابن كنانة: ما الذي أرابك⁽⁵⁾ يا أبا عبد الله؟ فقال: وما ضننتم؟ أظننتم أنني ندمت في الفثيا؟ قالوا: نعم، فقال: لا، ولكن⁽⁶⁾ تغيرت خوفاً أن يبطل حكم من أحكام الله عز وجل، فلما نفذ حكم الله في الفاعل، زال عني ما كنت فيه.

قال: وتوفي البهلول بن عبيدة سنة أربع وثلاثين ومائتين⁽⁷⁾ رحمه الله تعالى ورَضِي عَنْهُ.

99 - ومنهم أبو زكرياء⁽⁸⁾ يحيى بن الحكم اللخمي⁽⁹⁾:

هكذا قال. وتبعه العواني، وقال المالكي: أبو يحيى زكرياء ابن الحكم هذا هو الصحيح⁽¹⁰⁾. يدل عليه ما يأتي.

(1) في الرياض: «أحشى لله تعالى من عبد الله بن فروخ» 281/1.

(2) زيادة من الرياض 281/1. (3) في الرياض: يقرأ عليك السلام 281/1.

(4) في الرياض: خنقه 281/1. (5) في الرياض: رابك 281/1.

(6) في الرياض: وكنني 281/1.

(7) في البيان المغرب أنه توفي سنة 230 هـ 108/1. ولم يرد سنة وفاته في الرياض، وطبقات أبي نعرب.

(8) في الرياض: يحيى بن زكرياء بن محمد بن الحكم 240/1، وفي الطبقات: زكرياء بن محمد بن الحكم ص: 169.

(9) ترجمته في: رياض النفوس: 240/1 رقم: 95، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 169.

(10) لفظه هذا هو الصحيح. لم ترد في الرياض: 240/1.

قال: قال أبو العرب: كان [ثقة مأموناً]⁽¹⁾ ذكر سليمان بن عمران القاضي: أن زيادة الله بن إبراهيم كان جالساً وعنده أسد بن الفرات، وأبو مُحَرِّز⁽²⁾، وذكر علي بن أحمد بن الحكم فأتى زيادة الله بِجِرَابٍ⁽³⁾ فيه مال ففرغ بين يديه فإذا فيه خَلْجٌ وَأَسْوَرَةٌ⁽⁴⁾ من حُلِي النِّسَاءِ، ودنانير ودراهم فأعطى منه لمن حضر مجلسه فأخذوا غَيْرَ زَكْرِيَاءَ، فإنه لم يأخذ منه شيئاً، ثم قام وانصرف، فلما ولي جعل زيادة الله ينظر إليه وهو يقول: لله دَرُكٌ يا ابن الحكم⁽⁵⁾.

قلت: في نقله بتر، لكون سليمان بن عمران ذكر أنه حضر مع الثلاثة يحيى [ابن سلام]⁽⁶⁾ واعترضه ابن الأجدابي وقال: حُضُورٌ يَحْيَى في هذا المجلس لا يصح لأنه مات سنة مائتين، وولي زيادة الله سنة إحدى ومائتين فكان حقه أن يَذْكَرَ الحِكَايَةَ على ما هي عليه، ويذكر الاعتراض المذكور كما فعل غيره.

100 - ومنهم يزيد بن محمد الجُمحي⁽⁷⁾:

قال: قال أبو العرب: كان ثقة قديم السن كثير الحديث، لقي مالك بن أنس وإبراهيم بن طلحة⁽⁸⁾ المدني وسمع من أبي بكر بن عياش، وجماعة من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام. سمع منه موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي⁽⁹⁾. وركب⁽¹⁰⁾ البَحْرَ من إفريقية يريد غزو المصيصة فخرج عليهم عدو صقلية فاستشهد رحمه الله تعالى. ومن روايته عن أبي الوليد عن مسلم بن زياد قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ تسليماً: «مَنْ نَالَ حِينَ يَصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنَّا أَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ

- (1) في طبقات أبي العرب: كان ثقة رجلاً صالحاً ص: 169.
- (2) في طبقات أبي العرب: يحيى بن سلام ص: 169.
- (3) في طبقات أبي العرب: بجراب فيه مال من قسطلية ص: 169.
- (4) في طبقات أبي العرب: وحلي من حُلِي النِّسَاءِ ودنانير عينا ص: 169.
- (5) انظر طبقات أبي العرب مع اختلاف في اللفظ وبعض الزيادات ص: 169.
- (6) في ت و ط: الغلام. التصويب من: طبقات أبي العرب ص: 169.
- (7) ترجمته في: رياض النفوس: 1/ 239 رقم: 93، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 168.
- (8) في طبقات أبي العرب: محمد ص: 168.
- (9) في طبقات أبي العرب: 168.
- (10) في الرياض: وركب يريد ابن محمد 1/ 239.

إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ فَإِنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ فَإِنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

101 - ومنهم أبو محمد عَوْنُ بنِ يُوْسُفِ الْخُزَاعِيِّ⁽²⁾ :

قال: سمع بإفريقية من البهلول بن راشد، وعبد الله بن عمرو بن غانم، وبمصر من ابن وهب، ومن المفضل بن فضالة.

قلت: في كلامه بتر لزيادة غيره بعد ابن غانم وغيرهما.

قال: وكان فقيهاً صالحاً زاهداً مأموناً.

قلت: في كلامه بتر لقول غيره: «وكان محدثاً».

قال: حدث عنه ابنه يحيى أنه قال: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، فَأَدْرَكْتُ فِيهَا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ مَعْلَمِي ابْنِ وَهْبٍ⁽³⁾. قال أبو العباس بن طالب: وكان عون يقول: لَا يُبَالِي مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَيِّ جَنْبٍ لَقِيَ اللَّهَ. فقال له ولده يحيى: وإن كثرت ذنوبه؟ فقال: نعم. فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ وَتَعَجِبْتُ مِنْهُ فَقَالَ: أَيُّمَا أَكْثَرَ ذُنُوبِ الْخَلَائِقِ أَوْ رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ! وَزَارَ عَوْنٌ مُبْتَلَى فَقَالَ لَهُ عَوْنٌ: وَهَبِ اللَّهُ لَكَ الْعَافِيَةَ، فَقَالَ الْمُبْتَلَى: لَا تَفْعَلْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنْ إِذَا أَصَبْتُ⁽⁴⁾ الْعَافِيَةَ سَكَنْتُ عَرُوقِي وَجَوَارِحِي فَلَمْ أَنْجِ رَبِّي وَإِذَا ضَرَبْتَ عَلِيَّ عَرُوقِي نَاجَيْتُ رَبِّي

(1) أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح حديث (5078) 2/499 من رواية أنس بن مالك بلفظ آخر، وبنفس اللفظ في حديث (5069) لكنه من طريق هشام بن العاز بن ربيعة عن مكحول الدمشقي عن أنس بن مالك وكلا الحديثين ضعفتها الشيخ الألباني في كتاب ضعيف سنن أبي داود ص: 499 و501، وأخرجه أيضاً الترمذي في السنن في كتاب الدعوات، باب 78، حديث (3511) 5/300. وقال: هذا حديث حسن غريب. من طريق مسلم بن زياد. وضعفه أيضاً الألباني في كتاب: ضعيف سنن الترمذي ص: 454.

(2) ترجمته في: رياض النفوس: 1/385 رقم: 128، ترتيب المدارك: 2/627 - 630، طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 188 - 190، الحلل السندسية: 1/807 - 810، شجرة النور الزكية: 1/103 رقم: 122.

(3) في طبقات أبي العرب ص: 188، والرياض: 1/385.

(4) في الرياض: وجدت 1/386.

عَزَّ وَجَلَّ⁽¹⁾. وَكَانَ عُونُ يَبِيعُ الْكَثَّانَ، وَكَانَتْ لَهُ حَبَّةٌ مِنْ شَعِيرٍ، إِذَا أُعْطِيَ جَعَلَهَا مَعَ الْمَثَاقِيلِ، وَإِذَا أَخَذَ جَعَلَهَا مَعَ الدَّرَاهِمِ فَكَانَ يُعْطِي بِزَائِدِ حَبَّةٍ وَيَأْخُذُ بِنَقْصَانِ حَبَّةٍ⁽²⁾.

قلت: أراد بالمشاقيل الأوقاي والأرضال التي يزنُ بها، فإذا باعَ زَادَ الحَبَّةَ مَعَهُ يُعْطِي لِمَشْتَرِي زِيَادَةَ وَزْنِهَا، وَإِذَا أَخَذَ الدَّرَاهِمَ فِي الصَّنَجَةِ كَمَا هُوَ فِي بِلَادِ الْيَوْمِ، جَعَلَهَا مَعَ الدَّرَاهِمِ، وَفِي كَلَامِ الشَّيْخِ إِحْمَدَ، لِأَنَّ مُصَاحِبَ كَلَابِيهِ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الْكَثَّانَ فِي كِبَرِهِ وَنَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ قَبْلَ هَكَذَا نَقَلَ الْمَالِكِي عَنْ أَبِي الْعَرَبِ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِمَنْصِبِهِ وَمَنْصِبِ أَمْثَالِهِ يَصْنَعُونَ هَذَا وَأَمْثَالَهُ فِي الْمَبَادِيءِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ حَالَهُمْ، وَيَكْبُرُ شَأْنَهُمْ.

قال: وقال عون: حضرت ابن وهب وأتاه رجلٌ بكتبه في تيسٍ فقد له في بيتي محمد هذه كُتُبُكَ، فقال له ابن وهب: صَحَّحْتَ وَقَدِّبْتَ؟ قال: نعم، قال: إلهي! فَحَدِّثْ بِنَا [عني]⁽³⁾ فقد أجزتها لك، ثم قال: حضرت ما ليكأ فقد مثل هذا ثم روى أبو عبد الله محمد بن سعدون عن أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه قال: أتت امرأة من العابدات يقال لها: مُونِسة المَسْجُوحِيَّةُ إلى عون بن يوسف وهي تبكي فقد لها: مَا لِكَ يَا ابْنَةَ أَخِي؟ قالت: إني رأيت البَارِحَةَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي بَيْنَ أَشْجَارِهَا وَأَنْهَارِهَا إِذْ سَمِعْتُ جَلْبَةَ شَدِيدَةً فَأَقْبَلَ مَرَكَبٌ مِنَ الْوَصْفَانِ وَالْوَصَائِفِ وَالْحَدَمِ مَا لَا أَقْدِرُ أَحْصِيهِ وَمَعَهُمْ خَمْسَةٌ مِنَ الْخَيْلِ بِسُرُوجِهَا مَكْلَلَةٌ بِأَصْنَافِ الْجَوْهَرِ، مَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُونِ بْنِ يَوْسُفَ ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَمْشِي، فَإِذَا بِجَلْبَةِ أُخْرَى مِثْلَ الْأُولَى وَمَعَهُمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْخَيْلِ عَلَى مِثْلِ حَالِ الْأُولَى، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِسَلِيمَانَ الشَّهِيدِ الَّذِي يُقْتَلُ غَدًا، فَقُلْتُ: هَذَا شَهِيدٌ إِنَّمَا لَهُ ثَلَاثَةٌ أَفْرَاسٍ، وَلِعُونِ خَمْسَةٌ فَقِيلَ لِي: فَضَّلْ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ، فَبَكَى عُونٌ بَكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ يَا ابْنَةَ أَخِي لَوْ أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ دِرْهَمًا لَتَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى شُكْرًا فَلِهَذِهِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ أَقْبَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ يَا عُونُ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ نِلْتَ هَذَا يَا

(1) الكلام بنفس اللفظ في الرياض: 386/1.

(2) الكلام في طبقات أبي العرب ص: 189 مع تغيير يسير في بعض الكلمات، وهو منقول أيضاً في الرياض: 385/1.

(3) ساقط من: الرياض، وطبقات أبي العرب.

(4) انظر: طبقات أبي العرب ص: 189، والرياض: 387/1.

عون؟ فلما كان السماء لعب قَوْمٌ بِالْحِرَابِ مِمَّا يَلِي بَابِ تُونِسَ فَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ، وَكَانَ فِي الْخَشَابِينَ شَابٌ اسْمُهُ سُلَيْمَانٌ مُؤَدَّنٌ مَسْجِدًا، فَخَرَجَ يُؤَدِّنُ لِلصَّلَاةِ فَصَادَفَتْهُ تِلْكَ الْحِرَابُ فَمَاتَ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قلت: فِي قَوِيهِ نَظْرًا، فَقَوْلُ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَمَاتَ شَهِيدًا غَفْلَةً وَليْسَ بِشَهِيدٍ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ فَمَاتَ مَظْلُومًا لِأَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ لَا يُلْعَبَ بِالْحِرَابِ فِي مَوْضِعٍ يَمُرُ فِيهِ النَّاسُ تَقْضَاءَ حَوَائِجِهِمْ لَا سِيَّمَا فِي الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ.

قال: كَانَ مَوْلِدُ عَوْنٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةَ وَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ⁽¹⁾.

قلت: وَقِيلَ: كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَمَا نُقِلَ فِي وَفَاتِهِ هُوَ نُقِلَ ابْنُ الْجَزَارِ وَغَيْرِهِ. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ: كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْلَ وَفَاةِ سَحْنُونَ بِنَحْوِ الْعَامِ⁽²⁾. قَالَ الْعَوَانِي: وَمَاتَ شَهِيدًا وَمَا ذَكَرَهُ لَا أَعْرِفُهُ، لَعَلَّهُ التَّبَسُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِالرَّجُلِ الْمَذْكُورِ فِيهِ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَنْقَلِ الْحِكَايَةُ الْمَذْكُورَةَ.

قال: وَصَلَّى عَلَيْهِ سَحْنُونَ، وَدُفِنَ بِبَابِ نَافِعٍ.

قلت: وَكَانَ عَوْنٌ أَوْصَى ابْنَهُ يَحْيَى أَنْ يَصَلِيَ عَلَيْهِ، وَقَالَ سَحْنُونَ: يَزْعَمُ أَنِي كَذَّابٌ، لَمْ أَسْمَعْ مِنْ ابْنِ وَهْبٍ وَإِنَّمَا أَخَذْتُ عَنْهُ إِجَازَةً فَلَمَّا قَدِمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ تَقَدَّمَ ابْنُهُ يَحْيَى وَقَالَ: إِنَّهُ أَوْصَى أَنْ لَا تَصَلِيَ عَلَيْهِ فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّوْطِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَقَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ⁽³⁾: كَانَ عَوْنٌ وَاللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ وَأَتَقَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

102 - وَمِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ سَحْنُونَ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَبِيبِ التَّوْخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى⁽⁴⁾:

قال: وَاسْمُهُ عَبْدُ السَّلَامِ وَغَلِبَ عَلَيْهِ لِقَبِّ سَحْنُونَ⁽⁵⁾.

(1) فِي طَبَقَاتِ أَبِي الْعَرَبِ: «مَاتَ عَوْنُ بْنُ يَوْسُفَ يَوْمَ الْاِخْتِلافِ يَوْمَ مَضَى مِنْ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ» ص: 188.

(2) فِي طَبَقَاتِ أَبِي الْعَرَبِ ص: 188.

(3) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحِ بْنِ يَزِيدِ الْقُرْظِيِّ تَوَفَّى سَنَةَ 286 هـ. تَرَجَمَ لَهُ فِي جَدْوَةِ الْمُتَبَسِّصِ ص: 83 - 84 رَقْمٌ 152، وَبَغِيَّةِ الْمُلْتَمَسِ ص: 115 رَقْمٌ 291.

(4) تَرَحَّمَتْهُ فِي «رِيَاضِ النَّفُوسِ» 1/ 345 رَقْمٌ 126، طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ إِفْرِيقِيَّةِ ص: 184، تَارِيخُ قِضَاةِ الْأَنْدَلُسِ ص: 28 - 30، الدِّيْبَاغِ الْمَذْهَبِ ص: 263 - 268، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ لِابْنِ حَكَّانٍ 3/ 180 - 182 رَقْمٌ 382، تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ 2/ 585 - 626، شَذْرَاتِ الذَّهَبِ 2/ 94، شَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ 1/ 103 - 104 رَقْمٌ 124، الْفِكْرُ السَّامِيُّ 2/ 117 - 118.

(5) الرِّيَاضُ 1/ 345.

قلت: «قال عياض: سَمِعْتُ بعض مشايخ أهل الحديث يذكر عن بعض شيوخ إفريقية، أنه سُمِّيَ سَخُونًا باسم طائرٍ حَدِيدِ النَّظْرِ، لِحَدَّثِهِ فِي الْمَسَائِلِ»⁽¹⁾. وأصله شامي من حِمَص، وقَدِمَ أبوه سعيد في جُنْدِ حِمَص⁽²⁾ قال محمد ابنه قلت له: يَا أبتِ أَنَحْنُ قَبِيلَةٌ مِنْ تَنُوخٍ؟ فقال لي: وما يحتاج إلى ذلك، فلم أزل به حتى قال لي: نعم. وما يعني عنك ذلك من اللّهِ شَيْئًا إِنْ لَمْ تَتَّقِهِ.

قال: سمع بإفريقية من علي بن زياد، والعباس بن أشرس، وبُهلول بن راشد، وعبد الله بن غانم، ومعاوية الصُّمَادِحِي، ثم رَحَلَ إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة فَسَمِعَ بمصر من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وابن عبد الحكم، وشعيب بن اللَّيْث، ويوسف بن عمر⁽³⁾، وسمع بالمدينة من عبد الله بن عبد الله بن نافع، ومعن بن عيسى، وأنس بن عياض، وابن الماجشون⁽⁴⁾، والمغيرة بن عبد الرحمن، ومطرف⁽⁵⁾ وغيرهم. وسمع بالشام من الوليد بن مسلم، وأيوب بن سويد، وسمع بمكة من سُفْيَانِ بن عُيَيْنَةَ، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، وحفص بن غياث، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سليمان، وأبي داود الطيالسي، وأبي إسحاق⁽⁶⁾ الأزرق. وحج مع ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، في مَرَّةٍ واحدة وكان زميل ابن وهب على راحلته، ثم قدم إلى القَيْرَوَان سنة إحدى وتسعين⁽⁷⁾ ومائة، فأظهر علم أهل المدينة بالمغرب، وكان أول من أظهره.

قلت: ما ذكر من كونه رحل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة⁽⁸⁾. هو نقلُ أبي العرب وابن حارث وقال ابنه: خرج إلى مصر أول سنة ثمان وسبعين ومائة في حياة مالك. ومات مالك وسحنون ابن ثمانية عشر عاماً أو تسعة عشر. وكانت رحلته إلى علي بن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير إلى مالك، قال سحنون: كنت

(1) 586 / 2 (2) في طبقات أبي العرب ص: 184.

(3) في الرياض: عمرو.

(4) واسمه: عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون توفي سنة 212 هـ. ترجم له في ميزان الاعتدال 372 / 3 - 373، الديباج المذهب ص: 251 - 252.

(5) مطرف بن عبد الله. (6) في الرياض: أبي إسماعيل 348 / 1.

(7) في طبقات أبي العرب: «وكان قدومه إفريقية سنة إحدى وتسعين ومائة» ص: 185.

(8) في طبقات أبي العرب: «وكان خروجه في طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة» ص: 185.

عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه فقيل لي: ما يمنعك من السَّماع منه؟ قال: قلّة الدراهم. وقال مرة أخرى: أبهى⁽¹⁾ الله الفقرَ فلولا له لأدركتُ مالكَ، قال عياض: فإن صَحَّ هَذَا فله رحلتان وَإِنْ لَأَ، فما قاله ابنه أصح، فإنه سَمِعَ ممن مات قبل ثمان وثمانين من المدنيين، كابن نافع توفي سنة ست ومائتين.

قلت: وما ذكر من أنه أول من أظهر علم أهل المدينة لا يقال فيه نظر، لسبقية علي بن زياد بذلك، والبُهلول بن راشد وغيرهم لما يذكر بعد.

قال: ولما ارتحل لعلي المذكور كَتَبَ البُهلول بن راشد لعلي بن زياد: إن سحنون بن سعيد ممن يطلب العلم لله عزّ وجل، فكان علي يسير إلى منزل سحنون حيث كان نازلاً فَيَسْمَعُهُ فيه ويقول: إن أخي البُهلول كتب إليّ فيه؛ إنّه إنما يطلب العلم لله عزّ وجل.

قلت: وذكر سحنون له مسائل اختلف فيها هو والبُهلول وبسطها له، فقال له: الصّوابُ معك واكتب له بذلك عني.

ذكرُ ثناء العلماءِ عليه

قال: كان سَحْنُونٌ قد اجتمعت فيه خِصَالٌ قَلَّ ما اجتمعت في غيره، منها الفقه البارع، والوَرَعُ الصّادِقُ، والصّرامَةُ في الحق، والرُّهْدُ⁽²⁾ في الدنيا، والتَّخَشُّنُ في الملبس والمطعم، والسماحة. ولا يقبل مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً، سُلْطَاناً كان أو غيره، ولا يَهَابُ سُلْطَاناً في حق يقوله، سَأَلِمَ الصّدرِ للمؤمنين شديداً على أهل البدع، إنتشرت إمامته، وأجمع أهل عصره على تقدمه وفضله⁽³⁾.

قلت: ما ذكره من قوله كان سحنون إلى قوله أو غيره، هو قول محمد بن أحمد بن تميم في كتابه. وقال أبو بكر المالكي: وكان مع هذا رقيق القلب، غزير الدمعة، ظاهر الخشوع، متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق، حسن الأدب وذكر ما تقدم من كونه لا يهابُ سُلْطَاناً إلى آخر ما ذكر، وسُئِلَ أشهب مَنْ قَدِمَ إليكم من المغرب؟ قال: سَحْنُونٌ قيل له: فأسد؟ قال سحنون: والله أفقه منه بتسعة وتسعين مرة. وقال أشهب: ما قدم إلينا من المغرب مثله. وقال ابن القاسم لابن راشد: قُلْ

(2) في الرياض: الزهادة 1/ 345.

(1) أبهى: بمعنى قطع.

(3) نظر الرياض: 1/ 345 - 346.

لِصَاحِبِكَ يَعْنِي سَخْنُونًا يَقْعُدُ فَالْعِلْمُ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْجِهَادِ، وَأَكْثَرُ ثَوَابًا وَيُعْطَى هَذَا الْخَيْلَ الَّتِي قَدِمَ بِهَا لِمَنْ هُوَ فِي مِثْلِ حَالِهِ، فَمَا قَدِمَ إِلَيْنَا مِنْ إِفْرِيْقِيَّةٍ مِثْلَ سَخْنُونِ وَابْنِ غَانِمٍ، وَقَالَ حَمْدِيْسٌ: رَأَيْتُ أَبَا مُضْعَبٍ بِالْمَدِيْنَةِ وَغَيْرِهِ وَبِمَصْرٍ أَصْحَابُ ابْنِ الْقَاسِمِ، وَبِمَكَّةَ [عِلْمًا وَعَمَلًا]⁽¹⁾ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِمْ مِثْلَ سَخْنُونٍ وَلَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ بَعْدَهُ⁽²⁾. وَقَالَ عَمْرُ⁽³⁾ بِنِ يَزِيْدٍ أَوَّلُ مَا تَعَلَّمْتُ [مِنَ الْعِلْمِ]⁽⁴⁾ مَسَائِلَ الصَّلَاةِ مِنْ سَخْنُونٍ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنْ سَخْنُونٌ أَفْقَهُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ كُلِّهِمْ⁽⁵⁾ إِنْ لِي صَادِقٌ. وَقَالَ يُونُسُ بِنِ عَبْدِ الْأَعْلَى: هُوَ سَيِّدُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ فَقَالَ لَهُ حَمْدِيْسٌ الْقَطَانُ: أَوْلَمْ يَكُنْ سَيِّدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ قَالَ: قَدْ كَانَ رَجُلًا نَبِيْلًا خَيْرًا فَاضِلًا مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنُهُ فَائِئِي عَلَيْهِ بِخَيْرٍ. وَقَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: كَانَ سَخْنُونٌ يَرْوِي تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ سَمَاعًا وَمَا رَأَيْتُ فِي الْفِقْهِ مِثْلَ سَخْنُونٍ فِي الْمَشْرِقِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بِنِ حَارِثٍ: كَانَتْ إِفْرِيْقِيَّةً قَبْلَ رِحْلَةِ سَخْنُونٍ قَدْ عَمَرَتْ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ لِأَنَّهُ رَحَلَ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِيْنَ رَجُلًا كُلِّهِمْ لَقِيَّ مَالِكُ بِنِ أَنْسٍ، وَإِنْ كَانَتْ الْفُتْيَا وَالْفِقْهُ فِي الْقَلِيلِ مِنْهُمْ كَمَا أَنَّ ذَلِكَ فِي عُلَمَاءِ سَائِرِ الْبِلَادِ، ثُمَّ قَدِمَ سَخْنُونٌ بِذَلِكَ الْمَذْهَبِ وَجَمَعَ مَعَ ذَلِكَ فَضَلَ الدِّيْنَ، وَالْعَقْلَ وَالْوَرَعَ وَالْعِفَافَ وَالْإِنْقِبَاضَ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ، فَمَالَتْ إِلَيْهِ الْوَجُوهُ وَأَحْبَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَصَارَ زَمَانُهُ كَأَنَّهُ مَبْتَدَأٌ وَقَدْ مَحَا مَا قَبْلَهُ، فَكَانَ سِرَاجَ الْقَيْرَوَانَ وَابْنَهُ أَكْثَرَهُمْ تَأْلِيْفًا وَابْنَ عَبْدِوَسٍ فُقِيْهِهَا، وَابْنَ غَانِمٍ عَاقِلَهَا وَجِبْلَةَ بِنِ حَمُودٍ زَاهِدَهَا، وَحَمْدِيْسٍ أَصْلَهُمْ فِي السَّنَةِ، وَأَغْيَرَهُمْ لِلْبِدْعَةِ وَسَعِيدُ بِنِ الْحَدَادِ لِسَانَهَا وَفَصِيْحَهَا، وَابْنَ مَسْكِيْنَ أَرْوَاهُمْ لِلْكَتْبِ وَالْحَدِيثِ وَأَشْدَهُمْ وَقَارًا وَتَصَاوُنًا، كُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَقْصُورَةٌ عَلَيَّ وَقَتَّهُمْ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بِنِ سَخْنُونٍ: لَمَّا عَزَمْتُ عَلَيَّ الْحَجَّ قَالَ لِي أَبِي: يَا بِنِي إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَيَّ طَرَابِلِسَ وَفِيهَا رِجَالٌ مَدَنِيُّونَ وَمَصْرِيُّونَ، وَعَلَيَّ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةَ، [فَاجْتَهِدْ مَجْهُودَكَ]⁽⁶⁾ فَإِنْ قَدِمْتَ عَلَيَّ بِلَفْظَةٍ خَرَجْتَ مِنْ دِمَاقِ مَالِكِ بِنِ أَنْسٍ لَيْسَ عِنْدَ شَيْخِكَ أَصْلُهَا فَاعْلَمْ أَنَّ شَيْخَكَ كَانَ مُفْرِطًا⁽⁷⁾. وَقَالَ

(1) فِي الرِّيَاضِ: عِلْمَاءٌ وَعِلْمَاءُ 352/1. (2) انْظُرِ الرِّيَاضِ: 352/1.
(3) فِي الرِّيَاضِ: عَمْرُو 352/1.
(4) زِيَادَةُ مِنَ الرِّيَاضِ 352/1 - 353.
(5) فِي الرِّيَاضِ: مَعْلَمِيهِ كُلِّهِمْ 353/1.
(6) فِي ط: فَاجْتَهِدْ جَهْدِي. التَّصْوِيْبُ مِنَ الرِّيَاضِ 354/1.
(7) الرِّيَاضِ: 354/1.

سالم بن سالم في مجالسه: دخلت مِصْرَ ورأيتُ العلماء فيها مُتَوَافِرِينَ، والمدينة ومكة وبها ثلاثة عشر محرّاباً، فما رأيتُ فيهم مثل سَحْنُونِ وابنه بعده. وقال عيسى بن مسكين: «سحنون راهب هذه الأمة، ولم يكن بين مالك وسحنون أفقه من سحنون»⁽¹⁾. وقال القابسي: يشق علي مخالفة مالك وسحنون ولا أقدر على مخالفتهما، وأهاب ذلك هيبة عظيمة. وقال أبو سعيد بن الحداد: سألت المتكلمين فما رأيت فيهم أصح غريزة من سحنون، وكان وَقُوراً مُهَاباً، وقال بعضهم: دخلت على المنوك وكلمتهم فما رأيت أهيب في قلبي من سحنون. وقال عبد الرحمن الزاهد: لما خرج أمد إلى العراق، شاورته فيمن أقصد بعده أسمع منه قال لي: عليك بهذا الشيخ فما أعرف أحداً يشبهه. وقال غيره: كان كلامه لله، وصمته لله إذا أعجبه الكلام صمت، وإذا أعجب الصمت تكلم.

ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه

قال: راوذة الأمير أبو العباس أحمد بن الأغلب حولاً كاملاً على أن يؤتية القضاء فآبى عليه، فعزم عليه بالإيمان التي لا مخرج منها فلما رأى ذلك سَحْنُونِ شرط على الأمير شروطاً كثيرة فأعضاه كل ما سأل، وأطلق يده في كل ما دَعَاهُ إليه حتى قال له: إني أبدأ بأهل بيتك وقربائك وأعوائك فإن قبلكم ظلمات للناس منذ زمان طويل، فقال له الأمير: نعم لا تبتدي إلا بهم وأجر الحق على مفرق رأسي فتوى القضاء بهذه الشروط، ولما رأى أن ليس أحد يستحق هذا الأمر، وأنه لا يسعه إلا لقبول، فتوى القضاء في رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين، وأقام قاضياً ستة أعواد، ثم يأخذ على ذلك.

قلت: وكان سنة يوم تقديمه أربعاً وسبعين سنة، ولم يزل قاضياً إلى أن مات. قال أبو العراب: لما سمع بعزل ابن أبي الجواد قال: اللّهُمَّ وَلِّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرَهُ وَأَعْدِلْهَا⁽²⁾، فكان هو الذي وُلِّيَ بَعْدَهُ. وذكر عريف الكاتب في تاريخه أن سَحْنُونِ مَرَّ يَوْمًا بِابْنِ أَبِي الْجَوَادِ فَرَأَى مِنْهُ ظَنَمًا، فَقَالَ: اللّهُمَّ لَا تُمِثَّنِي حَتَّى أَرَاهُ بَيْنَ يَدَيَّ قَاضِيًا عَدْلًا يَحْكُمُ فِيهِ بِالْعَدْلِ، فَعَزَلَ، وَوُلِّيَ سَحْنُونِ. ولما أراد محمد بن لأغلب أن يؤتى سحنون جمع الفقهاء لمشورة فأشار سحنون بسليمان بن عمران،

(1) ترمذ: 353.

(2) لم يرد هذا الكلام في طبقات أبي العراب.

وأشار سليمان بسحنون وأشار غيرهما بسليمان فأدخِلُوا فُرَادَى فقالوا كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء إذ ذاك على رأي الكوفيين. وكان سليمان يرى رأيهم. وقال سليمان: ما ظننت أنه يشاورني في سحنون حَجَجْتُ فرأيتُ أهل مصر يتمنون أن يَكُونَ بين أظهرهم وَمَا يَسْتَحِقُّ أَحَدُ الْقَضَاءِ وَسَخْنُونٌ حَيٌّ. وقال سليمان بن سالم: لما قَدَّمَ سحنون سَارَ حتى دَخَلَ على ابنته خديجة، وكانت مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فقال لها: اليوم ذُبِحَ أبوكِ بغير سكين، فعلم الناس أنه قبل القضاء، إذ كان كئيبَ الوَجْهِ مَا يَتَجَرَّأُ أَحَدٌ على كَلَامِهِ لهيبته. وجاءه عون بن يوسف، فقال له: نُهَنِّكَ أَوْ نُعَزِّيكَ؟ ثم سَكَتَ فقال: بلغني أنه مَنْ أَتَاهُ بغير مَسْأَلَةٍ أُعِينَ عليه، وَمَنْ أَتَاهُ عن مَسْأَلَةٍ لَمْ يُعَنْ عليه. وكتب إليه عبد الرحيم بن عبد رَبِّهِ الرَّبْعِيُّ الزَّاهِدُ: أما بعد فَإِنَّكَ كنت تنظر للناس في مَصَالِحِ أَخْرَاهُمْ فَصِرْتَ تَنْظُرُ في مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ فأبي الحاليتين أفضل والسلام. فكتب إليه سحنون: أما بعد فَإِنْ كِتَابَكَ جَاءَنِي وفهمتُ ما ذَكَرْتَ، وَإِنِّي أُجِيبُكَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ عليه توكلت وإليه أنيب، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ من أَنِي كُنْتُ أَنْظُرُ للناسِ في مَصَالِحِ أَخْرَاهُمْ، فَصِرْتُ أَنْظُرُ في مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ فاعلم أَنَّهُ لَا تَصْلُحُ للناسِ أَخْرَاهُمْ حتى تصلح لهم دُنْيَاهُمْ، آخِذٌ لِضَعِيفِهِمْ من قَوِيَّهِمْ، ومن ظالمهم لمظلومهم، وأنا لم أزل مُبْتَلَى يُنْفَذُ قولي منذ أربعين سنة في الفُتْيَا، فَأَنَا منذُ أربعين عاماً قَاضِياً، لأن قول المفتي يمضي في أشعارِ المُسْلِمِينَ وأبشارهم، ومع هذا فَإِنِّي قد ابتليتُ فقدمت جبراً، فألزم نفسك بالدعاء لي والسلام. وكان لا يحكم في الحِسْبَةِ وإنما قَدَّمَ عليها أمناء، وأول من نظر فيها هو إذ كانت قبلُ للأمرءِ دون القُضَاةِ، وأول القُضَاةِ، فَرَّقَ أهل البدع من الجامع، وكانوا فيه جِلْقاً من الصفرية، والإباضية، والمعتزلة، وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره وأطافهم، وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة.

[أول من جعل بالجامع إماماً للصلاة وكان الأمرء هم الأئمة]

وهو أوَّل مَنْ جَعَلَ في الجامع إماماً يُصَلِّي بالناسِ إذ كان لِلأمرءِ وَأوَّل مَنْ جَعَلَ الودائع عند الأمناء وكانت قبل في بيوت القُضَاةِ وكان يجلس في بيت في الجامع بناه لنفسه إذ رأى كثرة الناس وكثرة كلامهم، فَكَانَ لا يحضر عنده غير الخُصَمَاءِ وَمَنْ يشهد بينهما، وكانت قُضَاةُ المالكية يحكمون فيها بَعْدَهُ، وإذا ولي عراقي هدمها، وإذا وُلِّي مدني بناها. وَأَمَّا مَا جرى له مع ابن أبي الجواد وضربه له

حتى مات، فقد ذكرته في كتاب المديان في ما وضعته على تهذيب البراذعي، فانظره هناك. وإن كان هذا الموضوع أمس به. وحكى ابن اللباد أن رجلاً حلف بالطلاق وهو يختصم مع صاحبه في حائط بينهما، فأمر سحنون بضربه في قفاه، وعبر عن هذا شيخنا أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني بأن سحنوناً هو أول من ضرب في القفا بإفريقية وليس في هذا الكلام ما يدل عليه.

قال: وحكي عن سعيد بن محمد ابن الحداد أنه قال: كنت يوماً عند سحنون إذ جاءه غلام الأمير محمد بن الأغلب فسلم على سحنون وقال له: يقول لك الأمير: أردد النسوة على حاتم فإتهن إماء له. قال سحنون: فإن كن إماء فمثل حاتم لا يؤمن على الفروج فانصرف الغلام راجعاً ثم أقبل بوجه غير الذي أقبل به أولاً فقال لسحنون يقول لك الأمير: إنك تعدت عليه، أزدذهن عليه كما أمرتك. فقال له سحنون: قل له: أنت الذي تعدت والله لا رددتهن عليه حتى يفرق بين رأسي وجسدي. فانصرف الخادم وأقبل محمد بن سحنون على أبيه وقال له: لا تفعل يا سيدي اكتب إليه والطف فدعى بدواة وقرطاس، وكان جالساً بالأرض وابنه محمد مشرفاً على متعبده، فكان سحنون يكتب وابنه محمد ينظر ما يكتب ويقول لأبيه: دون هذا، دون هذا، حتى فرغ سحنون من كتابه، ثم طبعه وأرسله مع حاجبه إلى الأمير، إلى قصر حمص، فأخذه الأمير وضرب به وقال: والله لا أدري هذا علينا أم نحن عليه وأسود وجهه وكان له جمال، فركب دابته وانصرف لعسكره راجعاً إلى القصر القديم، فأقام من ذلك الوقت إلى وقت العصر لم يدخل عليه أحد، ثم أذن بعد ذلك لأصحابه ووزرائه بالدخول وقال لهم: إني لأظن هذا الرجل يريد بنا خيراً ونحن لا ندري، أرسلوا إليه يرسل فحسبته، ويكتب لهم سجلات إلى أقصى عملي، يأخذوا من وجدوا من الحرائر، فأرسل سحنون أصحابه يأخذون السجلات فخرجوا وردوا من وجدوا.

قلت: أصل القصة أن سحنوناً رحمه الله تعالى كان جالساً على باب داره إذ مر به حاتم ومعه سبي من سبي تونس. فقال سحنون لأصحابه: قوموا فأتوا بهم. فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم، وهرب حاتم على بردونه، وخرق ثيابه ودخل على الأمير فشكى إليه، فأرسل إليه كما تقدم، وقال للرسول: قل للأمير جعل الله حاتماً شفيحك يوم القيامة. وأقسم عليه ليلغن له ذلك. ثم قال سحنون: هذا الأسود يعني

حَاتِمًا يَمْضِي هَكَذَا، فَأَمَرَ بِسِجْنِهِ وَطَرِحَتْ عَمَامَتُهُ فِي عُنُقِهِ وَحُمِلَ إِلَى الْحَبْسِ فَلَحِقَهُ مُعْتَبٌ⁽¹⁾ وَقَالَ: يَا حَاتِمَ لَا تُلْقِيَنَّ الشَّرَّ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَالْقَاضِي. وَأَعْطَاهُ مُعْتَبٌ مِنْ عِنْدِهِ تِسْعَةَ دنانير، فخرى حاتم عن السبي وأخبر مُعْتَبٌ سَحْنُونًا بِذَلِكَ فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ حَاتِمٍ مِنَ السِّجْنِ.

قال: وَرَوَى أَبُو الْعَرَبِ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَمْرِو قَالَ: أَتَى زُوكَايَ بْنَ زُرَيْخٍ مِنْ بَعْضِ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بِإِفْرِيقِيَّةِ بَعْدَ حَرَائِرِ؛ فَأَخْبَرَ سَحْنُونُ أَنَّ زُوكَايَ أَدْخَلَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ سَبِي الْجَزِيرَةِ قُرَيْشِيَّاتٍ وَعَرَبِيَّاتٍ، فَأَرْسَلَ سَحْنُونُ إِلَى جَمِيعِ النَّوَاجِي وَالْأَقْطَارِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَلْفُ رَجُلٍ فَقَالَ: تَخَيَّرُوا لِي مِنْ أَحْدَاثِكُمْ مِائَتِي شَابٍ أُرِيدُهُمْ لِأَمْرٍ يَأْجُرُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ. فَاخْتَارُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَلَمَّا صَلَّى الْعِشَاءَ أَمَرَهُمْ فَقَالَ: امْضُوا إِلَى دَارِ زُوكَايَ بْنِ زُرَيْخٍ فَقُولُوا: الْقَاضِي يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: اخْرُجْ إِلَيَّ الْقُرَيْشِيَّاتِ اللَّوَاتِي سَبَيْتَ مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ سَبِيلًا إِلَى غَلْقِ الْبَابِ، فَإِنَّهُ إِنْ أَغْلَقَهُ لَبَسَ سِلَاحَهُ وَلَا آمَنَ أَنْ تُهْرَاقَ الدِّمَاءُ فَاشْغَلُوهُ حَتَّى يَلْجَأَ الدَّارَ وَيَتَقَدَّمَ مِنْ مَشَايِخِكُمْ مِثْلَ السَّبْعَةِ يُنَادُونَ أَيَّنَ الْمَسْبِيَّاتِ لِيُخْرِجَنَّ بِأَمْرِ الْقَاضِي فَإِذَا خَرَجْنَ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِنَّ تَرَكْتُمْ زُوكَايَ وَسَبِيلَهُ فَلَمَّا خَرَجَ لَهُمْ زُوكَايَ قَالَ لَهُمْ: خَدَمِي أَخَذْتُهُنَّ بِسَيْفِي فَقَبَضُوا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ الشُّهُودُ فَأَخْرَجُوا الْمَسْبِيَّاتِ وَتَرَكَوا زُوكَايَ وَأَدْخَلُوا النِّسَاءَ دَارَ سَحْنُونِ، فَركبَ زُوكَايَ إِلَى الْقَصْرِ، فَوَافَقَ الْأَبْوَابَ قَدْ غَلَقَتْ، فَبَاتَ عَلَى الْمِيدَانِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اسْتَأْذَنَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَمِيرِ وَشَقَّ ثِيَابَهُ فَقَالَ مَالِكٌ: وَيْحَكَ، فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَ إِلَى سَحْنُونِ أَصْرَفَ إِلَيْهِ خَدَمَهُ اللَّوَاتِي أَخَذَتْ. فَقَالَ سَحْنُونُ لِلرَّسُولِ: بَلِّغِ الْأَمِيرَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَخْرَجْتُهُنَّ مِنْ دَارِي حَتَّى يَعْزِلَنِي وَيَعْلَمَ اللَّهُ أَنِّي لَا نَظَرَ لِي وَلَا قِضَاءَ عَلَى رَجُلَيْنِ. ثُمَّ دَعَى ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ سَجْلَهُ، فَحَمَلَهُ مَعَ الْفَتَى، وَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ: جَعَلَ اللَّهُ زُوكَايَ شَفِيعَكَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَانصَرَفَ الْفَتَى إِلَى الْأَمِيرِ فَأَعْلَمَهُ بِيَمِينِ سَحْنُونِ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ مُحَمَّدًا بِالْبَابِ بِالسَّجْلِ، وَقَالَ: قَدْ اسْتُخْلِفْتُ أَنْ أُؤَدِّيَ إِلَيْكَ مَا أُجِلُّ الْأَمِيرَ عَنْهُ قَالَ: قُلْ وَلَا حَرَجَ. قَالَ يَقُولُ لَكَ: جَعَلَ اللَّهُ زُوكَايَ شَفِيعَكَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَانكسَ الْأَمِيرُ رَأْسَهُ وَقَالَ: يَدْخُلُ إِلَيْنَا مُحَمَّدٌ وَلَدُ الْقَاضِي فَقَالَ: مَا يَقُولُ الشَّيْخُ وَالذِّكْرُ؟ قَالَ: يَطْلُبُ اللَّهُ فِي أَنْ يُعْفِيَهُ الْأَمِيرُ مِنَ الْقِضَاءِ وَهَذَا سَجْلُهُ بَعَثَ بِهِ لِتَوَلِّيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ تَرَاهُ. فَقَالَ

(1) هُوَ مُعْتَبٌ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ تُوْفِيَ سَنَةَ 277 هـ. انظر ترجمته رقم 127 من كتاب معالم الإيمان.

الأمير: اقرأ على الشيخ السلام وقل له: جَزَاكَ اللَّهُ عَن نَّفْسِكَ وَعَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فقد أَحْسَنْتَ أولاً وَاخِرًا، وقمت بما يجب عليك، امض على أَحْسَنِ نَظْرِكَ إن شاء الله، فأنصرت محمد إلى أبيه فشكر الله على ما وَفَّقَهُ، واجتمع إليه وجوه أهل القيروان فشكروا له سَعْيَهُ فقال لهم سحنون: تقدموا إلى باب الأمير فاشكروه فأدخلهم أبو العباس ووقع ذلك بالموافقة. وَرَوَى أَن مُحَمَّدَ بْنَ سَحْنُونَ وَقَفَ عَلَى مَنْبَرِ أَبِيهِ وَقَالَ: اشهد على صاحب هذا المنبر أني سمعته يقول: إنه لتخف علينا مؤنة من لا يصل إلينا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِينَا.

ذكر محنته رحمه الله تعالى

قال غير واحد من العلماء بالأثر: كان سحنون قد حضر جنازة وهب، وكان أحد من الرضاغة فتقدم ابن أبي الجواد الذي كان قاضياً قبله، وكان يذهب إلى رأي الكوفيين ويقول بالمخلوق فصلى عليها فرجع سحنون ولم يصل خلفه فبلغ ذلك الأمير زيادة الله، فأمر أن يوجه إلى عامل القيروان، يضرب سحنوناً خمسمائة سوطاً، ويحلق رأسه ولحيته، فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد فأمر الوزير أن يتوقف، وتلطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة، وقد نام فقال له: ما شيء بلغني في كذا، قال: نعم، قال: لا تفعل، فإن الغير إنما هلك بضربه لبهلول بن راشد فقال: وهذا مثل بهلول قال: نعم وقد حبست البريد شفقة على الأمير، فشكره ولم ينقذ أمره، وبينما سحنون يُقْرَى النَّاسُ إِذْ أَتَاهُ الْخَبْرُ بِمَا أَرَاخَ اللَّهُ مِنْهُ، وقيل له لو ذهبت إلى علي بن حميد فشكرته، قال: لا أفعل، قيل له: لو وجهت ابنك لذلك، فأبى، قال: ولنكني أحمد الله الذي حرّك ابن حميد لهذا فهو أولى بالشكر وأقبل على إسماعيل، فقال له قوم من أصحابه: لهذا كتب والله اسمك بالحبر على الرقوق. قال ابن وضاح: كنت عند سحنون فجاءه إنسان فسأره شيئاً، فتغير لونه، ثم جاءه آخر فسأره فرجعت إليه نفسه ثم قال: لم أبلغ أنا مبلغ من ضرب، إنما يضرب مثل مالك وابن المسيب. ولما ولي أحمد بن الأغلب الإمارة وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن، وخطب بالقيروان توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد فأراه فكان عنده، فوجه من طلبه إلى هنالك رجلاً يقال له: ابن سلطان كان مبغضاً في سحنون بغضاً عظيماً اختاره لذلك في خيل وجهها معه، فلما وصل إلى سحنون قال ابن سلطان: وجهني الأمير إليك، وقصدي ليُبغضني فيك لأبلغ منك، وقد حالت نيتي عن ذلك،

وَأَنْ أَبْذُلَ دَمِي دُونَ دَمِكَ، فَازْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْبِلَادِ، أَوْ أَقِمْ فَأَنَا مَعَكَ. فَشَكَرَهُ سَحْنُونٌ وَقَالَ: مَا كُنْتُ أُعَرِّضُكَ لِهَذَا، بَلْ أَذْهَبُ مَعَكَ فَخَرَجَ وَشَيَّعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ لِلرَّسُولِ: قُلْ لِلْأَمِيرِ أَوْحَشْتَنَا مِنْ صَاحِبِنَا وَأَخِينَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَلَبَكَ اللَّهُ مَا أَنْتَ فِيهِ وَأَوْحَشَكَ. وَفِي رِوَايَةٍ عَارِضْتَنِي فِي ضَيْفِي فَوَاللَّهِ لِأَعْرِضَنَّكَ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا وَصَلَ الْأَمِيرُ جَمَعَ لَهُ قُودَاهُ وَقَاضِيَهُ ابْنَ أَبِي الْجَوَادِ وَغَيْرَهُ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ سَحْنُونُ: أَمَا شَيْءٌ أَبْتَدِيهِ مِنْ نَفْسِي فَلَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مَنْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ وَأَخَذْتُ عَنْهُ، كُلُّهُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْجَوَادِ: كَفَرَ أَقْتَلُهُ وَدَمُهُ فِي عُنُقِي، وَقَالَ غَيْرُهُ مِثْلَهُ مِمَّنْ يَرَى رَأْيَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَقْطَعُ أَرْبَاعاً وَيَجْعَلُ كُلَّ رِبْعٍ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَيُقَالُ: هَذَا جِزَاءٌ مَنْ لَمْ يَقِلْ بِكَذَا. فَقَالَ الْأَمِيرُ لِدَاوُدَ بْنِ حَمْزَةَ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟ قَالَ: قَتَلْتُهُ بِالسَّيْفِ رَاحَةً. وَيُقَالُ: قَائِلٌ هَذَا عَلِيُّ بْنُ حُمَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَضْرَمِيِّ، وَرِجَالُ السَّنَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَلَكِنْ الْحَيَاةُ تَأْخُذُ عَلَيْهِ الضَّمْنَاءَ، وَيُنَادِي عَلَيْهِ بِسَمَاطِ الْقَيْرَوَانَ أَنْ لَا يُفْتِي وَلَا يَسْمَعُ أَحَدًا وَيَلْزِمُ دَارَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَخَذَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ خُمَلَاءَ وَيُقَالُ: إِنْ ابْنُ أَبِي الْجَوَادِ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِأَخْذِ الْخُمَلَاءِ عَلَيْهِ. قَالَ سَهْلٌ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَعِيَ دِرَاهِمٌ أَشْتَرِي بِهَا ثِيَابِي مِنَ الْحَرَسِ أَنْ أَخْذُونِي فَعَاْفَانِي اللَّهُ فَقُلْتُ: الْبِدْعَةُ فَاشِيَةٌ وَأَهْلُهَا أَعْزَاءٌ. فَقَالَ لِي: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ قَطَعَ بَدْعَةً أَظْهَرَهَا؟ وَمَا كَانَ إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا وَمَاتَ الْأَمِيرُ. هَذَا نَقْلُ الْأَكْثَرِ. وَقَالَ الْمَازَرِيُّ فِي شَرْحِ الْجَوْزِقِيِّ: لَمَّا انْصَرَفَ الْحَاجِبُ بِسَحْنُونٍ وَمَشَّوْا بِهِ وَبَقِيَ بَيْنَهُ وَبِي الْقَيْرَوَانَ قَدْرُ الْمَيْلِ، وَإِذَا بِصَوْتِ كَصَوْتِ الْغُرَانِيْقِ هَوْلَ الْخَيْلِ إِنَّهُ يَخْبِرُكُمْ أَنَّ أَمِيرَكُمْ قَدْ مَاتَ. قَالَ سَحْنُونُ: فَدَخَلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ سَالِمًا.

ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَخْبَارِهِ

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: أَجْرًا النَّاسَ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلَهُمْ عِلْمًا، يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ بَابٌ وَاحِدٌ مِنَ الْعِلْمِ يَظُنُّ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ فِيهِ. وَكَانَ يَقُولُ إِنِّي لِأَسْأَلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَأَعْرِفُ فِي أَيِّ كِتَابٍ وَوَرَقَةٍ وَصَفْحَةٍ وَسَنْطَرٍ فَمَا يَمْنَعُنِي عَنِ الْجَوَابِ فِيهَا إِلَّا كِرَاهَةُ الْجَرَاءَةِ عَلَى الْفُتْيَا، وَكَانَ يَقُولُ: «سُرْعَةُ الْجَوَابِ بِالصَّوَابِ أَشَدُّ فِتْنَةً مِنَ فِتْنَةِ الْمَالِ» وَكَانَ يَقُولُ: مَا أَقْبَحَ الْعَالِمِ يُؤْتَى إِلَى مَجْلِسِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ فَيُسْأَلُ عَنْهُ فَيُقَالُ: هُوَ عِنْدَ الْأَمِيرِ، هُوَ عِنْدَ الْوَزِيرِ، هُوَ عِنْدَ الْقَاضِيِ، فَإِنْ هَذَا وَشَبَّهَهُ شَرٌّ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي

إسرائيل بلغني أنهم كانوا يحدثونهم من الرخص ما يحبون مما ليس عليه العمل وفيه النجاة لهم كراهية أن يستثقلوهم ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا، ووجب أجرهم على الله عز وجل، فوالله لقد ابتليت بهذا القضاء وبهم، فوالله ما أكلت لهم لقمة ولا شربت لهم شربة، ولا لبست لهم ثوباً، ولا ركبت لهم دابةً، ولا أخذت لهم صلة، وإني لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد، وما عليه العمل وفيه النجاة ثم أخرج عنهم، وأحاسب نفسي، فأجد عليّ الدرك مع ما ألقاهم به من الشدة والغلظة، وكثرة مخالفتي لهم، ووعظي لهم، فلوددت أني أنجو مما دخلت فيه كفافاً وأرسل أسد بن الفرات وهو قاض إلى سحنون، وعون بن يوسف، وابن رُشيد، وموسى الصمادجي فسألهم عن مسألة من الأحكام، فأجاب فيها عون، وابن رُشيد وسكت سحنون، فلما خرجوا عدلاً في ترك الجواب فقال لهما: منعني أنكما بادرتما بالجواب فأخطأتما، فكرهت أن أخالفكما فندخل عليه إخواناً، ونخرج أعداءً. وبين لهما وجه خطئهما، فجزياه خيراً واعترفا ورجعا إلى أسد فأخبراه برجوعهما. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: لعل سحنون عول على ما عرف من فضلها من أنه إذا بين لهما وجه خطئهما رجعا فيعلما أسداً برجوعهما كما فعلا، وأن الحكم لا يخشى فواته، وإلا فهو في فضله وورعه لا يسكت في مثل هذا وروى عنه عيسى بن أيوب أنه قال: إذا تردّد الرجل على القاضي ثلاث مرّات بلا حاجة، فلا تجوز شهادته. قال ابن حارث: سمعتهم يقولون: كان سحنون من أيمن عالم دخل المغرب، كان أصحابه مصابيح في كل بلدة عدّ له نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسته. وقال محمد بن أحمد بن تميم: الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد، أكثر من الذين يحضرونه من طلبة العلم؛ كانوا يأتونه من أقطار الأرض وكان رحمه الله كثيراً ما يجري كلامه على غائب وجيء إليه ليصلي على مقتول فقال: لم تحضرني نية، وأتى آخرون فقالوا له: فلان أضلحك الله قتل وطرخ في بئر وقد أخرجناه فصل عليه. قال: ومن قتله؟ قالوا: هذا المقتول الذي سئلت قبل الصلاة عليه. فضلى عليه ولم يصل على قاتله كأنه فِراسة منه، وأعطى مرّة صرة فيها دراهم لرجل وقال: أخرج فأول رجل تلقاه فأعطها له، فوجد رجلاً وعليه ثوب أبيض، وهو يحمل تحته شيئاً فناوله ذلك، فلما جسّها رمى بذلك الشيء الذي تحته وإذا هو مئة وقال: هذه كانت حلالاً والآن حرمت علينا. وهذه فِراسة سحنون. وخرج يوماً على أصحابه مغضباً على وجهه كآبة إذ جاءه رجل بدوي وفي رواية غلام له فساره

بشيء فَضَحِكَ سَحْنُونُ وأمر بالقراءة وقال لأصحابه: إنا أصبنا في هذا العام ثمرة كثيرة، وَزَرَعَا كَثِيرًا، وَلَمْ أَصَبْ بِمَصِيبَةٍ فَخَفْتُ أَنْ أَكُونَ سَقَطْتُ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ هَذَا جَاءَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَفْرَةَ جَمَالِي مَاتَتْ، فَسُرَرْتُ بِذَلِكَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَنِي وَيَخْلِفُ مَا ذَهَبَ. وفي رواية أخرى أَنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي بِمَوْتِ زَوْجِي وَخَادِمِي وَأَهْلَكَ الرِّيحَ مِائَةً وَخَمْسِينَ شَجْرَةً. وكان يقول: تَرَكَ دَانِقَ مِنْ حَرَامِ أَفْضَلِ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ حِجَّةٍ يَتْبَعُهَا أَلْفُ عَمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ مُتَقَبَلَةٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِزَادِهَا وَسِلَاحِهَا، وَمِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ بُدْنَةٍ يَهْدِيهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الْعَتِيقِ، وَأَفْضَلُ مِنْ عَتَقِ سَبْعِينَ أَلْفِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، فَبَلَغَ كَلَامَهُ هَذَا لِعَبْدِ الْجِبَارِ بن خَالِدٍ فَقَالَ: نَعَمْ وَأَفْضَلُ مِنْ مَلءِ الْأَرْضِ إِلَى عِنَانِ السَّمَاءِ ذَهَبًا وَفِضَّةً كُسِبَتْ وَأُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وكان شَيْخَنَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا نَقَلَ هَذَا الْكَلَامَ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: رُدِّ دَانِقَ مُظْلَمَةٍ أَفْضَلُ مِنْ كَذَا. وذكر ما تقدم، ويفتي به ويوجِّهه بأن رد الدانق مظلمة واجب، وما ذكر إنما هو تطوع، والأصل أن التطوع وإن كثر لا يقوم مقام الفرض وإن قلَّ. ذكر ذلك لما سألته في حالِ صِغَرِي عن وجهه. قال محمد بن عبد الله الرَّعِينِي لما سِرْتُ إِلَى الْغَزْوِ إِلَى صِفَاقِسَ مَعَ سَحْنُونِ فَتَحَ لَنَا مَطْمُورَةً شَعِيرًا لَعْلَفَ دَوَابِنَا فَمَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْهُ بِكَيْلِ سَمَاحَةٍ مِنْهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قال الجزري: بينما أنا مع سحنون إذ أتاه رجلٌ فسأله عن مسألتين أو ثلاثة ثم قال: ما اليوم؟ وما غدًا؟ وما بعد غد؟ فقال له سحنون مجيباً: اليوم عملٌ، وغداً حسابٌ، وبعد غدٍ جزاءٌ. ولما ولي تبعته حتى دخل المقبرة خفت فواته فقلتُ له: بالله قِفْ، فقال: ما تريد؟ أنا رجلٌ مِنَ الْجَانِّ كُنْتُ أَغْشَى مَجْلِسِ أَبِي سَعِيدِ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسَائِلَ فَقَدْ أَحْرَمْتَنِي الْمَسَائِلَ ثُمَّ غَابَ عَنِّي، فَحَضَرَنِي الْخُرُوجُ إِلَى الْحَجِّ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّوَافِ إِذْ جُذِبْتُ مِنْ وِرَائِي بِثُوبِي فَالْتَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِالْجَنِّيِّ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَأَخْبَرَنِي بِخَبْرٍ مَنْ خَلَفْتُ مِنْ أَهْلِي، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتِ الطَّلِبَةَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى شَيْخٍ فَمَضَيْتِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى الْجَمَاعَةِ جَذَبَنِي الْجَنِّيُّ بِثُوبِي وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَقَالَ لِي: هَذَا إِبْلِيسُ لَوْ رَأَيْتَ لِقَاتِنِي فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْعَمَلُ؟ قَالَ: إِرْجِعْ فَالْطِمُهُ لِلرَّأْسِ وَقُلْ لَهُ يَا لَعِينُ يَا مَلْعُونُ، أَيُّ شَيْءٍ أَتَى بِكَ هَاهُنَا ففعلتُ فَاضْمَحَلَّ حَتَّى صَارَ كَالدُّخَانِ. وَأَخْبَرْتُ الطَّلِبَةَ بِالْقِصَّةِ فَعَجِبُوا وَخَرَقُوا مَا كَتَبُوا.

رَأَيْتَ فِي مَدِينَةِ كَذَا... فَتَمَّحَ فِي شَهْرِهِ إِذْ رَأَى سَحَابًا نَقُودًا رَفِيعًا سَحَابًا
 رَأَيْتَ فِي بَيْتِ نَسِيمٍ مَقْبُورًا وَأَسْرَ عَيْنُ قَدْرِهِ بِحُجُورِ ثَمَرَاتِ تَارِسٍ بِسَدَقِ رَأْفَةٍ
 بِرَأْسِهِ بِأَنْفَعِهِ فِي نَسْمِ ذَكَرِهِ بِرَأْفَةٍ قَدْرٍ نَعَسِيٍّ مِنْ بَكْرِهٍ عَدَّ حَمْلَهُ قَدْرٍ عَرِيهٍ
 لَهُ قَدْرٍ بِكْرِهٍ سَحَابًا قَدْرٍ حَمَلَهُ سَحَابًا نَقُودًا قَدْرٍ بِرَأْفَةٍ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ
 نَسِيمًا رَأَيْتَ نَحِيبَهُ وَبَعَثَهُ بِسَدَقِ ذَكَرِهِ عَيْنُ رَحْمَتِ رَأْفَةٍ فِي عَدْوِهِ إِسْرَارٍ
 عَبْرَ عَيْنِ سَحَابٍ وَتَمَّحَ قَدْرٍ بِرَأْفَةٍ حَمَلَهُ سَحَابًا نَقُودًا قَدْرٍ بِرَأْفَةٍ سَدَقِ سَدَقِ
 بِأَسْرِهِ وَتَمَّحَ رَأْفَتُهُ رَأْفَتُهُ فِي سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ
 وَبَعَثَ حَمْلَهُ فِي بَكْرِهٍ وَبَعَثَ حَمْلَهُ عَيْنُ رَحْمَتِ رَأْفَةٍ قَدْرٍ بِرَأْفَةٍ سَدَقِ سَدَقِ
 فَذَكَرَتْ سَحَابًا بِرَأْفَتِهِ قَدْرٍ وَتَمَّحَ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ سَدَقِ

قُلْتُ وَالْقَدْرُ سَحَابٌ كَثُرَ مِنْ بَدْوِي مَكْرَهُ وَبَسَّارٌ رَأْفَتُهُ وَبَعَثَهُ فِي بَدْوِيهِ
 - عَيْنُ رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِيهِ وَبَسَّارٌ رَأْفَتُهُ فِي بَدْوِيهِ

103 - وَبَيْنَهُمْ حَبِيبُ بْنُ سَعِيدٍ شُرُوحِي أَخُو سَخْلَوَانَ بْنِ سَعِيدٍ

قَالَ كَانَ فُقَيْهًا عَدْلًا شَدِيدًا سَمِعَ مِنْ أَسَدِ بْنِ مَرْثَدٍ وَبَعَثَهُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ
 نَعْمَةٍ وَبَعَثَهُ فِي تَرْوِجٍ وَأَسْرَ رَأْفَتِهِ فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ
 عَمَّ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ

104 - وَمِنْهُمْ أَبُو نُوَيْدٍ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَخْلَمَةَ لَبْسَوِي (مَوْسَى كَرَّ عَمْرٍ مِنْ
 الْخَطْبَاءِ)

قَالَ: سَمِعَ مِنْ وَكَيْعِ بْنِ جُرَّاحٍ وَبَعَثَهُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ نَهْدِي وَبَعَثَهُ
 قُلْتُ: قَالَ لِمَا لَكَ فِي وَكَيْعٍ ثَقَفًا مَسْتَحَبًا وَضَرًا وَكَرَّ سَحَابًا بِعَيْنِ
 فَضْلِهِ وَقَدْرٍ غَيْرِهِ: كَانَ فُقَيْهًا صَدِيقًا وَرِعًا زَاهِدًا مُتَّقِدًا فِي رَأْفَتِهِ وَبَعَثَهُ فِي رَأْفَتِهِ
 نَعْمِينَ نَحْلَيْنِ نَحْبَتَيْنِ نَحْبَتَيْنِ فِي نَعْمَةٍ

(1) ترجمه له في طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العراب ص 179 - 180.
 (2) طبقات أبي العراب ص: 179.
 (3) ما بين المعقوفتين زيادة من طبقات أبي العراب، والرياض.
 (4) ترجمه له في: طبقات أبي العراب ص: 200 - 201، الرياض: 1/ 392 - 393.
 (5) الرياض: 1/ 392، وطبقات أبي العراب ص: 200.
 (6) الرياض: 1/ 393 ولم يرد ذكر (ورعاً زاهداً).

قال: وَكَانَ يَعْمَلُ الطُّوبَ بِيَدِهِ فَيَتَصَدَّقُ [بثلث ما يربح فيه]⁽¹⁾ وينفق ثلثاً على عياله وَيَرُدُّ فِي التَّبَنِ ثُلُثاً⁽²⁾، وكان في غاية الزُّهْدِ لم يكن له سريرٌ يَنَامُ عَلَيْهِ، إِنَّمَا يَنْصَبُ الطُّوبَ فَيَنَامُ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ⁽³⁾. بعث إليه الأمير محمد بن الأغلب فلما وصل إلى باب قصره رَأَى خَصِيماً بِيَدِهِ عُودٌ فَكَسَّرَهُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْأَمِيرِ عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: رَأَيْتَ مُنْكَرًا فَعَيَّرْتُهُ. فسأل عن مَذْهَبِهِ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾⁽⁴⁾ [الإخلاص: 1 - 4]. وكان يُنَادِي إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ «[إِلَهِي]⁽⁵⁾ لَيْنُ كُنْتُ أَطَلْتُ جَهْدِي⁽⁶⁾ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَتُطِيلُ شِقَائِي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لَقَدْ أَهْمَلْتَنِي وَأَسْقَطْتَنِي مِنْ عَيْنِكَ أَيُّهَا الْكَرِيمُ». ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ⁽⁷⁾. وتوفي في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن أربع وتسعين سنة.

105 - ومنهم أبو عبد الله حَمْدُونُ بن عبد الله العَسَّال⁽⁸⁾:

كَانَ أَحَدَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ.

قلت: وَتَبِعَهُ الْعَوَانِي وفيه بتر لقول المالكي كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة⁽⁹⁾.

- (1) ما بين المعقوفتين تصويب من الطبقات، والرياض. فالوارد في الأصل: «بكل ما يبيع» وهذا لا يمكن لأن الجملة التي بعده تنص أنه كان ينفق ثلثاً على عياله.
- (2) طبقات أبي العرب ص: 200، والرياض: 393/1 وفيها: «ويرد ثلثاً في الطين والتبن وما يصلح به عمل الطوب».
- (3) في طبقات أبي العرب: «إنما كان قد نصب طوباً فعليه ينام في بيته» ص: 200. كذا في الرياض: 393/1.
- (4) انظر الخبر في طبقات أبي العرب ص: 201.
- (5) زيادة من الرياض 393/1.
- (6) الجُهدُ: الطاقة، تقول: «هذا جُهدِي» أي طاقتي، والجُهدُ: المشقة، تقول: فعلت ذلك بجُهدٍ، وتقول «إجهد جُهدَكَ» ومنهم من يجعل الجُهدَ والجُهدَ واحداً. ويحتج بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79] وقد قرئ: «جُهدُهُم» [التوبة: 80] راجع كتاب: أدب الكاتب لابن قتيبة ص: 207. دار الكتب العلمية ط 1 س 1988.
- (7) الرياض: 393/1.
- (8) ترجم له في الرياض: 410/1 - 411، وذكر في طبقات أبي العرب ص: 141.
- (9) الرياض: 410/1.

قال: وكان يقرأ ثلث الليل، ويناوم ثلثه، ويدعو ويبكي ثلثه.

قلت: وَتَبِعَهُ الْعَوَانِي وفيه إجمال لأن قولهما يقرأ ثلث الليل أعم من أن يكون في صلاة أم لا، وكلام المالكي أخص. فقال: كان يُصَلِّي ثلثَ اللَّيْلِ ويناومُ ثلثَ اللَّيْلِ ويدعو ثلثه كما أن في نقل المالكي، ويدعو ثلثه بتر لعدم ذكره ويبكي⁽¹⁾.

قال: وكان يقول في مُنَاجَاتِهِ: نَامَتِ الْعُيُونُ، وَأَيَقَظْتَنِي إِلَيْكَ الشُّجُونُ⁽²⁾ فإن لم تطب نفسي لنفسها بحظها فما حَظُّهَا عند مليكها يوم تُوفِّي كل نفس ما عملت، ثم ينوح ويبكي إلى الصَّبَاحِ.

قلت: قال ابن الحداد: مات غلامٌ لحمدون وكان هو القائم به، فجئنا لِنُعَزِّيهِ⁽³⁾ فالتفت إلينا وقال: أُشْهِدُكُمْ أَنَّ أَهْلَهُ وولده أحرار لِرُوحِهِ اللهُ عز وجل، فَأَحْزَنَنَا ذَلِكَ، لَأَنَّهُ⁽⁴⁾ لم يكن له شيء يَقْوَى به على مَعِيشَتِهِ غيرُهُمْ. ثم قال لنا: إن العَدُوَّ⁽⁵⁾ عَرَضَ لِي وقال: مَاتَ مَنْ يَقُومُ بِكَ فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْغِمَهُ بِعَيْتِي لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ⁽⁶⁾.

قال: توفي سنة أربع وأربعين ومائتين.

106 - ومنهم أَبُو سِنَانَ زَيْدُ بْنُ سِنَانَ الْأَسَدِيِّ⁽⁷⁾:

هكذا قال وَتَبِعَهُ الْعَوَانِي وهو خلاف قول المالكي الأزدِي⁽⁸⁾.

(1) الرياض: 410/1.

(2) الشجون: الحاجة. انظر: القاموس المحيط مادة «شجن» ص: 1089.

(3) في الرياض: أمام كلمة لنعزيه: «فنحن جلوس عنده حتى التفت...» 411/1.

(4) في الرياض: فإنه 411/1. (5) يريد بالعدو: الشيطان لعنه الله.

(6) الرياض: 411/1.

(7) ترجم له في طبقات أبي العرب ص: 202، رياض النفوس: 388/1 - 389.

(8) في الرياض ورد ذكر: «الأسدي» أيضاً وليس الأزدِي، ولعل الدباغ رحمه الله تعالى اعتمد في نقله على نسخة لم يعتمدها محقق الرياض والله أعلم. وليس ثمة فرق بين الأزدِي بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالدال المهملة، وبين الأَسَدِيِّ بالسین المهملة. قال أبو عبيدة: ويقال فيهم الأسد بالسین المهملة بدل الزاي. وقال الجوهرِي وهو بالزاي أفصح. وبنو الأسد بفتح السین بطن من الأزْد من كهلان من القحطانية. راجع نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: 92 - 93.

قال: سَمِعَ من سُفْيَانِ بنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الْقَاسِمِ، ورَأَى أَبَا مَعْمَرٍ ضَاحِبَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ وَهُوَ يَوْمئِذٍ يَحْضُرُ الْكِتَابَ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئاً. وَلَمَّا قَدِمَ مِصْرَ نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الْحَكَمِ. وَكَانَ فَقِيهاً ثِقَةً مَأْمُوناً تَقِيّاً مُتَوَاضِعاً. قلت: فِي كَلَامِهِ بَثْرٌ لَزِيادَةِ غَيْرِهِ زَكِيّاً. ثَبَتاً زَاهِداً وَرِعاً وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

قال: قال [أبو عثمان]⁽¹⁾ سعيد بن الحداد: مَا سَمِعْتُ الدُّنْيَا تُذَكِّرُ عِنْدَ أَبِي سِنانٍ قَطُّ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ تَوَاضِعِهِ يَحْمِلُ الخُبْزَ عَلَيَّ يَدُهُ إِلَى الفُرْنِ فَيَرَاوِذُهُ الطَّلَبَةُ عَلَيَّ أَنْ يَحْمِلُوهُ لَهُ فَيَأْتِي إِلَّا أَنْ يَحْمِلَهُ بِنَفْسِهِ تَوَاضِعاً مِنْهُ⁽²⁾. قال أبو الربيع سليمان بن سالم قال لي أبو سنان: إِذَا كَانَ ظالِبُ العِلْمِ يَتَعَلَّمُ الوَقِيعةَ فِي النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةَ [مَنْ العِلْمُ فَمَتَى يَصْلُحُ]⁽³⁾؟ وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ بِغِيبةٍ [فِي]⁽⁴⁾ أَحَدٍ، وَإِذَا هُمَّ بِذَلِكَ أَحَدٌ نَهَاهُ وَأَسْكَنَهُ⁽⁵⁾. قال أبو سنان: كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُصَلِّي فِي كُلِّ وَقْتٍ تَحِلُّ فِيهِ الصَّلَاةُ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ لَّا تَحِلُّ فِيهِ الصَّلَاةُ أَلْتَقَى ظَهْرَهُ عَلَيَّ حُصْبِيَاءً⁽⁶⁾ الْمَسْجِدِ، وَرَفَعَ رِجْلَيْهِ عَلَيَّ جِدَارِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَمْنُنْ عَلَيَّ بِبِقَابِكَ حَتَّى أَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ لَا رَاحَةَ لِمَنْ عَرَفَكَ حَتَّى يَلْقَاكَ. وَمَوْلِدُ أَبِي سِنانٍ سَنَةٌ خَمْسٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً. وَتُوفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَوَدْفِنَ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ.

107 - وَمِنْهُمْ أَبُو خَلْفٍ مَطْرُوحُ بنِ قَيْسِ الخَيْطِ الزَّاهِدُ⁽⁷⁾:

قال: كَانَ مِنْ أَصْحَابِ البُهْلُولِ بنِ رَاشِدِهِ.

قلت: فِي كَلَامِهِ بَثْرٌ لِقَوْلِ المَالِكِيِّ سَمِعَ مِنَ البُهْلُولِ وَالْفُضَيْلِ بنِ عِيَّاضٍ، وَصَحِبَ جَماعَةً مِنَ العُلَماءِ وَالْمَتَعَبِدِينَ⁽⁸⁾.

(1) فِي ط: أَبُو عَمْرٍ، التَّصْوِيبُ مِنَ ضَبْطَاتِ أَبِي العَرَبِ ص: 97 وَالرِّيَاضُ: 57/1 وَاسْمُهُ: أَبُو عِثْمَانَ سَعِيدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ صَبِيحِ الغَسَّانِيِّ مَوْلَاهُمُ يَعْرِفُ بِابْنِ الحَدَّادِ.

(2) الرِّيَاضُ: 388/1.

(3) فِي الرِّيَاضِ: «فِي الدِّينِ يَتَعَلَّمُ الوَقِيعةَ فِي النَّاسِ، مَتَى يَفْلُحُ؟» 388/1.

(4) ساقَطَ مِنْ: الرِّيَاضِ. (5) الرِّيَاضُ: 388/1.

(6) فِي الرِّيَاضِ: «الحَصِيُّ» 388/1.

(7) تُرْجِمُ لَهُ فِي الرِّيَاضِ: 408/1 - 410، وَالْبَيَّانُ المَغْرِبُ: 113/1 فِي وفيات 246هـ.

(8) الرِّيَاضُ: 408/1.

قال: وكان في الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ بالمحل الرفيع.

قلت: نحوه. قال المالكي: كان فاضلاً جليلاً مشهوراً بالعبادة والاجتهاد.

قال: روي أن حَمْدِيساً الْقَطَّانَ كان يقول: «إِنْ كَانَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مِثْلَ أَبِي خَلْفِ الْخِيَّاطِ وَحَمْدُونَ [بن]»⁽¹⁾ الْعَسَّالِ، فَمَا أَقْلٌ مَنْ يَدْخُلُهَا»⁽²⁾ هذا على جَلَالَةِ قَدْرِ حَمْدِيسٍ وَمَحَلِّهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ.

قلت: قال المالكي: قال سُليمان بن سالم: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي قَائِلاً يَقُولُ: هَذَا أَبُو خَلْفِ الْخِيَّاطِ مِنْ نَقْلِ عَنِّهِ حَدِيثاً وَاحِداً دَخَلَ الْجَنَّةَ.

[ترك العبادة ملالة مقت من الله تعالى]

قال: فأصِبحْتُ [فغدوتُ عليه]⁽³⁾ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ بِعِبَادَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا مَلَالَةً مَقَّتَهُ اللَّهُ فَكَتَبَتْهُ. ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَبْكِي فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْلِيماً يَقُولُ: «إِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ»⁽⁴⁾ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْنِي بِالنَّارِ بَعْدَ إِذْ أَسْكَنْتَ قَلْبِي تَوْحِيدَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تُعَذِّبْنِي بِهَا جَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِ عَادَيْتُهُمْ فِيكَ.

قال: توفي أبو خلف سنة ست وأربعين ومائتين.

108 - ومنهم أبو يحيى أحمد بن محمد بن قادم:

قال: كان حافظاً لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَمَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، صَحِبَ أَسَدَ بْنَ الْفُرَاتِ، وَلَا زَمَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ فَتْحَ صِقْلِيَّةَ، وَكَانَ لَهُ بِهَا آثَارٌ حَسَنَةٌ. توفي سنة سبع وأربعين ومائتين.

109 - ومنهم دُحَيْمُ الضَّرِيرِ الْمُتَعَبِدِ:

قال: كان صالحاً مُجَابَ الدُّعَاءِ، مِنْ سُكَّانِ الدَّمْنَةِ، وَكَانَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ

(1) زيادة من الرياض: 408 / 1. (2) الرياض: 408 / 1.

(3) في الرياض: فغدوتُ على أبي خلف فجلست إليه.

(4) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن (16) باب من ترجى له السلامة من الفتن، حديث (3989) 1320 / 2 - 1321 من رواية عمر بن الخطاب ولفظه: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ» وهو حديث طويل من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف.

محمد⁽¹⁾ بن الأغلب يزوره وَيَسْتَوْهَبُ منه الدعاء. وهو أحد الأولياء الخمسة عشر الذين كانوا في الدَّمَنَةِ كُلُّهُمْ مُسْتَجَابُ الدُّعَاءِ.

110 - ومنهم أبو محمد عبد الله بن سهل القبرياني⁽²⁾:

قال: كان شيخاً صالحاً ورِعاً، سَمِعَ مِنْ [محمد]⁽³⁾ بن يحيى بن سلام، وأسد بن الفرات، وسَحْنُون بن سعيد، وَلَقِيَ عبد الملك بن الماجشون بالمدينة وكان ثقة، أخذ النَّاسُ عنه، وكان القاضي حماس يشهد له بالفقه البارِع، وَلَاهُ سَحْنُون قضاء قَسْطِيلِيَّة⁽⁴⁾ وأعمالها، فكان عدلاً في قَضَائِهِ.

قلت: قال التُّجِيبِي وكان فقيهاً، رُوِيَ⁽⁵⁾ عن عبد الله بن سهل أن الفضيل بن عِيَّاض كان يقولُ في جوف اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ إِنْ طَالَبْتَنِي بِذُنُوبِي طَالَبْتُكَ بِإِحْسَانِكَ، وَإِنْ طَالَبْتَنِي بِشُوءِ عَمَلِي طَالَبْتُكَ بِتَوْحِيدِي لَكَ، وَإِنْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ نَادَيْتُكَ مِنْ بَيْنِ أَطْبَاقِهَا، وَأَخْبِرْتُ أَهْلَهَا إِنْ أُجِبْتُكَ». توفي عبد الله سنة تسع وأربعين ومائتين.

قلت: في كلامه بتر لزيادة التُّجِيبِي في شعبان.

قال: وعمره ستة وسبعون سنة. ودفن بباب أبي الربيع.

111 - ومنهم سعيد البكاء الضرير المتعبد⁽⁶⁾:

قال: كان من الخاشعين المَحْزُونِينَ. روي أنه كان يقال له كيف أَصْبَحْتَ؟ فيقول: ما رقدت البارحة وَجَعْتَنِي رُكْبَتِي وَوَجَعَنِي ضَلْبِي فَأَنَا اللَّيْلُ كله أتضرع إليه وأقول⁽⁷⁾: يَا مَوْلَايَ أَنَا لَسْتُ أَقْوَى عَلَى وَجَعِ رُكْبَتِي وَوَجَعِ ضَلْبِي فَكَيْفَ أَقْوَى عَلَى النَّيْرَانِ، وَثِقَلِ الْأَغْلَالِ اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْ شَيْبَتِي بِالنَّارِ يَا مَوْلَايَ أَنَا اللَّيْلُ كُلُّهُ آتِسُ بِكَ

(1) في ط: ابن محمد. التصويب من: ت وهو الأنسب.

(2) ترجم له في طبقات الخشني، وترتيب المدارك 94/3 - 95 وضبط اسمه بقاف مكسورة وباء واحدة ساكنة، وراء مكسورة بعدها ياء ممدودة وبعد الألف نون. قال عياض أصله من العجم 94/3. ورد ذكره في الرياض 352/1.

(3) سقط من: ت. وفي ترتيب المدارك: وسمع ابن سلام، ويحيى 95/3.

(4) في ت: صقلية وهو أبعد. وفي ترتيب المدارك: طليطلة، والصواب هو ما جاء في الحاشية «قسطيلية» بالسین أو الصاد وقال المحقق وهو أقرب ما في نسخة (ج) المعتمدة في التحقيق.

(5) في ت: روى عبد الله. (6) ترجم له في الرياض: 140/2.

(7) في ط: نقول. التصويب من الرياض: 140/2.

فَكَمَا آتَسْتَنِي فِي هَذَا اللَّيْلِ الطَّوِيلِ بِذِكْرِكَ آتَسْنِي فِي مَضْجَعِي وَقَبْرِي ثُمَّ يَأْخُذُ فِي النَّيَاحَةِ وَالْبُكَاءِ حَتَّى يَصْبِحَ . تُوْفِي سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

112 - ومنهم أبو محمد الأنصاري الضرير⁽¹⁾ :

هكذا قال مُتَّبِعاً فِي ذَلِكَ التَّجِيبِي ، وَيُرِيدُ بِهِ ضَرَرَ الْبَدَنِ ، مِنْ أَنَّهُ مُقَعَّدٌ لَمَّا يَأْتِي ، وَفِيهِ قُصُورٌ لِقَوْلِ الْمَالِكِيِّ : «كَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ وَالْبَدَنِ»⁽²⁾ .

قال : كان أبو محمد هذا صَاحِبَ صِدْقٍ وَمُعَامَلَةٍ صَحِيحَةٍ وَزُهْدٍ وَانْقِطَاعِ وَخَوْفٍ وَإِشْفَاقٍ ، مُسْتَجَابَ الدُّعَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ مَسْجِدُ السَّبْتِ بِالذَّمْنَةِ .

قلت : يتبع في هذا التجيبي ، وإنما سمي مسجد السبت ؛ لأنهم كانوا يقرءون فيه الرقائق يوم السبت من كل جمعة ، ويحضره أولياء الله والصالحون والعلماء ؛ كأبي بكر بن اللباد ، ويبقى أثر الوعظ فيهم إلى السبت الآتي ، وهذا المسجد هو خارج القيروان ، يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْعَرَبِيِّ وَإِنَّمَا قِيلَ فِيهِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدَ الْعَرَبِيِّ كَانَ يَقُومُ بِهِ وَهُوَ قَرِيبَ الْعَصْرِ فَسُمِيَ بِهِ .

قال : روى خَيْرُونَ بَنَ ذَكْوَانَ الْخِرَازِ قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ عَطَشٌ شَدِيدٌ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَأَخْرَجْنَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ فَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَيْدِينَا حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ مَسْجِدَ السَّبْتِ ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ بَرَفِيعٍ ثُمَّ رَفَعَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ إِلَيْكَ عَشْرَةَ قِصَاراً فَلَا تَرُدْهَا خَائِبَةً . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَرَفْتُ مِنْ بَابِ تُونُسَ إِلَى بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ إِلَّا وَأَنَا أَخُوْضُ الْمَاءِ إِلَى الرُّكْبَةِ .

قلت : وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ عَشْرَةَ أَيِّ أَصَابِعِ .

قال : وروى أن الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، خرج إلى المدينة ومعه مال يُفَرِّقُهُ فَقَالَ لِخَلْفٍ وَمَسْرُوقِ الْخَادِمِينَ : أَدْخُلَا إِلَيَّ هَذَا الشَّيْخَ يَعْنِي أَبَا مُحَمَّدٍ فَعَرَّفَاهُ أَنِّي أُرِيدُ السَّلَامَ عَلَيْهِ فَدَخَلَا عَلَيْهِ وَأَعْلَمَاهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لِهَمَا قَوْلًا لَهُ يَنْصَرِفُ عَنِّي فَمَا لِي عِنْدَهُ حَاجَةٌ ، وَلَا لَهُ عِنْدِي حَاجَةٌ ، فَأَخْبَرَا زِيَادَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ فَغَضِبَ وَقَالَ لِهَمَا : أَدْخُلَا فَأَخْرِجَاهُ؟ فَدَخَلَا فَحَمَلَاهُ حَتَّى وَقَفَا بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ

(1) ترجم له في الرياض : 411/1 - 413 . (2) الرياض : 412/1 .

زيادة الله: أتيناك لتأمرنا بالمعروف فنفعله، وتنهانا عن المنكر، فنخرج⁽¹⁾ عنه فحجبتني عن نفسك وأنا إمامك. فقال له أبو محمد: جرأك علي علماء السوء الذين يغرونك ويزينون لك زخارف الدنيا، فلو عملت بما علمت أنبأتك بما جهلت إذهب عني لئلا أشكوك إلى الله. فقال له: «صدقت»⁽²⁾. ثم قال لهما: أرفقا بالشيخ، وعرض عليه مالا جليلاً لنفسه ولمن بالدمنة فلم يقبل منه فمضى زيادة الله وهو يقول: والله لو كان هذا صديقاً ما زاد على هذا من قوله.

قلت: في كلام الشيخ بتر من وجوه، أحدها أن إتيان زيادة الله لم يختص به بل كانت عادة أسلافه كذلك. قال المالكي: حدث بعض الثقات قال: كنا ليلة النصف من شعبان عند أبي محمد الأنصاري، وكنا نجتمع عنده مع الثراء للذكر من وجوه الناس ليلة النصف من شعبان، وليلة نصف رمضان، وكان أمراء بني الأغلب يأتون إلى جامع القيروان في تينك الليلتين ويعطون فيهما من الصدقات كثيراً، ثم يخرجون من المسجد الجامع إلى [الدمنة]⁽³⁾ ويوزرون أبا محمد الأنصاري يتبركون به وبدعائه. فخرج زيادة الله⁽⁴⁾ مقبلاً حتى وقف على باب داره.

قلت: وتخصيصة الليلتين بالذكر من بين سائر ليالي العام على ظاهر اللفظ لا يعارضه كراهة الاجتماع، لصلاة النافلة في ليلة مخصوصة قليلة عاشوراء، لأن الصلاة أخص فهي أولى بالتهيئ لئلا تعتقد العامة وجوبها. وفي كلام المالكي قصور أيضاً لأن ظاهره يقتضي أنهم كانوا إذا خرجوا من الجامع يقتصرون على زيارة أبي محمد بالدمنة. وقد قال التجيبي: يخرجون من الجامع إلى دور العباد والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة يلبثون بالقيروان، يفرقون الأموال للمساكين والمستورين.

الثاني: أن قوله خرج زيادة الله إلى الدمنة يوهم أنه لم يخرج بخاصته وليس كذلك، بل قال المالكي: خرج في حشمه وأهل بيته وخدمه وقال التجيبي: وقف على بابه بوزرائه وقضائه وحشمه، والمراد بخلف ومسروق خديمان لزيادة الله وليس المراد أنهما خديمان للشيخ، وخلف هو الذي بنى قصر الطوب والماجن قاله التجيبي.

(1) في الرياض: فتزجر 412/1. (2) انظر الرياض: 412/1.

(3) في ط: المدينة، التصويب من الرياض 412/1.

(4) في الرياض: «فخرج زيادة الله بن الأغلب من الجامع» 412/1.

الثالث: إجمالاً ما أمر له به من المال ولمن بالدمنة. وقد قال التَّجِيبِي قال لخلف ومسروق: ادفعا إليه مائة دينار لنفسه وخمسمائة دينار لأهل مَحِلَّتِهِ.

قال: توفي سنة خمسين ومائتين، وقيل: توفي قبل ذلك سنة ثلاثين ومائتين.

قلت: وقبره هو الموجود اليوم في صَحْنِ المسجد المذكور. هكذا قال شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرُّزْلِي.

قال: وَالْمَشْهَدُ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهِ اسْمُ غَيْرِهِ، عمله بعض من جَدَّدَ قبره فإن المسجد فيه قبور أكابر دثرت قبورهم فلا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّهُ لَيْسَ قَبْرُ الشَّيْخِ وَيَأْتِي بَقِيَّةَ مَا فِي هَذَا لِقَوْلِ الْعَوَانِي خِلَافُ ذَلِكَ.

113 - ومنهم أبو عثمان سعيد بن عباد السُّرْتِي⁽¹⁾:

قال: سمع من سحنون بن سعيد وسمع منه أبو سليمان بن يحيى الصواف وكان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً فقيراً صابراً. روي أَنَّ سَحْنُونَ خَلَى بِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتُ بِإِمَامِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَتَقَبَّلَ قَوْلِي؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَقْبَلْ قَوْلِكَ لَمَا اخْتَلَفْتُ إِلَيْكَ. قَالَ: هَذِهِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا مِنْ ثَمَنِ عَرْسٍ عَرَسْتُهُ بِيَدِي فَخَذَهَا تَتَقَوَّى⁽²⁾ بِهَا عَلَى أَمْرٍ آخَرْتِكَ وَدُنْيَاكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي غَنِيٌّ عَنْهَا. وَكَانَ مُحْتَاجًا إِلَى خَرُوبَةٍ. فَقَالَ سَحْنُونَ: خُذْهَا سَلَفًا فَإِنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَرُدَّهَا نَقْبَلُهَا مِنْكَ، وَإِنْ تَعَدَّرَ عَلَيْكَ رَدُّهَا فَأَنْتَ فِي حِلٍّ فَقَالَ [لَهُ]⁽³⁾: مَا كُنْتُ بِالَّذِي أَتَعْجَلُ دَيْنًا فِي ذِمَّتِي مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، فَقَالَ لَهُ سَحْنُونَ: أَمَا وَقَدْ أُبَيِّتَ قَبُولُهَا فَلَا تَذْكَرُ لِأَحَدٍ مَا دُمْتَ حَيًّا، وَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ السُّرْتِيُّ كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى سَحْنُونَ جَمَاعَةً فَكَانَ سَعِيدُ بْنُ عَبَادٍ خَيْرَنَا.

قلت: في كلامه بتر لقول التَّجِيبِي: قال عبد الجبار وحمديس القطان: كنا نختلف إلى آخره، وإنما قلت فيه بتر، لأن كلامهما معاً فيه أخص من كلام واحد.

(1) ترجم له في طبقات أبي العرب ص: 160 رقم 32، ترتيب المدارك 1/ 125 - 127، وفيه يعرف بابن غلة، والرياض: 1/ 361. وفي الرياض: «ولقد حدث سعيد بن عباد المعروف بالمرغلة صاحب سحنون، قال: قال لي سحنون يوماً، وقد خلا معي: «يا سعيد، أليس أنا إمامك؟ فقلت: نعم أصلحك الله» فقال: أو تقبل قولي؟ فقلت: وكيف لا أقبل قولك، ولو لم أقبل قولك لم أختلف إليك، قال: فقال لي: «هذا قولي ويميني، وحلف لي بالله، وأراني صرة في يده، وذكر أن فيها ثلاثين...» 1/ 361.

(2) في ت: لتقوى. (3) زيادة من: ت.

وكان يخدم المرممة بالأجرة يوم كل سبت ويقتات بما يأخذه في تلك الأيام، فجاءته يوماً امرأة وطلبتة في شهادة على غريم لها والطين إلى أنصاف ساقيه فقال لها: أنا أجير فذكرت ضرورتها فقال لها: كلمي صاحب العمل فكلمته فأذن له فمشى وهو على حاله وعلى يديه ورجليه أثر الطين ورد الشهادة لابن عبدون القاضي فقال له: يا شيخ كم يصلي في الشتاء وكم يصلي في الصيف؟ فقال: حدثني سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «فرض الشتاء والصيف سواء» وخرج وعرف به القاضي فاستحى. وهذه الحكاية نقلها التَّجِيبِي بأخصر مما ذكرناه. وكان شيخنا حفظه الله يزيد فيها أن المرأة قالت له بحضرتة: ما تقول في شاهدي؟ فقال لها: إني لا أعرفه فخرج وهو يقول: بل الله يُزَكِّي من يشاء فقالت: هذا سعيد بن عباد الشُّرْتِي فقال لها: الاسم علمٌ لا يَحْتَاجُ إلى تَزْكِيَةٍ فجئني بمن يعرفني أنه هو كما جرى لعبد الرحمن بن قاسم في شهاد شهد بها عند قاضي مصر.

قال: توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين ودفن بباب سَلَم بقارعة الطريق من نحو الغدير الحمرا التي يضرب بها الطوب.

قلت: هي التي يقول لها الناس اليوم؛ غدير الحمرا مضافة إلى مَالِكِهَا فلان الحمرا، وهي اليوم لحفيده الأمير أبي العباس أحمد الحمرا وإنما قلتُ هذا لأنه فرق بين غدير الحمرا، والغدير الحمرا، وقبره غربي قبر حمديس القطان وعند رأسه عمود أبيض وهو مزار يعرفه الخاصة والعامة.

114 - ومنهم أبو سليمان داود بن يحيى الصواف⁽¹⁾ والد أحمد بن سليمان الفقيه:

قال: كان عالماً ثقةً مأموناً صالحاً فقيراً مُتَعَفِّفاً لا يقبلُ عَطِيَّةً من زائغ، وكان قائد موسى بن معاوية⁽²⁾.

قلت: والله تعالى أعلم أنه كان يقوده لَمَّا عَمِيَ، وكان أَعْمَى كما تقدم.

قال: وسمع من موسى المذكور، وابن غانم، وعباس الفارسي، وسعيد بن عباس الشُّرْتِي، وكامل بن طلحة، وابن أبي كريمة، وسمع منه أحمد بن يزيد،

(1) ترجم له في طبقات أبي العرب ص: 194، وورد اسمه في الرياض 1/ 216، 230، 232، 253، 265، 339، 377.

(2) طبقات أبي العرب ص: 194.

وعبد الله بن الوليد، وسليمان بن سالم، وسعيد بن إسحاق مولده سنة تسع وخمسين ومائة وتوفي سنة تسع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وَرَضِيَ عَنْهُ .

115 - ومنهم جعفر بن محمد بن عيَّاض المعلم:

قال: كان له سَمَاعٌ مِنْ عِبَادِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَمِنَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ، وَكَانَ ثِقَةً عَالِمًا بِعِبَارَةِ الرَّؤْيَا، أَقَامَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَشْتَهِي التَّمْرَ فَاشْتَرِيَ لَهُ مِنْهُ رَطْلًا، فَلَمَّا مَرَضَ قَالَ لَهُمْ: أَنْظِرُوا إِلَيَّ التَّمْرَ فَإِنَّهُ فِي الطَّلَقِ، وَتَصَدَّقُوا بِهِ وَمَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْهُ، تَوَفِّي فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى آمِينَ .

116 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سحنون التنوخي⁽¹⁾:

قال: سمع من وَالِدِهِ سَحْنُونَ، وَمِنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْمَدَنِيِّ، وَمُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِحِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَسَّانٍ .

قلت: مثلُ هَذَا ذَكَرَ التَّجِيبِيُّ وَزَادَ الْمَالِكِيُّ وَعَلَى [أبيه]⁽²⁾ مُعْتَمِدُهُ .

قال: ورحل إلى المشرقِ فلقى أبا مُضْعَبِ الزُّهْرِيِّ، وابنَ كَاسِبِ، وَشَيْبَةَ بْنَ شَيْبِ النَّيْسَابُورِيِّ .

قلت: مثله ذكر التَّجِيبِيُّ، وفيه بتر لقول المالكي وغيرهم، وجعل عَوْضَ شَيْبَةَ سَلَمَةَ، وكانت رحلته سنة خمس وثلاثين ومائتين .

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال: كَانَ إِمَامَ النَّاسِ بَعْدَ أَبِيهِ .

قلت: يعني في مذهب أهل المدينة كما قاله التَّجِيبِيُّ وَلَا يُقَالُ فِيهِ نَظَرٌ، لِوُجُودِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ دَوْسٍ لِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ دَوْسٍ كَانَ لَا يُسَاوِيهِ فِي الشُّهُرَةِ، وَإِنْ

(1) ترجم له في: الرياض: 1/ 443 - 458، ترتيب المدارك: 4/ 104 - 118، البيان المغرب: 1/ 115 [وفيات 256]، الوافي بالوفيات: 3/ 86، الديباج المذهب ص: 333 - 335، تذكرة الحفاظ:، شذرات الذهب: 2/ 150، شرف الطالب في أسنى المطالب لابن قنفذ ص: 43، الفكر السامي: 2/ 118 - 119، شجرة النور الزكية 1/ 105 رقم 125 تخريج وتعليق عبد المجيد خيالي طبعة دار الكتب العلمية سنة 2003.

(2) في ط: الله. التصويب من الرياض 1/ 444.

كانت القبروان حينئذ سَحْنُونِيَّةً وَعَبْدُوسِيَّةً. وقد قال المالكي: لم يكن في عصره أحدٌ أجمع لفنون العلم منه، أَلْفٌ في جميع ذلك كُتِبَ كثيرة تنتهي إلى المائتين⁽¹⁾.

قلت: والمراد بالكتب كما تقول: كِتَابُ الطَّهَارَةِ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، كِتَابُ الرِّكَاءِ، وليس المراد أن الكتاب الواحد عبارة عن سفرٍ والله أعلم. قال: قال عيسى ابن مسكين: خيرٌ من رأيتُ محمد بن سَحْنُونٍ كان جامعاً لخصالٍ من الخير منها العلم، والورع، ومعرفة الأثر، وكثرة الإيثار، والتفقد للإخوان.

قلت: وقال عيسى أيضاً: «ما رأيتُ في العلم مثل ابن سَحْنُونٍ». وقال مرة ما رأيت بعد سَحْنُونٍ مثل ابنه. وهذا أخص مما ذكره بالنسبة لكونه أفقه وياتي ما يعارض هذا عند ذكر ابن عبدوس. وقال يحيى بن عمر: كان من أكثر الناس حُجَّةً وكان يناظر أباه. وقال ابن حارث: كان فتح الله له باب التاليف وجلس مجلس أبيه بعد موته. وكان سَحْنُونٌ يقول لمعلمه: لا تُؤدِّبُه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يُؤدِّب بالضرب والتعنيف، واني أرجو أن يكون نسيجاً وخدي، وفريد أهل زمانه، واتركه عنى [نحلتى]⁽²⁾ وأخاف أن يكون عمره قصيراً⁽³⁾. فكان كما قال سَحْنُونٌ. وكان سَحْنُونٌ يقول: ما أشبهه بأشهب.

قلت: وكان الناس يحلقون عليه بعد حلقة أبيه، وكان يؤلف في حياة والده وكان يقول له: يا محمد احذر أهل العراق، فإنَّ لهم ألسنة جداداً، وإياك أن يغلظ قلبك فتعتذر فلا يقبل عذرك.

ذكرُ جملةٍ من أخباره

لما عزم على الرحلة للمشرق قال له أبوه: إنك تقدم على بلدانٍ سماها إلى أن تقدم مكة فاجتهد جهداً، فإن وجدت عند أحدٍ من أهل هذه البلدان مسألة خرجت من دماغ مالك ليس هي عند شيخك يعني نفسه، فاعلم أن شيخك كان مفرطاً⁽⁴⁾. وكان رجلٌ من أصحاب ابن سَحْنُونٍ حجَّ فاجتمع مع رجل يهودي صاحب حمام وناظره في أصول الدين فوجده قوياً، ثم وصل الرجل إلى القبروان فلما عزم ابن سَحْنُونٌ على الحج قال الرجل: أخرج معي حتى أجمع بينهما، فلما وصل معي لمضراً

(1) الرياض: 1/ 443.

(2) في نسخة فصحفت إلى نحتي، والصواب ما أثبتناه من الرياض 1/ 443.

(3) الرياض: 1/ 443 - 444. (4) الرياض: 1/ 444.

قال له: حَفِظَكَ اللَّهُ، إِنَّ أَهْلَ مِصْرَ إِذَا سَمِعُوا بِكَ يَأْتُونَ إِلَيْكَ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ
الْحَمَّامَ؟ قال: أَجَلٌ، فَقَصَّدَ بِهِ حَمَّامَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْيَهُودِي، فلما قرب، خرج ابن
سحنون خرج الرَّجُلُ صاحبه قبله وأنشِبَ مع اليهودي المناظرة، فلما خرج ابن
سحنون وجد اليهودي أقوى من صاحبه، فَأَزَالَهُ وَأَخَذَ يُنَاطِرُهُ حَتَّى كَانَتْ صَلَاةُ
الظُّهْرِ، فصلاها محمد ثم رجع فلما طلع الفجرُ وَأَنْقَطَعَ الْيَهُودِيُّ فِي الْحُجَّةِ، وخرج
ابن سحنون وهو يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ⁽¹⁾ وَشَاعَ بِمِصْرَ أَلَّا أَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ أَسْلَمَ
على يدي محمد بن سحنون، فَأَتَى إِلَيْهِ فَقَهَاءُ مِصْرَ فَمِنْ جَمَلَةٍ مِنْ أَتَاهُ: أَبُو رَجَاءِ بْنِ
أَشْهَبٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ ففعل، ولما جلس وَحَلَّقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَسَأَلُوهُ فَكَانَ مِنْ
جَمَلَةٍ مِنْ أَتَى إِلَيْهِ: الْمُزْنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ فَجَلَسَ كَثِيرًا لِيَنْفِضَ النَّاسَ عَنْهُ، وَيَخْلُو
بِهِ، فلما خرج قُدِّمَتْ إِلَيْهِ دَابَّتُهُ لِيَرْكَبَ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قال: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
أَعْلَمَ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ ذَهْنًا عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَمَّا
وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيمًا وَجَدَ جَمَاعَةً عَظِيمَةً مُحَلِّقِينَ عَلَيَّ
شَيْخٌ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ،
فَنَبَّهْتُهُمْ عَلَى نُكْتِهِ، فَاسْتَوَى الشَّيْخُ جَالِسًا وَقَرَّرَهَا، فزَادَ ابْنُ سَحْنُونِ أُخْرَى فَقَالَ
الشَّيْخُ: مِنْ أَيِّ بِلَادٍ أَنْتَ؟ قال: مِنْ إِفْرِيْقِيَّةِ، قال: مِنْ أَيِّ بِلَدَةٍ مِنْهَا؟ قال: مِنْ
الْقَيْرَوَانِ، قال: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ إِمَّا مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونِ، وَإِمَّا مُحَمَّدُ بْنُ
لُبْدَةَ ابْنِ أَخِي سَحْنُونِ، فَإِنَّ هَذَا التَّنْكِيتَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ دَارِ سَحْنُونِ
فقال له: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونِ، فَقام إِلَيْهِ وَصَافَحَهُ وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ ابْنُ
سَحْنُونِ يُمْلِي عَلَى الشَّيْخِ بِالطَّرِيقِ وَهُوَ يَكْتُبُ الْمَسْأَلَةَ. وَروى أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ
يُؤَلِّفُ إِلَى أَنْ حَضَرَ الْعِشَاءَ فَجَاءَتْهُ جَارِيَّتُهُ أَمَّ مُدَّامَ بِالْعِشَاءِ وَكَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعَةُ أَسْرِيَّةٍ.
لِكُلِّ سَرِيرٍ سَرِيَّةٌ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ مُدَّامَ أَنَا مَشْغُولٌ عَنِ الْعِشَاءِ بِمَا أَنَا فِيهِ. فَسَطَّانٌ
انْتَظَرَهَا أَخَذَتْ تُلْقِمُهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ يُؤَلِّفُ حَتَّى أَتَتْ عَلَى جَمِيعِهِ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ
حَتَّى أَذِنَ الْمُؤَدِّنُ لِبِرِّصَةِ الصُّبْحِ، فَطَوَى كِتَابَهُ وَقَالَ: يَا أُمَّ مُدَّامَ هَاتِي مَا مَعَكَ مِنَ
العِشَاءِ، فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي إِنِّي أَطْعَمْتُكَ إِيَّاهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِذَلِكَ. قال
عيسى بن مسكين: لما وصل كتاب الإمامة الذي ألفه محمد بن سحنون إلى بغداد،
كُتِبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَأُهْدِيَ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

(1) انظر هذا بتفصيل في الرياض: 450 / 1 - 451.

قلت: ونقله المالكي عنه وجعل عَوْضَ بَعْدَادَ، مصر ولا مانع أن يقول المقالتين، فأخبر عيسى أولاً عن وُضُولِهِ لبغداد، وثانياً عن وُضُولِهِ لِمِصْرَ. قال الشيخ أبو بكر بن اللَّبَّاد: أتى محمد بن سَحْنُون بعد مَوْتِ أبيه زائراً إلى عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد بقصر زياد فسَلَّمَ عليه فردَّ عليه السلام وتركه جَلَسَ حيث انتهى به المجلس، ولم يقبل عليه حتى انصَرَفَ فلما كانت الجمعة الآتية إنتهض ابن سحنون مع أصحابه إلى زيارة عبد الرحيم فقالوا له: رأيناك لم يقبل عليك ولا رَحَّبَ بك فكيف تعودُ إليه بعد هذا فقال: لَيْسَ هذا بُغْيَتِي هذا رَجُلٌ صَالِحٌ تُرَجَى بَرَكَةُ دُعَائِهِ، وكان والدي رحمه الله تعالى يأتيه ويتبرك بدعائه، ويلجأ إليه عند المَهَمَّاتِ مِنَ الأُمُورِ فتوجه محمد زائراً، فلَمَّا رآه عبد الرحيم قام إليه على رِجْلَيْهِ وَرَحَّبَ به وَأَجْلَسَهُ في موضعه، ولم يزل مقبلاً عليه حتى انصَرَفَ فَرَجَعَ إلى عبد الرحيم بعض أصحاب محمد بن سحنون فقالوا له: أَضْلَحَكَ اللهُ رَأْيِنَا مِنْكَ عَجَباً فقال له: وما هو؟ قال: أتاك محمد تلك الجمعة فلم تقبل عليه ثم أتاك اليوم فأقبلت عليه فقال عبد الرحيم: والله ما أردت بذلك إلا الله عز وجل، وَقَبِلْتَهُ لثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ.

الأول: أنه أتاني في تلك الجمعة، ورأيتُ اجتماع الناس حوله فخفتُ إن أنا أقبلتُ عليه الفتنة، فعملتُ ما عملتُ لِصَلَاحِ حَالِهِ؟

الثاني: لأَجْرَبُهُ فإن والده كان يعتقدني ويزورني، فقلت: لا أقبل عليه حتى أرى هل يرجع إلي أم لا؟ فإن رجع إلي علمت أن اعتقاده مثل اعتقاد والديه.

الثالث: رأيتُ في مَنَامِي في اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ من تلك الجمعة التي لم تقبل عليه فيها قائلاً يقول لي: مَا لَكَ لم تقبل على محمد بن سحنون وهو يخشى الله عز وجل.

قال: وروي عن الشيخ أبي الحسن ابن القابسي، رحمه الله تعالى أن رجلاً كَانَ يَشْتُمُ محمد بن سحنون وينال من عِرْضِهِ وَيُؤْذِيهِ، وَكَانَ على مذهب أهل العراق. فافتقر الرجل واشتدَّ عليه الحال فقال: وَاللَّهِ لَأَمْضِيَنَّ إلى محمد بن سحنون، لما يسمع من كرمه، فدخل عليه وعليه أَظْمَارٌ فَسَلَّمَ عليه فأقبل عليه محمد بن سحنون وقال له: مَا حَاجَتُكَ؟ وكان قبل ذلك يأتي إليه فيقول له: أُحِبُّ أَنْ أَكَلِمَكَ فَيَشْتُمُهُ في أذنيه فيقول له محمد: جَزَاكَ اللهُ خَيْراً وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ ما يقول له إلى ذلك اليوم، فقال له: أَضْلَحَكَ اللهُ جِثَّتَكَ تائباً مما كنت أفعل، فقال له ابن سحنون: دَعْ هَذَا واذكر حَاجَتَكَ. فقال: والله ما أتاني إليك إلا الحاجة، فاسترجع

ابن سحنون، واغتمَّ لذلك وقال له: يا أخي نزل بك هذا وأنا في الدنيا؛ ثم كتب له رُقْعَةً وقال له: امض بها إلى فلان الصَّيرَفِي، فمضى إليه فأعطاه عشرين ديناراً فأخذها واشترى منها ما يحتاجُ إليه؛ وأتى بالحمالين إلى الدار، فقالت له زوجته: ما هذا؟ فقال: هذا ما أعطاني الرجل الَّذِي كُنْتُ أَشْتُمُهُ.

[العراق منه جاءت الفتنة]

ثم أقبل الرجل وهو يقول: العِراقُ منه جاءت الفِتنَةُ، ومنه أقبل كل شرٍّ ثم أتى إلى محمد بن سحنون فأخبره بما فعل فقال له محمد: تَقْدِرُ على السفر؟ قال: نعم فكتب له كتاباً وقال: إمضِ إلى قَسْطِيلِيَّة فأخذه ومضى إليها، فلما وصل أنزله أَضْحَابُهُ وَأَضَافُوهُ ضِيَافَةً حَسَنَةً، وَأَعْطَوْهُ ثلاثمائة دينار وهدايا من طرائفِ بلادهم، فظن الرجل أنها لمحمد بن سحنون، فلما وصل إلى القيروان، دخل إلى محمد فأعطاه كتاب القوم، فلما قرأه استرجع وقال: حال الناس، ما هَكَذَا عَهْدَنَاهُمْ. فقال له الرجل: يا سيدي إن كان بقي لك عندهم شيءٌ فَأَنَا أَرْجِعُ إليهم ثانية. قال له محمد: يا أخي إنها لك، فَكَأَنِّي لم أجد من أبعثُ إلاَّ أنتَ، وَإِنَّمَا عَجِبْتُ مِنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ فِي هذا الوقت.

قلت: وإنما قال له جَزَاكَ اللهُ خَيْراً لا حِمْالٍ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لأنه قال له ذلك في أذنه لا يسمعه من حضر.

الثاني: لِكُونِهِ أَهْدَى له حَسَنَاتٍ بَاقِيَةٍ قال بعضهم: كنت بالمُنِسْتِيرِ وإذا بِرَجُلٍ يقرأ في جَوْفِ اللَّيْلِ وهو يصلي: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيبِ﴾ (٢١) فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴿[الأعراف: 21، 22] ويبكي ودُمُوعُهُ تقعُ على الحَصِيرِ طَقُ طَقُ مِنْ كَثْرَتِهَا، وَهُوَ يُكْرِرُ الآية وما زال يُكْرِرُهَا حتى طَلَعَ الفَجْرُ، ولا أدري مَنْ يَكُونُ، فَلَمَّا خَرَجَ إِذَا هُوَ محمد بن سحنون رحمه الله تعالى^(١).

ذِكْرُ بَقِيَةِ أَخْبَارِهِ

لما تولى والده القَضَاءَ اعتنى بسليمان بن عمران حتى استكتبه ثم عُني به حتى ولَّاهُ قَضَاءَ بَاجَّةَ، فلما مات سحنون وولي سليمان قضاء القيروان ساءت الحال

(١) راجع هذا في الرياض بسياق آخر 446/1.

بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ تَوَارَى ابْن سَحْنُون، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ بَيْتِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

فَإِنْ كُنْتَ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمْرَقَ

فَقَالَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ: وَمَنْ يَمْرُقُهُ مَرَّقَ اللَّهِ جِلْدَهُ فَقِيلَ لَهُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرَانَ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ يَدِهِ عَنْهُ، فَقَامَتْ رِئَاسَةُ مُحَمَّدٍ وَتَوَفَّرَتْ حُرْمَتُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي إِذْ لَقِيَ صَاحِبَ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَوَاجِبِ، فَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِ سَحْنُونِ، وَقَالَ: يَا زَانِ يَا أَبْنَ الْفَاعِلَةِ فَأَجَابَهُ ابْنُ سَحْنُونِ جَهْرًا تَقْضَى حَاجَتُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَوْهَمَ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ يَسْأَلُهُ حَاجَةً وَأَعْلَمَ الْخَطِيبُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرَانَ بِجَوَابِهِ، وَرَكِبَ ابْنُ سَحْنُونِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَضْرَمِيِّ، مِنْ رِجَالِ السُّنَنِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْأَلَ الْأَمِيرَ أَنْ يَرُدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبِ عَلَى الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ فَفَعَلَ، وَأَرْسَلَ ابْنُ سَحْنُونِ إِلَى ابْنِ طَالِبٍ وَقَالَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ خَرَجَ مِنَ الْمَقْصُورَةِ فَتَمَّ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَرَّقَ الْمُنْبِرَ وَاخْطُبْ، فَرَكِعَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَى جَانِبِ ابْنِ سَحْنُونِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرَانَ، جَوَارِ الْمُنْبِرِ فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ مِنَ الْمَقْصُورَةِ يُرْقَى الْمُنْبِرَ قَامَ ابْنُ طَالِبٍ وَقَدْ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَمَدَّ يَدَهُ خِطَابَ الْمُؤَذِّنِ إِلَى ثَوْبِ بْنِ أَبِي الْحَوَاجِبِ فَجَذَبَهُ وَرَقَى ابْنُ طَالِبِ الْمُنْبِرَ، وَكَانَ فَصِيحًا، وَكَانَ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي قَدْ نَعَسَ فَمَا رَاغَهُ إِلَّا صَوْتُ ابْنِ طَالِبٍ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعَلَى مَلِكِهِ احْتَوَى وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ يُرَى فَرَكِبَتْ سُلَيْمَانَ حَيْرَةً وَالنَّاسُ نَظَرُونَ، وَابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ الْخَطِيبُ قَدْ بَهَتَ، وَابْنُ سَحْنُونِ يَبْتَسِمُ، وَنَزَلَ ابْنُ طَالِبٍ فَصَلَّى وَانصرفت سُلَيْمَانَ وَابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ وَالْعِرَاقِيُّونَ، وَالْقَاضِي يَقُولُ: لَا تَنْكُرُ لَهْ قَدْرَةً، فَبَكَى ابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانَ: وَاللَّهِ لَا قَصْرَتْ حَتَّى تَخْطُبَ هَذِهِ الْجُمُعَةَ الْمُقْبِلَةَ عَلَى الْمُنْبِرِ، فَكَلَّمَ سُلَيْمَانَ عَشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ مِنْ شَيْوخِ الْقَيْرَوَانِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا مَعَهُ إِلَى الْأَمِيرِ وَيَزُكُوا ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ سَحْنُونِ فَوَجَّهَ إِلَى الْحَضْرَمِيِّ مِنْ أَعْلَمِهِ بِالْخَيْرِ، فَاسْتَأْذَنَ الْحَضْرَمِيُّ عَلَى الْأَمِيرِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ قَوْمًا يَذْهَبُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ أَتَوْا مَعَ الْقَاضِي يُزَكُّونَ ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ الْمُبْتَدِعَ، وَيَسْأَلُونَ الْأَمِيرَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنْ يَعزَلَ ابْنَ عَمِّهِ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ: أَخْرَجْ إِلَيْهِمْ وَمُرَّهُمْ أَنْ يَنْصَرَفُوا وَأَعْلَمِهِمْ أَنَّ

الجرحة أولى من التزكية، فخرج الحَضْرَمِي فقال لهم أَلَا تَسْتَحْيُوا؟! أراد الأمير تخطيط ابن عمه ابن طالب، وتريدون عَزْلَه! انصرفوا بأمر الأمير، فرجعوا ولم ينصرفوا إليه ولم تزل أمورُ ابن طالب تنمو حتى عزل سليمان وولي القضاء ابن طالب والرئاسة في الوَقْتِ لابن سحنون بالقيروان، وبتونس لابن غافق، وبقسطنطية لأحمد بن علول. وذكر أن محمد بن سحنون كان جالساً ضُحَى من النهار يُلقِي على أَصْحَابِهِ وهو منشرح مقبلٌ عليهم، حتى وجم فأطرق ساكتاً متفكراً ثم نهض للقيام وقال: من حَضْرَتُهُ نِيَّةٌ للقيامه لزيارة وَاَصِلَ بن عبد الله اللَّخْمِي المتعبد فليفعل، ثم خرج من فوره وخرج أصحابه معه، حتى وصل إلى قصر الرباط فدخل إلى القصر في اليوم الثاني والمؤذن يؤذن الظهر فنزل عن دابته وتوضأ للصلاة هو وأصحابه، وصلوا مع واصل صلاة الظهر، فلما فرغ من الصلاة والنافلة، تقدم إليه محمد بن سحنون فقال له واصل: يا هذا رَأَيْتَكَ مَرَرْتُ بِيَدِكَ عَلَى لَحْيَتِكَ وهذا عمل لا يجوز. فقال ابن سحنون: وأنت يا شيخ أعدْ صَلَاتَكَ فَإِنَّكَ أَشْغَلْتَ سِرَّكَ بِي وَسَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ نَأْتِيكَ وَنَرَاهُ قَدْ فَعَلَ، فهل من حاجة؟ فقال له: أتكون ابن سَحْنُون؟ قال: نعم فصافحه وسلّم عليه وَمَا ذَكَرَ من إعادة الصلاة إنما هو على طريقِ الوَرَعِ والله أعلم. وهكذا كانت العلماء رضي الله عنهم.

قال: وروى أن محمد بن سحنون رحمهما الله تعالى، ناظرَ شيخاً مُعْتَزِلِيًّا اسمه محمد قدم على القيروان في خلق القرآن، فقال محمد بن سحنون: كل مخلوق يذل لله عز وجل، قال: فسكت الرجل ولم يجد جواباً فقال له ابن سحنون: كم سِنُّكَ يا شيخ؟ فقال: ثمانون سنة. فقال: اختلف العلماء في الصلاة على الميت إذا أتت عليه سنة كاملة، وهذا الشيخ له ثمانون سنة في عدد الموتى، وشرح أربعة كتب من المدونة منها: كِتَابُ الْمُرَابِحَةِ.

ذِكْرُ وَفَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

كانت وفاته بالسَّاحِلِ وَأَتَى به إلى القيروان وخرج النَّاسُ لِذَفْنِهِ، وغلقت الكَتَابُ وَالْحَوَانِيْتُ من أجله، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره أربعة وخمسون سنة وصلّى عليه إبراهيم بن أحمد، وَذَفِنَ بِيَابِ نَافِعٍ بِمَقْرَبَةٍ من قبر أبيه.

قلت: هو قبلة أبيه بينه وبين أبيه خطوات، وعند رأسه سارية طويلة وهو مزار يعرفه الخاصة والعامة، ورثي بثلاثمائة مراثية، والمراثية⁽¹⁾ هي القصيدة ومن هنا تعرف عمارة القيروان من ذلك:

لقد مات رأس العلم وانهد ركنه
فمن لرواة العلم بعد محمد
ومن لرواة العلم والرأي والحججا
لقد أفجع الإسلام موث محمد
بكي كل من بالغرب عند وفاته
وأصبح من بعد ابن سحنون واهيا
لقد كان بحراً واسع العلم طاميا
وقد أصبح المفضال في الترب ثاويا
وأصبح منه جانب العين خاليا
وحق لمن بالغرب أن يك باكيا

قال أبو بكر التَّجِيبِي: وهذا أحسن ما رأيت فيه.

قال: قال أبو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه: لما مات محمد بن سحنون رحمة الله عليهما أقامت البيوع والأشربة والقباب مَضْرُوبَةً عَلَى قَبْرِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَمَا صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا هَجْمُ الشَّتَاءِ.

قلت: وقال ابن حارث: أقام الناس على قبره شهراً عدّة حزناً عليه وأسفاً على فراقه⁽²⁾. وقال التَّجِيبِي أقامت الأسواق والبيوع والأشربة على قبره نحواً من سنة.

قلت: وقال غيره لم تفرق الناس عنه حتى خاف من ذلك ابن الأغلب. فبعث إلى ابن عم سحنون المعروف بابن أبي لبدة يفرق الناس، وهكذا كانت الناس مع وجود أبي عبد الله محمد بن عبدوس وغيره، واليوم يكون في البلدة عالم واحد ليس فيها مثله، فإذا مات فحدّهم أن يجدوا عليه حتى يدفنوه ويرجعوا إلى حوانيتهم

(1) جاء في الرياض: قال أبو الحسين الكاشي: بلغني أنه لما مات رثاه جماعة منهم: أحمد بن

أبي سليمان رثاه بقصيدة ثلاثمائة بيت منها يقول، وهذا مطلعها:

ألا فإبك للإسلام إن كنت باكياً
تثل حصن الدين وانهد ركنه
لحبل من الإسلام أصبح واهياً
عشية أمسى في المقابر ثاويًا
الرياض 1/ 455.

وعدد الأبيات التي ذكر منها في الرياض 54 بيتاً، لم يرد ضمنها أبيات المعالم.

(2) هذا الوجد يدل على مكانة العلماء عند الناس في عصر سحنون رحمه الله، لكن فيه مبالغة ويُعدّ عن السنة، فالميت مهما كانت قيمته في الدنيا لا يتجاوز في حق الحزن عليه فوق ثلاثة أيام إلا زوجته إذا كان متزوجاً، ومدة جديدها أربعة أشهر وعشرة أيام.

وأشغالهم، وكأنه ما كان بين أظهرهم ولا نفعهم في دينهم ولا ذب عنم في دنياهم، فذهب النَّاسُ ولم يبقَ في غالب الأمر إلا الكَنَاسُ فَإِنَّا لله وإنا إليه رَاجِعُونَ.

117 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبْدوس⁽¹⁾ صاحب المجموعة:

قال: سَمِعَ من سَحْنُون، وموسى بن معاوية، وعبد العزيز بن يحيى المدني.

ذكر ثناء العلماء عليه

قال: كان من أهل الفقه والزهد والإجابة والتواضع والفضل الباهر، أشبه الناس بأخلاق سحنون في فقهه وزُهدِهِ وسيرته وهياتِهِ، وكان القاضي حَمَّاس يقول: ما رأيتُ مثل ابن عبْدوس في الفقه والعبادة. وكان يجلسُ في رُكْنِ المسجدِ، فإذا جاءَ السائلُ لم يعرفه من تَوَاضِعِهِ وَزُهدِهِ، وكان يركب بين السلال^(*) إذا سار إلى منزله⁽²⁾.

قلت: وكلام حَمَّاس يقتضي ترجيحه في الفقه على محمد بن سحنون، وهذا لا يُنَافِي ما قلناه قبل من أن ابن عبْدوس كان لا يساويه في الشُّهرة، كما أنه لا منافاة بينه وبين ما تقدم للمالكي، لم يكن أحد في عَصْرِهِ أجمع لفنون العلم منه، لأن حَمَّاساً إنما رَجَّحَهُ في الفقه خاصة وهو ظاهر قول القاضي أبي العباس عبد الله بن طالب: «اللهم أبقني ما أبقيت محمد بن عبْدوس أقتدي به في ديني».

قال: قال أبو القاسم بن شبلون: ما أظن كان في التابعين مثل ابن عبْدوس ولم يكن في أيام سحنون أفقه من ابنه محمد ومن محمد بن عبْدوس، وكانت الناس في أيامهما بين حزينين⁽³⁾ المَحْمَدِيَّة والعَبْدُوسِيَّة.

(1) ترجم له في الرياض: 1/ 459 - 461، طبقات الخشني ص: 133، ترتيب المدارك: 3/ 119 - 124، الكامل لابن الأثير: 5/ 373، البيان المغرب 1/ 116 [وفيات 260]، الديباج المذهب ص: 335 - 336، شجرة النور الزكية 1/ 105 رقم 105، الفكر السامي: 2/ 120 - 121.

(*) السلال: الطرق الخفية ومنه تسلل إذا انطلق في استخفاف.

(2) راجع الرياض: 1/ 460.

(3) في ط: خيرين. التصويب من: ت.

قلت: والذي يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِ كَلَامِهِمْ أَنَّ ابْنَ عَبْدِوَسٍ (1) أَفْقَهُ، وَلَقَدْ تَكَلَّمَ مَعَ ابْنِ عَبْدِوَسٍ، يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ ابْنُ سَحْنُونٍ: قَالَ سَحْنُونٌ فِيهَا كَذَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبْدِوَسٍ: لَمْ يَقُلْهُ لَوْ قَالَ لُرُوِينَاهُ، فَلَمَّا مَشَى ابْنُ سَحْنُونٍ إِلَى دَارِهِ، أَخَذَ وَرَقَةً وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: امْشِ إِلَيَّ ابْنَ عَبْدِوَسٍ وَقُلْ لَهُ: خَطُّ مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا قَالَ لَكَ: هُوَ خَطُّ سَحْنُونٍ فَقُلْ لَهُ: اقْرَأْ هَذَا اللَّفْظَ، فَإِذَا قَرَأَهُ فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ: أَتَكُونُ مَنْزِلَتِي عِنْدَ سَحْنُونٍ كَمَنْزِلَتِكَ؟ أَنَا مَعَهُ فِي الدَّارِ وَغَيْرِي بَرًّا (2) فَذَهَبَ فَقَرَأَهُ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ ابْنُ سَحْنُونٍ. وَهُوَ أَيْضًا ظَاهِرُ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ التُّجَيْبِيِّ: كَانَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ أَخِي هِشَامِ يَمِيلُ إِلَى كِتَابِ ابْنِ سَحْنُونٍ، وَكَانَ فِيهَا رَأَيْتُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ شَبْلُونٍ يَفْضَلُ الْمَجْمُوعَةَ عَلَى غَيْرِهَا وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا.

قلت: وَهَذَا يُرْجَحُ الْأَوَّلَ، لِأَنَّ تَرْجِيحَهُ لَهَا إِنَّمَا هُوَ لَمَّا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِقْهِ، وَقِيَمَةِ الْإِنْسَانِ مَا أَلْفَ وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ أَبِي الْعَرَبِ، قُلْتُ لِحَبِيبٍ (3) صَاحِبِ مِظَالِ سَحْنُونٍ، مَنْ كُنْتَ تَسْأَلُ إِذَا نَزَلْتُ بِكَ الْمَسَائِلَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُ سَحْنُونًا، فَإِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى سَوْأَلِهِ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوَسٍ فَتَخْصِيصُهُ لِسَوْأَلِهِ بَعْدَ سَحْنُونٍ دُونَ غَيْرِهِ، يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ. وَتَقَدَّمَ خِلَافُ هَذَا مِنْ قَوْلِ عَيْسَى مَا رَأَيْتُ فِي الْعِلْمِ مِثْلَ ابْنِ سَحْنُونٍ.

ذكر بقية أخباره

قال أبو عبد الله محمد بن حارث: كان ابن عبدوس مستجاب الدعاء، دعى على ابن الأغلب.

قال: روى الشيخ أبو الحسن ابن القباصي قال: أتى رجل يوماً إلى ابن عبدوس في الوقت الذي اختلف فيه أصحاب سحنون في مسألة الإيمان هل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله أم لا؟ فضرب عليه بابه فخرج إليه فقال له الرجل: ما مذهبك في الإيمان؟ فقال له: أنا مؤمن. فقال له: قلت لك أنا مؤمن، فأما عند الله فلا

(1) في ت: ابن سحنون. (2) بمعنى: خارج البيت.

(3) هو حبيب بن نصر بن سهل التميمي ولاء سحنون المظالم سنة 236 أو 237. توفي سنة 287هـ. ترجم له في: الديباج المذهب ص: 175 - 176.

أَقَطَعُ لِنَفْسِي بِذَلِكَ، لِأَنِّي لَا أُدْرِي مَا يُخْتَمُ لِي بِهِ، فَبَصَقَ⁽¹⁾ الرَّجُلُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِوَسٍ فَعَمِيَ الرَّجُلُ فِي وَقْتِهِ⁽²⁾ وَانْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ.

قلت: المسألة المشار إليها هي هل يجوز أن يقول: أنا مؤمن؟ أو لا بد من زيادة إن شاء الله؟ فقال ابن سحنون: ومن قال بقوله بالأول وقال ابن عبدوس ومن قال بقوله بالثاني. قال عياض: وخلافهم فيها خلاف في حال فمن التفت إلى أن الخاتمة مُغَيَّبَةٌ. قال بالاستثناء، ومن التفت إلى صِحَّةِ مُعْتَقِدِهِ نَفَاهُ، ثُمَّ نَشَأَ خِلَافٌ فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ فَوْقَ بَيْنِهِمْ تَنَازُعٌ هَلْ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ أَمْ لَا؟ وَالصَّحِيحُ مَا قَالَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، إِنْ كَانَتْ سَرِيرَتُكَ مِثْلَ عَلَانِيَتِكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِلَّا فَلَا.

قال: قال محمد بن بسطام: كنت في بيتي في ليلة شتوية إذ دق علي الباب، وإذا محمد بن عبدوس وعليه حبة صوف وقلنسوة من فرو، فقلت: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فقال: ما بت الليلة غمًا بفقراء أمة محمد ﷺ تسليمًا، هذه مائة دينار ذهبًا، وأخرج بها يده من طوقه وهي غلة ضيعتي⁽³⁾ إحدُرُ أَنْ تُمْسِيَ اللَّيْلَةَ وَعِنْدَكَ مِنْهَا شَيْءٌ. ثُمَّ انصرف⁽⁴⁾.

قلت: ذكر أبو بكر التُّجَيْبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ تَمِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَسْطَامٍ وَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ.

قال: روي أن محمد بن عبدوس أقام ثمان وعشرين سنة يُصَلِّي الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْمَغْرِبِ، مِنْهَا أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً صَلَاةً، وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً دَرَسًا لِلْكِتَابِ⁽⁵⁾.

قلت: فيه المخالفة لنقل أبي بكر المالكي عن لقمان بن يوسف أن إقامته الثمان وعشرين سنة كانت بوضوء العشاء الآخرة وزاد، وأنه أقام سبع سنين بوضوء

(1) في ط: فصعق. التصويب من الرياض: 461/1.

(2) في الرياض، زيادة: «وذهب بصره» 461/1.

(3) في الرياض، زيادة: «هذه السنة» 460/1.

(4) انظر الخبر بالفاظ متقاربة في الرياض: 460/1.

(5) «الوارد في الرياض من طريق ابن التبان أبي محمد عبد الله بن إسحاق أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة، يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة مشتغلاً بدراسة العلم، وأقام أربع عشرة سنة غيرها مشتغلاً بقيام الليل والتهجد فيه وتلاوة القرآن» 459/1.

العلم لا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة، وكلاهما خلاف قول الشيخ أبي بكر بن اللبّاد أقام ثلاثين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة⁽¹⁾، كما تقدم نصفها لدراسة العلم وَنُصِفُهَا لِلْعِبَادَةِ، وَلَمْ يَحْكِ عَيَاضُ غَيْرِهِ، وَذَكَرَ يَوْمًا رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ بِكَلَامٍ سَوِّءٍ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَخُوهُ: يَكْفِيكَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ مَا قُلْتَ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: وَاللَّهِ مَا يَكْفِينِي سَمِعْتُ سَحْنُونَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: إِذَا صَحَّ عِنْدَكَ فَجُورُ الرَّجُلِ فَلَا تَتَوَرَّعْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ لَا وَاللَّهِ مَا يَكْفِينِي.

قلت: ظاهره وإن كان فجوره بأنواع المعاصي من الخيانة وتضييعه للصلوات وغير ذلك، لا بتخصيصه بكونه شيعيًا ويدل على قوله حتى يحذره الناس؛ يعني من وضع أمانة عنده وتزويجه ونحو ذلك والذي به الفتوى أنه لا تجوز الغيبة في العاصي بجوارحه وما جاء من الحديث، لا غيبة في فاسق لم يصح سلّمنا صحته فحمله بعضهم على من يتمدح بذلك كالأعراب إذا قيل فلان سارق يعجبه ذلك، لأنه عبارة عن نجابته وإليه كان يذهب شيخنا أبو محمد عبد الله الشيببي رحمه الله تعالى، ونفعنا ببركاته وبعضهم يقول: ليس فيه دليل على الجواز لاحتمال أن يكون معناه لا غيبة جائزة في فاسق، وإلى هذا نحا القرافي في ذخيرته، وعزاه لجماعة من الفضلاء. وكان يكتب لسحنون إذ كان قاضيًا فنظر في الديوان إلى شيء فأنكره، فحلف أن لا يكتب له، فعافاه ويقال: بل هرب إلى سوسة. وكان صاحب كُشْفِ الشُّهُودِ يُسْحَنُونَ. وقال ابن عبدوس، قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال التَّكْبُرُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ.

قلت: يعني أنه من التَّوَّاضُعِ لِه عَزَّ وَجَلَّ لَا أَنَّ التَّوَّاضُعَ مَحْصُورٌ فِيهِ. وكان إسحق بن عبدوس أسن من أخيه محمد بسنة، وكان صاحب ملبس يروح إلى الجمعة وهو راكب، ومحمد أخوه تحت ركابه ولم يتكلم محمد بن عبدوس بعد انصرافه من الحج في مسألة من الحج، لئلا يفتح عليه من الرأي باب يظهر له به نقص حجه.

قال: وكان مولده هو ومحمد بن سحنون في سنة واحدة سنة اثنتين ومائتين وتوفي سنة ستين ومائتين وصلى عليه أخوه إسحق، ودفن بباب نافع.

قلت: وقبره مزار رحمه الله.

(1) العتمة: صلاة العشاء.

118 - ومنهم أبو جعفر أحمد بن لبة⁽¹⁾ رحمه الله :

قال: هو ابن أخي سحنون بن سعيد أظنه من الرضاة. وكان فقيهاً ثقة جليلاً صالحاً ورعاً من أدهى الناس وأَعْلَمِهِمْ بالفقه، تفقه على سحنون بن سعيد، ذكره الطبري وأثنى عليه، وذكر أن والد أحمد هذا هو عم سحنون بن سعيد، وأن أحمد هذا كان له جاهٌ وصيتٌ بإفريقية، لمكانه من سَحْنُونِ بن سعيد، مع ما اتصف به من دينٍ وفضلٍ. ولما ذكر العواني ما قلناه قال: وقول الدبّاغ: إن أحمد هذا ابن أخي سحنون بن سعيد من الرضاة وهم منه.

قلت: يعني أن والده ليس بأخيه وإنما هو عمُّه، وقوله من الرضاة كان حَقُّهُ أن ينقله كما قلناه أظنه من الرضاة مع أن ما نقله الدبّاغ لم يختص به بل تبع فيه قول التّجيبى، أحمد بن لبة أخو سحنون القاضي.

قال: وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين.

قلت: وفي هذه السنة مات الأمير محمد بن أحمد بن الأغلب ليلة الأربعاء لِسِتِّ خَلَوْنٍ من جمادى الأولى، فكانت إمارته عشر سنين، وخمسة أشهر وستة عشر يوماً.

119 - ومنهم محمد بن يحيى بن سلام التيمي⁽²⁾ رحمه الله :

قال: كان رحمه الله فقيهاً فاضلاً، ورعاً، حافظاً، مطبوعاً على الأخلاقِ الكريمة، قليل الكلام والخوض في أمور الناس، طويل الصلاة.

قلت: زاد غيره وكانت له عناية كاملة بالحديث، ونقله وروايته وضبطه ومعرفة رجاله، وحملته حافظاً للسننِ جامعاً لها، إماماً فيها، عارفاً بأصول الديانات، مُظهِراً للكرامات، قديم الطلب للعلم، مُبْرِزاً في المعرفة والفهم على هدى وسنة واستقامة.

(1) ترجم له في ترتيب المدارك: 118/3 - 119، وفيه قال أبو العرب: هو ثقة، أخذ الناس عنه، وكان وجيهاً بإفريقية، ذا فضل ودين. قال ابن حارث يعني الخشني: لم يكن في الفقه هناك، إلا أنه قام له، جاء في البلد بعد موت سحنون بأثرته ومكانه منه. ترتيب المدارك: 118/3 - 119. ورد ذكره في الرياض: 1/366 و473، الديباج المذهب ص: 85.

(2) ترجم له في طبقات علماء إفريقية ضمن ترجمة أبيه في طبقات أبي العرب ص: 113 في قوله: «وابنه محمد ثقة نبيل» ثم قال: ومات محمد ابنه سنة اثنين وستين ومائتين، وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة، وفي ترتيب المدارك ضمن ترجمة أبي العرب: 335/3.

وقال أبو العَرَب: «صَحْبَتُهُ سِنِينَ مَا رَأَيْتُهُ فِيهَا، ضَحِكَ وَمَا كَادَ يَغْضِبُ مَا يَخَوْضُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ طَوِيلَ الصَّلَاةِ رَفِيقًا بِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عِنْدَهُ»⁽¹⁾.

قال: روي أنه لما تكلم أبو إبراهيم: أحمد بن محمد بن الأغلب في حال سُكْرِهِ بِكَلَامٍ يُشْعِرُ بِالْكَفْرِ أَعْلَمَ بِذَلِكَ حِينَ صَحَا، فَندم وتاب إلى الله تعالى وَخَلَقَ رَأْسَهُ، وَجَمَعَ فُقَهَاءَ الْقَيْرَوَانِ فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ وَسَأَلَهُمْ: هل له من توبة؟ فكلُّهُمْ صَعِبَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ اعْتَقَدْتَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْتَقِدْهُ فَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ لَهُ: جزاك الله خيراً كما دَلَّلْتَنِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تُؤَيِّسْنِي مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَظَهَرَتْ مِنْ أَبِي إِبْرَاهِيمِ آثَارُ جَمِيلَةٍ مِنْ أَفْعَالِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ، وَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَوَاجِلِ، حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَتْرِكْ فِي بَيْتِ مَوْلَاهُ شَيْئًا.

قلت: هذا الكلام فيه إجمال، فإن بيان ما فعله بالتنصيص عليه أحسن من إجماله مع ما في بسط الزيادات قال أبو بكر التجيبي: كان أبو إبراهيم أجمل بني الأغلب، وكان له شجرة، وكان إذا جلس مع الجوّاري يَلْشُرِبُ نَظْمَتَ شَعْرَتِهِ بِأَجْوَهَرِ الْمُصَنَّفِ، وَيُجْعَلُ مِنْ فَوْقِهَا النَّجَاجُ الْمَكْلَلُ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَوَّارِيُّ فَنَظُرَ إِلَى وَجْهِهِ فِي الْمِرَاةِ فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ كُفْرًا، فَلَمَّا أَفَاقَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَبَكَى وَنَدَمَ وَأَمَرَ بِرَأْسِهِ فَخَلَقَ شَعْرَتَهُ وَتَابَ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِ الْقَاضِي سُلَيْمَانَ، وَجَمِيعَ عُلَمَاءِ الْمَدِينِ وَالْعِرَاقِيِّينَ فَسَأَلَهُمْ فَصَعَبُوا عَلَيْهِ، وَرَكِبَ إِلَى الدَّمْنَةِ إِلَى نَضْرِيرٍ نَمْتَعِبَدَ وَكَانَ مُسْتَجَابًا فَأَخْبَرَهُ وَسَأَلَهُ فِي الدُّعَاءِ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى قَضْرِهِ فِي قَضْرَتِهِ وَوُزْرَتِهِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ وَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ قَالَ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِبِنَاءِ مَاجِلِ بَابِ ثَوْنَسَ وَبِنَاءِ فِي جَامِعِ الْقَيْرَوَانِ الثُّبَّةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْبَهْوِ مَعَ الصَّفَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَلْيَانُهَا مِنْ جَانِبَيْهَا جَمِيعًا، وَبِلَاطِهَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهَا مَفْرُوشٌ، وَعَمَلِ الْمَحْرَابِ جَلِبَتْ لَهُ تِلْكَ الْقِرَامِيدَ الْيَمْنِيَّةَ لِمَجْلِسِ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَهُ وَجَلِبَتْ لَهُ مِنْ بَغْدَادِ خَشَبُ السَّاجِ لِيَعْمَلَ لَهُ

(1) هذا القول قاله أبو العرب في شأن يحيى بن سلام وليس في ابنه. قوله: «ما رأيتُهُ قط»

ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له، وكان محسناً في علمه، متواضعاً فيه،

فبذل يخوض فيما لا يعنيه»

منها عيدان عملها منبر للجامع وجاء بالمحراب مُفَصَّلًا رُخَامًا من العراق عمله في جامع القيروان، وجعل تلك القراميد في وجه المحراب، وعمل له رجل بَغْدَادِي قراميد زَادَهَا إليها وزينه تلك الزينة العجيبة، بالرخام والذهب والآلة الحسنة، وبني ماجل باب أبي الربيع، وأمر ببناء ماجل القصر الكبير بسوسة وبني جامع مدينة تونس، وبني سور سُوسَة وبني دار الملك بسوسة وبني قصر لَمْظَة وبني سور صفاقس وتصدق بباقي المال على الفقراء والمساكين وملك إفريقية وهو ابن عشرين سنة وعاش بعد هذه الحادثة خمس سنين، وخرجت له في يده الشمال قرحة قتلتته وهو ابن ثمان وعشرين سنة وتوفي شهيداً.

قلت: وأراد بالعيدان الملاهي، وَخَشْبُ السَّاج لا يأخذه السُّوس، فالمنبر إلى اليوم لا سُوسَ فيه، وجامع تونس هو المسمى بجامع الزيتونة وفعل أبي إبراهيم هذا لَوَجْهِ الله تعالى فالله يتقبل توبته، إذ كُلُّ ما فعله لم يزل مَوْجُوداً إلى الآن، وماجل باب تونس هو الذي يسمى عندنا اليوم بالفسقية، والماء الذي يجلب إليه من الوديان بالسدِّ الَّذِي يعمل حتى يصل الماء إليه فينتفع به أهل القيروان وماجل باب أبي الربيع هو الفسقية الكائنة بقبلي القيروان فيها كَسْرٌ وَتَهْدُمُ يَسِيرٌ، وَمَهْمَا تعذرت الفسقية الأولى ينتقل الأمر إليها. وأراد بقوله وَتَصَدَّقَ بباقي المال أي الباقي في بيت المال، وليس المراد أنه أنفق فيما ذكر بعض ما أخرجه من المال وتصدق بباقيه ليكون موافقاً لقول الشيخ ولم يترك في بيوت أمواله شيئاً والله أعلم. وَلَا مَعْنَى لقوله: وَمَاتَ شَهِيداً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِالْقُرْحَةِ صِفَةُ الْوَبَاءِ.

قال: وَرَوَى محمد بن يحيى عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورٍ»⁽¹⁾ الله. وتوفي محمد بن يحيى في النصف من ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائتين.

قال: وولد بالبصرة ولذلك قال العواني محمد بن يحيى بن سلام البصري المحدث.

(1) أخرجه الترمذي في السنن، في كتاب التفسير، 16 باب ومن سورة الحجر. حديث (3127) برواية أبي سعيد الخدري، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه»، وقد روي عن بعض أهل العلم.

قال: وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِي سُلَيْمَانُ بْنُ عِمْرَانَ، وَدُفِنَ بِالْبَلَوِيَّةِ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

120 - وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَوَّالِ الطَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قال: كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ سَحْنُونَ، وَعَيُونَ رَجَالِهِ ثِقَةٌ فِي حَدِيثِهِ.

قلت: وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ عَالِمًا فَقِيهًا إِمَامًا صَالِحًا كَثِيرَ الصَّدَقَةِ.

قال: وَلَمَّا اخْتَضَرَ أَوْصَى بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ، ثَلَاثَ مَالِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَوَفَّى فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَدُفِنَ بِبَابِ أَبِي الرَّبِيعِ.

قلت: زَادَ غَيْرُهُ وَكَانَ لَهُ مَشْهَدٌ عَظِيمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

121 - وَمِنْهُمْ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِوَسٍّ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قال: كَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَقِيهًا فَاضِلًا ذَا عِفَّةٍ وَمُرُوَّةٍ سَمِعَ مِنْ سَحْنُونَ وَسَمِعَ النَّاسُ مِنْهُ، وَكَانَ أَسْنَمًا مِنْ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِوَسٍّ وَكَانَ أَخُوهُ يَمْشِي تَحْتَ رِكَابِهِ وَكَانَتْ لِإِسْحَاقَ أُبَّهَةٌ عَظِيمَةٌ.

قلت: قَصِدَ بِكَوْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ يَمْشِي تَحْتَ رِكَابِهِ يَعْنِي لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ أَنَّهُ كَانَ يُعَظَّمُهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُعَظَّمُ إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلُهُ أَوْ أَعْلَى مِنْهُ.

قال: تَوَفَّى سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ.

قلت: زَادَ غَيْرُهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، لِأَنَّ وِلَادَتَهُ كَانَتْ سَنَةَ إِحْدَى

وَمِائَتَيْنِ.

قال: وَدُفِنَ بِبَابِ نَافِعٍ.

122 - وَمِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ عِمْرَانَ الْقَاضِي⁽²⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قد تقدم في الكلام في ترجمة سحنون بن سعيد رحمة الله تعالى عليه أنه كان يقول لما طلب أن يكون قاضياً قال: مَا يَصْلُحُ بِالنَّاسِ إِلَّا سُلَيْمَانُ بْنُ عِمْرَانَ،

(1) ورد اسمه في ترتيب المدارك: 210/3، الرياض 372/1 و460.

(2) ورد اسمه في ترتيب المدارك في صفحات متعددة، وطبقات أبي العرب ص: 114، 154،

161 - 162، 165، 169، 202، والديباج المذهب ص: 196 وفيه أنه توفي سنة 269هـ،

شجرة النور الزكية بتعليقنا 1/105 - 106 رقم: 127. وفيها أنه توفي سنة 270هـ.

وَسُلَيْمَانُ يَقُولُ فِي سَحْنُونَ كَذَلِكَ، حَتَّى تَقْدَمَ سَحْنُونَ، وَهَذَا فِيهِ كِفَايَةٌ فِي فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَمَا جَرَى فِي إِسَاءَةِ الْحَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَحْنُونَ لَا يَقْدَحُ فِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ وَلَاهُ سَحْنُونَ قَضَاءً بَاجَةً، وَسَمِعْتُ مَنْ يَنْقُلُ أَنَّ أَهْلَ بَاجَةَ اسْتَكْوَأَ بِهِ إِلَى سَحْنُونَ بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِيهِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ يَحْكُمُ عَلَيْنَا بِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ: مَا قَدِمْتُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يَحْكُمُ بِمَذْهَبِهِ فَأَنْصَرَفُوا فَلَمَّا مَاتَ سَحْنُونَ تَوَلَّى قَضَاءَ الْقَيْرَوَانَ وَكَانَ مِنْ أَحْضَرِ قَضَاءِ إِفْرِيقِيَّةِ جَوَاباً، وَالْظُّفُفُ حَسّاً، وَأَحَدُهُمْ ذَهْنًا، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقْضِيَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ بِلَا بَيِّنَةٍ، لَفَعَلْتُ وَاللَّهِ مَا يَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَصْمَانِ وَيَتَنَظَّرَانِ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ مَنْ لَهُ الْحَقُّ مِنْهُمَا.

قلت: وكان إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ يَحْكُمُ بِالْفِرَاسَةِ بَيْنَ الْغُرَمَاءِ. قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ كَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّامِيِّ الْمَالِكِيِّ بِيغْدَادَ أَيَّامِ كُونِي بِالشَّامِ يَحْكُمُ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ إِيَّاسٍ، وَكَانَ شَيْخَنَا فخر الإسلام الشَّامِيِّ صَنَّفَ جُزْءًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ كَتَبَهُ بِخَطِّهِ وَأَعْطَانِيهِ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ فَإِنْ مَوَادَّ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَةٌ شَرَعًا مُدْرَكَةٌ قَطْعًا وَلَيْسَتْ الْفِرَاسَةُ مِنْهَا وَيُحْكَى أَنَّ الشَّافِعِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ كَانَا جَالِسَيْنِ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَرَجُلٌ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَرَاهُ نَجَّارًا، وَقَالَ الْآخَرُ: أَرَاهُ حَدَّادًا، فَبَادَرَ مَنْ حَضَرَ إِلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: كُنْتُ نَجَّارًا، وَأَنَا الْيَوْمَ حَدَّادًا وَزَعَمَتِ الصُّوفِيَّةُ أَنَّهَا كِرَامَةٌ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ: بَلْ هِيَ اسْتِدْلَالٌ بِالْعَلَامَاتِ، وَمِنَ الْعَلَامَاتِ مَا يَبْدُو بِأَوَّلِ النَّظَرِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ خَفِيٌّ، فَلَا يَبْدُو بِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِبَادِي الرَّأْيِ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيمًا أَنَّهُ قَالَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ». ذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ الْعَرَبِيِّ هَذَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 175].

قال: وَحَقِيقَتُهَا الْاسْتِدْلَالُ بِالْخَلْقِ عَلَى الْخَلْقِ، وَذَلِكَ لِحُجُودِ الْقَرِيحَةِ وَحَمَلَةِ الْخَاطِرِ.

قلت: وَأَوَّلُ يَوْمٍ جَلَسَ الشَّيْخُ إِمَامُ الطَّرِيقَةِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَنِيدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِلْمِعَادِ قَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَمَا جَلَسَ وَعَلَيْهِ زِيَّ الْإِسْلَامِ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»؟ فَكَسَّرَ الشَّيْخُ الْجَنِيدُ رَأْسَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ وَقَالَ: يَا هَذَا أَسْلِمٌ تَسَلَّمَ فَقَدْ آتَى إِسْلَامَكَ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَوْ مَا كُنْتَ مُسْلِمًا؟ فَقَالَ: لَا وَإِنَّمَا كُنْتُ كَافِرًا وَأَتَيْتُ مِنْ بِلَادِي وَقُلْتُ: أَصَلِّيَ مَعَ النَّاسِ وَأُظْهِرُ الْإِسْلَامَ حَتَّى

يَكْاشِفُنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَاشَفَنِي آمَنْتُ حَقِيقَةً، فَلَمَّا سَمِعْتُ الْبَارِحَةَ أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ يَجْلِسُ لِلْمِيعَادِ، وَسَمِعْتُ الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ عَلَيْهِ، عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ بِسْؤَالِي عَنْهُ بِمَا لَفِظْتُ بِهِ فَكَاشَفَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ الْحَقَّ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ التَّجِيبِيُّ لَمَّا عَرَّفَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبِ الْقَاضِي قَالَ: قَالَ ابْنُ طَالِبٍ: نَظَرَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقَاضِي إِلَى ثَلَاثِ نِسْوَةٍ فَرَزَعْنَ مِنْ بَعِيرٍ شَرَدَ. فَقَالَ الْقَاضِي إِيَّاسُ: إِحْدَاهُنَّ حَامِلٌ وَالْأُخْرَى بَكْرٌ وَالْأُخْرَى مُرْضِعٌ فَسْتَلْنَ عَنْ ذَلِكَ فَوُجِدْنَ كَمَا قَالَ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَمَّا فَرَعْنَ وَضَعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ يَدَهَا عَلَى أَهْمِ الْمَوَاضِعِ عِنْدَهَا وَضَعَتْ الْبِكْرُ يَدَهَا عَلَى أَسْفَلِ الْبَطْنِ، وَوَضَعَتْ الْحَامِلُ يَدَهَا عَلَى بَطْنِهَا، وَوَضَعَتْ الْمُرْضِعُ يَدَهَا عَلَى ثَدْيِهَا.

قلت: إذا كانت هذه فِرَاسَةً بِالنَّظَرِ، فَتَكُونُ فِرَاسَةً أَقْوَى إِذَا سَمِعَ كَلَامَ الْمَتَدَاعِيينَ وَلَكِنَّهُ لَا يَقْطَعُ بِهِ. وَقَدْ كُنْتُ فِي أَيَّامِ قَضَائِي إِذَا جَلَسَ رَجُلٌ رَبِّمَا نَقُولُ: هَذَا جَاءَ يَتَكَلَّمُ فِي كَذَا، فَيَكُونُ كَذَلِكَ وَرَبِّمَا نَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ وَمَا رَأَيْتَهُ قَطُّ فَتَقُولُ: هَذَا فَلَانٌ فَيَتَّبِعِينَ كَذَلِكَ فَهَذِهِ فِرَاسَةٌ، وَلَا تُعْطِي التَّحْقِيقَ، فَلَا عَمَلَ عَلَيْهَا فِي الْأَحْكَامِ. وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْخِلَافِ شَادُّ لَا عَمَلَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ الْغَرَابَةُ فِي حِفْظِهِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَسْلِيمًا: «الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ». وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْقَاضِي: الْوُثُوبُ فِي الْأَحْكَامِ لِأَنَّ عَدَمَ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى الْجَسَارَةِ عَلَيْهِ وَلَمَّا قَدِمَ شَيْخُنَا أَبُو مَهْدِي عَيْسَى الْغُبَرِيْنِي قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِتُونِسَ أَبُو يُوْسُفَ يَعْتَقِبُ بْنُ يُوْسُفَ الرُّزْغَبِي [قَاضِي] ⁽¹⁾ الْأَنْكِحَةَ بِهَا لَأَمَّهُ مَرَّةً عَلَى مَا بَلَغَنِي بِسَبَبِ كَوْنِهِ يَطُولُ مَعَ الْغُرَمَاءِ، فَرَبِّمَا يَكْرُرُ الْخِصْمَانِ حِجَّتَهُمَا مِرَارًا، إِذْ ذَاكَ يَحْكُمُ بِأَنَّ تُونِسَ لَا يَصْلُحُ بِهَا ذَلِكَ لِكثَرَةِ أَهْلِ الْجَاهِ فِيهَا فَالْمَطْلُوبُ الْوُثُوبُ فِي الْأَحْكَامِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرُدُّ الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمَا لِيُظْهَرَ لَهُ الْمَحَقُّ مِنَ الْمُبْطَلِ فَقَالَ لَهُ: أَنَا إِذَا وَقَفَ الْخِصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ نَعْرِفُ الْمَحَقَّ مِنَ الْمُبْطَلِ بِنَظَرِي إِلَيْهِمَا قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَا: فَمَا اعْتَذَرْتُ بِهِ لَا يَقْبَلُ! قَالَ أَبُو بَكْرٍ التَّجِيبِيُّ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ خَلْفِ بْنِ شُبُلُونَ الْفَقِيهَ يَقُولُ قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ عِمْرَانَ: وَلَيْتَ الْقَضَاءُ فِي زَمَانِ فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلِي سَلِيمَانَ الْقَضَاءُ لَقَدْ خَسَفَ اللَّهُ بِالْدُنْيَا ثُمَّ عَزَلَتْ فِي زَمَانِ فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَزَلَ سَلِيمَانَ عَنِ الْقَضَاءِ وَأَيْنَ مِثْلُ سَلِيمَانَ؟ وَسَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدِ بْنِ التَّبَّانِ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

(1) فِي الْأَصْلِ: قَضَاءٌ. وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَاهُ.

قلت: يعني إنما كان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق وإنما قال ابن التبان هذا لما سُئِلَ هل كان يقول بخلق القرآن أم لا . وكان مولد سليمان سنة ثلاث وثمانين ومائة، ومات ليلة السبت لسبع بقين من صفر سنة سبعين ومائتين وكان عمره سبعة وثمانين سنة وصلى عليه أبو العباس ابن طالب وكانت بينهما منافسة فيقال: إنه ما زاد في صَلَاتِهِ عَلَيْهِ أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7].

قلت: فيما فعله نظر وإن كان التَّجِيبِي قِبَلَهُ والأقربُ عدمُ إجزاء صَلَاتِهِ عَلَيْهِ لأن مذهب مالك رحمه الله تعالى أنَّ الميت لا ينتفع بقراءة القرآن. قال عبد الحق: ولذلك لا تقرأ عليه الفاتحة، وإن كان إنما قصد بالآية الدعاء بلفظ القرآن، وهو قوله «فَاغْفِرْ». وما بعده فإنما هو لمن تاب واتبع سبيله ودفن بباب سَلَمٍ. قال التجيبي: ولأبي عقاب سعيد بن محمد بن جرجي كاتبه مرثية يدل على أنه أقام قاضياً ستاً وخمسين سنة فقال:

عَجَباً لِمَوْضِعِ لِحْدِهِ فِي قَبْرِهِ

رَجَعَ الْخُصُومُ وَخَلَّفُوا عِلْمَ الْهُدَى فِي بَابِ سَلَمٍ لَا يَزَالُ مُمْتَعَا
أَتَتْ الْمَنِيَّةُ إِذْ تَلْبَبُ قَاضِياً خَمْسِينَ عَاماً وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

قلت: وَقَبْرُهُ مَزَارٌ وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ هَذَا قَبْرُ الْقَاضِي سُلَيْمَانَ بْنِ عِمْرَانَ، وَتَارِيخُ وَفَاتِهِ كَمَا هُوَ الْعَادَةُ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ قَبْرِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ عَتِيقِ الشُّوسِيِّ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ بِانْحِرَافٍ إِلَى الْغَرْبِ. وَكُنَّا لَا نَعْرِفُ قَبْرَهُ، فَعَرَفْنِي بِهِ أَخِي لِأَبِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَظْنَهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ بِهِ فِي زَمَانِنَا ثُمَّ اشْتَهَرَ وَصَارَ قَبْرُهُ مَزَاراً [يعرفه الخاصة والعامة].

123 - ومنهم أبو داود العطار واسمه أحمد بن موسى بن جرير الأزدي⁽¹⁾:

قال: سَمِعَ مِنْ ابْنِ غَانِمٍ وَمَعَاوِيَةَ الصَّمَادِحِيِّ، وَأَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ، وَيَحْيَى بْنِ سَلَامٍ، وَسُحْنُونَ، وَأَبِي خَارِجَةَ.

(1) ترجم له في الرياض: 1/231، 281، 362، 414، طبقات أبي العرب ص: 151، 161، 175، 203، ترتيب المدارك 3/269 - 270، الديباج المذهب ص: 87، طبقات الخشني ص: 205.

قلت: في كلامه بتر لزيادة غيره وغيرهم وأبتر منه قول التُّجِيبِي حيث ذكر مثله وأسقط ابن غانم.

قال: وأخذ عنه الناس وكان ثقة⁽¹⁾.

قلت: ما ذكر من كونه ثقة تبع فيه التُّجِيبِي وهو في غاية القصور، لقول غيره: كان جامعاً لخصال من الخير، منها سَلَامَةُ الصَّدْرِ وَعِفَّةُ اللِّسَانِ وَالْيَدِ وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ مع جودة الذِّكَاةِ وَالْفَهْمِ، وكان ثقة من بيت علم وفضل ودين ونباهة.

قال: توفي سنة أربع وأربعين ومائتين.

قلت: زاد التُّجِيبِي في عشر ذي الحِجَّةِ.

قال: وهو ابن أحد وتسعين سنة ودفن بباب سَلَمِ.

124 - ومنهم أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب⁽²⁾ التميمي القاضي:

وقد غلظ فيه بعضهم فظن أن اسمه أحمد فسماه به.

ذكر ثناء العلماء عليه

قال محمد بن حارث في تاريخ الأفرقة وغيره من كتبه: كان ابنُ طالبٍ فطناً جيّد النظر، يتكلّم في الفقه فيُحسِنُ حريصاً على المناظرة يجمع في مجلسه المختلفين من الفقهاء ويُغري بينهم لقصد الفائدة، فإذا تكلم أجاد وأبان، حتى يودُّ السامعُ أنَّهُ لا يسكُتُ. وقال غيره: لم يكن شيء أحب إلى ابن طالب من المذاكرة في العلم. وقال أبو بكر بن اللباد: ما رأيت أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر. وقال أبو العرب: «كان عدلاً في قضائه، حازماً في جميع أموره⁽³⁾، [فقيهاً ثقة]⁽⁴⁾، عالماً بما اختلف فيه شديداً في الذب عن مالك، ورِعاً في حكمه، قليل الهيبة في

(1) في طبقات أبي العرب استدراكاً: «كان صالحاً ثقة في نفسه» ص: 238.

(2) ترجم له في الرياض 1/ 474 - 479، ترتيب المدارك: 3/ 194 - 212، البيان المغرب: 1/ 115، 116، 117، 121، الديباج المذهب ص: 218 - 219، شجرة النور الزكية 1/ 106 رقم 128.

(3) في طبقات أبي العرب: أمره ص: 240.

(4) زيادة من طبقات أبي العرب ص: 240.

الحق لِلسُّلْطَانِ، وَلَا⁽¹⁾ سَمِعْتُ الْعِلْمَ قَطُّ أَطْيَبَ وَلَا أَحْلَى مِنْهُ⁽²⁾ [من غير ابن طالب]⁽³⁾ وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ غَلْطاً⁽⁴⁾، إِلَّا مَسْأَلَةَ اخْتَلَفَ فِيهَا ابْنُ الْقَاسِمِ وَأَشْهَبُ، فَأَتَى بِقَوْلِهِمَا وَلَكِنْ قَلْبٌ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى الْآخَرِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ [رقيق القلب]⁽⁵⁾ لَيْنَ الْقَوْلِ كَثِيرَ الْوَرَعِ.

ذكر ولايته الصلاة والقضاء

كان رحمه الله تعالى ولي الصلاة في الجامع الأعظم، وتَسَبَّبَ له في ذلك محمد بن سحنون وذلك أنه لما تَوَلَّى سحنون القضاء تَسَبَّبَ ولده محمد عند أبيه في أن يولى سليمان بن عمران قضاء باجة فأسَعَفَهُ بذلك، وَمَكَثَ سحنون قاضياً ستة أعوام ومات، وتولى عوضه سليمان وانفسدت الحال بينه وبين ابن سحنون، حتى أن ابن سحنون خاف على نفسه منه فلزم دَارَهُ خَوْفاً منه، ثم خرج مختفياً حتى كَتَبَ كتاباً للأمير ابن الأغلب في ذلك، وكتب له بيت عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حيث يقول:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلِمَا أَمْرِي

فقال الأمير: ومن يُمَرِّقُهُ مَرَّقَ اللَّهِ جِلْدُهُ فَقِيلَ له: سليمان بن عمران فقال: قَدْ أَمَّنَاهُ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِمْرَانَ فَخَرَجَ حِينُئذٍ وَعَلِمَ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ أَمِنَ فَلَمْ يَعْضُضْ لَهُ، فَتَسَبَّبَ ابْنُ سَحْنُونٍ فِي تَوَلِيَةِ ابْنِ طَالِبِ الصَّلَاةِ لِيُوقِفَهُ لَهُ، فَكَلِمَ الْحَاجِبَ فِيهِ، وَخَرَّ الْأَمْرَ بِتَقْدِيمِهِ وَأَخْفَى أَمْرَهُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَتَى الْخَطِيبُ ابْنَ أَبِي الْحَوَاجِبِ وَكَانَ مِنْ جِهَةِ سُلَيْمَانَ، وَدَخَلَ الْمَقْصُورَةَ عَلَى جَرِي الْعَادَةِ، وَكَانَ ابْنُ سَحْنُونٍ أَعْلَمَ ابْنَ طَالِبٍ بِذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ أَبِي الْحَوَاجِبِ وَأَرَادَ الصُّعُودَ عَلَى الْمَنْبَرِ رُدَّ وَأَمَرَ ابْنَ طَالِبٍ بِالصُّعُودِ، وَنَزَلَ النَّوْمَ عَلَى سُلَيْمَانَ فَمَا شَعَرَ إِلَّا ابْنُ طَالِبٍ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعَلَى مُلْكِهِ احْتَوَى، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ يُرَى»⁽⁶⁾ فَعَلِمَ أَنَّهُ

(1) في طبقات أبي العرب: وما ص: 240.

(2) في طبقات أبي العرب: فيه ص: 240.

(3) ما بين المعقوفتين زيادة من: طبقات أبي العرب ص: 240.

(4) في طبقات أبي العرب: خطأ.

(5) زيادة من طبقات أبي العرب ص: 240.

(6) قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ بِوَهْدٍ فَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 22، 23].

أمر أوبرم، فلما خرج من الصلاة جمع أمناء البلد، فكلموا الأمير في ذلك، فخرج لهم الحاجب وقال: ألا تستحيون؟ أراد الأمير أن ينوه بابن عمه، فتعارضونه فانصرفوا وولي القضاء بعد بالقيروان مرتين لما عزل سليمان بن عمران أول مرة وولي هو ولأه إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وعظم قدره سنة سبع وخمسين [ومائتين] فلما رأى إبراهيم ميل الناس إليه ومحبتهم له، غار إبراهيم منه وخشي على ملكه منه لكونه ابن عمه، فرأى إماتة اسمه بعزله فعزله عام تسعة وخمسين [ومائتين] ورد سليمان بن عمران، فلما هاج سليمان عزله ورد ابن طالب وذلك سنة تسع وستين [ومائتين]، وعزله سنة خمس وسبعين [ومائتين] وامتحنه كما سيأتي. قال ابن طالب: كنت نائماً في وقت القائلة فقمْتُ من نومي، فأنكرت ذلك وعلمت أنه لأمرٍ حدث، فقبل لي: رسول الحاجب بالباب فخرجت في ثوب البيت، فقال لي [رسول] ⁽¹⁾ الحاجب: الأمير يدعوك الساعة فقلت: أدخل فألبس ثيابي، فقال: لا، فسأني ذلك، فدعوت بشيabi فلبستها وسرت حتى وصلت إلى إبراهيم بن أحمد، فوجدته وبين يديه السيف مسلولاً فسلمت فرد علي فسكن روعي لردّه فقال: عزمت على توليتك القضاء، فأبيت فمد يده إلى السيف فقال: إن شئت القضاء، وإن شئت هذا؟ فقلت: تأذن لي في صلاة ركعتين أدعو وأستخير؟ فصلتُهما يعني بعد وضوئه، واجتهدت في الدعاء والخيرة فلما سلمت قال: ما الذي ظهر لك؟ فقلت: أبقى الله الأمير تقدمت لي أيماناً، فتأذن لي في الانصراف، حتى أنظر فيها ثم أعود الساعة. فقال: افعل، وكان حلف بجميع الأيمان قبل هذا أن لا يلي القضاء أبداً، فخرج فخالع زوجته، وباع عبده وتصدق بماله، وأخرجه من ملكه ثم رجع فقبل، وكتب له عهده وأمر له بصلة وكسوة. قال ابن طالب: ولما كنت دخلت عليه في المرتين ما رفع إلي أحد رأساً فلما وليت وخرجت وجدت أهل الأرض ينتظروني على الباب! فعلمت هوى الناس للدنيا وسباق الكلام يقتضي أنه بعد توليته القضاء رد زوجته وماله. وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلي ينقله كذلك. وهذا من ابن طالب يقتضي أن التماذي على القضاء ليس بإنشاء، وأما على القول بأن التماذي كالإنشاء فإنه يحنث، وهذا بناء على ما فعله، وإلا فهو مكررة لا يحتاج إلى ما فعل والله تعالى أعلم؛ لأنه لا خلاف أن الخوف على النفس إكراه، وإنما الخلاف في

(1) زيادة يقتضيها السياق.

التخويف بقتل أجنبي هل هو إكراه أم لا؟ والصحيح أن التخويف بالولد إكراه، وفي التخويف بالمال ثلاثة أقوال، فقيل: إكراه مطلقاً وعكسه، وقيل: إن كان كثيراً فالأول، وإلا فالثاني.

ذكر ما كان عليه من السخاء

قال: بلغ من جوده أنه كان يتداين المال وَيَتَصَدَّقُ بِهِ، وإذا لم يحضره شيء يَتَصَدَّقُ بِلِجَامِ فَرَسِهِ وَبِمَصْحَفِهِ وَبِنَعْلِهِ مِنْ رِجْلِهِ وَخَاتَمِ يَدِهِ، وَحُلِيِّ بَنَاتِهِ وَعِيَالِهِ، وَكَانَ إِذَا رَأَى بَعْضَ الْفُقَرَاءِ فِي الشِّتَاءِ لَيْسَ عَلَيْهِ دِثَارٌ نَزَعَ فَرَوْهُ وَبَعْضَ ثِيَابِهِ وَكَسَاهُ. وَرَوَى أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ مَعْتَبٍ سَأَلَهُ لِرَجُلٍ مَعْرُوفاً فَنَاولَهُ ابْنُ طَالِبٍ كَمَهُ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ لِيَنْزِعَ قَمِيصَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَعْتَبٍ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَبْلُغَكَ هَذَا الْمَبْلُغَ، فَقَالَ ابْنُ طَالِبٍ: لَا يَسْبِقُ إِلَيْكَ أَنْ هَذَا عَنْ ضَجْرِ مَنِّي لَسْتُ وَاللَّهِ أَمْلِكُ فِي هَذَا الْوَقْتِ دِينَاراً وَلَا دَرهماً، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الرَّجُلُ هَذَا الْقَمِيصَ فَأَخَذَ الْقَمِيصَ مِنْ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ. وَحَكَى أَنَّ ابْنَ طَالِبٍ كَانَ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ وَإِذَا بِجَمَالٍ عَلَيْهَا حُمُولَةٌ قَمَحٍ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَسَايِرُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَضْلَحَكَ اللَّهُ، إِنْ الَّذِي تَنْزَلُ هَذِهِ عَلَيَّ بِأَبِيهِ فِي أَمْنٍ مِنْ هَذِهِ الْمَجَاعَةِ، وَفَارَقَهُ الرَّجُلُ فَسَارَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَى دَارِهِ، فَوَجَدَ الْحُمُولَةَ عَلَى بَابِ دَارِهِ، جَاءَ بِهَا وَكَيْلُهُ مِنْ أَحَدِ مَنَازِلِهِ فَقَالَ ابْنُ طَالِبٍ: أَحْمَلُوهَا إِلَى دَارِ فُلَانٍ، يَعْنِي الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يُسَايِرُهُ وَقَوْلُوا لَهُ: قَدْ أَمِنْتَ مِمَّا كُنْتَ تَحْذَرُ. وَحَكَى أَنَّهُ شَكَى إِلَى ابْنِ طَالِبِ الشَّرِيفِ بْنِ الْحُسَيْنِ: أَنَّهُ زَوَّجَ ابْنَتَهُ وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ تَجْهِيْزَهَا فَدَخَلَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا: إِنْ ابْنُ الْحُسَيْنِ يَدْخُلُ ابْنَتَهُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَاعْطِنِي حُلِيَّ ابْنَتِكَ وَكِسْوَتَيْهَا نَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَإِنَّا نَعُوْضُكَ وَنَعُوْضُهَا ففعلت. وَشَكَى إِلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُزَوِّجَ وَلَدَهُ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ دِينَاراً. وَرَوَى أَبُو الْعَرَبِ بْنُ تَمِيمٍ عَنِ ابْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: رَكِبْتُ مَعَهُ مِنَ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ يَرِيدُ الْعَتَابِيَّةَ فِي أَثَرِ سَمَاءَ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ مِصْرِيٍّ، فَعَرَضَ لَهُ مَاءٌ مُسْتَنْقَعٌ فَأَتَى غَلامٌ خَمَاسِي رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ وَجَوَّزَهُ الْمَاءَ، فَنَزَلَ ابْنُ طَالِبٍ فِي مَسْجِدٍ وَقَالَ لِلْغَلامِ: اذْهَبِ فَأْتِ بِمَوْلَاكَ، فَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ هَذَا الْغَلامِ؟ فَقَالَ: بَعْشَرَةَ دَنانِيرَ، قَالَ: هَذِهِ عَشْرَةُ دَنانِيرَ وَأَعْتَقَهُ وَوَلَاؤُهُ لَكَ. قَالَ: نَعَمْ فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ فَكَتَبَ فِيهَا عَتَقَهُ وَقَالَ لَهُ: لَا تَقْطَعْنَا فَإِنَّا نَرْفُقُكَ وَفَرَضَ لَهُ دِينَاراً فِي كُلِّ سَنَةٍ.

قلت: وذكر ابن أبي عُبَيْة قال: خرج ابن طالب إلى القصر فلقي غلاماً راعياً، فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِ ابْنِ طَالِبٍ فَجَرَى الْغُلَامُ وَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ مَوْلَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ قَالَ: اتُونِي بِفُلَانٍ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: أَحِبُّ أَنْ تَبِيعَ لِي غُلَامَكَ فُلَانًا. فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! مَا نَسْتَعْنِي عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِأَلَّا تَمَنَّي. فَقَالَ: لَا إِنَّمَا نَأْخُذُهُ بِشَمْنِهِ وَثَمَنِ الْغَنَمِ. فَبَعَثَ وَرَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: إِذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْغَنَمَ لَكَ. وَأَتَاهُ شَيْخٌ مِنَ السَّاحِلِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا مِنَ الزَّيْتِ يَأْكُلُ مِنْهُ أَوْلَادُهُ لَيْلَةَ قُدُومِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَتَبَ لَهُ رُقْعَةً لِيُوكِيلِهِ بِالسَّاحِلِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: أَعْطِهِ قَفِيزِينَ زَيْتًا فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ضَجَرَ وَقَالَ: مَا دَفَقْنَا شَيْئًا مِنَ الزَّيْتِ وَهُوَ أَخَذَ فِي تَفْرِيقِهِ وَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَعْطِهِ خَمْسِينَ قَفِيزًا لِأَجْلِ تَعْبِهِ قَرْدَةً ثَانِيًا، فَلَمَّا وَصَلَ رَأَى وَوَلَدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ فَلَمْ يَتْرِكْهُ يَصِلُ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ لِيُوكِيلِ وَالِدِهِ أَعْطِهِ خَمْسِينَ قَفِيزًا زَيْتًا كَمَا أَمَرَكَ وَالِدِي، وَلَوْ وَصَلَ إِلَيْهِ لِأَعْطَاهُ زَيْتُونَهُ مِنْ أَصْلِهِ فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ. وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِإِثْرِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّ عِنْدَهَا ابْنَةَ تَرِيدَ أَنْ تُجَهِّزَهَا وَلَا مَالَ عِنْدَهَا فَدَخَلَ إِلَى الدَّارِ فَلَمْ يَجِدْ مَا يَرُدُّهَا بِهِ، فَنَزَعَ ثِيَابَ الْجُمُعَةِ وَأَعْطَاهَا ذَلِكَ فَمَشَتْ إِلَى سُوقِ الرَّهَادِرَةِ وَأَعْطَتْهَا لِبَعْضِ الدَّلَّالِينَ، فَلَمَّا نَظَرَهَا قَالَ: هَذِهِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْبَاسِ ابْنِ طَالِبِ الْقَاضِي، فَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: هِيَ لِبَاسِي وَمَا وَجَدْتُ مَا نَرُدُّهَا بِهِ، نَادَ عَلَيْهَا وَزِدْ لِي فِيهَا فَإِذَا وَقَفْتُ عَلَيْكَ، فَادْفَعْ عَنِّي حَقَّهَا سَلْفًا، وَرَدَّهَا إِلَيَّ ففعل ذلك. قَالَ أَبُو بَكْرٍ التُّجَيْبِيُّ وَأَتَاهُ رَجُلٌ شَكَى الْإِقْلَالَ وَعَرَضَ بِالسُّؤَالِ فَاعْتَذَرَ ابْنُ طَالِبٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ وَخَرَجَ وَفِي يَدِهِ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ دَفَعَهَا إِلَيْهِ.

قلت: إنما اعتذر له مع أنه أخرج له بعد ما ذكر، لِيَطِيبَ قَلْبَ الْمُعْطَى لَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، وَلَا يَسْتَقَلِّلَهَا مِنْهُ، أَوْ يَكُونُ بَعْدَ أَنْ اعْتَذَرَ ذِكْرُ أَنْ فِي دَارِهِ مَا أَعْطَاهُ، فَدَخَلَ وَأَخْرَجَهَا لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قلت: وكان رجلٌ يَتَعَرَّضُ لِعَرَضِهِ كَثِيرًا فَمَاتَتْ لَهُ أُمُّ وَوَلَدٌ، فَقِيلَ لَهُ امشْ لِابْنِ طَالِبٍ يُصَلِّيَ عَلَيْهَا لِيَكْثُرَ مِنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ مَعزُولًا يَوْمئِذٍ ففعل ذلك، وَبَعَثَ وَرَاءَهُ ابْنَ طَالِبٍ بَعْدَ، وَكَتَبَ لَهُ ثَلَاثِينَ كِتَابًا لِأَصْحَابِهِ بِالسَّاحِلِ وَهُوَ يَطْلُبُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ جَارِيَةً، فَأَتَى الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ جَارِيَةً، وَوَصَلَ بِهِنَّ إِلَى ابْنِ طَالِبٍ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنْ جَمِيعَهَا لَهُ، فَبَاعَ ثَلَاثًا مِنْهَا وَكَسَا بِشَمْنِهَا السَّبْعَةَ وَالْعِشْرِينَ الْبَاقِيَةَ مِنْهَا وَأَعْطَى لَهُ جَمِيعَهَا. وَهَكَذَا كَانَ النَّاسُ الْفُضَّلَاءُ يُحْسِنُونَ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ.

قال: وروي أن ابن طالب أتى يوماً من القصر القديم في يوم شتوي مطير لينظر بين الناس في الجامع فبينما هو بين القصر والقيروان راكباً على دابته، إذا بشيخ كبير ضعيف معه دويبة عليها حطب وقد أخذته الأوديّة والشيخ وحده، والشبكة تميل من ناحية ويردونها الشيخ من ناحية فعدل إليه ابن طالب وقال: يا شيخ في مثل هذا اليوم؟ قال: فما حيلتي؟ لي بناتٌ وعیالٌ أبيع هذه الشبكة فأشتري منها شعيراً وعلفاً ولؤ تركت هذا اليوم بقينا بغير شيءٍ أو نحو ما قال. فقال له ابن طالب: إذا كان بالغداة فلا تعمل شيئاً وتأتي إلى موضع كذا وكذا من القصر القديم عند البير فتجلس فعسى أن يكون خيراً أو كما قال. فلما كان من الغد قال لرجل: امض إلى البير فانظر شيخاً من صفتيه وصفته فأت به. فلما دخل عليه دعى ابن طالب بوكيله فقال له: امض فاشتر لهذا الشيخ كذا وكذا من الطعام، واشتر له ولعياله جبةً وكساءً لكل واحد منهم، قم يا شيخ فقام الشيخ وقال: «الحمد لله رب العالمين». فقال ابن طالب: اجلس يا شيخ. وقال للوكيل: اشتر له زوجاً يحرث له من البقر، وكذا وكذا من الزريعة. قال الشيخ: «الحمد لله رب العالمين». قال ابن طالب: واشتر له غلاماً يحرث له. قال الشيخ: «الحمد لله رب العالمين». قال ابن طالب: واشتر له مائة شاة من الغنم، قال الشيخ: «الحمد لله رب العالمين» قال ابن طالب: واشتر له كذا وكذا فعَدَّ الراوي عدداً كثيراً وقال: إذا أمر له بشيء يحمد الله عز وجل إلى منتهى القسم من الله عز وجل. قال الشيخ: أغنيتني وأغنيت أهلي فعل الله بك وفعل. فقال ابن طالب: يا شيخ لو دمت في الحمد لربك لأنفدت عليك جميع ما أملك.

قلت: لو لم يكن في سخاء ابن طالب إلا هذه القضية لكان فيها كفاية فنسأل الله عز وجل، أن يجدد عليه الرحمة بكرة وعشياً.

قال: وروي أن ابن طالب واصل جعفر الأعمى بسبعين ديناراً بآية من كتاب الله عز وجل سمعها منه.

قلت: هذا الكلام فيه بترٌ من وجهين، أحدهما تعيين الآية، الثاني: كلامه يوهم أنه أعطاه ما ذكر دفعة واحدة، وليس كذلك، بل أعطاه ذلك في مواطن متعددة. قال أبو بكر التميمي: وصل جعفر الأعمى بآية من كتاب الله بسبعين ديناراً، كان إذا رآه جالساً في مجلس قضائه قام قريباً منه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 9].

قلت: يَعْنِي كَمَا قَالَ أَبُو [عَثْمَانَ] ⁽¹⁾ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ فَيُدْفَعُ إِلَيَّ الدِّينَارَ وَالذِّينَارَيْنِ وَمَا أَمْكَنَهُ، وَعَبَّرَ عَنْ جَعْفَرٍ بَعْضَهُمْ، وَقَالَ عَنْهُ: وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهَا نَحْوُ سَبْعِينَ دِينَاراً. وَمَعَ سَخَائِهِ هَذَا وَعِلْمِهِ فَكَانَ يَقُولُ: هَبْ أَنْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْرًا وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا أَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَّا الْمَوْتُ؟.

قال: وروى أنه لما ولي القضاء [كان] ⁽²⁾ عنده ثمانون ألفاً فلم يمت حتى تصدق بها كلها. وأخبار ابن طالب في فضله وجوده يطول بها الكتاب.

قلت: من جوده أن رجلاً أكرمته في طريقه ولم يعرفه فقال له: سل في القيروان عن دار ابن طالب، فلما وصل الرجل دفع إليه خمسة آلاف درهم وعشر خلع، وأهدى إليه رجل خبز سلت، فدفع إليه خمسة مئائيل فقيل له: إنما يسوى درهماً. قال: كلا ولكن هذا رجلي أفضالنا فحققناه قال أبو القاسم المعروف بالمساجدي: شكوت يوماً لابن طالب الوحدة وقلة الجدة فاشتري لي جارية بأربعين ديناراً، وحجرة قرب الجامع بعشرين ديناراً فشكوت إليه إنه ليس فيها ماء، فحفر في رقاقها بئراً للمسلمين، وكان يعطيني قوتي وقوت الجارية وكسوتها لكل شهر. قال ابن أبي عقبة كان رجل كفيف من الفقراء يمشي مع زوجته، فإذا بصقلي ⁽³⁾ أتى إلى طباح ⁽⁴⁾ فقال له: يقول لك القاضي خذ لنا خروفاً من صفتيه كذا وكذا، واعمله في التتور وخذ له من الزيتون والخبز وبقل المائدة ما يصلح، وهيئة إلى أن أرجع من صلاة الجمعة، وأنصرف الغلام فقالت زوجة الكفيف واللّه ما اشتهيت إلا الأكل منه، وكانت حاملاً، فقال الكفيف: أنت طالق إن تغدينا إلا منه. فلما فرغ الناس من الجمعة سبق القاضي إلى باب الدار حتى جاء القاضي ودخل بيتاً في سقيفة داره، يحكم فيه فقالت: ما الذي يوصلك إليه؟ فقال لها: أسكتني فلما سمعت الصّست أخبرته فقال الكفيف يا قاضي قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]. وقال: ﴿إِنَّمَا نَطَعْنَكُمْ لَوَحِيهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكُفِّرُكُمْ﴾ [الإنسان: 19]. فصاح القاضي: يا غلام خذ هذا الخوان ⁽⁵⁾ وامض معه حتى توصله

(1) في الأصل: أبو سعيد بن الحداد. والصواب ما أثبتناه من: الرياض 57/2 وسيأتي ترجمته.

واسمه: "أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني مولاهم يعرف بابن الحداد".

(2) زيادة يقتضيها السياق. (3) في الرياض: بصقلي 475/1.

(4) في الرياض: إلى بعض الطباخين 475/1.

(5) الخوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل، وتسميه العامة: الشفرة.

إلى دار المتكلم. ففعل، ويمينُ هذا الكفيفِ خرج منه على غلبةِ الظن لما يعلم من سخائه والأقربُ عندي أنه حَانِثٌ. وَذَكَرَ ابن حارث نحو ما تقدم فقال: أتاه رجلٌ من أهلِ البَادِيَةِ فشكى إليه الإقْلَالَ فكتب له إلى أبي إبراهيم في ضَيْعَتِهِ أن يدفع له خمسين قفيزاً زيتاً، فَلَمَّا وَصَلَ إليه الْكِتَابُ ضَجِرَ⁽¹⁾ على الرجلُ وقال: إنا لم نعصر بعد وهو يبدأ بتفريقه ما عندي ما نعطيك فرجع الرجل إليه فأعلمه، فكتب له إِدْفَعْ إليه مائة قفيز، والله لئن رجع إلي لأدْفَعَنَّ إليه غَلَّةَ الْعَامِ أَجْمَعِ.

ذكر محنته رحمه الله تعالى

كان رحمه الله إِمْتُحِنَ بمحنتين محنة عند العزلة الأولى في ولاية سليمان بن عمران، فَسَجَنَهُ تسعة أشهر وأرسله، ولما عزل سليمان وتقدم ابن طالب ثانياً، هرب سليمان وتوارى نحواً من سنتين خوفاً منه حتى أمر مُنادياً ينادي بأمانه، ثم بعد عزل ابن طالب وولي سليمان وكانت محنته الثانية بعد سليمان في ولاية ابن عبدون وذلك أنه نظر إلى ما فعل إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والاسْتِطَالَةِ على المُسْلِمِينَ، وإباحته لِلسُّودَانِ نساء إبيانه حين امتنع أهلها من بيعها، وقد أتت امرأة بفرعة ابنتها في ثوب فَأَلْقَتْهُ بين يديه فترجع وقال: ما أراه يؤمن بالله، أو هذا فعل الدَّهْرِيَّةِ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فبلغت الكلمة إلى إبراهيم وحقدتها عليه، فأخذه وسجنه ومات في السجن فقيل إنه بعث له رجالاً ضربوه بِرُكْبِهِمْ في بَطْنِهِ حتى مَاتَ. وقيل: إنه سَقَاهُ سُمًّا فمات به. وهذا هو الصَّوَابُ لقول أحمد بن نصر البصري: رأيتُ ابن طالب في النوم بعد قتله فسألته فقال: وحق الله لقد أدخلت الجنة فقلت له: كيف كانت منيتك؟ فقال: سَقَانِي الأَمِيرُ شُرْبَةَ سَقَاهُ اللَّهُ من صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ. توفي رحمه الله تعالى عليه⁽²⁾.

125 - ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء الضربير⁽³⁾ رحمه الله تعالى:

قال: سمع من سحنون.

قلت: زاد غيره وكان من كِبَارِ أَصْحَابِهِ وَغَلِبَ عليه علم التصوف.

(1) ضَجِرَ: قلق.

(2) في الديباج أن وفاته كانت سنة تسع وستين ومائتين [269هـ].

(3) ترجم له في: ترتيب المدارك 3/ 130 - 131 وسماه: «إبراهيم بن طارق الأشدي».

قال: وكان فقيهاً صالحاً.

قلت: زاد غيره: فاضلاً زاهداً عابداً ثقة، عدلاً من أكابر الصالحين.

قال: وهو الذي بنى مسجد الخميس بالدمنة.

قلت: وأراد بمسجد الخميس الذي كان يُقرأ فيه الرقائق كل خميس، كمسجد

السبت يقرأ فيه الرقائق كلَّ سبتٍ.

قال: وكان بهذه الدمنة خمسة عشر رجلاً كلهم مستجاب الدعاء منهم:

إبراهيم بن المضاء، له كرامات وإجابات، وكان يُستسقى به الغيث. وروي أن رجلاً

أتى إلى مسجد أبي إسحاق هذا فقال لمن به من الحاضرين: هبوا إلى دعوة عامر بن

زُرارة الوزير، فإنه بنى علياً، وفتح فيها طيقاناً مِطْلَةً مُشْرِفَةً على بناتي وهنَّ

مُنكشفات، فدعى إبراهيم وأمنَّ النَّاسُ على دُعائه، فما كان بأقرب من أن جاء

رَجُلٌ⁽¹⁾ فقال: إنَّ الوزيرَ قد انهدمت دَارُهُ وَضَرَبَتْهُ سَارِيَةٌ فَطَيَّرَتْ دِمَاعَهُ. وكان من

دُعائه: «اللهم اجعلنا من الَّذِينَ خَلَقُوا الدُّنْيَا مع نُفُوسِهِمْ وراءَ ظُهُورِهِمْ فخفت عليهم

الأثقال لما عندهم من الإعواض، أولئك الذين [عجب منهم البلاء لصبرهم وهابتهم

المصائب لشكرهم]⁽²⁾.

قلت: زاد الشجبي على جميع ما ذكره كل الخمسة عشر رجلاً ذكرتهم في هذا

الكتاب.

قال: ولما تولى القضاء محمد بن عبدون ضرب طائفة من أهل العلم والصلاح

من أصحاب سحنون بالسَّيِّطِ، وَطِيفَ بِهِمْ على الجِمالِ بغضاً منه في مذهب مالك

رحمه الله تعالى وفي أصحابه منهم أحمد بن مُعْتَبِ، وأبو إسحاق بن المضاء، وأبو

زيد بن المَدِينِي، والحسن بن مفرج مولى مهريّة، فمات ابن المديني وأبو إسحاق بن

المضاء على الحال وهما على الجِمالِ، وكان ابن عبدون حَنَفِيًّا رَجُلًا سُوءًا، قال

إبراهيم بن أحمد الأمير لو ساعدته على مقصده فيمن يشكو به، لجعلتُ له مقبرةً

على جِدَّة. توفي أبو إسحاق سنة ست وسبعين بعد ابن طالب، وقيل: بلُ توفي سنة

(1) في ط: رجلاً. والصواب ما أثبتناه.

(2) في ترتيب المدارك: «أولئك الذين يحجب عنهم البلاء بصبرهم، وهانت لهم المصائب بشكرهم» 131/3.

خمسين ومائتين. قلت: وهو الصحيح، إذ لم يحك الثُّجِيبِي غيره وقبره مَزَارٌ، وهو الَّذِي يقول العامة فيه: إنه قبر سيدتي تِيَّاهَةَ، وإنما هو قبره. قال شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البُرْزُلِي رحمه الله تعالى: لا أعرف أحداً عُرِفَ بتياهة، وإنما هو قبر الشيخ أبي إسحاق هذا، والمسجد الَّذِي قبره فِيهِ هو المسجد المشارُ إليه بمسجد الخميس.

126 - ومنهم أبو محمد عبد الله بن خليل التونسي المقعد⁽¹⁾ رحمه الله تعالى:

قال: كان من كبار العابدين، وأفاضل عباد الله الصالحين، يُصَلِّي كل ليلة أربعمئة ركعة يختم فيها القرآن. توفي بالقيروان ليلة الخميس الثالث من شوال سنة ست وسبعين ومائتين.

قلت: مثله ذكر الثُّجِيبِي.

قال: ودفن بباب سلم وقبره معروف قرب قبر ابن اللبَّاد رحمهما الله تعالى.

127 - ومنهم أبو جعفر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر⁽²⁾ عبد الوارث بن حسن الأزدي رحمه الله تعالى:

قال: سمع من سَخُنُون بن سعيد، وسمع بالمشرق من حسين بن حسن صاحب ابن المبارك.

قلت: زاد الثُّجِيبِي وبالمدينة من ابن العثماني. وقال المالكي: كانت له رحلة إلى المشرق وسمع سماعات كثيرة وظاهره أنه سمع من جماعة كما صرَّح به العواني. قال: وكان فقيهاً صالحاً، وله صلاة طويلة، وبكاء بالليل حتى يَسْمَعُ جِيرَانَهُ نَجِيئَهُ، وكان عالماً بالحديث ثقة.

قلت: وفي كلامه بتر لقول أبي العرب «وكان له نُسْكٌ وخشوعٌ وحسن خلق وكان فيه زُهدٌ»⁽³⁾.

(1) ورد اسمه في طبقات علماء إفريقية وتونس ص: 179، وترتيب المدارك 3/ 94 - 128.

(2) ترجم له في: طبقات أبي العرب ص: 241، الرياض: 1/ 470 - 472، ترتيب المدارك 3/ 230 - 233، الديباج المذهب ص: 86.

(3) انظر هذا القول في: كتاب الطبقات لأبي العرب ص: 242.

قال: وروى أنه سمع قوماً بالبقرية في يوم سبت وهم على حالة شراب،
وعندهم قوال يقول: فدخل عليهم⁽¹⁾ فقال: من كان منكم يقول؟ قيل: هذا، فقال
له: سألتك بالله إلا أعدت الشعر فقال:

العفو أولى بمن كانت له القدر لا سيما العفو⁽²⁾ عن من ليس ينتصر
أقر بالذنب إجلالاً لسيدِهِ فقام بين يديه وهو يعتذر⁽³⁾

فبكي أحمد وأن ثم قال: «تاب الله عليكم، أخذ الله بأيديكم» فأمن صاحب
الدار ثم خرج أحمد فقال صاحب الدار: والله لا عصيت الله بعدما رأيت هذا الشيخ
أبدأ. فتاب هو ومن كان في المجلس.

قلت: هذه الحكاية ذكرها المالكي عن الشيخ أبي بكر بن اللباد والقوال هو:
أبو شرف، ودخونه عليهم إنما هو باذن، وإنما تركه للعلم به، ولم يدخل أحمد حتى
تقدم صاحب الدار، وغيب ما كان بين أيديهم من الشراب، ثم أذن له كما صرح به
الشجبي.

قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، قال: قال أبو شرف: أصبحت يوماً عند بعض
إخواني بالربض المعروف بالبقرية في يوم سبت، فبينما أنا أغني إذ قرع علينا الباب
فخرج صاحب الدار، وإذا أحمد بن معتب الفقيه فقال: أردت أن أدخل عليكم
فاستحيا منه صاحب الدار واعتذر إليه فقال: «لا بد»، فدخل إلينا صاحب الدار قبله
فغيب ما كان تحت أيدينا من الشراب، ثم أذن له، فدخل علينا وسلم وقال: من
كان المتكلم أنفاً؟ وذكر ما تقدم، وذكر أنه ردّد القارىء مراراً.

قال: ثم دخل أحمد مسجد السبت بالدمنة فسمع قارئاً يقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٨٣] القصص:
183. فخر أحمد ضعفاً، فاحتمل إلى داره فمات قبل وصوله إلى الدار فخرجوا به
والضياح خلف نعشه هذا قتيل القرآن، هذا شهيد القرآن⁽⁴⁾.

قلت: أراد بقوله: «ثم دخل مسجد السبت» يعني في ذلك اليوم كما صرح به
ابن اللباد. وقيل: سمع القارىء يقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1]. وقيل:

(1) في ط: إليهم.

(2) في الرياض: لا سيما عن مقر ليس ينتصر.

(3) الرياض: 471/1.

(4) الخبر في الرياض بلفظ آخر 472/1.

بل سَمِعَ بَيْتًا مِنْ شِعْرِ فِيهِ ذِكْرُ النَّارِ وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي بِاخْتِلافٍ، فَهُوَ سَمِعَ الْجَمِيعَ لِقَوْلِ ابْنِ اللَّبَّادِ: دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَسَمِعَ بَعْضَ الْقَوَائِنِ⁽¹⁾ يَقُولُ:

دَعِ الدُّنْيَا لِمَنْ جَهَلَ الصَّوَابَ فَقَدْ خَسِرَ الْمُحِبُّ لَهَا وَخَابَا
وَمَا الدُّنْيَا وَإِنْ رَاقَتْكَ إِلَّا كَبَلْقَعَةٍ⁽²⁾ رَأَيْتُ بِهَا سَرَابًا⁽³⁾

إلى أن انتهى إلى قوله:

يَظَلُّ نَهَارَهُ يَبْكِي شَجِيًّا⁽⁴⁾ وَيَطْوِي اللَّيْلَ بِالْأَحْزَانِ دَابًا⁽⁵⁾

ثم قرأ القاريء آية من القرآن فخرَّ صَعِقًا فَاحْتَمَلَ إِلَى دَارِهِ، وَلَمْ يَزَلْ مُنَازِعًا إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَتُوَفِّيَ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ⁽⁶⁾. وهذا خلاف ما تقدم من كونه مات قبل وُضُوعِهِ إِلَى الدَّارِ، وخلاف قول التُّجِيبِيِّ عِنْدَ وُضُوعِهِ. قال المالكي: ولما انصرفوا [به]⁽⁷⁾ من مجلس الذِّكْرِ مَرُّوا بِهِ عَلَى الصَّدِّيْنِيِّ⁽⁸⁾ الْعِرَاقِيِّ قَالَ: هَذَا الرَّيَّاءُ فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ⁽⁹⁾: هَذَا وَاللَّهِ الْإِخْلَاصَ فِي الصَّدْقِ!

قال: وختم في مسجده ثلاثين ألف ختمة⁽¹⁰⁾. ووجد ذلك مكتوباً في قبلة المسجد. ومن حكيمه رحمه الله: كُلُّ كَلِمَةٍ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا نَظْرٌ، فَالْكَلَامُ فِيهَا خَطَرٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَسْبَابِ النَّظَرِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ أَهَمَّكَ شَأْنُكَ [لَكَلَّ]⁽¹¹⁾ لِسَانُكَ، وَلَوْلَا الْفُضُولُ صَفَّتِ الْعُقُولُ، وَمَنْ كَانَ بِاللَّيْلِ نَائِمًا، وَبِالنَّهَارِ هَائِمًا مَتَى يَنَالُ الْغَنَائِمَ؟

(1) المراد بالقوائن: المنشدين للشعر.

(2) كبلقعة، البلقع: هي الأرض المستوية، وقيل: بقعة ليس بها شجر ولا تُنبت شيئاً، وقيل هي قفر من الأرض. راجع لسان العرب لابن منظور. مادة: «بلق» 25/10 دار صادر بيروت.

(3) السَّرَابُ: هو ما يُرَى نِصْفَ النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ، وَهُوَ لَيْسَ ذَلِكَ. وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ فِي الْكُذْبِ وَالْخِدَاعِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ النَّاسُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...﴾ [التور: 39] الآية.

(4) في الرياض: بشجو 471/1 والشجا هو: «الحزن».

(5) الرياض: 471/1. (6) الرياض: 471/1 - 472.

(7) زيادة من الرياض: 472/1.

(8) الصديني نسبة إلى: محمد بن أسود بن شعيب القاضي الصديني المتوفى سنة 304هـ. البيان المغرب 1/175 [وفيات: 304هـ].

(9) في الرياض: قال الصديني 472/1.

(10) المراد بهذا ختم القرآن من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

(11) في الأصل: لكان وهو تحريف لكلمة: «كل» والكل هو: التعب والعياء.

ذكر بقية أخباره

قال المالكي: كان سحنون إذا اجتمع الناس للسَّماع يقول: انظروا هل جاء أحمد بن مُعْتَب فإن جاء قرأ القاريء وإلا أحر ذلك حتى يأتي، وقيل له: أكان سحنون لا يسمع حتى تحضر أنت فقال: لا أدري غير أنني كنتُ إذا حضرت أمر القاريء وَغَمَصَ⁽¹⁾ النَّاسُ عليه في أن القاضي عبد الله بن طالب كان مُكرماً به، وكان أحمد حاضراً للكلمة التي قالها ابن طالب في شأن الأمير ابن الأغلب التي قتل ابن طالب من أجلها وقيل: بل لم يشهد عليه بعد أن رآوده عَلَيْهَا لَيْلَةً كَامِلَةً يساهره ويسائله وهو يقول: لا أحفظ شيئاً، قاله وكذب الناس كثير، والكلمة المشار إليها هي قوله في الأمير إبراهيم: هذا فعل الدهرية؛ هذا فعل مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، لِكُونِهِ أَمْرَ عَبِيدِهِ فِي أَهْلِ قَرْيَةِ أَبِيانَةَ فَعَاثُوا فِي كَرَمِهِمْ وَفَعَلُوا أَفْعَالاً مُنْكَرَةً. لما امتنع أهلها من بيعها له. وامتحن بعد ذلك على يد القاضي ابن عبدون عدوه، وذلك أن ابن مُعْتَبِ كَانَ لَطِيفَ الْمَنْزِلَةِ خَامِلَ الْمَكَانَةِ يَكْتُبُ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ إِلَى أَخِي فِي الْإِسْلَامِ وَشَقِيقِي فِي الْمَحَبَةِ فَتَلَّحَى مَعَ ابْنِ عَبْدِوْنَ، وَوَثِقَ بِمَكَانَتِهِ مِنَ الْأَمِيرِ فَخَذَلَهُ وَمَكَّنَ مِنْهُ ابْنُ عَبْدِوْنَ، فَأَدْخَلَ رِجْلَيْهِ فِي فَلَقَةٍ وَضَرَبَهُمَا حَتَّى أَذْمَاهُمَا، فَكَانَ أَحْمَدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: هَذِهِ النَّازِلَةُ خَيْرٌ لِي، إِذْ سَلَبْتَ مَحَبَّةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ مِنْ قَلْبِي، وَلَمَّا مَاتَ ابْنُ مُعْتَبِ وَشَهِدَ النَّاسُ جَنَازَتَهُ وَبَاتُوا عَلَى قَبْرِهِ نَظَرَ ابْنُ الْأَغْلَبِ لَيْلَةً إِلَى مَنْ عَلَى قَبْرِهِ مِنَ النَّاسِ وَكَثْرَةَ الشُّيُوخِ قَالَ لَابْنِ عَبْدِوْنَ: هَذَا الَّذِي كُنْتُ تَهْوُنُ أَمْرَهُ عِنْدِي انْظُرْ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ.

قال: وتوفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

قلت: مثله ذكر التُّجِيبِي. وقال الطبري: توفي سنة ست وسبعين ومائتين ولما ذكره العواني قال: وقول الدباغ كانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين خطأ بَيِّنٌ.

قلت: إن أراد بقوله سنة سبع وسبعين على ظاهره فهو وَهْمٌ مِنْهُ، وَإِنْ أَرَادَ بِتَخْطِئَتِهِ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُهُ سَبْعٌ، وَإِنَّمَا تَوَفِّيَ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ كَمَا قَالَ الطَّبْرِيُّ فَهُوَ لَمْ يَخْتَصْ بِذَلِكَ إِذْ سَبَقَ فِي ذَلِكَ التُّجِيبِيُّ إِذْ هُوَ مُخْتَصِرُهُ، وَيَزِيدُ بَعْضُ زِيَادَاتٍ عَلَيْهِ وَرَبَّمَا يَنْقُصُ.

(1) غَمَصَ: احتقر، وعاب. انظر: القاموس المحيط مادة «غمص» ص: 561.

قال: وَدُفِنَ بِمَسْجِدِ السَّبْتِ، وَقِيلَ: دُفِنَ بِيَابِ أَبِي الرَّبِيعِ.

قلت: وهذا هو الأقرب إذ لم يَحْكُ التُّجِيبِيُّ غَيْرَهُ. قال العواني: ورأيتُ قَبْرًا بِمَسْجِدِ السَّبْتِ يَحْكِي أَنَّهُ قَبْرُ أَبِي جَعْفَرِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

قلت: كَانَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَضْلِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَحْمَدَ الْبُرْزُلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِذَا زَارَ بِنَا ذَلِكَ الْقَبْرِ يَقُولُ: إِنَّهُ قَبْرُ أَبِي مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ الدَّمْنِيِّ الضَّرِيرِ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْمَسْجِدُ الْمَذْكُورُ وَيَقُولُ هَذَا الْمَشْهُدَ الَّذِي عَلَى قَبْرِهِ فِيهِ غَيْرُ اسْمِهِ وَضَعَهُ عَلَيْهِ بَانِيهِ، وَلَيْسَ فِيهِ اسْمٌ وَاحِدٌ مِنْهُمَا.

128 - وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونِ بْنِ⁽¹⁾ أَبِي مَرْيَمِ الْمَعْرُوفِ بِالطَّيَّارَةِ:

قال: سَمِعْتُ مِنْ سَخْنُونٍ وَوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِ سَخْنُونٍ أَحْسَنَ مِنْهُ مَجْلِسًا.

قلت: زَادَ التُّجِيبِيُّ وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ طَالِبِ الْقَاضِي.

قال: وَكَانَ فَقِيهًا ذَا صَلَاحٍ وَدِينٍ وَتَهَجُّدٍ وَوَرَعٍ.

قلت: زَادَ غَيْرُهُ: فَاضِلًا زَاهِدًا مُتَقَشِّفًا، كَثِيرَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ، مُتَفَنًّا فِي الْعِلْمِ.

قال: أَقَامَ إِمَامًا وَخَطِيبًا بِجَامِعِ الْقَيْرَوَانِ عَشْرِينَ سَنَةً.

قلت: مِثْلُهُ ذَكَرَ التُّجِيبِيُّ وَزَادَ غَيْرُهُمَا لَمْ يَسْجُدْ سُجُودَ سَهْوٍ. قَالَ التُّجِيبِيُّ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ يَقُولُ: فِي رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ فَقَالَ لَوَاحِدَةٍ: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا. وَقَالَ لِلْأُخْرَى: وَأَنْتِ شَرِيكُتُهَا وَقَالَ لِلْأُخْرَى: وَأَنْتِ شَرِيكُتُهَا تُطَلِّقُ الْأُولَى ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ، وَالثَّانِيَةَ تُطَلِّقُ طَلْفَسًا، وَالثَّلَاثَةَ تَطْلِيقَةً. قَالَ ابْنُ زَرْقُونٍ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو: أَرَى أَنْ تُطَلِّقَ الثَّلَاثَةَ ثَلَاثًا كَالأُولَى، وَهَذَا بِالْإِسْتِحْسَانِ.

قال: وَتُوفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

قلت: وَتَبِعَهُ الْعَوَانِيُّ وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ التُّجِيبِيِّ وَتُوفِيَ سَنَةَ ثَمَانِينَ.

قال: وَدُفِنَ بِيَابِ سَلْمٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً.

(1) ترجم له في: ترتيب المدارك: 275 / 3 - 276.

129 - ومنهم أبو حفص عبد الجبار بن خالد⁽¹⁾ بن عمران السري:

قال: سمع من سحنون وأبي زكرياء الحفري، وأبي يحيى حماد بن يحيى السجلماسي، كان فقيهاً، فاضلاً، زاهداً، ثقة، طويل الصلاة.

قلت: في كلامه بتر لقول أبي العرب: «وكان كثير الدعاء مجتهداً، ومن عقلاء شيوخ إفريقية»⁽²⁾.

قال: وكان سحنون يقول: «عبد الجبار تقي في بطن أمه».

قلت: وفي ما ذكره نظر، إذ لم يحك المالكي إلا لأحمد بن معتب كما تقدم لابن سحنون.

قال: وكان قد نظر في العلم، والمراد بذلك المبالغة؛ والمعنى أنه تقي من صغره.

قال: وكان أيضاً لا يقرئ الناس حتى يحضر عبد الجبار.

قال: وكان قد أجاد في العلم حتى وازى سحنون بن سعيد أو كاد، ثم قال: يا أبا عياش، قد بلغنا من هذا العلم ما قد علمت وقد مالت نفسي للعبادة فبلغ منها حتى لحق أو كاد منزلة البهلول بن راشد، ورباح بن يزيد، فقيه المخالفة من وجهين، أحدهما: أنه حكى على القطع أنه وازى سحنوناً وهو خلاف نقل الثجبي أو كاد، الثاني: أنه وازى في العبادة واصلاً، وهو في الثجبي على الشك بمنزلة البهلول، ورباح لا منزلة واصل.

قال: وكان كثير التهجد، يختم كل ليلة من رمضان القرآن.

قلت: مثله ذكر الثجبي. وقال المالكي: حدث هاشم بن مسرور⁽³⁾ قال:

(1) ترجم له في: طبقات أبي العرب استدراكاً ص: 243، الرياض: 1/ 463 - 470، ترتيب المدارك 3/ 260 - 263، شجرة النور الزكية 1/ 106 رقم 129.

(2) الجملة بأتمها في طبقات أبي العرب كالتالي: «كان صالحاً، متعبداً، طويل الصلاة، كثير الدعاء، مجتهداً، وكان من عقلاء شيوخ إفريقية، سمع من سحنون وعليه اعتماده» ص: 243، والنص نفسه ورد في الرياض 1/ 463.

(3) هو أبو عمرو هاشم بن مسرور كان مشهوراً بالخير كثير الصدقة، توفي رحمه الله تعالى سنة 307 هـ. ترجم له في الرياض: 2/ 144 - 151، وستأتي ترجمته ضمن هذا الجزء من كتاب معالم الإيمان.

مضيت ليلة من ليالي رمضان إلى مسجد عبد الجبار، لأصلي خلفه التراويح، فصليتُ معه صلاة العشاء الأخيرة، فلما فرغ من الصلوة تنقل الناس ما شاء الله تعالى أن يتنقلوا، ثم قام المؤذن فقال: الصلوة يرّحمكم الله. فقام الناس ودخل عبد الجبار المِحْرَابَ فقرأ في الترويقة الأولى «البقرة»، و«آل عمران»، و«النساء»، و«المائدة»، فلما قضاها انصرف كثير من الناس، ثم قام في الترويقة الثانية فقرأ: الأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة فلعهدي برؤوس الرجال⁽¹⁾ أراها في ضوء القناديل تمايلُ يميناً وشمالاً، ثم تمادى في الصلوة فكان يمرُّ في القراءة مرَّ الجواد فإذا أشتبه عليه الحرف أو تعايا فيه، تركه وقرأ ما يليه، فيقرأ العشرين آية والثلاثين آية والأقل والأكثر، ثم يتفكر في ذلك الحرف فيرجع إليه فيقرأه مُفْرَداً، ثم يعود إلى الموضع الذي كان فيه فيقرأ منه، قال: فما زال كذلك حتى تراجع الناس إلى المسجد من آخر الليل وتمادى حتى ختم القرآن وأتاه مؤذنه بقصعة فيها شيء من ثريد يسير فتسحر منه، ثم أذن المؤذن وطلع الفجر فصلى بهم الصبح. قال عبد الله بن هاشم [فجاهدت]⁽²⁾ نفسي أن أقدر على ما قدر عليه عبد الجبار من مجاوزته الموضع الذي أشكل عليه ورجوعه إليه بعد ذلك ببرهة ورجوعه إلى الموضع الذي كان فيه، فما قدرت على ذلك إلا بعد ثلاثين سنة⁽³⁾.

قال: وختم في مسجده نيفاً وأربعة آلاف ختمة.

قلت: في كلامه بتر لزيادة التّجبيبي في الفريضة ولذا قال غيرهما: ختم في مسجده ثلاثين ألف ختمة، وكان يختم فيه كل ليلة ختمة⁽⁴⁾. قال المالكي: حدث هاشم المذكور قال: خرج عبد الجبار من داره يوم الجمعة للرواح إلى صلاة الجمعة، فإذا شاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل، وقد أتبع صبيته يمشي خلفها فلما رأى⁽⁵⁾ عبد الجبار شقَّ عليه ذلك، فاتكأ برجله على رجله الأخرى فقطع شسع نعله

(1) في الرياض: الناس / 1 / 464.

(2) في الأصل: فجاهرت. التصويب من الرياض: / 1 / 464.

(3) الرياض: / 1 / 464 - 465.

(4) الرياض: / 1 / 470 وفيه زيادة: «ووجد ذلك مكتوباً في قبلة مسجده».

(5) في الرياض: رآه / 1 / 465.

ثم صاح⁽¹⁾: يَا شَابُّ يَا شَابُّ فالتفت إليه فمشى إليه عبد الجبار فوقف الفتى⁽²⁾ وقال له: ما لك؟ [فقال له عبد الجبار:]⁽³⁾ قد كبر سني وضمعت بصري، وقد انقطع شسع نعلي فأصلحه لي فأصلحه [له]⁽⁴⁾ ثم نظر عبد الجبار إلى الصبية وقد أمسكت في مشيتها فأخذ من الشاب النعل وأدخله في رجله وتمادى الشاب في أثر الصبية فاتكأ عليه عبد الجبار ثانياً فقطعه ثم صاح يا شاب، يا شاب وكانت لعبد الجبار هيئة عظيمة فعاد إليه الشاب فقال له: أصلح النعل يا مبارك، أصلح صلاحاً شديداً أظنك ما أصلحته إلا وأنت مستعجل فأخذه الشاب وأصلحه فعطف عبد الجبار عليه وقال له: يا شاب أنا قطعت النعل المرة الأولى والثانية، وإنما فعلت ذلك إشفاقاً عليك ورحمة لك، وخفت والله يا بني على هذا [الشباب]⁽⁵⁾ الصبيح من لهب النار، وبكى عبد الجبار، وبكى الشاب، ثم قال له: جزاك الله خيراً فوالله ما غدت إلى ما كان مني أبداً، ثم صحب عبد الجبار إلى الجامع، ثم تاب وحسنت توبته وإنابته، وكان من فضلاء أهل وقته، نفعه الله بنية عبد الجبار وبلطفه ورفقه⁽⁶⁾ وذكر أن أولاد إبراهيم بن أحمد الأمير ختنهم⁽⁷⁾، فمضى أهل العلم والمشايخ، مشايخ أهل القيروان لتهنئته، وكان ممن مضى إليه عبد الجبار بن خالد فلما أتى إلى الأمير أكبره وعظمه وسر برؤيته، وأخرج إليه أولاده فدعى لهم وبرك⁽⁸⁾ عليهم ثم قال: أيها الأمير هل علمت مقدار هذه النعمة التي أنعم الله عليك بها أعطاك بنين مثل هؤلاء علمتهم⁽⁹⁾ كتاب الله وأحييت بهم⁽¹⁰⁾ سنة رسول الله ﷺ، وقد بلغني عنك أنك بالغت فيما عملت من الطعام للأغنياء؟ فقال له: أجل⁽¹¹⁾. قال له عبد الجبار: فلو استكملت هذه المسرة بأن تذكر الفقراء، فقال: صدقت وبررت ثم دعا بكيس فيه خمسمائة دينار ودفعه إلى عبد الجبار وسأله أن يفرقه على الفقراء والمساكين فأجابته

(1) في الرياض: فصاح / 465 / 1. (2) في الرياض: الشاب / 465 / 1.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من الرياض. ويقتضيه السياق / 465 / 1.

(4) زيادة من الرياض / 465 / 1.

(5) في ط: الشاب، التصويب من: ت، والرياض: / 465 / 1.

(6) في الرياض: وترفقه / 465 / 1. (7) في الرياض: طهرهم / 466 / 1.

(8) في الرياض: وبارك / 466 / 1. (9) في الرياض: بالواو / 466 / 1.

(10) في الرياض: فيهم / 466 / 1.

(11) في الرياض زيادة: [الموضع المسرة لا مناً بذلك] / 466 / 1.

عبد الجبار إلى ذلك فَسَرَّ به الأَمِيرُ وَخَرَجَ مَعَهُ إلى باب القَصْرِ وَقَالَ: احمَلُوا الشيخَ على دَابَّتِهِ⁽¹⁾ وَقَالَ: والله لَا بَرِحْتُ حتى تَرَكَبَ، فَرَكِبَ عبدُ الجَبَّارِ والأَمِيرُ قائمًا، فلما ركب واستوى على دَابَّتِهِ وَأَصْلَحَ الغلمان ثيابه وانصرف، التفت الأَمِيرُ إلى كَاتِبِهِ رجاء بن محمد، وقال: يَا رَجَاءُ رأيت ما أَعْقَلُهُ وَمَا أَظْرَفُهُ أتعرف في رَعِيَّتِي مثله؟ إنه قضى ذَمَامَنَا وَتَعَاْفَى مِنْ طَعَامِنَا وأخرج مَا لَنَا فيما يُرْضِينَا فَتَصَدَّقَ عبدُ الجَبَّارِ بالدنانير جميعاً على الفقراء والمساكين، ولم يبقَ منها شيئاً⁽²⁾. قال: وقال أبو جعفر بن أبي خالد الدبَّاحُ الفقيه: سمعتُ عبدَ الجَبَّارِ يقول: كنتُ أخلو لأَسْلَمَ، ثم صِرْتُ أخلو لأَغْنَمَ، ثم صِرْتُ أخلو لأَعْلَمَ، ثم صِرْتُ أخلو لأفهم، ثم صِرْتُ أخلو لأنعم.

قلت: زَادَ التُّجِيبِي عنه قال: دَخَلْتُ على عبد الجَبَّارِ فقال لي: يا أبا أحمد لو رأيتني وقد أقامني ثم ظهر لي ثم أوقَفَنِي بين يديه، فَأَتَتْ سَحَابَةٌ فَأَبْرَقَتْ وَأَرْعَدَتْ وأمطرتُ وَأَنْبَتَتْ، وَتَمَّ النَّبَاتُ.

قال: وله كلامٌ حَسَنٌ في المعرفة والحقيقة، وقال عبد الجَبَّارِ: «من ترك رَأْيَهُ واتبَعَ السُّنَنَ والآثَارَ رُجِي لَهُ أنْ يَلْحَقَ غَدَاً بِالأَبْرَارِ، وَمَنْ تَبَعَ رَأْيَهُ وَتَرَكَ السُّنَنَ والآثَارَ خِفْتُ غَدَاً أنْ يَكُونَ مَأْوَاهُ النَّارَ».

قلت: قال التُّجِيبِي: كان ينبذ بكلام قليل يدلُّ على معنى كثيرٍ مثل قوله: «مَنْ قَلَّ كَلَامُهُ قَلَّتْ آثَامُهُ». وقوله: «مَنْ كَانَتْ لَهُ وِليَةٌ لَمْ يَسُدْ بِليَةً». وقوله: «الصَّوْمُ عن الكلام أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ عَنِ الطَّعَامِ». وقوله: «مَنْ زَمَّ لِسَانَهُ كَثُرَ في الدنيا والآخرة أمانُهُ». وقال عِيَّاضُ: «كان يقول كل كلمة لم يتقدمها نظرٌ فالكلامُ فيها خَطَرٌ، وإن كانت من أسباب النظر»⁽³⁾.

قلت: ولعله وهم وإنما هو من قول أحمد بن معتب كما تقدم في ترجمته من نقل المالكي. وقال الشيخ أبو بكر بن اللباد: كُنَّا نَسْمَعُ على عبد الجَبَّارِ بن خالد في جامع ابن وهب من البرِّ أنْ لَا يَمْشِي الرَّجُلُ أمامَ والده، فقال: من برَّه أنْ يمشي أَمَامَهُ في الظلام.

(2) الرياض: 467/1.

(1) في الرياض: دابة 467/1.

(3) في الرياض: الظفر 470/1.

قلت: أَرَادَ أَنَّهُ عَامٌّ مَخْصُوصٌ فَيَمْشِي أَمَامَهُ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، كظلام، أو طين، أو لَصَّ أو غير ذلك.

قال: وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائتين، وهو ابن سبع وثمانين سنة ودفن باب سلمٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ حَمْدِيسُ الْقَطَّانُ.

قلت: في كلامه بتر، وَقُصُورٌ لِقَوْلِ التَّجِيبِيِّ وَغَيْرِهِ: توفي يوم الأربعاء لأول يوم من رجب وقيل يوم الأربعاء لتسع عشرة بقين من جمادى الأخيرة من السنة المذكورة وبحمديس، وعبد الجبار يُضْرَبُ المثلُ في الفضلِ والدينِ بإفريقية إلا أن عبد الجبار أَنَبَهُ من حَمْدِيسِ.

130 - ومنهم أبو أحمد مُعْتَبِ بن رَبَاحٍ⁽¹⁾:

قال: كان رجلاً صالحاً ورعاً من أفاضل المسلمين صحب البهلول بن راشد، وانتفع بضحيته، قال سهل القبرياني: [كان مُعْتَبِ رجلاً صالحاً، وكان إذا دخل الحمام عصب عينيه بعصاية^(*) ويكون عنده⁽²⁾ من يقوده⁽³⁾] لئلا يقع بصره على غورة رجل. وروى أن مُعْتَباً هذا دخل على البهلول في مسجده فقال له البهلول: ما جاء بك⁽⁴⁾؟ فقال له: يا أبا عمرو قد عزمْتُ⁽⁵⁾ على الحج فقال له: يا أبا أحمد أما كنت حججت؟ قال له: نعم قد حججت، ولكنني اشتقت إلى بيت الله الحرام، وإلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال [له]⁽⁶⁾ البهلول: كم هيأت لخروجك؟ فقال له: مائة دينار، فقال له البهلول: هل⁽⁷⁾ لك أن تأتيني بها فأصرفها في مواضع، وأضمن لك لدى الله عشر حججات مقبولة؟ فقام مُعْتَبِ مُسْرِعاً وأتى بصره فأفرغها البهلول تحت جلد كان قاعداً عليه، وقعد مُعْتَبِ بن رباح فلم يزل يدخل الرجل فيعطيه خمسة، وآخر فيعطيه ثمانية، وآخر فيعطيه عشرة، فواحد يقول له: تزوج منها،

(1) ترجم له في طبقات علماء إفريقية ص: 208 رقم 100، الرياض: 208/1 - 209.

(*) العصاية جمع عصائب وهي العمامة، أو ما عصب به من مندبل ونحوه.

(2) في طبقات أبي العرب: معه ص: 208.

(3) الكلام الوارد بين معقوفتين، ورد في طبقات أبي العرب ص: 208.

(4) في الرياض: [يا أبا أحمد] ما جاء بك؟ 208/1.

(5) في الرياض: قد عزمْتُ العام على الخروج إلى الحج 208/1.

(6) زيادة من الرياض 208/1. (7) في الرياض: فهل 208/1.

وَعِشْ بِالْبَاقِي، وَآخِرُ يَقُولُ لَهُ: جُدْ⁽¹⁾ بِهَا عَلَى عِيَالِكَ وَصِيبِيَانِكَ، وَآخِرُ يَقُولُ لَهُ: اسْتُرْ بِهَا وَجْهَكَ، فَلَمْ يَقُومَا حَتَّى نَفَدَتِ الْمِائَةُ دِينَارًا. وَكَانَ بِالسُّدْرَةِ أَحَدُ أَرْبَاضِ⁽²⁾ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْأَعْمَى، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ، وَكَانَ رُبَّمَا أَدْلَجَ إِلَيْهِ صَقْلَابُ ابْنِ زِيَادِ الْهَمْدَانِيِّ⁽³⁾، وَأَبُو الْغَصَنِ رَبِيعُ⁽⁴⁾ وَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ الْبُهْلُولِ يَتَبَرَّكُونَ بِالصَّلَاةِ خَلْفَهُ، فَأَخْبَرَ أَبُو سُلَيْمَانَ أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ امْضِ إِلَى مُعْتَبِ بْنِ رَبَاحٍ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَفَّى لَكَ بِمَا ضَمِنَ لَكَ الْبُهْلُولُ فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: فَغَلَبَ عَلَيَّ النَّوْمُ فَأَتَيْتُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ امْضِ إِلَى مُعْتَبِ السَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَفَّى لَكَ بِمَا ضَمِنَ لَكَ الْبُهْلُولُ، فَقَامَ أَبُو سُلَيْمَانَ تِلْكَ السَّاعَةَ فَأَتَى إِلَى بَابِ مُعْتَبِ بْنِ رَبَاحٍ فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَخَرَجَ مُعْتَبٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ مَا أَتَى بِكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ لَهُ: أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ أَخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَفَّى لَكَ مَا ضَمِنَ لَكَ الْبُهْلُولُ⁽⁵⁾. وَمُعْتَبٌ هَذَا مِنْ عَرَبِ الْبَلَدِ وَلَيْسَ بِوَالِدِ أَحْمَدَ بْنِ مَعْتَبِ الْفَقِيهِ الْأَزْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعْنَا بِهِ آمِينَ.

131 - وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَلَامِ التَّيْمِيِّ⁽⁶⁾ تَيْمٌ رَبِيعَةٌ⁽⁷⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قَالَ: سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ، وَكَانَ فَاقِيهَا ثِقَةً ضَاطِحًا صَالِحًا كَثِيرَ الْحَيَاءِ، لَا يَكَاذُ يَغْضَبُ، قَالَ أَبُو الْعَرَبِ ابْنُ تَمِيمٍ: «وُلِدَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ وَصَحْبَتُهُ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً،

- (1) فِي الرِّيَاضِ: وَسَعُ 1/ 208.
- (2) رُبُضُ الشَّيْءِ: وَسَطُهُ، وَرَبِضُهُ: نَوَاحِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: «رَبِضُ الْمَدِينَةِ» رَاجِعُ كِتَابِ: أَدَبُ الْكُتَّابِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص: 208.
- (3) تَرْجَمَ لَهُ فِي الرِّيَاضِ: 1/ 230 رَقْمَ 88. تُوْفِيَ صَقْلَابُ بْنُ زِيَادِ سَنَةَ 293 هـ.
- (4) وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ بِلَفْظِ: «ذُبَيْحُ» فِي طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ إِفْرِيْقِيَةِ وَتُونِسَ لِأَبِي الْعَرَبِ ص: 170، وَفِي الرِّيَاضِ: بِلَفْظِ: «وَدَنْجُ» 1/ 208.
- (5) انظُرِ الْخَبَرَ فِي الرِّيَاضِ ضَمِنَ تَرْجَمَةَ الْبُهْلُولِ بْنُ رَاشِدِ الْحَجْرِيِّ الرَّعِينِيِّ 1/ 208 - 209.
- (6) فِي ت: التَّمِيمِيُّ.
- (7) تَرْجَمَ لَهُ فِي طَبَقَاتِ أَبِي الْعَرَبِ ضَمِنَ تَرْجَمَةَ أَبِيهِ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ ص: 113. فِي قَوْلِهِ: «وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ ثِقَةٌ نَبِيلٌ».

فما رأيت فيها ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة⁽¹⁾. وكان مطبوعاً على الأخلاق الحسنة، قليل الكلام: عالماً بكتبه ضابطاً لها، لا يخوض في شيء من أمور الدنيا. توفي سنة ثمانين ومائتين، وهو ابن أربع وثمانين سنة.

قلت: هذا ينافي نقله عن أبي العرب أنه ولد بعد المائتين، وخلاف قول التّجيبى توفي وهو ابن اثنين وثمانين سنة.

قال: وصلى عليه محمد بن أبان ودفن بالبلوية رحمه الله تعالى.

132 - ومنهم أبو يزيد سهل بن عبد الله بن سهل القبرياني⁽²⁾ رحمه الله تعالى:

قال: كان فقيهاً ورعاً، من أهل الحديث، فعلاً للخير، وهو الذي بنى القصر الجديد المعروف بقصر سهل الرباط قبلة مدينة سوسة قبالة قصر الطوب، بينهما وبين سوسة ثلاثة أميال. ورؤي عنه أنه قال: سألتني رجل من أهل الورع عن مسألة ما ظننت أن أحداً يسأل عنها قال [لي: ⁽³⁾ ما تقول في رجلين بينهما مرحاض يكون بأحدهما اختلاف هل يسعه ذلك؟ وعن الرجل يستجمر⁽⁴⁾ بمدّر⁽⁵⁾ غيره.

قلت: أراد بالاختلاف كثرة تردده للمرحاض لبطن به، ولا شك في جوازهِ والسؤال عنه ورع، وأما السؤال عن الاستجمار بمدّر غيره فليس هو من باب الورع، ولا يجوز ذلك إلا أن يعلم طيب نفس صاحبه أو رضاه نطقاً⁽⁶⁾، والعامّة عندنا يسألون عن ذلك ويجابون بما ذكرناه.

(1) هذا القول جاء في طبقات أبي العرب قولاً في يحيى بن محمد، وليس في محمد بن يحيى، وورد بالصيغة التالية: «ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه كان صالحاً ثقة، صحبته سنين طويلة، ما رأيت قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له، وكان محسناً في علمه، متواضعاً فيه، قليل الخوض فيما لا يعنيه» ص: 113.

(2) ترجم له في طبقات الخشني ص: 183، وترتيب المدارك 3/ 274، وطبقات أبي العرب ص: 159، 182، 205، 208.

(3) سقط من: ط. الزيادة من: ت، ويتم بها سياق الكلام ويتزن.

(4) في ت: يتجمر، والاستجمار يكون بالحجر ويحل محل الماء إذا انعدم، وفي الحديث من رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من توضأ فليستثر، ومن استجمر فليوتر» أخرجه البخاري في كتاب الوضوء 25، باب الاستنثار في الوضوء حديث (161)، وفي باب الاستجمار وترأ حديث (162) ص: 59.

(5) المدّر: قطع الطين اليابس، أو حجرة. انظر القاموس المحيط مادة: «مدّر» ص: 427.

(6) في ت: قطعاً.

قال: توفي سهل في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وصلى عليه حمديس القطان ودُفِنَ بباب أبي الربيع رحمه الله تعالى.

133 - ومنهم أبو حفص أحمد بن وازن⁽¹⁾ الصوّاف⁽²⁾ الفقيه المتعبد⁽³⁾:

قال: سمع من سحنون، ومروان بن أبي شحمة⁽⁴⁾.

قلت: ظاهرة أنه لم يسمع من غيرهما، وقال غيره: سمع منهما ومن غيرهما.

قال: وكان عالماً متعبداً مجتهداً.

قلت: زاد غيره فاضلاً جليلاً ثم انعزل عن العلماء وتفرّد للعبادة. قال أبو بكر المالكي: «وكان يُسمّى جَوْهَرَةَ أَصْحَابِ سَحْنُونِ وَكَانَ⁽⁵⁾ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [لِلصَّلَاةِ]⁽⁶⁾ لَمْ يَتَعَلَّقْ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ سِوَى مَا هُوَ فِيهِ»⁽⁷⁾. وَحُكِيَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ شَبِيبَةٌ، وَكَانَ يَخَالِظُ أَصْحَاباً لَهُ عَلَى سَمَاعِ اللّهُوِ وَالغِنَاءِ، فَكَانَتْ وَالِدَتُهُ⁽⁸⁾ تَقُولُ لَهُ: يَا بَنِي لَا تَتَحَرَّكُوا حَتَّى يَأْخُذَ وَالِدُكَ فِي الصَّلَاةِ فَإِذَا أَخَذَ فِي الصَّلَاةِ أَخَذُوا فِي [عَزْفِهِمْ]⁽⁹⁾ وَلَهُوِهِمْ، فَلَا يَشْعُرُ بِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ شَيْئاً مِمَّا يَجْرِي لَهُمْ⁽¹⁰⁾، فَإِذَا أَحَسَّتْ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنَ الصَّلَاةِ ضَرَبَتْ الْحَائِطَ عَلَيْهِمْ فَيَسْكُتُونَ⁽¹¹⁾.

قال: وَكَانَ جُلُوسَهُ وَصَلَاتَهُ بِمَسْجِدِ بَلْجِ.

- (1) في الأصل ط و ت: وزان. التصويب من الرياض، والديباج المذهب. وفي الرياض عند ترجمة ابن أبي شحمة ورد باسم: أحمد بن وزان الصوّاف 392 / 1 وقال المحقق: في الأصل: رازن. هامش 5 وفي طبقات أبي العرب: أحمد بن الوزان ص: 201، وفي ترتيب المدارك «مروان» مشيراً بذلك المحقق في هامش 4 ص: 268 بأنه في نسخة من سمي بأحمد بن وازن.
- (2) في ت: الصوفي.
- (3) ترجم له في: طبقات علماء إفريقية للخشني ص: 206، الرياض: 472 / 1 - 473، طبقات أبي العرب ص: 201، ترتيب المدارك: 268 / 3 - 269، الديباج المذهب ص: 87.
- (4) هو أبو الوليد مروان بن أبي شحمة المُسَلِّي الإفريقي. ترجم له في الرياض: 392 / 1 - 393 رقم 131، طبقات أبي العرب ص: 200 - 201.
- (5) زيادة الواو من: ت، والرياض. في «كان».
- (6) سقط من: الرياض 472 / 1. (7) الرياض: 472 / 1.
- (8) في الرياض: «وكان إذا اجتمع عنده أصحابه تقول له والدته».
- (9) زيادة من الرياض: 473 / 1. (10) في الرياض: فكانت والدته إذا أحست.
- (11) الرياض: 473 / 1.

قلت: وأصحابنا يقولون: بلج بإسكان اللام، وهو المسجد المعروف عندنا
بمسجد الدباغ.

قال: توفي⁽¹⁾ هو وسهل المتقدم ذكره في يوم واحد [قلت: زاد الشجبي
أحدهما عند الظهر، والآخر عند العصر]⁽²⁾.

قال⁽³⁾: وصلى عليه جيلة بن حمود ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى ونفع به.

134 - ومنهم حبيب بن نصر بن سهل التميمي⁽⁴⁾ صاحب مظالم سحنون ومعدود في
أصحابه رحمه الله تعالى:

قال: وكان سحنون أول من اتخذ صاحب المظالم.

قلت: يعني به أنه قدمه ليحكم بين الناس في الأسواق، وكانت ولايته على
له ثمان سنين وست وثلاثين، وقيل: سنة سبع، فوليها ست سنين بقية حياة سحنون،
ثم بعد موته بسنتين⁽⁵⁾ وأذن له أن يحكم في عشرين ديناراً، وامتنح على يدي
سيمان بن عمران القاضي فسجنه وضربه، وله كتاب معروف في مساءلة سحنون
سنة بالأفضية.

قال: وله تأليف في الفقه وروايات عن سحنون وغيره وهو أخص مما قبله
وتوفي يوم الأحد لسبع بقين من رمضان سنة أربع وثمانين ومائتين.

قلت: هذا خلاف قول الشجبي توفي سنة سبع.

قلت: وقيل: سنة ست، فتحصل ثلاثة أقوال. قال الشجبي: ودفن بعد
العصر.

قال: وسبته أربع وثمانون سنة، وصلى عليه حمديس القطان ودفن بباب سلم
رحمة الله تعالى عليه.

(1) الوارد في الديباج أنه توفي سنة 282هـ، ومولده سنة 193هـ ص: 87.

(2) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.

(3) في ت: قلت.

(4) ترجم له في: طبقات الخسني ص: 193، ترتيب المدارك 3/ 246 - 247، الديباج المذهب
ص: 175، كذا ورد اسمه عرضاً بدون ترجمة في: الرياض 1/ 459، وفي طبقات علماء
إفريقية لأبي العرب، وله ترجمة أيضاً في معجم المؤلفين 3/ 186.

(5) في ط: سنتين، زيادة الباء من: ت.

135 - ومنهم أبو جعفر محمد بن أبان الحميري⁽¹⁾ رحمه الله تعالى :

قال : سمع من المدنيين والعراقيين ، وسمع من سحنون ، وعون بن يوسف ، ويحيى بن سليمان الحفري ، ومعمار بن منصور ، وأراد إبراهيم بن أحمد بن [الأغلب]⁽²⁾ أن يوليه القضاء فقام في مجلس إبراهيم على قدميه . وأهل بالحج وخرج إلى مكة . توفي سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودُفِنَ بباب سلم قرب شقران . [رحمة الله عليه ونفعنا به آمين]⁽³⁾ .

136 - ومنهم أبو عبد الله أحمد بن يزيد المعلم⁽⁴⁾ رحمه الله تعالى :

قال : يروى عن موسى بن معاوية الصُمَادِجِي ، وكان رجلاً صالحاً عالماً بالحديث وَعِلِّهِ ، كَثِيرَ التَّعْبُدِ والاجتهاد ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ ، طَوِيلَ الرُّكُوعِ والسجود ، مُوَاطِباً عَلَى التَّلَاوَةِ ، يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خْتَمَةً⁽⁵⁾ ، مع فَتْرٍ وَزُهْدٍ وَوَرَعٍ . توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين ، وقد زاد على التسعين . ودُفِنَ بباب سلم على قارعة الطريق حَلْفَ الْمُصَلَّى ، وَصَلَّى عَلَيْهِ حَمْدِيسُ الْقَطَّانُ رحمه الله تعالى عليه .

137 - ومنهم أبو جعفر حمديس القطان رحمه الله تعالى⁽⁶⁾ :

واسمه أحمد بن محمد الأشعري ، من ولد أبي موسى الأشعري قرأ على سحنون بن سعيد وَرَحَلَ فَلَقِيَ بِمَصْرَ أصحاب ابن الفاسم ، وأشهب وابن وهب ، وبالمدينة أبا مُصْعَبٍ ، وغيره .

(1) ذُكِرَ اسْمُهُ عَرْضاً بَدُونَ تَرْجُمَةٍ فِي : طبقات أبي العرب ص : 114 ، والرياض : 346 / 1 .

(2) سَقَطَ مِنْ : ت . (3) زِيَادَةٌ مِنْ : ت .

(4) تَرْجَمَ لَهُ فِي : طبقات الخُشْنِيِّ ص : 226 ، الرياض : 473 / 1 - 474 ، تَرْتِيبَ الْمَدَارِكِ 3 / 13 ، 304 ، 340 ، 353 ، 363 ، 367 ، وَذَكَرَ عَرْضاً فِي طبقات أبي العرب فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ مَوْضِعاً .

(5) جَاءَ فِي الرِّيَاضِ ، يُقَالُ : إِنَّهُ خَتَمَ الْقُرْآنَ عَلَى قَدَمَيْهِ سِتَّةَ آلَافِ خْتَمَةٍ ، وَخَتَمَهُ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ أَمْثَالُ ذَلِكَ 473 / 1 .

(6) تَرْجَمَ لَهُ فِي طبقات الخُشْنِيِّ ص : 197 ، الرياض 488 / 1 - 490 ، تَرْتِيبَ الْمَدَارِكِ : 254 / 3 - 259 ، وَالدِّيْبَاجُ الْمَذْهَبُ ص : 86 ، وَذَكَرَ عَرْضاً فِي طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب ص : 107 ، 127 ، 185 ، 187 ، 190 ، 222 ، وَشَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ 106 / 1 رَقْمَ 130 .

قال: وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ إِلَّا حِكَايَاتٍ لاشتغاله بالعبادة.

قلت: أَصْلُ ذَلِكَ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ أَحْمَدَ بْنِ نِزَارٍ قَالَ: مَا قرأنا على حَمْدِيسَ كِتَاباً وَلَا رَوِيْنَاهُ⁽¹⁾ عَنْهُ، إِنَّمَا أَخَذْنَا عَنْهُ حِكَايَاتٍ، وَكُنَّا إِذَا سَأَلْنَاهُ فِي السَّمَاعِ يَقُولُ لَنَا: هَاهُنَا جَمَاعَةٌ يَحْمِلُونَ عَنِّي هَذِهِ الْمُؤَنَّةَ، فَإِذَا انْقَرَضُوا لَزِمَنِي ذَلِكَ، وَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيَّ، فَعَلْتُ ذَلِكَ مُنَافِسَةً وَطَلِباً لِلرَّئِيسَةِ.

قلت: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، فَإِنْ حَسَنَةً تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِمَّا يَبْقَى فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَوْلُهُ: فَعَلْتُ ذَلِكَ مُنَافِسَةً إِنَّمَا هُوَ تَوَهُّمٌ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ فَذَكَرَ مِنْهَا عِلْمًا يُنْتَفَعُ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ»⁽²⁾. وَكَانَ شَرِيكاً مَعَ عَبْدِ الْجِبَارِ بْنِ خَالِدٍ فِي الْقَطَنِ يَعْمَلَانِ بِسُوقِ⁽³⁾ الْأَحَدِ فِيهِ، وَهَذَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي.

ذكر ثناء العلماء عليه

قال أبو بكر المالكي: «كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ هَذَا الْكِتَابُ»⁽⁴⁾. وَقَالَ ابْنُ حَارِثٍ: «كَانَ عِلْمًا فِي الْفَضْلِ، وَمَثَلًا فِي الْخَيْرِ، مَعَ شِدَّةٍ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَانَ قَدْ لَهَجَ النَّاسُ بِتَفْضِيلِهِ»⁽⁵⁾. وَبِهِ وَبِعَبْدِ الْجِبَارِ بْنِ خَالِدٍ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْعِبَادَةِ وَالذِّينِ وَكَانَ صَاحِباً لَهُ. وَقَالَ أَبُو عِيَّاشٍ: «وَكَانَ»⁽⁶⁾ حَمْدِيسٌ وَرِعاً كَامِلاً ثِقَّةً مَأْمُوناً.

(1) في ت: رويانا.

(2) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الوصية، (3) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته حديث 14 - (1631) ص: 856 ولفظ الحديث عنده: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» من رواية أبي هريرة، وأبو داود في كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت حديث (2880) 8/2، والترمذي في كتاب الأحكام، (36) باب في الوقف حديث (1381) 88/3 وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والنسائي في المجتبى، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت 251/6 بشرح السيوطي وحاشية السندي.

(3) في ط: لسوق. التصويب من: ت. (4) الرياض: 488/1.

(5) طبقات الخشني ص: 197 وفيه: «قَدْ لَهَجَ النَّاسُ بِفَضْلِهِ وَأَقْرَأُوا بِخَيْرِهِ».

(6) زيادة الواو في «كان» من: ت.

قال: وكان لا يُسَلَّمُ على أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ كَثِيرِ التَّجَنُّبِ لِلْسُلْطَانِ». روي أن الأمير إبراهيم بن أحمد [بن الأغلب]⁽¹⁾ سأل حَمْدِيساً عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَسْأَلُكَ وَلَا تُجِيبُنِي؟ فَقَالَ لَهُ: تَرِيدُ أَنْ تَتَمَنَّأَ بِي؟ إِنَّ سُؤَالَكَ إِيَّايَ تَفَكُّهُ لَيْسَ⁽²⁾ لِأَنْ تَعْمَلَ بِهِ. وَكَانَ لَا يَهَابُ أَحَدًا فِي الْحَقِّ.

قلت: قال المالكي: قال حَمْدِيسُ: اجْتَمَعْنَا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ [و]⁽³⁾ يَحْيَى بْنِ عَمْرِو وَجَمَاعَةٍ، فَطَالَ الْمَجْلِسُ وَالْمَذَاكِرَةُ ثُمَّ عَطَفَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ [عَيْشُكَ]⁽⁴⁾؟ وَفِي كَمْ أَنْتَ مِنَ الْعِيَالِ؟ فَقُلْتُ فِي سِتَّةٍ. فَقَالَ: [لِي]⁽⁵⁾ الْعَيْشُ مِنْ أَيْنَ؟ فَقُلْتُ: نَحْنُ مِنَ اللَّهِ فِي سِتْرِ جَمِيلٍ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي فَقُلْتُ لَهُ: لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ حَاجَةٌ فَنَشِطْ إِلَيْهَا وَقَالَ لِي: اذْكَرْ حَاجَتَكَ فَقُلْتُ لَهُ: تَعَاْفَنِي مِنَ الْمَجِيءِ إِلَيْكَ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ فَإِنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ عِنْدِي مَا تَرِيدُ⁽⁶⁾. فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ فَعَلْتُ». فَعَطَفَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو فَقَالَ: وَأَنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ: لَسْتُ أَفْعَلُ ثُمَّ انْصَرَفْنَا⁽⁷⁾. قِيلَ لِحَمْدِيسَ: قَلَّ أَنْ إِمَامًا عَمَلَ بِالْمَعْصِيَةِ أَكُنْتَ تَأْمُرُهُ أَوْ تَنْهَاهُ؟ قَالَ: لَا، وَاحْتَجَّ بِالْحَدِيثِ: «يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يُذِلَّ نَفْسَهُ، قَالُوا وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يُعَرِّضُهَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا طَاقَةَ لَهَا بِهِ»⁽⁸⁾. وَذَكَرَ حَدِيثَ مَالِكٍ قَالَ: «أَذْرَكْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَبَّارٍ⁽⁹⁾ فَوَعَظُوهُ».

قلت: وقبله المالكي وهو وَاضِحٌ إِذَا كَانَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ.

- (1) سقط من: ت.
 (2) في ت: [ليس لي أن].
 (3) زيادة الواو من: الرياض 489 / 1.
 (4) في ط: عيشتك. التصويب من: ت، والرياض.
 (5) سقط من: ت. ووارد في ط، وفي الرياض.
 (6) في الرياض: تريده 489 / 1. (7) الرياض: 489 / 1.
 (8) الحديث أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفتن، باب (67) حديث (2261) 112 / 4، وابن ماجه في السنن في كتاب الفتن، (21) باب قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105] حديث (4016) 1332 / 2 كلاهما أخرجاه بلفظ: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نَفْسَهُ، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يَطِيقُ» وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» وهو من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه.
 (9) في الرياض: جائز 489 / 1.

[التعفف عن نهى الجبابة من السنة]

وَأَمَّا إِذَا كَانَ آمِنًا مِنْ ذَلِكَ فَيَأْمُرُهُ بِرَفْقٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ أَمِيرًا بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ»⁽¹⁾.

[الرفق في الأمر بالمعروف من السنة]

وقد دخل مالك رحمه الله تعالى على هارون الرشيد فوجد الشطرنج⁽²⁾ يلعب بين يديه، فوقف وقال: يا أمير المؤمنين أحق هذا؟ قال: لا، قال: قال الله عز وجل: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: 32]. فأزالها هارون، وأمر أن لا تنشر بين يديه. قيل لحمديس: قلوا أن إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها وبات بالدار؟ قال: نجاهده⁽³⁾.

قال: روي أن حمديساً لما اعتل دعى إليه الطبيب فلما رآه تبسم وقال: ما أقبح المخالفة بعد الموافقة! من أراد الله به حالاً، وأراد هو غيرها، أليس أنه قد خائف؟ ثم أنشد:

بِيَدِ اللَّهِ دَوَائِي	هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ دَائِي
إِنَّمَا أَضَلُّمُ نَفْسِي	بِاتِّبَاعِي لِهُوَائِي
كُلَّمَا دَاوَيْتُ دَائِي	غَلَبَ السَّدَاءُ دَوَائِي ⁽⁴⁾

قلت: الذي دعا له الطبيب وسمع منه ما ذكر هو أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون حكاة المائكي والتجيبى.

قال: وروي أنه قال: كتب إلي رجل من أهل المشرق إن كان عندكم الخبز من حلال فاعلموني حتى أقدم عليكم فأنا منذ سنة ما وجدت له جواباً⁽⁵⁾.

(1) مسند الشهاب بنمس اللفظ من رواية أبي برزة حديث (465) 285/1، وأخرجه في شعب الإيمان البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حديث (7603) 99/6 دار الكتب العلمية.

(2) عن تحريم الشطرنج انظر كتاب المحدث الحافظ: أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى المتوفى سنة 360هـ بتحقيق «مصطفى عبد القادر عطا» دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة 1988.

(3) الرياض: 489/1 (4) الرياض: 490/1.

(5) ورد الخبر في الرياض: 490/1.

قلت: هذا منه على طريق الورع، وقد كان رحمه الله لا يَسْلُكُ عَلَى الْقَنَاطِرِ
الَّتِي بَنَاهَا أَصْحَابُ السُّلْطَانِ.

قال: وتوفي حَمْدِيسٌ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.

قلت: زاد التُّجِيبِيُّ لِلْيَلْتِنِ خَلْتًا مِنْ رَجَبٍ وَدُفِنَ يَوْمَ السَّبْتِ [بَعْدَ الظَّهْرِ
وَقَالَ:]⁽¹⁾ وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدٌ [بَنَ مُحَمَّدًا]⁽²⁾ بَنَ سَحْنُونَ وَسَنَهُ سَبْعِ⁽³⁾
وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِبَابِ سَلَمٍ. قلت: وَقَبْرُهُ مَزَارٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَنَفَعْنَا بِهِ.

138 - وَمِنْهُمْ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ سَالِمِ الْكِنْدِيِّ الْقَطَّانُ [الْفَقِيهِ]⁽⁴⁾ الْقَاضِي يَعْرِفُ
بِابْنِ كَحَّالَةَ⁽⁵⁾ صَاحِبِ سَحْنُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قال: سَمِعَ مِنْهُ⁽⁶⁾، وَمِنْ عَوْنِ بْنِ يُوسُفَ، وَدَاوُدَ بْنِ يَحْيَى، وَغَيْرِهِمْ.

قلت: مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونَ.

قال: «وَكَانَ ثِقَّةً كَثِيرَ الْكُتُبِ»⁽⁷⁾.

قلت: «كَلَامُهُ فِيهِ بَطَرٌ لِقَوْلِ التُّجِيبِيِّ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ الْبَارِعِ كَثِيرِ الرِّوَايَةِ
حَسَنِ الْأَخْلَاقِ بَارًا لِمَنْ [يَأْتِي إِلَيْهِ لِلسَّمَاعِ]⁽⁸⁾ عَلَيْهِ ذَا أَدَبٍ وَتَقَشُّفٍ وَعَقْلٍ وَنَزَاهَةٍ.
وَلِقَوْلِ أَبِي الْعَرَبِ: «كَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ بَارًا [بَطْلِبَةً]⁽⁹⁾ الْعِلْمِ أَدِيبًا كَرِيمًا، وَهُوَ
تَأَلَّفَ فِي الْفِقْهِ يُعْرَفُ بِالسُّلَيْمَانِيَّةِ مُضَافًا⁽¹⁰⁾ إِلَيْهِ.

قال: وَوَلَاةُ عَيْسَى بْنِ مَسْكِينٍ قِضَاءَ صَقْلِيَّةٍ فَسَارَ فِيهَا بِسِيرَةِ الْعَدْلِ إِلَى أَنْ مَاتَ.

قلت: هَذَا فِيهِ بَطَرٌ أَيْضًا لِأَنَّ كَلَامَهُ يُؤْهِمُ أَنَّهُ مَا وُلِّيَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ
لِقَوْلِ التُّجِيبِيِّ وَغَيْرِهِ. وَوَلَاةُ ابْنِ طَالِبٍ قِضَاءَ بَاجَّةٍ وَأَعْمَالُهَا وَوَلَاةُ عَيْسَى بْنِ مَسْكِينٍ

- (1) ما بين المعقوفتين زيادة من: ت. (2) سقط من: ت.
(3) في ت: تسع. (4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت.
(5) ترجم له في طبقات الخشني ص: 200 - 201، ترتيب المدارك 3/ 233 - 234، الديباج
المذهب ص: 195، والرياض، وطبقات أبي العرب في عدة صفحات مفترقة، شجرة النور
الزكية 107/1 رقم 131، معجم المؤلفين: 4/ 264، مطبعة الترقى دمشق 1957.
(6) المراد بكلمة، منه: هو سحنون. (7) طبقات أبي العرب ص: 245.
(8) في ت: يأتيه للسمع.
(9) في ت و ط: بطلب، التصويب من: طبقات أبي العرب، والديباج المذهب.
(10) في ط: يضاف. التصويب من: ت.

مَظَالِمَ الْقَيْرَوَانَ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِي مِائَةِ دِينَارٍ، ثُمَّ وُلَّاهُ ابْنَ مَسْكِينٍ قَضَاءً صِغْلِيَّةً فَنَشَرَ فِيهَا عِلْمًا كَثِيرًا سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ⁽¹⁾.

قلت: زاد التَّجِيبِي وغيره ولم يُوجد له مال بعد مَوْتِهِ.

قلت: والظنُّ به إخراجُ ما فَضَلَ [عنه]⁽²⁾ في وُجُوهِ البرِّ، لَأَنَّه اختلس بعد وفاته⁽³⁾. قال: مات بصِغْلِيَّةِ سَنَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.

139 - وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُدَ الرَّبَّيعِيِّ الصَّوَّافِ⁽⁴⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قال: سمع من سَحْنُونِ عَشْرِينَ سَنَةً حَتَّى مَاتَ. فَكَانَ يَقُولُ: أَتَى بِي أَبِي إِلَى سَحْنُونِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ لِأَسْمَعُ مِنْهُ فَاسْتَضَعَّرَنِي سَحْنُونُ فَأَجَازَ لِي جَمِيعَ⁽⁵⁾ كُتُبِهِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَزِمْتُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَسَمِعُ مِنْهُ جَمَاعَةً. مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْرُورِ التَّجِيبِيِّ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَنِي بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُورِ الدِّبَاغِ، وَأَبُو مَيْسَرَةَ أَحْمَدُ بْنُ نِزَارٍ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ اللَّبَادِ، وَأَبُو الْعَرَبِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمٍ، وَحَبِيبُ بْنُ الرَّبِيعِ مَوْلَى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الطُّوزِيِّ⁽⁶⁾، وَحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُعْتَبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَادِرٍ، وَعَالَمٌ كَثِيرٌ.

قلت: وكان سبب طلبه للعلم فيما حكاه أنه قال: كُنْتُ أَطْلُبُ الشُّعْرَ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي عَلَى حَائِطٍ يَرُجِفُ، وَنَارٌ عَظِيمَةٌ [تحتي]⁽⁷⁾ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَقَعَ فِيهَا، فَإِذَا حَلَقَةُ رِجَالٍ فِيهِمْ وَالْيَدِيُّ فَكُنْتُ⁽⁸⁾ آسَأُ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لِي: لَا تَخَفْ إِزْمِ بِنَفْسِكَ فِي حَلَقَةِ سَحْنُونِ تَنْجُو.

(1) في ت: «قال: ولم يزل قاضياً بصِغْلِيَّةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِهَا سَنَةَ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ».

(2) سقط من: ت. (3) في ت: موته.

(4) ترجم له في: طبقات الخشني ص: 190 - 192، وفي طبقات أبي العرب في عدة صفحات متفرقة، الرياض: 1/ 505 - 513، ترتيب المدارك 3/ 242 - 245، البيان المغرب 1/ 137 [وفيات 291]، الديات المذهب ص: 95، معجم المؤلفين 1/ 218، شجرة النور الزكية: 1/ 107 رقم 132.

(5) في ط: جمع. التصويب من: ت. (6) في ت: الطوزي.

(7) زيادة من: ت. (8) في ت: نكتب.

قال: وكان ثقةً صالحاً، عاقلاً كريماً الأخلاق، بَرّاً بمن يأتيه. وقال عيسى بن مسكين أحمد بن أبي سليمان حكيم، لأن أكثر كلامه حكمة، وكان نقش خاتمه أحمد تفكّر تعتبر.

قلت: وقال أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ كان أحمد يقول: أزهّد النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَمْ يَرْضَ مِنْهَا إِلَّا بِأَخْذِ الْحَلَالِ⁽¹⁾، وإن رآه النَّاسُ مُتَكِباً⁽²⁾ عَلَيْهَا.

قلت: ومثله ليحيى بن [عمر]⁽³⁾ واختاره شيخنا أبو الفضل [أبو القاسم بن أحمد]⁽⁴⁾ البرزلي وكان لا يرتضي⁽⁵⁾ قولي الصّوّاب خلافة، وهو أنه لا يُسمّى زاهداً حتّى ينبد الدنيا وراء ظهره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عَذَابٌ»⁽⁶⁾.

قال: وقال أبو الحسن الدباغ: أقام⁽⁷⁾ لِيُسْمِعَ النَّاسَ وَيُفْتِيَهُمْ عشرين سنة وكان يقول: «أنا حُبْسٌ، وَكُتْبِي حُبْسٌ». أراد في السّماع وانتفاع الناس به. ورؤي عنه أنه قال: رأيت ليلة في المنام كأن زبلاً في مسجدي وأنا أكنسه فأصبحت مغموماً من ذلك فبينما أنا كذلك في المسجد، إذ دخل عليّ قوم لقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن الصيّارفة وجّهنا عبد الله بن طالب نسمع منك كتاب الصّرف، قال: فقرأته لهم وعلمت أن ذلك تأويل الرؤيا.

قلت: وأراد بقوله فقرأته لهم قراءة تبين لما دلّ عليه من [المعاني]⁽⁸⁾ ولو كانوا يفهمون لأنفسهم لطلبوا الكتاب خاصة، وفي كلام الشيخ بتر لأنهم قالوا: أمرنا ابن

(1) في ت و ط: الخلال. والصواب ما أثبتناه.

(2) في ت: منكباً.

(3) في ت و ط: يحيى. والصواب ما أثبتناه. وله ترجمة في: الرياض 490/1، وطبقات الخشني ص: 184 - 186، جذوة المقتبس ص: 341، بغية الملتبس ص: 440 - 441، ويحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي سمع من سحنون رحل إلى القيروان حتى مات. كان متقدماً في الحفظ.

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: ت. (5) ت: لا يرضى.

(6) ورد الحديث في كتاب المقاصد الحسنة للسخاوي، وقد غلّق عليه تعليقا وافياً ص: 232 رقم 422.

(7) في ت: أقام أحمد يسمع. (8) سقط من: ت.

طالب أن لا نُصْرِفَ من أحدٍ حتى نَسْمَعَ كِتَابَ الصَّرْفِ⁽¹⁾، وليس في كلام الشيخ ما يَدُلُّ على هذا، ولما كَانَ الصَّرْفُ من أَضْيَقِ الأبوابِ، وَذَنبُهُ أَحَقُّ من غيره، فَعَلَّ بِهَمِّ هَذَا دون غيرهم من سَائِرِ البَاعَةِ. قال أبو بكر المالكي: وكان يقول: ينبغي لِطَالِبِ العلم أن يتخذ له قبل طلبه أَدَباً يَسْتَعِينُ به على طلبه، وَأَدَباً بعد طلبه يستعين به على حمله، ومن أَدَبِ العلم الحلم، وأن يغلب حلمك هواك إذا دعاك إلى ما يُشِينُكَ، وَعَلَيْكَ بِالتَّوْقَارِ وَالتَّعَقُّفِ وَالدَّرَايَةِ⁽²⁾، وَالصَّمْتِ وَالصَّيَانَةِ، وَالسَّمْتِ الْحَسَنِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَى النَّاسِ، وَمُجَانِبَةِ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَالجلوس مع الفُقَهَاءِ وَمَحَبَةِ الْأَخْيَارِ، وَمُبَايِنَةِ الْأَشْرَارِ، وَالقَوْلِ الْحَسَنِ فِي إِخْوَانِكَ، وَالكَفِّ عمن ظلمك. وَلَا تَهْمِزْ أَحَدًا⁽³⁾، وَلَا تَلْمِزْهُ، وَلَا تَقُلْ فِيهِ وَلَوْ كَانَ عَدُوكَ فَإِذَا⁽⁴⁾ فَعَلْتَ ذَلِكَ شَرُفْتَ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ وَعَرَفَ⁽⁵⁾ حَقَّ الْحُكَمَاءِ، وَلِحَقَّتْ بِالْعُلَمَاءِ، وَهَابَكَ السُّفَهَاءُ، وَحَلَلْتُ مَحَلَّ الْأَخْيَارِ⁽⁶⁾، وَبَرَّئْتُ مِنَ الْأَشْرَارِ، فَافْهَمْ وَتَفَهَّمْ وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ يُعِينِكَ اللَّهُ.

قال: وكان أحمد شاعراً مجيداً ومن شعره:

يَا نِدَّةً قَضَرْتُ وَطَالَ بِلَاؤُهَا عِنْدَ التَّدَكُّرِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
نَمَا تَدَكَّرَهَا وَقَالَ نَدَامَةً مِنْ بَعْدِهَا يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ⁽⁷⁾

قلت: ذَكَرَ هَذَيْنِ⁽⁸⁾ البيتين أبو الحسن الهباغ قال: وَجَدْتُهُمَا فِي رُقْعَةٍ فِي مَسْجِدِ أَبِي سَلِيمَانَ فَقُلْتُ لَهُ: أَهَذَا مِنْ قَوْلِكَ؟ قال: نعم، قال التُّجِيبِي وَهُوَ الْقَائِلُ:

فَدَعُ عَنْكَ الْمَذَاهِبَ وَاتَّبِعْنِي مَتَى تَتَّبِعْ أَنَا الْحَبْرَ الْكَبِيرَ⁽⁹⁾
فَقِيهِ النَّاسُ سَخُنُونَ تَجِدْنِي لِأَكْثَرِ فِقْهِهِ بَصْرًا بَصِيرًا⁽¹⁰⁾
وَفِي فِقْهِهِ الْفَقِيهِ أَبِي سَعِيدٍ رَأَيْتُ⁽¹¹⁾ الْحَقَّ مُتَّضِحًا مُنِيرًا

(1) في ت: إذ ليس.

(2) في الرياض: أحداً [بقول].

(3) في الرياض: «وعرفت حقاك الجلساء» 506 / 1.

(4) في الرياض: الأبرار 506 / 1.

(5) في ت و ط: هاتين والصواب ما أثبتناه.

(6) الشطر الثاني ورد في الرياض بلفظ: [متابعة تجد خيراً كثيراً] 511 / 1.

(7) قال محقق الرياض بالنسبة لهذا الشطر: هذه رواية المعالم، وجاءت رواية هذا الشطر في

الأصل: «لأكثر علمه نفعاً خبيراً» انظر هامش 68 ص: 511.

(8) في الرياض: وجدت.

وفي تعلّيمه علماً عليماً
لَزِمْتُ فِنَاءَهُ عِشْرِينَ عَاماً
فَنِلْتُ⁽²⁾ مِنَ السَّلَامَةِ مَا كَفَانِي
وفي تأديبه سثراً ستيراً
أَعَادِيهِ وَأَغْشَاهُ هَجِيرًا⁽¹⁾
وَوَقَّانِي وَبَلَّغَنِي السُّرُورَا

قلت: نصبه الكبير بإضمارِ فعلٍ، لأنه نعتٌ والله أعلم، وأراد بأبي سعيد: سحنوناً، لأنها كنيته. وأراد بقوله: فنلتُ من السلامة أي من النار المتقدم ذكرها. قال التّجيبى ومن شعره:

ولما فجأ⁽³⁾ عمري ثمانين حجّة
تركتُ تكاليفَ الحياة لأهلها
رَأَيْتُ حَلِيمَ الْقَوْمِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا
أَرَانِي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ زَاهِدًا
تَخَلَّيْتُ مِنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً
عَنِتُّ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوَيْتُهُ
وأيقنتُ أنني قد قرئتُ من المدى
وَجَانِبْتُهَا طَوْعاً فَجَانِبَنِي الرَّدَى
وَمَنْ نَالَ عِلْمًا نَالَ جَاهًا وَسُؤْدَدًا
وفي شرفِ الدُّنْيَا وفي العِزِّ أَزْهَدًا
دَفَاتِرَ⁽⁴⁾ عِلْمٍ، ثُمَّ بَيْتًا، وَمَسْجِدًا
وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى⁽⁵⁾ وَأَسْعَدًا

زاد غيره عنه:

وَقَدْ ذَمَّ قَوْمٌ مَا فَعَلْتُ جِهَالَةً
وَلَوْ فَهَمُوا رَأَيْي وَأَمْرِي لِأَبْصَرُوا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ أَوْقَرَ⁽⁶⁾ أَهْلَهُ
فَمَا حَلَّ قَوْمٌ⁽⁷⁾ فِيهِ إِلَّا بِفَجْعَةٍ
وكم قد رأينا من عزيزٍ مُشَرَّفٍ
فَعُدُّوا مَعَ الْجُهَّالِ فِي الْجَهْلِ أَحْمَدًا
وَقَالُوا: رَأَيْ رَأْيًا سَدِيدًا مُسَدَّدًا
هُمُومًا وَأَنَّ الْعَيْشَ صَارَ مُنْكَدًا
وَأَنْتَ لِأُخْرَى فِيهِ مُنْتَظِرٌ غَدًا
يَبِيتُ مُقَرًّا فِي الْقِبَابِ مُمَهَّدًا

(1) بعد هذا البيت ورد في الرياض البتان:

وكننت مؤدباً نفسي لنفسي
فنلت من العلوم لطول عمري
511 / 1.

على نفسي أجنبها النكيرا
وإمضائي وتجربتي الدهورا

(2) في الرياض: وحزت 511 / 1. (3) فجأ: طرقه بغتة من غير أن يشعر به.

(4) في ط: تفاتر. التصويب من الرياض 509 / 1 وفيه [دفاتر من].

(5) أقنى: أغناه الله وأعطاه.

(6) في ط: أقرا. التصويب من الرياض 509 / 1.

(7) في الرياض: يوم 509 / 1.

فجاء⁽¹⁾ المَنَايَا وهو في حِينِ غَفْلَةٍ فَأُضْحَى ذَلِيلًا فِي التُّرَابِ مُوسَّدًا
وله رحمه الله تعالى أشعارٌ كَثِيرَةٌ.

قال: وكان رحمه الله غزيرَ الدَّمْعَةِ قَرِيءٌ عليه كتاب الزُّهْدِ لِسَحْنُونِ، فما زال يبكي حتى فرغ من قِرَاءَتِهِ وكان يُفْتِي فِي الَّذِي يَفْتَحُ حَانُوتًا فِي الشَّارِعِ قُبَالَةَ دَارِ رَجُلٍ أَنَّهُ يَمْنَعُ.

قلت: وبه قال عبد الحميد الصائغ لأنَّ ضَرَرَةَ أَشَدُّ مِنْ فَتْحِ بَابِ دَارِ. قال المازري: وهو الصحيح. وَلَمْ يَرْتَضِيا قول بعض القرويين بجوازه كبابِ الدَّارِ، وكذلك كان شَيْخُنَا أبو الفضل أبو القاسم البُرْزُلي لَا يُفْتِي إِلَّا بِقول عبد الحميد. وكان أبو جعفر يقول في المرأة تُودَعُ وَدِيعَةٌ فتودعها لزوجها، فتضيع أنها غير ضامنة، كالرجل يَسْتَوْدِعُ الوَدِيعَةَ امرأته. وقال غيره: المرأة ضامنةٌ بخلاف الزَّوْجِ.

قلت: قِفْ عَلَى قول أبي جعفر هذا فَإِنَّهُ مِنَ الغَرَائِبِ، وَقَلَّ مَنْ يَعْرِفُهُ مِنَ الحَفَاطِ وَالنَّفْتَوِي بِقول غيره لِلغُرُفِ ولو ثبتَ العُرْفُ فِي بَلَدٍ لكان كما قال.

قال: وتوفي يوم الاثنين لأربع بقين من رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين.

قلت: كذا فِي نُسخَةِ عَتِيقَةِ لأربع وهو وَهْمٌ، لِقول التَّجِيبِي توفي يوم الاثنين وُدْفِنَ يَوْمِ الثَّلَاثاءِ ثَلَاثَ بَقِينِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي كَلَامِهِمَا مَعًا بتر لقول غيرهما وُدْفِنَ بِبَابِ نَافِعٍ وَكَانَ لَهُ مَشْهَدٌ عَظِيمٌ. قال: وَسِنَّهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

140 - وَمِنْهُمْ أَبُو عِقَالِ غَلْبُونِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ غَلْبُونِ⁽²⁾ رحمه الله تعالى:

كذا قال وهو خلاف قول التَّجِيبِي أن اسمه أدب.

قال: كان من الحَفَاطِ النَّبَلَاءِ وَالْفُصْحَاءِ الأَدْبَاءِ الشُّعْرَاءِ، وَلَهُ سَمَاعٌ مِنْ سَحْنُونِ. نشأ أبو عقال بالقيروان، وورقادة⁽³⁾ فِي رِفَاهِيَةِ عَظِيمَةٍ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي

(1) فِي الرِّيَاضِ: فَجَتْهُ 509/1.

(2) رَوَّحَهُ فِي الرِّيَاضِ: 527-545، وَشَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ: 109/1 رَقْمٌ 140. وَفِيهِ اسْمُهُ: أَبُو عِقَالِ عَلْوَانَ بْنِ الحَسَنِ وَأَنَّهُ تَوَفِّي سَنَةَ 296هـ، بَعْدَ دُخُولِهِ مَكَّةَ وَمَاتَ بِهَا وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الفَرِيضَةِ.

(3) رِقَادَةُ: عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ قَيْرَوَانَ إِفْرِيْقِيَّةِ، وَليْسَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ أَعْدَلُ هَوَاءٌ مِنْ رِقَادَةَ وَلَا أَرْقُ نَسِيمًا وَلَا أَطْيَبُ تَرِبَةً. الرُّوضُ المِعْطَارُ ص: 271.

وَأَعْتَبَ مَسْرُوكَ بِرَيْقِيَّةَ، فَكَانَ نَسِيدَ مَحَبُوبٍ، لَمْ يَكُنْ فِي رَمَدِهِ كَثْرَ لِحْوَةٍ مَعَهُ، بَلْ
 كَانَتْ ذَاتُ رِغْوَانٍ، وَنَحْوَهُ مِنْ سَائِرِ رَمَدِهِ لَيْسَ بِنَفْسٍ، لَمْ حُدِّ وَحْتَهُ حَتَّى كَانَتْ
 كَثِيرَ تَعْبُدٍ وَفَضْلٍ بِرَأْفَةٍ، وَرَوَى عَنِّي أَنَّهُ جَعَلَ وَهَاتِهِ، وَكَانَ سَبَّ تَوْبَتَهُ أَنَّهُ
 كَانَتْ مَفْتُولَةً سَائِرَ، فَكَانَ يَحْضُرُ الْأَعْرَاسَ وَحَدِيثَهُ بِرَأْفَتِهِ سَائِرًا، وَحَصْرًا بِرَأْفَتِهِ
 بَعْضَ مَسْرُوكَ بِالْعَائِيَّةِ، مَعَ جَسَدَةٍ مِنْ جَوَارِيهِ عَنِّي نَسِيرًا سَائِرًا، لَمْ يَحْضُرْ تَبَيُّنًا،
 فَدَعَتْ دُرَّةً نَسِيئَةً فِي ذِي الْعَرَسِ، فَعَنَّفَتْ الْأَيْوَابَ وَرَفَعَتْ تَفَنُّيْشَ فِي سَائِرَةٍ وَحِدَةٍ
 بَعْدَ وَحِدَةٍ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي سَائِرَةٍ إِلَّا هُوَ وَامْرَأَةٌ، لَمْ يَحْضُرْ تَبَيُّنًا وَرِغْوَانًا،
 لِشَيْءٍ مَسْرُوكِي هَذِهِ نَحْوَةً وَهِيَ تَفْضُحِي وَأَثْرَانُ لَمْ يَأْتِ عَوْدًا، وَكَانَ قَدَاتُ تَعْبُدِهِ حَتَّى
 سَبْعِينَ مَرَّةً لَمْ تَكُنْ لَمْ يَمْنَعْهُ مَعَهُ لَمْ يَمْنَعْهُ لَمْ يَمْنَعْهُ لَمْ يَمْنَعْهُ لَمْ يَمْنَعْهُ لَمْ يَمْنَعْهُ لَمْ يَمْنَعْهُ
 فَبَدَأَ قَدْ وَجَدَ نَشْرَةً، فَخَرَجَ مِنْ الْمَوْضِعِ إِلَى ذِي وَقَدْ حَصَرَ فِي نَفْسِهِ وَحَصَرَ مِنْ
 تَوْبَةٍ نَصْرًا، فَارْتَضَى نَدَاً، وَوَأَهْلًا، وَوَأَهْلًا، وَوَأَهْلًا، وَوَأَهْلًا، وَوَأَهْلًا، وَوَأَهْلًا،
 بِيَعْضِ حَضْرَتِ بَرَيْقِيَّةَ فَصَحَبَ بِهَا بِيَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّ وَكَانَ يُؤْتِرُ رَوْرًا وَأَنْدَلُسِيًّا
 زَاهِدًا مُتَبَلِّلاً، فَتَفَنَّعَ بِطَحْحِيَّتِهِ وَوَأَهْلًا حَتَّى مَاتَ.

قُلْتُ: لَمَّا رَدَّ بِنَشْرَةٍ تَبَيُّنًا وَقَبِيْرَ نَدَى ضَعَّ بِمَدَى حَتَّى لَبِيْعٌ هَرَبٌ نَدَتْ
 نَدْرًا وَبَيْنَهُمُ امْرُؤٌ بِأَبِي أَنْ يُعْتَقَ عَلَيْهِمْ وَفَتَشَرَّ نَسَاءً فَكُلُّ مَرَّةٍ لَا يَجِدُو عَمْرُو
 شَيْئًا أَخْرَجُوهُ، قَالَ أَبُو عَقْلٍ: وَتَبَيُّتُ بِسَيِّئِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَمَدَّدُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 وَامْرَأَةٌ وَحِدَةٌ وَهِيَ تُرَدِّفُنِي وَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ وَرَأْفَتِي وَأَنْ تُفَعِّلَ بَيْنَهُمْ، بِسَيِّئِ الْأَخْرَجُوهُ
 فَوَجَدُوا الْحَمِي مَعَهَا فَفَانُوا لِي: انْصَرَفِي بِهَذِهِ نَمْرَةً فَزَلَّتْ نَخْفًا وَبِرَعْفَةٍ
 وَالرِّدَاءُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيَّ مِنْ زَيْيِ النِّسَاءِ وَتَمَادَيْتُ عَلَيَّ لِتَوْبَةٍ، وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ تَابَ لِحْوِ
 السَّبْعِينَ مَرَّةً خِلَافَ قَوْلِ غَيْرِهِ، تَابَ قَبْلَهَا سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَأُرَادَ بِبَعْضِ حَضْرَتِ بَرَيْقِيَّةَ
 بَعْضَ مَحَارِسِ مَدِيْنَةِ صِفَاقِيسَ كَمَا صَرَحَ بِهِ غَيْرُهُ.

قَالَ: رَوَى أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ بِأَبِي هَارُونَ وَتَعَبَّدَ مَعَهُ، جَدَّ أَبُو عَقْلٍ فِي الْعِبَادَةِ
 وَزَادَ عَلَيَّ أَبِي هَارُونَ، فَخَطَرَ فِي نَفْسِ أَبِي عَقْلٍ أَنْ لَمْ شُقُوفًا⁽²⁾ عَلَيَّ أَبِي هَارُونَ فِي
 الْمَجَاهِرَةِ فَرَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: ﴿إِنَّمَا حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ

(1) الْمِعْجَرُ: ثَوْبٌ تَعْتَجِرُ بِهِ الْمَرَأَةُ، أَصْفَرٌ مِنَ الرِّدَاءِ وَأَكْبَرُ مِنَ الْمَقْنَعَةِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ ثِيَابِ
 الْيَمَنِ. لِسَانَ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ مَادَةُ «عَجْر» 544/4.

(2) شَفٌّ، شُقُوفًا: رَقَّةُ الْجَسْمِ وَنَحْوُهُ وَضَعْفُهُ.

بَجَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ ﴿ [الجاثية: 21]. فاستيقظ فزعاً وعلم أن المراد بذلك، لما خطر في نفسه فقال لأبي هارون: سألتك بالله هل أتيت كبيرة قظ؟ فقال: لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله.

قلت: وهذا أخص من نقل المالكي حيث قال: قلت: يا سيدي هل تعلقت من الدنيا بذنوب أو معصية فقال: لا والله يا أبا عقال ما حلت ثوبي على معصية قظ، ولا أكلت مال يتيم، ولا شهدت بغير الحق فاسأل الله يا أبا عقال أن يعفو عنا وعنك، وأن يدخلنا الجنة برحمته. فأخبرته بالرؤيا فبكى وقال: يا ابن غلبون هذه من أكبر النعم.

قال: ثم رحل أبو عقال من القيروان إلى المشرق مع أبي هارون وكانت له هناك رياضات وسياحات، ثم لزم الحرم إلى أن مات. ولما علمت أخته بموته، رحلت إلى مكة فزارت قبره، وكتبت عليه هذه الأبيات:

ليت شعري ما الذي عاينته	بعد طول الصوم مع نفي الوسن ⁽¹⁾
مع غروب ⁽²⁾ النفس عن أوطانها	[والتخلي عن حبيب] ⁽³⁾ وسكن
يا شقيقاً ⁽⁴⁾ ليس في ⁽⁵⁾ وجددي به	غلة ⁽⁶⁾ تمنعني من أن أجن
وكما تبلى وجوه في الشرى	فكذا يبلى عليهن الحزن

وكانت أخته شاعرة.

قلت: ظاهر كلامه أن أخته لم ترحل إليه في حياته، وهو خلاف قول المالكي قيل: إنها كتبت إليه من القيروان كتباً كثيرة ترغب إليه في الرجوع إلى المغرب لتجتمع معه وتسر برؤيته قبل أن يفرق الموت بينهما، فكل كتاب يصل إليه منها ألقاه من يده ولم يقرأه، فلما طال عليها وصت له بغير كتاب بحق الثدي الذي رضعته معك إلا أريتني وجهك قبل فراق الدنيا، ما لك في حال صباك وجناباتك وكثرة ما

(1) الوسن: ثقة النوم، والوسن أيضاً: الحاجة.

(2) في الرياض: مع نزوح 538/1.

(3) ما بين المعقوفين في الرياض: "من نعيم وحميم" 538/1.

(4) في الرياض: وحيداً 538/1. (5) في الرياض: من.

(6) في الرياض: لوعة 538/1.

يطراً علينا⁽¹⁾ بسببك كنت عندنا وحين صرنا نفخر⁽²⁾ بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟ فقال لِرَسُولِهَا قُلْ لَهَا مَا كُنْتُ لِأَدْعَ بِلَدَا عَرَفْتُ اللَّهَ فِيهِ وَأَمْضِي إِلَى بِلَدِ عَصِيَّتُ اللَّهِ فِيهِ أَخْشَى أَنْ تَقْضَى⁽³⁾ الْعَوَائِدُ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَيْهِ أُخْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَأَقَامْتُ مَعَهُ بِمَكَّةَ، حَتَّى مَاتَ⁽⁴⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ إِنَّهَا لَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا: يَا أُخْتُ، إِنَّ هَذَا بِلَدٌ شَدِيدُ الْعَيْشِ وَلَيْسَ تَمَكَّنُكَ الْأَشْيَاءُ فِيهِ⁽⁵⁾ كَمَا كَانَتْ تَمَكَّنُكَ بِإِفْرِيْقِيَّةَ، وَأَنْتِ قَدْ تَعُوْدُتِ⁽⁶⁾ بِإِفْرِيْقِيَّةِ الْعَيْشِ الرَّغْدِ وَالطَّعَامِ الطَّيِّبِ. فَقَالَتْ لَهُ: إِذَا لَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَخَذْتُ الْقَرْبَةَ وَحَمَلْتُ عَلَى ظَهْرِي الْمَاءَ، وَسَقَيْتُ مَعَ السَّقَايَا⁽⁷⁾، ثُمَّ إِنَّهَا أَقَامَتْ مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ بِمَكَّةَ تَتَعَبَدُ وَكَانَتْ مُجْتَهِدَةً وَتُوفِيَتْ بِهَا.

قال: ولأبي عقاب أشعار في الزهد منها قوله عند توبته:

أبصر بالقلب سبيل الرشد فباين الأهل معاً والولد
وجد في السير إلى ربّه مُشَمَّراً يطلب مُلكَ الأبد
قد صارت الدنيا بأقطارها عليه كالسّجن فمنها شرد

قلت: ومن قوله رحمة الله تعالى عليه:

لئن غرب⁽⁸⁾ الإخوان عني نزاهةً وَخَلَّفَنِي عَنْهُمْ نَصِيبِي مِنَ الْفَقْرِ
لقد سرّني أني خليّ من الذي أَضَاعُوهُ مِنْ حَقِّي وَلَوْ كُنْتُ فِي الْأَسْرِ
ولو كنت في الدنيا على مثل حالهم أَبْحَثُهُمْ رَحْلِي وَعُدْتُ إِلَى طَمْرِي
فما لي إلى خلق سوى الله حاجة وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ يُحَادِثُهُ⁽⁹⁾ فِكْرِي
أأبكي⁽¹⁰⁾ على الدنيا إذ ما تعذرت وَأَوْثَرُ بِالْمَوْجُودِ مِنْهَا عَلَى الضَّرِّ
سأرعى لهم ما هان مني عليهم وَأَحْمِلُ نَفْسِي فِي الْجَفَاءِ عَلَى الصَّبْرِ
عليهم سلام الله مني رسالةً مُقَسِّمَةً بَيْنَ التَّوَاضُلِ وَالْهَجْرِ

(1) في ط: عيلنا، التصويب من: الرياض، وهو تحريف لكلمة: «علينا».

(2) في الرياض: نفتخر 537/1. (3) في الرياض: تقتضيني 537/1.

(4) في الرياض: ماتت 537/1. (5) في الرياض: به 538/1.

(6) في الرياض: تعلمت 538/1. (7) في الرياض: السقايات 538/1.

(8) في الرياض: عزف. (9) في الرياض: تجاذبه 542/1.

(10) في الرياض: أتبه 542/1.

عَنِ الْجَدِّ وَالتَّشْمِيرِ فِي الدِّينِ ⁽¹⁾ وَالْأَمْرِ
جِبَالَ الْإِخَا فِيمَا يَنْوِبُ مِنَ الدَّهْرِ
وَفَضلاً لِأَهْلِ الْقَرَبِ بِأَحْبه شَكْرِي
بِأَرْبَعَةِ أَتْلَيْتُ ⁽⁴⁾ فِيهَا عَلَى الصَّبْرِ
أَبْحَثُكُمْ حَظِّي مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
عَلِي بِجَاهِ فِي الْأَنَامِ وَلَا قَدْرَ

فَمَا أُلْفَةُ الْأَحْبَابِ إِلَّا تَشَاغُلُ
رَضِيَتْ بِوَصْلِ اللَّهِ مِنْ ⁽²⁾ كُلِّ قَاطِعِ
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَنْعَ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ
فَقَمْتُ عَلَى حَوْلِ ⁽³⁾ الزَّمَانِ مُفَكِّراً
فَقُلُّ لِحُضُونِ الْعَرَبِ طَرّاً وَمَنْ بِهَا
بِلا عَوْضٍ مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ رَاجِعِ

ومن قوله أيضاً رحمه الله تعالى ورضي عنه :

إِذَا سَاعَدْتَنِي فِي الشُّهَادِ بَدَأَ لَهَا
أَشَارَ إِلَيْهَا ⁽⁵⁾ ضِدَّهُ فَأَزَالَهَا
وَتَقَطَّعَ عَنِّي بِالْيَمِينِ شِمَالَهَا
تَسَاعَدَ شَيْطَاناً يُرِيدُ ضَلَالَهَا
تَعَوَّذْتُ مِنْ نَفْسِي الَّتِي سَاءَ ⁽⁶⁾ حَالُهَا
بِلا ⁽⁷⁾ عِلَّةٍ آسَى عَلَيْهَا وَلَا لَهَا
لِنَغْصِرِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِنْدِي دَلَالَهَا
فَمَا لِي وَمَا لِلْعَيْشِ فِيهَا وَمَا لَهَا ⁽⁸⁾

كَأَنِّي وَنَفْسِي بَيْنَ حَرْبٍ وَهُدْنَةٍ
إِذَا ذَادَهَا لِلْوَرْدِ حَادِي وَعَيْدَهَا
تَخَالَفْنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ
فَمَنْ لِي بِنَفْسِي لَا تَزَالُ غُوبَةً
فَلَوْ كَانَ لِي التَّخْيِيرُ فِي بَدءِ خَلْقَتِي
وَكُنْتُ كَمَنْ لَمْ يَبْدَعْ اللَّهَ خَلْقَهُ
وَلَوْ كُنْتُ فِي الدَّارَيْنِ خُرّاً مُدَلَّلاً
فَلَا كَانَتْ الدُّنْيَا وَلَا كُنْتُ قَبْلَهَا

ومن قوله أيضاً رحمة الله تعالى عليه :

وَبِاللَّهِ مِنْ ⁽⁹⁾ كُلِّ خَلْقٍ عَمَّادَا
أَقْلُ الْبَرِيَّةِ عِنْدِي عَمَّادَا
فَمَنْ شَاءَ وَدَّ وَمَنْ شَاءَ عَادَى
وَنَادَيْتُهُ أَبَدًا مُسْتَرَادَا ⁽¹⁰⁾

رَضِيَتْ بِذَوْنِ الْكِفَايَةِ قُوتاً
فَأَحْظَى الْمَمْلُوكَ وَأَهْلَ النَّعِيمِ
وَأَسْقَطَتْ لَوَمِي عَنِ الْعَالَمِينَ
فَمَنْ دَامَ ذُمَّتْ لَهُ فِي الْوَفَاءِ

(2) في الرياض : عن 1 / 542 .
(4) في الرياض : أنبت 1 / 542 .
(6) في الرياض : فلم أر 1 / 543 .
(8) الرياض : 1 / 543 .

(1) في الرياض : النبي 1 / 542 .
(3) في الرياض : حول 1 / 542 .
(5) في ض : إليه 1 / 543 .
(7) في الرياض : فلا 1 / 543 .
(9) في الرياض : عن 1 / 540 .
(10) في الرياض : وزايدته أبداً ما استتراد 1 / 540 .

وَمَنْ تَاءَ تَهْتَ بِمَنْ لَا يَدُلُّ بِهِ مِنْ أَعَزَّ وَلَا مَنْ أَسَادَا
 وَلَمْ⁽¹⁾ أَرَّ عَيْشاً كَعَيْشِ الْقَنْوَعِ وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الثَّقَى لِي مَزَادَا
 وَهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ كُلُّ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي النَّقْلِ مِنْ شَعْرِهِ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى.

قال: ونحن نذكر من أخباره جملة من ذلك ما روي أن رجلاً حائكاً صحب
 أبا عقال بمكة، وكان من الصالحين فقال يوماً لأبي عقال أحب أن تقضي لي
 حاجة، قال: وما هي؟ قال: أضمن لي قضاءها وأنا أخبرك بها، فلم يزل يستوثق
 منه حتى وثق به، فقال: إن كان لك شهوة فعرفني بها فقال: أشتهي آكل رأساً مشوياً
 قال: أنا لك به، فانطلق إلى الرواس، وقال: تخير لي رأسين من أطيب ما يكون
 ففعل ولقهما في رقاق وأوصلهما إلى بيت أبي عقال، فلما كان من الغد أتاه، وقال
 له: يا أبا عقال هل طاب لك الرأسان؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: كشفت عنهما
 فوجدتُهما محشوئين دوداً ليس فيهما لحم البتة فقال الحائك للرواس: أما استحييت
 تُعطيني ما لا فائدة فيه؟ وذكر له ما قال أبو عقال. فحلف الرواس ما ترك عنده
 مثلهما، ثم أطرق متعجباً فقال: ما الخبر؟ قال: هما والله من غنم كان انتهبها بعض
 العَمَّال. ثم أخرج رأسين دونهما فقال: خذ هذين بدون الثمن، لكنهما من غير تلك
 الغنم فأخذتهما ثم قال لي الرواس: والله ما ظننتُ أحداً في زماننا يُحمي عن
 الحرام هذه الحماية قال: فانطلقت مسرعاً إلى أبي عقال، فأخرجتُ الرأسين فأكلتهما
 وأستطابتهما فضحك الحائك وتبسم فقال له أبو عقال: ما شأنك؟ فأخبره الخبر
 فاستعبر أبو عقال، ورفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي! بلغ عندك عبدك أبو عقال
 إلى منزلة تحميه طعاماً حراماً لك علي عهد أن لا آكل طعاماً بشهوة حتى ألقاك.
 وروى أبو العرب بن تميم قال: كان أبو عقال كثيراً ما يأتي هذا المسجد يأوي إليه
 يعني مسجد الزاقول الذي عند دار أبي الحسن الزعفراني بالقيروان، فنزل بأبي
 هارون الأندلسي أضيافاً ولم يكن عنده في الوقت ما يشتري به طعاماً، فدخل عليه
 أبو عقال فذكر له ذلك، فخرج أبو عقال مغموماً بهم فأتى إلى هذا المسجد فنام فيه
 اغتماً بهم وتوكلأ على الله في أمرهم، إذ وقف به إنسان فأيقظه ثم قال له: هاك،

(1) في الرياض: فلم / 1 / 540.

وَصَبَّ فِي جِجْرِهِ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً، فَأَخَذَهَا أَبُو عَقَالٍ وَمَضَى بِهَا إِلَى أَبِي هَارُونَ فَأَخَذَ مِنْهَا مَا اشْتَرَى بِهِ لَهُمْ طَعَامًا، وَصَرَفَ الْبَاقِي. وَرَوَى الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدِ ابْنِ أَخِي هِشَامٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَالَ: دَخَلْتُ جَامِعَ مِصْرَ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْنِي وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِكَ، قَالَ: فَحَانَتْ مِنِّي التِّفَاتَةُ فَإِذَا بِرَجُلٍ عِنْدَ الْمُقْصُورَةِ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ وَهُوَ يَرْكَعُ فَقَرِبْتُ مِنْهُ وَرَكَعْتُ خَلْفَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي جُعْتُ فَأَطْعِمْنِي، ثُمَّ تَمَادَى عَلَى صَلَاتِهِ، فَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَالْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ قَصَدَ نَحْوَهُ فَجَعَلَ بِجَوَارِهِ خَبِيصًا وَرُقَاقًا وَجُرْدَقًا، ثُمَّ انصَرَفَ فَقُلْتُ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَنْ سَبَبِ هَذَا الطَّعَامِ؟ فَقَالَ: مَضَتْ عِيَالِي إِلَى الْحَمَامِ وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَعْمَلَ لَهَا شِوَاءَ فِي التَّنُورِ، فَأَتَانِي حَرِيفِي فَاسْتَعْلَتْ مَعَهُمْ حَتَّى ذَهَبَ الْوَقْتُ وَقَدَامِي رَجُلٌ حَلْوِي، فَأَخَذَتْ مِنْهُ خَبِيصًا ثُمَّ أَخَذَتْ رُقَاقًا وَجُرْدَقًا، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: اسْتَعْلَتْ بِيَعِكَ وَشَرَائِكَ وَلَمْ تَلْقَ إِلَيَّ بَالًا وَحَلَفْتَ لَا أَكَلْتَهُ، فَقُلْتُ: أَحْمَلُهُ إِلَى الْجَامِعِ وَأَطْعِمُهُ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ فَدَخَلْتُ إِلَى الْجَامِعِ، وَنَظَرْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَمْ أَرَ إِلَّا صَاحِبَ الْعَبَاءَةِ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ جِوَارَهُ فَلَمَّا حَوَّلْتُ وَجْهِي وَانصَرَفْتُ، نَظَرْتُ فَإِذَا الْجَامِعُ مَمْلُوءًا بِفُقَرَاءٍ، قَالَ: فَرَجَعْتُ أَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ فَإِذَا بِهِ أَبُو عَقَالٍ بِنِ غَلْبُونَ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ فِي كِتَابِ تَارِيخِ الصُّوفِيَةِ لَهُ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ سَلَامٍ يَقُولُ: قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي عَقَالٍ: إِنَّهُ أَقَامَ أَرْبَعَ سِنِينَ لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ حَتَّى مَاتَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَقَامَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى أَنْ مَاتَ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ الْكَاتِبِ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْغَلَايِمِيُّ قَالَ: كُنْتُ مُجَاوِرًا بِمَكَّةَ مَعَ أَبِي عَقَالٍ بِنِ غَلْبُونَ، وَكُنْتُ خَيَّاطًا بِهَا فَجِئْتُ مِنْ سَفَرِي فَأَخَذْتُ قِطْعَةَ لَحْمٍ وَشَوِيئَهَا، وَجِئْتُ بِهَا إِلَى أَبِي عَقَالٍ فَقُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ فَطْرُكَ اللَّيْلَةَ مَعِي فَقَالَ: مَا إِلَيَّ ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، قُلْتُ لَهُ: وَلَمْ؟ إِنْ اتَّهَمْتُ كَسْبِي فَوَاللَّهِ مَا أَعْرَفْتُ مَعِيَ دَرَهْمًا إِلَّا مِنْ وَجْهِهِ قَالَ: فَقَالَ لِي: مَا ذَاكَ؟ أَرَدْتُ قُلْتُ لَهُ: لَا بَدَّ أَنْ تُخْبِرَنِي مَا السَّبَبُ؟ أَوْ أَكُونَ عِنْدَكَ مُتَّهَمًا، قَالَ: فَقَالَ لِي: بِشَرَطٍ أَنْ لَا تَذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِي قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: كَانَ يَجِئُنِي شَيْءٌ مِنَ الْمَغْرِبِ إِقْتَاتَ بِهِ فَأَبْطَأَ عَنِّي وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَلَحَقْتَنِي فَاقَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَقَمْتُ أَيَّامًا لَا أَطْعَمُ فَجِئْتُ إِلَى الْمَلْتَزِمِ فَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَقُلْتُ: يَا إِلَهِي هَا أَنَا ذَا قَدْ لَحَقْتَنِي فَاقَةٌ وَلَا أَسْأَلُ غَيْرَكَ، إِذْ أَنْتَ مَالِكُ نَفْسِي فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مُنَاجَاتِي إِذْ رَأَيْتُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ قُبَالَةَ الرُّكْنِ، وَقَائِلٌ يَقُولُ لِي: يَا ابْنَ غَلْبُونَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِقُصْعَةٍ فِي وَسْطِ النُّورِ تَفُورُ، فَجَلَسْتُ فَقِيلَ لِي:

قُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَأَكَلْتُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا لَا شَيْءَ، فَالْيَوْمَ لِي يَا أَبَا الْحَسَنِ حَوْلٌ كَامِلٌ مَا طَعِمْتُ وَلَا شَرِبْتُ، فَفَارَقْتَهُ وَذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِي فَأَفْطَرْتُ ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَبَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَقَمْنَا لِنُصَلِّيَ التَّرَاوِيحَ فَبَعْدَ أَنْ مَرَّتْ تَرْوِيحَةٌ أَوْ تَرْوِيحَتَانِ سَجَدَ أَبُو عَقَالٍ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَقَالَ النَّاسُ: أَبُو عَقَالٍ دَاخِلُهُ الْكَلَلُ فَنَامَ فِي سَجُودِهِ، إِلَى أَنْ فَرَعَتِ التَّرْوِيحَةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَطَلَعَتْ عَلَى الْحِجْرِ فَقُلْتُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَنْشُرَ لِأَبِي عَقَالٍ فِي أَرْضِهِ الْيَوْمَ عِلْمًا ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ.

فإن قلت: قد تقدم أنه قال: ما أكلت طعاماً ولا شربت منذ أربعة أعوام في قول، وفي آخر اثني عشر عاماً وفي هذه أخبر أنه لم يأكل ولم يشرب منذ عام واحد، ومات بالفور فكيف الجمع؟

قلت: لا مناقضة في ذلك، والجمع هو: أن من قال: منذ أربعة أعوام لم يباشر منه إلا ذلك ومن قال اثني عشر عاماً، علم أكثر من الأول ولا علم عندهما بأكله من القصة، ومن علم بالأكل من القصة التي نزلت في النور قال: لم يأكل ولم يشرب مدة من عام واحد، ومات بعد ذلك في الفور، والله أعلم.

قال: وقال أبو عبد الله الدينوري: كان أبو عقال يُسمى حمامة الحرم بمكة. وحدث أبو إسحاق المغربي «بطرشوس» عن أبيه، وكان ممن لقي أبا عقالٍ وصحبته، قال: رأيتُه يوماً بمسجد الخيف من منى وعليه خيشتان، مؤتزرًا بإحدهما مُتَشِحاً بِالْأُخْرَى وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ يَكْتُبُونَ كَلَامَهُ فَلَمَّا انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَتَفَرَّقُوا خَلُوتُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُ: حَدَّثَنِي بِأَشَدِّ مَا مَرَّ بِكَ فِي الْحِجَازِ بَعْدِي فَقَالَ: لَا تَقْدِرُ أَنْ تَسْمِعَهُ وَلَكِنِّي أَحَدْتُكَ بَعْضُهُ، كَانَ مَعِيَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ سَبْعُونَ صَاحِبَ رَكْوَةٍ فَوَقَعَ الْقَحْطُ بِالْحِجَازِ فَمَاتُوا، وَبَقِيَ سِتَّةٌ نَفَرٍ قَدْ أَثَرَ فِيهِمُ الضَّرَرُ، فَبَقِينَا تِسْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مُتَوَالِيَاتٍ، لَمْ نُطْعَمْ فِيهَا شَيْئًا، فَضَعْفْتُ وَيَسْتُ مِنْ الْحَيَاةِ فَوَقَعَ فِي سِرِّي أَنْ آتَى الرُّكْنَ فَالْتَزَمَهُ لَعَلِّي أَمُوتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقُمْتُ لِأَمْشِي فَلَمْ أَقْدِرْ فَحَبِوْتُ إِلَيْهِ حَبْوًا حَتَّى عَانَقْتُهُ فَطَرَأَتْ عَلَيَّ قَلْبِي أَيْبَاتٌ قَلَّتْهَا فَرَجَعْتُ رُوحِي إِلَيَّ وَعَشْتُ، وَهِيَ هَذِهِ:

عقدت عليك مكمّات خواطري
 إن الزمان عدا عليّ فزادني
 ما نالني يوم⁽⁴⁾ بوجه مساءة
 حسبي بأنك عالم بمصالحي
 عند⁽¹⁾ الرجاء فالزمتك⁽²⁾ حقوقاً
 علماً بأنك صاحبي⁽³⁾ تحقيقاً
 إلا عبّرت⁽⁵⁾ به إليك طريقاً
 إذ كنت مأموناً علي شفيقاً

ثم رجعت فاستندت إلى زمزم، فلما استويت جالسا إذا أنا بأسود على رأسه مكّتل^(*) فيه خبز، ولحم مشوي، وضرّة [كبيرة من فضة]⁽⁶⁾ فقال لي: أنت أبو عقال⁽⁷⁾؟ قلت له: نعم فوضعه بين يدي ومر⁽⁸⁾ فأومأت إلى أصحابي فأتوني حبواً فكنت فيهم كواحد منهم. وقال أبو بكر بن سعدون: كنت بمكة سنة تسعين ومائتين، فضاق عليّ الأمر، وبقيت حيران لا أعرف حيلة في رُجوعي فقصدت إلى أبي عقال فأطلعتني على الحال، فقال لي: والله يا أبا بكر ما ينصرف أخوك أبو عقال إلى صفراء، ولا إلى بيضاء لكني قد ضمنت على الله وصولك، ثم قال: أخرج تصل إلى القبروان كما تحب ومعك فضل. قال: فخرجت فما دريت كيف كان الطريق من كثرة ما كنت فيه من الرزق والفضل.

قلت: أشار بقوله ومعك فضل إلى أنه يفضل له إذا وصل إلى إفريقية مال وهو كذلك ففضل له مائة دينار كما أخبر به، فكان الناس يعطونه الدنانير والدرهم كل يوم من غير سؤال.

قلت: وقال أبو بكر المالكي: «حدّث أبو بكر بن سعدون قال قال لي أبو عقال: يا أبا بكر زال من قلبي حب الدنيا، إلا حب النساء، قال: فكنت أطوف مغطى العينين خوف⁽⁹⁾ الفتنه فإذا بامرأة خراسانية نظرت إليّ وأنا أطوف فقالوا لها:

(1) في الرياض: عقد 1/ 532.

(2) في الرياض: فالزمتني.

(3) في الرياض: تحقيقاً.

(4) في الرياض: ضرّاً.

(5) في الرياض: وجدت.

(*) مكّتل جمع مكاتل: التّزبيل الذي يحمل فيه التمر، أو العنب إلى الجرين، وقيل: المكّتل شبه التّزبيل يسع خمسة عشر صاعاً. راجع لسان العرب لابن منظور. مادة «كّتل» 11/ 583 دار صادر بيروت.

(6) في الرياض: دراهم 1/ 533.

(7) في الرياض: ابن غلبون 1/ 533.

(8) في الرياض: ومضى.

(9) في الرياض: «خوفاً من» 1/ 535.

هذا رجلٌ من ملوكِ المغربِ طَلَّقَ الدُّنْيَا وبقي في قلبه حب النساء، فقالت: أنا أتزوجه فأرسلت إليه فقال لها: لا أتزوجك حتى تتركي الدنيا بحيث لا يبقى معك منها شيء مثلي فأخبروها، فتصدقت بما معها وتزوجت أبا عقال. قال: فأقام معها حتى توفي فدُفِنَا جميعاً بمكةَ أبو عقال وزوجته الخراسانية⁽¹⁾. وروي أن أبا عقال قال لأبي هارون الأندلسي وهما بمكة: أَحِبُّ أَنْ أَكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِي، اشترى لي قِرْبَةً أعملُ بها الماء فقال له: ويحك، اقعد واقنع بما أعطاك الله ولا تسأل عن هذا. فقال له أبو عقال: لا بد من هذا، فاشترى له قِرْبَةً فملاها وحملها على كتفه ومشى بها حتى يبيعها فلقيه أبو سعيد الإسكافي فقال له: ما هذا يا أبا عقال؟ قال له: ما ترى، فقال له أبو سعيد: أباي العارِفُونَ أن يكونَ في قلوبهم غير الله. قال: قوقعتِ الكلمةُ في قلب أبي عقال فحار ومشى فعثر فطار ظفره وسقطتِ القربةُ فانشقت فرجع إلى أبي هارون بعدما أفاق والقربة مقطوعة ودمه يجري فقال له: ما هذا يا أبا عقال فأخبره بما جرى عليه فقال له: قد نَصَحْتُكَ فلم تقبل. وقال أبو الحسن علي بن عبد الله القطان المتعبد: كان أبو هارون يكسو أبا عقال الثياب، فإذا انصرف أبو عقال فرأى من الضُعْفَاءِ من هو أحوج منه، يرق عليه فيؤثره بما عليه من الثياب بما أمكنه فلا يزال يعطي ما عليه حتى يبقى عرياناً، فيأتي أبا هارون فيجدد له كسوة فيمضي أيضاً فيؤثر بها الفقراء، ويأتي إلى أبي هارون عرياناً فيكسوه، فكان هذا دأبه⁽²⁾، فطال على أبي هارون هذا الأمر فقال له: يا مَيْشُومَ حَيْرَتْنِي، يا مَيْشُومَ أَتُعَبِّتْنِي فيقول له أبو عقال: دعني يا أبا هارون ما رأيت في معاملة الله عز وجل إلا خيراً فيمسك أبو هارون ويعود إلى ما عوده من الكسوة رحمة الله عليهما، وقال أبو بكر بن سعدون: رأيت أبا عقال يسقي الماء في مدينة رسول الله ﷺ تسليماً وعليه مُرَقَّعَاتٌ صُوفٍ وعلى خلفه قربة وبيده ركوة يسقي بها الماء، فأعطيته مائة درهم وثوبين من ثيابي. قال: فأصبحت من الغد فرأيته كما كان، فقلت له يا سيدي أبا عقال قد عرفت ورعي وإنما أعطيتك ثيابي التي ألبسها ودراهم حلالاً فقال يا ابن مسعود إنني عاهدتُ الله أن لا تبيتَ معي بيضاء ولا

(1) الرياض: 535/1.

(2) دأبه: عاداته.

حمراء، إنما لك من الدنيا قوتك والباقي صدقة، وثوابه لك، وكذلك قال لي معلمي: أبي هارون الأندلسي.

قال: وتوفي أبو عقال وهو ساجد كما تقدم سنة إحدى وتسعين ومائتين، وقبره بالحرم رحمه الله تعالى.

قلت: وأما أبو هارون الأندلسي فظاهر كلام الشيخ أنه لم يسكن القيروان، ولو سكنها لعرف به لانجرار ذكره، وإنما كان يأتيها زائراً. ومن لم ينتصب لتخصيص القرويين كالمالكي والتجيبى عرفاً به. قالوا: ذكر عنه أنه ما اغتسل من جنابة قط، وأنه كان حضوراً، ولما حضرته الوفاة وضع رأسه في حجر أبي عقال وفاضت نفسه ودفن قدام مسجد فاطمة بنت النبي ﷺ تسليماً في البقيع، جوار الحسين بن علي، ودفن في السنة المذكورة أعلاه في نقل المالكي. وقال التجيبى مات فيها أو في السنة التي قبلها.

141 - ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن⁽¹⁾ سعيد بن الأشج الفقيه:

قال: كان عالماً فاضلاً ثقة، عارفاً بطرق المناظرة على طريقة أهل العراق. رحل إلى المشرق، وأخذ عن محمد بن شجاع البلخي وغيره، وهو الذي نقل عنه لإبراهيم بن أحمد أنه يرى الخروج عليه فأرسل إليه إبراهيم فقال: أترى الخروج علينا؟ فقال: مذهبي الخروج على أئمة الجور في ثلاثمائة وأربعة عشر، عدد أصحاب بدر مع إمام متفق على بيعته، وأما تغيير المنكر بأشد منه فلا. قال: فوجه بي إلى سوداء متعبدة فحبسني عندها مكتفياً فكانت تغزل وتطعمني سبعة أشهر.

[ما يقول الداخل على الظالم]

قال: ثم وجه في طلبي فدفعت إلى السوداء خاتمي إذ لم أجد غيره، فدخلت عليه وأنا أقول: يا مالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اشتدي أزمة تنفرجي. فنظر إلي وقال: مرحباً بمن لا تأخذه في الله لومة لائم، تحلّي سبيلي فانصرفت في الليل إلى داري، وأنا عند أهل القيروان في الموتى. وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين ودفن بباب سلم.

(1) ترجم له في: طبقات الخشني ص: 250 رقم (98)، وذكر في طبقات أبي العرب ص:

142 - ومنهم أبو زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكِنَانِي الأندلسي من أهل جِيَان⁽¹⁾ :

نشأ بِقَرْطَبَة وَرَحَلَ، وعداده في الإفريقيين، سكن القيروان واستوطن سُوسَة آخرًا، وبها قبره.

قال: سمع من سحنون، ويحيى بن سليمان الحفري.

قلت: ومثله للمالكي والتُّجِيبِي وهو قُصُورٌ. بل سَمِعَ من عون ابن يوسف أيضاً.

قال: ورحل إلى المشرق فلقي يحيى بن بُكَيْرٍ وأبا مُضْعَبٍ أحمد بن أبي بكر الزهري وحرملة بن يحيى التجيبي والحارث بن مسكين وابن كاسب وابن رمح وأصبغ ابن الفرغ وغيرهم.

قلت: وكان فرات يطعن في سماع يحيى الموطأ من ابن بُكَيْرٍ⁽²⁾، ويحلف على ذلك ويقول: إنه كان ملازماً لابن بكير حتى مات. قال: وإني لمنصرف من جنازته، إذ نزل يحيى بن عمر من مَرَكَبٍ فسَلَّمَ عَلَيَّ وسألني عن ابن بكير فقلت. هذا منصرفي من جنازته فاسترجع. قال أبو العباس الأبياني فذكرت قول فرات للقمان بن يوسف فقال: كَذَبَ فُرَاتٌ لقيتُ بمصر أبا الزنباع، روح بن فرج وسألني عن يحيى بن عمر وقال: كيف حاله عندكم؟ فقلت: في الهواء ما يوصل إليه، فقال: يستحق يحيى، ما خرج من عندنا حتى احتاج أهل بلدنا إليه ولو كان عندنا لكان أكثر مما هو عندكم وأرفع، فقلت: سمع من أبي بُكَيْرٍ؟ قال: نعم صاحبني عِنْدَهُ سمعنا منه الموطأ. قال أبو بكر المالكي: وكان شيوخنا يقولون: إنما جرى هذا ليحيى مع فُرَاتٍ في سَفَرَتِهِ الثانية، وفي الأولى، لقي ابن بُكَيْرٍ ولقد جرى له

(1) ترجم له في: طبقات الخُشْنِي ص: 184 - 186 رقم: 6، ومكرراً في ص: ، رقم 164، ورياض النفوس 1/ 490 - 504، جذوة المقتبس ص: 341 - 342 رقم 900، ترتيب المدارك 3/ 234 - 241، بغية الملتمس ص: 440 - 441 رقم 1485، تاريخ علماء الأندلس ص: 435 رقم 1568، الديباج المذهب ص: 432 - 433، شجرة النور الزكية 1/ 109 رقم 141، معجم المؤلفين 13/ 217.

(2) في ط: أبي بكر، والصواب ما أثبتناه. واسمه: يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ القُرْشِي المخزومي المصري؛ سمع من مالك الموطأ، كان مولده سنة أربع وقيل: ثلاث وخمسين ومائة، وتوفي سنة اثنين وثلاثين ومائتين. انظر ترجمته في كتاب: السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك ص: 132 - 137.

أيضاً مثل هذا في الرواية عن سحنون، فإن أكابر أصحاب سحنون قالوا: ما رأينا عند سحنون قط. فقال حمديس القطان: سمع من سحنون في منزله بالساحل، وكذلك قال يحيى: لم أسمع من سحنون بالقيروان⁽¹⁾ وإنما سمعت منه بالبادية، وذلك أنني لما قدمت القيروان سألت عنه فقيل لي خرج للبادية فمضيت إلى البادية فاجتمعت به فرأيت رجلاً أشقر عليه جبة صوفٍ ومنديل، وهو يتولى حرث ضيعته وأسباب مرمته بباديته فاستقلته فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون». خلفت العلماء خلفي وجئت إلى هذا الرجل ما أراه يحفظ شيئاً من العلم ولا معه شيء فأنزلني ورَّحَّب بي فلما كلمته وسألته في العلم رأيت بحراً لا تكدره الدلاء، والله العظيم ما رأيت مثله قط كأن العلم جمع بين عينيه وفي صدره.

قال: وكان يوضع له بالجامع بالقيروان كرسي يسمع الناس عليه لكثرتهم، ولم يكن لأحد قبله.

قلت: وهذا الذي ذكره قاله أبو بكر الزويلي وهو خلاف قول غيره، كان يجلس في جامع القيروان، ويجلس القارئ على كرسي ليسمع من بعد من الناس وتفقه عليه خلق كثير، منهم: أخوه محمد وأبو بكر بن اللباد، وأبو العرب وأبو العباس الأيباني، وإليه كانت الرحلة في وقته.

ذكر ثناء العلماء عليه

قال: كان فقيهاً ثقة، صحيح الكتب مع صلاح بين، وورع حاجز، وكان من الحفظ بمكان، حسن الاستنباط، عالماً باختلاف الناس وما أشكل من النوازل، شديداً في الحق ضلماً في السنة.

قلت: وقال أبو بكر المالكي: «كان يحيى بن عمر من أهل الصيام والقيام، مجاب الدعوة، له براهين»⁽²⁾. «وكان مقدماً في الحفظ»⁽³⁾. وقال الحسن بن

(1) في المطبوع: القيروان. والصواب: القيروان.

(2) الرياض: 1/ 490. وفيه القول لأبي بكر بن اللباد، وليس لأبي بكر المالكي.

(3) «كلمة وكان مقدماً في الحفظ» قاله محمد بن حارث في كتابه: علماء إفريقية المسمى بطبقات الخشني ص: 184، وورد أيضاً في كتاب الرياض 1/ 491. بقول: قال محمد بن حارث: «كان يحيى بن عمر مقدماً في الحفظ». لفظة «مقدماً» وردت في طبقات الخشني أيضاً خلاف ما في المعالم.

نصر⁽¹⁾: ما رأيتُ أَصُوبَ مِنْهُ. قيل له فابن طالب؟ قال: كانت له هيبة القضاء. وقال الكانسي⁽²⁾: ما رأيتُ مثل يحيى بن عمر، وما رأيتُ أحفظ منه. كأنما كانت الدواوين في صدره، واجتمعتُ بأربعين عالماً، فما رأيتُ أهيَبَ لله عزّ وجل من يحيى بن عمر، «وأنفق يحيى بن عمر في طلب العلم ستة آلاف دينار»⁽³⁾. وقال أبو العباس الأبياني: ما رأيتُ مثل يحيى في علمه وكثرة دُعَائِهِ وَبُكَائِهِ، وكان حريصاً على أهل العلم، يُحَرِّضُ طالبه ويشرفه، والوصفُ يَقْضُرُ والله عن يحيى بن عمر وما يجهل فضله إلا جاهل. وقال ابن حارث: كان يحيى متقدماً في الفقه، وسكن القيروان فشرفت بها منزلته عند العامة والخاصة، ورحل الناس إليه، لا يروون المُدَوَّنَةَ، والموطأ إلا عنه، وكان فيه من السكينة والوقار ما يجب لمثله تأدب في ذلك بأداب مالك. وقال ابن أبي ديلم: كانت له منزلة شريفة عند الخاصة والعامة والسلطان، وكان حافظاً وقال القاضي أبو الوليد: كان حافظاً فقيهاً للرأي ثقة ضابطاً لكتابته وقال: التَّجِيبِي: كان ثقة فقيه البدن.

قلت: يريد أنه كان طيبياً، والله أعلم. وقال القَصْرِيُّ كُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ مِنَ الْمَسَائِلِ فَيَجِيبُنِي، ثم أسأله بعد ذلك عنها بزمان فلا يختلف قوله عَلَيَّ، وكان غيره يختلف عَلَيَّ قَوْلُهُ.

ذكر جملة من أخباره

قال: كان يحيى شديد الإنكار على من يحضرُ مسجد السَّبْتِ، وألَّفَ في ذلك جزءاً فأتى رجُلٌ ممن يحضرُ مسجدَ السَّبْتِ إلى مسجدِ يحيى بن عمر فقراً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: 114] الآية يُعَرِّضُ بيحيى بن عمر، فدعى عليه يحيى فَعَمِيَ الرَّجُلُ.

قلت: هذا الكلام فيه بتر من وجوه:

أحدها: أنه كان أندلسياً حسن الصوت بالقراءة، وأنهم دسُّوه عليه.

الثاني: أنه قرأ ما ذكر بأثر سلام يحيى من صلاة الظهر.

(1) أبو علي الحسن بن نصر السوسي الفقيه. ترجم له في الرياض 2 / 392 - 404.

(2) اسمه: يحيى الكانسي. الرياض: 1 / 492.

(3) الخبر في الرياض 1 / 492.

الثالث: أن يحيى لما قرأ بكى حتى سالت دُموعه على لحيته.

الرابع: أنه لم يُبَيِّن اللفظ الذي تكلم به. ولفظه: اللهم إن هذا القارىء ما أراد بقراءته رضاك ولا ما عندك وإنما أراد بذلك نَقْصِي وَعَيْبِي فلا تَمَهِّلُهُ بعد ثلاث. كما صرح بجميعة المالكي وقال غيره: كان ذلك كان بأثر صلاة المغرب وليس في كلامه ما يدل أنه عمي فوراً فَيَحْتَمَلُ أنه عمي بالقرب. وقال غيره: فوالله ما حَمَلَ الرَّجُلُ من مكانه إلا مَيِّتاً. ويقال: إِنَّهُ ماتَ من لَيْلَتِهِ. قال المالكي: ويقال: إنه ما بلغ ثلاثة أيام حتى مات. وكان مسجد السَّبْتِ هذا يحضره الزُّهَّاد والعُبَّاد، يقرأ فيه القارىء آية من كتاب الله عز وجل، وبعض حكايات الصالحين وتنشد فيه الأشعار وهو الذي يُسَمَّى عندنا اليوم بالرقائق، فكان يحيى بن عمر رأى أن هذا بدعة لم يكن في الزمن الأول فألَّفَ تَأْلِيفاً في وُجُوبِ عَدَمِ حُضُورِهِ فكان لا يحضره وينهى عن حُضُورِهِ، وكان المشيخة في زَمَانِهِ على خِلَافِهِ. وَتَابَعَهُ على قوله الشيخ أبو الحسن ابن القابسي رحمه الله تعالى وكان يقول: يا قوم هذا القرآن يُتْلَى، والأحاديث النبوية ولا مُتَعَطِّ وَيَسْمَعُ الإنسان بيتاً من شعر فيبكي هذا عجب وَتَبِعَهُ تَمِيذُهُ الشيخ أبو عَمْرَانَ الفاسي رحمه الله تعالى على ذلك، هكذا سمعته من شَيْخِنَا أبي الفضل أبي القاسم بن أحمد البُرْزَلِي حفظه الله تعالى. قال المالكي: ويقال: إنهم كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى عليهم أثره إلى السبت الثاني.

قلت: فما سمي بمسجد السبت إلا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة وهو الذي يسمي عندنا اليوم بمسجد العربي سُمِّيَ به لأنه كان يقوم به، واسمه محمد وهو خارج القيروان بقرب تربة الشيخ أبي زمعة صاحب رسول الله ﷺ وحكي أن يحيى بن عمر مر على قوم يكبرون أيام العشر فنهاهم وقال لهم: هي بدعة فلم ينتهوا. فيقال: إنه دعى عليهم فصار بعد موضعهم خراباً. وقال يحيى: رأيت في منامي كأن سحنون معلم صبيان بيد درة فأعطانيها وقال لي: قُمْ على الصبيان فأولتها خلافته في تعليم الناس. ودعاه ابن الأغلب إلى قضاء إفريقية واضطره إلى ذلك فدله على عيسى بن مسكين فولاه وسلم هو. قال أبو الحسن اللواتي: كان يحيى بن عمر عندنا بسوسة يُسْمَعُ الناس في المسجد فيمتليء المسجد وما حوله، فسألوه الانتقال منه. وقال يحيى بن عمر لبعضهم: لا ترغب في مصاحبة الإخوان، وكفى بك من ابتليت بمعرفته أن تحترس منه. وقال الحسن بن نصر: كان يحيى بن عمر إذا صلى الصبح

وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ بَقِيَ كَذَلِكَ عَلَى هَيْئَةِ جُلُوسِهِ فِي صَلَاتِهِ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

قلت: محمله على أنه كان مأموماً ولو كان إماماً لانحرف عند سلامه، ثم يستقبل القبلة.

[قضاء الحقوق أفضل من عبادة سبعين سنة]

وذكر أنه رجع من القيروان إلى قرطبة، بسبب دائق كان عليه لِبَقَالِ فَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: رَدَّ دَائِقِي عَلَى أَهْلِهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً فَمَضِينَا إِلَى قُرْطَبَةَ وَرَجَعْنَا فِي سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ لَنَا تِسْعٌ وَسِتُونَ سَنَةً وَلَمَّا هَدَمْتَ الْقُبُورَ لِإِنْشَاءِ السُّلْطَانِ الْمَرَاكِبِ إِلَى صَقْلِيَّةٍ لَمْ يَهْدَمْ قَبْرَ يَحْيَى بْنِ عَمْرِو فَكَلَّمْ بَعْضَ السُّودَانِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: نَرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورًا عَظِيمًا وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ يَحْيَى: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَلْيَقِمْ عِنَّا. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَلَوْ كُنْتُ صَادِقًا عَزَمْتُ وَلَكِنِ الْفِرَاقُ⁽¹⁾ شَدِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً إِلَيْكَ انْقِطَاعِي إِنِّي لَسَعِيدُ⁽²⁾
وَأَنْشُدُ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

اخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلِ وَالتفت بالنهار قبل المقال⁽³⁾

وَكَانَ يُحِبُّ سُوسَةَ وَيَقُولُ: هِيَ كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَعَسْقَلَانَ، وَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ الْمَشْهُورَةُ بِالْفَضْلِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ اللَّبَّادِ: كُنْتُ عِنْدَ يَحْيَى فِي يَوْمِ شَكِّ مِنْ رَمَضَانَ، فَأَتَاهُ شَيْخُ فَسَارَهُ فَعَطَفَ يَحْيَى عَلَيْنَا وَقَالَ: إِنَّ هَذَا يُخْبِرُنِي أَنَّهُ يَعْصِي اللَّهَ مِنْذُ سِتِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ، قُلْنَا: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِصِيَامِهِ يَوْمِ الشَّكِّ.

قلت: يعني أنه أخبره أنه كان فيما مضى من عمره يصومه احتياطاً، وإن حمل ما مضى من السنين على الحقيقة، لا المبالغة فهو يدلُّ على كبر الشيخ جدًّا وقوله: يعصي الله يدلُّ على أن صيام يوم الشكِّ عنده حرام، ويُفهم منه أنه فهم قول المدونة لا ينبغي صيام يوم الشكِّ على التحريم، كحمل المغربي لها. قال: معناه لا يجوز.

(1) في الرياض: الفطام 498 / 1.

(2) البيتان في الرياض 498 / 1.

(3) في الرياض: الكلام.

وهو ظاهر ما نسبه اللَّخْمِي لمالك لأنه قال: ومنعه مالك. وقال أبو القاسم ابن الجلاب: ويكره صيام يوم الشك وذلك ظاهر في الكراهة وعليه يحمل عندي قول المدونة لقول ابن عطاء الله: الكافة يجمعون على كراهة صَوْمِهِ احتياطاً. وقول الشيخ أبي محمد بن أبي زيد في رسالته ولا يُصام يوم الشك يحتمل التحريم والكراهة، ويحتمل أن يكون يحيى إنما يقصد بقوله اتباعاً لقول عمار بن ياسر: مَنْ صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم رضي الله عنه تسليماً، وخرج اللَّخْمِي الأمر بصومه من الخلاف فيمن شك في الفجر هل يباح له الأكل أو يحرم أو يكره والجامع أن كلاً من الزمانين مشكوك فيه ومن الحائض تتجاوز عاداتها ولم تبلغ خمسة عشر يوماً فقد قيل تحتاط ورده ابن الحاجب بثبوت النهي. قال التُّجَيْبِي: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَجَّامِ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم تَسْلِيماً: «خُصَّ بِالْبَلَاءِ مَنْ عَرَفَ النَّاسَ، وَعَاشَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفُهُمْ»⁽¹⁾.

ذكر محنته رضي الله عنه

ولما ولي ابن عبدون القضاء، طلب يحيى وأخافه حتى تواري منه وخرج إلى سوسة واختفى فيها ويقال: إنه ذهب ليلاً مُتَنَكِّراً فمرَّ على دور بعض أهل العراق وبها مشعل فخاف أن يروه، فوقف فإذا بريح قد أطفأته فجاز فبعث ابن عبدون كتاباً إلى عبد الله بن هارون الكومي⁽²⁾ يقول فيه: صَحَّ عِنْدِي أَنَّ يَحْيَى مُتَوَارٍ بِتُونِسَ فَاظْلَمَ وَأَوْثَقَهُ، وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: أَخُوهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ الْكُومِيَّ وَعَرَضَ عَلَيَّ الْكِتَابَ فَقَرَأْتُهُ وَتَغَيَّرَ وَجْهِي فَقَالَ: «لَا يَسُوءُ ظَنُّكَ فَلَمْ أَبْعَثْ فِيهِ بِمَكْرُوهِ وَلَكِنْ لِأَعْجَبِكَ مِنْ ابْنِ عَبْدِوْنَ أَنْ يَرِيدَ مِنِّي أَنْ أَتِيَ إِلَيَّ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِ لِيَمْتَنِيَهُ إِنْ كَانَ أَخْوَكَ بِهَذَا الْبَلَدِ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُدُولِ. قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: وَذَهَلَ يَحْيَى آخِرَ عَمْرِهِ.

(1) أخرجه القُضَاعِي فِي مَسْنَدِهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ، الْأَوَّلُ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ طَرِيقِ سَفِيَانَ الثُّورِيِّ عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ حَدِيثَ (587) 343/1، وَالثَّانِي مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ سَمَّاكٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ بِهِ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ مَعَ إِرْسَالِهِ أَوْ إِعْضَالِهِ. حَدِيثَ (588) 343/1، وَأُورِدَهُ أَيْضاً السَّخَاوِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ (440) ص: 239، وَالسِّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (3910) ص: 238.

(2) فِي الرِّيَاضِ: الْكُوفِيُّ 500/1.

قال: وله مصنفات منها كتاب الصراط وكتاب الميزان وكتاب النظر إلى الله عز وجل وكتاب يرد فيه على الشافعي.

قلت: ومنها كتاب اختصار المستخرجة المسمى بالمنتخبة، وكتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب. قال ابن أبي خالد في تعريفه: له من المصنّفات نحو أربعين جزءاً.

قال: وتوفي يحيى بن عمر سنة تسع وثمانين ومائتين.

قلت: في كلامه بتر من وجهين أحدهما أن كَلَامَهُ لا يدل على أنه دُفِنَ بِسُوسَةَ، لاحتمال أن يموت بها ويرفع ليدفن ببلده القيروان وقد قال التُّجِيبِي وغيره دفن بسوسة. الثاني قال المالكي: وتوفي في القعدة⁽¹⁾ وقال غيره ويقال: توفي في ذي الحجة ولما وليت قضاء سوسة سألتُ عُدُولَهَا عن قَبْرِه فقالوا: إنه غير ظاهر. وقال لي: منهم سَحْنُون الدكالي هو في هذه الناحية لمكان بين الفصيل والسور وليس له قبر ظاهر، وما ذكره ضعيف لأن ما تقدم من كلام بعض السودان يختصر أن قبره في الجبان لا في الفصيل.

قال: وتوفي وهو ابن ست وسبعين سنة.

قلت: ورثي بمراثي كثيرة منها مرثية رثاهُ بها سعيد الوريثي رحمه الله تعالى وذلك خمسون بيتاً نقلها العواني، ووجدتُ مَحْوُوراً في تَأْلِيفِهِ ولم أجدُ نسخةً أُخْرَى فيها أنا أنقل منها ما تَأْتَى لي فَمِنْ ذَلِكَ قوله رحمه الله تعالى:

وكان يحيى إذا خفنا لنا حرماً	ونلجى إليه فقد صرنا بلا حرم
وكان يحيى لنا في كل حادثة	في الدين كالليث يحمي ساحة الأجم
وكان يحيى لنا في الزائغين إذا	صألوا ⁽²⁾ لساناً يبين الحق عن أمم
وكان يحيى لنا كنزاً ⁽³⁾ وكان لنا	حرزاً وكان لنا كالليث ⁽⁴⁾ في الأزم
لتبك يحيى عيون بالدموع وإن ⁽⁵⁾	غاضت مدامعها فلتبكه بدم
ما كان أفهمه ⁽⁶⁾ ما كان أعلمه	ما كان أحماه عند الخوف للحرم

(1) الرياض: 490 / 1.

(2) في الرياض: حرزاً 502 / 1.

(3) في الرياض: فإن 502 / 1.

(4) في الرياض: ظلوا 502 / 1.

(5) في الرياض: كالغيث 502 / 1.

(6) الرياض: أفقهه 503 / 1.

ما كان أطهر تلك النفس من ريب
أناك ضيفاً فلا تجعل قراه سوى
وارحمه ربّ ووسّع ضيق حفرته
ولا تؤانسهُ في استيحاشه بسوى
ما كان أكتب تلك الكف بالقلم
الرضوان إنك ذو فضل وذو كرم
فإنه ظالمًا ناجاك في الظلم
خور القصورِ بدار الخلد في الخيم

143 - ومنهم أبو زكرياء يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي الزاهد رحمه الله (1):

قال: سمع من أبيه ومن سحنون.

قلت: مثله للتجبيبي وهو قُصور بل سمع أيضاً من يحيى بن سليمان الحفري،
وكان مضاباً بإحدى عينيه وكان إذا كان يوم الشك جعل البرادة بالماء بجواره في
المسجد فإذا سأله أخذ عن صومه شرب الماء.

قلت: وإنما قصد بذلك المبالغة في إفطار الناس.

قال: وكان رجلاً صالحاً يقرأ عليه الزبور وكان فيه لين.

قلت: أراد بذلك ما ذكره المالكي في قوله وكان حمديس القطان يضعفه.

وقال أبو العرب: «كان رجلاً صالحاً من أهل الفقه والعلم». قال العواني: ولا
يَعَوَّلُ على هذا إذ لم يثبت ذلك عن حمديس.

قال: وكثيراً ما كان ينشد:

قالت: أرى عجباً إذ نور الشعر
وقد تماسكت عن شيبتي وأحكمني
مهلاً سليماً فذان الشيب والكبر
أطوار دهرٍ لها في مفرقي أثر

وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

قلت: قال العواني: ما ذكر من أنه ابن خمس وثمانين ومائتين خطأ لأنه

توفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين ومولده سنة ست ومائتين وتوفي
وهو ابن اثنين وتسعين سنة.

قلت: لا يختص اعتراضه بما ذكره، بل ويقوله توفي سنة إحدى وتسعين وهو

لم ينفرد بذلك بل تبع فيهما التجبيبي. قال المالكي: ودفن بباب نافع وقبره غير
معروف.

(1) ترجم له في: الرياض: 1/ 324 و367، وطبقات أبي العرب ص: 64 و188.

144 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن زُرَّار⁽¹⁾ رحمه الله :

كذا قال شَيْخُنَا، وكذلك يوهم أن زرر اسم، وليس كذلك، وإنما هو لقب واسم أبيه عبد الرحمن بن سلم بن أراب بن سهيل الفارسي. قال المالكي: يقال: إِنَّ سُهَيْلاً صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: «كان عالماً حافظاً لمذهب أهل الكوفة وجميع الأقاليم»⁽²⁾ حتى يقال: إنه شرب دواءً لِلْحِفْظِ فَعَرَضَ لَهُ وَسْوَاسٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

قلت: أراد بالدواء البلاذر وذكر أنه قيل له ذلك فأخرج كتاباً في كفه فإذا فيه مكتوب قَرَأْتُهُ خَمْسَمِائَةَ مَرَّةً فَقَالَ: هذا هو البلاذر. قال غير واحد: وكان محمد بن زرر هذا حافظاً للغريب، بصيراً باللغة⁽³⁾، راوية للأشعار يُحَسِّنُ الصَّنْعَةَ لَهَا، جيد القول فيها وشعره كثير جداً، وأكثره في توحيد الله عز وجل والرد على الزنادقة والملجدين المُكذِّبين⁽⁴⁾، فمن قَوْلِهِ رحمه الله تعالى:

تَهْتَكُ السُّرُّ عَنْ ذِي الْبَغِيِّ وَالْفَنَدِ	وَحَصَّحَصَّ الْحَقُّ أَهْلَ ⁽⁵⁾ الْبَغِيِّ وَاللَّدِ
وَأَيَقِنَ الْمَشْرُكَ الدَّاعِي لَهُ وَلِدَا	بِأَنَّهُ اللَّهُ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدِ
لَا مَوْتَ يَدْرِكُهُ، لَا شَيْءَ يَشْبَهُهُ	تَبْلَى الْأَبْوَةَ ⁽⁶⁾ لَا ⁽⁷⁾ يَبْلَى عَلَى الْأَبْدِ
وَيَحَ ابْنِ آدَمَ مِنْ عَاصٍ لِحَالِقِهِ ⁽⁸⁾	وَمَنْ مُصِرًّا عَلَى الْآثَامِ مُنْعَقِدِ ⁽⁹⁾
وَفِي الْخَلُودِ نَعِيمٌ غَيْرَ مَنْصَرِمٍ	بَاقٍ بِقَدْرَتِهِ، بَاقٍ بِبَلَاءِ أَمْدِ

وكان يقول: إني أحفظ تفسير يحيى بن سلام كما أحفظ القرآن، وأحفظ فقه أبي حنيفة كما أحفظ التفسير، وأحفظ الموطأ، وفقه مالك، كما أحفظ فقه أبي حنيفة، وأحفظ بعد ذلك كثيراً من دواوين العرب وأشعارها وأخبارها وأحضر⁽¹⁰⁾ سليمان بن عمران القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب من أجل حكم

(1) ترجم له في الرياض: 514/1 - 516، طبقات أبي العرب ص: 175، طبقات الخشني

ص: 245 - 246 رقم 85، البيان المغرب: 136/1، وفيات [سنة 291هـ].

(2) الرياض: 514/1. (3) في الرياض: بالعربية 515/1.

(4) في الرياض: والكذابين 515/1. (5) في الرياض: بعد 515/1.

(6) في الرياض: يُبلى الآباد. (7) الرياض: ولا.

(8) الرياض: يخالفه. (9) الرياض: معتقد.

(10) في ط: حضر والصواب ما أثبتناه من: ت.

من أحكامه لم يجده يجوز في مذهب المدنيين ولا الكوفيين، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَقُولُ بِهِ أَخَذَ وَأَخْضَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ الْفَقِيهَ، فَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ زُرَّارِ الْخَبَرَ، فَأَتَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُمْ فِيهِ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: لِمَ اجْتَمَعْتُمْ؟ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ: اجْتَمَعْنَا لِحُكْمِ وَجَدَهُ الْقَاضِي لَابْنِ طَالِبٍ لَا يَقُولُ بِهِ مَدَنِيٌّ وَلَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: مَا هُوَ؟ فَأَعْلَمَهُ، فَتَبَسَّمَ ابْنُ زُرَّارٍ فَقَالَ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ سَلِيمَانَ وَجَهْلِهِ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ مِنْ أَيْمَةِ الْعِلْمِ، أَوْ لَيْسَ هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَبِي لَيْلَى فِي الْكِتَابِ الْفُلَانِي وَوَصَفَهُ لَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ لِأَخِيهِ: امْضُ فَجِئْنَا بِالْكِتَابِ فَفَعَلْ، فَقَالَ ابْنُ زُرَّارٍ: انظُرْ فِي بَابِ كَذَا، فِي مَوْضِعِ كَذَا فَوَجَدْتَهُ كَمَا قَالَ. وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

145 - وَمِنْهُمْ أَبُو سَهْلٍ: فُرَاتُ بْنُ مُحَمَّدِ الْعَبْدِيِّ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ: هُوَ مَعْدُودٌ مِنْ رِجَالِ سَخْنُونَ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَمِنْ عَوْنِ بْنِ يَوْسُفَ، وَابْنِ أَبِي حَسَّانِ الْيَحْصَبِيِّ، وَأَبِي زَكْرِيَاءَ الْحَفْرِيِّ، وَابْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَابْنَ بُكَيْرٍ، وَنُعَيْمَ بْنَ حَمَادٍ، وَأَصْبَغَ بْنَ أَبِي الْفَرَجِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ فَضِيلٍ، وَكَانَ مِنْ أَطْوَلِ النَّاسِ صَلَاةً فِي شَبَابِهِ وَكِبَرِهِ، وَأَكْثَرَهُمْ مَلَاذِمَةً لِلْجَامِعِ ذَا تَهَجُّدٍ وَسَرْدِ صِيَامٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الزَّبُورَ وَكَانَ يَخْصِفُ.

قلت: جميع ما ذكره هو من التجيبي إلا قوله ومحمد بن فضيل.

146 - وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ⁽²⁾ السُّوسِيُّ^(*) الْمَسْتَجَابُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ: صَحِبَ سَخْنُونَ وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَلَقِيَ هِشَامَ بْنَ عِمَارٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ أَبِي

(1) ترجم له في طبقات الحُشَينِي ص: 193 رقم 13، وص: 296 رقم 162، وفي طبقات علماء إفريقية وتونس في 46 موضعاً، وفي طبقات أبي العرب في عشرة مواضع، البيان المغرب 1/ 139 [وفيات 292هـ]، وفيه سمع من سَخْنُونَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانٍ، وَمُوسَى بْنُ مَعَاوِيَةَ، وَغَيْرِهِمْ بِإِفْرِيْقِيَّةِ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَسَمِعَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ مَالِكٍ، وَلَهُ لِسَانٌ طَوِيلٌ، وَمَعْرِفَةٌ بِالْأَنْسَابِ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالنَّاسِ، وَأَوْقَعَ النَّاسَ فِي النَّاسِ، حَتَّى نُسِبَ إِلَى الْكُذْبِ، وَتُرْجِمَ لَهُ أَيْضاً فِي شَجَرَةِ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ 1/ 107 رقم 133. وفيها أيضاً أنه توفي سنة 292هـ/ 904م.

(2) ترجم له في الرياض: 1/ 5 - 9 رقم 165، والبيان المغرب 1/ 142 [وفيات 293هـ]، ترتيب المدارك.

(*) السوسِي: نسبة لسوسة بتونس. راجع المعطار ص: 331.

الحواري. وكان عظيم القَدْرِ، كبير الشَّانِ، من الأبدال [قد] ⁽¹⁾ عظيم إجلالِ اللهِ في قلبه حتى هَانَ عليه في اللهِ كل أمر شاقَّ وكان من إشفاقه يقول: ما أراني صَلَّيْتُ قَطَّ يعني على الحقيقة كما يجب لحق الله تعالى ومثلي يعملُ عملاً [صالحاً] ⁽²⁾ يصلح الله «اللهم ⁽³⁾ إن كنت تعلم أنني عَمِلْتُ عملاً رضيته لك فأحرقني بالنار». وكان يقول: إذا أنا متُّ فارموا على قبري الكناسة. وقال أبو جعفر القمودي: نمت ليلةً فأتاني آت فقال: يا أحمد، أنت نائم، وابن أبي حميد يُناجي الله عزَّ وجل فجئتُ إلى ⁽⁴⁾ الدُّمْنَةَ وهو قائم يصلي ⁽⁵⁾ على ظَهْرِ المسجد فجلستُ تحت الجِدَارِ أَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ وَبُكَاءَهُ إلى أن لآخَ الفجر فسمعتَه يقول: يا رب ⁽⁶⁾ أموت ولم أعرفك، ثم خَرَّ مغشياً على وجهه، وكان يَخْتِمُ كل ليلة خَتْمَةً. خرج من القيروان فسكن دِمْنَةَ سُوسَةَ وكان يخدم الأضرَاءَ حتى صارَ ضريباً.

قلت: ما ذكره مثله نقل التَّجِيبِي ومعنى الدُّمْنَةَ: مَوْضِعٌ سُكْنَى المجدومين، وكان يَخْدُمُهُمْ حتى صار مثلهم مجدوماً. وما ذكره من أنه كان يختم كل ليلة ختمة هو خلاف قول أبي العرب كان يختم القرآن في كل ليلة من شهر رمضان بدمنه سُوسَةَ. وقال عبد الله بن كامل القَطَّان السُّوسِي: كنتُ في جنازة مع أبي وابن أبي حميد فأتى رجلٌ يسألُ عن [ابن] ⁽⁷⁾ أبي حميد حتى وقف وسلَّم عليه وقال له: أَيْتَكَ لِرُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي المنام، رأيتُ كأنَّ قائلًا يقول لي: اذهب إلى ابن أبي حميد فَسَلِّمْ عليه، فإنه ختم خَلْفَ كل عمود في جامع القيروان ختمة فسأله فقال له: قد كان ذلك. قال: فعددت أعمد جامع القيروان فوجد بها على عدد أيام السنة.

قال: وقال أبو محمد بن أبي عيسى: كنتُ أماشي ابن أبي حميد فالتفت إليَّ وقال لي: يا بن أبي عيسى نموتُ؟ قلت: نعم، أَصْلَحَكَ اللهُ. قال: ثم مشى قليلاً ثم التفت إليَّ فقال: نموتُ يا بن أبي عيسى؟ قلت: نعم أَصْلَحَكَ اللهُ. قال: فصاح آه، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ ثم ضرب بيده في صدره قال: نعم نموتُ يا بن أبي عيسى وَيُصَلِّي فِي المَسَاجِدِ بَعْدَنَا ونحن تحت التراب. قلت: لا بد من ذلك، فَعُشِي عَلَيْهِ،

- (1) زيادة من: ت، والرياض: 7/1. (2) زيادة من: ت.
 (3) سقط من: ت.
 (4) سقط من: ت.
 (5) سقط من: ت.
 (6) في ط: رب. الزيادة من: ت.
 (7) سقط من: ت.

قال أبو محمد بن أبي فطيس الفقيه: قام ابن أبي حميد ليلة يُصَلِّي على سَطْحِهِ وأنا أسفل حتى بلغ هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ [غافر: 18] فبكى حتى انقطع وقعد، ثم قام وعاد إلى الآية، فما جاوزها حتى أصبح الضُّبْحُ. وروى ابن بسْطام قال: قال لي إسحاق بن عبدوس الفقيه: إن ابن أبي حميد يسهرني بقراءته في الليل وذلك في الصيف والناس على السطوح، قال ابن بسطام: فعاتبته فقال: إنما أرفع صَوْتِي لئلا يغلبني النَّوْمُ.

قلت: جميع ما ذكره هو نقل التَّجِيبِي. وقال أبو بكر المالكي: حَدَّثْتُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ الْأَمِيرِ أَنَّهُ وَجَدَ⁽¹⁾ عَلَى أَهْلِ سَوْسَةَ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُمْ فَرَكِبَ وَجَاءَ إِلَيْهَا عَازِماً عَلَى خَرَابِهَا وَهَدَمَ سُورَهَا وَتَعَذَّبَ أَهْلَهَا فَلَمَّا وَصَلَ نَزَلَ الدَّمْنَةَ فِي مَسْجِدِهَا فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا فَقَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ أَحَدٌ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ يَخْرُجُ إِلَيَّ فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ مَعَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا أَتَى بِكَ؟ فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ⁽²⁾ تَكَلَّمُوا فِيَّ بِالْقَبِيحِ وَأَذَوْنِي بِأَسْتَتِهِمْ، فَجِئْتُ لِإِخْرَابِهَا وَهَدَمْتُ سُورَهَا، وَعَذَابُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي حُمَيْدٍ: يَا ذَنْ لِي الْأَمِيرُ أَنْ أَقْرَأَ؟ فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ فَقْرَأْ بَعْدَ أَنْ تَعَوَّذَ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَنْسَرِيِّ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70]. فبكى إبراهيم بن أحمد عند ذلك بكاءً شديداً ثم قال: والله لا فعلت شيئاً مما كنت عزمته عليه، وَرَكِبَ رَاجِعاً إِلَى الْقَبْرَوَانِ بِبِرْكَةِ ابْنِ أَبِي حُمَيْدٍ وَسَمِعَ [مُحَمَّدًا]⁽³⁾ بِنِ ابْنِ أَبِي حُمَيْدٍ هَذَا قَاسِماً الْجُوعِي⁽⁴⁾ يَنْشُدُ:

أُظْهِرُوا زُهْداً وَنُسْكَاً وَعَلَى الْمَنْشُوشِ دَارُوا
وَأَلَهُ⁽⁵⁾ صَلَّوْا وَصَامُوا وَأَلَهُ حَجَّوْا وَزَارُوا
نُورَ رَأْوَةٍ فِي الثُّرَيَّا وَأَلَهُمْ رِيشٌ لَطَّارُوا⁽⁶⁾

(1) في ت: أخذ.

(2) سقط من: ت.

(3) هو قاسم بن عثمان الجوعِي أبو عبد الملك توفي سنة 248 هـ ترجم له في: سير أعلام النبلاء 77/12 مؤسسة الرسالة بيروت 1413 ط التاسعة بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسجي. وقال في صفة الصفوة: «سميت قاسما الجوعِي لأن الله تعالى قَوَّايِي عَلَى الْجُوعِ...» 236/4 دار المعرفة بيروت 1979 بتحقيق محمود فاخوري ود: محمد رواس.

(4) في ت: ولهم.

(5) (6) الرياض: 6/2.

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ اللَّبَّادِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ سَحْنُونَ⁽¹⁾ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَأَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ فَأَحَسَّ⁽²⁾ بِي خَلْفَهُ فَقَالَ لِي: تَحْفَظُ⁽³⁾ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: اقْرَأْ عَشْرَ [آيَاتٍ]⁽⁴⁾ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يُونُسُ: 71] مِنْ يُونُسَ. فَقَرَأْتُ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ فَلَمَّا فَرَعْتُ⁽⁶⁾ قَالَ [لِي]⁽⁷⁾: الْقِرَاءَةُ فِي الْمَصْحَفِ أَفْضَلُ، قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَشْكُو إِلَيْكَ أَنِّي أَخَذْتُ الْكِتَابَ فَأَدْرُسُ، فَإِذَا حَفَظْتُ الْعَشْرَ مَسَائِلَ وَنَحْوَهَا نَسَيْتُ. فَقَالَ: يَا بَنِي لَمْ يَجْنُكَ⁽⁸⁾ الصَّدْقُ وَلَوْ جَاءَكَ الصَّدْقُ لَجَاءَكَ فَوْقَ مَا تُرِيدُ، وَالْقِرَاءَةُ فِي الْمَصْحَفِ أَفْضَلُ، كَرَّرَهُ⁽⁹⁾ ثَلَاثًا.

قلت: ويريد أنك لو درسته لوجه الله عز وجل لما نسيت. والله أعلم.

قال: وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

قلت: مثله للتجبي وقوة لفظهما تقتضي أنه مات بسوسة وهو نصر المالكى. وقال إبراهيم بن سعيد: كان عند صهري مؤدب. وذكره بخير قال: دخلت يوماً على ابن أبي حميد في علة التي مات منها، وهو في البيت، وكان في الدار ذباب، وإذا بكف خارجة من الحائط تدب عن وجهه رأتها عيني لا شك فيها.

147 - ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسحاق⁽¹⁰⁾ الكلبى رحمه الله:

قال: لقي أبا زكرياء الحفري، وابن عبد الحكم وسمع بإفريقية من سحنون، ومن عون، ومن محمد بن رزين⁽¹¹⁾، وابن سنان، وداود بن يحيى، وكان عالماً صالحاً متعبداً، وكان يقيم بقصر الطوب ويقدم إلى القيروان فيكثر الناس للسمع عليه. قال الشيخ أبو محمد بن التبان قال سعيد: ما انتفعت إلا بشاب لقيته بمكة ماراً في السحر إلى المسجد الحرام وهو يقرأ ويبكي، فقلت: مجهود أو مجنون

(1) في ط: سحنون. والصواب كما في ت: سحنوناً.

(2) في الرياض: فحس 5/2. (3) في الرياض: أتفظ 5/2.

(4) سقط من: ت، والرياض 5/2. (5) في الرياض: فقرأته 5/2.

(6) في الرياض: فرغت [منه] 5/2. (7) سقط من: ت.

(8) في الرياض: لم يجىء 5/2. (9) في ت: كرر ذلك.

(10) ترجم له في الرياض: 12/2 - 15، طبقات الحسني ص: 207 رقم ترجمته (26)، طبقات علماء إفريقية لأبي العرب في خمسة عشر موضعاً، البيان المغرب 1/145 [حوادث 295هـ]، شجرة النور الزكية 1/108 رقم 137.

(11) في ط: رزيق، التصويب من: ت، والرياض.

وعليه خرقتان فقلت: ما لك يا فتى؟ فرفع رأسه إليّ وقال: عليك بِنَفْسِكَ، فلها فانظر، فما شككتُ أنه وليّ الله عزّ وجلّ، فقلت في نفسي: لقد وقعت على الحاجة وسأسأله في الدُّعَاءِ فجثوت على ركبتي وقلتُ: سألتك بالله إلا ما دَعَوْتُ لِي؟ فقال لي: شَغَلَكَ اللهُ بِنَفْسِكَ وجعلك ممن ينظرُ في عيوبِ نَفْسِهِ.

قلت: قال التَّجِيبِي: سمعتُ من ابن التَّبَّانِ، وزاد غيره: «عَرَّفَكَ اللهُ قدر ما تَطْلُبُ حتى يهونَ عليك ما تترك».

قال: فوصل سعيدٌ إلى القيروان ثم رحل عنها فسكن قصر الطُّوبِ، وكان دائم الحَسْرَاتِ، مُغْلَقَ البابِ، حتى مات.

قلت: مثله ذكر التَّجِيبِي. قال المالكي⁽¹⁾ رحمه الله تعالى: وقد أتى نواتية الأمير إبراهيم فأرادوا النزول بِقَصْرِ⁽²⁾ الطُّوبِ، وكان في القصر ذلك الوقت سعيد بن إسحاق، وأبو يونس وَجَبَلَةٌ فَمَنَعُوهُمْ⁽³⁾ وأغلقوا الباب⁽⁴⁾، فبلغ ذلك إبراهيم فأتى القصر مغضباً فدخل أهل القصر منه رُغْبٌ عَظِيمٌ وقال: من هؤلاء الَّذِينَ مَنَعُوا عبيدي أن يدخلوا القصر؟ وأخافهم فاجتمع أهل القصر فجاءوا⁽⁵⁾ إلى سعيد بن إسحاق فعرفوه فتشرف من أعلى القصر فقال: مَنْ هَذَا؟ فقال [له]⁽⁶⁾: أنا إبراهيم بن أحمد الأمير فرفع سعيد صَوْتَهُ وقال: يا إبراهيم تَرَكْنَا لَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا وَأَنْزَوَيْنَا فِي هَذَا الشَّعْرِ، فَجِئْتَ تُؤْذِينَا فِيهِ وَاللَّهِ لئن لم تَمَرَ لِأَهْلِكَ نَكُنَّكَ، فمضى إبراهيم هارباً على وجهه حتى جاوز⁽⁷⁾ بآمد عظيم فقال له من حوله: ما لك يا سيدنا؟ فقال⁽⁸⁾: لَمَّا صَالَ عَلِيٌّ سَعِيدَ بْنَ إِسْحَاقَ تِلْكَ الصَّوْلَةَ حَسِبْتُ أَنَّ الْفَحْصَ اشْتَعَلَ عَلَيَّ نَاراً فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ.

قال: توفي سنة خمس وتسعين في جمادى الأولى.

-
- (1) في ت: أبو بكر المالكي.
(2) في الرياض: «في قصر» 14/2.
(3) في الرياض: فَمَنَعُوهُمْ [من ذلك] 15/2.
(4) في الرياض: باب القصر 15/2.
(5) ما بين المعقوفتين ورد في الرياض مختلفاً في اللفظ عما في معالم الإيمان 15/2.
(6) زيادة من: الرياض 15/2.
(7) في ت: جاز. وفي الرياض: «جاز القصر بأمر» 15/2.
(8) في الرياض: فقال «نهم» 15/2.

قلت: في كَلَامِهِ بَثْرٌ لِقَوْلِ التُّجِيبِيِّ: توفي يوم الأحد لِسِتِّ بَقِينٍ مِنْهُ. قال: وصلى عليه أبو⁽¹⁾ يونس المتعبد ومات بِقَصْرِ الطُّوبِ، وَدُفِنَ بِهِ رَحْمَةً اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَنَفَعْنَا بِبِرَكَاتِهِ.

148 - وَمِنْهُمْ أَبُو عِيَّاشٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى الْغَافِقِيِّ⁽²⁾ رَحِمَهُ اللهُ:

كَذَا قَالَ، وَقَالَ التُّجِيبِيُّ أَبُو عِيَّاشٍ: عَيْشُونَ بْنُ مُوسَى.

قال: سمع من سَخْنُونٍ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْمَدَنِيِّ، وَسَمِعَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ ابْنِ رُمَحٍ، وَابْنِ الْبَرْقِيِّ، وَهَارُونَ بْنَ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ.

قلت: مثله ذكر التُّجِيبِيِّ، وَزَادَ غَيْرُهُمَا سَمِعَ مِنْهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَيْروَانِ وَفَتَحَ اللهُ لَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ.

قال: وَكَانَ فَقِيهًا وَرِعًا عَاقِلًا عَابِدًا زَاهِدًا مُتَوَاضِعًا صَحِيحَ الْكُتُبِ ثِقَةً حَسَنَ التَّقْيِيدِ كَثِيرَ الْجَهْدِ وَالْكَدِّ وَالتَّوَاضِعِ، وَكَانَ مَهَابًا لَا يَذْكَرُ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ بَغِيْبَةً إِلَّا نَهَى الذَّاكِرَ عَنْ ذَلِكَ. عَرَضَ عَلَيْهِ ابْنُ طَالِبٍ قَضَاءَ قَسَنْطِينَةَ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا سَافَرَ إِلَى قَرْيَةٍ رَكِبَ ثَوْرًا مِنْ بَابِ أَبِي الرَّبِيعِ إِلَى الرَّوْحَاءِ فَإِذَا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ: حَسْبُكَ مِنَ الدَّوَابِّ مَا بَلَغَكَ الْمَنْهَلَةَ.

قلت: يَرِيدُ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: «كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ تَوَاضِعًا وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْمَوَاعِظِ وَالرَّقَائِقِ وَيَخْتَمُ بِهَا مَجْلِسَهُ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْكَلامِ عَلَيْهَا»⁽³⁾. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ: قُلْتُ لِابْنِ عِيَّاشٍ: إِنِّي صَرْتُ أَتَقَدَّمُ بِالنَّاسِ⁽⁴⁾ أَصْلِي بِهِمُ الْفَرِيضَةَ وَأَنَا كَارِهٌ لِذَلِكَ إِنِّي لَا أَرْضَى عَلَى نَفْسِي فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ لِي: تَقَدَّمُ بِهِمْ وَلَا

(1) في ت و ط: ابن يونس. التصويب من: الرياض، والبيان المُعَرَّبِ، وفي الرياض: اسمه: «نصير أبو يونس المتعبد كان رجلاً صالحاً فاضلاً متعبداً مستجاباً قليل الهيئة للسلطان، سكن قصر الطوب وبه مات» 123/2. وفي البيان المُعَرَّبِ ذُكِرَ ضَمْنُ وَفِيَّاتِ 301 هـ وَفِيهِ قَالَ ابْنُ غُذَّارِي: «مات بقصر الطوب، وهو موضع رباط بجانب سوسة» 171/1.

(2) ترجم له في: الرياض: 1/461 - 463، طبقات الخُشْنِيِّ ص: 200 رقم 19، البيان المُعَرَّبِ: 1/145، ترتيب المدارك 3/267 - 268، الديباج المذهب ص: 86 - 87، شجرة النور الزكية 1/108 رقم 136.

(3) لم يرد هذا الكلام في نسخة طبقات أبي العرب المطبوعة. ولم ترد له ترجمه.

(4) في ت: بالناس [في مسجد].

تعطل المساجد⁽¹⁾، فإن لك في ذلك أجراً، ثم قال لي: ويحك لعله يصلي خلفك من يدعو لك فيجيزك الله بدعائه.

قال: وتوفي في صفر سنة خمس وتسعين ومائتين.

قلت: وزاد التَّجِيبِي: وَضَلِّي عليه يوم الجمعة بعد صلاة العصر.

قال: وَدُفِنَ بباب سلم وَضَلِّي عليه في جمع عظيم، وقد أناف على التسعين

سنة، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

149 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن مَسْرُور الضَّرِير رحمه الله:

كذا قال: ولم يبين ضرره وعند الإطلاق الذي يتبادر لِلذَّهْنِ أَنَّهُ جُدَامٌ، ولم

يكن بذلك فكان حقه أن يبينه كما قال التَّجِيبِي في قوله: كانت عِلَّتُهُ استرخاءً في

يديه واسترخاءً في رِجْلَيْهِ وَجَسَدِهِ كَلَهُ، نَقِيٌّ، ذَا هَيْئَةٍ فِي لِبَاسِهِ وَمَنْظَرٍ حَسَنٍ.

قال: سمع من يحيى بن عمر، وعبد الجبار بن خالد، وسهل بن عبد الله،

وأحمد بن وَازِن⁽²⁾ الصَّوَّاف، وابن طالب القاضي، وابن عَمْرَانَ القَرَّاط، وبكر بن

حماد، وأحمد بن يزيد، وَحَمَّاس القاضي.

قلت: تبع فيه التَّجِيبِي وهو قصور لِسْمَاعِهِ من محمد بن زرزر أيضاً.

قال: كان فقيهاً فاضلاً مُتَعَبِّداً من أهلِ الفِئَةِ البَارِعِ، والفُتْيَا، وكان القاضي

حماس يشاوره في أحكامه.

قلت: تبع فيه من تقدم وفيه بتر لزيادة غيرهما ويصدر عن رأيه في جميع أموره

إذ لا يلزم من مشورته له صدوره عن رأيه.

قال: وكان الناس يأتونه للفقهِ والمناظرة والفُتْيَا.

قلت: تبعه أيضاً وزاد غيرهما: والشُّيُوخُ إذ ذاك متوفرون، وهذا أخصر

لاحتِمَالِ أَنْ يُقَالَ: إنما كانوا [يأتونه]⁽³⁾ لفقد مثله، وكان علي بن ظفر يسكن إلى

جوار ابن عبد الله الضَّرِير فكان يحكيه ويقع فيه، فابتلاه الله بالجُدَامِ فكان يسمع

صياحه من خارج داره⁽⁴⁾.

(1) في ت: المسجد.

(2) في ت و ط: وزان. وقد سبق الحديث عن هذا التصويب.

(3) سقط من: ط. الزيادة من: ت. (4) في ط: دار. التصويب من: ت.

قلت: وعلي بن ظفر هذا كان عراقياً. قال التجيبي: يعرف الطب والجَدَل والشعر، له جَاهٌ عند الملوكِ من أصحابِ ابن الصَّائغِ صاحبِ دولة الأغالِبَةِ، وكان صَدِيقاً لأبي جعفر البغدادي، وكان كثيرَ الكِبَرِ وَالْأُنْفَةِ وَأَشَارَ بقوله «يحكيه»، ويقعُ فيه ما قاله أبو عبد الله الخِرَّاطُ قال: بلغني أنه كان إذا جلس مع أصحابه يمد يده ويعقف أصابعه، يحكي بذلك أبا عبد الله الضَّرِيرَ لِيُضْحِكَ بِذَلِكَ من يجلسُ إليه من أصحابه وكان مُؤْذِيّاً لمن يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ أَهْلِ المَدِينَةِ، ولذلك كان يُحَاكِي أبا عبد الله الضَّرِيرَ فابتلاه الله بالجُدَامِ في آخر عمره.

قال: قال أحمد بن محمد الباجي: دخلت على أبي العباس إسحاق بن بَطْرِيْقَةَ القاضي بطرابلس منصرفي من الحج، فألفيته في مجلسِ حُكْمِهِ مغموماً يَسْتَرْجِعُ، فقال لي: إنَّكُم لأهل القيروان حائط، مات أبو عبد الله الضَّرِيرَ الفقيه، وذلك لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة، وَضَلَّى عليه القاضي حَمَّاسٌ وَدُفِنَ بباب سلم رحمة الله تعالى عليه.

150 - ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حُسَيْنِ الضَّبِّيِّ⁽¹⁾ الشهيد المعروف بابن البرْدَوْنِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

قال: سَمِعَ من جماعة من رجال سحنون منهم عيسى بن مسكين، ويحيى بن عمر، وابن جبلة، وسعيد بن إسحاق.

قلت: ما ذكر من قوله: وابن جبلة مثله للمالكي والعواني وَصَوَابُهُ كما قال غيرهم: عوضه وجبلة بن حمود.

قال: وكان فقيهاً بارعاً في العلم يذهبُ مَذْهَبَ النَّظَرِ من رِجَالِ أَبِي عَثْمَانَ [سعيد]⁽²⁾ ابن الحداد، لم يكن في شبابِ عَضْرِهِ أقوى على الجَدَلِ والمناظرة، وإقامة الحُجَّةِ على المخالِفينَ مِنْهُ.

قلت: ما ذكره هو لفظ المالكي وكان يقول: نتكلمُ في تِسْعَةِ عَشْرَ فَنًّا من العلم، وكان شديدَ التَّحَنُّكِ للعراقيين، والمناظرة فَدَارَتْ عليه بذلك دوائر في

(1) ترجم له في: الرياض: 47/2 - 51، طبقات الحُشْنِيِّ ص: 281 - 282، ترتيب المدارك، البيان المغرب: 154/1 - 155، الديباج المذهب ص: 143.

(2) سقط من: ت.

دولتهم، ضربه مرة بالسَّيَاطِ محمد بن أسود الصَّدِّيْنِي⁽¹⁾ إذ كان قاضياً وكان الصَّدِّيْنِي⁽¹⁾ يُصْرِّحُ بخلق القرآن ثم سَعَى عليه العراقيون عند دخول الشَّيعِي القِيروان لموافقته إياه في مسألة التفضيل، ورخصة مذهبهم.

قال: وسعى القاضي محمد بن عمر المرودي به، وبالفقيه أبي بكر بن هذيل، إلى أبي العباس الشيعي، فأمر حسن بن أبي خنزير عامل القيروان أن يقتلها معاً، فضرب رقابهما، وطيف بهما مسحوبين على وجوههما قد ربطا إلى سند بغل فجرهما من باب تونس إلى باب أبي الربيع، فَضَلَبَا هنالك. أما ابن البردؤن فنقل عنه أنه قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويُعِينُهُ على أمورِهِ، فلو لم يَكُنْ عِنْدَهُ إمام هُدى مُسْتَحِقًّا لَلتَّقَدُّمَةِ مَا فَعَلَ مَا فَعَلَ، فبلغ قوله إلى أبي العباس الشيعي فقال: كان يوسف الصديق من عوان العزيز بمصر يُعِينُهُ في أمورِهِ، فما كان فيه نقص ليوسف ولا زيادة في مقدار العزيز، ثم أمر بقتله سنة تسع وتسعين ومائتين رحمة الله تعالى عليه.

قلت: ما ذكر من قوله بين يدي عمر مثله، نقل التَّجِيبِي، وقيل بين يدي أبي بكر. وقال المالكي: قال أبو عبد الله محمد بن خراسان: لما وصل عُبيد الله⁽²⁾ إلى زُقادة أرسل إلى القِيروان مَنْ أتاه بابن البردؤن وابن هذيل⁽³⁾، فلما وصلا إليه، وجداه على سرير مُلْكِهِ جالِسا، وعن يمينه أبو عبد الله الشَّيعِي، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله، وأبو العباس: إِشْهَدَا⁽⁴⁾ أَنَّ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، وأشار إلى عُبيد الله، فقالا جميعاً بلفظ واحد: والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا وَالشَّمْسُ عن يمينه والقمر عن يساره يقولان: إنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله. فأمر عبید الله بذبْحِهِمَا حينئذٍ جميعاً، وأمر بربطهما إلى أذنان البغال⁽⁵⁾.

(1) في ت: الصيني.

(2) في ط: ت: عبید الله، التصويب من الرياض: 49/2. كما سيأتي مصححاً من طرف المصنف نفسه.

(3) في الرياض: أماء كلمة هذيل: «وكانا فقيهين فاضلين» 49/2.

(4) في الرياض: تشهدان.

(5) نحر في الرياض: 49/2.

قلت: مَحْمَلُ ما ذكر الشيخ أن أبا العباس أمر ابن أبي خنزير⁽¹⁾ أن يقتلها مُسْتِنْدًا في ذلك إلى أمر أخيه عبيد الله لَعَنَهُمَا الله تعالى جميعاً بين الثقلين، ويأتي له ما يدلُّ على ذلك، وكذلك ما ذكر من قوله كان علي بن أبي طالب إلى آخره ليس المراد أنه قتله بسبب ذلك فقط، بل كان هو أول السبب ولهذا قال: ثم أمر بقتله، فإنَّ تَمَّ تقتضي المهلة فليس المراد أنه بنفس ما بلغه عنه ما ذكر من التفضيل، أمر بقتله جمعاً بين الثقلين أيضاً والله تعالى أعلم. وَيَدُلُّ على هذا قول بعضهم لما ناظره في مسألة التفضيل: أمر بِحَبْسِهِ وَحَبْسِ صَاحِبِهِ ثم أمر عامل القيروان المذكور بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، وبضرب رَقَبَةِ ابن البرذون، فغلط ابن أبي خنزير بضرب ابن البرذون خمسمائة سوط، ثم قتلها. وقيل: إن إبراهيم ابن البرذون لما جردَ لِلْقَتْلِ قال له حسن بن أبي خنزير: أترجع عن مذهبك؟ فقال له: أعن الإسلام تَسْتَيْبِنِي؟ فقتل. وقال المالكي: إنه لما امتنع هو وصاحبه من ذلك قال [لهما]⁽²⁾ أُخْرِجَا إلى النَّاسِ فِقُولاً: إِنَّهُ قَدْ فَعَلْنَا وَلَا تَفْعَلَا فَأَبَيَا عَلَيْهِ من ذلك، وَاعْتَلَا بِأَنَّهُ يقتدى بهما، وقالوا: عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة، فأمر بضربهما بالسوط حتى ماتا. وما ذكر الشيخ من صلبهما كان مقداره نحو الثلاثة أيام، ثم أنزلنا ودفنا فذكر بعضهم: أنه رأى إبراهيم في النوم فقال له: أنت مع صاحبك فأشار إليه أنه فَوْقَهُ، فقال له: بماذا رفعت عليه؟ فأشار بيده يحكي الضرب الذي ضرب دونه. فإن قلت: وهل يُعذَرُ أَحَدٌ بالإكراه في الدخول⁽³⁾ لمذهبهم؟.

قلت: قال يوسف بن عبد الله الرُعَيْنِي في كتابه: قال [الشيخ]⁽⁴⁾ أبو حمد ابن أبي زيد، وأبو القاسم بن شبلون، وأبو الحسن القَابِسِي، وأبو علي بن خلدون، وأبو محمد الضبي، وأبو بكر بن عذرة: لَا يُعذَرُ أَحَدٌ في ذلك، لأنه أقام بعد علمه بِكُفْرِهِمْ، وَكُفْرُهُمْ ارْتِدَادٌ وَزَنْدَقَةٌ بخلاف غيرهم. وقال الشيخ⁽⁵⁾ أبو القاسم بن الدَّهَّان: لأن كُفْرَهُمْ خَالَطَهُ سِحْرٌ، فَمِنْ اتَّصَفَ بِهِمْ وَخَالَطَهُمْ خَالَطَهُ، وَالسِّحْرُ كُفْرٌ، ولما حمل أهل طرابلس لبني عبيد، أظهروا أن يَدْخُلُوا في دينهم عند الإكراه ثم رُدُّوا مِنَ الطَّرِيقِ سَالِمِينَ، فقال ابن أبي زيد: هُمْ كُفَّارٌ لاعتقادهم ذلك.

(1) في ت و ط: خنزير، التصويب من الرياض.

(2) سقط من: ت. (3) في ت: بالدخول في مذهبهم.

(4) سقط من: ت. (5) سقط من: ت.

قلت: الأقرب أنهم لَيْسُوا بِكُفَّارٍ، وإنما صَرَّحَ أبو محمد بما ذكر مبالغة لتفسير العامة لأن المطلوب سَدُّ هذا الباب، وأما فيما بينهم وبين الله فما⁽¹⁾ قلناه والله أعلم.

151 - ومنهم أبو بكر بن هُذَيْل الفقيه رَحِمَهُ اللهُ تعالى⁽²⁾ :

سَمِعَ مِنْ رِجَالٍ سَخُنُونَ مِنْهُمْ: عيسى بن مسكين، ويحيى بن عمر، وجبله بن حمود، وسعيد بن إسحاق، وأحمد بن حماد.

قال: وكان فقيهاً زاهداً صالحاً مُتَّقِشَفًا.

قلت: زاد غيره: وَرِعاً بَارِعاً فِي الْعِلْمِ نِظَاراً.

قال: حكى الشيخ أبو الحسن القابسي، أن أبا بكر هذا كان من المَتَوَرِّعِينَ، وإنما كان عَيْشُهُ مِنْ غَزْلِ امْرَأَتِهِ، كان يشتري الكَتَّانَ فَتَغْرِزُهُ وَيَنْسِجُ مِنْهُ أَبْدَاناً فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ فَضْلِ تَقْوَاتَا بِهِ وَاشْتَرَى بِرَأْسِ الْمَالِ كِتَّاناً فَمِنْ ذَلِكَ كَانَ عَيْشُهُمَا.

قلت: وروى أنه دفع يوماً بدنأ إلى رجل من تلك الأبدان التي تصنع زوجته وقال له: عسى أن تبيع لنا هذا البدن وتأتينا بالثمن؟ قال: فمضيت به وعرضته فسوى ثمناً ليس بالكثير فإذا برجل صنهاجي قال لي: تبيع هذا البدن؟ قلت: نعم، قال: كم ثمنه؟ قلت له: كذا وكذا وزدت عليه في ثمنه فقال لي: قَبِلْتُ، فَبِعْتُهُ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَأَخَذْتُ الثَّمْنَ وَجَعَلْتُهُ فِي صُرَّةٍ وَأَتَيْتُ إِلَيْهِ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: ضَعُهَا فِي التَّابُوتِ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ وَمَضَيْتُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ⁽³⁾، دَخَلْتُ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الزِّيَارَةِ، فَقَالَ لِي: كُنْتُ دَفَعْتُ إِلَيْكَ بَدْنًا فَمَا صَنَعْتَ فِي أَمْرِهِ؟ قُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ بَعْتُهُ وَأَتَيْتُكَ بِالثَّمَنِ، فَقَالَ لِي: مَا وَصَلَ إِلَيَّ شَيْءٌ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى قَدْ أَتَيْتُكَ بِالثَّمَنِ وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَضَعَهُ فِي التَّابُوتِ، فَقَالَ لِي: لَا أَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، فَقَمْتُ مُبَادِرًا إِلَى التَّابُوتِ وَإِذَا بِالصُّرَّةِ فِيهِ عَلَى حَالِهَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمَاهُ مِنْهَا فَاتَيْتُ بِهَا إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: هَذِهِ هِيَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَجَدْتَهَا فِي التَّابُوتِ فَأَخَذَهَا ثُمَّ قَالَ لِي: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَخْبِرْنِي مَا قِصَّةُ هَذِهِ الدَّرَاهِمِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْبِ عَلَى قَلْبِي أَخَذَهَا

(1) في ت: ما قلناه.

(2) ترجمته ضمن ترجمة: أبو إسحاق إبراهيم الضبي في: الرياض، والدياج، والبيان.

(3) في ت: أمام كلمة ذلك ورود كلمة «مرة».

فقلت له: والله أصلحك الله لأصدقنك فأخبرته عند ذلك بالقصة كما جرت، فقال لي: ويحك يحل لك أن تُطعم أخاك الحرام؟ فقلت له: فإني تائب أصلحك الله إني لا أعود إلى شيء من هذا أبداً. فقال لي: خذها عني فقلت [له]⁽¹⁾ تصدق بها أنت، فقال لي: والله لا فعلت، ولا يتصدق بها إلا أنت عقوبة لك فيما فعلت. قال: فأخذتها منه فأتيت بها إلى الدمثة فعرضتها على قوم من أهل البلاء فقالوا: قد أحل الله عز وجل الميتة للمضطر والميتة خير لنا منها فتوجهت بها إلى باب سلم، فإذا برجل بدوي عليه أثر الفقر، فعرضتها عليه وأخبرته بقصتها فقال لي: الميتة حلال للمضطر، وأنا مضطر فأخذها ومضى. [ومما]⁽²⁾ ذكر هذه الحكاية المالكي عن أبي عبد الله مكي بن عبد الرحمن المنستير الفقيه عن الشيخ أبي الحسن القاسبي. قال أبو عبد الله: وإنما حكى لي الشيخ أبو الحسن هذه الحكاية لما سأله عن المضطر إذا وجد ميتة ومالاً مغصوباً فما الذي يؤمر به أن يأكل منهما⁽³⁾.

قلت: أراد بقوله فيما تقدم كم ثمنه أي كم سوى لك فكذب له في ذلك ولذا كان حراماً وما أفتى به الشيخ أبو الحسن في أن المضطر يأكل الميتة دون المال المغصوب محتجاً بما تقدم.

قال: قتل ابن أبي خنزير أبا بكر [بن هذيل]⁽⁴⁾ بأمر أبي عبد الله الشيعي مع أبي إسحاق بن البرذون، وذلك أنه أشاع الحجة التي احتج بها ابن البرذون في الناس، من أن علياً كان يُقيم الحدود بين يدي عمر رضي الله عنهما حتى فهم منه الشيعي أنه قصد نقص علي بذلك هو وابن البرذون ومذهب ابن العباس الشيعي مذهب الإمامية تفضيل علي على سائر الصحابة، ويرى أن من تنقصه أو أحداً من نسل فاطمة رضي الله عنها، فإنه مباح الدم، فلأجل ذلك قتلها معاً وربطهما إلى أذنان البغال سنة تسع وتسعين كما تقدم.

قلت: تسامح في قوله البغال، وإنما أراد به ذنب بغل واحد عملاً بما تقدم، وفي كلامه بتر لكونه مات في شهر صفر من العام المذكور، ودفنا في باب أبي الربيع قبله القيروان المعروفة اليوم بمقبرة أبي عبد الله محمد العسال، وكان شيخنا

(1) زيادة من: ت.

(2) زيادة من: ت. انظر الخبر بآتمه في الرياض 50/2 - 51.

(3) الرياض: 51/2.

(4) سقط من: ت.

أبو الفضل أبو القاسم البرزلي لما زار بنا حوطة الشيخ أبي زَمْعَةَ صاحب رسول الله ﷺ تسليماً، ووقف بعد على الحوطة اللطيفة التي هي للجوف من حوطة أبي إسحاق بن مضاء التي تقول العامة: إن هذا قبر تياهة، قال: الذي وقع في نفسي: أن بها قبر أبي إسحاق إبراهيم بن البردؤن، وأبي بكر بن هذيل، فإنهما ماتا شهيدين والناس يقولون: هذه قبور الشهداء، فسكت عنه لأنني لم أقف على ما ذكرته من أنهما دفنا بباب أبي الربيع، وإنما وقفت عليه حين نظري لهذا التأليف أعني⁽¹⁾ العواني رحمهما الله تعالى.

152 - ومنهم أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن مسلمة الصديقي⁽²⁾ رحمه الله:

من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان. أسلم جدّه على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال: سمع من سحنون، ومحمد بن رزين، ومحمد بن عبد الحكم وغيره.

قلت: منهم عون بن يوسف.

قال: وأخذ عن سحنون المدونة، والمختلطة، والموطأ.

قلت: في كلامه بتر لأن له أيضاً ثلاثة أجزاء مجالس عن سحنون.

قال: أخذ ذلك عنه الناس وكان ثقة.

قلت: منهم أبو العرب، وهبة الله بن أبي عقبة، وعبد الله بن سعيد، وكان

أولاً يسمع كلام العراقيين، ويجلس إلى محمد بن أسباط، ثم ترك ذلك وصحب سحنون وغيره.

(1) في ت: عن.

(2) ترجم له في: الرياض: 27/2 - 45، طبقات الخشني ص: 195 - 196، وذكر في طبقات

علماء إفريقية وتونس لأبي العرب في 15 موضعاً، البيان المغرب 1/161، ترتيب المدارك

3/247 - 254، الديباج المذهب ص: 170 رقم 194، شجرة النور الزكية 1/110 رقم

.143

ذِكْرُ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال: كان جبلة فقيهاً زاهداً واحداً زمانه في الزهد والورع وكان كثيراً ما يتردد إلى قصر الطوب للرباط، فاق⁽¹⁾ أصحاب سحنون في الزهد والعبادة.

قلت: وقال ابن حارث: «كان من أهل الخير البين، والعبادة الظاهرة، والورع»⁽²⁾. والزهد⁽³⁾، وكان الغالب عليه النسك والزهد⁽⁴⁾. وقال المالكي: «كان سحنون إذا قبل جبلة يقول: إن عاش هذا الشاب لقد يكون له شأن وكان أزهد أهل زمانه»⁽⁵⁾.

قال: وقال أبو محمد عبد الله بن سعيد: «ما سمعته قط يذكر الدنيا بمدح ولا ذم»⁽⁶⁾. وحضر جنازة مع حماس بن مروان، وسعيد بن الحداد. فقال له سعيد: تقدم يا أبا يوسف فانت [أزهد منا وأعلم]⁽⁷⁾.

قال: وقال سحنون: لو تفاخر علينا بنو إسرائيل بعبادتهم⁽⁸⁾ فأخرناهم⁽⁹⁾ بجبله.

قلت: ذكره الثجبي.

قال: وقال موسى بن عبد الرحمن القطان القاضي: من أراد أن يدخل إلى دار عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فليدخل دار جبلة [بن حمود]⁽¹⁰⁾ ليزهده وتقلله.

قلت: ظاهره أن جميع ذلك من كلام موسى وليس كذلك، بل آخره فليدخل دار جبلة وتممه الثجبي فقال: يريد ليزهده وتقلله. قال أبو العرب ابن تميم: خرج

(1) في ت: فاز.

(2) طبقات الخشني وفيه: «والورع الخالص» ص: 195.

(3) سقط من طبقات الخشني.

(4) في طبقات الخشني: «والتقشف» ص: 196. وفيه زيادة: «والصلاة، والإعراض عن الدنيا وأخبارها».

(5) الرياض: 29/2. (6) الرياض: 29/2.

(7) في الرياض: «أزهدنا وأسن منا وأعلم بتقى ربه منا» ص: 28.

(8) في ت: بعبادتهم.

(9) في ت: لافتخرنا عليهم. انظر الرياض: 28/2.

(10) سقط من: ت.

علينا جبلة في غلالة وسراويل ومندبل، كأن ثيابه أكلها الجراد فقوم بعض الطلبة جميع ما عليه بثلاثة أرباع درهم⁽¹⁾. وقال أبو بكر بن أبي عقبة: ما أوقد جبلة ناراً أربعين سنة، إنما كان له دقيق شعير، إذا كان عند إفطاره أخذ قبضة فحرّكها في قدح بماء فأفطر عليها وكبر للصلاة فهو راعٍ وساجدٌ حتى ينادي بالفجر.

قلت⁽²⁾: رواه التّجيبى عن أبي بكر المذكور، وظاهره أنه كان لا يقذ في بيته ناراً البتة لا مضباحاً، ولا غيره، لقوله: إنما كان له دقيق إلى آخره، وهكذا كان زهد خواص الصّالحين.

ذكر قيامه بالحق ولا يبالي

كان رحمه الله لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم، ولما دخل عبيد الله الشيعي إفريقية ونزل بقيادة ترك جبلة سكنى الرباط، ونزل القيروان فكلّم في ذلك، فقال: كنّا نحرس عدوّاً بيننا وبينه البحر، والآن حلّ هذا العدوّ بساحتنا وهو أشدّ علينا من ذلك، فكان إذا أصبح وصلى الصّبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة معه سيفه وترسه وفرسه، وسهامه، وجلس محاذياً لرقادة إلى غروب الشمس ثم يرجع إلى داره ويقول: أحرس عورات المسلمين منهم، فإن رأيت شيئاً حرّكت المسلمين عليهم. وكان يُنكر على من يخرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثّغور، ويقول: جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشّرك. قال المالكي: «ولم يكن في وقته رحمه الله أكثر اجتهاداً منه في مجاهدة عبيد الله وشيعته⁽³⁾، فسلمه الله عزّ وجلّ منهم⁽⁴⁾. وإنما سلك أبو إسحاق السبائي في بعض من ذكر طريق جبلة بن حمود⁽⁵⁾.

قال: واتصل به أن بعض أهل القيروان خرجوا ليلتقوا عبيد الله الشيعي تقيّة من شرّه، ومدارة⁽⁶⁾ له، فقال جبلة: اللّهم لا تسلّم من خرج يسلم عليه، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً فلما انتهوا إلى وادي أبي كريب جرّدوا وأخذت ثيابهم، فلما

(1) لم يرد هذا الكلام في كتاب طبقات أبي العروب، وقد نقله المالكي في كتابه الرياض: 33/2.

(2) سقط من: ط، الزيادة من: ت.

(3) في الرياض أمام كلمة وشيعته قوله: «كان لا يداري في ذلك أحداً من الخلق» 38/2.

(4) في الرياض: «وحماه من كيدهم ومكرهم» وهي جملة تأتي بعد كلمة، منهم 38/2.

(5) الخبير في الرياض: 38/2.

(6) في ت و ط و مداراه، وهو تحريف لكلمة مداراة.

عرفوا جبلة بذلك قال: ما غمّني فيهم إلا رجُلٌ واحدٌ فيه خير، لا دُنْيَا لَهُ، وَالرَّجُلُ هُوَ حَمَّاسُ ابْنِ مَرْوَانَ الْقَاضِي، وَلَمَّا دَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْقَيْرَوَانِ وَخَطَبَ أَوَّلَ جُمُعَةٍ، وَجَبَلَةُ جَالِسٌ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا سَمِعَ كَفَرَهُمْ قَامَ قَائِمًا، وَكشَفَ عَن رَأْسِهِ حَتَّى رَأَى النَّاسَ، وَخَرَجَ يَمْشِي إِلَى آخِرِ الْجَامِعِ وَهُوَ يَقُولُ: قَطَعُوهَا قَطَعَهُمُ اللَّهُ، فَمَا حَضَرَهَا أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَبَّهَ عَلَيَّ هَذَا، وَلَمَّا وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقَضَاءَ مَضَى إِلَى قَصْرِ الطُّوبِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو يُونُسَ وَسَعِيدُ بْنُ إِسْحَاقَ يُدَارُونَهُ وَجَبَلَةُ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبَرَ بِمَجِيئِهِ وَقِيلَ لَهُ: هُوَ يَأْتِيكَ يَسْلَمُ عَلَيْكَ فَاتَى ابْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَوَقَفَ عَلَيَّ بَابَ جَبَلَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَمَضَى ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَهُوَ يَجْرُ أَطْنَابَهُ، وَحَضَرَ جَبَلَةَ جَنَازَةَ رَجُلٍ مَدَنِيٍّ وَحَضَرَ ابْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقَاضِي جَنَازَةَ رَجُلٍ عِرَاقِيٍّ وَجَلَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى بِجَنَازَةِ الْمَدَنِيِّ، فَتَقَدَّمَ جَبَلَةَ فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَصَلَّى الْقَاضِي خَلْفَهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَنَازَةِ الْعِرَاقِيِّ فَتَقَدَّمَ الْقَاضِي وَقِيلَ لَجَبَلَةَ: الصَّلَاةُ، فَقَالَ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ، وَأَنْصَرَفَ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ابْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَأَرْسَلَ كَاتِبَهُ إِلَيْهِ يَقُولُ: إِنِّي صَلَّيْتُ وَرَاءَكَ إِذْ قَدَّمْتُ، فَلَمَّا قَدَّمْتُ أَنَا أَنْصَرَفْتُ مِنْ وَرَائِي أَنْتَظُنُّ أَنِّي أَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ؟ مَا أَقُولُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ جَبَلَةُ: أَمْرُكَ عِنْدِي أَشَدُّ أَلْسَتِ الَّذِي ضَرَبْتَ أَحْمَدَ بْنَ مُعْتَبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ الدَّمَنِيَّ، وَفَلَانًا بِالسِّيَاطِ وَقَطَعْتَ بِهِمْ سَمَاطَ الْقَيْرَوَانِ، وَأَمَرْتُ أَنْ يُنَادَى عَلَيْهِمْ هَوْلَاءُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَهُمْ رِجَالٌ سَحْنُونَ، وَسَحْنُونَ أَخَذَ الْعِلْمَ عَن رِجَالِ مَالِكٍ، وَمَالِكٍ عَن التَّابِعِينَ، وَالتَّابِعُونَ عَن الصَّحَابَةِ، وَالصَّحَابَةُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْرُكَ عِنْدِي أَكْبَرُ مِنَ الْبِدْعَةِ.

قلت: وتقدم أن ابن عبدون هذا كان حنفي المذهب، وأنه رجل سوء، وفيه يقول إبراهيم بن أحمد: لو ساعدته على مقصده فيمن يشكو به لجعلت له مقبرة على حدة، وأنه ضرب أربعة، بغضاً منه في مذهب مالك رحمه الله تعالى، ومات منهم ابن المديني، والدمني، وإبراهيم بن المضاء في الحال، ولم يذكره العواني، وذكره الدباغ حسبما قدمناه حين التعريف بأبي إسحاق الدمني، فالعجب من تعريف العواني به بقوله: وقاض عادل يوهم أنه علام صالح، فقال أبو العباس: أحمد بن عبد الله بن عبدون بن أبي ثور الرعيني القاضي كان حنفي المذهب، صاحباً لسليمان بن عمران

القاضي وملازماً له، وكان ذا هيئة جميلة عالية، ولَّى قضاء القيروان، ولاه إبراهيم بن أحمد الأغلب وكان محبباً فيه، معجباً به. ولما خرج إبراهيم إلى صقلية، وصار الملك إلى ابنه أبي العباس أوصاه بابن عبدون وقال له: احفظه لي، فأغراه بعض جلسائه، وقال لأبي العباس: قد كان أبوك دفع إليه ألفي دينار، لعمل أبواب الجامع، فتبعث في طلبه وتسأله عن حساب المال. فبعث في طلبه من تونس إلى القيروان، فأخذ ابن عبدون معه من ماله ألفي دينار وحملها، فلما دخل على أبي العباس قال له: آتينا بحساب المال الذي أنفق في أبواب الجامع، فقال له: أعزَّ الله الأمير، لست بصاحب ديوان تحاسبني، وأخرج كيساً من كُمَّه وقال: هذه ألفا دينار من مالي فخذوها، ويكون ثوابُ عمل الأبواب التي بالجامع لي، وقد علمت وصية أبيك بي، ومع هذا فخف الله واحفظ أهل العلم، فإن الله يحفظك، فاستحيا أبو العباس وقال: والله ما ترى مني إلا خيراً وصرف المال.

قلت: فالأولى ترك التعريف به، وإن كان في هذه القضية فعل خيراً. وإنما ذكرت تعريف من ذكر لثلاثا يعتقد أنه رجل صالح في كل أموره كما تقدم من الإبهام بذلك، أو يعتقد أنه رجلٌ آخر.

قال التُّجيبِي: وتوفي في هذه السنة سنة سبع وتسعين، ودفن بباب سلم جوار القاضي سليمان بن عمران، وصلى عليه محمد بن عمر المروزي في مصلى العيد.

قال: وفيها زال ملكُ بني الأغلب بعد مائة سنة واثنى عشرة سنة. قال المالكي: ولما ولي الصُّديني⁽¹⁾ القضاء أيام أبي العباس، كان جبلة يُصَلِّي في مسجده يوم الجمعة الظهر أربع ركعات بأذان وإقامة، فقال له مؤذنه⁽²⁾: الوقت حانَ أفترى أن أؤذن وأقيم داخل المسجد؟ فقال: «إن أذنت وأقيمت في الصحن وإلا فالزم نفسك، ولو منعنا أحد من الصلاة لضربناه⁽³⁾ بالنبل».

(1) هو محمد بن أسود بن شعيب القاضي الصديني كان يقول بخلق القرآن توفي سنة 204 هـ. ترجم له في طبقات الخشني ص: 251 - 252، والبيان المغرب 1/ 175.

(2) في الرياض: المؤذن 36/2. وأمام كلمة المؤذن الجملة التالية: «أترى أن أؤذن وأقيم في داخل المسجد فإن الوقت حاد».

(3) في الرياض: لرميناه.

«ووجه إليه أحمد بن أبي سليمان⁽¹⁾: إنه بلغني أنك تصلي الظهر أربعاً بأذان وإقامة. كيف جاز لك ذلك، والجامع يُجمع فيه؟ فقال له: قل له يا أحمد ألم يمر بك قول مالك في المسجونين: إنهم يجمعون في السجن، لأنهم مُنْعُوا من الجمعة؟ ونحن قد منعنا من الجمعة فأقمنا أنفسنا مقام المسجونين، فأخبر أحمد بذلك، فقال: رحمك الله يا أبا يوسف»⁽²⁾.

قلت: بترحمه عليه كأنه ظاهر في رجوعه لما قال، وأنه أعجبه فهمه، فكأنه أيقظه من غفلة، وهو الذي تقدّم عنه أنه قرأ عليه سحنون عشرين سنة، وأسمع الناس وأفتاهم مثل ذلك. قال المالكي: وكتب الصديني إلى أبي العباس الأمير يخبره بما فعل جبلة، فأرسل إليه: «مدّ يدك إلى من شئت واحذر جبلة»⁽³⁾.

قلت: يريد لأنه مجاب الدعاء، فخاف على نفسه من دعائه، وكان الصديني قاضياً.

قال: وجاءه صاحب المحرس، واسمه سحنون، فقال له الأمير: يقول لك: كرر الإقامة وسلم اثنتين، ولا تقنت في الصبح، فقال له جبلة: مر يا لص، سماك جدك سحنوناً، وأنت سحنون الأمير، لا تعلمنا أمر ديننا.

وجاءه آخر بمثل ذلك عن المروزي⁽⁴⁾، وبقرأة بسم الله الرحمن الرحيم، وزيادة: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» في الأذان، فقال له جبلة: «مُرَّ قَبَّحَ اللَّهُ مِنْ أَرْسَلِكْ، وَقَبَّحَكَ»⁽⁵⁾ فأخبره الرسول فسبّه وقال له: إنا ما أرسلناك إلى جبلة تأتي إلى أولياء الله تعرض لي دعاءهم. وتجسّس صاحب المحرس عليه يوماً فأخذه جبلة، وأدخله المسجد، وضربه بالجريد حتى تاب أن لا يعود إليه.

ذكر جملة من أخباره

قال: وكان جبلة قد ورث من أبيه رباعاً كثيرة، وأموالاً فترك ذلك كله، زهداً وتورّعاً حتى تجرّد من ثيابه، وبقي عُريّاناً حتى كساه سحنون.

(1) هو: أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصواف كان حكيماً ينطق بالحكمة. توفي سنة

291هـ. ترجم له في الرياض: 1/ 505 - 513، طبقات الخشني ص: 206.

(2) الخبر ورد في الرياض: 2/ 36 - 37. (3) الخبر في الرياض: 2/ 37.

(4) هو محمد بن عمر المروزي توفي سنة 303هـ. البيان المغرب 1/ 173.

(5) الرياض: 2/ 41.

قلت: هذا الكلام فيه بتر من وجهين:

أحدهما: كم قيمة ذلك؟

الثاني: ما هي المسألة التي تنزه فيها؟ فقيمة ذلك نحو من ثمانمائة مثقال.

والمسألة كما ذكر المالكي عنه قال: ما علمت من أبي إلا خيراً، ما كان يقول ببدعة، لكنني رأيت يفتضي من ثمن الطعام طعاماً، وهو عنده جائز، لأنه عراقي، وعندنا غير جائز فتركته تنزهاً.

وقال أبو ميسرة: كنت آتي باب جبلة بن حَمُود فأقف عليه ساعة، فأسمع كلام آخر غير كلامه، غير أنني لا أفهمه فأقرع الباب بعد ذلك واستأذن في الدخول، فيأذن لي فأدخل، فلم أجد معه في البيت أحداً فنقول له: أصلحك الله إنني أريد الكتاب الفلاني، وما أكثر مرادي إلا اختبار بيته هل فيه أحد؟ فيقول: «دونك الزير فخذ».

وكانت كتبه في زير عنده، وكان من الزهاد المتقللين، فأقوم فأخذ الكتاب، وأراعي البيت فلا أرى أحداً. قال أبو محمد عبد الله بن سعيد التفاحي⁽¹⁾: هذا الأمر لا يخلو من وجهين.

قلت: وما هما؟ قال: إما أن يكون الخضر أو عبداً صالحاً من الجن.

قلت: لا خصوصية للخضر في هذا وقد يكون غيره الجن.

قال: روي أن أويساً القرني رآه بعض الصالحين من أهل مجانة في النوم فقال له: أنت الذي يدخل في شفاعتك يوم القيامة مثل ربيعة ومضر؟ قال: فتبعته حتى وقف على قبره، فتشكُّ إن كان خرج إليه من القبر شيخ فقال لي: هذا جبلة يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر وكررها ثلاثاً فأصبح الرجل وأتى إلى القيروان ولم يكن دخلها قبل ذلك فقصد مسجد جبلة فوجد فيه قوماً فأعلمهم بما رأى، وسألهم أن يسيروا معه إلى قبر جبلة فساروا معه، فلما قرب منه تقدَّم حتى وقف عليه، وقال لهم: هذا القبر الذي أراني أويس في النوم فقيل له هو قبر جبلة.

(1) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد التفاحي توفي سنة 370. ترجم له في معالم الإيمان كما

قلت: شفاعة أُوَيْسَ الْقَرْنِيِّ فيما ذكر، ذكرها غير واحد. وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد: لئن كان أمر أُوَيْسَ الْقَرْنِيِّ صحيحاً فالجبنياني أُوَيْسَ هذه الأمة فكلامه كالنص في أنه لم يصح. ودخل جَبَلَةَ على جماعة من أصحابه وهم يضحكون وقد رفعوا أصواتهم فقال لهم: لا نفعكم الله تعالى بالعلم. قال ابن أبي عقبة: فما عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ ذَكَرَ.

قلت: لعله دخوله عليهم وهم في مجلس الدرس، ينتظرونه فضحكهم حينئذ ازدراء بالعلم، فهم مستحقون للدعاء والله تعالى أعلم.

ذكر وفاته رحمه الله تعالى

قال: توفي جَبَلَةُ بن حَمُود يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من صفر سنة تسع⁽¹⁾ وتسعين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة، وصلى عليه أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون في مصلى العيد.

قلت: زاد التجيبي: وكثر الناس في جنازته.

قال: وَدُفِنَ بِبَابِ سَلَمٍ، مُتَّصِلًا بِقَبْرِ الْبُهْلُولِ بن راشد من الشرق.

قلت: ووقف حمديس القطان على قبره صبيحةً موته فقال له رجل: لقد دفن بجوار هذا الرجل الصالح يعني البُهْلُولِ بن راشد نفع الله به فقال له القطان: لعل البُهْلُولِ انتفع بأبي يوسف وقبره مَزَارٌ يَعْرِفُهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ كَالْبُهْلُولِ وأخبرت منذ نحو من أربعين سنة أن قبر جَبَلَةَ كان وَهَى وَبَنَاهُ عَمِّي خَلِيفَةُ ابْنِ نَاجِي، فهو بينائه إلى اليوم رحمه الله تعالى.

153 - ومنهم أبو عبد الرحمن بكر⁽²⁾ بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي⁽³⁾ رحمه الله تعالى:

قال: سمع من سَحْنُونِ بن سعيد، وعون بن يوسف، ثم رحل إلى البصرة سنة

(1) في ت و ط: سبع. التصويب: من الديباج، وشجرة النور.

(2) ترجم له في الرياض: 21/2 - 26، البيان المغرب 1/ 153 - 154 [حوادث 296]، طبقات أبي العرب ذكر في (13) موضعاً.

(3) التاهرتي: نسبة إلى تاهرت مدينة مشهورة من مدن الغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان. راجع الروض المعطار ص: 126.

سبع عشرة ومائتين، فلقي بها مُسَدَّد بن مُسْرَهْد وعمرو بن مرزوق، وجماعة من العلماء.

قلت: ولقي أيضاً ابن الأعرابي، والرياشي، وأبا حاتم السَّجِسْتَانِي، ولقي من الشعراء في ذلك الوقت دِعْبَلًا، وَحَبِيْبًا، وَصَرِيْفًا، وَعَلِيًّا ابن الجَهْم وغيرهم.
قال: أخذ عنه قاسم بن أصبغ وغيره. وكان ثقة عالماً بالحديث ورجاله، شاعراً فصيحاً.

قلت: مثله ذكره التَّجِيبِي. وقال غيرهما: كان فقيهاً فاضلاً جليلاً عالماً بالحديث وتمييز الرجال، ثقة مأموناً ثبتاً صدوقاً إماماً حافظاً، وشاعراً مفلحاً.
قال: ثم رحل إلى القيروان فأقام بها إلى أن سافر إلى تَاهَرْت سنة خمس وتسعين ومائتين ومات بها سنة ست وتسعين.

قلت: هذا فيه بترٌ من وجهين أحدهما: ما سبب رجوعه إلى بلده؟ هل هو باختياره أم لا؟ فقال المالكي: سَعِيَ به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير فخرج هارباً من القيروان يريد بلده⁽¹⁾ فلما سار بِسَبَاطَةَ⁽²⁾ خرج عليه قَطَّاعُ الطَّرِيقِ فَقَتِلَ وَلَدُهُ عبد الرحمن، وجرح بكر جراحات فما زال في بطنه فَتَقَّ إلى أن مات⁽³⁾.

الثاني: أنه مات وهو ابن ست وتسعين سنة وصلى عليه موسى بن البادسي الفقيه.

قال: قال أبو العرب بن تميم: بلغني أنه لما دخل عليه وهو في الموت ولم يستطع القيام فقال:

أحبو إلى الموتِ كما يَحْبُو الجَمَلُ قد جاءني ما ليس لي فيه حِيلُ

قال: وكان بَكْرٌ هذا يقول كثيراً من الشعر في الزهد والمواعظ وذكر الموت وهوله. فمن ذلك ما رواه عنه أبو بكر بن اللَّبَّاد قال: دخلت على بَكْرٍ بن حَمَّاد فقال لي: اكتب فأملئ عَليَّ لِنَفْسِي:

زُرْنَا مَنَازِلَ قَوْمٍ لَا⁽⁴⁾ يَزُورُونَا إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا يَقَاشُونَا

(1) في الرياض: تاهرت بلده 21/2.

(2) سَبَاطَةُ: مكان رمي الأربال.

(3) الخبر في الرياض: 21/2.

(4) في الرياض: لن 23/2.

لو ينطقون لقالوا: الزاد ويحكم
الموتُ أصبح⁽²⁾ بالدنيا يخربها
فالآن فابكوا فقد حَقَّ البكاء لكم
ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها

قال أبو بكر المالكي ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى:

قِفْ بالقبور فنادِ⁽⁴⁾ الهامدين بها
قومٌ تقطعت الأسباب بينهم
راحوا جميعاً على الأقدام وابتكروا
والله والله لو ردوا ولو نطقوا
فبرز القوم وامتدت عساكرهم
ما بالقلوب حياة بعد⁽⁵⁾ غفلتها
أين البقاء وهذا الموت يطلُبنا
بيننا ترى المرء في لهو وفي لعب
هذا أبو بكر⁽⁶⁾ دنياه مُنْقَصَةٌ
فكلنا واقف منها على سفر
في كل يوم نرى نعشاً نُشِيعُهُ
الموتُ يهدم ما تبنيه من فرح

من أعظم بليت فيها وأجساد
من الوصال وصاروا تحت أطواد
فلن يروحووا ولن يغدو لهم غادي
إذا لقالوا: التقي من أفضل الزاد
كيما يوافقوا لميقات وميعاد
والله سبحانه منها بمرصاد
هيهات هيهات يا بكر بن حماد
حتى تراه على نعش وأعواد
فيها حزازات أحشاء وأكباد
وكلنا ظاعن يحدو به الحادي
فرائح فارق الأحاب أو غادي
فما انتظارك يا بكر بن حماد

154 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي رحمه الله تعالى:

قال: كان من أهل القيروان، وأصله من سوس المغرب إلا أنه أوطن
القيروان، وكان أحد الأوتاد، مُتَجَرِّداً من الدنيا زاهداً فيها دائم الأسفار على
التجريد والتوكل، رحل إلى المشرق فصحبته علي بن رزين، وكان كثير الورع، روي

(1) في ت و ط: جدوا. التصويب من: الرياض 23 / 2.

(2) في الرياض: أجحف بالدنيا فخر بها 23 / 2.

(3) في الرياض: كنز. وهو الصواب لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ [القصر: 76].

(4) في ت و ط: فنادي. (5) في الرياض: عند 25 / 2.

(6) في الرياض: أبا مالك دنيا 25 / 2.

أنه لم يأكل مما وصلت إليه أيدي بني آدم سنين كثيرة، كان يتناول أصول الحشيش أشياء تعود أكلها، وكان يكون محرماً، فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانياً. لم يتسخ له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر، وكان يقول: يحتاج الفقير إذا سافر إلى أربعة أشياء: علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يونسه. وقال: أعظم الناس ذلاً، فقير داهن ذا غنى، أو تواضع له، وأعظم الناس عزاً غني تذل للفقراء أو حفظ حرماتهم. وسئل عن الزهد فقال: تجريد القلب، ونزع النفس بالانصراف سراً وجهرًا.

[دعاء لطيف]

وكان ينادى إذا جن الليل ويقول: اللهم إنني أسألك بيد أضرعتها إليك ذلة الافتقار أن توصلني بفضلك إلى عز كل كرامة، فأنا في خناق وحشتك مأسور، أنتظر ما يرد علي من فضلك، ورحمتك يا أرحم الراحمين. وكان يقول: أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات، وهو أستاذ إبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان، قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الديناري قال: حدثنا إبراهيم بن شيبان قال: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: «تقع في كل مائة سنة فترة وتموت الحكماء والعلماء ثم يبعث الله في هذه الأمة على عدد الأنبياء قوماً فيذكرونهم ويردونهم إلى الحق وهم أبناء الزمان». وقال إبراهيم بن شيبان: صحبت أبا عبد الله المغربي ثلاثين سنة فدخلت عليه يوماً وهو يأكل فقال: أدن فكل. فقلت له: إني صحبتك منذ ثلاثين سنة لم تدعني إلى طعامك إلا اليوم. فقال: لأن النبي ﷺ قال: «لَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»⁽¹⁾ ولم يتبين لي ثقاك إلا اليوم، توفي أبو عبد الله المغربي بالطور سنة: تسع وتسعين ومائتين وقد عمر مائة وعشرين سنة ودُفن إلى جانب أستاذه علي بن رزين. وقال إبراهيم بن شيبان: كان علي بن رزين قد أتى عليه أيضاً مائة وعشرون سنة مثل عمر تلميذه وكان قد صحب الحسن البصري، وكان أبو عبد الله قد أراني قبر علي بن رزين وقال: ادفني بجنبه،

(1) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، حديث (2395) ص: 540. من رواية أبي سعيد الخدري بلفظ: «لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه».

فدفنته بجنبه وجلست بين القبرين سنين فكانت فائدتي منه بعد وفاته أكثر من فائدتي في وقت حياته كنت أسأله في النوم عن مسائل، فيجيبني فرأيتُه ليلةً في المنام فقال لي: ارجع إلى بلدك، فإنك تتزوج ويكون لك أولاد، فرجعت إلى قرميسين⁽¹⁾ وتزوجت وولد لي كما قال.

155 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي داود أحمد بن أبي موسى بن حريز الأزدي العطار رحمه الله تعالى:

قال: سمع من ولده أبي داود ومحمد بن سحنون.

قلت: وسمع أيضاً من محمد بن يحيى بن سلام.

قال: أخذ عنه الناس، وكان فقيهاً عالماً ثقة من أهل العدالة عند القضاة والحكام.

قلت: قال أبو عبد الله بن حرب الأندلسي: كان بيت أبي داود العطار أحد بيوتات العلم بالقيروان، وكان جدُّه موسى بن حريز مولده سنة خمس وخمسين ومائة، فنشأ طالباً للعلم وسمع من علماء ذلك الزمان، ثم ولد له أحمد أبو داود سنة ثلاث وثمانين، فنشأ في طلب العلم، وسمع من أكابر الرجال كسحنون بن سعيد، ثم ولد لأحمد محمد هذا فأقامت لهم الرئاسة وسُوِّدِدِ العلم نحو مائة وثمانين سنة.

قلت: وتقدم التعريف بوالده أبي داود.

قال: وتوفي أبو عبد الله محمد يوم الجمعة التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة.

قلت: وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

قال: ودفن بباب سلم وقبره معروف.

[تاريخ بناء المهديّة سنة ثلاثمائة]

قلت: وقال التُّجِيبِي: وفي هذا الوقت ابتدئ في بناء المهديّة.

(1) في القاموس ما نصه: قرميسين بكسر القاف بلد قرب الدينور.

156 - ومنهم أبو جعفر محمد بن محمد بن خَيْرُون المَعَاْفِرِي (1) الأندلسي الفَرَضِي (2) الشهيد رحمه الله تعالى :

قال: رحل إلى العراق وسمع به من محمد بن نصر صاحب يحيى بن معين، وصاحب علي المدني ثم عاد إلى القيروان.

قلت: قال المالكي: وأدخل بعض كتاب داود القيروان.

قال: واستوطن القيروان إلى أن مات بها شهيداً ومسجده بها مشهوراً وكان فقيهاً صالحاً عابداً من خيار المسلمين وكان سبب قتله أنه سعى به القاضي محمد بن عمر المروزي قاضي الشيعة إلى عبيدالله المهدي فأمر الحسين بن أبي خنزير بقتله فعذبه إلى أن مات. حكى الشيخ أبو الحسن القاسبي رحمه الله تعالى قال: أخبرني من أثق به أنه كان جالساً عند ابن أبي خنزير إذ دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة، وقد علا اضْفِرَارًا، مع حُسْنِ سَمْتٍ وخشوع، فلما رآه ابن أبي خنزير بكى فقال له: ما الذي يُبكيك (3)؟ قال السلطان يعني عبيد الله: وَجَّهَ إِلَيَّ بِأَمْرِي بَدْرَسٍ (4) هذا الشيخ حتى يموت، يعني ابن خيرون ثم أمر به فأدخل إلى مجلس، وبطح على ظهره وطلع السودان فوق سرير فقفزوا عليه بِأَرْجُلِهِمْ حتى مات، وذلك من أجل جهاده على دين الله تعالى وبغضه لبني عبيد.

قلت: قال المالكي: ولما مات أخذوه وَحَمَلُوهُ عَلَى بَعْلِ وَأَلْقَوْهُ فِي حَفِيرٍ ونهب ابن أبي خنزير ماله وأخذ مولدة كانت له، وجعلها مع خَدَمِهِ (5).

قال: وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثمائة وقبره الآن ظاهر بباب سلم فلم يمر بعد إلا أشهر حتى أخذ عبيد الله القاضي المروزي وَسَجَّنَهُ ثُمَّ عُذِّبَ حَتَّى مَاتَ، وكانت هنالك جاريته وكانت تقول: هذا الذي قتل سيدي ابن خيرون وتزيد في عذابه وقد خاب من حمل ظلماً.

قلت: كلامه فيه بتر من وجوه.

أحدها: أنه لم يبين من كان السبب فيه عند عبيد الله حتى أخذه.

(1) ترجم له في الرياض: 2/ 52 - 56، طبقات الحُشْنِي ص: 229، 302، البيان المعرب: 1/ 169 [حوادث 300].

(2) في الرياض: القرطبي 2/ 52. (3) في الرياض: أبكاك 2/ 53.

(4) في الرياض: بدوس 2/ 53. (5) الخبر في الرياض 2/ 53 - 54.

الثاني: لم يبين بماذا عذب.

الثالث: هل كان القاضي شيعياً في اعتقاده أم لا؟ وبينها المالكي فقال: لما طال على ابن أبي خنزير كثرة من يأتي به المروزي من العلماء والصالحين ليقتلهم سعى به عند عبید الله، ومضى به إلى المهديّة، فقبل عبید الله قوله ومكنه منه، فأخذه وَأَلْبَسَهُ مَلْبَساً وَرَمَاهُ فِي إِصْطِطْبَلِ الدَّوَابِّ تَمْشِي عَلَيْهِ فَرَكَّضَتْ فِي بَطْنِهِ حَتَّى قَتَلْتَهُ فَكَانَتْ تِلْكَ الْمُؤَلَّدَةَ الَّتِي كَانَتْ لِابْنِ خَيْرُونِ تَأْتِيهِ وَهُوَ تَحْتَ أَرْجُلِ الدَّوَابِّ فَيَقُولُ لَهَا: إِنَّكَ بِسَبَبِي صَرْتَ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَتَقُولُ لَهُ: يَا شَيْخَ السُّوءِ قَتَلْتَ سَيِّدِي ابْنَ خَيْرُونِ شَيْخَ الْقَيْرَوَانِ وَأَزَلْتَنِي مِنْ عِنْدِهِ وَرَدَدْتَنِي عِنْدَ خَنْزِيرِ ابْنِ خَنْزِيرٍ، وَتَأْمَرَ خَدْمَهَا فَيَلْطَمُونَهُ وَيَعْطُونَهُ قَدْرَهُ. وَكَانَتْ هِيَ الْمُتَوَلِيَّةُ لِعَذَابِهِ حَتَّى هَلِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى. قِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا ضَرَبَهُ أَلْفَ سَوْطٍ، وَعَذَّبَهُ قَالَ لَهُ: هَاتِ الْأَمْوَالَ الَّتِي جَمَعْتَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ تَحْتَ قَدَمِي جُبًّا مَمْلُوءًا بِمَالِ الدُّنْيَا كُلِّهَا مَا أَخْرَجْتُ لَكُمْ مِنْهُ دَرْهَمًا، وَإِنِّي قَدْ عَصَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِيكُمْ فَسَلَّطَكُمْ عَلَيَّ، فَاضْرِبْ مَا شِئْتَ وَعَذِّبْ كَيْفَ شِئْتَ. وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَرْوُزِيِّ هَذَا مُعْتَقِدًا لِمَذْهَبِ الشَّيْعَةِ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ فَلَمَّا دَخَلَ الشَّيْعِي لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى بَادَرَ إِلَيْهِ، وَدَخَلَ فِي دَعْوَتِهِ وَلِزَمَهُ وَوَلَّاهُ قِضَاءَ إِفْرِيْقِيَّةٍ فَتَصَلَّبَ وَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ صَعْبَةً جِدًّا، وَأَخَافُ أَهْلَ السُّنَّةِ، ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْعِي إِلَى سَجْلَمَاسَةَ وَاسْتَخْلَفَ فِي مَكَانِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ، فَأَطْلَقَ يَدَ الْمَرْوُزِيِّ، وَقَوَى أَمْرَهُ؛ فَأَخَذَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِطَرِيقَةِ قَاضِي طَرَابَلُسَ وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ، وَأَبَا الْقَاسِمِ الطُّوزِيِّ قَاضِي صَقْلِيَّةِ، وَالْمَحْتَسِبِ بِمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ فَضَرَبَهُمْ، وَقَتَلَ ابْنَ هَذِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْبِرْدَوَانَ، وَأَوَّلَ مَا وَلِيَ زَادَ فِي الْأَذَانِ حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَتَرَكَ النَّاسَ يُصَلُّونَ رَمَضَانَ سَنَةً وَاحِدَةً ثُمَّ مَنَعَهُمْ، وَتَرَكَ أَكْثَرَ النَّاسِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَأَخَذَ أَمْوَالَ الْأَحْبَاسِ وَالْحَصُونِ، وَأَخَذَ السَّلَاحَ الَّذِي فِي الْحُصُونِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ، وَأَمَرَ الْفُقَهَاءَ أَنْ لَا يَكْتُبُوا وَثِيقَةً، وَلَا يُفْتُوا إِلَّا مِنْ سَرَقٍ وَكَفَرٍ، وَأَمَرَ أَنْ تُزَالَ مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَسَاجِدِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ بَنَوْهَا، وَأَمَرَ بِهَا السَّلَاطِينَ، وَيَكْتُبُ اسْمَ الْمَهْدِيِّ.

قلت: وقبر ابن خيرون مزارٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ اسْمُهُ وَاسْمُ أَبِيهِ، وَمَا ضَرَبَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا جَرَى، كَأَنَّهَا سِنَةٌ كَرَى، ثُمَّ شَاعَتْ مَدَائِحُهُ كَمَا تَرَى، إِنَّمَا يَضْبِرُ مِنْ فَهْمِ الْعَوَاقِبِ وَدَرَى، وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَدْوَهُ الْقَاضِي الْمَرْوُزِي الَّذِي سَعَى عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ فِعْلِهِ بِالشَّيْخِ بِأَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ عَفْسُهُ بِأَرْجُلِ الْبِهَائِمِ مَعَ مَا عَذَّبَ بِهِ

بغير ذلك وجزى الله مشيخة القيروان خيراً، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون، ولو فرّوا لكفرت العامة دفعة واحدة.

157 - ومنهم أبو سليمان ربيع بن عبد الله القيرواني الصوفي⁽¹⁾ رحمه الله تعالى :

قال: كان من أهل الصدق والتخلي والانقطاع إلى الله عز وجل، كثير السياحة والتغرب عن الأوطان، سكن جبل اللكام⁽²⁾ بالشام، وصحب الأبدال. قال أبو سليمان: سلكت بادية تبوك فاستوحشت فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان، نقضت العهد لم تستوحش أليس حبيبك معك؟ وقيل لأبي سليمان: يا سيد الوقت لم لا تتكلم على إخوانك؟ قال: لأنهم في سفر الوحشة وذكر الحق بينهم غيبة وحكى أبو عبد الله الهمداني الزاهد قال: قال أبو سليمان: مرضت مرضة فاشتبهت الرمان، فضب لي فلم يقدر عليه، فخرجت إلى البحر فاتكيت واستقبلت القبلة ووليت البحر بظهري، فأتاني آت بسبع رمانات فوضعهن في حجري وقال لي: كل هذه ولا تطعم أحداً منها شيئاً، وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا الحسين بن أحمد يقول: سمعت أبا سليمان المغربي يقول: ركبت يوماً على حماري فضربتته على رأسه فقال: أضربتته يا أبا سليمان، فإنما على دماغك تضرب. قال أبو الحسين: فقلت له بلسان فصيح فقال: كما تكلمني وأكلمك.

قلت: إما لكونه ضربته بما لا يستحقه، وإما لكونه ضربه في غير محل الضرب المعتاد، وهذا هو اللائق به رحمه الله تعالى.

قال: وقال أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية أبو سليمان من مشايخ المغرب، من أقران أبي الخير [التيناتي]⁽³⁾ ومات بدمشق رحمه الله تعالى. قال

(1) ترجم له في الرياض: 198/1 - 199.

(2) في القاموس، جبل اللكام كغراب ورمان.

(3) في ط: التيناتي، التصويب من: الرسالة القشيرية ص: 394، وطبقات الصوفية ص: 280، والطبقات الكبرى للشعراني ص: 109، والروض المعطار ص: 147 وهو: أبو الخير لأقطع أصله من المغرب، سكن التينات، وله آيات وكرامات وكان كبير الشأن توفي سنة 340هـ. ترجم له في المصادر التالية: طبقات الصوفية للسلمي ص: 280 - 282، الرسالة القشيرية ص: 394، الطبقات الكبرى للشعراني 109/1، الرياض 439/2، والروض المعطار ص: 147 مادة: «التينات».

والتينات: مدينة بالشام، الروض المعطار ص: 147.

الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى: شُهْرَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيِّ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ، وَأَبِي عُقَالِ بْنِ غَلْبُونٍ وَأَبِي الْغَصَنِ الْخَادِمِ بِالْمَشْرِقِ أَكْثَرَ مِنْ شُهْرَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ لِمَوْتِهِمْ هُنَاكَ.

قلت: لم يذكر تاريخ وفاته، وعرف به بإثر أبي عبد الله المغربي وهو أنسق، ولكنني أنسيت ذكره بفورته فتسامحت في ذكره هنا لعدم ثبوت تاريخ وفاته.

158 - ومنهم أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد⁽¹⁾ رحمه الله تعالى:

وَالْحَدَّادُ جَدُّهُ لِأُمِّهِ، وَعَوَامُّ الْقَيْرَوَانَ عِنْدَنَا يَقُولُونَ: سَعِيدُ الْحَدَّادِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْحَدَّادُ؛ لِجِدَّةِ ذِهْنِهِ، وَهُوَ وَهْمٌ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْحَدَّادِ. وَالْمُرَادُ مَا تَقْدَمُ.

قال: سمع من سحنون.

قلت: ثم نزع أخيراً إلى مذهب الشافعي من غير تقليد له. بل كثيراً ما يخالفه وكان يُسَمَّى الْمَدَوْنَةَ الْمُدَوَّدَةَ، وَنَقَّصَ بَعْضَ مِنْ نَقَّصَ، فَرَفَضَهُ أَصْحَابُ سَحْنُونٍ وَهَجَرُوهُ وَأَغْرَوْا بِهِ ابْنَ طَالِبِ الْقَاضِي، فَهَمَّ بِهِ ثُمَّ نَشَأَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ طَالِبِ صُحْبَةٍ، فَكَانَ لَهُ عَلَى بَرٍّ، وَبَقِيَ مَهْجُورَ الْبَابِ، قَلِيلَ الْأَصْحَابِ، إِلَى أَنْ نَظَرَ أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ وَكَلَامَ الشَّيْخِ يُوهِمُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ شَيْوْخِ إِفْرِيْقِيَّةٍ؛ كَأَبِي سَنَانَ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْكُوفِيِّ بَطْرَابِلِسَ وَغَيْرِهِمَا؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ رِحْلَةٌ وَلَا حَجٌّ، لِأَنَّهُ كَانَ مُقْبِلًا، وَإِنَّمَا اشْتَهَرَ وَتَمَوَّلَ بَعْدَ الشَّيْخُوخَةِ وَالزَّمَانَةِ. وَسَمِعَ مِنْهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو الْعَرَبِ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى التَّمَّارِ.

قال: وله تأليف منها: كتاب «إيضاح المُشْكِلِ» وكتاب «المقالات» ردّ فيه على أهل المذاهب أجمعين، وكتاب «الاستيعاب» وكتاب «الأمالي» وكتاب «عصمة النبيين» وكتاب «العبادة الكبرى والصغرى» وكتاب «الاستواء» إلى كتب كثيرة.

(1) ترجم له في الرياض: 57/2 - 115، طبقات الخشني ص: 201 - 205 رقم 21، ص: 257 رقم 115، البيان المغرب 1/ 172 [وفيات 302هـ]، ترتيب المدارك وذكر في طبقات أبي العرب (36 مرة).

ذكر ثناء العلماء عليه

قال: كان فقيهاً صالحاً فصيحاً متعبداً وأحد رجال زمانه في المناظرة، والرد على الفرق مُقَدِّماً في ذلك ثقة كثير الخشوع لم يُرَّ أسرع منه دمعة.

قلت: وقال المالكي: «كان سعيد بن الحداد عابداً زاهداً ورعاً مُجَابِ الدَعْوَةِ، وكان حَسَنَ اللَّبَاسِ، جَمِيلَ الرَّيِّ، مُبَالِغاً في ذلك، ثَقُومٌ كِسُوتِهِ بعشرين ديناراً»⁽¹⁾ وقال ابن حارث: «كان مذهبُ أبي عثمان؛ المُنَاطِرَةُ وفهم القرآن، والمعرفة بمعانيه»⁽²⁾. أخبرني بعض أصحابه أنه سَمِعَهُ يقول: ما حرف من القرآن إلا وأعددت له جواباً ولكن لم أجد له سائلاً. «وكان»⁽³⁾ نافذاً في النحو عَرَبِيَّ اللِّسَانِ جَهِيرَ الصَّوْتِ، إِذَا لَحَنَ في كَلَامِهِ»⁽⁴⁾ قال: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ثم يكرر الكلام مُعَرَّباً وَإِذَا تَكَفَّفَ الشَّعْرَ أَجَادَ»⁽⁵⁾.

ذكر مكانه من العلم

قال ابن حارث: «ألَّفَ الشَّيْخُ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَادِ تَأْلِيفاً رَدَّ بِهِ عَلَى الشَّافِعِيِّ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُزْنِيِّ، وَابْنُ أَبِي سَعِيدٍ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَى الْمُزْنِيِّ رَأَى وَسَكَتَ فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ يَحْرَكُهُ فِي جَوَابِهِ وَالْمُزْنِيُّ يُعْرَضُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ رَمَى إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ، وَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَفَقْرَاتُهُ وَسَكَتٌ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيَتَكَلَّمْ»⁽⁶⁾. وقال المالكي: كان سعيد بن الحداد مُعَظِّماً لِمَالِكٍ، وَيُسَيِّئُ الرَّأْيَ فِي أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: تَذَكَّرْتُ بِقَلْبِي مَسَائِلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ، رَكِبَ فِيهَا الْمَحَالِ اضْطِرَّاراً نَحْواً مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ مَسْأَلَةٍ. قال [محمد بن مسرور النجار]⁽⁷⁾: جَلَسْتُ يَوْمًا

(1) ورد هذا الكلام بصيغة أخرى في الرياض 2/ 65.

(2) الوارد عند ابن الحارث الخشني في طبقات قوله: «وكان مذقبة»: «النظر والقياس والاجتهاد...» ص: 202.

(3) في طبقات الخشني: «كان عالماً باللغة» ص: 202.

(4) في طبقات الخشني: «نقطة» ص: 202. (5) في طبقات الخشني: أجاده ص: 202.

(6) انظر طبقات الخشني ص: 204.

(7) فراغ في الأصل الزيادة من الرياض 2/ 66 «محمد بن مسرور النجار لم يكن مذهبه جمع كتب، ولا سماعاً من شيخ، وإنما كان مذهبه الدرس والحفظ والمناظرة» توفي بتونس سنة 328هـ. ترجم له في طبقات الخشني ص: 232.

عند ابن الحداد فسأله عن مسألة مُقْفَلَة من كلام أشهب⁽¹⁾ فبدأ بتنزيلها، والنظر فيها شيئاً فشيئاً حتى بلغ فيها ما بلغ أشهب فقلت له: يا أبا عثمان كذا قال فيها أشهب فقال لي: لَعَلَّ أَشْهَبَ مَا وَضَعَهَا حَتَّى تَدَبَّرَهَا أَيَّاماً وَنَظَرَ فِيهَا حِيناً⁽²⁾. وتكلم يوماً في مسألة فقيل له: إن داود قال فيها كذا، فقال: لو كان نومي كيقظة داود ما تكلمت في العلم.

ذِكْرُ أَخْبَارِهِ فِي مَنَازِرَتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

قال: كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة، وله في ذلك مقامات مشهورة، وأثار محمودة، ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب، حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة، وذلك أن بني عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد، وجبروا الناس على مذهبهم بطريق المناظرة وإقامة الحجّة، وقتلوا رجُلَيْنِ من أصحاب سحنون، فارتاع أهل البلد من ذلك ولجؤوا إلى أبي سعيد وسألوه التقيّة فأبى من التقيّة. وقال: قد أربيت على السعير وما لي في العيش من حاجة، وقتل الخوارج خير قتل، ولا بد لي من المناظرة والمناضلة عن الدين، وأن أبلغ في ذلك عُذْراً ففعل ذلك وصدق. وكان هو المُعْتَمَدُ عليه في مناظرة الشيعي. روى أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن التبان رحمه الله قال: لما اجتمع أبو عثمان سعيد بن الحداد بأبي عبد الله الشيعي في مجلس المناظرة قال له أبو عبد الله: أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم، يعني بأصحاب الكساء محمداً ﷺ تسليماً والحسن والحسين وعلياً، وفاطمة ويعني بغيرهم أبا بكر، فقال أبو عثمان: أيما أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل؟ أو اثنين الله ثالثهما؟ فبهت الشيعي.

قلت: هذه المناظرة ذكرها التّجيبّي. قال: سَمِعْتُ أبا محمد بن التّبان يقول ذلك.

(1) المراد به أشهب بن عبد العزيز بن داود من أهل مصر ومن أصحاب مالك، وأشهب لقب، قال الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب توفي بمصر سنة 204 بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً. ترجم له في الديباج ص: 162.

(2) انظر الرياض: 66 / 2.

قال: روي أنه لما اجتمع مع الشيعي برقادة في قصر بني الأغلب قرأ الشيعي:
﴿فَإِنَّكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصاص: 58]
وتلى أبو عثمان: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: 45]. قلت: قال المالكي: قال
أبو بكر بن اللباد ووجه له مرة عبيد الله فذكر له حديث: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ
مَوْلَاهُ»⁽¹⁾. وقال: «ما بال الناس لا يكونون عبيداً لنا» فقال ابن الحداد: لم يرد
بولاية رِق وإنما أراد ولاية الدين ونزع بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: 79، 80]. فما لم يجعله الله
عز وجل لنبي لم يجعله لغير نبي، وعليّ لم يكن نبياً إنما كان وزيراً للنبي ﷺ تسليماً.
فضربه وعهد الله بكم المجلس على لسان البغدادي عنه⁽²⁾. ويحكى أن أبا عبد الله
الشيعي قال له يوماً: إن القرآن يقول: إن محمداً ليس بخاتم النبيين فقال له: وأين ذلك
قال في قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40] وخاتم النبيين غير
رسول الله فقال له [سعيد]⁽³⁾: هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من
واوات العطف كقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3]
فهل أحدٌ يوصف بهذه الصفات غير الله⁽⁴⁾؟ وأرسل عبد الله بن عمر
المروزي في طلب العلماء مدينتهم وعراقهم فقال: إني أمرت أن أناظركم في قيام
رمضان، فإن وجبت لكم حجة رجعنا إليكم، وإن وجبت لنا رجعتنا إلينا. قال أبو
عثمان: فقلت له: ما نحتاج إلى المناظرة. فقال لي: لا بد منها. فقلت له: شأنك
وما تريد. فقال: ألسنتم تعلمون وترؤون أن النبي ﷺ تسليماً لم يقم⁽⁵⁾ إلا ليلة ثم

(1) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه
حديث (3713) ص: 842 وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» من رواية أبي سريحة
أوزيد بن أرقم شك شعبة. وقد صححه الألباني في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم
(1750) 4/330 ط II س 1404 المكتبة الإسلامية الأردن، الدار السلفية الكويت.

(2) راجع الخبر في الرياض: 60/2. (3) ما بين المعقوفتين زيادة من الرياض.

(4) الرياض: 62/2.

(5) لم يثبت عن النبي ﷺ أنه قام إلا ليلة ثم قطع. بل القيام ورد فيه عدة أحاديث أخرجهما
البخاري في صحيحه منها: رواية أبي هريرة رضي الله عنه من طريق مالك عن ابن شهاب =

قطع؟ وأن عمر بن الخطاب هو الذي استنَّ القيامَ. وقد جاء في الحديث الذي تروونه وتروونه: «إِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»⁽¹⁾. فقلت له: هذه البدعة من البدع⁽²⁾ التي يَرْضَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ويذم من تركها. فقال: وأين تجد في كتاب الله عز وجل؟ قلت: في قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27]. فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانية، لئلا يذمنا الله عز وجل كما ذمهم. فقال: «مَنْ صَلَّى الْقِيَامَ ضَرَبْتُ عُقْبَهُ». فقلت له: قد قلت لك هذا أو لا ما تحتاج إلى المناظرة، فلم تقبل.

قلت: يريد أنه عليه السلام إنما لم يتماد على القيام لئلاً يُفْتَرَضَ على أمته ويموته أمن من ذلك. فأقامه عمر للأمن من ذلك. قال المالكي وقال له أبو عبد الله الشيعي: من أين قلتم بالقياس؟ فقال له أبو سعيد: قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل. قال: فأين تجد ذلك؟ قلت: قال الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95]. فالصَّيْدُ مَعْلُومَةٌ عَيْنُهُ، والجزاء الَّذِي أَمَرْنَا أَنْ نَمِثْلَهُ بِالصَّيْدِ.

= الزُّهْرِي عن حميد بن عبد الرحمن «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان حديث (37) ص: 29، وانظره أيضاً من طريق يحيى بن سعيد حديث (38)، ومن طريق الليث عن عقيل عن ابن شهاب بلفظ: «من قامه...» حديث (2008) كتاب التراويح: باب فضل من قام رمضان، وحديث (2009) من طريق مالك عن ابن شهاب كذا روي بلفظ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، حديث (1901) من رواية أبي هريرة.

(1) أخرج مسلم في صحيحه من رواية جابر بلفظ «... وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث 43 - (867) ص: 460، روى رواية العرباض بن سارية عند الإمام أبي داود في السنن، كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث (4607) 2/ 397 - 398، وابن ماجه في المقدمة حديث (42) 1/ 15 - 16.

(2) الوارد في هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه من رواية عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِنِهِمْ، قال عمر: نِعَمَ الْبَدْعَةُ هَذِهِ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله». كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان حديث (2010).

المعلوم ليس بمنصوص فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنَّمَا أَمَرْنَا أَنْ نَمِثْلَ مَا لَمْ يَنْصُرْ ذَكَرَ عَيْنَهُ بِالْقِيَاسِ وَالْاجْتِهَادِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: 95]، فلم يَكَلِّهُ إِلَى حَاكِمٍ وَاحِدٍ حَتَّى جَعَلَهُمَا اثْنَيْنِ لِيُقَيِّسَا وَيَجْتَهِدَا. ثُمَّ عَطَفَ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَطَّانِ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ وَجَدْتُمْ حَدَّ الْخَمْرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَسْلِيمًا: «مَنْ شَرِبَهَا فَاضْرِبُوهُ بِالْأُرْدِيَةِ ثُمَّ إِنْ عَادَ فَاضْرِبُوهُ بِالْأَيْدِي ثُمَّ إِنْ عَادَ فَاضْرِبُوهُ بِالْجَرِيدِ» فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى النُّكْيَرِ مِنْهُ: إِيشَ هَذَا أَقُولُ لَكُمْ أَيْنَ وَجَدْتُمْ حَدَّ الْخَمْرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَقُولُ اضْرِبُوهُ بِالْأُرْدِيَةِ ثُمَّ بِالْأَيْدِي ثُمَّ بِالْجَرِيدِ؟ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا أَخَذَ قِيَاسًا عَلَى حَدِّ الْقَازِفِ لِأَنَّهُ إِذَا شَرِبَ سَكْرًا، وَإِذَا سَكَّرَ هَذِي، وَإِذَا هَذِي أَفْتَرَى، فَوَجِبَ عَلَيْهِ مَا يُؤْوِلُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ حَدُّ الْقَذْفِ. فَقَالَ لِمُوسَى الْقَطَّانِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَسْلِيمًا: «وَأَقْضَاكُمْ عَلَيَّ» فَجَعَلَ مُوسَى يَقْصُصُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ: «وَأَعْلَمَكُمْ بِحِلَالِ اللَّهِ وَحُرَامِهِ مَعَاذَ وَأَرْحَمَكُم بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدَّكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمْرًا» فَقَالَ لَهُ الشَّيْعِيُّ: فَكَيْفَ يَكُونُ أَشَدَّكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ هَرَبَ بِالرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ⁽¹⁾؟ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا وَلَا نَعْرِفُهُ. فَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ: تَحْيِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقَوْلِ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: 16] فَمَنْ تَحْيِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ بِفَارًّا، فَمَالُ بَوَاجِهِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اسْمَعُوا مَا قَالَ الشَّيْخُ، قَالَ: انْحَازْ إِلَى فِتْنَةٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ مُجِيبًا وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَكْبَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَأَنَّهُ تَخَافَتْ فِي كَلَامِهِ وَيُسْمَعُ مِنْ يَلِيهِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَثْمَانَ: وَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَخِيهِ،

(1) في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي: «يوم خيبر» 208/14 انظر مرجع الكتاب مؤسسة الرسالة ط9 بيروت السنة 1413 بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرفسوسي. فالخبر وارد بأتمه في سير أعلام النبلاء، كذا لفظة: خيبر وردت في طبقات الخشني ص: 259. انظر حديث: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَمْرًا، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاةَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحِلَالِ وَالْحُرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَبُهُمْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَيْبَةَ بْنِ الْجِرَاحِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، بَابِ مَنَاقِبِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَأَبِي عَيْبَةَ بْنِ الْجِرَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَدِيثُ (3790) ص: 856 وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو قَلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ، وَالْمَشْهُورُ حَدِيثُ أَبِي قَلَابَةَ، حَدِيثُ (3791) وَقَالَ فِيهِ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فأجلسني معه في مكانه وهو يقول لرجل ممن ينتسب إلى العراقيين: أليس العالم أفضل من المتعلم أبدأ؟ والعراقي يقول له: نعم، وكرر ذلك عليه وهو يقول له: نعم، قال أبو عثمان سعيد: فَفَهِمْتُ مُرَادَهُ، ومقصوده بذلك توكيد الطعن على أبي بكر رضي الله تعالى عنه في سُؤَالِهِ عَلِيًّا رضي الله تعالى عنه عن فرض الجَدَّة فقلت: إني أَسْمَعُ كَلَاماً يَجِبُ لَهِ عَلِيٍّ أَنْ لَا أَسْكُتَ. قال: وما ذاك؟ قلتُ له: المتعلم يكون أعلم من المعلم أبدأ ويكون أفضل منه، قال: وما دَلِيلُهُ؟ قلتُ: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقْهِهِ»⁽¹⁾. وآخر ما هو مُتَعَارَفٌ وهو أن المعلم يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانَ الْقُرْآنَ فلا يزال يعلمهم حتى يَكْبُرَ الصَّبِيُّ فيعطي الله عز وجل الصبي من الفهم بِعَامِّ الْقُرْآنِ وَخَاصِّهِ وَبِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ما لا يقدر المعلم على علمه أبدأ، فقال لي: أذكر من خَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَامِّهِ شيئاً. قلت: قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: 221]. يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ أَرَادَ بِهَا عَامًّا. فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 5] الآية علمنا بهذه الآية أن مُرَادَهُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى خَاصٌّ دُونَ عَامٍّ، أَرَادَ: وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ غَيْرَ الْكِتَابِيَّاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ قَالَ: وَمِنَ الْمُحْصَنَاتِ؟ قلت: العفاف، قال: المحصنات المتزوجات.

قلت: الإحصان في كلام العرب التي بلسانها نزل القرآن الإحراز، فكل من أحرز شيئاً فقد أَحْصَنَهُ فإلَيَّامان: الإحرازُ يُحْرِزُ دَمَ صَاحِبِهِ وَمَالَهُ وَبَنِيهِ وَهُوَ يَحْصِنُهُ وَالْعَتَقُ يُحْصِنُ الْمَمْلُوكَ، لِأَنَّهُ يُحْرِزُهُ عَنِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَمَالِكِ. وَالتَّزْوِيجُ يُحْصِنُ الْفَرْجَ لِأَنَّهُ أَحْرَزَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُبَاحاً مِثْلَ مَا كَانَ لَهُ قَبْلَ التَّزْوِيجِ، فَالْعِفَافُ إِحْصَانُ الْفَرْجِ لِأَنَّهَا أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا بِالْعِفَافِ.

قال: ما يكون الإحصان عندي إلا التزويج.

(1) الحديث أخرجه الترمذي في السنن، في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع حديث (2656) ص: 598، ولفظ الحديث: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ» من رواية أبان بن عثمان عن أبيه. وقال الترمذي حديث حسن. ومن رواية عبد الله بن مسعود عن أبيه حديث (2658) وهو صحيح.

قلت: مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ يَا بِي ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التَّحْرِيم: 12] يريدُ أَعْفَتْهُ. قَالَ: أَعْفَتْهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَعْفَتْهُ. وَقَالَ: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَلِّحَاتٍ﴾ [النِّسَاء: 25]. عَفَائِفُ غَيْرُ زَوَانٍ، قَالَ: فَقَدْ قَالَ فِي الْإِمَاءِ: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النِّسَاء: 25] فَكَيْفَ جَعَلَ الْعَذَابَ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ وَهُنَّ عِنْدَهُ قَدْ يَكُنَّ عَفَائِفَ.

قلت: سَمَاهُنَّ بِتَقْدِيمِ إِحْصَانِهِنَّ قَبْلَ زِنَاهُنَّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النِّسَاء: 12]. وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ بِالمَوْتِ⁽¹⁾. وَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَى السَّلَاطِينِ، وَلَا يَسِيرُ إِلَى الشَّيْعِيِّ حَتَّى يُوْجِهَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا بَعَثَ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: هُمُ أَوْلَاءُ عَلِيِّ أَثْرِي، وَتَكَلَّمْتُ مَعَهُ يَوْمًا فَغَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ رَحَلَ مِنْ كِتَابِهِ يَعْرِفُ بِأَبِي مُوسَى شَيْخَ الْمَشَايخِ وَقَامَ إِلَيْهِ بِالرُّمَحِ فَمَنَعَهُ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيَّ أَبِي عُثْمَانَ. وَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخَ لَا تَغْضِبْ أَتُدْرِي إِذَا غَضِبَ هَذَا الشَّيْخُ يَغْضِبُ لِعُضْبِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَيْفًا فَقَالَ لَهُ أَبُو عُثْمَانَ: وَلَكِنِّي أَنَا يَغْضِبُ لِعُضْبِي اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ الَّذِي أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ مُوسَى الْقَطَّانُ: لَوْ سَمِعْتُمْ سَعِيدَ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي تِلْكَ الْمَحَافِلِ يَعْنِي مَنَازِرَتَهُ لِلشَّيْعِيِّ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَهُ جَهَارَةُ الصُّوْتِ، وَفَخَامَةُ الْمَنْطِقِ، وَفَصَاحَةُ اللِّسَانِ، وَصَوَابَةُ الْمَعَانِي لَتَمْنَيْتُمْ أَنْ لَا يَسْكُتَ. وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْعِيَّ قَالَ لِلصَّقَلِيِّ: إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فَأَذِنْ لَهُمْ بِالِدَّخُولِ عَلَيَّ. فَلَمَّا جَاءَ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ أُذِنَ لَهُ فِي الدَّخُولِ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لِلصَّقَلِيِّ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فَأَذِنْ لَهُمْ؟ فَقَالَ لَهُ الصَّقَلِيُّ: هَذَا هُوَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَأَنَا فَعَلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّقَلِيُّ لَمَّا أَعْجَبَهُ مِنْ كَلَامِ سَعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَكَانَ الصَّقَلِيُّ مُسْلِمًا ثُمَّ قَتَلَهُ الشَّيْعِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَدْحِهِ سَعِيدًا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى: سَمِعْتُ سَعِيدًا سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَدْ خُوفَ بِشَيْءٍ فَقَالَ الثَّقَّةَ بِاللَّهِ لَمَنْ قَامَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَخُوفُهُ وَلَدُهُ بِمَبَايِنَتِهِ لِلشَّيْعِيِّ أَوْلَ دُخُولِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بَنِي، حَسْبِي مَنْ غَضِبَتْ لَهُ، وَعَنْ دِينِهِ ذَبِيتَ. وَقَالَ لَهُ الشَّيْعِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا شَيْخَ إِنَّكَ تُطِيلُ جِدًّا؟ فَقَالَ: هَا أَنَا أَطِيلُ. فَلَا يَفْهَمُ عَنِّي فَكَيْفَ لَوْ قَصَّرْتُ.

(1) هنا ينتهي كلام الرياض 2/90.

ذكر إجابة دعائه رضي الله عنه

قال الثَّجِيبِي: قال أبو محمد عبد الله بن التَّبَّان: عرض لأبي عثمان سعيد بَلْغَمَ أَمال وجهه، فقال: يا جارية ناوليني المِرْأَةَ، ونظرَ في وَجْهِهِ وَرَمَى بِالْمِرْأَةِ وَقَامَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَسَطَ بِهِ لِحْمِي وَدَمِي إِلَّا مَا رَدَدْتَ عَلَيَّ مَا عَوَّدْتَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ. ثُمَّ رَفَعَ الْمِرْأَةَ فَإِذَا وَجْهُهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَيْنَمَا أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدٌ جَالِسٌ فِي أُصْطُوَانَتِهِ، إِذْ مَرَّ بِهِ صَاحِبُ الْمَحْرَسِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ جُلَسَاؤُهُ وَزَالَ عَنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا مَرَّ إِلَى الْعَامِلِ لِيُخْبِرَهُ خَبْرَكَ، وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَنْكَ فَجَعَلَ أَبُو عُثْمَانَ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ فَلَمَّا أَمْسَى اللَّيْلُ أَتَاهُ الْخَبْرُ؛ إِنَّ صَاحِبَ الْمَحْرَسِ أَتَى الْعَامِلَ فَأَخْبَرَهُ بِشَيْءٍ مَا نَدْرِي مَا هُوَ، فَأَمَرَ الْعَامِلَ أَنْ يَضْرِبَ وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ فَوَقَعَ نِصْفَيْنِ فَشَكَرَ اللَّهُ أَبُو عُثْمَانَ عَلَى كِفَايَتِهِ.

ذكر زهده رحمه الله تعالى

قال المالكي: كان رحمه الله تعالى مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، حَتَّى كَانَ إِذَا بَاضَتْ دَجَاجَةٌ فِي دَارِهِ فَرِحُوا بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ بِهَا بَقْلاً، وَكَانَتْ كَسْوَتَهُ حِينَئِذٍ بَعْشَرِينَ دِينَاراً، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ يَتَّبِعُ بِهَا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَيَلْبَسُ لِبَاسَ الشَّرَفَاءِ لِلتَّيِّبَةِ فِي أَعْيُنِ الْأَعْدَاءِ، يَعْنِي عُبَيْدَ اللَّهِ وَشَيْعَتَهُ وَكَانَ مُتَقَلِّلاً فِي أَكْلِهِ حَتَّى أَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَخٍ لَهُ مَاتَ بِصَقْلِيَّةٍ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ أَعَانَهُ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ هَدَمَ دَارَهُ وَبَنَاهَا وَأَنْفَقَ فِيهَا مِائَتِي دِينَارٍ اشْتَرَى بِخَمْسِينَ دِينَاراً كَسْوَةً، وَاشْتَرَى بِخَمْسِينَ دِينَاراً فَرَساً وَدَاراً وَمَا يَصْلُحُ لِلِاسْتِخْدَامِ مِنَ الْأَوَانِي وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَبَقِيَتْ مَعَهُ مِائَةُ دِينَارٍ فَعَاتَبَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ عَلَى مُحَقِّقَةِ الدَّنَانِيرِ، فَقَالَ لَهُمْ: عَمِلْتُ مَا يَعْمَلُهُ أَكْبَرُ الرِّجَالِ وَعَقْلًا وَهُمْ. أَمَا بِنَاءُ الدَّارِ فَإِنَّمَا رَاحَةُ الْمَرْءِ فِي دَارِهِ وَأَمَّا الْكَسْوَةُ فَهِيَ نَظَرٌ فِي الْمَعِيشَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ ثَوْبٌ وَاحِدٌ هَلَكَ فِي أَقْرَبِ مَدَّةٍ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ جَمَلَةٌ مِنَ الثِّيَابِ بَقِيَتْ عِنْدَهُ مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ. وَأَمَّا الْمِائَةُ الْبَاقِيَّةُ فَأَيُّ شَيْءٍ يُفْنِيهَا؟ وَأَنَا إِنَّمَا أَكَلْتُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ رَظْلَ لَحْمٍ نَجَعَلُ عِظَامَهُ فِي لَيْلَةٍ، وَشَرَايِحَهُ فِي لَيْلَةٍ، ثُمَّ نَأْكُلُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ حَرِيرَةً، وَفِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ سَلْقٌ وَحَمَصٌ، وَفِي اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ سَلْقٌ وَإِسْفَنَارِيَّةٌ، وَفِي اللَّيْلَةِ السَّادِسَةِ سَلْقٌ وَفَوَلٌّ، وَفِي اللَّيْلَةِ

السابعة لحم، وهذا الفعل من أبي عثمان قناعة وتدبير في المعيشة قنع بما في يديه عن الناس، وكان يحض على القناعة، ويرغب الناس فيها ويقول: القناعة غنى. وقال: قدمت من طرابلس فكنث في رفقة فيها سبعون حملاً بزاً من صدف البصرة وجميع ما في الرفقة من الجمال والأحمال والأعوان لرجل واحد هو فيها معنا راكب على حمار مخرم الوسط بمنطقة، وكان يستظل بظل محملي يقال له: أبو عوانة فقال لي يوماً: يا أبا عثمان ما يقول أصحابكم أصحاب الحديث في القناعة؟ يقولون: القناعة غنى لأنه إن قنع بما في يديه استغنى عما في يد غيره، لكن أصحابنا السدادين يقولون: القناعة فقر؛ لأن من تقنع لا يطلب، ومن لم يطلب لا يكسب، ومن لم يكسب فهو فقير. فسكت عنه ولم أكلمه، فدخل القيروان وباع واشترى أحمالاً ثلاثين، وكملها مائة، ثم توجه فلم أسمع له خبراً فلما ذكرت خبره لبعض من يتوجه إلى تلك الناحية قال لي: يقال إنه نزل في بعض الرمال فأسفت عليهم الريح فدفنتهم أجمعين فوقع في نفسي أنه عوقب بما قال في القناعة. ومن كلامه دليل الضبط الإقلال، ودليل النقص الإكثار.

ذكر شيء من حكمه رحمه الله تعالى

قال المالكي: كان الشيخ أبو عثمان بن الحداد رحمه الله تعالى يقول: «تقديم من أخره الله وتأخير من قدمه الله، فتنة في الأرض وفساد كبير». وكان يقول: «سل ربك العافية من بلاء يضطرُّك إلى معصية». وكان يقول: «إنما هو دين أو مروءة فمن عرا منهما فقد عرا من كل خير». وكان يقول: «القرب من السلاطين في غير هذا الوقت، حث من الخوف، فكيف به في هذا الوقت». وقال: «ليس كل ذنب يجب فيه العفو، ولا كل حالة يجب فيها الجلم». وقال: «ما ينبغي للإنسان أن يضع مكسبه ولا يسرع يده فيما يملك لو لم يتماسك بالفور وإلا لثمت الأعداء لثلا يحتاج الإنسان إلى غيره». وكان يقول: «القلب الحي كاللحم الحي، اليسير يؤلمه، والقلب الميت كاللحم الميت الكثير لا يؤلمه».

ذكر بقية أخباره رحمه الله تعالى

قال الشجبي: قال أبو محمد عبد الله بن التبان: سئل أبو عثمان سعيد عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ﴾ [يس: 40] فقال: «مذاهب العرب يجعلون

اللَّيْلَةَ سَابِقَةَ الْيَوْمِ، وَمَذَاهُبُ الْعَجَمِ يَجْعَلُونَ الْيَوْمَ سَابِقَ اللَّيْلَةِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ هَذَا الْمُؤَدَّبِ ابْنَ عَامِرِ الْكَفِيفِ النَّحْوِيِّ وَأَبَا مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيِّ فَقَالَا مِثْلَهُ.

قلت: يعني فعلى الأول تكون لا زائدة. وعلى الثاني تكون لا نافية والله تعالى أعلم. قال شَيْخُنَا الْبُرْزُلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسُئِلَ الشَّيْخُ أَبُو عَثْمَانَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُفُ: 90] فَقَالَ: «يَتَّقِ الزَّنَى وَيَصْبِرْ عَلَى الْغُرْبَةِ». وَسُئِلَ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ فَقَالَ: «هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ». أَي رَجَعْتَ نَادِماً لِيُغْفَرَ لِي. وَسُئِلَ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: «هُوَ الْإِنْقِيَادُ، وَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ».

قال: قال أبو الحسن علي بن نصر حدثني أبو عاصم قال: كان في زمن الشيخ أبي عثمان بن الحداد رجل من الخوارج يقال له نصر بن زوراغ وكان مغالياً في مذهبه، فكان لا يذكرُ أبا عثمان إلا تنقّصه، ونال منه، ولم يكن رآه قط ولا سمع كلامه، ولا عرف موضعه ثم نزع عن ذلك وتاب منه، فسئل عن سببه فقال: رأيت في النوم كأنني أمشي في زقاقٍ لا أعرفه إلى أن بلغ بي الزقاق إلى درب فدخلت الدرب، فإذا أنا بمسجدٍ محتفل بالناس، وفي محرابه شيخٌ جالسٌ يتكلم على الجماعة، وكلما تكلم بكلمة يخرج من فيه نورٌ يملأ المسجد، فعجبت مما رأيت، ومن ذلك النور الخارج من فيه، فاستيقظت فأصبحت مشغولاً بالبرؤيا، ثم خرجت أمشي في بعض مآربي، فما شعرت حتى أفضى بي السير إلى الزقاق الذي كنتُ رأيت في منامي بعينه، ثم أفضى بي إلى الدرب على هيئة ما كنتُ رأيت، وإذا بالمسجد وفيه ملاء من الناس فوقفت على باب، وإذا بالشيخ جالس في المحراب حسباً كنتُ رأيتُهُ وإذا هو سعيد بن الحداد والطلبة حوله، فتخطيت رقاب الناس حتى جثوت بين يديه فسلمتُ فردَّ عليَّ السلام وقال: أراك نصر بن زوراغ؟

قلت: نعم ولم يكن رأي ولا رأيتُه قبل ذلك، فقال: ما الذي جاء بك؟ قلت: جئت تائباً مما كان يبلغك عني، فاعفُ عني عفا الله تعالى عنك، قال: عفا الله عنك وغفر لك، فقممت إلى الشيخ فقبلتُ رأسه. وجلست مع الطلبة، فما كان أحدٌ عندي يعدله في المحبة والفضل. وتوفي أبو عثمان في رجب سنة اثنتين وثلاثمائة وكان مولده سنة تسع عشرة ومائتين.

قلت: ويُقال سبع عشرة سنة. وذكر أنه لما مات خرج البريد سحراً يبشر أمير بني عبيد ورثى بأشعار كثيرة. قال: ودفن بباب سلم وقبره ظاهرٌ معروفٌ يُزار.

159 - ومنهم محمد بن فرج بن البنا البغدادي⁽¹⁾ مولى آل الأغلب رحمه الله :

كذا قال مُتَّبِعاً لِلتَّجِيبِيِّ فِي قَوْلِهِ : أَبُو عَلِيٍّ⁽²⁾ ابْنُ الْبِنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَرَجٍ مَوْلَى آلِ الْأَغْلَبِ . وَمِثْلُهُ لِلْعَوَانِيِّ ، وَهُوَ وَهْمٌ لِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَالِكِيِّ : «أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْبِنَا» . وَتَبِعَهُ عِيَاضُ .

قال : كان فقيهاً بارعاً في علم القضاء والأحكام لم يكن في عصره أعلم منه بفنون ذلك . وكان ثقةً ، عدلاً في أحكامه ، كتب للقاضي ابن طالب وبه انتفع ، ثم كتب لعيسى بن مسكين وكانت له جلالة .

قلت : فيه بتر من وجهين :

أحدهما : أنه كان متفنناً في علوم شتى صرح به المالكي⁽³⁾ .

الثاني : أنه كان فقيه البدن صرح به التجيبي ويعني به أنه كان طبيباً ، وَلَفْظُهُ : كان فقيه البدن ، بارعاً في علم القضاء ، لم يكن في عصره أعلم منه بفنون القضاء والأحكام ، متفنناً عدلاً في أحكامه ، فأشار بقوله : متفنناً أي في علوم شتى ، لا أنه راجع لما قبله لأن التأسيس أولى من التأكيد ، مع أنه منصوص لما ذكر . قال ابن حارث : «ولاه إبراهيم قضاء قسطنطينية ثم عزل»⁽⁴⁾ . وكان ذلك قبل كتابته لعيسى بن مسكين .

قلت : وقسطنطينية قاعدتها توزر وسائر بلاد تقيوس ، وحمّة البهاليل ، ونقطة ، وتامغزا ، ونفري . قال المالكي : قال أبو عبد الله بن الخراط لما ولّاه إبراهيم قضاء قسطنطينية سأله أسلاف أموال اليتامى فأبى عليه فحقد عليه لذلك فسمع بذلك أهل قسطنطينية فرفعوا عليه البغي عند إبراهيم حتى⁽⁵⁾ عزله ، بعد أن كان له مع جماعة من وجوه البلد قضية⁽⁶⁾ عجيبة ، وذلك أنه قدم البريد⁽⁷⁾ إلى عامل البلد بعزله وتخشيبه ،

(1) طبقات الخشني ص : 213 - 208 وترجم له باسم «حسن ابن البناء» الرياض 2/ 156 - 159 وترجم له باسم «أبو علي عبد الله بن محمد» ، والبيان المغرب 1/ 143 باسم «عبد الله بن محمد بن فرج المعروف بابن الشاعر» .

(2) في ت : علي . (3) الرياض : 2/ 156 .

(4) حصر في طبقات الخشني بالنظر آخر أطول مما ذكر في المعالم .

(5) في طبقات الخشني : «حتى عشر به وعزله» ص : 213 .

(6) في الرياض ، وطبقة الخشني : قصة .

(7) في ت : «اليزيد وال علي» وهو خلاف ما في : ط ، والرياض ، وطبقات الخشني .

ورفعه إلى حبس رَقَادَةَ فَأَلْفَى الْعَامِلَ عَلَيْهَا غَائِباً وَكَاتِبَهُ فِي مَكَانِهِ جَالِساً فَقَالَ الْكَاتِبُ لِلْبَرِيدِ⁽¹⁾: مَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ؟ قَالَ: بَعَزِلِ ابْنَ الْبِنَاءِ وَتَخْشِيْبِهِ وَرَفَعِهِ إِلَى حَبْسِ رَقَادَةَ، فَأَرْسَلِ بِالْبُشْرَى إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا لِأَغْوِهِ⁽²⁾ وَبِسَبَبِهِمْ⁽³⁾ نَزَلْتُ بِهِ النَّازِلَةَ؛ فَأَتَوْا سِرَاعاً إِلَى دَارِ الْعَامِلِ، فَاخْتَبَرُوا ذَلِكَ؛ فَصَحَّ عِنْدَهُمْ مَا أَتَى بِهِ الْبَرِيدُ فَاسْتَحَفَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالُوا نَسِيرُ إِلَيْهِ فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ فَنَشْتِمُهُ وَنَشْفِي صُدُورَنَا مِنْهُ، فَأَتَوْهُ فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ⁽⁴⁾ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِمَا أَتَى مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ، فَصَبُّوا عَلَيْهِ مِنْ قَوَارِعِ السَّبِّ⁽⁵⁾ مَا أَحَبُّوا فَلَمْ يَشْكُ ابْنُ الْبِنَاءِ⁽⁶⁾ أَنَّهُمْ⁽⁷⁾ لَمْ يَجْسُرُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ أَيْقَنُوا بَعَزْلَهُ، وَنَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ الْعِزْلُ فَقَالَ: مَنْ هَاهُنَا مِنَ الْأَعْوَانِ؟ فَأَبْتَدَرُوهُمْ فَأَمْرَهُمْ بِأَمْسَاكِهِمْ، ثُمَّ عَصَبَهُمْ إِلَى الْعَمُودِ رَجُلًا رَجُلًا فَضْرَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ضَرْباً وَجِيعاً، وَنَكَّلَ بِهِمْ جَمِيعاً، وَأَمَرَ بِتَقْيِيدِهِمْ فِي الْحَدِيدِ، وَأَمَرَ بِإِدَاعِهِمْ الْحَبْسِ⁽⁸⁾ فَسَاعَدَهُ الْقَدْرُ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ الْعَالَمُ حَتَّى نَقَذَ فِيهِمْ مَا أَحَبَّ، ثُمَّ أَتَى الْعَامِلُ بِأَثَرِ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى رَقَادَةَ فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى رَقَادَةَ تَوَلَّى مُنَاطَرَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِوْنِ الْقَاضِي فَأَبَانَ ابْنُ الْبِنَاءِ عَنْ نَفْسِهِ وَكَشَفَ عَنِ الشُّبْهِ⁽⁹⁾ الْمَرْفُوعَةَ عَلَيْهِ، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ رَأْسَهُ إِلَى بِلَاغِ الْفَتَى، وَقَالَ لَهُ بِالصَّغْلِيَّةِ: إِنِّي أَرَى هَذَا الرَّجُلَ يَرِيدُ ابْنَ الْبِنَاءِ يَسْتَحِقُّ أَنْ تُنَزَعَ قَلَنْسُوءَةُ الْقَاضِي، يَعْنِي لَابْنَ عَبْدِوْنِ وَتُجْعَلَ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ضَمَّهُ إِلَى كِتَابَةِ الْقَاضِي⁽¹⁰⁾ عَيْسَى بْنِ مَسْكِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَطَلَبَ عَيْسَى بْنِ مَسْكِينِ. قَالَ الْمَالِكِيُّ: وَأُودِعَهُ عَيْسَى بْنُ مَسْكِينِ وَدَائِعَ، ثُمَّ طَرَأَتْ شِدَّةٌ⁽¹¹⁾ عَظِيمَةٌ فَقِيلَ لِعَيْسَى بْنِ

- (1) فِي ت: لِلزَّيْدِ.
(2) فِي الرِّيَاضِ، وَطَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: لِأَخُوهِ.
(3) فِي ت: وَبِسَبَبِهِ.
(4) فِي طَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: حُكْمِهِ.
(5) فِي ت وَ ط: السَّبْبُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِكَلِمَةِ «السَّبِّ». التَّصْوِيبُ مِنْ: الرِّيَاضِ، وَطَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ.
(6) فِي طَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: الرَّجُلُ ص: 214.
(7) فِي ط: أَنَّهُ. التَّصْوِيبُ مِنْ: الرِّيَاضِ، وَطَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ.
(8) فِي الرِّيَاضِ، وَأُودِعَهُمُ الْحَبْسَ، وَفِي طَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: وَأُودِعَهُمُ السَّجْنَ.
(9) فِي الرِّيَاضِ: وَطَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: الشُّبْهُ.
(10) فِي الرِّيَاضِ: وَطَبَقَاتِ الْخُشْنِيِّ: قَاضِيهِ.
(11) فِي الرِّيَاضِ: «أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَضَيْقَةٌ عَظِيمَةٌ» 157/2.

مسكين⁽¹⁾ : ذَهَبَتْ وَذَائِعُ النَّاسِ مِنْ عِنْدِ ابْنِ الْبِنَاءِ . قَالَ : وَلَمْ؟ قِيلَ : رَأَيْنَاهُ يَقْطَعُ الْمَيْتَةَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَيْسَى فِي إِحْضَارِهَا فَأَحْضَرَهَا فَقَالَ لَهُ عَيْسَى بْنُ مَسْكَينَ : تَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَهِيَ عِنْدَكَ؟ قَالَ : نَعَمْ . لِأَنَّ الْمَيْتَةَ أَحَلَّتْ لِي مَعَ الْإِضْطِرَّارِ وَلَمْ يَحِلَّ لِي أَنْ أَخُونُ أَمَانَتِي . فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ بِهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا رَجَعْتُ إِلَيْكَ وَأَمْتَنَعُ مِنْ قَبُولِهَا وَأَسْلَمْتُهَا إِلَيْهِ⁽²⁾ . وَتُوفِيَ ابْنُ الْبِنَاءِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ .

قلت : فكانت وفاته أول دولة بني عبيد .

160 - ومنهم أبو عبد الرحمن دحمان بن مُعافَى⁽³⁾ السِّيُورِي رَحِمَهُ اللهُ :

قال : سمع من محمد بن سحنون ، ومحمد بن عبد الحكم ، وحمزة بن مالك بن حمزة بن فروة الأسلمي . روى عنه محمد بن عمر الحلاج⁽⁴⁾ وزياد بن يونس السِّيُورِي .

قلت : هو لفظ الشُّجِيبي .

قال : وكان فقيهاً صالحاً ثقةً عالماً .

قلت : في كلامه بتر لزيادة الشُّجِيبي فقيه البدن .

161 - ومنهم أبو القاسم حمَّاسُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ سَمَّاكِ الْهَمْدَانِي الْقَاضِي الزَّاهِدُ⁽⁵⁾ :

قال : هو من أصحاب محمد بن عبدوس ، وسمع من سحنون وهو صغير ، ومن ابن عبد الحكم بمصر .

قلت : هذا الكلام يوهم أنه لم يسمع من غيرهم وليس كذلك ، بل قال الشُّجِيبي : بل سمع من جبلة وغيره من شيوخ المشرق . قال غيره : ويُقال : إنه لم

(1) راجع «ترجمة عيسى بن مسكين» في طبقات الخشني ص : 193 - 195 .

(2) الرياض : 157 / 2 .

(3) ترجمه له في طبقات الخشني ص : 215 ، وورد ذكره في الرياض 39 / 2 .

(4) محرف في ط : إلى : الحلاج .

(5) ترجمه له في طبقات الخشني ص : 207 رقم 28 ، ص : 309 رقم 199 ، رياض النفوس

118 / 2 - 122 ، الديباج المذهب ص : 178 - 179 ، البيان المغرب : 136 / 1 ، 140 ،

143 ، 173 ، طبقات علماء إفريقية وتونس ص : 248 رقم 35 استدراكاً في ملحق الكتاب .

يكمل على سحنون سماع المدونة، وقيل بل بقي عليه منها كتاب النكاح فقط. قال أبو العرب: وَسَمِعَ مِنْهُ النَّاسُ، قَالَ التُّجِيبِيُّ عَنْهُ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: لَقِيتُ النَّاسَ فَرَأَيْتُ رَجُلَيْنِ: فقيهٌ غيرُ مُحَدِّثٍ وَمُحَدِّثٌ غيرُ فقيه، خَلَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ فقيهاً مُحَدِّثاً عابداً، وسمعتُ سَحْنُونَ يقول: من أخذ بفتيا مالك فما ترك من الورع شيئاً.

ذكر ثناء العلماء عليه

قال: كان رحمه الله عدلاً في أحكامه، صلباً في قضائه، إماماً هدى الغالب عليه الزهد والورع والتقشف. لم يكن يهاب سلطاناً في حق.

قلت: في كلامه بتر، لزيادة التَّجِيبِيِّ صَاحِبِ حُجَّةٍ وَنَظَرٍ وَاسْتِنْبَاطٍ.

قال: وقال بعضُ الشُّيوخ: اجْتَمَعَتْ فِي حَمَّاسٍ خِصَالُ أَرْبَعٍ، قُلَّ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي رِجَالٍ سَحْنُونَ: الْفِيقَةُ الْكَثِيرُ، وَالْوَرَعُ الْجَيِّدُ، وَالْعِبَادَةُ وَالزُّهْدُ.

قلت: وقال ابن حارث: «كان أفقاً أصحاب محمد بن عبدوس وأفقه أهل القيروان، عالماً، أستاذاً، حاذقاً بأصول علم مذهب مالك وأصحابه، جيّد الكلام عليه، حتى لقد قال القائل: كان الاسم في ذلك الوقت ليحيى بن عمر، والفقهاء لحماس»⁽¹⁾. وقال بعضهم لما دخل حمّاس حلقة ابن عبد الحكم بمصر، وابن عبد الحكم لم يعرفه، فتكلم حمّاس فصرف ابن عبد الحكم إليه وجهه ثم زاده في الكلام، ثم سأله ابن عبد الحكم عن مسألة من الجراح، فأجابه؛ ثم سأله عن أخرى فأجابه، فقال ابن عبد الحكم: يمكن أن تكون حماس بن مروان؟ قال: نعم، فعاتبه إذ لم يقصد إليه، ثم قرّبه وأكرّمه.

ذكر زُهدِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَعِبَادَتِهِ وَاجْتِمَاعِهِ بِالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال: قال مَسْرَّةُ بْنُ مُسْلِمٍ: كَانَ لِحَمَّاسٍ وَلَدٌ مِنَ الْأَبْدَالِ اسْمُهُ: سَالِمٌ قَالَ لِي: اللَّيْلَةَ الَّتِي وُلِّيَ فِيهَا حَمَّاسُ الْقَضَاءَ رَهَنَ الْفَأْسَ فِي حُبْرٍ وَزَيْتٍ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ: كَانَ أَكَلَهُ الشَّعِيرَ وَيَشْتَرُونَ مِنْهُ بَقْلاً وَرَبِماً كَانَ الْبَقَّالُونَ لَا يَأْخُذُونَهُ لِرَائِحَةِ

(1) الوارد في طبقات ابن الحارث الخشني بصيغة أخرى غير صيغة المعالم ص: 207.

المَظْمَرُ فيه فيعملون منه دشيماً يُجَوِّزُونَ به خبز الشعير. وَوَجَدَ بعضَ الحُجَّابِ فِي سَقِيْفَةِ حَمَّاسٍ قِطْعَةً فِضَّةً فَسَأَلَ عَنْهَا حَمَّاساً فَقَالَ: مَا يَمْلِكُ حَمَّاسٌ وَلَا آلَ حَمَّاسٍ صَفْراً وَلَا بَيْضاً، وَإِنَّمَا يَجِيئُنَا شَعِيرٌ قَدِيمٌ مِنَ الْبَادِيَةِ مِنْهُ، أَكَلْنَا وَشَرَّاءَ بَقْلِنَا وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ: قَالَ لِي حَمَّاسٌ: لَقَدْ كُنَّا نُوجِّهُ الشَّعِيرَ لِيُشْتَرَى لَنَا بِهِ الْبَقْلَ نَطْبِخُهُ فَكَسَدَ الشَّعِيرُ وَنَفَدَ الْبَقْلُ فَصِرْنَا نَشْرُدُ الشَّعِيرَ بِالشَّعِيرِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ: رَأَيْتُهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يَقُومُ وَيَقْعُدُ وَيَخْتَلِفُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ فَقَالَ: عِنْدَنَا شَعِيرٌ أَخَذْتُهُ رَائِحَةَ الْمَظْمَرِ⁽¹⁾ لَيْسَ يَأْخُذُهُ الْبِقَالُونَ نَعَجْنَ مِنْهُ دَشِيماً نَشْرُدُ فِيهِ مِنْ خُبْزِهِ، وَرَأَيْتُ الْبَارِحَةَ خُبْزاً شَعِيرٌ أَخْرَجَ مِنَ الْفُرْنِ، فَبَكَيْتُ وَتَذَكَّرْتُ فِي بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، وَأَنْتُمْ طَالَمَا اسْتَأَقُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ أَكَلْتَهُ فَأَصَابَنِي مِنْهُ اخْتِلَافٌ، فَلِهَذَا أَقُومُ وَأَقْعُدُ. وَلَمَّا تَوَفَّى حَمَّاسٌ قَالَ لَهُمْ: بَيَعُوا مِنْ كُتْبِي مَا تَكْفُونِي بِهِ⁽²⁾. وَرَوَى أَنَّهُ أَقَامَ رَجُلٌ يِرَاعِي خِرْقاً فِي قَمِيصِ حَمَّاسٍ وَالْفُرُوعُ يَظْهَرُ مِنْهُ جَمْعَاتٌ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ هَذَا خَيْطٌ مِنْ أَصْلِهِ كَذَا إِذْنِ لِي أَنْ أَخِيطَ لَكَ، قَالَ يَا أَخِي: لِهَذَا الْخِرْقُ سَبْعَ عَشْرَ سَنَةً مَا ضَرْنَا بِشَيْءٍ.

قلت: ذكر جميع ذلك التَّجِيبِي وَذَكَرَ الْجُمُعَةَ قَرِينَةً فِي أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَلْبَسُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَطْ. فَلِهَذَا بَقِيَ الْمُدَّةُ الْمَذْكُورَةُ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ مِنْ أَصْلِهِ كَذَا أَيُّ مِنَ الْحَلِيَةِ.

قال: وَكَانَ حَمَّاسٌ مِنْ تَوَاضَعِهِ وَزَهْدِهِ يَفْتَحُ الْقَنَاةَ، وَيُكَسِّرُ الْحَطْبَ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَخْتَصِمُونَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ.

قلت: مثله ذكر التَّجِيبِي، وَهَذَا لَمَّا كَانَ التَّعْظِيمُ بِالْدِينِ، وَفِي زَمَانِنَا الْيَوْمَ لَوْ عَمِلَهُ قَاضٍ لَأَزْدَرَوْهُ وَلَمْ تَمْشِ لَهُ بَعْضُ الْأَحْكَامِ. فَالتَّوَاضَعُ لِلْقَاضِي مَطْلُوبٌ حَيْثُ لَا يَزُرِي بِخِطَّةِ الْقَضَاءِ، وَقَدْ فَعَلْتُ مِنَ التَّوَاضَعِ مَا تَأْتِي لِي بِجَزِيرَةِ جَرَبَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَزُرِي بِخِطَّةِ الْقَضَاءِ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُمْ بَرَابِرُ كَالْبَادِيَةِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ كَأَهْلِ بَاجَّةَ.

[صون الأئمة والقضاة بالملابس والمراكب من البدع المندوبة]

وقد قال الشيخ شهاب الدين القَرَافِي رحمه الله: مِنَ الْبِدَعِ الْمَنْدُوبِ إِلَيْهَا صَوْنُ الْأَئِمَّةِ وَالْقَضَاءِ وَالْوَلَاةِ بِالْمَلَابِسِ، وَالْمَرَائِبِ، وَهُوَ خِلَافٌ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ،

(1) الْمَظْمَرُ: وَهِيَ حُفْرَةٌ يُخَبَأُ فِيهَا الْبُرُّ وَالْحَبُوبُ تَسْمَى: بِالْمَظْمُورَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ.

(2) رَاجِعِ الْخَبَرَ فِي الرِّيَاضِ: 2/ 119 - 120.

فَإِنَّ التَّعْظِيمَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ كَانَ بِالذِّينِ فَلَمَّا اخْتَلَّ النَّظَامُ وَصَارَ النَّاسُ لَا يَعْظُمُونَ إِلَّا بِالصَّوْنِ كَانَ مَدُوباً حِفْظاً لِنِظَامِ الْخَلْقِ، وَأَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَبْنِي دُكَّانَةً عَلَى بَابِ دَارِهِ فَمَنَعَهُ جَارُهُ فَتَدَاعَى إِلَى حَمَّاسٍ وَكَانَا لَا يَعْرِفَانَهُ فَأَلْفِيَاهُ وَفِي يَدِهِ قُلَّةٌ وَهُمَا يَسْأَلَانِ عَنْ دَارِ الْقَاضِي حَمَّاسٍ. فَقَالَ: مَا تَرِيدَانِ؟ قَالَا: نَتَحَاكَمُ فِي مَسْأَلَةٍ، قَالَ: تَحَاكَمَا وَأَخِذْ الْقُلَّةَ وَوَضِعْهَا عَلَى رِجْلِهِ وَلَمْ يَضِعْهَا بِالْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ الْمَدْعُو: وَلَمْ لَمْ تَضِعْهَا بِالْأَرْضِ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْأَرْضَ مَمْلُوكَةٌ لِلْمَارَّةِ، فَلَا أَضِيقُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي قَضَيْتَ الْحَاجَةَ. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِذَا كَانَ الْقَاضِي لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ فِي وَضْعِ قُلَّةٍ بِالطَّرِيقِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا فَكَيْفَ يَحْكُمُ لِي أَنَا بِأَنَّ ابْنِي دُكَّانَةً فِي الطَّرِيقِ؟ وَانصَرَفَ وَرَجَعَ عَمَّا قَصَدَهُ سَمِعَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مِنْ شَيْخِنَا أَبِي الْفَضْلِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُرْزَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال: روي أنه خرج ذات ليلة من بيته وابنه سالم يتهجج في بيته، وابنه محمد في بيته يتهجج، والعجوز والدتهما في بيتهما تقرأ القرآن وتركع وتبكي، والخادم تصلي، فوقف في القاعة فقال: يا آل حمَّاس ألا هكذا فكونوا.

قلت: ما ذكر هو لفظ التَّجِيبِي، وما ذكر من العِبَادَةِ فِي وَالدَتَهُمَا وَالْخَادِمِ تَفَنُّنِ فِي الْعِبَارَةِ، وَلِذَا عَبَّرَ غَيْرَهُمَا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ بِالتَّهْجِدِ، وَنَدَاؤُهُ بِمَا ذَكَرَ هُوَ لَمَّا دَخَلَ قَلْبَهُ مِنَ السَّرُورِ. وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ رَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ. قَالَ الْمَالِكِيُّ: بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهَا عَنْهُ: وَذَكَرَ أَنَّهُمْ بَاعُوا الْخَادِمَ فَاشْتَرَاهَا قَوْمٌ فَرَأَتْهُمْ لَا يَصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، وَظَنَّتْ⁽¹⁾ أَنْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، فَهَرَبَتْ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى مَوَالِيهَا آلِ حَمَّاسٍ وَقَالَتْ لَهُمْ: يَحِلُّ لَكُمْ تَبِيعُونِي⁽²⁾ مِنْ قَوْمٍ يَهُودٌ لَا يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ⁽³⁾؟

قال: قال محمد ابن أخي مروان العابد قلت لعمي مروان: هل رأيت الخضر⁽⁴⁾؟ قال: نعم جئت إلى الجامع يوم الجمعة فوجدته وقد امتلأ، فقالت تحت الصَّوْمَعَةَ فخرج من باب البهور، رجل في زيِّ بَغْدَادِي، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ

(1) في الرياض: «فظنت أنه» 119/2. (2) في الرياض: بعتموني 119/2.

(3) الخبر في الرياض 119/2.

(4) عن حياة الخضر عليه السلام انظر كتاب «الرَّهْرُ النَّصِيرُ فِي نَبَا الْخَضِرِ» لابن حجر العسقلاني رحمه الله، فهو كتاب يكادُ يجمع فيه كل ما قيل حول الخضر، مُسْتَقِيمًا مَادَتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ، وَكُتِبَ التَّارِيخُ وَالْأَخْبَارُ مُنَاقِشًا وَمُحَلَّلًا الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلَفَةَ وَالْأَقْوَالَ الْمُتَعَدِّدَةَ الَّتِي جَمَعَهَا فِي كِتَابِهِ.

حتى وصل إلى مجلس جَوَارِي، فلما انقضت صلاة الجمعة عطف علي وقال لي: قم نُسَلِّمُ علي رجلٍ صالح، فقلت: من هو؟ قال: حَمَّاسُ بْنُ مَرْوَانَ، قلت: نعم، فمضينا فَسَلَّمْنَا عليه وانصرفنا، فلما كان بعد ذلك دخلتُ علي حَمَّاس فقال لي: تعرفُ الرَّجُلَ الذي جئتَ معه منذ أيام؟ قلت: لا، قال: ذلك الحَظِير، ويدل علي أنك رجل صالح.

قلت: يُحْتَمَلُ تَخْطِئَةُ رِقَابِ النَّاسِ، إنه كان قبل جلوس الإمام علي المنبر والله أعلم.

ذكر ولايته القضاء وسيرته وعزله نفسه

قال: ولي القضاء بالقيروان سنة تسعين ومائتين في رمضان واستعفى منه في شهر جمادى الأولى سنة أربع وتسعين ومائتين، وذلك عند تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، ولم يكن يَهَابُ سُلْطَانًا فِي حَقِّهِ.

قلت: ما ذكره هو لفظ التَّجِيبِي، وبسط الكلام في ذلك أن تقول: وَلَاهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ الْأَغْلَبِ الْقَضَاءَ بِإِفْرِيقِيَّةٍ عِنْدَ عَزْلِهِ الصَّدِّيقِي عَنِ قَضَائِهَا وَكَانَ الصَّدِّيقِي حِينَئِذٍ مَعْتَزِلِيًّا فَأَرَادَ زِيَادَةُ اللَّهِ أَنْ يَسْتَحْمِدَ إِلَى الْعَامَّةِ بِوَلَايَةِ حَمَّاسٍ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ إِنْ عَزَلْتُمْ عَنْكُمْ الْجَافِي الْجَلْفَ الْمُبْتَدِعَ وَوَلَّيْتُمْ حَمَّاسَ ابْنَ مَرْوَانَ لِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَظَهَارَتِهِ وَعِلْمِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَرَضِيَّتِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَسُرُّوا بِذَلِكَ. قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: «فَجَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْقُلُوبَ النَّافِرَةَ، وَالْكَلِمَةَ الْمَخْتَلِفَةَ، وَفَرِحَ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ. وَكَانَ فِي الْقَيْرَوَانَ بِوَلَايَتِهِ فَرَحٌ شَدِيدٌ»⁽¹⁾. قَالَ ابْنُ حَارِثٍ: «كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُضَاةِ وَأَعْدَلِهِمْ، وَكَانَ فِي عِلْمِ الْقَضَاءِ حَسَنَ الْفِطْرَةِ وَالنَّظَرِ، لِفَضْلِ فَهْمِهِ فِي الْفُتْيَا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَيَّامَ حَقِّ ظَاهِرٍ، وَسُنَّةٍ وَعَدْلٍ قَائِمٍ»⁽²⁾. وَأَجْلَسَ مَعَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ أَرْبَعَةَ: مُوسَى بْنَ الْقَطَّانِ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الضَّرَّابِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ الْوَرَقَةَ⁽³⁾. (.....) وَسَأَلْتُهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا مَا يَدُورُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا يَحْكُمَ بَيْنَ خَصْمَيْنِ حَتَّى

(1) طبقات أبي العرب ص: 248.

(2) لم يرد هذا القول في طبقات الخُشْنِي المطبوع، ونقله ابن فرحون في الديباج ولم يسند قوله لأحد ص: 179.

(3) ثم يرد ذكر اسم الرابع ومكانه فيه بياض.

يُنَظِرُهُمْ فِي قَضِيَّتَيْهِمَا. وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَهَابُ سُلْطَانًا وَلَا غَيْرَهُ فِي حَقِّهِ. وَقِيلَ: إِنَّ عَامِلَ الْقَيْرَوَانَ قَتَلَ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ حَمَّاسٌ يَعْظُمُهُ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ فَأَنْفَ، وَقَالَ: مَا لِحَمَّاسٍ وَهَذَا؟ أَنَا سُلْطَانٌ أَنْظُرُ فِي الدَّمَاءِ وَشِبْهِهَا، فَتَوَجَّهَ حَمَّاسٌ إِلَى تُونِسَ لَزِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ الْأَغْلَبِ وَاجْتَمَعَ بِهِ، فَعَزَلَ الْعَامِلَ الْمَذْكُورَ، وَانصَرَفَ حَمَّاسًا مُكْرَمًا وَعَزَلَ نَفْسَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِاسْتِعْفَائِهِ لَمَّا تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ، وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الصَّائِغِ صَاحِبَ الْبَدِيلِ، وَكَبِيرَ دَوْلَةِ زِيَادَةَ اللَّهِ سَعَى بِالْكَلَامِ فِي حَمَّاسٍ عِنْدَهُ لِمُخَالَفَتِهِ الْمَذْهَبِ، وَأَنَّهُ كَانَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ طَوْعِهِ وَيَبْدَأُ بِاسْمِهِ عَلَيْهِ إِذَا خَاطَبَهُ، فَوَلَّى زِيَادَةَ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ جَمَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْقَضَاءَ مَعَهُ، وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِ، وَنَادَى مَنَادِيَهُ إِذَا تَدَاعَى الْخَضَمَانُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَمَّاسٍ، صَارَا إِلَيْهِ دُونَ حَمَّاسٍ، فَلَمَّا رَأَى حَمَّاسٌ ذَلِكَ رَفَعَ دِيْوَانَهُ وَمَضَى إِلَى رَقَادَةَ فَأَقَامَ بِجَامِعِهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَطْلُبُ الْمَعَاوَةَ، فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ لَكَ إِلَّا ابْنُ الصَّائِغِ الَّذِي سَعَى عَلَيْكَ، وَقَصَدَهُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَامَ ابْنُ الصَّائِغِ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي الْمَعَاوَةَ، فَسَعَى لَهُ عِنْدَ زِيَادَةَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ: قَدْ خَيْرْتُكَ إِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ قَاضِيًا كَمَا كُنْتَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ الْمَعَاوَةَ عَافِيْنَاكَ؟ فَقَالَ لَهُ: الْمَعَاوَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ. فَعَاوَاهُ وَكُتِبَ لَهُ سِجِلًا بِخَطِّهِ بِمَعَاوَاتِهِ.

قلت: إنما اختار المعافاة لوجهين.

أحدهما: أنه كان لا يأخذ على قضائه أجرًا على ما يظهر من سيرته فهو يتعَبُّ بلا فائدة دُنْيَوِيَّةٍ.

الثاني: سياق الكلام يقتضي أنه فهم أن غرض الأمير في عزله، وعلم أنه إن تقدَّم أنه لا يَنْصَلِحُ الْحَالُ كَمَا كَانَ أَوَّلًا، فَنِعْمَ مَا فَعَلَ، وَالَّذِي يَعْلَمُ فِي زَمَانِنَا أَنَّ نَقْفُ فِي الْحَقِّ وَنَذْبُ عَلَى الرَّعِيَةِ فِي مَسَائِلِ الشَّرْعِيَّاتِ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، فَيَكْتُبُ الْقَوَادُّ إِلَى السُّلْطَانِ نَصْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَرَبَّمَا يَكْتُبُ بِذَلِكَ، أَوْ يَبَاشِرُ الْكَلَامَ مِنْ سِوَى بَيْنِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَحَكَمَتْ عَلَيْهِ كَغَيْرِهِ بِأَدَبٍ أَوْ غَيْرِهِ، حَتَّى يَقَعَ التَّمْوِيهُ فَيَشْكُ فِي صِدْقِ كَلَامِ الْمُشْتَكِيِّ أَوْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ صِدْقَهُ فَيَعزِلُ مَنْ يَعزِلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ. وَمَنْ فَضَلَ سُلْطَانًا وَقَتْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ أَنَّهُ يَعْرِضُ عَنْ كَلَامِهِمْ فِي الْأَغْلَبِ، فَإِذَا كَثُرَ الْكَلَامُ يَشَاوِرُ قَاضِيَّ الْجَمَاعَةِ وَهُوَ شَيْخُنَا أَبُو مَهْدِي عَيْسَى بْنِ أَحْمَدَ الْغُبَرِيِّ وَيَكَلِّمُهُ بِكَلَامٍ لِيِّنَ يَقُولُ لَهُ:

حفظكم الله إن فلاناً قاضي بلدة كذا ملّوه أصحابه، فإذا قبل كلامه يوافقته على تبديله لبلدة أخرى، أو على عزله دون مُعَارَضَةٍ، وإلا يقول له: تغافل عنهم أو نحو ذلك، فلا يعزل أحداً حتى يُوَافِقَهُ في الأغلِبِ، هكذا كان دأبه معه إلى أن مات شيخنا المذكور رحمه الله تعالى ولما عزل زيادة الله حمّاساً كان من كراماته: أن خرب الله ملكه ومُلك أبي عبيد الله الشيعي، وخرَجَ هارِباً أَمَامَهُ إلى المشرق هو وابن الصائغ، ومَا أَقَامَ لَهُمْ مَنَاراً حَتَّى مَاتَ حَسْبَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي ابْنِ الرَّقِيقِ.

قال: وتوفي حمّاس سنة أربع وثلاثمائة.

قلت: وقال المالكي توفي سنة اثنتين⁽¹⁾. وقال غيره سنة ثلاث⁽²⁾ ومولده سنة اثنتين وعشرين ومائتين⁽³⁾.

قال: ودفن بباب نافع، وكثر الناس على جنازته حتى ضاق بهم الفضاء.

قلت: وقبره مزارٌ بقرب قبر سحنون بن سعيد من لجوف خارج حوطته، وعند رأسه عمودٌ ليس بطويل، وليس فيه كتابة. رحمه الله تعالى ونفع به أمين.

162 - أبو العباس: إسحاق بن إبراهيم الأزدي الصائغ⁽⁴⁾:

المعروف بابن بطريقة قاضي طرابلس. من رجال محمد بن سحنون كذا قال هو والشجبي وغيرهما؛ والمراد كما صرح به غيرهم ابن إبراهيم بن الصائغ. قال: وكان فقيهاً ثقةً مأموناً.

قلت: هو نصّ أبي العرب⁽⁵⁾، والشجبي. وقال ابن حارث: «كان فقيهاً من أهل الحفظ والفهم»⁽⁶⁾ وقال حبيب بن ربيع كان من نظارِ عَصْرِنَا، وكُبرَاءِ أَصْحَابِنَا.

(1) لم يرد هذا القول في الرياض للمالكي ولم يسجل قطعاً تاريخ وفاته.

(2) في البيان المغرب 1/ 173، والديباج ص: 179 أنه توفي سنة 303 هـ.

(3) الديباج ص: 179.

(4) طبقات الخشني ص: 215، ترجم له باسم أبو العباس بن بطريقة ولم يذكر اسمه، وورد ذكره في الرياض 55/2 بنفس اسم طبقات الخشني، وطبقات أبي العرب ص: 248 ذكر اسمه وكنيته كما في المعالم.

(5) طبقات أبي العرب ص: 248 وفيه قوله: «كان فقيهاً ثباً ثقةً ولي قضاء طرابلس».

(6) لورد في طبقات الخشني لابن الحارث: «كان من رجال سحنون، ومعدوداً في أصحابه، ونوّه قضاء طرابلس» ص: 215. هذه هي الترجمة الواردة له هنا ولم يزد عليه شيء.

قال: ولي قضاء الزَّاب⁽¹⁾ لعيسى بن مسكين، ثم وُلَّاهُ حَمَّاسَ قَضَاءَ طَرَابُلُسَ، وكان عدلاً في أحكامه وأرادَ بِالزَّابِ، أي: وَسَائِرِ عَمَالَتِهِ لِقَوْلِ التُّجِيبِيِّ، ولي قضاء الزَّابِ، وطنجة⁽²⁾، وباغاية لعيسى بن مسكين أيام إبراهيم بن أحمد، وولَّاهُ حَمَّاسَ القضاة أيام زيادة الله قضاء طَرَابُلُسَ، وكان عدلاً ضربه محمد بن المَرَوَزي قَبَّحَهُ اللهُ، هو وابن الطَّوْزِي في يومٍ واحدٍ عند جامع القيروان عداوة للإسلام. وفي كلامه بتر لقول غيره، ضربه وحبسه بعد عزله من قضاء طرابلس فأطلقه عبيد الله لما بلغه ذلك، وذلك أن عبيد الله تخاصم بطرابلس أول وُرُودِهِ مع قوم من الحماليين، وهو لا يعرف بنفسه، فلما نظر إليه أبو العباس قال: وكل من يخاصم عنك، وَنَزَّهَ نَفْسَكَ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ، فحفظ له عبيد الله هذه اليد.

قال: ولما مات محمد بن سحنون جلس أبو العباس للفتيا فأنكر عليه عبد الله بن طالب القاضي ثم بعث إلى أبي الغصن السُّوسِي أن يختبره فَأَلْقَى عَلَيْهِ كِتَابَ الْقِرَاضِ، فأجاب عنه كُلَّهُ فأباح له ابن طالب الفتيا.

قلت: مثله للتُّجِيبِيِّ وفيه بتر لأن اختبار من ذكر كان بحضرة ابن طالب وليس فيما تقدم جلاء بذلك، ولما رأى أبو الغصن حفظه وَثَبَ قائماً على قدميه وقال لابن طالب: القضاء والله يستحقُّ دون الفتيا. وقيل: إنَّ ابن طالب هو الذي اختبره بنفسه، وزاد صاحب هذا القول ثم ألقى عليه بعد كتاب القراض أكثر كتاب الصرف. قال أبو العباس: حتى ألقى علي مسألة الخلخالين، فلما رأى حفطي وكنْتُ شَابًا قال: الحمدُ لله الَّذِي رَأَيْتُ لِأَصْحَابِنَا شَابًا مِثْلَكَ، نعم يا بني امضِ واجلس في مجلسك وَافِتِ وَاتَّقِ الله رَبَّكَ. وهذا فعلُ أَهْلِ الدِّينِ، منعه لحق المسلمين، لا احتال أن لا يَصْلُحَ، فلما اختبره وتبين له أنه يصلح في الفتيا أذن له في ذلك، وقول أبي الغصن: القضاة يُسْتَحَقُّ فَضْلاً عَنِ الْفُتْيَا ظَاهِرٌ كَالنَّصْرِ فِي أَنَّ الْقَاضِي قَاضِي الْجَمَاعَةِ كَانَ عِنْدَهُمْ أَرْجَحُ مِنَ الْفُتْيَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي زَمَانِنَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاضِي وَلَوْ كَانَ مِنْ أَذْيَنِ خَلْقِ اللهِ لَا بُدَّ أَنْ يَشْتَكِيَ بِهِ بَعْضُ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ،

(1) الزاب: على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية. للمزيد انظر: الروض المعطار ص: 281.

(2) طنجة: مدينة مغربية شمالية قديمة تقع على ساحل البحر، تبعد عن العاصمة المغربية الرباط بـ 78 كلمتراً. وقد تكلم عنها الحميري في كتابه الروض المعطار ص: 395 - 396.

فلا بد من ناظر فوقه ينظر في أموره، وذلك المفتي فهو الذي يرتهن في قاضي الجماعة ولا يقدم قاضي الجماعة قاضياً في بلده من عمالته، أو شاهداً أو حكماً مُعْتَبَراً إلا بعد مُطالعتة، فهو القاضي في الحقيقة، وقاضي الجماعة إنما هو كالنائب عنه وَلَا يَخْتَلُ هَذَا النِّظَامُ إِلَّا إِذَا كَانَ قَاضِي الجماعة قَدْرَ الْمُفْتِي فِي الْعِلْمِ، ويكون السُّلْطَانُ قَدَمَهُ لِنَفْسِهِ ومع هذا فلا بد من موافقته له في الأمور المُعْضَلَاتِ. وهو من الأمور النَّادِرَةِ وإلا فالأصل: أنه تحته وهو مُظَلَّلٌ عليه كالخباء لا يَقْطَعُ أمراً ذُونَهُ.

قال: توفي شهيداً قتله اللُّصُوصُ يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث، وقيل سنة خمس وثلاثمائة.

قلت: وقيل سنة أربع، ولم يحك التَّجِيبِي غير الأول. وَقِتَالُ اللُّصُوصِ لَهُ عَلَى أَخْذِ مَالِهِ، وَلِلفظة شهيد: تقتضي ذلك. قال: وصلى عليه أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون.

قلت: وَوَدْفِنَ بِيَابِ نَافِعِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

163 - وَمِنْهُمْ صَدَقَةُ الْمُؤَدِّبِ الضَّرِيرِ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللهُ:

واصطلاحهم بالضرير المُقْعَد، لا المجذوم.

قال: كان فاضلاً مجاب الدعوة، وكان له غلام أسود من المتعبدين اسمه سالم، وإنما انتفع مروان العابد بدعاء صَدَقَةَ الضَّرِيرِ، وصحبة سالم، وكان صدقة يُعَلِّمُ مَرْوَانَ الْقُرْآنَ، لَا يُعْرِفُ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ طَرِيقَتِهِ وَسَمْتِهِ، كَثِيرَ الْكَدِّ وَالْمُجَاهَدَةِ دَائِمَ الْمُرَاقَبَةِ، كَثِيرَ سَرْدِ الصِّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَنِينِ الْمَلَازِمِ، وَالخوف المقلق، وَالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْنا مِنَ النَّاسِ وَسَلِّمْ النَّاسَ مِنَّا وَاجْعَلْنا مِنَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ». توفي سنة [أربع وثلاثمائة]⁽²⁾ ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى.

(1) ترجم له في الرياض: 128 / 2 - 130.

(2) سنة وفاته هي 304 هـ استناداً لقول المالكي في كتابه الرياض: قال أبو ميسرة: توفي صدقة، والصديني في يوم واحد 129 / 2 كما ورد هذا أيضاً عند ابن ناجي والثابت أن وفاة أبو الأسود محمد بن شعيب الصديني كانت سنة 304 هـ. كما جاء في البيان المغرب 1 / 175، وعدّ المالكي صدقة ضمن وفيات [أربع وثلاثمائة] والوارد في معالم الإيمان سواء في الطبعة القديمة 2 / 229، أو الطبعة الجديدة من الجزء الثاني بتحقيق الدكتور محمد الأحمد أبو =

قلت: جميع ما ذكره هو لفظ التُّجِيبِي بزيادة عَزْوٍ، وبكونه مجاب الدعاء كأبي إسحاق السبائي. قال المالكي: دفن بباب تونس⁽¹⁾. وذكر أنه توفي هو والصديني في يوم واحد فغسل الصديني المقرعة الغاسل ثم مضى على أن يغسل صدقة فمنعه الناس، وقالوا له: اذهب لَأُتَجَّسَّهُ فكان الناس إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَوْا بِهِ فَيُسْقَوْنَ.

164 - ومنهم أبو محمد المسوحي المتعبد رحمه الله:

قال: صحب سحنون، وجبله، وسعيد بن عباد، وعيسى بن مسكين، كان يلبس الشَّعْر، من أهل الجِدِّ والتَّعَبُّدِ، والخوف، والانقطاع والإخبات، وكان قُوْتُهُ في رمضان ثلاثين حَبَّةً مِنَ التَّيْنِ، صام حتى اسْوَدَّ، وَصَلَّى حتى أقعد، وَبَكَى حتى عمش، فلما حَضَرَتْهُ الوفاة قال: وَاحْزَنِي إِلَى أَيْنَ يُسَلِّكُ بِي؟.

قلت: ما ذكره هو نقل التُّجِيبِي فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُمْ وَخَصَّهُمْ بِكَرَامَاتِهِ؛ وَغَذَّاهُمْ بِكَلَامِهِ، وَإِلَّا فَحَبَّةٌ تَبِينُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ كَالْعَدَمِ، وانظر مع كمال اجتهاده وَبُكَائِهِ واقتصاره على لبس الشَّعْرِ غَلَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَوْفُ عند حضور أجله فخاف أن يُسَلِّكُ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَنَحْنُ مَعَ بَطَالَتِنَا وَتَرْفُهِنَا وكثرة أكلنا وعصياننا آمنون كانا غير مخاطبين فهي مُصِيبَةٌ نزلت بنا على موت، قلوبنا فنسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يُوقِظَ قلوبنا، لما يحبه ويرضاه حتى لا يحضر أجلنا إلا ونحن على أكمل الأحوال، وأشرف الأوصاف.

قال: وتوفي سنة ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه.

= النور، ومحمد ماخور ص: 334 أن صدقة الضرير كانت وفاته سنة (خمس وثلاثين وثلاثمائة) بالأحرف هكذا، لا بالأرقام وهو خطأ لم يتعقبه أحد، سواء من النساخ أو الطابعين أو حتى من قام بتحقيق هذا الجزء. وأسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب، وهذا هو العلم؛ خطأ وصواب، واستدراك وتصحيح. والكمال لله تعالى. وقد أشار إلى هذا أيضاً محقق الرياض فليراجع.

(1) لقد تعقب ابن ناجي المالكي في مكان دفن صدقة بأنه دفن بباب سلم، وليس مدفنه بباب تونس كما جاء في الرياض: 128/2.

165 - ومنهم أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان⁽¹⁾ رحمه الله :

قال : أخذ عن محمد بن سحنون وأخذ الناس عنه .

قلت : ظاهره أنه لم يأخذ على غيره ، كقول التُّجِيبِي : وكان من رجال محمد بن سحنون وليس كذلك بل سمع من غيره أيضاً ، وممن سمع منه تميم بن أبي العرب .

ذكر ثناء العلماء عليه

قال : كان فقيهاً ثقة حافظاً بارعاً الحِفْظِ ثبْتاً ، رجلاً صالحاً .

قلت : وفي كلامه بتر لقول التُّجِيبِي : كان فقيه البدن يعني به طبيياً . وقال ابن حارث : « كان يُحَسِّنُ الكلام في الفقه على مذهب مالك وأصحابه »⁽²⁾ . وكان ممن يفتي ويقرأ عليه . وقال ابن الجزار كان فقيهاً يعرف بالحفظ . وقال أبو الحسن بن القابسي : ما أعجب أهل مصر ممن قدم عليهم من القيروان إعجابهم به ، وبأبي العباس بن طالب ، وأبي الفضل الممسي .

قال : ولي قضاء طرابلس لعيسى بن مسكين ، وسئل عن رجل اشترى حوتاً فوجد في بطنه حوتاً آخر فقال البائع : الحوت الثاني لي ، وقال المشتري : بل هو لي فقال : إن اشترى الحوت على الجِزَافِ فهو للبائع ، وإن كان على الوزن فهو للمبتاع .

قلت : في كلامه بتر لنقل غيره ؛ وذلك أنه ولأه إبراهيم بن أحمد قضاء طرابلس في أيام عيسى كما تقدم ؛ فنقد الحقوق ، وأخذ للضعيف من القوي فاجتمعت كلمتهم عليه بالرفع إلى إبراهيم بن الأغلب فعزله وحبسه ، وكان محبوساً عنده في الكنيسة بتونس شهوراً ثم إنه أطلقه قال السدي ، وكان سبب عزله : أنه سأله أن يسلفه أموال اليتامى فأبى ، فحقد عليه . وكان سبب إطلاقه أن قوماً من

(1) ترجم له في : طبقات الخشني ص : 211 رقم 38 وص : 298 رقم 166 ، والرياض : 2 / 28 ، 63 ، 78 ، 157 ، 190 ، وورد ذكره في طبقات أبي العرب ص : 104 - 254 رقم 59 ، الديباج المذهب ص : 421 - 422 ، شجرة النور الزكية 1 / 122 رقم 187 طبعة دار الكتب العلمية بيروت 2003 .

(2) طبقات الخشني ص : 211 وفيه قوله : « وكان يُحَسِّنُ الْمَسَائِلَ وَالتَّكَلَّمَ فِي الرَّأْيِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ » .

التُّجَّار وقع بينهم تخاصمٌ وَتَشَاجُرٌ في مسألة، ورفعوا أمرهم إلى إبراهيم ورفعوا فُتْيَا أهل العلم في أمرهم، فأرسل إبراهيم إلى موسى وهو في سجنه في مسألتهم، فأجاب بجواب استحسنة. وقيل: بل وقعت بين الفقهاء مسألة في رجل اشترى حوتاً فوجد في بطنه حوتاً آخر، فاختلفوا هل هو للبائع أو للمشتري، فرفعها إبراهيم إلى موسى، فقال: إن كان الشراء على الوزن فهو للمشتري وإن كان على الجراف فهو للبائع، وقال مثل هذا لا يسجن مع السراق، وأمر بإطلاقه. قال التجيبي: وحكى لنا أبو بكر أحمد بن بكر أن سبب خروجه مسألة مركب عطب لإبراهيم بن أحمد فأفتاه بقولي ابن القاسم وابن نافع، فابن القاسم يقول: الكراء على البلاغ وابن نافع يقول: يعطى من الكراء بمقدار ما سار.

قلت: هذا ليس باختلاف، فهو سئل عن مسألة المركب فعرفه بالقولين، وبعزوهما ولم يرجح وغيره اختلفوا فمنهم من أفتى بقول ابن القاسم، ومنهم من أفتى بقول ابن نافع، وهذا هو مقتضى كلام التُّجَّيبي، وكذلك سأله عن مسألة الحوت معها لوقوعهما معاً في دفعة واحدة، ولذلك قال التجيبي: فبعث إليه في الجواب في مسألة المركب، وفي مسألة الحوت، وكذلك ما ذكر من تنازع التجار إن كانت هي غير مسألة المركب تكون ثالثة وقعت أيضاً، ومسألة الحوت لا أعرف لأحد فيها نصاً غير ما تقدم من نقل السدري، وَفُتْيَا موسى المذكور، وقبله غير واحد كعياض والجاري على أصل المذهب أن الحوت الثاني للمشتري مُطْلَقاً لأن الاسم يصدق عليه، وذلك كوجود شحم كثير في بطن حوت لا يظن فيه ذلك وإنما وقع الخلاف بعد زمن هذا الشيخ فيمن اشترى حوتاً فوجد في بطنه جوهرة. فقال أبو العباس الأبياني هي للمشتري كقول أصحابنا فيمن باع حجراً وهو لا يعلم ما هو فإذا هو جوهرة، وقال غيره: هي للبائع لأنه باع منه الحوت خاصة وكلاهما نقاه بن يونس. ونقل شيخنا أبو الفضل أبو القاسم أحمد البرزلي قولاً ثالثاً كما قاله أبو الأسود وعزاه لنقل التُّجَّيبي عن أبي بكر الصَّوَّاف لما عرف به ولم أجد هذا الموضوع لأنظره فيه.

قال: روي عن محمد بن سحنون أن داود عليه السلام قال: يا رب كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله إليه قل لسليمان يكون لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك.

قلت: هكذا نقله التُّجِيبِي قال: حدثني أبو القاسم السدري عن موسى بن محمد بن سحنون. وسئل القاضي موسى عن إمامة المرأة من أين لم تجز؟ قال: لأن المرأة لما لم تكن حاكمة، من أجل النقص الذي فيها. وكانت الإمامة مستحقة بكمال الدين وتمام الأحوال، والمرأة غير كاملة الدين والأحوال والحُرمة، فلم تكن مستحقة للإمامة. وقاله أبو إبراهيم التُّجِيبِي.

قال: ولموسى تأليف في أحكام القرآن اثني عشر جزءاً قد أجاده وأتقنه.

قلت: كذلك ذَكَرَ غير واحدٍ، وما زلتُ مُتَعَجِّباً من هذا ومثله؛ إذ لم أر مسألة نقلت عن موسى لا غريباً ولا غيره.

قال: وتوفي سنة ست وثلاثمائة وعمره إحدى وسبعون سنة. وفي كلامه بتر لكونه توفي في ذي القعدة من العام المذكور. قال ربيع القَطَّان: لَمَّا غَسَلْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ أَغْلَقْنَا عَلَيْهِ الْبَيْتَ وَخَرَجْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَبَقِيَ النِّسَاءُ فِي الدَّارِ، فَلَمَّا جِئْنَا أَخْبَرَنَا النِّسَاءُ أَنَّهُمْ سَمِعُوا جَلْبَةَ عَظِيمَةً وَظَنِينُ أَنْ الرِّجَالَ فِي الْبَيْتِ فَعَجَبْنَا مِنْ ذَلِكَ وَتَأَوْلْنَا أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ رَحِمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ.

قلت: يعني ملائكة رحمة بعثهم الله تعالى يُؤفِّسُونَهُ وَيُبَشِّرُونَهُ والله أعلم. وقال بعض أصحابنا رأيت صاحباً لنا في النوم، فسألته عن أستاذنا موسى؟ فقال: ذلك رجلٌ يَدْخُلُ عَلَى اللَّهِ مَتَى شَاءَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ.

166 - ومنهم أبو العباس محمد بن طيب البصري⁽¹⁾ المتعبد⁽²⁾ رحمه الله:

قال: كان من أصحاب أبي سعيد أحمد بن عيسى البغدادي وأبي هارون الأندلسي وابن غلبون وكان يقول: بركة الرجل الصالح تلحق التاسع من الولد وشؤم العاصي يضرُّ الرابع من الولد. توفي سنة ست وثلاثمائة ودفن بباب سلم.

قلت: زدا التُّجِيبِي وسكن سُوسَةَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ نَصْرِ بِحِكَايَاتٍ.

قلت: وكانت وفاته بالقيروان إلا أنه توفي بسوسة ونقل إلى القيروان ولذلك قال العواني: توفي بالقيروان.

(1) في الرياض: المصري.

(2) ترجم له في الرياض: 2/ 136 - 137.

167 - ومنهم أبو حبيب نصر بن الفتح التسوري الفقيه رحمه الله:

قال: سمع من محمد بن سحنون وكان من أصحاب حماس القاضي وكان حمسا يُجَلُّهُ وَيَعْرِفُ حَقَّهُ، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقةً بارعاً الحفظ.

قلت: زاد التُّجِيبِي فقيه البدن. قال: توفي سنة ست وثلاثمائة رحمه الله

تعالى.

168 - ومنهم أبو عمرو هاشم بن مسرور التميمي والد القاضي عبد[الله]⁽¹⁾ بن هاشم رحمه الله⁽²⁾:

قال: سمع من محمد بن سحنون، ومحمد بن عبدوس، وأحمد بن حسان، وأحمد بن لبدة، وأبي عمران القراط. وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً، كثير الصدقة، يتصدق في السنة بالمال العظيم، ويفك السبائيا كسبي تونس وغيرها، ويزودهن. روي أنه خرج ذات يوم في السحر إلى الحمام، وعليه فرّو سمور⁽³⁾، وبيده سطل ومئزر فمرّ بشيخ يرعد من البرد، فرمى بالفرّو والقميص عليه، وخلّله⁽⁴⁾ بمنديله، وأعطاه السطل والمئزر، وتناول حصيراً كان على الشيخ فاستتر به ورجع إلى داره⁽⁵⁾.

قلت: زاد التُّجِيبِي وحضر حلقة عبد الجبار فوقف سائل فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]. فنزع هاشم عمّامته عن رأسه قطعها باثنتين، ورمى بالنصف إليه، فلما ولى. قال هاشم: هذه قلابة ورمى إليه بالنصف الآخر.

(1) في ط: عبد بن هاشم، وهو خطأ. والصواب: عبد الله بن هاشم كما ورد في معالم الإيمان الجزء الثالث رقم الترجمة 221، وفي الديباج، والرياض: عبد الله بن أبي هاشم، وفي طبقات الخشني: عبد الله بن مسرور، وفي شجرة النور الزكية عبد الله بن هاشم 127/1 رقم 209 طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(2) ترجم لهاشم بن مسرور أبو عمرو في الرياض: 144/2 - 151.

(3) السَّمُور: دابة معروفة تُسَوَّى من جلودها فراء غالية الأثمان. وهي جبّة سوداء الوبر. انظر لسان العرب لابن منظور مادة «سمر» 380/4.

(4) في الرياض: جَلَّلَهُ 148/2. (5) الرياض: 148/2.

قال: وكان يذهب إلى دار الجذمي بالدمنة فيصنع الحلوى في الفطر والأضحى، ويجعلهم صفوفاً فيطعمهم بيده ويفلي خرقهم ويذهن رؤوسهم، ويدعو لهم وينصرف.

قلت: مثله ذكر التّجيبى وعزاه لنقل أبي محمد التّفاجي، وكذلك ما يأتي من سخائيه جميعه. ذكره التّجيبى كالمقدم؛ وليس العجب من صنعه الحلوى، إنما العجب من كونه يطعمهم بيده وما بعده.

قال: وكان أول ما تدخل الفاكهة يقف بالمكتب ثم يقول للمؤدب: أخرج إلي من عندك من الأيتام، فيشتري لهم الفاكهة ويطعمهم ويذهن رؤوسهم، ويقبل بين أعينهم، ويقول: ما عسى أن أصنع لكم⁽¹⁾؟ «اللهم⁽²⁾ هذا الجهد مني، وكان إذا حضر جنازة جلس على شفير القبر فإذا نظر إلى اللحد قال: ما أحوج هذا القبر إلى فراش⁽³⁾؟ فينصرف فيتصدق بخير ثيابه. وإذا نظر إلى التراب يهال⁽⁴⁾ على الميت قال: ما أحوج هذا القبر إلى ضياء ونور. فيذهب⁽⁵⁾ فيتصدق بالزيت على الأرامل والضعفاء⁽⁶⁾.

قلت: عزى التّجيبى كونه إذا حضر جنازة إلى آخره لنقل الزّعفراني.

قال: وكان يشتري الكتان فيجعل في كل ربطة رطلاً، ويضرب معها درهماً ويخرج إلى بيوت الأرامل⁽⁷⁾ فيدفع إلى كل بيت رطلاً مع ما يضرب معه من الدرهم حتى يعم كل من يعرف. وكان يقف كل يوم الخميس عند سوق الدجاج، فإذا رأى امرأة⁽⁸⁾ بيدها هرة⁽⁹⁾، أو فرخاً، أو دجاجة أشار إليها ويقول لها: ما دعاك إلى بيع هذا؟ فإن شكك إليه فاقه أعطاها على قدر ما يرى من حالها، فلا ينصرف حتى يذهب آخر الناس. ويقف بالعشي بسوق الغزل فإن رأى امرأة خرجت بخصلة فيقول لها: ما دعاك إلى بيع هذه؟ ألا تركتها حتى تكملني عليها؟ فإن قالت: أنا مضطرة

(1) في الرياض: بكم 145/2.

(2) في الرياض: «ويرفع رأسه إلى السماء ويقول...» 145/2.

(3) في الرياض: فرش 146/2. (4) في الرياض: وهو يهال.

(5) في الرياض: فينصرف 146/2. (6) في الرياض: والمساكين.

(7) في الرياض: زيادة: «والضعفاء والمستورات» 146/2.

(8) في الرياض: أو شيخاً.

(9) في ط. هدة. التصويب من الرياض 146/2.

بكى حتى تخضل لحيته وذهب معها ليرى منزلها فيبعث إليها من القمح والزيت ما يقوم بها، ويشتري لها من الكتّان ما يراه صلاحاً لها. وكان يخرج في الشتاء فيقف كل يوم على باب من أبواب المدينة فإذا بصر بشيخ أو شاب، خرج في الريح والبرد والمطر بحبل يحتطب أو يحش. قال له: ارجع من هذا البرد وهذه نفقتك ونفقة عيالك⁽¹⁾. وكان يمشي في الأسواق على الباعة فيجلس عند الرجل الضعيف فيقول له: نعطيك دراهم تجعلها رأس مالك فإذا ربحت ترد إلي الدراهم فيدفع إليه ما يراه ثم يقوم فلا يعود إليه.

قلت: عزى التّجبي هذا لنقل الزعفراني أيضاً.

قال: وقال أبو بكر بن أبي عقبة الفقيه: باع هاشم مطمراً شعيراً زهاء مائتي قفيز، ثم أخذ المال وركب دابته، فكان يدخل من باب أبي الربيع ويعطي، ويدخل من باب سوق الأحد، ويعطي ويمشي في الشارع، ويعطي ويدخل من باب سلم، ويعطي حتى نفذ ثمن الشعير، فتعرض له شيخ وقال: تصدق علي فنفض له الخريطة فوق منها نصف درهم وثمان، فدفع ذلك إليه فلما كان الليل وقف به شخص فقال، رحمك الله ما الذي أعطيت الشيخ؟

قلت: قال المالكي: «ويروى أن أهل السّجن بعثوا إليه يذكرون ما هم فيه من ضيق الحال، ولم يكن عنده شيء إلا مهراًس نحاس من تركة أبيه، فباعه بثلاثة دنانير، وأخذ بها قمحاً، وجعله خبزاً وبعث به إليهم وجعل ثواب ذلك لأبيه، فراه في المنام فقال له: جزاك الله عني خيراً يا بني أفضل ما جازى ولداً عن والده، فقد كانت بين يدي عقبات عظيمة أعنتني على جواز أعظمها بثمن ذلك المهراس»⁽²⁾. ويروى أنه كان عنده ألف دينار فتصدق بها حتى لم يبق منها إلا خمسة دنانير، ثم إنه اتّجر بها إلى أن عادت ألفاً، وخرّج عنها ثانياً، ثم ثالثاً قال: فعلمت أن الله أوقفني لعباده فأنا أذفع ولا أتوقف⁽³⁾.

قال: وكان له في كل شهر رمضان تسعون ختمة في ليله ونهاره، وأما في سائر الأيام فكان له في كل يوم وليلة خمتان على أنه يتصرّف في حوائجه وضيعته.

(1) الخبر في الرياض: 147/2.

(2) الخبر في الرياض بصيغة مختلفة 148/2 - 149.

(3) الخبر في الرياض 148/2.

قلت: ذكره التُّجِيبِي فهذا الشيخ هاشم جمع بين ثلاث خصال؛ العلم والعمل، والسَّخَاءِ التام. فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُ وَأَعَانَهُ، وَنَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْطِينَا مِمَّا أَعْطَاهُ.

قال: وتوفي في يوم السبت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وهو ابن أربع وسبعين سنة ودفن بباب سَلَم.

قلت: وقبره مَزَارٌ، وعند رأسِهِ سارية كبيرة لا كُتِبَ فيها، وقبره غربي قبر ولده عبد الله القاضي.

169 - ومنهم أبو سعيد محمد بن محمد بن سَحْنُون بن سعيد التبوخي رحمه الله⁽¹⁾:

قال: سمع من رجال جده.

قلت: ظَاهِرُهُ أنه لم يقرأ على والده وهو كذلك. قال أبو بكر المالكي: قال أبو عبد الله الخِرَاطُ: «لم يسمع أبو سعيد من أبيه وسمع من رجال جده»⁽²⁾. وقال الطبري: له سَمَاعٌ من أبيه وهو عندي وَهَمٌّ لأنه وُلِدَ في العام الذي مات فيه أبو محمد. وكان وَائِدُهُ اشترى أُمَّةً اسْمُهَا «قَرَاطِيسٌ» بمصر سمع بكاءها في القافلة فَسَأَلَ عنها، فقيل له: جاريةٌ لأندلسي يريد بيعها، ولها أبوان بالمغرب فاشتراها وأرسلها إلى إفريقية وقال: والله ما اشتريتها رَغْبَةً فِيهَا، ولكن لأَجْمَعَ بَيْنَهَا وبينَ أبويها لَعَلَّ الله يجمع بيني وبين أبي فَتَسْرَأَهَا وَأُولَدَهَا أولاداً⁽³⁾. قال أبو عبد الله الخراط: وخرج وَائِدُهُ محمد مع الأمين محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب إلى سوسة، فلما صَلَّى الصُّبْحَ جلس بعد الصلاة فقال لمن حوله: يأتيني اليوم بشير من القبروان يخبرني بأن قراطيس جاريته وضعت حَمْلَهَا، وأتت بسلام وأنا أسميه إن شاء الله باسمي، وأكنيه بِكُنْيَةِ أَبِي، ويكون رجلاً صالحاً فما انتصف النهار حتى أتاه غلام له فبشره بأُمٍ وولده «قراطيس» ولدت غلاماً، فنزع ثوباً كان عليه له قيمة⁽⁴⁾ فرمى به إليه⁽⁵⁾، فلما صار الثوب [بيد الغلام]⁽⁶⁾ قال له: اختر إما أن تَرُدَّ الثوبَ وَأَعْتِقَكَ أو

(1) ترجم له في الرياض: 2/ 152 - 155، طبقات الحُشْنِي ص: 219 رقم 49، البيان المغرب 181/1 [وفيات 306هـ].

(2) الرياض: 2/ 153.

(3) الخبر في الرياض: 2/ 154.

(4) في الرياض: قدر 2/ 153.

(5) في الرياض: إلى الغلام 2/ 153.

(6) في الرياض: إليه 2/ 153.

تَحْبِسَ الثَّوْبَ وَأَنْتَ مَمْلُوكٌ؟ فَرَدَّ الْغُلَامُ الثَّوْبَ وَأَعْتَقَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ رُؤْيَا رَأَاهَا مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ. وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَاضِلًا ذَا وَرَعٍ وَعَقْلِ وَصَلَاحٍ، مَشْهُورًا بِالْفَضْلِ، أَوْحَدَ زَمَانِهِ عِبَادَةً وَفَضْلًا، وَسُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جُبِلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»⁽¹⁾. فَقَالَ: وَاعْجَبًا مِمَّنْ لَمْ يَرِ مُحْسِنًا غَيْرَ اللَّهِ، كَيْفَ لَا يَمِيلُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى اللَّهِ؟ كَيْفَ لَا تُحِبُّ رَبَّكَ وَمَا انْفَكَّتْ قَطُّ مِنْ بَرِّهِ؟ مَا أَقْبَحَ الْغَفْلَةَ عَنْ طَاعَةِ مَنْ لَمْ يَغْفُلْ عَنْ بَرِّكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

قلت: وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد التُّفَّاحِي: كان أبو سعيد كثيرًا ما يقول: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 10 - 12]. وكان كثيرًا ما يقول: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1]. ثم يقول: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48] ثم يقول: ابن آدم إنك مسؤول.

قال: وكان يقول: «إني لأذهبُ إلى الخلاءِ فأقنعُ رأسي حياءً من ربِّي». وحكى أبو محمد التُّفَّاحِي أنه كان كثيرًا ما يجتمعُ بأبي العباس الخضر.

قلت: قال المالكي: وامتنحن على يدي المروزي قاضي الشيعة لعنه الله وقال له: بلغني عنك أشياء أقل ما يجب فيها سفك الدماء فاشتغل بما يعينك⁽²⁾. وأمر غلامه فقنعه أسواطاً⁽³⁾. وكان يقول: ما دفعتُ عنه بهذا إلا كثيرًا، وما فعلتُ إلا شفقة عليه، فإن المشاركة أكثرها فيه، فأردتُ أن أرضيهم بما فعلتُ، خوفًا أن يرفعوا خبره إلى السلطان، فيكون في أمره أكبر، وما عاقبتُ أحدًا مثلما عاقبته إكراماً لجدِّه.

قال: وتوفي سنة سبع، وقيل سنة ثمان وثلاثمائة.

(1) الحديث أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ص: 206 رقم 365 والجامع الصغير للسيوطي ص: 218 رقم (3580) من رواية ابن مسعود ورمز له بحرف (ض) أي ضعيف، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص: 98 رقم (55)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص: 181 رقم (152)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ص: 118 رقم (529) وهو حديث باطل.

(2) الرياض: 155/2.

(3) في الرياض: فقنعه «درات يسيرة» 155/2.

قلت: مثله نقل التَّجِيبِي ولم يذكر المالكي غير الأول. وقيل: توفي سنة ست. قال: وهو ابن أربع وخمسين سنة سن أبيه، ودفن بجوار أبيه محمد. قلت: وقبره غير ظاهر في زَمَانِنَا، وكونه دفن بجوار أبيه، يَتَنَزَّلُ مَنزِلَةً رُؤْيَةً قبره رحمه الله تعالى.

170 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن بسيل⁽¹⁾ رحمه الله:

قال: كان من أصحاب سَخْنُون وله منه إجازة، وله سماع كثير بالمشرق وإفريقية.

قلت: كما سمع من سحنون، سمع من أبيه سليمان، ومن محمد بن عبد السلام، ومن محمد بن رمح بمصر وغيرهم. وكانت رحلته إلى المشرق وهو دون العشرين سنة وسمع منه أبو العرب بن تميم، وربيع القطان، وأبو القاسم بن جبران، وغيرهم.

قال: وكتب عن محمد بن رمح.

قال: وكان ذا علم وفضل وُلِدَ سنة عشرين ومائتين وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة.

قلت: وهو خلاف قول التَّجِيبِي توفي في المحرم منها ودفن بباب سلم وهو خلاف قول غيره دفن بباب أبي الربيع.

171 - ومنهم أبو جعفر أحمد بن خليل العَسَّال رحمه الله:

قال: كان إمام جامع القيروان، وكان فاضلاً جداً من المتعبدين.

قلت: ما ذكر مثله للتَّجِيبِي وفيه قصور لقول غيرهما: كان رجلاً صالحاً فاضلاً ورعاً صَوَاماً قَوَاماً، من المتعبدين المتبتلين القانتين، المشهورين بالعبادة والفضل وإجابة الدعاء، وكان ذا سَمْتٍ وَنُسْكٍ.

قال: وتوفي سنة ثمان وثلاثمائة، ودفن بباب سلم، وَقَبْرُهُ مَعْلُومٌ رحمه الله.

(1) ورد ذكره في الرياض: 414/2، طبقات أبي العرب ص: 158، 176، 202، طبقات

الخشني ص: 208 رقم 29.

172 - ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن يونس الخشاب⁽¹⁾ القاضي رحمه الله :

قال : كان ثقة فاضلاً .

قلت : زاد غيره جليلاً عدلاً .

قال : ولأه عيسى ابن مسكين مظالم القيروان .

قلت : في كلامه بتر لكونه كان كاتباً لابن طالب، ولحماس بن مروان، وولي قضاء مدينة رَقَادَةَ وكان كاتبه أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد الفقيه، ولذلك وصفه غيره بالقاضي .

قلت : توفي سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله .

173 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن نصر المتعبد⁽²⁾ المعروف بالغنمي :

كذا قال، وقال غيره : المعروف بابن الغنمي .

قال : من رجال محمد بن سحنون، وكان فقيهاً زاهداً عابداً حاذقاً مُجَابِ الدُّعَاءِ، طويل الصَّمْتِ، كثير التَّهَجُّدِ. روي أنه كان يَشُدُّ اللَّفَائِفَ عَلَى سَاقِيهِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ وكان يختم كل ليلة ثلاث ختم .

قلت : في كَلَامِهِ بتر لقول أبي بكر التُّجِيبِي أخبرني والدي رحمه الله تعالى أنه كان يختم ثلاث ختم كل ليلة، ويطأ زوجته ثلاث مَرَّاتٍ، ويغتسل ثلاث مرات⁽³⁾ . قال أبو بكر المالكي وهذا كما روى عبد الله بن وهب الفقيه أنه قال : كان سليمان بن غنم التُّجِيبِي يختم في كل ليلة ثلاث مرات، ويطأ زوجته ثلاث مرات ويغتسل ثلاث مرات، فكانت امرأته خلف نَعْشِهِ تقول : «رحمك الله لقد كنت أَرْضِي رَبَّكَ وَتَسْرُّ أَهْلَكَ»⁽⁴⁾ .

(1) ترجم له في طبقات الخُشَنِي ص : 230 رقم 71 ص : 309 رقم 201، البيان المغرب ص :

185 [وفيات 308] ولقب بالحساب بدل الخشاب، وورد ذكره في الرياض : 76 / 2 .

(2) ترجم له في الرياض : 189 / 2 - 192 وفيه اسمه : أبو محمد عبد الله المعروف بالغنمي

الفخار، وطبقات الخُشَنِي ص : 231 رقم (74) ورد نسبه هنا أبو محمد الغنمي، البيان

المغرب 1 / 193 وفيه : عبد الله العيني .

(3) الرياض : 190 / 2 .

(4) في الرياض : «مرضياً لربك، مرضياً لأهلك» 191 / 2 .

قال: وكان إذا جَنَّ اللَّيْلُ يقف على رأسه قنديل من السماء يزهر لا معاليق له⁽¹⁾. وتهجد ليلة بالمنستير بخمس ختم.

قلت: هذا كما قال يقتضي أن كثرة القراءة أفضل من قلة القراءة مع تفهم المعنى، وهذا أحد طريقي الشيوخ، والذي عليه النقول العكس أفضل. وكان أحمد بن نصر هذا مع اجتهاده قوته في اليوم واللييلة ربع خبزة، ثمن جميع الخبزة ربع درهم. نقلته من حفطي.

قال: روي أنه قال: سألت محمد بن سحنون عن الرجل يجلس على ثوب الرجل في الصلاة فيقوم صاحب الثوب وهو تحت الجالس فينخرق خرقاً فاحشاً فقال: ليس على الجالس ضَمَانٌ لأنَّ ذلك مما لا يجد الناس منه بُدْأً في صلاتهم.

قلت: مثله نقل التُّجِيبِي ونقل مثله ابن يونس عن نقل ابن حبيب، عن مطرف، وابن الماجشون، وبه الفُتْيَا. وقال بعض الموثِّقِينَ الجالس يضمن، وأخذه بعضهم من قول المدونة في الأكرية، والديات في المتصادمين، فرسٌ كُلٌّ واحد منهما في مال الآخر، واختار شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي أن الضمان منهما كَمُحْرِمٍ حَبَسَ صَيْدًا لحلال قتله.

قال: وتوفي سنة [ست عشرة وثلاثمائة:]⁽²⁾ ودفن بباب سلم⁽³⁾ رحمه الله.

174 - ومنهم أبو القاسم الحسن بن مفرج مَوْلَى مَهْرِيَّة⁽⁴⁾ رحمه الله:

كذا قال، ويعني بها كما قال التُّجِيبِي بنت الأغلب بن إبراهيم.

قال: كان من العبَّاد الزَّهاد البُدلاء الموثِّرين، ينتحلُ التَّوَكُّلَ، كثير الحج، والأسفار والتغريب عن الأوطان.

(1) الخبر في الرياض: 2/192.

(2) في نطعة تقديم المطبوعة سنة 1320هـ، والطبعة الجديدة المحققة من الجزء الثاني الصفحة 352، أن وفاته كانت سنة "تسع وثلاثمائة" تم التصحيح من الرياض، وطبقات الخشني، والبيان المغرب.

(3) في الرياض: دفن بباب أبي الربيع 2/189.

(4) ترجم له في الرياض ترجمة جد مختصرة 2/165 - 166، طبقات الخشني ص: 299 رقم (170)، البيان المغرب 1/187 [حوادث 309].

قلت: زاد التُّجِيبِي بعد قوله الموثرين العاملين وكان الشيخ رأى أن قوله من العباد يغني عن ذلك وكذلك المالكي زاد العاملين وجعل عوض الموثرين المريرين وهي أخص.

قال: روي أنه كان في السَّيَاحَةِ مع أصحابه فاشتد بهم الجوع، فنزلوا على رجل فأتاهم بطعام كثير، فلما أكل لُقْمَةً أو لُقْمَتَيْنِ قام وهو يقول: حَضَرَ الطَّعَامُ وَغَابَ ذِكْرُ الرَّبِّ وَلَمْ يَأْكُلْ. قيل: يُحْتَمَلُ أن يكون نسي التَّسْمِيَةَ فأراد أن يُؤدِّبَ نَفْسَهُ، وَلَمَّا كان جائعاً كان ذاكراً لله، وعند الطَّعَامِ غفل عن الذِّكْرِ.

قلت: نقل الحكاية عنه أبو محمد التُّفَاجِي والوجه الأول ذكره التجيبي ولم يذكر غيره. فقال: أراه نسي التَّسْمِيَةَ. فأراد أن يُؤدِّبَ نفسه. قال أبو الحسن بن الحلاف: قال له لقمان⁽¹⁾ بن يوسف فقيه تونس لما رأى به من الفاقة ما رق له فيه. يروي في الحديث: «أنه من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»⁽²⁾. فنظر إليه بوجهه ثم قال له: لله عليّ لولا أهدر سورة من كتاب الله عز وجل ما قرأتها أبداً.

قال: مات أبو القاسم شهيداً قتله عبيد الله المهدي، وكان سبب قتله أنه رأى أموراً لا يحل المقام عليها لمسلم، فخرج مع جماعة على عبيد الله فأخذ وقتل وقتل معه محمد بن عبد الله السدري وصلبا جميعاً فكان يرى على خشبته بالليل نور، ويسمع منه قراءة القرآن، فأمر به فأُنزل ودُفن، وذلك سنة تسع وثلاثمائة. وقيل: إنما قتل لأنه نُقِلَ عنه تفضيلُ بعض الصحابة على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكرم وجهه. قال التُّجِيبِي: ولما سُجن رئي كأنه أتى بقصعة من شهيد فَتَحَسَّاهَا فأصبح يحكيها. فقال له رجل: أي شيء؟ هذه الشهادة أتتكم فما تضحى

(1) هو أبو سعيد لقمان بن يوسف الغساني كان فقيهاً بتونس توفي سنة 318هـ ترجم له في الرياض: 193/1 - 194، وطبقات الخُشْنِي ص: 224 - 225 وفيه أنه توفي سنة 319هـ.

(2) الحديث أخرجه الديلمي من حديث ابن عباس وفيه أحمد بن عمر اليمامي وهو كذاب. وأورده السيوطي في الجامع الصغير ص: 538 رقم 8942 وأسند تخريجه للبيهقي في شعب الإيمان من رواية ابن مسعود ورمز له بحرف (ض) أي ضعيف، وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص: 331 رقم 41. وقال: «في إسناده كذاب».

نهار ذلك اليوم حتى قتل فكأنه جزع، فقيل له: تكرر القُدومَ على الله فوثب كأنه خُلَّ مِنْ عِقَالٍ يَقُولُ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ حتى ضربت عنقه. وقال المالكي: «قِتْلًا»⁽¹⁾ بالرماح وصلبا برملة المهدية».

قلت: وقال بعضهم: كان أبو عبد الله محمد السُدري⁽²⁾ هذا فقيهاً ناسكاً زاهداً عابداً من العباد الزاهدين، المريدين العاملين، الخائفين الوجلين، المتوكلين الصائمين، القائمين القانتين السائحين، سَاحَ في البلدان وَتَغَرَّبَ عن الأوطان، وَحَجَّ حججاً كثيرة، وجاور وأقام بالمشرق سنين عديدة، بعد أن أقام بالمغرب مدة. روى عن أبي القاسم الحسن بن مفرج المذكور أنه قال: صحبت أبا عبد الله السدري طويلاً بالمشرق فانتهدت صحبتي معه إلى أن صعدا الطور، فلما انتهينا إلى الموضع الذي قيل إن الله كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام خَرَّ صَعِقاً فاستعنت ببعض من كان بالموضع على حملة وإنزاله فأقام مغشياً عليه باقي يومه وليلته. قال: ثم دخلنا إلى الموضع الذي يقال: إن الشجرة التي سمع موسى الكلام من ناحيتها كانت فيه وقد بنيت عليه بيت وله حفظة وقوام فلما دخل أبو عبد الله السدري الموضع بقي مبهوتاً كأولها، لا يطيق كلاماً ولا يرد جواباً. ورؤي عنه أنه رضي الله تعالى عنه كان في السّياحة مع أصحابه فنزلوا على رجل فأتاهم بكنافة فمدّ السُدري يده لياكل مع أصحابه ثم نصبها قبل أن يمس الطعام، وقال لأصحابه: «كلوا رحمكم الله تعالى». فقالوا له: وكل أنت معنا، فقال لهم: كما أقول لكم فلست أكل شيئاً منها، فقالوا: ولم؟ فقال: غلبت علي شهوة نفسي فمددت يدي ولم أذكر ربي عزّ وجل. قال المالكي وروى عن أبي بكر بن شراحيل الصدفي أنه قال: «صحبت أبا عبد الله السدري في طريق الجزيرة حتى انتهينا إلى شجرة لها ظل فوقف السدري يُصَلِّي تحت الشجرة، واضطجعتُ إلى جنبه فأقبل سَبْعُ فقلتُ له: أصلحك الله سَبْعُ جاءنا فأقبل على صلاته ولم يشتغل بكلامي، والسبع يقرب منا فلما رأته لم يشتغل

(1) الذي قُتل معه في ذلك اليوم هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري قِتْلًا جميعاً بالرماح وُضُنًا. الرياض: 166/2.

(2) النظر ترجمة محمد السدري في الرياض: 166/2 - 175.

بكلامي تعلقت بأغصان الشجرة وصرت فوقها وبقيت أنظر ما الذي يعمل له⁽¹⁾ فنظرت إلى السبع وقد دار من خلفه فشمه ثم دار عن يمينه وَشِمَالِهِ، ثم بسط ذراعيه وجعل يُحَرِّكُ ذنبه، فركع السدري وسلم. ثم جلس وقال: خيراً شغلت قلوبنا إن كنت أمرت فينا بشيء فامتثله وإلا فاذهب، فقام السبع⁽²⁾ وتمطى وذهب. فمد السدري يده إلي فجذبني من فوق الشجرة ولكزني بيده من خلفي وقال أو تخاف غير الله عز وجل⁽³⁾.

175 - ومنهم أبو بكر بن بشير المعلم⁽⁴⁾ رحمه الله:

قال: سمع من يحيى بن عمر، وأحمد بن أبي سليمان، وأحمد بن يزيد، وسعيد بن إسحاق، وكان من أهل العلم والتعبد والتلاوة والتهجد معلماً للقرآن وتوفي ليلة الجمعة لعشر خلون من شعبان سنة تسع وثلاثمائة ودفن بباب سلم وقبره معروف في قبة المقبرة.

176 - ومنهم أبو عمرو ميمون بن عمرو القاضي الزاهد⁽⁵⁾ رحمه الله:

قال أبو بكر المالكي: «سمع من سحنون وكان معدوداً في أصحابه وكان رجلاً صالحاً ذا فضل ودين»⁽⁶⁾.

قال: قال أبو بكر الزويلي لما ولي أبو عمرو وصل إلى سوسة، فقال: يا أهل سوسة هذا كسائي وَجُبَّتِي، وَخُرْجِي فيه كُتْبِي، وهذه السوداء تخدمني معها كساءها وجبتها بهذا خرجت وانظروا بأي شيء أرجع؟ فلما وصل صقلية قيل له: هذه دار القضاة⁽⁷⁾ تنزل فيها. قال: هذه دار عظماء أي شيء أعمل بها⁽⁸⁾؟ فنزل في حجرة⁽⁹⁾

(1) في الرياض: به 167/2.

(2) السبع: يقصد به الحيوان المفترس، ولعله يراد به هنا الأسد. والله أعلم.

(3) الرياض: 167/2. (4) ورد ذكره في الرياض: 36/2.

(5) ترجم له في الرياض: 179/2 - 180، طبقات الخشني ص: 252 وفيه أنه توفي سنة 304هـ كما في البيان أيضاً: 175/1.

(6) الرياض: 179/2. (7) في الرياض: القضاء 180/2.

(8) في الرياض: فيها 180/2. (9) في الرياض: في دويرة لطيفة.

فكانت السوداء تغزل وتبيع غزلها وتطعمه، فإذا قرع أحد بابه خرجت السوداء وقالت: الساعة يخرج إليكم القاضي، فيخرج فيقضي بين الناس على بابه ثم يدخل أقام على ذلك سنين إلى أن اعتل، فأقام ثلاثاً لم يخرج وتكاثر الناس على بابه فخرجت السوداء فقالت: ادخلوا عودوا القاضي، فإنه مريض، فدخلوا عليه وتحتة حصير وعند رأسه وسادة محشوة بالتبن فبكى وقال: يعلم الله لقد اجتهدت ما استطعت، وقد سألت الآن الأمير ورغبت إليه في المعافاة، وأنا شيخ كبير منصرف إلى القيروان، فبكى الناس واعولوا ثم خرج عنهم وهو عليل، فلما وصل إلى سوسة قال: يا أهل سوسة كما خرجنا رجعنا هذا كسائي وجبتي وخرجي وكتبي وهذه السوداء كذلك والله ما تلبست بشيء من دُنْيَاكُمْ حتى انصرفت، ثم وصل إلى القيروان فتوفي بها سنة عشر وثلاثمائة.

قلت: ودفن بباب سلم. وأبو بكر: هو أبو بكر أحمد بن بكر الزويلي. وأراد بقوله بهذا خرجت: أي عنكم وتبع في لفظه التجيبي. ولفظ المالكي: «بهذا دخلنا عنكم وزاد بعد كسائي وفروي»⁽¹⁾.

177 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن حربونة المتعبد رحمه الله:

قال: كان من المجتهدين في العبادة، معروفاً بالزهد والإجابة، منسوباً إلى المحبة وكان إذا استغاث به أحد من ظلم سلطان قام فصلى ركعتين، ثم يدعو بشيء خفيف، ثم يقول للمستغيث: اذهب فإنك لا ترى بلاء. حكى أنه جلس في جماعة فقال له رجل: يا أبا عبد الله إن فلاناً كثر أذاؤه لي. فقال: اللهم أكفناهُ بلاء ضرر عليه في دينه ولا دنياه. فأحدث الله في قلب ذلك الرجل الحج من ساعته، فوصل من حينه إلى الشيخ فودعه وانصرف إلى الحج.

قلت: ما ذكره نقله التجيبي وعزى حكاية الرجل لنقل أبي الحسن، ويعني به ابن الحلاف لتصريح غيره بذلك. قال التجيبي: روي عن النبي ﷺ تسليمًا أنه قال: «من صلى عليّ تعظيماً لي، وشوقاً إليّ خلق الله من تلك الصلاة ملكاً رجلاًه في

(1) الرياض 180/2.

الأرض السابعة السفلى، ورأسه تحت العرش يقول الله عز وجل: صلّ على عبدي كما صلّي على نبيّ فهو يُصلّي عليه إلى يوم القيامة».

178 - ومنهم أبو محمد سعيد بن حكيمون⁽¹⁾ الفقيه رحمه الله:

قال: كان من رجال محمد بن سحنون، وكان من أهل الفقه والرواية.

قلت: زاد التّجيبى والتّقى.

قال: قال أبو القاسم السّدرى: حدثني أبو محمد سعيد بن حكيمون أنه سُئِلَ عن قوم بينما هم يصلّون الجمعة إذ دخل عليهم رجل المسجد فسدت عليهم الجمعة بدخوله قال: ينبغي أن يكون إمامهم عبداً أبق لهذا الرجل، فلما دخل بطلت الجمعة لأن العبد لا يقيم الجمعة.

قلت: ذكره التّجيبى بلفظ حدثني بهذا عنه أبو القاسم السّدرى.

قلت: والمراد بدخوله ظهر كونه عبداً وإلا فليس بشرط، والحاصل مهما تبيّن أنه عبد، يعيدوا سواء دخل عليه سيده أم لا.

قلت: روى كتاب الزهري لسحنون عن محمد بن سحنون عن أبيه، وكتاب الورع لابن عبّدوس. توفي سنة سبع وثلاثمائة ودفن باب أبي الربيع رحمه الله ورضي عنه.

179 - ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله القيسي المتعبد رحمه الله:

قال: كان من أهل العبادة، والحزن، والخشية، والزهد، والتهجد، أصيب في بصره فقيل له: ألا تداويت؟ فقال: الأمر أقرب من ذلك، وكان يقول: ما يؤمنك أن تكون بارزت الله تعالى بعمل يمقتك عليه فاغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك، كيف يكون حالك؟ روى عنه أبو بكر بن اللباد، وأبو عبد الرحمن بن المرجي أنه قال: فتحت المصحف وأنا أبصر فقرأت: ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿طه: 1، 2﴾ إلى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: 5﴾ حتى

(1) ورد ذكره في الرياض: 1/ 460 - 488، طبقات الخشني ص: 218 رقم 47.

بلغت: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٧) [طه: 7] وكانت لي مرآة من حديد في كوة فطارت من أرض الكوة فضربت سقفها ثم سقطت فأخذتها ودفعتها في الكوة ثم رجعت فقرأت ﴿طه﴾ (٨) [طه: 1] حتى بلغت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه: 18] فطارت ثم سقطت فجعلتها في الكوة ثم أعدت القراءة ففعلت ذلك ثلاث مرّات فانصرفت عن القراءة وسكنت المرأة.

قلت: مثله ذكر المائكي والتجيبى. ومحمل المرأة أن الله خلق لها إدراكاً فهمت به ما دلّ عليه معنى ما قرأ من التلاوة والله أعلم. وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة رحمه الله تعالى ونفع به أمين.

180 - ومنهم أبو عبد الله محمد بن قطنية المتعبد⁽¹⁾ رحمه الله:

قال: جمع له العلم بالله، والفقه، والزهد، والورع، وكان له اجتماع بالخضر عليه السلام قال أبو محمد بن أبي عيسى سألته عن ذلك قال: بكرت في يوم جمعة إلى الجامع، فجلست في أحد ركنيه من الصف الأول، فلما أذن المؤذن ختمت ختمة وإذا برجل قد دخل بيني وبين الرجل الملاصق لي، فأحرم فقلت في نفسي: ما وجد موضعاً إلا هذا؟ فأخذت نعلي وقيمت فأتيت الركن الذي قبالة من الصف نفسه، فلم أحرم إلا والرجل قد أحرم إلى جنبي، فأخذت إلى ما كنت فيه فلما انقضت صلاتي عطف علي وقال: أتعرفني؟ فقلت: لا فقال أنا الخضر فسلمت عليه فجعل يعظني إلى أن قال لي: عليك بخدمة الله في الأرض يعني الصلاة ثم غاب عني فلم أراه واجتمعت إلى أصحابي فأخبرتهم الخبر فأقمت عشرين سنة لم أراه فأنا جالس في الجانب الشرقي، إذ أقبل فسلم علي ثم جلس وجرى بيننا حديث فقلت له بعد عشرين سنة فقال: خشيت عليك الفتنة لم أقم عنك حتى أخبرت أصحابك فهو يحدثني إذ خرج علينا مروان بن نصر من سقف الجامع فقال لي: هذا أبو عبد الملك، وأنا ذاهب إليه فودعني وانصرف فاتبعته ببصري حتى لقي أبا عبد الملك فمشى معه حتى خرج من الجامع⁽²⁾.

(1) ترجم له في الرياض: 2/176 - 177. (2) الخبر ورد في الرياض: 2/177.

قلت: ذكر جميعه التُّجِيبِي، وقف على هذا فإن صلاة أبي عبد الله هذا تقتضي جواز النافلة والإمام على المنبر، إلا أنه يحتمل ما لم يخطب الإمام، ويحتمل وإن خطب كما قاله الشيخ أبو القاسم السيوري قال ابن شَّاس ورواه محمد بن الحسن عن مالك قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغمي: ولا أعرفه لغيره وهو قصور لنقل ابن العربي إياه في العارضة.

قال: وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

انتهى الجزء الثاني من كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان من تجزئة أربعة أجزاء ويليه الجزء الثالث وأوله ترجمة أبي حبيب سعيد بن محمد بن سحنون رحمه الله.

فهرس المحتويات

- 87 - أبو عبد الله أسد بن الفُرات بن
سنان مولى بني سليم 3
أول مدينة بنيت في الأرض بعد
الطوفان 3
المرء في عيون الناس حيث يضع نفسه
أخذ النسخ من رسوم الوفيات 8
جمع الإمارة والقضاء لواحد 13
الكلام على فتح صقلية 13
88 - أبو خالد عبد الخالق يعرف
بالتقات 15
89 - أبو مُحرز محمد بن عبد الله بن
قيس بن مسلم الكِنَاني القَاضي 16
90 - أحمد بن أبي مُحرز المتقدم ذكره
الآن 22
ما أعظم هذا التهديد في تعظيم
الشريعة 26
91 - أبو زكرياء محمد بن رشيد مولى
عبد السلام بن [المفرج] العابد 28
دواء مرض العين 28
92 - أبو جعفر موسى بن معاوية
الضُمادحي 28
93 - أبو محمد عبد الله بن أبي
حسان اليحْضبي 32
حديث «إذا أتاكم عميد قوم فأكرموه» .
ثناء الإمام مالك على المدينة والكوفة
والقيروان 33
دعاء يقال عند النوم 33
- 94 - أبو الحجاج: رباح بن ثابت
الأزدي 35
رقية ومطهرة من الذنوب 35
95 - أبو زكرياء يحيى بن سليمان
الفارسي الحُفَري 35
96 - عباس بن عبد الله الضَّيرير 36
97 - زُرارة بن عبد الله 37
يكره رفع الصوت في المسجد بالقرآن
98 - أبو عمرو البُهلول بن عمرو بن
صالح بن عُبيدة التَّجِيبِي 37
99 - أبو زكرياء يحيى بن الحكم
اللخمي 38
100 - يزيد بن محمد الجُمَحي 39
101 - أبو محمد عون بن يوسف
الخزاعي 40
102 - أبو سعيد سَحْنُون بن سعيد ابن
حبيب التَّوْخِي رحمه الله تعالى 42
أول من جعل بالجامع إماماً للصلاة
وكان الأمراء هم الأئمة 47
103 - حبيب بن سعيد التَّوْخِي أخو
سَحْنُون بن سعيد 55
104 - أبو الوليد مَرْوَان بن [أبي]
شَحْمَةَ البلوي (مولى آل عمر بن
الخطاب) 55
105 - أبو عبد الله حَمْدُون بن عبد الله
العَسال 56
106 - أبو سنان زَيْد بن سنان الأَسدي 57

- 107 - أبو خَلْف مَظْرُوح بن قَيْس
الخِيَّاط الزَّاهِد 58
- ترك العبادة ملالة مقت من الله تعالى .. 59
- 108 - أبو يحيى أحمد بن محمد بن
قَادِم 59
- 109 - دُحَيْم الضَّرِير المتعبد 59
- 110 - أبو محمد عبد الله بن سَهْل
الْقَبْرِيَّانِي 60
- 111 - سعيد البكاء الضَّرِير المتعبد ... 60
- 112 - أبو محمد الأنصاري الضَّرِير .. 61
- 113 - أبو عثمان سَعِيد بن عباد
السُّرْتِي 63
- 114 - أبو سليمان داود بن يحيى
الصَّوَّاف والد أحمد بن سليمان
الْفَقِيه 64
- 115 - جعفر بن محمد بن عِيَّاض
المعلم 65
- 116 - أبو عبد الله محمد بن سحنون
التنوخي 65
- العراق منه جاءت الفتنة 69
- 117 - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن
عبد الله بن عَبْدُوس صَاحِب
المجموعة 73
- 118 - أبو جعفر أحمد بن لبدة رحمه
الله 77
- 119 - محمد بن يحيى بن سلام
الْتِمِي رحمه الله 77
- 120 - أبو عبد الله محمد بن شَوَّال
الطَّائِي رحمه الله تعالى 80
- 121 - أبو إبراهيم إسحاق بن
إبراهيم بن عَبْدُوس رحمه الله تعالى . 80
- 122 - سُليمان بن عِمْرَان القاضي
رحمه الله تعالى 80
- 123 - أبو داود العَطَّار واسمه أحمد بن
مُوسَى بن جَرِير الأَزْدِي 83
- 124 - أبو العباس عبد الله بن أحمد بن
طالب التميمي القاضي 84
- 125 - أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء
الضَّرِير رحمه الله تعالى 91
- 126 - أبو محمد عبد الله بن خليل
التونسي المقعد رحمه الله تعالى 93
- 127 - أبو جعفر أحمد بن معتب بن
أبي الأزهر عبد الوارث بن حسن
الأزدي رحمه الله تعالى 93
- 128 - أبو عبد الله محمد بن زرقون بن
أبي مريم المعروف بالطيارة 97
- 129 - أبو حَفْص عَبْدُ الْجَبَّارِ بِنُ خَالِدِ
بِنُ عِمْرَانِ السُّرْتِي 98
- 130 - أبو أحمد مُعْتَب بن رَبَّاح 102
- 131 - محمد بن محمد بن يحيى بن
سلام التميمي تيم ربيعة رحمه الله
تعالى 103
- 132 - أبو يزيد سَهْل بن عبد الله بن
سهل القَبْرِيَّانِي رحمه الله تعالى 104
- 133 - أَبُو حَفْص أحمد بن وازن
الصَّوَّاف الفقيه المتعبد 105
- 134 - ومنهم حَبِيبُ بن نَصْر بن سَهْل
الْتِمِي صاحب مظالم سحنون
ومعدود في أصحابه رحمه الله
تعالى 106
- 135 - أبو جعفر محمد بن أَبَان
الجَمَيْرِي رحمه الله تعالى 107

- 136 - أبو عبد الله أحمد بن يزيد
المعلم رحمه الله تعالى 107
- 137 - أبو جعفر حمديس القطان
رحمه الله تعالى 107
- التعفف عن نهى الجبارة من السنة ... 110
- الرفق في الأمر بالمعروف من السنة ... 110
- 138 - أبو الربيع سليمان بن سالم
الكندي القطان [الفيهي] القاضي
يعرف بابن كحالة صاحب سحنون
رحمه الله تعالى 111
- 139 - أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان
داود الربيعي الصواف رحمه الله
تعالى 112
- 140 - أبو عقاب غلبون بن الحسن بن
غلبون رحمه الله تعالى 116
- 141 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن
سعيد بن الأشج الفقيه 126
- ما يقول الداخل على الظالم 126
- 142 - أبو زكرياء يحيى بن عمر بن
يوسف بن عامر الكناني الأندلسي
من أهل جيان 127
- قضاء الحقوق أفضل من عبادة سبعين
سنة 131
- 143 - أبو زكرياء يحيى بن عون بن
يوسف الخزاعي الزاهد رحمه الله ... 134
- 144 - أبو عبد الله محمد بن زُرُّر
رحمه الله 135
- 145 - أبو سهل فرات بن محمد
العبيدي رحمه الله 136
- 146 - أبو عبد الله محمد بن أبي
حميد السوسي المستجاب رحمه الله 136
- 147 - أبو عثمان سعيد بن إسحاق
الكلبي رحمه الله 139
- 148 - أبو عيَّاش أحمد بن موسى
العافقي رحمه الله 141
- 149 - أبو عبد الله محمد بن مسرور
الضريير رحمه الله 142
- 150 - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن
حسين الضبيُّ الشهيد المعروف بابن
البرذون رحمه الله تعالى 143
- 151 - أبو بكر بن هذيل الفقيه رحمه
الله تعالى 146
- 152 - أبو يوسف جبلة بن حمود بن
عبد الرحمن بن مسلمة الصديفي
رحمه الله 148
- 153 - أبو عبد الرحمن بكر بن
حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي
التاهرتي رحمه الله تعالى 155
- 154 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
المغربي رحمه الله تعالى 157
- دعاء لطيف 158
- 155 - أبو عبد الله محمد بن أبي داود
أحمد بن أبي موسى بن حريز
الأزدي العطار رحمه الله تعالى 159
- تاريخ بناء المهديّة سنة ثلاثمائة 159
- 156 - أبو جعفر محمد بن محمد بن
خَيْرُون المَعافِرِي الأندلسي الفرضي
الشهيد رحمه الله تعالى 160
- 157 - أبو سليمان ربيع بن
عبد الله القيرواني الصوفي رحمه
الله تعالى 162
- 158 - أبو عثمان سعيد بن محمد

- 169 - أبو سعيد محمد بن محمد بن
سَحْنُون بن سعيد التنوخي رحمه الله 192
170 - أبو عبد الله محمد بن
سليمان بن بسيل رحمه الله 194.....
171 - أبو جعفر أحمد بن خليل
العَسَّال رحمه الله 194.....
172 - أبو إسحاق إبراهيم بن يونس
الخشاب القاضي رحمه الله 195.....
173 - أبو عبد الله محمد بن نصر
المتعبد المعروف بالغنمي 195.....
174 - أبو القاسم الحسن بن مفرج
مَوْلَى مَهْرِيَّة رحمه الله 196.....
175 - أبو بكر بن بشير المعلم رحمه
الله 199.....
176 - أبو عمرو ميمون بن عمرو
القاضي الزاهد رحمه الله 199.....
177 - أبو عبد الله محمد بن حربونة
المتعبد رحمه الله 200.....
178 - أبو محمد سعيد بن حَكْمُون
الفقيه رحمه الله 201.....
179 - أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله
القَيْسِي المتعبد رحمه الله 201.....
180 - أبو عبد الله محمد بن قطانية
المتعبد رحمه الله 202.....

- العَسَّانِي المعروف بابن الحَدَّاد رحمه
الله تعالى 163.....
159 - محمد بن فرج بن البنا
البغدادي مولى آل الأغلب رحمه الله 174
160 - أبو عبد الرحمن دحمان بن
مُعَافَى السَيُورِي رحمه الله 176.....
161 - أبو القاسم حَمَّاسُ بن مَرْوَانَ بن
سماك الهَمْدَانِي القاضي الزاهد 176.....
صون الأئمة والقضاة بالملابس
والمراكب من البدع المندوبة 178.....
162 - أبو العباس: إسحاق بن
إبراهيم الأزدي الصائغ 182.....
163 - صَدَقَةَ المؤدَّب الضَّرِيرِ رحمه
الله 184.....
164 - أبو محمد المسوحي المتعبد
رحمه الله 185.....
165 - أبو الأسود موسى بن
عبد الرحمن القطان رحمه الله 186.....
166 - أبو العباس محمد بن طيب
البصري المتعبد رحمه الله 188.....
167 - أبو حبيب نصر بن الفتح
التسوري الفقيه رحمه الله 189.....
168 - أبو عمرو هاشم بن مسرور
التميمي والد القاضي عبد[الله] بن
هاشم رحمه الله 189.....

MA^ĀALIM AL-^ĪMĀN
FĪ MA^ĀRIFAT AHL AL-QAYRAWĀN

The biographies of those who
inhabited Al-Qayrawan

by

Abu Zayd ^ĀAbdul-Rahmān Ben Muḥammad
Al-Dabbāg

Edited by

Dr. ^ĀAbdul-Majīd Al-Ḥayālī



Volume II

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon